مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

التاريخ الحديث

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (١٠١) الجزء الثالث– ٣٠ حزيران لسنة ٢٠٢٦

ISSN:2075-3047 : الترقيم الدولي
jasha@coart.uobaghdad.edu.iq : البريد الالكتروني

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (١٠١) الجزء الثالث- ٣٠ حزيران لسنة ٢٠٢٦
عدد الصفحات : ٧٩٨ صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الجراح

دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. منذر علي عبد المالك

مدير التحرير : أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. عـــادل شـابث جابـــر	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. قصـــي صبحـــي عبـــاس	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. وســـن سعيـــد عبـــود	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. سجـــى مؤيـد عبد اللطيف	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. ميثـــم عبـد الكـاظم جـــواد	كليـــة الآداب / جامعـــة بغـــداد
ا.د. اوســـــام بحـــــر جـــرك	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. ماجـــدة حســـو منصـــور	كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية
أ.د. فاضـــل مهـــدي بيـــات	تركيـــــا منظمـــــة ارســـيكا
أ.د. حســـــين القهـــــواني	الادرن /الجامعـــــة الاردنيـــــة
أ.د. مارجرتنـــا فـــان أيـــس	المانيـــا/ معهـــد الاثـــار الالمـــاني
أ.د. والـــــتر زالابيرجـــــر	المانيـــــا/ جامعـــــة ميـــــونخ
أ.د. بـــــيتر ميكلـــــوس	المانيـــــا/ جامعـــــة هايـــــدلبر
أ.م.د. صلاح الـدين محسن زايـر	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أم.د. فـــــاروق محمـــد علـــي	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.م.د. بشـــرى عنـــاد محمـــد	كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

مدقق اللغـــة العربيـــة: م.د . سهـــاد مـــازن فائـــق

مدقق اللغة الانكليزية: م.د. علياء عبد الحسين ناصر

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(١٢) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:

أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).

ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦) الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (١٤) .

ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word.

٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.

١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز(١٥) يوم.

١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .

١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.

١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :

jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر.

- **لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.**

رئيس التحرير

فهرس العدد (١٠١) الجزء الثالث

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	أثر الحرب الروسية- الإيرانية ١٨٢٦ – ١٨٢٨ في الصراع على السلطة في إيران دراسة تأريخيه	م . كاتب محمد غافل	١-١٨
٢.	اثر اليهود العراقيين في الجمعيات والنوادي و الاحزاب السياسية حتى العام ١٩٥٢	أ.م.د منار عبد المجيد عبد الكريم مرزة	١٩-٣٨
٣.	التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث	أحمد سمين احمد شريف	٣٩-٥٤
٤.	التطورات الداخلية في الولايات المتحدة الامريكية في عهد الرئيس روذ رفورد هايز Rutherford Hayes ١٨٧٧-١٨٨١	أ.م.د.حسين طعمة شذر	٥٥-٧٨
٥.	التطور المالي والنقدي في العراق ١٩٢٠ ١٩٢٦	م.د. سالم إسماعيل مصطفى	٧٩-٩٠
٦.	التعديلات الدستورية في الولايات المتحدة الامريكية: الحقوق المدنية انموذجا (١٧٩١-١٩٦٥) :دراسة تاريخية	م.د عامره عبد الحسين مطلك الخزعلي	٩١-١١٠
٧.	التوصيف القانوني والرؤية التاريخية لقضايا المرأة في الدستور العراقي ٢٠٠٥	م.م. نِعم مفيد حميد	١١١-١٢٤
٨.	الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، دراسة تاريخية في ضوء محاضر إجتماعها السنوي الأول عام ١٩٠٧	أ.م.د مأمون شاكر إسماعيل	١٢٥-١٥٩
٩.	الجهود الدولية للحد من التجارب النووية ١٩٧٤-١٩٧٦	م.د. بشير عبد الواحد صاحب	١٦٠-١٧٣
١٠.	الدور المصري في دعم جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) ١٩٦٢ – ١٩٧٠	م.د اية جميل عباس محمد	١٧٤-١٩٣
١١.	السّياسة الاقتصاديَّة الألمانيَّة في النَّرويج ١٩٤٠-١٩٤٥	ضياء محمود موسى أ. م. د. سحر احمد ناجي	١٩٤-٢١٢
١٢.	الصراع العربي- اليوناني في ادارة الكنيسة الارثوذكسية في القدس خلال العهد العثماني (١٦٦٩-١٩١٧)	م.م. نيزك سعيد عبد الكريم	٢١٣-٢٢٤
١٣.	العلاقات السياسية العراقية -اللبنانية ٢٠٠٣-٢٠٠٨	م.د علاء رحيم كاظم السنيد	٢٢٥-٢٥٢
١٤.	سياسة الحكومة السوفيتية تجاه الكنيسة الارثوذكسية في الاتحاد السوفيتي (١٩٢٢-١٩٩١) "دراسة تاريخية"	م.د. هيلدا رافي خاجيك	٢٥٣-٢٧٦

١٥.	المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) ١٧٤٧- ١٩٦٤	أ. د. مي فاضل مجيد الربيعي	٢٧٧-٣٠٤
١٦.	النشاط الكتابي ضد الشيوعية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣	أ.د.عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي	٣٠٥-٣١٨
١٧.	الوضع السياسي والاقتصادي للمهاجرين الألمان في الولايات المتحدة الامريكية ١٨٨٣ – ١٩٠٠	شذى عبدالله علي سيف أ. د. كفاح احمد محمد	٣١٩-٣٣٨
١٨.	أنشطة قبيلة بني تميم وفعالياتها في مصائد اللؤلؤ وتجارته في قطر والساحل العمُاني (١٨٢٠-١٩١٤)	دلال وليد فليح حسن أ.د جبار درويش جاسم	٣٣٩-٣٥٦
١٩.	الانعكاسات السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية للثورة الإسلامية الإيرانية على سوريا (١٩٧٩-١٩٨٩)	أ.م.د روافد جبار شرهان	٣٥٧-٣٧٨
٢٠.	موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الإطاحة بحكومة الرئيس لوزانو دياز في الهندوراس وتداعياتها على الأوضاع الداخلية في البلاد ١٩٥٦-١٩٥٧	د. يوسف ادريس عبدالرزاق فتحي	٣٧٩-٤٠٦
٢١.	انقلاب الصخيرات في المغرب ١٩٧١ دراسة في ضوء الموقف العراقي والدول العربية من الانقلاب	أ.م.د. فضيلة إسماعيل رحيم	٤٠٧-٤٢٠
٢٢.	اوضاع البرتغال الداخلية واثرها في قيام الانقلاب العسكري (١٩١٠- ١٩٧٤)	م.م. هنادي اسماعيل إبراهيم	٤٢١-٤٣٢
٢٣.	موقف جريدة الكرخ من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق (١٩٣٦- ١٩٣٩)	أ.م.د. حيدر عطية كاظم	٤٣٣-٤٥٢
٢٤.	حركات المعارضة في روسيا القصيرية عام ١٨٢٥ "دراسة تاريخية"	ا.م.د. احمد ناظم عباس	٤٥٣-٤٦٦
٢٥.	حزب الرفاه الاسلامي التركي	م.د. نجاة خيرالله كاظم	٤٦٧-٤٨٢
٢٦.	روبرت لانسينغ وموقفه من مشكلات الحياد الأمريكي في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٥)	أ . م . د . أسيل عبد الستار حاجم	٤٨٣-٥٠٨
٢٧.	سياسة الولايات المتحدة الامريكية في عهد الرئيس جون آدمز تجاه السكان الأصليين ١٧٩٧ -١٨٠٠	م.م منى فؤاد طه ا.د كفاح أحمد محمد	٥٠٩-٥٣٤
٢٨.	فكرة الشعب المختار وأثرها في تأسيس الكيان الصهيوني	م.م. محسن فالح محمد	٥٣٥-٥٥٤
٢٩.	قضية الصحراء الغربية في ضوء مقالات صحيفة الاهرام لسنة ١٩٧٥ دراسة تأريخية	م.م مروة ابراهيم مصطفى	٥٥٥-٥٨٨
٣٠.	قوانين عمالة الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية (١٩٠٤-١٩٣٩)	م.د. انتصار عبد عون محسن	٥٨٩-٦١٢
٣١.	مذكرات فتاة	م.م . عبد الرسول هانو رشم	٦١٣-٦٤٦

٣٢.	دور عبد العزيز الـ سعود في استعادة الاراضي السعودية وتوحيدها وبناء الدولة الحديثة (١٩٠٢-١٩٥٣)	م.د. علي احمد مهنا	٦٤٧-٦٧٤
٣٣.	أ. هنري سليتر ودوره في العراق حتى العام ١٩٢٩	م.م. ساره زيدان خلف ربيع	٦٧٥-٦٩٨
٣٤.	Sultanic and Dark Rituals in the Ottoman Empire: From Legitimacy of Rule to the Exploitation of the Body (1299–1924)	Abdelqadir Ibrahim Houti,	٦٩٩-٧٢٠
٣٥.	Baghdad in Korean Perspective Lee Myung-bak ‘s Case	Ghiadaq Abdulmunim Mohammed	٧٢١-٧٣٦
٣٦.	جدلية المركز والهامش في السرد الحديث: تمثلات الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية	رشا ابراهيم هزاع كاظم فتلاوي أ.م. ميثم إيراني أ.د.حسن رحماني	٧٣٧-٧٥٠
٣٧.	تطور التعليم المهني والتقني في لبنان من خلال محاضر مجلس النواب اللبناني ١٩٥٨- ١٩٦٤	م.د. فؤاد خلف حسين علي	٧٥١-٧٦٨
٣٨.	النهضة الألمانية عشية الحرب العالمية الأولى ١٨٧٠ -١٩١٤- دراسة تاريخية	أ.د. نغم سلام إبراهيم	٧٦٩-٧٨٨

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

أثر الحرب الروسية– الإيرانية ١٨٢٦ – ١٨٢٨ في الصراع على السلطة في إيران دراسة تأريخيه

The Impact of the Russo-Iranian War of 1826–1828 on the Struggle for Power in Iran: A Historical Study

م . كاتب محمد غافل
M. Katib Mohamed Gavel
مديرية تربية ذي قار/ قسم تربية الفجر
Dhi Qar Educatuon Directorate / Fajr Education Department
ka75tib1970@gmail.com
07732108670

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

بعد تأزم العلاقات بين روسيا وايران على أثر تنصل ايران من تنفيذ بنود معاهدة كلستان عام١٨١٣ "معاهدة الصلح والصداقة بين روسيا وايران", وقيام القوات الروسية بفرض سيطرتها على مدينة كوكجة عام ١٨٢٥، ورد القوات الايرانية بهجوم مباغت على مدينة يريفان الارمنية، بدأت الحرب بين الطرفين رسميا في ١٦ تموز ١٨٢٦, وفي منتصف عام ١٨٢٧، اقتنع عباس ميرزا ولي العهد وقائد الجيش الايراني بضرورة انهاء الحرب وبدأ المفاوضات مع الروس، غير ان محاولاته باءت بالفشل، بسبب تعنت الموقف الروسي .

أدى توالي سقوط المدن الايرانية و وقوع العاصمة طهران تحت مرمى الخطر, إلى طلب عباس ميرزا عقد هدنة مع الروس بوساطة بريطانية, انتهت بتوقيع اتفاقية تركمانجاي في ٢٢ شباط ١٨٢٨ والتي حلت بدلاً عن معاهدة كلستان, وسببت لإيران مشاكل خارجية وداخلية تمثلت باستقلال رؤساء العشائر والناقمين على الحكم ليستأثروا بالسلطة بعيدا عن حكومة الشاه والسلطة القاجارية, ورغم تمكن عباس ميرزا عام ١٨٣١ من القضاء على تلك الفتن واخماد الاضطرابات وفرض سيطرته على معظم المدن في حدود السنتين, إلا انها تسببت بإهدار كبير لمقدرات الدولة, وبعد وفاة عباس ميرزا يوم ٢١ تشرين الاول١٨٣٣، انتقل صراع المنافسة على السلطة الى أولاده واخوته المنافسين لاسيما الأخ الأكبر محمد علي ميرزا دولتشاه مما أثر سلباً على تماسك الجبهة الداخلية وضعف موقفها تجاه الخطر الخارجي المحدق بها ولاسيما التهديد الروسي الدائم لاحتلال أراضيها.

الكلمات المفتاحية: (اتفاقية تركمانجاي , عباس ميرزا , محمد علي ميرزا, معاهدة كلستان)

Abstract:

After relations between Russia and Iran deteriorated following Iran's refusal to implement the terms of the Treaty of Gulistan in 1813, "Treaty of Peace and Friendship between Russia and Iran," and the Russian forces' imposition of their control over the city of Kokja in 1825, the Iranian forces responded with a surprise attack on the Armenian city of Yerevan, The war between the two sides officially began on July 16, 1826. In the middle of 1827, Abbas Mirza, the Crown Prince and commander of the Iranian army, became convinced of the need to end the war and began negotiations with the Russians. However, his attempts failed due to the intransigence of the Russian position.

The successive fall of Iranian cities and the fact that the capital Tehran was under threat led Abbas Mirza to request a truce with the Russians through British mediation, which ended with the signing of the Treaty of Turkmenchay on February 22, 1828, which replaced the Treaty of Gulistan, This caused Iran external and internal problems, represented by the independence of the tribal chiefs and those resentful of the rule, who seized power away from the Shah's government and the Qajar authority. Despite Abbas Mirza's ability in 1831 to eliminate those seditions, quell the unrest, and impose his control over most of the cities within two years, However, it caused a great waste of the state's resources. After the death of Abbas Mirza on October 21, 1833, the struggle for power passed to his sons and rival brothers, especially the eldest brother, Mohammad Ali Mirza Dolatshah, which negatively affected the cohesion of the internal front and weakened its position towards the external danger surrounding it, especially the constant Russian threat to occupy its lands.

Keywords: (Abbas Mirza,Turkmenchay Agreement, Treaty of Gulistan, Muhammad Ali Mirza,).

المقدمة:

تعد الحرب الايرانية الروسية (١٨٢٦– ١٨٢٨م) من الاحداث الهامة والحساسة في تاريخ ايران الحديث بصورة عامة، والعهد القاجاري (١٧٩٦ –١٩٢٥م) بصورة خاصة، ذلك ان الحروب والتداعيات التي نجمت عنها لم تقتصر على عهد فتح علي شاه فقط ،بل امتدت أثارها الى الفترات

اللاحقة من العهد القاجاري وحتى نهايته, ومما يضفي بعدا اكبر على تلك الحروب انها تزامنت مع حقبة حساسة وخطيرة في تاريخ ايران والشرق الاوسط عموما، اذ ارتفعت حمى التنافس الاستعماري بين الدول الاوربية الكبرى ،لاسيما بريطانيا وروسيا، للاستحواذ على مناطق نفوذ او مستعمرات, ولم تكن ايران ببنياتها الاقطاعية ونظامها السياسي التقليدي قادرة على الوقوف بوجه ذلك التنافس الشرس بين هذه القوى الكبرى, فلا عجب ان تصبح ساحة لتجاذبات السياسات الدولية بكل تعقيداتها وخيوطها المتشابكة.

ادت الحروب الايرانية – الروسية الى نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية، بل وحتى نفسية كان وقعها على الايرانيين ثقيلاً، لانهم لم يكونوا مهيأين لتحمل اوزارها، واعبائها. إذ وقع القسم الاكبر من ثقل هذه الحروب على كاهل الفئات الاجتماعية الوسطى والدنيا، ومما زاد من وطأتها لجوء حكومة فتح علي شاه الى فرض الضرائب والرسوم بأي ثمن كان، حتى تتمكن من توفير الاحتياجات التي كانت تعوزها تلك الحروب' وفيما بعد كي تكون قادرة على دفع التعويضات المالية التي ترتبت على معاهدات الصلح مع روسيا , ذلك الواقع المزري، والبؤس الذي رزحت تحته الشعوب الايرانية، انفجر في سلسلة من الانتفاضات والحركات التي انتشر صداها في انحاء ايران كافة, واتخذت طابعاً خاصاً في كلٍ من اذربيجان وكرمان وخراسان وهرات .

تقوم الدراسة على اساس مناقشة فرضية

- ما اثر الحرب الروسية الايرانية على الوضع الداخلي ؟
- كيف تصدى فتح علي شاه وولي عهده عباس ميرزا لحركات التمرد الداخلي ؟
- لماذا حدث الصراع بين ولي العهد عباس ميرزا وبعض القوى الداخلية في ايران ؟

قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين رئيسيين وخاتمة جاء **المبحث الأول** بعنوان:(**الحرب الروسية–الإيرانية وتداعياتها على الوضع الداخلي في إيران)** تحدثنا فيه أولاُ عن سير المعارك الروسية الايرانية والتي انتهت بتوقيع معاهده تركمانجاي في الثامن والعشرين من شباط عام ١٨٢٨, اما النقطة الثانية فقد تناولت مذبحة السفارة الروسية في١١ شباط ١٨٢٩ وتأثيرها على العلاقة بين البلدين, وبحثت النقطة الثالثة عن اضطراب الاوضاع الداخلية في إيران والحملات العسكرية التي قادها عباس ميرزا لاستعادة الأمن على كل من اذربيجان وكرمان وخراسان وهرات حتى عام ١٨٣٢, فيما ناقش **المبحث الثاني** والذي جاء تحت عنوان:(**الصراع على السلطة في فترة ولي العهد عباس ميرزا وتداعياتها على الوضع الداخلي في إيران حتى عام ١٨٣٣)** تناولت في النقطة الاولى الصراع مع العائلة القاجارية وولي العهد عباس ميرزا وبينت النقطة الثانية الصراع مع رؤساء القبائل وكبار رجال الدولة وموقفهم من

اصلاحات عباس ميرزا , اما النقطة الثالثة والاخيرة فقد تطرقت الى صراع عباس ميرزا مع رجال الدين وموقفهم من اصلاحاته, في حين غطت **الخاتمة:** اهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول

الحرب الروسية – الإيرانية وتداعياتها على الوضع الداخلي في إيران .

اولاً : الاوضاع الداخلية في إيران حتى عام ١٨٢٨ .

بعدما استولت روسيا في معاهدة كلستان التي جرى التصديق عليها وتبادل فصولها بين إيران وروسيا في السابع والعشرين من ايلول عام ١٨١٣م (الموسوي، ١٣١٧، الصفحات ص٢٥٦-٢٦١), والتي عرفت رسمياً باسم معاهدة الصلح والصداقة بين روسيا وايران من احدى عشرة مادة ومقدمة وقد اجبرت ايران بموجب نصوص تلك المعاهدة على تقديم تنازلات إقليمية كبيرة لصالح الروس (بينا، ١٣٤٢، الصفحات ص١٧٤-١٧٦), حيث اكد البند الخامس منها حق روسيا المطلق في امتلاك اسطول حربي داخل بحر قزوين فيما حظر على ايران، او اي دولة اخرى امتلاك ذلك الحق (عشقي، ١٣٥٣، الصفحات ص١٦٦-١٦٧).

كانت لإيران رغبة في استرجاع ما فقدته في معاهدة كلستان اثره في اندلاع الحرب مجدداً بين الطرفين، فضلاً عن تراكم عوامل اخرى وجهت الاوضاع الى طريق مسدود بين الجانبين، كان في مقدمتها استغلال الروس للحرب الايرانية – العثمانية عام١٨٢١- ١٨٢٣ (المشهداني، ١٩٩٧، صفحة ص٤٧), فتقدمت قواتهم وفرضت سيطرتها على مدينة كوكجة عام ١٨٢٥، كما ان لتنصل الايرانيين عن تنفيذ بعض النقاط التي جاءت في معاهدة كلستان كان السبب وراء تأزم العلاقات بين طهران وبطرسبورغ (دهخدا، ١٣٣٤، الصفحات ص٥٢- ٥٤), ومع ان معاهدة كلستان وفرت الأجواء المناسبة لان يسود السلم بين ايران وروسيا لأكثر من عقد من الزمن (خلف، ٢٠١٠، صفحة ص٤٠)، إلاّ انها كانت تحمل بذور حرب تالية أسهمت في اندلاعها ظروف داخلية وخارجية تشابكت خيوطها فيما بينهما الى حد بعيد (اوسطى، ١٣٨٢، صفحة ٧٠), وهناك من يعتقد بأن الشاه عباس ميرزا, كان قد اعدّ لتلك الحرب وخطط لها قبل وقوعها بفترة طويلة (مظهر، ١٩٨٥، صفحة ٦٥), بغية استرجاع الهيبة لقواتهم التي انكسرت في السنوات الماضية (العبيدي، ٢٠١١، صفحة ٤١).

بدأت الحرب في ١٦ تموز ١٨٢٦ بهجوم مباغت للقوات الايرانية على مدينة يريفان الارمنية، وكانت الجولة الاولى للحرب لصالح القوات الايرانية، ثم اجبرت ضربات الروس الموجعة للقوات الايرانية عباس ميرزا على التراجع، وفشلت محاولاته الاولى في التوصل الى اتفاق لإنهاء القتال وعقد الهدنة بينهما (شميم، ١٣٧٩، صفحة ٢٨).

بعد انكسار القوات الايرانية في اغلب المعارك التي خاضتها ضد الروس في منتصف عام ١٨٢٧،

اقتنع عباس ميرزا بضرورة انهاء الحرب، وبأنه لا مفر من تجديد المفاوضات مع الجانب الروسي، غير ان محاولاته باءت بالفشل، بسبب تعنت الروس بمطالبهم التي سبق لحكومة طهران رفضها في اذار من العام نفسه، لتصل المفاوضات الى طريق مسدود
. (Percy S. , 1930, p. P.311)

في تلك الاثناء، كان ولي العهد عباس ميرزا يواجه منافسة قوية من بعض اخوته الذين كانوا يرغبون بأن يشاهدوه منهزما في ساحات القتال، فلا غرابة ان نجدهم يمتنعون عن مساندته في احلك الظروف (عيسوي، ١٣٦٩، صفحة ١٩٧), اما بالنسبة الى فتح علي شاه فلم يكن موقفه بأفضل من موقف ابنائه، اذ ترك ساحات القتال وقفل راجعاً الى طهران في تشرين الاول ١٨٢٧ بعد ان شاهد انكسارات قواته امام الجيش الروسي (المشهداني، ١٩٩٧، صفحة ٥٢)؛ (Percy S. , 1930, p. P.312).

ونتيجة للسياسة التقليدية للسلطة القاجارية، واساليبها المتعالية التي سلكتها تجاه ابناء بعض القوميات في البلاد، اتجهت انظار ابناء تلك القوميات الى التعاون مع الروس وتحديداً الارمن، بل تطوع البعض منهم للقتال الى جانب القوات الروسية، كما وقف بعض زعماء اذربيجان الى جانب الروس، في وقت كان عباس ميرزا يضع الخطط، بالتعاون مع البريطانيين، لتهجيرهم من وطنهم الى ما وراء نهر آراس, ومن جانب آخر تعاون معظم رؤساء العشائر الآذربيجانية مع الروس، واقترح سكان مرند القيام باحتلال تبريز التي لم يقل استياء سكانها عن استياء المرنديين (مظهر ك.، ١٩٨٥، الصفحات ٦٩-٧٠), كما وردت في مصادر إيرانية أخرى أسماء العديد من الزعماء الذين انضموا الى جانب الروس، منهم مثلاً احسان خان قائد القوة المكلفة بالدفاع عن قلعة عباس آباد والذي استولى الروس بمساعدته على تلك القلعة (شميم، ١٣٧٩، صفحة ٢٨), اسهمت تلك المواقف الى جانب مواقف اخرى باندحار الجيش الايراني وتحديداً في معارك عام ١٨٢٧ التي خسر فيها الايرانيون مدينة يريفان في ١٥ تشرين الاول من العام ذاته (Percy, 1930, p. 312) .

وفي ٢٤ تشرين الاول ١٨٢٧ احتلت القوات الروسية مدينة تبريز بعد ان فرَّ منها حاكمها اللهيار خان أصف الدولة (البديري خضير، ٢٠١٩، صفحة ٢١٥), وبسقوط اذربيجان مقر ولي العهد اصبح وضع مدينة طهران معرض للخطر، لذا سعى عباس ميرزا الى وضع نهاية للحرب، والتوصل مع الروس الى عقد هدنة وايقاف القتال في أقرب فرصة ممكنة (خليل المشهداني، ١٩٩٧، صفحة ٥٢) .

وبعد مفاوضات معقد اجريت بين عباس ميرزا عن الجانب الإيراني، والجنرال باسكوفيتش عن الجانب الروسي، فضلاً عن الوساطة البريطانية(قاضيها، ١٣٧٩، صفحة ٢٩٠)، استمرت مفاوضاتهما مدة شهرين، انتهت بتوقيع الاتفاقية في٢٢شباط ١٨٢٨م (هوشنك، ١٣٦٤، صفحة ٢٣٧), والتي عرفت باتفاقية تركمانجاي والتي حلت بدلاً عن معاهدة كلستان (البهادلي.، ٢٠٠٦، الصفحات ٩٥-٩٩).

وهكذا فإن معاهدة تركمانجاي قد وضعت نهاية للحرب الروسية–الإيرانية، وباستقطاعات اقليمية جديدة، الأمر الذي انعكس اثرها سلباً على الوضع الداخلي في إيران، فضلاً عن المصاعب الاقتصادية والفوضى السياسية وحركات تمرد التي شهدتها البلاد في أعقاب توقيع تلك الاتفاقية (Percy, 1930 , p. 312).

ثانياً : الاوضاع الداخلية في إيران ومذبحة السفارة الروسية عام ١٨٢٩

حاولت الاوساط الحاكمة للقاجار توجيه استياء الجماهير الايرانية ونقمتها بعيدا عنها, لذلك سعت الى تأجيج مشاعر العداء ضد الروس وتحميلهم تبعات هزائم ايران في تلك الحروب، والاثار التي نجمت عنها، والتي تمثلت في ازمات حادة طالت حياة الايرانيين في ادق مفاصل حياتهم اليومية (البديري خضير ا.، ٢٠١٩، صفحة ٢٤٥), فقد كان لروسيا دور كبير في اثارة ضغينة الشعب الإيراني نتيجة لسياستها الغير مسؤولة التي جعلت الشعب الإيراني يصل إلى حالة الاستياء منها, تلك الأمور كلها أدت إلى حدوث كارثة كادت أن تؤدي إلى حرب جديدة مع روسيا تمثلت بمذبحة السفارة الروسية في طهران عام ١٨٢٩ التي راح ضحيتها السفير الروسي الكسندر غريبويدوف (Шостакович .В .С، ١٩٦٠، الصفحات ٢٥-٣٣).

حدثت مذبحة السفارة الروسية عندما وصل غريبويدوف في تشرين الاول عام ١٨٢٨ للقاء فتح علي شاه، وتسليمه مذكرة من حكومته حول دفع القسط السنوي من الغرامة الحربية المفروضة على ايران, ومع وصوله لعب فيها كبار مسؤولين دوراً مباشراً منهم الوزير وخال الشاه اللهيار خان آصف الدولة الذي كان ناقما على الروس بسبب الخسائر التي تسببوا له بها وتجريده من منصبه (البديري خضير ا.، ٢٠١٩، الصفحات ٢١٦-٢١٩).

كان لبريطانيا دوراً كبيراً في تحريض الإيرانيين ضد الروس عن طريق دعمهم ل(اللهيار خان آصف الدولة) الذي كان على علاقة وثيقة بهم, وكان يحرض الشعب الايراني والشاه على اعلان الحرب على روسيا ، حيث سعى البريطانيون لوضع العراقيل بوجه الروس لأنهم لم ينظروا بعين الرضا إلى الامتيازات التي حصل عليها الروس في إيران بفضل بنود معاهده تركمانجاي التي كانت تؤلف ضربة لنفوذهم في ايران (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٨٠١), وقد أدى رجال الدين دوراً كبيراً في اذكاء نار العداء ضد أعضاء البعثة وكان المجتهد الحاج ميرزا مسيح استرابادي المرجع الديني في طهران من أبرزهم , وبدأت الصيحات تتعالى مرة أخرى بضرورة خوض حرب جديدة ضد روسيا، وأن الفرصة مؤاتيه لذلك ما دامت روسيا منهمكة في حربها على مختلف الجهات (مظهر م.، ١٩٨٥، صفحة ٨١).

رافق ذلك وقوع حادثتين اخريين، الاولى عندما لجأ ميرزا يعقوب الارمني والذي كان له شأن كبير في بلاد فارس، و كان مسؤول عن صندوق أموال الدولة وحافظ لخزائن الشاه، الى السفارة الروسية طالباً

ترحليه الى بلده الاصلي ارمينيا فضلا عن ذلك، أنه كان مطّلعا على العديد من أسرار البلاد, وبسبب ذلك سعى الشاه فتح علي شاه لمنع ميرزا يعقوب من مغادرة ايران بشتى السبل, إذ طالب السفارة الروسية في طهران تسليمه إلى السلطات الإيرانية، وعندما لم يلق أيّ استجابة، أمر حرسه الخاص باقتحام منزل ميرزا يعقوب، ومن ثم غلقه بالشمع الأحمر وقد حاول غريبادوف حل المسألة مع الحكومة لكن مساعيه لم تسفر عن نتيجة, وتزامنا مع ذلك جاءت الحادثة الأخرى، حيث شهدت الفترة التالية تصاعدا للأزمة عقب فرار اثنين من الجواري الأرمينيات من حريم أحد الأمراء المقربين من الشاه نحو السفارة طلبا للجوء والعودة نحو أرمينيا (البديري خضير، ٢٠١٩، صفحة ٢٤٧).

سعى فتح علي شاه لإشعال فتيل مظاهرات معادية لروسيا وسياستها في شوارع طهران، من أجل إرهاب الدبلوماسيين الروس وإجبارهم على تغيير موقفهم, ونتيجة لتلك الأوضاع تأججت مشاعر المحتجين أكثر مع صدور فتوى في السابع من شباط عام ١٨٢٩م من المجتهد الحاج ميرزا مسيح حث فيها المواطنين على استعمال القوة مع الروس وأن على المسلمين إنقاذ المسلمات من أدي المشركين (أميني، ١٣٨٢، صفحة ٧٧).

وبسبب توتر الأجواء و تجمع الناس في البازارات والشوارع وساحات المساجد وإلقاء الخطب الحماسية فيها والتي تندد بالروس، توجهت تلك الجموع المحتشدة من مساجد طهران وجوامعها يوم ١١ شباط ١٨٢٩ إلى مقر السفارة الروسية، ووقع صِدام بين الطرفين, وفي تلك الاثناء حصل ما لم يكن في الحسبان، حيث خرجت الأمور عن السيطرة بشوارع طهران عقب استهداف عدد من جنود القوزاق الروس المكلفين بحماية البعثة الدبلوماسية، لعدد من أهالي طهران الذين حاصروا السفارة الروسية وباشروا بتسلق جدرانها مع بداية هجوم أهالي طهران على السفارة (البديري غانم، ٢٠٠٦، صفحة ٨).

أقدمت الجماهير الغاضبة على كسر الأبواب وتهشيم النوافذ قبل أن تندلع المواجهات مع جنود القوزاق الروس المتمركزين بالسفارة, انتهت الحادثة بمقتل السفير الروسي ألكسندر غريبوييدوف مع كثير من العاملين بالسفارة، لم ينجُ من المذبحة سوى السكرتير إيفان فالتسوف الذي اختبأ مع بداية الهجوم, وحسب بعض المصادر الايرانية قتل من المهاجمين ما بين ٧٠ – ٨٠ شخصاً (مظهر، ١٩٨٥، صفحة ٨١).

مع وقوع مذبحة سفارتها بطهران، كانت روسيا منشغلة بحربها مع العثمانيين والتي اندلعت سنة ١٨٢٨ لذلك السبب، فضّل المسؤولون الروس التريّث بدل فتح جبهة ثانية ضد ايران, وفي ومحاولة من قبل الشاه فتح علي شاه إقناع روسيا بأن الحكومة الإيرانية لم تكن على علم بذلك الحادث (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٧٨٩)، حيث قام بإرسال حفيده خسرو ميرزا ابن عباس ميرزا, فضلاً عن محمد تقي خان أمير كبير, إلى القيصر الروسي نيقولا الأول حاملين معهم رسالة اعتذار رسمية (التكريتي، ١٩٩٠،

صفحة ١٠٤), واكدا له حرص الحكومة الايرانية على معاقبة الجنات, حيث قامت الحكومة الايرانية ببعض الإجراءات الشكلية التي من شأنها تدارك العواقب (سليمان، ١٩٩٠، صفحة ١٠٤)، لذلك عمدت إلى إعلان الحداد في تبريز لمدة ثلاثة أيام وتقديم العزاء إلى عائلة السفير غريبادوف و ابعاد المجتهد الحاج ميرزا مسيح عن طهران، والقاء القبض على بعض المشاركين في المذبحة ومن ابرزهم رضا قلي الذي كان أحد المشاركين في الحادثة والذي صدر حكم الإعدام عليه (العوادي، ٢٠١٥، الصفحات ٩٢-٩٣).

كذلك قدم الوفد هدايا فتح علي شاه الى القيصر مع رسالة شخصية منه, ومن جانبه قام العاهل الروسي بالتنازل عن مليوني روبل (٣٠٠) الف باون، من قيمة التعويض الحربي الذي فرض على ايران بموجب معاهدة تركمانجاي، كما ابدى موافقته على تأجيل أقساطه للسنوات الخمس التالية (البهادلي.، ٢٠٠٦، الصفحات ١٢٤-١٢٥).

ثالثاً : الاوضاع الداخلية في إيران ١٨٣٠ - ١٨٣٣

إن معاهدة تركمانجاي, قد سببت مشاكل خارجية لإيران كانت في غنى عنها اذ راح ضحيتها السفير الروسي غريبادوف إلا أن آثارها لم تقتصر على الأوضاع الخارجية المضطربة، وإنما شملت أوضاعاً داخلية متوترة، فقد شكلت تلك الحادثة مؤشرا واضحاً لضعف الحكومة المركزية وعدم قدرتها على حفظ الأمن حتى في العاصمة طهران، فضلا عن ذلك فقد هيأت ظروف الفوضى والاضطرابات الأجواء أمام عدد من الحكام المحليين ورؤساء العشائر الناقمين على الحكم القاجاري ليستأثروا بالسلطة بعيدا عن حكومة الشاه والسلطة القاجارية وينفردوا في مناطقهم بعيدا، والدور الكبير الذي أدته الدسائس الأجنبية في إذكاء نار التمرد ضد الحكومة القاجارية (العوادي، ٢٠١٥، صفحة ٩٥).

وجد فتح علي شاه ان القضاء على تلك الحركات لا يمكن ان يتحقق إلاّ اذا اوكل الامر إلى ابنه عباس ميرزا، الذي رغم هزائم الحرب، الا انه تمكن بعد مدة وجيزة من تجميع ما تبقى من قواته، استعداداً لمواجهة اي ظروف طارئة (البديري خضير ،٢٠١٩, ص٢٥٤) (البديري خضير ا.، ٢٠١٩، صفحة ٢٥٤).

هيأت ظروف الفوضى والاضطراب وضعف الحكومة المركزية نتيجة الحرب الإيرانية الروسية الثانية, الأجواء أمام عدد من الحكام المحليين ورؤساء العشائر الناقمين على الحكم القاجاري ليستأثروا بالسلطة، فتمرد العديد منهم واعلنوا خروجهم على سلطة القاجار, وكان للدسائس الأجنبية أثر كبير في اذكاء نار التمرد والثورة ضد حكمهم, فقد أستغل (عبد الرضا خان) نفوذه في يزد وأعلن تمرده على السلطة المركزية، ولم يبذل حسن علي ميرزا شجاع السلطنة الذي كان والياً على خراسان والمطالب بولاية العهد جهوداً في مواجهة التمرد, ومما زاد الأوضاع سوءاً في أقليم خراسان عصيان الخانات المحليين، فضلاً

عن غارات التركمان والأفغان مما شجع المتمردين على أعمال العنف المناهضة للحكومة (بروكلمان، ١٩٥٠، صفحة ١٥٤).

وازاء تلك الأوضاع كلف فتح علي شاه عباس ميرزا لإعادة الأمن والاستقرار في القسم الشرقي لإيران، ولاسيما انه تمكن من تجميع ما تبقى من قواته على الرغم من هزائم حربه مع روسيا استعداداً لمواجهة أي ظروف طارئة (عاقلى، ١٣٨١، صفحة ٣٨)، فتحرك الأخير في خريف عام ١٨٣٠، ومعه أبناؤه محمد ميرزا وخسرو ميرزا وبهمن ميرزا، ووزيره الميرزا أبو القاسم , من طهران عن طريق قم صوب يزد (الخالدي، ٢٠١٤، صفحة ٩٩), وفي عام ١٨٣١ انتزع يزد من عبد الرضا خان وقبض عليه بكل سهولة (الجاف، ٢٠٠٥، صفحة ٢١٤) ، وتعقب أخاه شجاع السلطنة بعد فراره الى كرمان ، وقبض عليه وأرسله الى العاصمة طهران ، ليكون تحت مراقبه أبيه (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٧٩٠).

أرسل عباس ميرزا ولده خسرو ميرزا, على رأس قوة ومعه عددٌ من المدافع، عن طريق كوير لصد رؤساء التركمان المتمردين, أذ تمكن عباس ميرزا من القضاء على التركمان في مناطق ما وراء آرس وأن يلزمهم حدودهم ويأخذ منهم تعهدات بعدم اختطاف أو اسر المزارعين في المناطق الحدودية (البديري خضير ا.، ٢٠١٩، صفحة ٢٥٩)، وقد استطاع الاستيلاء على قلاع قهستان وقاينات، واتجه هو عن طريق أستراباد الى قوشان, ولما سمع أهل مشهد بفتوحات خسرو ميرزا واستيلائه على قلاع قهستان وقاينات، أعلنوا الطاعة، فدخل عباس ميرزا مشهد بيسر، ولحق به خسرو ميرزا بعد استعادته طبس وترشيز (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٧٩١).

شرع عباس ميرزا في عام ١٨٣١ بالتوجه نحو خراسان، مما اثار مخاوف الخانات المحليين فيها, لعدم مقدرتهم على مواجهته, فأعد خسرو ميرزا ومحمد خان زنگنة أمير شرطة خراسان وكبير شيوخها بأمر من عباس ميرزا جيشاً جديداً لدخولها, وذلك لأن خطر التركمان لا يزال قائماً وأن محمد خان لا يزال هارباً (عاقلى، ١٣٨١، صفحة ٤٠), فهاجم عباس ميرزا مدينة سرخس ، وبعد أن أمعن السيف في التركمان أمن جانبهم ودفع فتنتهم, كما قضى عباس ميرزا على فتنة محمد خان القرائي آخر ثائر في خراسان (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٧٩١).

بعد الانتهاء من خراسان تحرك عباس ميرزا على رأس ثمانية آلاف مقاتل وخمسين قاذفة قنابل لإخضاع قوشان ، التي تمردت بزعامة رضا قلي خان، الذي تمتع بإمكانيات عسكرية كبيرة واسلحة حديثة، وكان قد فرض سيطرته على عددٍ من القلاع الحصينة، اهمها قلعة سلطان ميران وقلعة امير آباد, وبعد عدة ايام من القتال، سقطت قلعة سلطان ميران بيد قوات عباس ميرزا, وعلى الرغم من استحكامات قلعة امير آباد الحصينة، واستماتة رجال رضا قلي خان الذي بلغ تعدادهم فيها ثلاثة آلاف

في الدفاع عنها، إلاّ أن قوات عباس ميرزا تمكنت من شن هجوم شامل عليها، واستخدام قاذفات القنابل الكبيرة لهدم حصونها، مما أدى الى استسلامها وسقوطها بيده (الخالدي، ٢٠١٤، صفحة ٩٩).

وبعد أن اخضع عباس ميرزا قلعة امير آباد، فرض الحصار على قوشان لمدة أكثر من شهر، بعد أن رفض رضا قلي خان مع قواته التي بلغ تعدادها أثنا عشر الف رجل، الانصياع لأمره وعلى الرغم من مقاومة رضا قلي خان لهجمات قوات عباس ميرزا العنيفة، إلا انه اضطر الى الاستسلام، بعد أن توسط له ميرزا علي الابن الثاني لأبي القاسم قائم مقام، والذي كان تربطه معه علاقة قديمة، فَمَثُلَ بين يدي عباس ميرزا حاملاً سيفه وكفنه دليلاً على الطاعة والاستسلام وطلب الأمان، فعفى عنه عباس ميرزا وأرسله الى طهران (الخالدي، ٢٠١٤، صفحة ٩٩), بعد ذلك تمكن عباس ميرزا من فرض سيطرته على تربه جام وعشق آباد، بعدما كانت مسرحاً للقلاقل والاضطرابات لوقت ليس بالقصير, وبذلك فقد أخضع عباس ميرزا كل البلاد في سنتين بعد أن اضطر إلى ضرب الحصار على المدن الرئيسة فترات طويلة من الزمن في بعض الأحيان (بروكلمان، ١٩٥٠، صفحة ١٥٥).

بعد استقرار الأحوال في خراسان استدعى الشاه فتح علي شاه ولي العهد عباس ميرزا إلى طهران ليبارك له جهود حملاته في خراسان وأمره بالتوجه إلى افغانستان والاستيلاء على هرات (الفاضلي، د. ت، صفحة ٤٤), لكي يفرض سيطرته عليها، إذ أن حاكمها كامران ميرزا ، كانت له روابط أبوية(الأب مع الأبن) مع هرات والأمراء الأفغان، فنظام الحكم العائلي والعشائري يقوم على روابط القرابة، ولكن السمة الغالبة عليه أن كل حاكم وخان وأمير يسعى غالباً الى توسيع حدود سلطنته وزيادة أملاكه وتأمين مصالحه, وعلى الرغم من ذلك، كانت حكومة طهران محل احترام أولئك الأمراء، فكانوا يلقون خطبهم باسم الشاه، ولإعطاء الصفة الشرعية والقانونية لحكمهم، وإنهم يأتون الى طهران متقبلين الخلعة من الشاه (حقي، ٢٠٠٣، صفحة ٦٦).

بدأ عباس ميرزا في عام ١٨٣٢ حملته بدعوة كامران ميرزا للاستسلام إلى قواته وإلا فإنه سيضطر اللجوء إلى القوة في إرجاع سيطرة الدولة على هرات، ورد حاكم هرات على عباس ميرزا بأنه على استعداد لإرسال خمسة عشر ألف تومان إليه مقابل أن ينسحب عن هرات, إلا أن عرضه ذلك قوبل بالرفض من قبل ولي العهد (الخالدي، ٢٠١٤، صفحة ١٠٣), وأن عدم الاستجابة لنداء عباس ميرزا دعته إلى تعيين ابنه محمد ميرزا على رأس الجيش وبعنوان حاكم خراسان, وأمره بقيادة الجيش من اذربيجان والتوجه صوب هرات، ودارت معركة شرسة بين الطرفين تكبد فيها كامران ميرزا خسائر كبيره مما دفعه لطلب العون من القادة الافغان في الاقاليم الافغانية الاخرى, فبعثوا اليه بثلاثمئة مقاتل، شنوا على أثرها هجوما مباغتا على أبراج قلعة دروازة قلعة خوش التي كانت تعد إحدى بوابات مدينة هرات

الحصينة، فتصدى لهم محمد ميرزا، بمعاونة قوات إضافية جاءت لنجدته، وتمكن في نهاية المطاف من فك الحصار عن القلعة (حقي، ٢٠٠٣، صفحة ٦٧).

أظهرت مجريات القتال في هرات، أن محمد ميرزا لم يكن قادرا لوحده على حسم نتيجة الحرب ضد الأفغان, لذلك قرر عباس ميرزا الذهاب بنفسه إلى هناك لقيادة المعارك في جبهة القتال، واقتضت خطة الحرب الجديدة أن يقوم قائم مقام بقيادة ثمانية آلاف مقاتل وبصحبة ثمانية مدافع بالهجوم على جسر مالان، إذ كان يعسكر اردشير محمد خان أحد القادة الأفغان لقطع خطوط إمداداته من الخلف، في الوقت الذي يقوم فيه محمد ميرزا الذي كان يقود خمسة آلاف مقاتل ومعهما ست قاذفات قنابل بالهجوم على غوريان أحد المداخل المهمة إلى هرات، والتي حصنها الأفغان جيداً، بعد أن رأى أبو القاسم أن حصار هرات أمر صعب، ووجّه الأمراء كافة بالاستيلاء على القلاع الواقعة على الطريق إلى هرات، وبذلك وقعت المدينة تحت الحصار من أطرافها (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٧٩٣).

أن الجيش الافغاني عاود هجومه وبقوة محدثاً خسائر جسيمة بالقوات الإيرانية, وقد منيت الحملة على هرات بالفشل الذريع, عاد بعدها عباس ميرزا إلى العاصمة طهران بعد أن استدعاه الشاه للتباحث في تطورات الجهة الشرقية وإعداد خطة جديدة حول احتلال هرات, وبالرغم من اشتداد مرض العظام والكبد عليه فقد طلب الإذن من والده بالعودة لإتمام أمر تلك الحرب, وأخذ معه قوات إضافية من أراك واستراباد ومازندران والبالغ عددهم عشرة ألاف مقاتل (خيالة ومشاة) متجهاً بهم إلى خراسان (حقي، ٢٠٠٣، الصفحات ٦٨-٧٠).

لم يكترث عباس ميرزا بتحذير الأطباء بشأن تردي صحته، التي قد تزداد سوءً نظراً لظروف الحملة الصعبة، ولاسيما أثناء تقدمه في أوائل فصل الخريف عبر الصحراء في شهر تشرين الأول ١٨٣٣، إذ نُقل إلى الفراش بعد أن تفاقمت صحته ولم يعد قادراً على القيام بمهامه العسكري, أدرك عباس ميرزا أن أيامه في الحياة معدودة باشتداد المرض عليه, إذ أرسل في طلب طبيبه الخاص الإنكليزي جون ماك كورميك (John ,M ,Cormick), الذي كان يعالجه لمدة طويلة من مرض الكبد المزمن الذي كان يعاني منه, إلا أن الأخبار جاءت بخبر مفجع، وهو وفاة الطبيب الإنكليزي في طريقه إلى خراسان (الخالدي، ٢٠١٤، صفحة ١٠٥).

بعد وفاة الطبيب الإنكليزي كورميك أرسل الشاه ميرزا حكيما آخر يدعى حكيم باشي الذي درس الطب في أوربا لعلاجه إلا أن حكيم باشي قد توفى هو الآخر, مما جعل عباس ميرزا على يقين أن الموت قد أدركه فكان أغلب الليالي يذهب الى ضريح الامام الرضا (ع) ويقف ساعات يناجي ربه في تلك البقعة المباركة' وسعى في آخر أيامه إلى الاطمئنان على أن تكون ولاية العهد من بعده إلى ولده محمد ميرزا وبمساعده وزيره أبي القاسم فراهاني، فقد عمل عباس ميرزا على إجراء عهد بين ابنه ووزيره,

لأنه وجد أن الاثنين مختلفان في الرأي ووجد إن العلاقة بينهما على غير مايرام (العمرجهاد, ١٩٨٥, ص٢١).

كان عباس ميرزا يدرك أهمية وجود قائمقام الى جانب ابنه, وسعى بكل الطرق إلى تخفيف التوتر في علاقة الطرفين سيما وأن قائمقام كان صريحاً في موقفه ضد محمد ميرزا، لذلك عمد عباس ميرزا إلى الطلب من ولده عدم خيانة قائمقام أو قتله وأن يقسم الاثنان على الوفاء لبعضهما وقد أبرم عهد الوفاء بين الاثنين في مقام الامام الرضا (ع), في تلك الأثناء توفي عباس ميرزا في يوم ٢١ تشرين الاول١٨٣٣، عن عمر ناهز ٤٧ عاماً، وترك وصية لأسرته طلب فيها أن يدفن في حرم الإمام الرضا (ع) (اشتياني، ١٩٨٩، صفحة ٧٩٣).

عندما وصل خبر وفاة عباس ميرزا الى محمد ميرزا وابو القاسم قائمقام اللذان كانا على وشك الاستيلاء على هرات، وجدوا ان الحل هو العمل على إبرام الصلح مع كامران ميرزا، ولاسيما أن محمد ميرزا اراد العودة سريعا لتثبيت ولاية العهد، فقد كان يخشى مع وجود أعمامه وإخوته الكثيرين أن يُحرم من ولاية العهد، فالتقيا مع كامران ميزا الذي تعهد بتقديم مبلغ سنوي مقداره ١٥ ألف تومان و٥٠ طاقية من الحرير الكشميري وإرسالها إلى طهران(اشتياني ،١٩٨٩، ص٧٩٤)، وأن يعمل على هدم التحصينات التي بناها في هرات وأن يضرب السكة النقدية باسم فتح علي شاه (بينا، ١٣٤٢، صفحة ٩١), بعد أن توصل الطرفان إلى الصلح وفك الحصار عن هرات توجهوا إلى مشهد ومنها الى طهران, أدت وفاة عباس ميرزا إلى توقف العمليات العسكرية قبل استكمال السيطرة على هرات، كذلك اصابت وفاته الحزن الشديد لفتح علي شاه، فلم يكن هناك من أولاده من كان بشجاعة عباس ميرزا وقدرته (المشايخي، د . ت، صفحة ٧٣).

المبحث الثاني

الصراع على السلطة في فترة ولي العهد عباس ميرزا وتداعياتها على الوضع الداخلي في إيران حتى عام ١٨٣٢

كان عباس ميرزا الابن الثالث للشاه فتح علي شاه ، كان أشجع ابنائه وأحبهم الى قلبه، ووريثا لعرشه وحاكماً على اذربيجان، اهم واغنى المقاطعات الايرانية على الاطلاق, وعينة قاد لجيشة في الحروب الروسية الايرانية (١٨١٣– ١٨٢٨) والحروب الداخلية التي تلتها (بينا، ١٣٤٢، صفحة ٩٢).

اولاً : الصراع مع العائلة القاجارية :

قاد عباس ميرزا حركة التحديث في ايران بعد أن رأى انهيار الجيش الايراني خلال فترة الحربين مع روسيا, الان تلك الامور اثار علية حفيظة اخوته والمتربصين بيه من جميع القوى في ايران, إن أعداء عباس ميرزا ومنافسيه من الأمراء القاجار وقفوا عقبة في طريق تقدم الاصلاحات، لأن ذلك من شأنه

تراجع مكانتهم في بلاط الشاه, لذلك كانوا يقللون من شان انتصاراته وإصلاحاته، ويقدمون على عمل المساوئ وإلصاقها بولي العهد عباس ميرزا بهدف اضعاف موقفه أمام الشاه, ووصل الأمر الى أن عدداً منهم طالبوا علناً بإقالته وتعيين أخيه حسن علي ميرزا شجاع السلطنة الأبن الثالث لفتح علي شاه بدلاً عنه، حتى أن وزيره قائمقام لم يسلم من هذه الدسائس، لأنه وقف الى جانب عباس ميرزا في حركة الإصلاحات، الأمر الذي جعله يواجه العديد من الأعداء (العبيدي، ٢٠١١، صفحة ١٨١).

يعد محمد علي ميرزا الأخ الأكبر لعباس ميرزا من أشد المنافسين له، فكان لا يدخر جهداً لإفشال إصلاحات أخيه، وكان يصورها مخالفة للشريعة الإسلامية، مع إيمانه المطلق بالطرق الموروثة القديمة وإن كانت بالية، وأن الآداب والثقافة الغربية كانت لا تعني له شيئاً, والأكثر من ذلك كان ينافس اخاه اعتقاداً منه بأنه الأجدر، ولتحقيق طموحاته شكل جيشاً مدرباً على وفق الطرق التقليدية, وتمكن من جذب معارضي عباس ميرزا سواء في البلاط الملكي أو في الجيش، فضلاً عن استقطاب عددٍ من الأعيان وأكابر الدولة لذلك، وكان لا يتردد في استخدام شتى الوسائل الممكنة لتحقيق غاياته, لذا اعتقد معارضو عباس ميرزا أن العمل بإصلاحاته وتقليد الأجانب هو من باب الكفر والألحاد، ومن ذلك المنطلق حاولوا جعل عباس ميرزا غير لائقٍ لولاية العهد، و" أنه أصبح فرنكياً (أجنبياً) فلا يجوز أن يجلس على أريكة السلطنة "، بحسب رأيهم (العبيدي، ٢٠١١، صفحة ١٨٢).

إن إتهام عباس ميرزا بالميل الى الأوربيين ومحاولة تقليدهم ، ارتبط بالعقلية الإيرانية التي توارثت العادات القديمة التي تبتعد عن أي محاولة للتشبه أو تقليد الأجانب, فضلاً عن أن المحافظين الإيرانيين لم تكن لديهم الرغبة في إحداث تغيير في إدارة مؤسسات الدولة, وذلك لخوفهم من كل ما هو جديد، ولاسيما إن العديد منهم ربط بين التجديد والكفر والكفار, والى جانب ذلك كان عامل الحسد والبغضاء دافعاً آخر الى التقليل من شأن إنجازات عباس ميرزا, فكان كل ذلك من العوامل المهمة التي أدت الى تراجع الإصلاحات, فقد كان اخوه الأكبر محمد علي ميرزا مستعداً للتحالف مع الأعداء لأفشال عمل أخيه، وذاك ما حصل عندما اتفق مع(أ. ب. يرمالوف A.P.Ywrmalov) السفير وداعية الحرب الروسي، فقد بعث بمندوب خاص عنه الى بطرسبورغ بصورة سرية لذلك, ولم يكن يمتنع عن تحريك الرقباء والمنافسين، في أشد المواقع خطورة ولاسيما في أثناء الحرب ، أو اتهامه لأخيه بالسعي لتقليد الغرب ، وأن نظامه الجديد مخالف للإسلام والشريعة الإسلامية (العبيدي مسلم ،٢٠٠٧، ص١٨٢-١٨٣) (العبيدي م.، ٢٠٠٧، الصفحات ١٨٢-١٨٣).

ومن ذلك يتضح أن معارضي عباس ميرزا استخدموا سلاحين لأفشال إصلاحاته الأول: اتهامه بالإلحاد ومخالفة الدين ومحاولة تقليده للكفرة ، والثاني: التحالف ضد أعداء إيران غير آبهين بالنتائج من أجل إحباط إصلاحاته وعدم استمراره بالحكم.

من جانب آخر ادت سياسة عباس ميرزا الى تقليص مخصصات موظفي البلاط ، وتخفيض الرواتب التقاعدية، وتقليص مصروفات الدولة الكبيرة، التي كانت تنفق ببذخ وإسراف، فكانت عاملاً آخر لمعارضة سياسته الإصلاحية من لدن العناصر المتنفذة في بلاط الشاه (فوزية، ٢٠٠٠، صفحة ٨٢).

ثانياً : الصراع مع رؤساء القبائل وكبار رجال الدولة :

واجه عباس ميرزا معارضة قوية من قبل أخوته الذين شعروا بأنهم متساوون معه، فضلاً عن معارضة كبار رجال البلاط والمُلاّك ورؤساء القبائل، الذين اعتادوا على نمط الحكومة القديم من دون محاسبة، وتحت نظام عباس ميرزا، اصبحوا بالانضباط الجديد مُلزمين ومصالحهم مهددة، لذا فأنهم لم يطيقوا ذلك النظام, ولم تستطع اصلاحاته أن تغير من نمط النظام القبلي ولاسيما وأن رؤساء القبائل كانوا هم نواة القوات الإيرانية, إن الانضباط الذي أراد عباس ميرزا تطبيقه في الجيش قد حدّ من نفوذ رؤساء القبائل وألغى نفوذ الطائفة والقبيلة، وأن على الجندي تلقي أوامره من القائد العام للقوات العسكرية أو من ينوبه, في حين كان رؤساء القبائل وبحسب تصورهم قد رأوا أن ذلك الإجراء من شأنه التقليل من مقامهم ومكانتهم، مما أدى الى انضمامهم الى جبهة معارضي الإصلاحات, وكان لكبار رجال الدولة وحكام المناطق الموقف المعارِض نفسه الذي كان لرؤساء القبائل، وقد عمدوا الى الأسلوب نفسه، ويتضح ذلك جلياً عندما أمتعض حاكم أصفهان من إقامة معملٍ لصناعة المدافع في مدينته من قبل فابويه الفرنسي، بسبب ان تكاليف انشاء ذلك المعمل ستقع على عاتقه، مما أدى به الى خلق المشاكل لعرقلة إنجازه (العبيدي م.، ٢٠٠٧، صفحة ١٨٤).

ثالثاً : الصراع مع رجال الدين

عُدّ رجال الدين العقبة الكبرى في طريق الإصلاحات، ولاسيما في خضم الحرب وبداية الإصلاحات، الذين كانوا أكثر من يتظاهر بالحفاظ على ديار الإسلام وعلى الدولة القاجارية، والتي يعدونها الحكومة الشرعية للبلاد، وقد أظهروا اعترافاً بها عن طريق الفتاوى المكتوبة والشفهية, ولكن بعد سير الإصلاحات وتراجعها رويداً رويداً ضعف دعمهم إياها, وقد أدعى رجال الدين أن لهم القيادة المعنوية للحرب الإيرانية- الروسية الأولى ١٨٠٤- ١٨١٣، واعتقدوا أن لهم الحق، قبل العسكريين، في اتخاذ القرارات العسكرية, ومع خسارة عباس ميرزا في الحرب، وبداية أفول نجم العسكريين في الحرب الإيرانية- الروسية الثانية ١٨٢٦- ١٨٢٨، علل رجال الدين الخسارة بفشل الطرق الحديثة والأساليب الجديدة والقرارات التي اتخذها عباس ميرزا, وقد تدهورت العلاقة ما بين الطرفين بعد أن سلم أحد رجال الدين المدعو مير فتاح مدينة تبريز الى الروس (اتحاديه، ١٣٨٣، صفحة ١٨٠).

برزت الى الوجود تدريجياً المظاهر الثقافية للإصلاحات، وأخذ الطابع الأوربي يظهر جلياً, الأمر الذي أدى الى ظهور الانقسام بين رجال الدين، وبدأ التظاهر بحماية كيان الإسلام والدفاع عنه من تسلط

الكفار على المسلمين، كما رأى رجال الدين في المعلمين الغربيين، تجاوزاً غربياً على القيم السائدة في المجتمع الإيراني، وأن ذلك سيؤدي في النهاية الى غزوات أوربية أعظم لبلادهم, ومن ذلك ظهرت بوادر مخالفة رجال الدين للإصلاحات، فوقف عدد منهم الى جانب محمد علي ميرزا دولتشاه الأخ والمنافس الأكبر لعباس ميرزا في نقض الإصلاحات والذي كان يدعي : " أن روابط أخيه القوية مع الأوربيين ستؤدي بالتالي الى تغيير عقيدة الناس المذهبية ", وبذلك التصرف لم يكن بالإمكان التوافق مع تلك الإصلاحات والموافقة عليها وبالنتيجة أصبح الموضوع أحد العقبات الرئيسة في تقبل الإصلاحات (العبيدي م.، ٢٠٠٧، صفحة ١٨٨).

إن الخصومة والعداوة التي كان يكنها اليه أخوته، أدت بهم الى استخدام الدين وسيلةً لتحقيق غايتهم, فقد " نشأت في هذه الحقبة ظاهرة جديدة، ألا وهي محاولة التهديد بمخالفة رجال الدين، وما كان لتلك الظاهرة أن تستمد قوتها لولا توظيفها من لدن رجال البلاط، للرد على الإصلاحات كافة " بحسب تعبير أحد المؤرخين الإيرانيين (العبيدي م.، ٢٠٠٧، صفحة ١٨٩).

حظي عباس ميرزا بحماية أبيه فتح علي شاه الشخصية، ولولا هذه الحماية لتعرضت مكانته بوصفه نائباً للسلطنة الى خطر جسيم, فقد وصل الأمر في أثناء المحادثات لإجراء الصلح مع روسيا، أن يتم تغيير ولاية العهد بعد أن شاع الأمر وقتئذ ان يكون حسن علي ميرزا شجاع السلطنة ولياً للعهد بدلاً من عباس ميرزا , ولم يكن ذلك حديث العهد، فبينما كان عباس ميرزا يخوض غمار الحرب، كانت هناك مثل تلك الأفكار تدور في ذهن الكثيرين من رجال البلاط، وتلى ذلك مؤامرات لمنع وصول الأموال والمساعدات والتجهيزات العسكرية لكي يخسر الحرب وبالتالي يفقد سمعته وهيبته, وكانت الآمال المعقودة بمساعدة الدول الأجنبية مُخيبة، وليس بالمستوى المطلوب (العبيدي م.، ٢٠٠٧، صفحة ١٩٣).

الخاتمة :

وفي ختام هذه الدراسة نضع ملخصاً موجزاً لأهم النتائج وإعادة صياغة الهدف الرئيس للبحث, مع تقديم توصيات أو استنتاجات شاملة تترك أثراً وتبرز الجهود المبذولة في انجازه, ونأمل أن نكون قد وفقنا في تسليط الضوء على أبرز جوانب موضوع (أثر الحرب الروسية–الإيرانية ١٨٢٦ – ١٨٢٨ في الصراع على السلطة في أيران):

خلصت دراستنا إلى أن نضع هذه الاستنتاجات والتوصيات آملين إن تسهم في أثراء المجال وندعو الباحثين الآخرين لاستكمال البحث في الجوانب التي تتناولها الدراسة, وفي النهاية, نحمد الله على توفيقه, ونسأله أن يكون هذا العمل نافعاً ومفيداً لبقية الباحثين.

– اظهرت الحرب بين ايران وروسيا، منذ المراحل الاولى لنشوبها، ان ايران لم تكن في الحقيقة متهيئة لخوض غمار حرب مع دولة اوربية كبرى مثل روسيا, فقد عانت القوات الايرانية من ضعف

التجهيز والتدريب ،والافتقار الى وحدة التنظيم في ادارة عملياتها ،وتفكك قياداتها، على العكس من القوات الروسية التي كانت تفوقها في العدد والعدة والتدريب ،ووسائل التموين والاتصال.

– كما كشفت تلك الحرب عن ان مناورات الدول الاوربية ومصالحها ،اطالت من امد الحروب الايرانية – الروسية، عبر دسائسها الدبلوماسية والسياسية، مما دفع ايران في نهاية المطاف الى توقيع معاهدات غير متكافئة معها.

– تجلى ضعف سلطة القاجار وتزعزع نظام حكمهم، اثر تلك الحروب الطويلة والهزائم التي رافقتها، في سلسلة من الحركات والانتفاضات التي شهدتها أجزاء عديدة من ايران، وايضا في مذبحة السفارة الروسية في طهران، التي كانت انعكاسا لغضب الجماهير ضد حكامها.

المصادر والمراجع

الرسائل والأطاريح:

١- البديري غانم باصر حسين ،(٢٠٠٦), الدور السياسي للبازار في التطورات الداخلية في ايران ١٩٦٣-١٩٦٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة .

٢- البديري خضير, (٢٠١٩),تاريخ الوزارات الايرانية في العهد القاجاري ١٧٩٧-١٩٢٥, ج١ , شركة العارف للمطبوعات , بيروت .

٣- البهادلي أنوار صباح حميد ،(٢٠٠٦), الحروب الايرانية – الروسية ١٨٠٤-١٨٢٨، رساله ماجستير غير منشوره كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد.

٤- الخالدي فاطمة سمير شهاب أحمد,(٢٠١٤), أبو القاسم قائم مقام ودوره في الحياة السياسية الإيرانية (١٨٢١-١٨٣٥) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية للبنات , جامعة بغداد .

٥- خلف محمد حاتم ،(٢٠١٠) تطورات السياسة الداخلية في عهد فتح علي شاه ١٧٩٧- ١٨٣٤، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية الأساسية, الجامعة المستنصرية.

٦- العبيدي مسلم محمد حمزة ،(٢٠٠٧), أمير كبير أنموذجاً للتحديث في إيران أواسط القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة بغداد.

٧- العبيدي مسلم محمد حمزة ،(٢٠١١), عباس ميرزا ودوره في تحديث ايران ١٧٩٨-١٨٣٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب، جامعة بغداد.

٨- العوادي بركات الزهراء محمد جابر,(٢٠١٥), الصراع على السلطة في إيران (١٧٩٦ – ١٨٤٨) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة بابل .

٩- المشهداني خليل ابراهيم صالح، (١٩٩٧), العلاقات البريطانية- الإيرانية ١٨٥٧- ١٩٠٧، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب- جامعة بغداد .

المصادر باللغة العربية والمعربة:

١- اشتياني عباس اقبال ،(١٩٨٩), تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥ هـ/ ٨٢٠ م – ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥م ، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، القاهرة.

٢- التكريتي هاشم صالح، (١٩٩٠),المسألة الشرقية–المرحلة الأولى ١٧٧٤–١٨٥٦، بغداد.

٣- حقي احسان,(٢٠٠٣), افغانستان نشأتها وكفاحها، منشورات دار الفكر, دمشق,٢٠٠٣.

٤- علي حيدر سليمان، (١٩٩٠), تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة ، بغداد.

٥- الفاضلي حسين ، (د . ت),افغانستان تاريخها رجالاتها ،تقديم حسن الامين، دار الصفوة، بيروت .

٦- كمال مظهر احمد، (١٩٨٥), دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، الامانة العامة للثقافة والشباب لمنطقة الحكم الذاتي، بغداد .

٧- كارل بروكلمان ،(١٩٥٠), تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج٤, الاسلام في القرن التاسع عشر ، ترجمة : نبيه امين ومنير البعلبكي ، بيروت .

٨- المشايخي علي خضير عباس ، ايران في عهد ناصر الدين شاه

المصادر باللغة الفارسية:

١- اتحاديه منصورة ، (١٣٨٣), واگنش دربار، نظاميان وروحانيت به اصلاحات عباس ميرزا نايب السلطنة ، پايان نامه ، دانشگده ادبيات زبانهاى خارجي وتاريخ .

٢- بينا علي اكبر ، (١٣٤٢),تاريخ سياسي وديبلوماسي إيران، جلد أول ، بي جاب، تهران.

٣- دهخدا على اكبر ،(١٣٣٤), لغة نامه ، جلد اول، مراجعه: محمد معين ، تهران.

٤- شميم علي اصغر,(١٣٧٩), إيران در دورۀ سلطنت قاجار, ناشر چاپى بهزاد, مركز تحقيقات رايانه اى قائميه اصفهان, تهران.

٥- عاقلى باقر ،(١٣٨١), خاندان هاى حكومتكر ايران قاجاريه– بهلوى ، تهران .

٦- عشقي خانك، (١٣٥٣),سياسة نظامي روسيا در ايران، شركة افست، تهران .

٧- اوسطى علي رضا،(١٣٨٢), ايران درسه قرن كذشته ، جلد اول ، تهران ، ١٣٨٢

٨- علي رضا اميني، (١٣٨٢), تاريخ روابط خارجي ايران از قاجاريه تا سقوط رضا شاه، بي جاب، تهران .

٩- عيسوي جارلز,(١٣٦٩), تاريخ اقتصادي ايران, ترجمة يعقوب آزند , تهران: گستره.

١٠- قاضيها فاطمة ،(١٣٧٩), نكاهي بربيامد جنكهاي ايران وروس، كنجبنية اسناد، سال دهم، دفتر سوم وجهارم.
١١- هوشنك مهدوي عبد الرضا ،(١٣٦٤), تاريخ روابط خارجي ايران، امير كبير، تهران.
١٢- الموسوي محمد صادق،(١٣١٧), تاريخ كيني كشا ، به تصحيح سعيد نفيسي ،انتشارات اقبال، تهران .

المصادر باللغة الانكليزية:

1- Percy Sykes,(1930), A history of Persia, Vol.11, London, Third Edition .

المصادر باللغة الروسية:

1- С. В. Шостакович,(1960), Дипломатическая Деятельность А. С. Грибоедова , Москва .

الموسوعات:

١-الجاف حسن كريم ،(٢٠٠٥), الوجيز في تاريخ ايران منذ ظهور الدولة الصفوية إلى نهاية الدولة القاجارية، ج٣، بيت الحكمة، بغداد.

المجلات:

١- العمر جهاد صالح, مجلة دراسات الشرق الاوسط, سياسة بلاد فارس الخارجية للفترة ما بين ازمتي هيرات ١٨٣١-١٨٥٦، ترجمة: عبد الستار محمد احمد ، عن مجلة middle Eastenan studies Volnme 21-1985 .
٢- محمد فوزية صابر ، المثقفون الايرانيون ودورهم السياسي في القرن التاسع عشر ، مجلة كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، العدد ١ ، ٢٠٠٠ .

اثر اليهود العراقيين في الجمعيات والنوادي و الاحزاب السياسية حتى العام ١٩٥٢

The influence of Iraqi Jews on associations, clubs, and political parties up to 1952

أ.م.د منار عبد المجيد عبد الكريم مرزة

Asst. Prof . Dr. Manar Abdul Majeed Abdul Karim Mirza
Email : Manarmajeed@umoustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية/كلية الاداب/قسم التاريخ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يعد اليهود من المكونات الرئيسية للشعب العراقي ، فاغلبهم قد ولدوا في العراق،عاشوا فيه ،ودفنوا في ترابه،لذا كان امراً طبيعياً ان يندمجوا مع الحياة العراقية على الصعد كافةً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وحتى ثقافياً.

فعلى الصعيد السياسي ،كان لهم اثراً واضحاً في الجمعيات والنوادي والاحزاب السياسية، ولاسيما "الاحزاب اليسارية العابرة للقومية مثل الحزب الشيوعي العراقي السري، كونه كان يمتلك القوة والنفوذ في الشارع العراقي وهذا مما يمنح اليهود المزيد من الامان والاستقرار والحماية من الاعتداءات التي تحصل ضدهم بين مدة واخرى، ولاسيما بعد احداث مايس عام ١٩٤١.

على اية حال،اخذ اثر اليهود في الحياة السياسية يختفي رويداً رويداً بعد اسقاط الجنسية العراقية عنهم عام١٩٥٠ واجبارهم على الهجرة خارج العراق.

الكلمات المفتاحية (اليهود،الجمعيات،النوادي،الاحزاب،السياسية).

Summary:

Jews are a major component of the Iraqi people. Most were born, lived, and are buried in Iraq, so it was natural for them to integrate into Iraqi life on all levels—political, economic, social, and even cultural.

On the political level, they had a clear influence in associations, clubs, and political parties, especially transnational leftist parties like the clandestine Iraqi Communist Party. This party possessed considerable power and influence in Iraqi society, which afforded Jews greater security, stability, and protection from the attacks they faced periodically, particularly after the events of May 1941.

However, the influence of Jews in political life gradually disappeared after they were stripped of their Iraqi citizenship in 1950 and forced to emigrate from Iraq.

Keywords (Jews, associations, clubs, political, parties).

المقدمة:

على الرغم من وجود العديد من الدراسات والبحوث التاريخية الرصينة عن تاريخ اليهود في العراق الحديث والمعاصر، الا انه ما زالت هناك صفحات مطوية لم يسلط الضوء ساطعاً عليها ، ولا سيما فيما يتعلق باثر اليهود العراقيين في الجمعيات و النوادي والاحزاب السياسية ، وهذا مما دفعنا ان نتناول هذا الموضوع بشكل مفصل خصوصاً بعد ان عثرنا على وثائق رسمية خاصة بهذا الموضوع. وقد وجدنا من الضروري ان نتناولها خدمة للحقيقة التاريخية اولاً واخيراً.

تكوّن هذا البحث من مبحثين ، الاول تناول اثر اليهود في الجمعيات والنوادي الاجتماعية. في حين تتبع المبحث الثاني اثر اليهود العراقيين في الاحزاب السياسية، ولاسيما الحزب الشيوعي العراقي (السري)[١] ، والحزب الوطني الديمقراطي[٢] برئاسة كامل الجادرجي[٣] .

اعتمدنا في هذا البحث على وثائق صادرة من وزارة الداخلية في عشرينيات القرن العشرين ووثائق مديرية التحقيقات الجنائية المركزية الصادرة في اربعينيات القرن العشرين . فضلاً عن ذلك، فقد اعتمدنا على مذكرات اليهود العراقيين ، ودراسات خاصة بهم، وذلك من اجل سد الثغرات الواردة في البحث ، علماً اننا نؤكد على ان هذا البحث لم يكن مسك الختام عن تاريخ اليهود العراقيين، فلا زال الباب مفتوحاً امام الباحثين ليكشفوا الشيء الكثير عن تاريخ اليهود على جميع الصعد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، لان ميدان البحث التاريخي ميدان ليس مغلقاً على نفسه ، بل هو ميداناً رحباً وواسعاً لكل من يريد ان يدخله بشرط ان يكون حيادياً وموضوعياً ، وان يكتب الحقيقة من دون لف او دوران ، وان يقول الحق حتى لو كان على نفسه!.

تمهيد:

عندما تشكلت الدولة العراقية في ٢٣ آب ١٩٢١ صرح مؤسسها فيصل الاول[٤] وحليفتهُ بريطانيا، ان هذه الدولة ستبنى على قواعد واسس ديمقراطية، وبما ان تجارب التاريخ قد اكدت بالادلة والشواهد التاريخية، انه لا ديمقراطية حقيقية من دون وجود احزاب سياسية[٥] تمارس عملها السياسي وفق القانون، فقد بدأت الجماهير العراقية تطالب بضرورة اطلاق العمل الحزبي في العراق [٦]، الا ان الملك فيصل الاول كان متردداً من هذا الموضوع الى حد كبير، نتيجة ما عاناه من تجربته السياسية في سوريا[٧]. ننقل نصاً مما قاله الملك فيصل الاول بهذا الشأن :

"انه ليس من المصلحة ان يشتغل العراقيون في تأليف الاحزاب السياسية اليوم، وانه من اسطع البراهين على هذا الرأي تفرق السوريين كل السوريين من جراء تأليف الاحزاب ذات الخطط الاقتصادية، والمقاصد المختلفة"[٨] .

وفي الواقع، ان هذا الرأي، لم يقبله العديد من ساسة العراق لانه ما ينطبق على سوريا ، ليس بالضرورة ان ينطبق على العراق، فكلا البلدين له ظروفه الاجتماعية التي تختلف عن الاخرى. بتعبير اوضح، انالاحزاب هي نتاج مجتمع، وكل مجتمع ينتج احزاباً تتفق مع واقعه وظروفه الاجتماعية. من هذا المنطلق، اصر عدد من ساسة العراق، وفي مقدمتهم ساسون حسقيل[٩]، على ضرورة اطلاق الحياة الحزبية في العراق ، لان عدم اطلاقها سيدفع العراقيين الى العمل السري، الذي هو في الاحوال كافة، اخطر بكثير من العمل العلني . بتعبير اوضح، ان العمل الحزبي العلني يكون مكشوفاً امام العيان، وبامكان الطبقة الحاكمة[١٠] في العهد الملكي ان تضعه امام اعينها باستمرار، على عكس العمل الحزبي السري الذي يكون غير مكشوف للعيان ، ويثير القلاقل والاضطرابات مما يسبب قلقاً مستمراً للطبقة الحاكمة.

بحكم هذه الحقائق ، تراجع الملك فيصل الاول عن رأيه ، اذ رأى انه من الضروري "تشكيل احزاب تساند الحكومة" ، وذلك من اجل تأييد اعمال الحكومة داخل وخارج مجلس النواب، ومن الضروري تشكيل "احزاب معارضة"، وذلك من اجل "انتقاد الحكومة على اعمالها غير المشروعة"[١١].

وفي ضوء ذلك، اصدرت الحكومة العراقية قانون "الجمعيات " في ٢ تموز ١٩٢٢ الذي تكَّون من ٢٩ مادة موزعة على فصلين ، اذ حذر القانون من تشكيل احزاب او جمعيات او نوادي تعمل على "بث الشقاق بين العناصر العراقية المختلفة" ، وذلك بتشكيل جمعيات على اساس "القوميات والمذاهب العراقية" لان ذلك سيؤدي الى تأصيل "العنصرية"، و " الطائفية" بين اوساط المجتمع العراقي، مما يهدد الوحدة الوطنية للبلاد حتماً[١٢]، الامر الذي يؤكد على ان الطبقة الحاكمة ، كانت حريصة بان تكون الاحزاب وطنية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى ، وان الوطن يكون فوق كل اعتبار كان طائفياً ام عنصرياً.

من هذا المنطلق، استبشر العراقيون عموماً ، واليهود خصوصاً ، خيراً بصدور قانون " الجمعيات" ، وذلك من اجل التعبير عن طموحاتهم السياسية والاجتماعية.

أولاً: اثر اليهود في الجمعيات والنوادي الاجتماعية في العراق ١٩٢٢-١٩٥٢.

استغل اليهود صدور قانون "الجمعيات" عام ١٩٢٢، ليعبروا عن رغبتهم في تأسيس نوادي وجمعيات ذات طابع اجتماعي وانساني ، وذلك من اجل تحقيق غايات عدة، لعل ابرزها لَمْ شمل اليهود، وعدم تبعثر جهودهم هنا وهناك. فضلا عن، تعزيز روح التعاون الاجتماعي بينهم ، وجعلهم وحدة

اجتماعية متماسكة. مع العلم، ان عدد سكان العراق عام ١٩٢٠ ، كان ٢,٨٣٩,٢٨٢ نسمة من ضمنهم ٨٧,٤٨٧ يهودي موزعين على ثلاث الوية، وهي ٦٢,٥٦٥ الف يهودي في لواء بغداد ، و١٤,٨٣٥ الف يهودي في لواء الموصل، و ١٠,٠٨٨ الف في لواء البصرة[١٣]، وبهذه الاعداد ، فأن اليهود يمثلون ٢,٥ % من مجموع سكان العراق.

على اية حال ، شكل اليهود عدداً من الجمعيات والنوادي ذات الطابع الاجتماعي منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ وحتى مغادرتهم العراق عام ١٩٥٢ ، ومما يلفت النظر، هناك نساء يهوديات قد شكلن جمعيات مثل جمعية "خريجات مدارس الاليانس الاسرائيلية في العراق"التي أسست في ١٦ شباط ١٩٢٦ ، وكانت الغاية من تأسيسها " ترقية المدرسة الاليانس الاسرائيلية، وتعليم الفتيات الاسرائيليات، ومساعدة الفقراء"[١٤]، وقد ضمت الجمعية كل من الرئيسة المدام داود ساسون ، ونائبة الرئيسة المدام موزيل هلتين ابراهيم حييم ، والسكرتيرة هسون ، ونائبة السكرتيرة ريتا شاؤل الياس ، والخازنة رشيل باسون مراد ، وعضوية كل من فائدة الياهوير ونعيمة حييم توفيق (رليشتاني) وفرحة شولومو ونعيمة شاؤول شعشوع ونعيمة عزرة وفوجة نوري [١٥].

اما جمعية "لورة خضوري" التي أسست في اذار ١٩٢٦ ، فقد كانت الغاية من تأسيسها "ايجاد وسائل الالفة بين اعضائها بقصد القيام بأعمال خيرية"[١٦]، وقد كانت الجمعية برئاسة لولو ابراهيم ناحوم ، ونائبة الرئيس لولو صالح شولومو، وامينة الصندوق راشيل ابراهيم حيم، والسكرتيرة صبيحة نوري ، وعضوية كل من ر. ساسون وموزلي يامني شكر وكبشا روز نفيلد[١٧].

وعلى الغرار نفسه،اسست الجمعية "الخيرية النسائية الاسرائيلية" في ١٢ نيسان ١٩٢٧، اذ كانت غايتها "تعليم البنات" [١٨] وقد تكونت هيئتها الادارية من راحيل ابراهيم حيم وحجلة حسقيل نجم ولويز خضوري زلخة[١٩].

وفي الواقع، ان سعي النساء العراقيات بشكل عام الى تشكيل جمعيات ونوادي خاصة بهن، يعد انعطافة تاريخية في مسيرة الحركة النسوية العراقية ، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار طبيعة المجتمع العراقي في عشرينيات القرن العشرين، اذ كان المجتمع محكوماً بتقاليد اجتماعية صارمة لا تسمح للنساء التعلمفي المدارس. مع العلم، ان المرأة العراقية المسلمة هي التي فتحت الباب واسعاً امام النساء المسيحيات واليهوديات على حد سواء بتشكيل جمعيات ونوادي، فمثلاً قد اسس نادي "النهضة النسائية" في ٧ نيسان ١٩٢٤ ، اي قبل تشكيل الجمعيات النسائية اليهودية بسنتين تقريباً وقبل تأسيس "اتحاد الامهات الاثوريات" بخمس سنوات تقريباً[٢٠].

بالمقابل ، فقد سارع الرجال اليهود الى تأسيس عدد من الجمعيات والنوادي الخاصة بهم، وذلك من اجل "توثيق الروابط الاجتماعية" بين ابناء الطائفة اليهودية" و"اعداد الشباب على العمل الزراعي تمهيداً للهجرة الى فلسطين"[٢١]، و"تعليم الفقراء على تدريس الصناعة وبذل السعي للحاق ؟؟ بالامم المتحدة"،

و"نشر العلوم بين الملة الاسرائيلية"، و"ترقية العلوم والمعارف"، و " اتحاد التلاميذ والالفة بينهم"، و"جمع الاعانات .. لعرضها على المدارس الاسرائيلية"[٢٢]، و"بعث الروح العسكرية ، وتحويلهم الى غزاة مقاتلين"[٢٣] ، و"تدريس الفقراء" و "فتح محل لتعليم بنات الفقراء "، و" تعزيز فن الموسيقى بين طبقات الشعب" [٢٤].

مما سبق يبدو واضحاً ، ان اليهود كانوا يبتغون من تأسيس هذه الجمعيات تحقيق اهداف علمية وتربوية واجتماعية، وذلك من اجل ترسيخ وجودهم الاجتماعي بين ابناء المجتمع العراقي. بتعبير اوضح، ان اليهود ارادوا من وراء هذه الجمعيات ان يؤكدوا انهم ابناء اصلاء للوطن العراقي، وليس ابناء طارئين عليه، وهذا مما دفعهم للاشتراك مع عراقيين يمثلون مختلف الاديان والقوميات بتأسيس جمعيات ونوادي. فمثلاً، ان العراقي اليهودي نعيم خضوري كان ضمن الهيئة الادارية للفرقة التمثيلية الوطنية التي أسست في ٢٤ مايس ١٩٢٧ برئاسة الفنان العراقي المعروف حقي رشيد الشبلي ، حيث كان هدف الفرقة "بث الروح الوطنية في البلاد"[٢٥].

وعلى الغرار نفسه ، كان العراقي اليهودي حسقيل افندي سكرتيراً لنادي الموظفين الذي أسس في كركوك بتاريخ ٢ شباط ١٩٢٨، وذلك من اجل " توثيق الروابط بين الموظفين وغيرهم"[٢٦].

واشترك كلاً من عزرا روبين وشمعون حسقيل في تأسيس جمعية "الخياطين" التي أسست في بغداد بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٢٩ ،وذلك من اجل تحقيق "الالفة بين الخياطين"[٢٧].

اما العراقي اليهودي خضوري صبون ، فقد كان ضمن اعضاء الهيئة الادارية لجمعية "عمال المطابع" التي اسست في بغداد في ٤ كانون الثاني ١٩٣٠، وذلك من اجل "تأليف المحبة والالفة"[٢٨].

وفي السياق ذاته ،كان العراقي اليهودي ابراهيم افندي اسرائيل ضمن الهيئة الادارية للفرقة التمثيلية ما بين النهرين التي تأسست في ١٣ آذار ١٩٣٠ ،وذلك من اجل " تعزيز التآلف والوفاق"[٢٩].

واشترك العراقي اليهودي ناحوم حييم في تأسيس جمعية "الاطرقجية" التي أسست في الموصل بتاريخ ٢٥ آب ١٩٣٠ ،وذلك من اجل " تسهيل اعمال الاطرقجية ومساعدة الفقراء"[٣٠]

وأسست جمعية "الشبان الاسرائيليين " في ٢٠ ايلول ١٩٣١ ،وذلك من اجل "تنشيط النقاشات الادبية والثقافية" للشباب الاسرائيلي، وقد ضمت الجمعية كل من ابراهيم بنو وروبين يعقوب سوميخ وشكر روبين الوي ويعقوب دلح وصالح عزرا عبد النبي وساسون بيرحي رشتي[٣١].واسس عزرا مناحيم دانيال الذي اصبح فيما بعد عضو مجلس اعيان منذ العام ١٩٣٢ وحتى هجرة اليهود الجماعية عام ١٩٥١ جمعية "تعلم الصناعات الخيرية " وضمت كل من التاجر ابراهيم ناحوم والمحامي يوسف الكبير [٣٢].

وعندما اسس نادي "القلم" عام ١٩٣٤ الذي كان هدفه تعزيز "تعاون الادب العربي وتعضيد البحث، وايجاد الصلات بين حملة الاقلام العراقيين وبين امثالهم في البلدان الاخرى"[٣٣] ، وقد انضم الى هذا

النادي كل من الباحث اليهودي مير بصري المولود في بغداد عام ١٩١١ وله تراث فكري عريق[٣٤] والمحامي انور شاؤل المولود في الحلة عام ١٩٠٤، وبعد حصوله على شهادة الحقوق مارس المحاماة ، فضلاً عن ولعه في الشعر[٣٥]، والمحامي يوسف كبير الذي تبوأ مواقع كبيرة في وزارة المالية، وعندما احيل على التقاعد عام ١٩٤٨ لبلوغه سن التقاعد، اثيرت ضجة كبيرة، بحجة ان الحكومة العراقية تعمل على تطهير مؤسساتها من الموظفين اليهود[٣٦].

اما نادي "النهضة الاجتماعية" الذي أسس في البصرة بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٣٨ ، فقد انضم اليه كل من التجار اليهود صبيح نسيم ومير هارون يعقوب ومنشي حسقيل وهارون نسيم كوهين وصالح هوكي والياهو منشي وخضوري نسين ، وقد اكدت التقارير الرسمية بأن النادي كان واجهته العلنية "اجتماعية" ،ولكنه في الخفاء كن يمثل واجهة "صهيونية" [٣٧].

ومما يلفت النظر، انه بعد تأسيس [اسرائيل] في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، توقعت الحكومة العراقية ان العراقيين اليهود سيشدون رحالهم الى [اسرائيل] ، الا ان الذي حصل العكس تماماً ، حيث فضل عدد غير قليل من اليهود البقاء في العراق، وان ينظموا الى النوادي والجمعيات التي اسسها العراقيون بمختلف قومياتهم وطوائفهم، فمثلاً ان كلاً من عزرا مناحيم وساسون عابد قد كانا من ضمن الهيئة المؤسسة لجمعية "التعاون الثقافي" التي كان الهدف منها هو " ضم الجهود الثقافية الى الجهود الرسمية في سبيل تشجيع الحركة الثقافية ورفع مستوى التعليم "[٣٨].مع العلم ، ان الهيئة المؤسسة قد ضمت كل من الرئيس حكمت سليمان ونائب الرئيس تحسين علي، والسكرتير جعفر حمندي ، وامين الجمعية نوري فتاح ، وعضوية كل من عبد النبي الدهوي وحسين علي يوسف ومحمد كاظم مكية وعلي كمال وابراهيم الشابندر[٣٩].

مما سبق يبدو واضحاً، ان اليهود العراقيين قد ظلوا تواقين للعمل في النوادي والجمعيات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي، مع العلم، انه لم يسمحوا للطوائف الاخرى الانتماء الى نواديهم[٤٠]. ولكن بالمقابل كانوا يسمحون لانفسهم ان ينتموا الى نوادي اسست من قبل طوائف اسلامية، مثل جمعية "التعاون الثقافي "، التي ذكرناها مسبقاً، فضلاً عن ذلك، فقد اشترك اليهود العراقيين في دعم جمعيات مثل جمعية "الهلال الاحمر"، وجمعية "حماية الاطفال"، وجمعية " مكافحة السل"[٤١]، الامر الذي يؤكد عن العلاقات الودية بين المسلمين واليهود ، وان ما حصل من مناكفات ومهاترات بينهم، هنا وهناك، كان بفعل "سياسي"، وليس بفعل "اجتماعي".

ثمة حقيقة تاريخية، وهي، ان بعض اليهود قد رأوا ان هذه النوادي والجمعيات لم تشفِ غليلهم الوطني، فأرتؤا العمل في الاحزاب السياسية السرية والعلنية على حد سواء، لكون "الاحزاب" تمثل ميداناً رحباً اوسع من ميدان الجمعيات في الاحوال كافة، فالاحزاب تضم طبقات اجتماعية مختلفة تمثل طلبة

واساتذة وعمال وفلاحين .في حين، ان "الجمعيات" تضم في الغالب ، اصحاب المهن الواحدة او فئة اجتماعية محددة [٤٢].

ثانياً: اثر اليهود في الاحزاب السياسية العراقية.

شهدت البلاد في اربعينيات القرن العشرين مخاضاً سياسياً عسيراً على الصعيدين الداخلي والخارجي، بسبب تداعيات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، فقد انتفض العراقيون في مايس١٩٤١ضد السياسة االبريطانية، الا ان هذه الانتفاضة سرعان ما أخمدتها بريطانيا بقوة[٤٣]، وقد تمخض عن هذه الانتفاضة احداث اجتماعية ساخنة مثل حوادث الفرهود[٤٤] التي طالت حياة وممتلكات اغلب العراقيين بغض النظر عن ديانتهم وقومياتهم ، كان اليهود من ضمن العراقيين الذين بدأوا يشعرون بالخوف وعدم الامان على حياتهم وممتلكاتهم، الامر الذي دفع البعض منهم للانتماء الى الاحزاب اليسارية الثورية والمعتدلة عسى ان توفر هذه الاحزاب لهم مناخاً ملائماً للعيش بسلام. مع العلم ، ان سبب انتماء اليهود الى الاحزاب اليسارية، دون الاحزاب القومية ، لان الاخيرة كانت تعتبر الصهيوني واليهودي وجهان لعملة واحدة[٤٥]. فضلاً عن ذلك،ان الاحزاب القومية كانت تعد القومية العربية افضل القوميات ، وهذا مما اثار حفيضة معتنقي الديانة اليهودية كون اغلبهم ينتمون الى قوميات غير عربية ، مثل الكردية والتركمانية وغيرهما ، لذا اخذوا يفتشون عن احزاب عابرة للقومية مثل الحزب الشيوعي العراقي السري الذي اسس عام ١٩٣٤. فقد فضل اليهود الانتماء الى هذا الحزب ، او التعاطف معه على اقل تقدير، لانهم ارادوا "تكوين ثقافة سياسية خاصة بهم" [٤٦]، طبقاً لما قاله مؤرخ اكاديمي مهتم بتاريخ الاحزاب خصوصاً، والفكر السياسي العراقي عموماً، هو الدكتور فاضل حسين[٤٧].

فضلاً عن ذلك، فان اليهود قد رأوا في الحزب الشيوعي العراقي السري ملاذ آمن لحياتهم وممتلكاتهم، بتعبير ادق ، ان الحزب الشيوعي سيوفر لهم حاضنة كبيرة من الامن والاستقرار والاطمئنان، وعدم الخوف من الاخر، بفضل ما كان يمتلكه الحزب من نفوذ واسع بين اوساط المجتمع العراقي، وخاصة في بغداد والجنوب اللذان يعدان من المناطق المكتضة باليهود. فقد كشف لنا تقرير امني خاص سري للغاية عن سجل وقوائم باسماء المنتمين للحزب الشيوعي العراقي السري، اذ تضمن هذا السجل اسماء العديد من اليهود،وهم كل من ادور كوهين والياهو حبيب وفؤاد الياهو عبدة وموريسين اليشاع ويوسف خضوري مصري ويوسف موشي عبد الله واسحاق يعقوب وابراهيم مراد والياهو نعمو ستراك، وجميع هؤلاء كانوا يعملون (موظفين وعمالاً في مديرية السكك الحديدية)، واليهودي يعقوب مئير يعقوب (موظف في مديرية الحسابات العامة في وزارة المالية)، ويهودا يشوع يحيى (كاتب طابعة في مديرية الاشغال العامة)، وحسقيل شوع (موظف في وزارة التموين)، وحسقيل شاؤل (طالب في كلية التجارة)، ويعقوب قوشحان (طالب في كلية التجارة)، وموريس يعقوب (طالب في اعدادية الرصافة المركزية)،

واليشاع (طالب في مدرسة فرانك عيني) ،وابراهيم موشي عزرا (طالب في مدرسة فرانك عيني)، وحبو داود (طالب في الثانوية الاهلية) وهارون جميل يوسف معلم (طالب في الاعدادية الاهلية)، ويعقوب مناحيم (طالب في مدرسة الرجاء الاهلية)، وحياوي داود (طالب في الاعدادية الاسرائلية)، ويعقوب عزر (طالب في دار المعلمين العالية) وغيرهم كثير. مع العلم، ان هناك شخصيات شيوعية بارزة كانت ضمن الاسماء التي وردت في السجل امثال عزيز الحاج الذي اصبح ممثل العراق في اليونسكو في سبعينيات القرن العشرين، والشاعر العراقي المعروف بدر شاكر السياب وفرات الجواهري ابن الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري(٤٨).

وعلى الرغم من معاناة اليهود العراقيين جراء انتمائهم للحزب الشيوعي، اذ فصل البعض منهم من الخدمة الوظيفية، وسجن البعض الاخر، وفرضت الغرامة المالية على اخرين، الا ان ذلك، لم يمنعهم من مواصلة نضالهم في صفوف الحزب ، حيث اصبح يهودا ابراهيم صديق مرشحاً لعضوية اللجنة المركزية للحزب، وهذا مما اقلق الطبقة الحاكمة آنذاك، فأقدمت على اعدامه عام ١٩٤٩ مع رفاقه يوسف سلمان يوسف (فهد) وزكي محمد بسيم وحسين الشبيبي(٤٩). مع العلم، ان العوائل اليهودية بدأت تضغط على رئيس الطائفة ساسون خضوري من اجل اصدار بيان بأسم الطائفة اليهودية يطالب فيه الطبقة الحاكمة باطلاق سراح ابنائهم الذين سجنوا بتهمة اعتناقهم الشيوعية، الا ان ساسون خضوري على ما يبدو كان متردداً مما دفع عدد من العوائل اليهودية ، ان ينظموا مظاهرة انطلقت بالقرب من ميدان الشورجة،وقد تعالت اصوات المتظاهرين بهتافات " اشهد ان لا اله الا الله"، و"يسقط ساسون خضوري"، وقد القت قوات الشرطة القبض على ١٥ شاباً بتهمة التحريض على التظاهر، طبقاً للمعلومات التي اوردتها صحيفة عراقية(٥٠).

ينبغي ان نشير هنا الى، ان العوائل اليهودية لم تستطع ،على ما يبدو، ان تمنع ابنائها من الانتماء الى الحزب الشيوعي ، فمثلاً ان مسرور صالح قطان وهو احد ابناء الطائفة اليهودية قد سافرَ مع مجموعة من رفاقه الشيوعيين الى روسيا "لدراسة التعاليم الشيوعية المتطرفة"، و "تدريبهم على اعمال الدعاية ومن ثم اعادتهم الى بلادهم"(٥١).

على اية حال، ظلت العوائل اليهودية متعاطفة مع الحزب الشيوعي، وقد ترجم هذا التعاطف الى مصاهرات عدة بين نساء يهوديات وقادة شيوعيين امثال سعاد خيري زوجة القيادي الشيوعي زكي خيري، والذي كان اسمها سعيدة ساسون موشيه، ومادلين منير عزرا قد اسلمت وتزوجت من بهاء الدين نوري الذي اصبح رئيس الحزب الشيوعي بعد اعدام فهد عام ١٩٤٩، وسمحة حوا زوجة سامي نادر طبقاً للمعلومات التي اوردها يهودي عراقي(٥٢).

ومن اجل ابعاد اليهود عن تهمة "الصهيونية" التي لصقت بالبعض منهم زوراً وبهتاناً، فقد قدم عدد من العراقيين اليهود طلباً الى وزارة الداخلية في ١٢ أيلول ١٩٤٥ للسماح بتأسيس جمعية بأسم " عصبة

مكافحة الصهيونية" ، وكان الهدف من تأسيس هذه الجمعية، لان المؤسسين قد رأوا في الصهيونية "خطراً على اليهود مثلما هي على العرب وعلى وحدتهم القومية". فضلا عن ، ان الصهيونية ما هي الا " حركة استعمارية استغلالية ترمي الى جر المغانم والارباح لنفسها وان كان في ذلك تضحية بجماهير اليهود"(٥٣).

مع العلم، ان الذين وقعوا على طلب التأسيس هم كل من سليم منشي ، ونسيم حسقيل يهودا، ومسرور صالح قطان ، وابراهيم ناجي ، ويعقوب مصري ، وميـر يعقوب كوهين، ويعقوب اسحاق ، وموشي يعقوب ، طبقاً لما ذكره مؤرخ اكاديمي رصين في كتابه "النشاط الصهيوني العراقي"، الجدير بالدراسة والاهتمام(٥٤).

وبعد مرور ستة اشهر تقريباً على طلب التأسيس، وافقت وزارة الداخلية على اجازة العصبة في ١٦ آذار ١٩٤٦، ولكن بعد ثلاثة اشهر ونصف تقريباً على عمل العصبة، سحبت الوزارة اجازة العصبة بحجة وجود عناصر قد اندست الى الجمعية "خدمة لمبادئ الصهيونية" ، وقد عملت هذه العناصر المندسة "بأحداث الشغب والاضطراب"(٥٥).

من جهة اخرى،عندما أسس الحزب الوطني الديمقراطي في نيسان ١٩٤٦ بزعامة كامل الجادرجي، وهو حزب يدعو الى اتباع الوسائل الديمقراطية في اصلاح البلاد على جميع الصعد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، من دون اللجوء الى العنف والاسلوب الثوري، الا اذا تعذر الاصلاح بالوسائل الديمقراطية، فيصبح اللجوء الى الثورة امراً ضرورياً، اذ استغل اليهود تأسيس هذا الحزب ، فأنتمى عدد غير قليل منهم اليه ، ويبدو ان قيادة الحزب قد رحبت بانتماء اليهود الى صفوف الحزب بدليل ان بعد مرور اكثر من شهر تقريباً سمحت قيادة الحزب لـ "يوسف حسقيل" ان يلقي خطاباً في الاجتماع العام الذي نظمه الحزب بخصوص قضية فلسطين على قاعة الملك فيصل الثاني(٥٦).

من جهة اخرى قام عدد من اليهود بدعم الحزب مادياً ومعنوياً. فمثلاً، ان هارون طويق تبرع بخمسة دنانير (٥٧)، واخذ نعيم طويق المهمة على عاتقه بمتابعة مقالات كامل الجادرجي الافتتاحية، وترجمة عدد من المقالات الانكليزية الى العربية ونشرها في جريدة " الاهالي" لسان حال الحزب (٥٨). وقد ظل نعيم طويق عنصراً فعالاً في جريدة "الاهالي" ومصدر ثقة لدى رئيس التحرير كامل الجادرجي. لنتابع معاً ماذا دون لنا تقرير امني خاص عن علاقة نعيم طويق بـ "كامل الجادرجي":

"ان السيد كامل الجادرجي قد خول هذا اليهودي كتابة ما يراه موافقاً لخطة الجريدة وينشره بتوقيعه دون استشارته، وهذا ما يثبت بأن السيد كامل الجادرجي راضٍ عما يكتبه الموما اليه نعيم بأسمه هو بالنيابة عنه.والواقع ان اليهودي المذكور قد استغل هذا التخويل، وراح يكتب ما يشاء بأسلوبه التهجمي،

وبما توحيه اليه اغراضه ونفسيته التي تنم عن حقد وكراهية لهذا البلد واهله"[٥٩].

ولم يكتفِ اليهود بذلك، فقد كان المحامي اليهودي المعروف انور شاؤل احد المحامين المدافعين عن كامل الجادرجي عند محاكمته عام ١٩٤٦[٦٠].

وتجدر الاشارة، ان كل من اليهود سليم بصون ويوسف مكل وهارون اسحاق طريق ويوسف جهيم سويمح ونعيم عزرا وعزرا منشي ويونه مير معلم وابراهيم صالح عابد ويوسف حسقيل ويعقوب كوهين ويعقوب عزرا المعلم وزكي اسحق المعلم وجميل صالح نسيم وداود حسقيل وسلمان عزرا وشالون درويش كانوا من العناصر النشطة في الحزب الوطني الديمقراطي . مع العلم، ان بعض فروع الحزب في الالوية العراقية قد شهدت انضمام اليهود اليها. فمثلاً ان عزيز الياهو الذي كان يعمل بزازاً، كان احد المنتمين الى فرع الحزب الوطني الديمقراطي في الديوانية[٦١]، علق تقرير أمني على انضمام اليهود الى الحزب الوطني الديمقراطي بهذا التعليق:

"**وقد انضم الى الحزب عدد كبير من الشيوعيين واليهود الصهاينة لغرض ترصين كيانه"**[٦٢].

بالمقابل، ان الحزب الوطني الديمقراطي اخذ يدافع عن اليهود " الذين لم يبخلوا؟؟ بالمال لتقوية مالية الحزب "حسب ما جاء في احدى التقارير الامنية[٦٣]، وهذا مما اقلق الطبقة الحاكمة انذاك،فقد ظلت التقارير الامنية تتابع علاقة اليهود باقطاب الحزب الوطني الديمقراطي، فقد اكد تقرير امني ان حسين جميل[٦٤]، قد اختار المنطقة الثالثة من بغداد للترشيح في انتخابات حزيران ١٩٥٤ لان هذه المنطقة كانت تمثل "موطن اليهود في بغداد" وقد كان لليهود" التاثير الكبير في حصوله على النيابة في تلك المنطقة"[٦٥]. ولم يكتفِ التقرير بذلك ، فقد اكد على ان حسين جميل قد "زار اسرائيل ، واحتفلت به المؤسسات اليهودية باعتباره الزعيم الاول للسياسة العراقية الصحيحة"[٦٦].

وتجدر الاشارة ، ان عبد الجبار فهمي[٦٧] مدير الشرطة العام ، قد ادعى ان حسين جميل كان يحظى بتقدير من الوكالات اليهودية العالمية، التي اطلقت عليه حسين"جامل" وليس" جميل"[٦٨].

وفي السياق ذاته، اتهم تقرير امني خاص آخر محمد حديد[٦٩] نائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي بهذه التهمة:

" انه ممن يعطفون على اليهود وقضيتهم المسماة اليهودية العالمية"[٧٠].

فضلاً عن ذلك ، فقد اتهمت التقارير الامنية الخاصة قاسم حسن القيادي البارز في الحزب الوطني الديمقراطي بأنه "يشتغل الى الصهاينة ويراسل صحفهم ويزودهم بالمعلومات عن العراق" ، وان الياس

ساسون وهو "صهيوني يعتز بالصهيونية" قد طلب من قاسم حسن " بث الدعاية الصهيونية في العراق"، الا ان الاخير قد "رده رداً شديداً"[٧١].

من جهة اخرى، كان القنصل البريطاني في البصرة يتابع علاقة اليهود بفرع الحزب الوطني الديمقراطي في البصرة ، حيث اكد في احدى تقاريره بان مسيرات الحزب كانت تتعالى فيها "صيحات عاش ستالين ... عاش اليهود العراقيين"[٧٢].

وفي الواقع ، ان التقارير الامنية التي استعرضناها في ثنايا هذا البحث، كانت تبالغ كثيراً في قلقها من وجود اليهود في الحزب الوطني الديمقراطي ، حيث كان وجودهم ذات تاثير محدود، بدليل انه لم يصل احد منهم الى اللجنة المركزية للحزب منذ تأسيسه عام ١٩٤٦ وحتى ايقاف نشاطه عام ١٩٦١[٧٣].

الخاتمة:

توصل هذا البحث ، ومن خلال المعلومات الواردة فيه، الى استنتاجات عدة ، لعل ابرزها ان العراقيين اليهود ، كانوا حريصين على التعبير عن طموحاتهم الاجتماعية والسياسية، وذلك من خلال انتمائهم الى النوادي والجمعيات والاحزاب المجازة رسمياً ، مما يؤكد التزامهم بالقانون، وعدم التجاوز عليه او خرقه باي حال من الاحوال، ولا سيما ان اغلب اليهود قد اكملوا دراسة القانون ، حتى يتمكنوا من حل مشاكلهم السياسية والاجتماعية بالطرق القانونية.

بالمقابل، هناك عدد غير قليل من اليهود ، قد تجاوزا "القانون" ، عندما انتموا الى الحزب الشيوعي العراقي السري، الذي لم تجزه الطبقة الحاكمة آنذاك، ومما يعلل ذلك ان اليهود كانوا يرون في هذا الحزب انه البلسم الشافي لمشاكلهم السياسية والاجتماعية، وهو افضل ميدان رحب للتعبير عن همومهم وامالهم وطموحاتهم .بتعبير آخر، ان اليهود بعد احداث الفرهود عام ١٩٤١ ، وقيام "اسرائيل" في ايار ١٩٤٨ ، بدأوا يشعرون بعدم الامان والاستقرار لذا انتموا الى الحزب الشيوعي العراقي السري، وذلك ليكون لهم ملاذ آمن لحياتهم اليومية، وينطبق الامر نفسه على انتماء اليهود للحزب الوطني الديمقراطي الذي يعد من الاحزاب المعتدلة في العراق.

ثمة حقيقة تاريخية ،ان انتماء اليهود سواء كان الى الحزب الشيوعي العراقي ام الحزب الوطني الديمقراطي ، قد اثار حفيظة الطبقة الحاكمة آنذاك ، مما دفعها ان تستغل هذا الموضوع لتشويه صورة هذين الحزبين وخلق فجوة بينهما وبين الجماهير العراقية وذلك من خلال تشويه قيادات الحزبين واتهامهم بالعطف على القضية اليهودية العالمية ، وتعزيز كيان (اسرائيل) بشتى الوسائل، وهي اتهامات باطلة ، ولم تمت الى الواقع بصلة ، بدليل هناك العديد من الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين ، قد ادانوا تاسيس (اسرائيل) واعتبروه كياناً مغتصباً للاراضي العربية في فلسطين.

الملحق رقم (١)

الحزب الوطني الديموقراطي

منهج الاجتماع العام لبحث قضية فلسطين

في ١١ مايس ١٩٤٦

بحديقة قاعة الملك فيصل الثاني

١ — خطاب السيد كامل الجادرجي رئيس الحزب
٢ — خطاب السيد عبداللطيف نوري
٣ — خطاب السيد محمد حديد
٤ — قصيدة السيد محمد حسين القرطومي
٥ — خطاب السيد ضياء عبدالوهاب
٦ — خطاب السيد عبدالجبار خلف العبيدي المحامي
٧ — خطاب العامل السيد ابراهيم محمد رئيس المراقبين لنقابة الغزل والنسيج
٨ — قصيدة السيد جواد أمين الورد
٩ — خطاب السيد صادق مهدي السعيد المحامي
١٠ — خطاب السيد يوسف حسقيل
١١ — خطاب السيد كامل قزانجي المحامي
١٢ — قصيدة الحاج عبدالحسين الأزري

الهوامش :-

(١)اسس هذا الحزب في ٣١ اذار ١٩٣٤ ، كان يدعو الى الغاء الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين طبقات الشعب العراقي. وتغيير الاوضاع السياسية بالاساليب الثورية مما حمله الكثير، حيث اعدم ابرز قادته ، ومن ضمنهم رئيسه بوسف سلمان يوسف (فهد) عام ١٩٤٩ للتفاصيل ينظر: مؤيد شاكر كاظم الطائي ، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩دراسة تاريخية ، دار تموز للطباعة ، دمشق ، ٢٠١٣.

(٢)اسس هذا الحزب عام ١٩٤٦ . كان الحزب يدعو الى اصلاح الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالوسائل الديمقراطية من دون اللجوء الى العنف الثوري ، الا اذا اضطر الى ذلك اضطراراً. للتفاصيلينظر : فاضل حسين ، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦-١٩٥٨، بغداد،١٩٦٣.

(٣)كامل الجادرجي: ولد في بغداد عام١٨٩٧. حاصل على شهادة الحقوق .اصبح نائباً ووزيراً في العهد الملكي. اعتقل اكثر من مرة في العهد الملكي لمعارضته السياسية للنظام الملكي . توفي عام ١٩٦٨. للتفصيل ينظر: محمد عويد محسن الدليمي ، كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٧ -١٩٦٨ ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٩٧.

(٤)ولد في الحجاز عام ١٨٨٣ . خريج الكلية الحربية في استانبول ، اصبح عضو مجلس المبعوثان العثماني . شارك في الثورة العربية في الحجاز عام ١٩١٦ بقيادة والده الشريف حسين . اصبح اميراً على سوريا عام ١٩١٨ لغاية ١٩٢٠ . اصبح ملكاً على العراق عام ١٩٢١ . توفي عام ١٩٣٣ . للتفاصيل ينظر: عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل الاول ودوره السياسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١.

(٥)تنظر مقدمة حسين جميل في : فاروق صالح العمر ، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٥-١٢.

(٦)المصدر نفسه ، ص ٥٩.

(٧)اصبح الملك فيصل الاول اميراً على سوريا ١٩١٨ لغاية ١٩٢٠ .

(٨)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج٣، ط٦، مطبعة دار الكتب ، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٤٢.

(٩)ولد عام ١٨٦٠ في بغداد . اصبح عضوا في مجلس المبعوثان العثماني. نال شهادة الحقوق ، يتقن اكثر من لغة اجنبية . اصبح وزيراً للمالية لسنوات طويلة في عهد الملك فيصل الاول . توفي عام ١٩٣٢ . للتفاصيل ينظر: نور محمود العبدلي، ساسون حسقيل ودوره السياسي والاقتصادي في العراق ١٨٦٠ -١٩٣٢ ، ط١، مكتبة النهضة العربية ، بغداد ، ٢٠١٧.

(١٠)ان افضل تعبير يطلق على النظام الملكي في العراق ، هو الطبقة الحاكمة ، لان اغلب اقطاب هذا النظام ، كانوا يملكون اقتصادياً، ويحكمون سياسياً . للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: عادل تقي عبد البلداوي، دراسات في الفكر السياسي لتاريخ العراق المعاصر ، مطبعة الكتاب ، ٢٠١٩، ص٣٠ .

(١١)عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(١٢)للتفاصيل عن قانون الجمعيات لعام ١٩٢٢ ينظر: سعدي يونس زاير السوداني ، الحزب الحر العراقي ١٩٢٢-١٩٢٣ دراسة تاريخية ، ط١، مؤسسة مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد، ٢٠٠٩، ص ص ١٧-٢٠.

(١٣)يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. مع ملحق تاريخ يهود العراق في القرن العشرين بقلم مير بصري، ط٢، الوراق للنشر، لندن ، ١٩٩٧، ص ٢١٠.

(١٤)صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي ، الجمعيات والاحزاب والنوادي العراقية ١٩٢٢-١٩٣٠ ، مؤسسة ثائر العصامي ، بغداد، ٢٠١٧، ص ٢٥.

(١٥)المصدر نفسه.

(١٦)صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي ،المصدر السابق،ص٢٤.

(١٧)المصدر نفسه .

(١٨)المصدر نفسه ٧٤.

(١٩)المصدر نفسه .

(٢٠)للتفاصيل عن نادي "النهضة النسائية" وجمعية "اتحاد الامهات الاثوريات" ينظر:المصدر نفسه، ص ٥٧ و ٦٩.

(٢١)زهراء ماجد حميد عبيد البدري ، النشاط الاجتماعي والثقافي ليهود العراق ١٩٢١ -١٩٥٢، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة واسط ، ٢٠١٨، ص ١٦٦.

(٢٢)صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ٣٦ و ٣٨و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١و ١١٥ و ١١٦.

(٢٣)زهراء ماجد حميد عبيد البدري ، المصدر السابق ، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢٤)صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ١٧٧.

(٢٥)المصدر نفسه.

(٢٦)المصدر نفسه ،ص ٢٠٥.

(٢٧)صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ٨٨.

(٢٨)المصدر نفسه ، ص ١٠٨.

(٢٩)المصدر نفسه ، ص ١٠٩.

(٣٠)المصدر نفسه ، ص ١٨٧.

(٣١)زهراء ماجد حميد البدري ، المصدر السابق ، ص ١٦٧.

(٣٢)المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٣٣)للمزيد من التفاصيل ينظر : منار عبد المجيد عبد الكريم، الجامعة الامريكية في بيروت واثر خريجيها العراقيين على الفكر السياسي في العراق الملكي، ط٢، مطبعة امل الجديدة ، دمشق ، ٢٠١٧ ، ص ٢٧٤.

(٣٤)للتفاصيل ينظر : فاتن محيي محسن، مير بصري ،سيرة وتراث،ط١،مطبعة الذاكرة،بغداد ٢٠١٠.

(٣٥)للتفاصيل ينظر: احمد عادل عبد الرضا العكيلي ، انور شاؤل حياته واثره الفكري في العراق حتى عام ١٩٧١ ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠١٧.

(٣٦)نقلاً عن : عادل تقي عبد البلداوي، يهود العراق واقعهم الاجتماعي والسياسي خلال القرن العشرين ١٩٠٠-٢٠٠٠ . قراءة تاريخية وثائقية جديدة ، مطبعة الكتاب ، بغداد، ٢٠٢٤، ص ١١٩.

(٣٧)زهراء ماجد حميد عبيد البدري ، المصدر السابق ، ص ١٦٨.

(٣٨)" الهاتف " (جريدة) ، بغداد ، العدد ٦٠٢ ، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٩.

(٣٩)المصدر نفسه.

(٤٠)غادة حمدي عبد السلام ، اليهود في العراق ١٨٥٦ –١٩٢٠، ط١، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص ١٣٢.

(٤١)المصدر نفسه ، ص ١٨٢.

(٤٢)للتفاصيل ينظر: عادل تقي عبد البلداوي ومنار عبد المجيد عبد الكريم، الجمعيات والنوادي الاجتماعية في العراق خلال القرن العشرين ١٩٠٠–٢٠٠٠ دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة الكتاب،بغداد،٢٠٢٦.

(٤٣)للتفاصيل ينظر: فاروق صالح العمر ،ثورة مايس ١٩٤١ ودول الجوار الوثائق البريطانية،بيت الحكمة،بغداد،٢٠٠٢.

(٤٤)كلمة فرهود تعني السلب والنهب التي شهدها العراق في حزيران ١٩٤١ . للتفاصيل عن ذلك ينظر : نوري عبد الحميد العاني ، قضايا اقتصادية في تاريخ العراق منذ نهاية الحكم العباسي الى نهاية الحكم الملكي ٦٥٦–١٣٧٨هـ/ ١٢٥٨–١٩٥٨م، بغداد ، ٢٠٢٢ ، ص ٢١٦–٢٣٤.

(٤٥)جعفر عباس حميدي ،التطرات السياسية في العراق ١٩٤١–١٩٥٣، مطبعة النعمان،النجف،ص٦٠٢.

(٤٦)فاضل حسين ، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤ –١٩٥٨ ، بغداد ، ١٩٨٤، ص ١١٣.

(٤٧)فاضل حسين : ولد في ديالى ١٩١٤ . خريج الجامعة الامريكية في بيروت وحاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث في احدى الجامعات الامريكية ، عمل استاذاً في جامعة بغداد له مؤلفات رصينة مثل "تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦–١٩٥٨" ، و" الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤–١٩٥٨ ، توفي عام ١٩٨٩ للتفاصيل ينظر: رجاء حسين حسني الخطاب ، فاضل حسين دراسة في سيرته العلمية ونشاطه السياسي ، بغداد،٢٠٠٠.

(٤٨)للتفاصيل عن السجل ينظر: وزارة الداخلية ، مديرية الشرطة العامة ، شعبة التحقيقات الجنائية / سري للغاية، العدد ٤٥٥ ، ١٦ شباط ١٩٤٧ ؛ وللتفاصيل عن هذه الاسماء ينظر : عادل تقي عبد البلداوي ، ملف وثائقي لعام ١٩٤٧ بقوائم الطلاب والموظفين والمستخدمين في سجلات الحزب الشيوعي العراقي السري .عرض تاريخي مركز ،مطبعة الكتاب ،بغداد،٢٠٢٥ .

(٤٩)للتفاصيل ينظر: جعفر عباس حميدي،المصدر السابق، ص ٣٨٠–٣٨١.

(٥٠)" الهاتف " ، العدد ٥٨١، ٢٣ تشرين الاول ١٩٤٩ .

(٥١)مديرية الشرطة العامة ، العدد ٥١٠٥ / سري ، ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٠ ، الموضوع : الشيوعيون.

(٥٢)نسيم قزاز، نهاية الجالوت. اليهود في العراق بعد الهجرة الجماعية ١٩٥١ –١٩٧٤ ، تقديم : سامي موريه ، بغداد ، ٢٠١٩ ، ص ٦٧–٦٩.

(٥٣)جعفر عباس حميدي ، المصدر السابق، ص ٤١٠.

(٥٤)صادق حسن السوداني ، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ –١٩٥٢ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ،ص ١٦٨. مع العلم ان الدكتور جعفر عباس حميدي قد ذكر ان يوسف هارون زلخة كان احد اعضاء العصبة . ينظر:جعفر عباس حميدي ، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(٥٥)جعفر عباس حميدي ، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(٥٦)ينظر : الملحق رقم (١).

(٥٧)وزارة الداخلية، مديرية التحقيقات الجنائية المركزية/ سري، العدد٣٠٠ ، ٥ نيسان ١٩٤٧.

(٥٨)وزارة الداخلية ، مديرية الشرطة العامة / سري ، العدد ٧٣٤٨. ٢ تشرين الاول ١٩٥٤، الموضوع : الحزب الوطني الديمقراطي.

(٥٩)مديرية التحقيقات الجنائية المركزية ، العدد ش.ح / ٧٤٦٠ / سري للغاية ، ١٩ كانون الاول ١٩٥٣.

(٦٠)انور شاؤل ، قصة حياتي في وادي الرافدين ، منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق ، د.م ، ١٩٨٠، ص ١٤٤.

(٦١)مديرية شرطة لواء الديوانية، العدد س/ ٤٦٠ ، ١٣ نيسان ١٩٤٦، الموضوع : الحزب الوطني الديمقراطي .

(٦٢)وزارة الداخلية / سري ، العدد ق.س /٣٤٥٩، ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٤ .

مديرية الشرطة العامة/ سري، العدد٧٣٤٨ ،٢ تشرين الاول ١٩٥٤،الموضوع: جمعية سياسية الحزب الوطني الديمقراطي.

(٦٤)ولد في كربلاء عام ١٩٠٨. حاصل على شهادة الحقوق من دمشق . له مؤلفات رصينة في القانون والسياسة . اصبح نائباً ووزيراً في العهد الملكي . اصبح سفيراً ووزيراً للارشاد في عهد عبد الكريم قاسم(١٤ تموز ١٩٥٨ –٨ شباط ١٩٦٣) . توفي عام ٢٠٠١ . للتفاصيل ينظر : بشرى سكر خيون الساعدي ، حسين جميل ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، ابن رشد ، ٢٠٠٤.

(٦٥)مديرية الشرطة العامة/ سري، العدد ٧٣٤٨ ، ٢ تشرين الاول ١٩٥٤ ، الموضوع : الحزب الوطني العراقي.

(٦٦)وزارة الداخلية / مديرية الامن العامة / سري ، العدد ٣٨٠٤ ، ١٤ مايس ١٩٥٨ ، الموضوع تصرفات عراقي.

(٦٧)عبد الجبار فهمي : يعد احد رجال الثالوث الامني في العراق بعد، بهجت العطية مدير التحقيقات الجنائية المركزية، وسعيد قزاز وزير الداخلية . تبوأ عبد الجبار فهمي مواقع عدة كان اخرها متصرف لواء بغداد، وقد اعدم مع بهجت العطية وسعيد قزاز عام ١٩٥٩.

(٦٨)عبد الجبار فهمي، سموم الافعى الصهيوني، مطبعة الجامعة ، بغداد، ١٩٥٣، ص

(٦٩)ولد في الموصل عام ١٩٠٦، خريج الجامعة الامريكية في بيروت ، واصل دراسته للاقتصاد في لندن .له مؤلفات في السياسة والاقتصاد .اصبح نائباً ووزيراً في العهد الملكي ، اصبح وزيراً للمالية في العهد الجمهوري الاول (١٤ تموز ١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣)، اعتقل بعد نجاح انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ . توفي عام ١٩٩٩. للتفاصيل ينظر : غصون مزهر حسين المحمداوي، محمد حديد ودوره السياسي والوطني للمدة ١٩٢٦ –١٩٥٨، رسالة ماجستير،غير منشورة ،كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١.

(٧٠)وزارة الداخلية ،مديرية التحقيقات الجنائية المركزية/سري،العدد ق.س/٣٤٥٩، ٢٣تشرين الاول ١٩٥٤.

(٧١)وزارة الداخلية / سري ، ملف الشخصيات العراقية المشبوهة، رقم الملف ١٢/٦٣، اضبارة قاسم حسين ، رقم الاضبارة ٣٠٣ ، مديرية الشرطة العامة ، شعبة ادارة التحقيقات الجنائية المركزية / سري ، العدد ٣٣٥٧ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٧ ، الموضوع : قاسم حسين.

(٧٢)نقلاً عن: أريك دافيس ، مذكرات دولة والسياسة والتاريخ . الهوية الجماعية في العراق الحديث، ترجمة : حاتم عبد الهادي ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ٢٠٠٨، ص ١٥٠.

(٧٣) للتفاصيل ينظر: فاضل حسين ،الحزب الوطني الديمقراطي؛ جيني سنغلتون ، الحزب الوطني الديمقراطي العراقي في العهد الملكي ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٩؛ عادل تقي عبد البلداوي ، الحزب الوطني الديمقراطي١٤تموز ١٩٥٨–٨شباط ١٩٦٣، مراجعة واشراف: كمال مظهر احمد ، مطبعة الميناء، بغداد ، ٢٠٠٠.

المصادر :

الوثائق غير المنشورة:

١- وزارة الداخلية ، مديرية الشرطة العامة ، شعبة التحقيقات الجنائية / سري للغاية، العدد ٤٥٥ ، ١٦ شباط ١٩٤٧ .

٢- وزارة الداخلية، مديرية التحقيقات الجنائية المركزية/ سري، العدد٣٠٠ ، ٥ نيسان ١٩٤٧.

٣- وزارة الداخلية ، مديرية الشرطة العامة / سري ، العدد ٧٣٤٨. ٢ تشرين الاول ١٩٥٤، الموضوع : الحزب الوطني الديمقراطي.

٤- وزارة الداخلية / مديرية الامن العامة / سري ، العدد ٣٨٠٤ ، ١٤ مايس ١٩٥٨ ، الموضوع تصرفات عراقي.

٥- مديرية التحقيقات الجنائية المركزية ، العدد ش.ح / ٧٤٦٠ / سري للغاية ، ١٩ كانون الاول ١٩٥٣.

٦- مديرية الشرطة العامة ، العدد ٥١٠٥ / سري ، ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٠ ، الموضوع : الشيوعيون.

٧- مديرية شرطة لواء الديوانية، العدد س/ ٤٦٠ ، ١٣ نيسان ١٩٤٦، الموضوع : الحزب الوطني الديمقراطي .

٨- وزارة الداخلية / سري ، العدد ق.س /٣٤٥٩، ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٤ .

٩- مديرية الشرطة العامة/ سري، العدد٧٣٤٨ ،٢ تشرين الاول ١٩٥٤،الموضوع: جمعية سياسية الحزب الوطني الديمقراطي.

١٠-مديرية الشرطة العامة/ سري، العدد ٧٣٤٨ ، ٢ تشرين الاول ١٩٥٤ ، الموضوع : الحزب الوطني العراقي.

١١-وزارة الداخلية ،مديرية التحقيقات الجنائية المركزية/سري،العدد ق.س/٣٤٥٩، ٢٣تشرين الاول ١٩٥٤.

١٢-[٧٣]وزارة الداخلية / سري ، ملف الشخصيات العراقية المشبوهة، رقم الملف ١٢/٦٣، اضبارة قاسم حسين ، رقم الاضبارة ٣٠٣

١٣- مديرية الشرطة العامة ، شعبة ادارة التحقيقات الجنائية المركزية / سري ، العدد ٣٣٥٧ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٧ ، الموضوع : قاسم حسين.

المصادر العربية والمعربة:

١- احمد عادل عبد الرضا العكيلي ، انور شاؤل حياته واثره الفكري في العراق حتى عام ١٩٧١ ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠١٧.

٢- أريك دافيس ، مذكرات دولة والسياسة والتاريخ . الهوية الجماعية في العراق الحديث، ترجمة : حاتم عبد الهادي ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ٢٠٠٨.

٣- انور شاؤل ، قصة حياتي في وادي الرافدين ، منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق ، د.م ، ١٩٨٠ .

٤- جعفر عباس حميدي ،التطرات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣، مطبعة النعمان،النجف.

٥- جيني سنغلتون ، الحزب الوطني الديمقراطي العراقي في العهد الملكي ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٩ .

٦- رجاء حسين حسني الخطاب ، فاضل حسين دراسة في سيرته العلمية ونشاطه السياسي ، بغداد،٢٠٠٠.

٧- سعدي يونس زاير السوداني ، الحزب الحر العراقي ١٩٢٢-١٩٢٣ دراسة تاريخية ، ط١، مؤسسة مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد، ٢٠٠٩.

٨- صادق حسن السوداني ، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ -١٩٥٢ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٩- صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي ، الجمعيات والاحزاب والنوادي العراقية ١٩٢٢-١٩٣٠ ، مؤسسة ثائر العصامي ، بغداد، ٢٠١٧.

١٠-عادل تقي عبد البلداوي ، الحزب الوطني الديمقراطي١٤تموز ١٩٥٨-٨شباط ١٩٦٣، مراجعة واشراف: كمال مظهر احمد ، مطبعة الميناء، بغداد ، ٢٠٠٠.

١١-عادل تقي عبد البلداوي، دراسات في الفكر السياسي لتاريخ العراق المعاصر ، مطبعة الكتاب ، ٢٠١٩.

١٢- عادل تقي عبد البلداوي، يهود العراق واقعهم الاجتماعي والسياسي خلال القرن العشرين ١٩٠٠-٢٠٠٠ . قراءة تاريخية وثائقية جديدة ، مطبعة الكتاب ، بغداد، ٢٠٢٤.

١٣- عادل تقي عبد البلداوي ، ملف وثائقي لعام ١٩٤٧ بقوائم الطلاب والموظفين والمستخدمين في سجلات الحزب الشيوعي العراقي السري .عرض تاريخي مركز ،مطبعة الكتاب ،بغداد،٢٠٢٥ .

١٤-عادل تقي عبد البلداوي ومنار عبد المجيد عبد الكريم، الجمعيات والنوادي الاجتماعية في العراق خلال القرن العشرين ١٩٠٠-٢٠٠٠ دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة الكتاب،بغداد،٢٠٢٦.

١٥-عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج٣، ط٦، مطبعة دار الكتب ، بيروت، ١٩٨٣.
١٦-عبد الجبار فهمي، سموم الافعى الصهيوني، مطبعة الجامعة ، بغداد، ١٩٥٣.
١٧-عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل الاول ودوره السياسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١.
١٨-غادة حمدي عبد السلام ، اليهود في العراق ١٨٥٦ -١٩٢٠، ط١، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٨.
١٩-فاتن محيي محسن، مير بصري ،سيرة وتراث،ط١،مطبعة الذاكرة،بغداد ٢٠١٠.
-٢٠
٢١-فاروق صالح العمر ، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٨ ،
٢٢-فاروق صالح العمر ،ثورة مايس ١٩٤١ ودول الجوار الوثائق البريطانية،بيت الحكمة،بغداد،٢٠٠٢.
٢٣-فاضل حسين ، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦-١٩٥٨، بغداد،١٩٦٣.
٢٤-فاضل حسين ، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤ -١٩٥٨ ، بغداد ، ١٩٨٤ .
٢٥-محمد عويد محسن الدليمي ، كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٧ -١٩٦٨ ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٩٧.
٢٦-منار عبد المجيد عبد الكريم، الجامعة الامريكية في بيروت واثر خريجيها العراقيين على الفكر السياسي في العراق الملكي، ط٢، مطبعة امل الجديدة ، دمشق ، ٢٠١٧.
٢٧-مؤيد شاكر كاظم الطائي ، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩دراسة تاريخية ، دار تموز للطباعة ، دمشق ، ٢٠١٣.
٢٨-نسيم قزاز، نهاية الجالوت. اليهود في العراق بعد الهجرة الجماعية ١٩٥١ -١٩٧٤ ، تقديم : سامي موريه ، بغداد ، ٢٠١٩ .
٢٩-نور محمود العبدلي، ساسون حسقيل ودوره السياسي والاقتصادي في العراق ١٨٦٠ -١٩٣٢ ، ط١، مكتبة النهضة العربية ، بغداد ، ٢٠١٧.
٣٠-نوري عبد الحميد العاني ، قضايا اقتصادية في تاريخ العراق منذ نهاية الحكم العباسي الى نهاية الحكم الملكي ٦٥٦-١٣٧٨هـ/ ١٢٥٨-١٩٥٨م، بغداد ، ٢٠٢٢ .
٣١-يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. مع ملحق تاريخ يهود العراق في القرن العشرين بقلم مير بصري، ط٢، الوراق للنشر، لندن ، ١٩٩٧.

الرسائل والاطاريح:

١- بشرى سكر خيون الساعدي ، حسين جميل ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، ابن رشد ، ٢٠٠٤.

٢- زهراء ماجد حميد عبيد البدري ، النشاط الاجتماعي والثقافي ليهود العراق ١٩٢١ -١٩٥٢، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة واسط ، ٢٠١٨ .

٣- غصون مزهر حسين المحمداوي، محمد حديد ودوره السياسي والوطني للمدة ١٩٢٦ -١٩٥٨، رسالة ماجستير،غير منشورة ،كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١.

الصحف والمجلات:

١-" الهاتف " (جريدة) ، بغداد ، العدد ٦٠٢ ، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٩.

٢-" الهاتف " ، العدد ٥٨١، ٢٣ تشرين الاول ١٩٤٩ .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث

أحمد سمين احمد شريف
ahmed.c.ahmed@tu.edu.iq
جامعة تكريت، كلية التربية، طوز خورماتو

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

يتناول هذا البحث التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث بوصفه تقنية فنية تتجاوز التشبيه التقليدي القائم على المقارنة الجزئية. ينطلق البحث من فرضية أن التشبيه المركب يشتغل على تشبيه هيئة بهيئة أو مشهد بمشهد، فيحوّل القول من الإخبار إلى التصوير والإيحاء، ويغدو جزءًا عضويًا من بنية النص الجمالية والدلالية. يعرض البحث مفهوم التشبيه وأركانه وأغراضه، ثم يميّز بين أنماطه بحسب الحسي والعقلي، وبحسب الإفراد والتقييد والتركيب، مع إبراز خصوصية التشبيه المركب في كون وجه الشبه يُستنتج من مجموع العلاقات داخل الصورة لا من لفظٍ مباشر. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وطبّقت الإطار النظري على نماذج مختارة من شعر محمود درويش وبدر شاكر السياب. ويبيّن التحليل أن التشبيه المركب يسهم في بناء المشهد الشعري على نحو قريب من اللقطة السينمائية، ويكثّف الدلالة، ويولّد أثرًا نفسيًا وجماليًا يوسّع أفق التأويل، ويجعل الصورة أداة لتخليق المعنى وبناء الرؤية. كما تكشف النتائج عن انتقال التشبيه من وظيفة الزينة إلى وظيفة البناء، وعن قدرته على وصل التجربة الذاتية بالسياق الجمعي والوجودي. ويوصي البحث بتوسيع corpus الدواوين، وربط التحليل البلاغي بمناهج سيميائية وظاهراتية، وتضمين نماذج منه في التعليم الجامعي.

الكلمات المفتاحية: التشبيه المركب، الصورة الشعرية، الشعر العربي الحديث، الوظيفة التصويرية، محمود درويش والسياب

Abstract :

This study examines the compound simile and its imagistic function in modern Arabic poetry as an artistic technique that goes beyond the traditional, partial comparison typical of classical simile. It proceeds from the assumption that the compound simile operates by likening one whole configuration to another, or one scene to another, thereby shifting poetic discourse from plain statement to vivid visualization and suggestion, and becoming an organic component of the poem's aesthetic and semantic structure. The study outlines the concept of simile, its pillars and purposes, then distinguishes its major types

(sensory vs. intellectual; simple vs. compound), highlighting the specificity of the compound simile in that the point of resemblance is inferred from the network of relations within the image rather than stated explicitly. Methodologically, the research adopts a descriptive-analytical approach and applies the theoretical framework to selected examples from Mahmoud Darwish and Badr Shakir al-Sayyab. The analysis shows that compound simile contributes to scene-building in a manner akin to cinematic sequencing, intensifies meaning, and generates psychological and aesthetic effects that expand interpretive horizons, making imagery a mechanism for producing meaning and shaping poetic vision. Findings also indicate a shift from ornamentation to structural formation, linking personal experience with collective and existential contexts, and the study recommends broader corpora, semiotic and phenomenological integration, and pedagogical inclusion.
Keywords: compound simile; poetic image; modern Arabic poetry; imagistic function; Darwish and al-Sayyab

المقدمة

لم يعد التشبيه في الشعر العربي الحديث مجرد وسيلة بيانية تقليدية تُستخدم للتوضيح أو لإضفاء لمسة جمالية أسلوبية، بل تطور ليصبح تقنية فنية معقدة تساهم في تشكيل الرؤية الشعرية وبناء الصورة وتكثيف الدلالات. من أبرز الأشكال التي تألقت في التجربة الشعرية الحديثة ما يُعرف بالتشبيه المركب، الذي يهدف إلى مقارنة صورة كلية بأخرى أو مشهد بمشهد، بعيدًا عن الاقتصار على مقارنة جزئية بين مفردتين.

يتميّز هذا النوع من التشبيه بقدرته الفريدة على احتواء التجارب الشعورية المعقدة وترجمتها من مجرد الإخبار إلى التصوير الفني والإيحاء. ويعتمد هذا البحث على افتراض أن التشبيه المركب في الشعر العربي الحديث لم يعد مجرد عنصر تقليدي من البلاغة النصية، بل بات يشكل جزءًا لا يتجزأ من بنية النص الجمالية. كما أنه يعد وسيلة فعالة لتخليق المعنى، وبناء المشاهد الشعرية، وتوجيه القارئ نحو فهم أعمق للنص. يعالج البحث مفهوم التشبيه المركب وخصائصه الفنية، مسلطًا الضوء على دوره التصويري، وذلك من خلال تحليل أمثلة منتقاة بعناية من قصائد الشعر العربي الحديث.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على دور التشبيه المركب في إثراء الصورة الشعرية الحديثة، وقدرته الفريدة على استيعاب التجارب الشعورية المعقدة التي قد يعجز التشبيه المفرد عن نقلها كما تبرز الأهمية في كونه يربط بين القواعد البلاغية التراثية وبين الممارسات الإبداعية في الشعر الحديث، مما يساهم في فهم أعمق لآليات التشكيل الجمالي.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل حول كيفية مساهمة التشبيه المركب في تشكيل المشهد الشعري في القصيدة العربية الحديثة، وما هي الخصائص الجمالية والوظيفية التي تميزه عن غيره من أنواع التشبيه، وكيف استطاع الشعراء المحدثون توظيفه للتعبير عن رؤاهم الفنية والذاتية.

أهداف البحث

١. تحديد مفهوم التشبيه المركب وأسسه البلاغية في التراث والنقد الحديث.

٢. تحليل الوظيفة التصويرية للتشبيه المركب وقدرته على بناء المشاهد الشعرية.

٣. إبراز التحولات الجمالية والوظيفية التي طرأت على التشبيه المركب في الشعر الحديث.

أسئلة البحث

١. ما هو تعريف التشبيه المركب وما هي أركانه الأساسية؟

٢. كيف يختلف التشبيه المركب عن التشبيه المفرد من حيث البنية والوظيفة؟

٣. ما هي أبرز الوظائف التصويرية التي يؤديها التشبيه المركب في النص الشعري الحديث؟

الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الأدبيات المتعلقة بموضوع التشبيه، يمكن رصد مجموعة من الدراسات التي تناولت هذا الفن من زوايا مختلفة:

١. التشبيه المركب في القرآن الكريم (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر ١٩٨٢م) تناولت هذه الدراسة بلاغة التشبيه المركب في النص القرآني، وكيفية بناء الصور الكلية التي تجمع بين عناصر متعددة لتقريب المعاني الغيبية والتربوية.

٢. التشبيه التمثيلي ومظاهره في الحديث النبوي (دراسة تحليلية) ركزت هذه الدراسة على التشبيه التمثيلي (وهو نوع من التشبيه المركب) في السنة النبوية، مبرزةً دوره في التعليم والإقناع وتجسيد المعاني الأخلاقية.

٣. التشبيه في شعر لبيد (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر): استعرضت هذه الدراسة أنماط التشبيه في الشعر الجاهلي، مع التركيز على قدرة الشاعر على بناء صور مركبة مستمدة من البيئة الصحراوية.

٤. فن التشبيه في شعر أوس بن حجر (دراسة نقدية): تناولت هذه الدراسة التشكيل الجمالي للتشبيه عند أوس بن حجر، وكيفية توظيف الصور المركبة في وصف الطبيعة والحيوان.

٥. البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس: بحثت هذه الدراسة في الخصائص الفنية للصور التشبيهية في المعلقة، مبرزة كيف تحول التشبيه أداة من مجرد وصفية إلى عنصر بنيوي يساهم في وحدة القصيدة.

التمهيد: الصورة الشعرية وتحولاتها في الشعر العربي الحديث

طرأت تغييرات جذرية على الصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث، لم تقتصر على التطوير الشكلي، بل عكست تحولاً عميقًا في وعي الشاعر بذاته وبالعالم من حوله، وبوظيفة اللغة التي يصوغ بها تجربته. ففي الشعر القديم، اعتُبرت الصورة وسيلة إيضاح أو وسيلة لتزيين المعنى، وكانت ترتكز غالبًا على علاقات شبه مألوفة وثابتة متوافقة مع الذائقة الجماعية.

أما في الشعر الحديث، فقد تغيرت وجهة الصورة لتصبح العنصر المحوري للنص الشعري، وأداة أساسية لتوليد الدلالة وبناء رؤية جديدة تخلق عالمًا شعريًا قائمًا بذاته. الصورة الشعرية الحديثة لم تعد انعكاسًا مباشراً للمدركات الحسية أو المفاهيمية، بل أصبحت بناءً تخييليًا معقدًا يقوم على الإيحاء والرمزية، رافضة للدلالات المباشرة أو المتداولة.

ولم يعد الشاعر يكتفي بنقل الواقع كما هو، بل يعيد تشكيله باستخدام خياله، مما يحفز القارئ على تأويل النص ويفتح المجال أمام تفاعل غني ومفتوح بين القارئ والعمل الشعري. هذا التحول أدى بدوره إلى إعادة النظر في بعض الأساليب البلاغية التقليدية، مثل التشبيه، الذي تخلى عن دوره السابق كأداة لتوضيح الصور من خلال المشابهة الجزئية أو الإيضاح البسيط. في الإطار الحديث، تطور التشبيه ليأخذ شكلًا مركبًا يمزج بين عناصر متباعدة ظاهريًا، مما ينتج أثرًا نفسيًا ودلاليًا يتجاوز حدود التشابه الحسي. وهكذا، برز التشبيه المركب كواحدة من أبرز أدوات التصوير في الشعر العربي الحديث، حيث أتاح للشاعر إمكانية التعبير عن تعقيدات التجربة الشعورية وبناء مشاهد شعرية شاملة بعيدة عن الأنماط التقليدية.

المبحث الاول : مفهوم التشبيه المركب واسسه البلاغية

المطلب الاول : تعريف التشبيه واركانه واغراضه

تعريفه : يمكن تعريفه على أنه عملية مقارنة بين أمرين أو أكثر، يتشابهان في صفة أو عدة صفات مشتركة، ويتم تحقيق ذلك من خلال استخدام إحدى أدوات التشبيه التي تبرز هذا التشابه بوضوح وتُضفي على المعنى قوة ودقة في التعبير.[١]

اركانه :

١- المشبه

٢- المشبه به، وهما طرفا التشبيه

٣- وجه الشبه، وهو الصفة المشتركة بين الطرفين

٤- اداة التشبيه، ملفوظة او ملحوظة[٢]

والتشبيه يُعدّ أحد الأساليب البلاغية البارزة التي تُستخدم في تعزيز المعنى وجعله أكثر وضوحاً وتأثيراً في نفوس المتلقين. وهو يتألف عموماً من أركان أربعة أساسية: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. أما أداة التشبيه، فيمكن أن تكون متنوّعة الصيغ؛ فقد تأتي على هيئة حرف مثل "الكاف" و"كأن"، أو اسماً ككلمة "مثل"، "شبيه"، "نظير"، و"مماثل". وفي بعض الأحيان، قد تكون الأداة فعلاً يعبر بشكل مباشر عن التشابه مثل "يشبه"، "يماثل"، و"يضاهي"، ما يتيح تنويعاً في طرق التعبير لتحقيق المقصد البلاغي.

ومن الجدير بالذكر أن أركان التشبيه قد تجتمع بأكملها في بعض الجمل لتُبرز الصورة البلاغية بوضوح كامل، ولكن في أحيان أخرى قد يُحذف أحد هذه الأركان لإحداث صورة مختزلة تعتمد على السياق لفهم الفكرة. على سبيل المثال، إذا اجتمعت كل الأركان، يمكننا أن نذكر عبارة مثل: "العلم كالنور في الهداية". هنا نجد أن "العلم" هو المشبه الذي يتم وصفه أو مقارنته بشيء آخر، و"النور" هو المشبه به الذي يحمل الخصائص المرغوب نقلها إلى المشبه، و"في الهداية" يمثل وجه الشبه الذي يربط بينهما ويوضح جوانب الاشتراك، وأداة التشبيه "الكاف" تعزز عملية الربط وتيسر فهم العلاقة التشبيهية بين الطرفين.[٣]

اما أغراض التشبيه كثيرة منها ما يأتي :

١. بيان إمكان المشبه : وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلاّ بذكر شبيه له كقوله :

ويلاه إن نظرت و إن هي أعرضت وقع السهام و نزعهن أليم

شبه نظرها بوقع السهام، و إعراضها بنزعها : بيانا لإمكان إيلامها بهما جميعا.

٢. بيان حاله : وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف. كقوله الشاعر

إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين.

٣. بيان مقدار حاله : وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية و كان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة. كقوله :

فيها اثنتان و أربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

شبه النياق السود بخافية الغراب بيانا لمقدار سوادها.

٤. تقرير حاله : كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت و الإيضاح بالمثل. كقوله :

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

شبه تنافير القلوب بكسر الزجاجة تشبيتا لتعذره عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس و المودة.[٤]

هـ. تزيين المشبه أو تقبيحه. كقول الشاعر :

كأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

إذا أشار محدثا فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم[٥]

المطلب الثاني : اقسام التشبيه (الحسي_العقلي_المفرد_المركب)

نذكر بعد هذا التطواف حول أقسام التشبيه باعتبار الحسية والعقلية.

فهناك تشبيه مفرد بمفرد، هناك مقيد بمقيد، هناك مفرد بمقيد، هناك مقيد بمفرد، وهناك مركب بمركب، وهناك مفرد بمركب، ومركب بمفرد. معنى إفراد الطرف: أن يكون شيئًا واحدًا متميزًا بذاته، وليس مقيدًا بقيد يؤثر في صورة التشبيه، وليس على هيئة مركبة من عدة أمور مثل: أن نشبه بالقمر، أو نشبه بالبحر، أو نشبه بالنجوم، إلى غير ذلك.[٦]

معنى تقييد: أن يرتبط الطرف، ويقيد بوصف، أو بإضافة، أو بحال، أو بجار ومجرور؛ تقييدًا لا يبلغ حد التركيب، شريطة أن يكون لهذا القيد أثر في تحقيق وجه الشبه مثل قولنا مثلًا: الراقم على الماء، والمرآة في كف أشل، إلى غير ذلك.[٧]

معنى أن يكون الطرف مركبًا يعني: أن يكون هيئة مؤلفة من أمرين، أو من عدة أمور، قد امتزجت امتزاجًا يجعلها في حكم الشيء الواحد. كما سنذكر ذلك في هذه الأمثلة التالي ذكرها، فنتناول:

اولا : معنى أن يتشبه طرف مفرد بطرف مفرد آخر، نذكر مثلًا من الأمثلة ما جاء في قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا}[٨] ، فهنا يشبه الله –سبحانه وتعالى– الليل باللباس بجامع الستر في كل فكل من الليل، واللباس يستر الناس منه قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}[٩] ، شُبِّهت المرأة باللباس للرجل، وكذلك الرجل شُبِّه باللباس للمرأة، وهذا التشبيه يحمل في طياته دلالة عميقة على العلاقة الوثيقة بين الطرفين .فكلاهما في مقام المكمل للآخر، حيث يعكس اللباس الحماية والزينة والقرب الدائم الذي يحتاج إليه الإنسان.١

ومن خلال هذا التشبيه البليغ، يظهر مدى الترابط الإنساني بين الرجل والمرأة، إذ لا يمكن لأحدهما أن يكتمل دون وجود الآخر. فاللباس يُعبر عن السكن والاطمئنان والتكامل، وهذه القيم هي جوهر العلاقة التي تجمع بينهما في حياة مشتركة مبنية على المودة والرحمة.

إما أن يكون حسيًّا يدل على الإحاطة والاشتمال وإما أن يكون أمرًا عقليًّا مراد به أن يستر كل الآخر؛ بحيث يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة، مما جاء في تشبيه المفرد بالمفرد قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}[١٠] . فهو تشبيه قلوب أهل الكفر

وهم من اليهود بالحجارة بجامع القسوة والصلابة، وأنه لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق والعياذ بالله – . هذا أيضا تشبيه الوجه بالبدر، تشبيه الشعر بالليل، تشبيه الرجل بالأسد، وتشبيه الخد بالورد، إلى غير ذلك مما نلحظ فيه أن المشبه والمشبه به مفردان كل منهما غير مقيد.[١١]

الضرب الثاني من ضروب التشبيه يعتمد على التفرقة بين إفراد الطرفين وتقييدهما ضمن سياقٍ محدد يشترط التركيب المقيد للطرفين؛ أي أن كل طرف من أطراف التشبيه يحمل تقييدًا خاصًا يحدد إطار المعنى المقصود. على سبيل المثال، عندما نقول "التعليم في الصغر كالنقش في الحجر"، نجد أن هناك تقييدًا واضحًا للطرفين: فالتعليم، وهو المشبه، لا يُقصد به التعليم بشكل عام أو مطلق، بل هو مقيد بفترة الصغر، التي توحي بسهولة الاستيعاب وقوة تأثير المعرفة في المراحل الأولى من الحياة .وفي المقابل، النقش، الذي يمثل المشبه به، مقيد بكونه في الحجر، مما يعكس صفة الثبات والدوام والتأثير العميق الذي يصعب محوه بمرور الوقت .هذه التقييدات هي التي تُبقي وجه الشبه دقيقًا ومحددًا بين الطرفين، وهو هنا "الثبات واستمرار الأثر ."وبالطريقة ذاتها، يمكن النظر في التعبير الذي يشبه الشخص الذي يكدح بلا جدوى ومن دون أن يحصد نتيجة، بالقابض على الماء بين كفيه. هنا أيضًا نجد أن طرفي التشبيه يتقيدان بمعانٍ بعيدة عن العموم والشمولية؛ حيث يتم التركيز على فعل القبض بوصفه محاولة عقيمة لا تثمر شيئًا ذا قيمة .وجه الشبه هنا هو المساواة بين قيام الشخص بسعيٍ لا يؤدي إلى نتائج ملموسة وبين القبض على الماء الذي ينزلق سريعًا دون أن يُمسك. إذن، المعنى المرجو من التشبيه يتضح فقط عند فهم التقييد المشروط في كل طرف .هذه الصور البلاغية التي تمثل التشبيه المقيد نجد مثالاً آخر عليها في قول ابن الرومي، والذي يلخص روح هذا الأسلوب الفني القائم على موازنة دقيقة وتحديد مقصود للطرفين ضمن صورة أدبية ثرية وأبعاد فكرية دقيقة.[١٢]

المبحث الثاني : الوظيفة التصويرية للتشبيه المركب في الشعر الحديث

المطلب الاول : بناء المشهد الشعري

يسهم التشبيه المركب إسهاما فاعلا في بناء المشهد الشعري، إذ يتيح للشاعر أن . يرسم لوحة كلية تتداخل فيها العناصر الحسية والذهنية[١٣]. فالصورة لا تُقدّم بوصفها وصفا ثابتًا، بل مشهدًا متحركا، تتكشف ملامحه تدريجيًا، مما يمنح النص حيوية وديناميةً.[١٤]

ويُلاحظ أن هذا النوع من التشبيه يُقارب في بنيته تقنيات التصوير السينمائي، حيث تنتقل الصورة من لقطة إلى أخرى، وتتراكم التفاصيل لتشكيل المعنى النهائي.[١٥]

تكثيف الدلالة والإيحاء

يمتلك التشبيه المركب قدرة عالية على تكثيف الدلالة، إذ يسمح بتداخل المعاني وتراكبها داخل صورة واحدة[١٦]. فبدل أن يعبّر الشاعر عن فكرته بشكل مباشر يلجأ إلى بناء صورة مركبة تحمل في طياتها أكثر من مستوى دلالي، مما يفتح النص على تعدد التأويلات.[١٧]

وتكمن قوة هذا التشبيه في أنه لا يفرض معنى واحدًا، بل يتيح للمتلقي حرية التفاعل مع النص، واستنباط دلالاته وفق أفقه الثقافي والوجداني[١٨].

ثالثا: البعد النفسي والجمالي

لا تقتصر وظيفة التشبيه المركب على الجانب الدلالي، بل تمتد إلى البعد النفسي والجمالي، إذ يسهم في إثارة الانفعال، وتحريك الخيال وإحداث الأثر الجمالي المنشود[١٩]. فالصورة المركبة تُحدث صدمة فنية تخرج المتلقي من أفق التوقع، وتدفعه إلى إعادة النظر في العلاقات المألوفة بين الأشياء[٢٠]. وبهذا المعنى، يصبح التشبيه المركب أداة فنية فاعلة في التعبير عن القلق الوجودي، والاغتراب والتوترات النفسية التي تميز التجربة الشعرية الحديثة[٢١].

المطلب الثاني : التشبيه المركب في التجربة الشعرية الحديثة

اولا : التشبيه المركب في شعر محمود درويش

يعد التشبيه المركب عنصراً محورياً في التجربة الشعرية لدى محمود درويش، حيث لا يظهر كأداة بيانية منعزلة أو منفصلة عن سياقها، بل يتجلى كجزء غير قابل للتجزئة من البنية الكلية للصورة الشعرية، والتي بدورها تمثل تجسيداً للرؤية الفنية والشعرية بأسلوب يتسم بالعمق والثراء[٢٢]. إن درويش لا يعتمد فقط على مقارنة مفردة بأخرى محددة، وإنما يقوم بنسج علاقة تماثل بين مشهدين متكاملين، أحدهما طبيعي أو إنساني والآخر وجودي أو وطني، ليخلق بذلك إطاراً دلالياً معقداً، تتضافر فيه التفاصيل لبلورة صورة شعرية متكاملة تنبض بالمعاني المتعددة[٢٣].

يتضح هذا جلياً عند تأمل قوله:

ونحن نحبّ الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا ونرقص بين شهيدين... نرفع مئذنة للبنفسج.[٢٤]

هنا نجد أن التشبيه لا يقوم على أدوات بيانية مباشرة أو ملموسة، بل ينبثق من تشكيل صورة مركبة تستند إلى التوازي بين مشهدين متناقضين: مشهد الحياة اليومية ومشهد الموت[٢٥]. في هذه الصورة، تتداخل عناصر الفرح كحب الحياة والرقص مع عناصر الفقد كالشهيدين، لتنسج معاً لوحة متكاملة تعكس الوضع الفلسطيني كحالة مستمرة من التوتر الدائم بين الحياة والموت[٢٦]. ومن خلال هذا التوازي البنيوي، يتمكن درويش من خلق تشبيه مركب لا يكشف فقط عن وجه الشبه بشكل مباشر، بل يدعو القارئ لاكتشافه عبر تحليل التراكم المعنوي لعناصر الصورة[٢٧].

وفي موضع آخر، يقول درويش: هذه الأرض صغيرةٌ كفراشة لكنها تطير منا وإلينا[٢٨].

يتجاوز هذا المقطع الحدود التقليدية للتشبيه البسيط الذي يعتمد على مقارنة مباشرة بين الأرض والفراشة، ليخلق مشهداً ملؤه الرمزية والتعقيد[٢٩]. فالارتباط بين الأرض والفراشة لا يقتصر على ملامح الشكل أو الحجم، بل يتعمق في الإشارة إلى خصائص مثل الخفة، والهشاشة، والديمومة في الحركة[٣٠]. الأرض هنا ليست فراشة مجازة بمفهومها الحرفي، وإنما تحمل في وضعها الوجودي ما يشبه طبيعة الفراشة المتأرجحة بين القرب والبعد، والرغبة في الاستقرار والقدرة على الانفلات[٣١]. هذه الثنائية حوّلت الصورة إلى مجاز مركب يعكس بمهارة حالة الأرض الفلسطينية المتقلبة بين الانتماء والاغتراب، الحضور والغياب[٣٢].

يرتقي التشبيه المركب عند محمود درويش بوظيفته الفنية والتعبيرية ليصبح أداة بليغة لتحويل الخطاب إلى أفق أكثر عمقاً وتجريداً[٣٣]. فهو لا يكتفي بوصف مباشر أو صياغة تقليدية للحالة الشعورية أو الوجودية، بل يجمع بين العناصر المختلفة ليصوغ رؤى شعرية تحتاج مشاركة فعّالة من القارئ لفهم دلالاتها واستيعاب أبعادها[٣٤]. وهكذا، يتحول المتلقي من مجرد مشاهد سلبي إلى شريك أساسي في فك شيفرة الصور واستيعاب الدلالات الحضارية والإنسانية التي يرغب الشاعر في نقلها.[٣٥]

ثانيا : التشبيه المركب في شعر بدر شاكر السياب

يُعتبر بدر شاكر السياب أحد أعلام الشعر العربي الحديث وأحد أبرز رواد حركة الحداثة الشعرية، حيث ترك بصمة واضحة في تطوير البنية الشعرية والصورة الفنية المركبة[٣٦]. ويظهر إسهام السياب جليًّا في توظيفه للتشبيه المركب كوسيلة مبتكرة لتشكيل مشاهد غنية ومكثفة تجمع بين العمق الرمزي والطابع الوجداني والأسطوري[٣٧]. ففي عالمه الشعري، تمتزج الطبيعة بالمأساة البشرية في تآلف فريد، ويتحوّل المشهد الطبيعي إلى مرآة تعكس الحالات النفسية، مما يجعل من تجربته الشعرية تجربة متفردة وثرية[٣٨].

من أبرز الأمثلة التي تكشف عن مهارته في هذا الأسلوب قوله في قصيدة أنشودة المطر: "عيناك غابتا نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر"[٣٩]. هنا، لا يقوم التشبيه بمحاكاة بسيطة أو مقارنة جامدة بين مفردتين، بل يأخذ شكلاً مركبًا تتلاقى فيه عناصر الطبيعة مثل النخيل والسحر مع شرفات الليل والقمر، وتنصهر جميعها لتُشكّل لوحة بصرية حية ومشحونة بالعاطفة[٤٠]. فالعيون هنا ليست مجرد عيون تُشبَّه بشيء منفرد، بل تصبح نقطة انطلاق لسلسلة متشابكة من الصور التي تندمج لتصنع مشهدًا متكاملًا، يقدم فيه الشاعر الحالة النفسية بصورة غنية ومفتوحة على التأويل[٤١].

ويتجلّى براعته في التشبيه المركب أيضًا

في قوله: "يكاد يذوب في المآقي كما يذوب الغمام في المطر"[٤٢].

إن العلاقة القائمة بين هذين العدَدَي الذائبين لا تقتصر فقط على التشابه الخارجي، لكنها تحمل بُعدًا شعوريًا أعمق[٤٣]. إذ يرتبط الذوبان بحالة وجدانية داخلية تعبر عن الألم والإحساس الداخلي بالذوبان النفسي، متخذةً من ذوبان الغمام صورةٌ رمزية تُكرّس هذه المعاني[٤٤]. وبالتالي، لا يحمل التشبيه مضموناً سطحيًا تقليديًا؛ بل يُصاغ وفق رؤية تُعيد تشكيل الطبيعة لتعبّر عن إحساس الإنسان بصيغة متداخلة تعكس ثراء التجربة الوجدانية[٤٥].

وعلى ضوء هذه النماذج الشعرية، يتضح أن التشبيه المركب يلعب دورًا محوريًا وأساسيًا في بناء الصورة الشعرية عند السياب[٤٦]. فهو ليس مجرد أداة فنية أو تزيينية، وإنما وسيلة عميقة لنقل التجربة الحسية والربط بين الذاتي والكوني بغنى دلالي يستنهض خيال القارئ ويحمله إلى عوالم رمزية تحتمل أبعادًا وتأويلات متعددة[٤٧]. يوجِد السياب من خلال هذه التقنية حالة تناغمية بين الفرد والطبيعة بمختلف تجلياتها، متيحاً للمشاهد الطبيعية أن تصبح رمزًا لمشاعر الإنسان ومعاناته[٤٨].

علاوة على ذلك، يكشف شعر السياب عن رؤيته الفريدة تجاه مفاهيم مثل الألم والاغتراب، حيث لا يعبر عن هذه المشاعر بطرق مباشرة تقليدية، وإنما يصوغها عبر صور مركبة تتشابك فيها معاني المطر والظلمة والموت. وبهذا المنهج الإبداعي، ينتقل المتلقي من حدود الفهم السطحي إلى مستوى أعمق من التفاعل مع النص، فتغدو الصور أداة لاستثارة الإحساس بدلاً من الاقتصار على الإدراك العقلي. وفي نهاية المطاف، يمثّل شعر بدر شاكر السياب نموذجاً فريداً لقدرة القصيدة على تجاوز الواقع المحسوس إلى فضاء أكثر شاعرية وعمقاً، تجعل منها إحدى العلامات البارزة في مسيرة الحداثة الشعرية العربية[٤٩].

وتكمن القوة التصويرية للتشبيه المركب عند السياب في قدرته على خلق مشهد متحرك، تتراكم فيه التفاصيل وتتشابك الرموز بحيث تتحول القصيدة الي لوحة درامية يتفاعل فيها الذاتي بالجمعي، واللحظة الفردية بالسياق التاريخي[٥٠] .

تحليل قصيدة نموذجية في ضوء التشبيه المركب

يركز هذا المحور على تطبيق الإطار النظري الذي سبق تناوله على نص شعري كامل، بهدف استكشاف دور التشبيه المركب كآلية تصويرية وبنائية في الشعر العربي الحديث[٥١].

اولا: التحليل البنيوي للصورة الشعرية

في قصيدة (أنشودة المطر) للشاعر بدر شاكر السياب، تتجلى الصور المركبة باعتبارها أساسًا جوهريًا في بناء النص. حيث يُطرح المطر ليس كظاهرة طبيعية فقط، بل كعنصر دلالي يُرسم من خلاله مشهد كامل متشابك، يجمع بين رموز الخصوبة، الموت، والانتظار[٥٢]. يعتمد التشبيه المركب هنا على التوازي بين تكرار مشهد المطر وتجربة المعاناة الإنسانية، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة[٥٣].

التشبيه لا يظهر بشكل مباشر أو عبر أداة واضحة، بل ينبثق من نسج الصورة الكلية[٥٤].

إذ تتوالى التفاصيل المترابطة لتخلق مشهدًا رمزيًا متكاملًا[٥٥].

والعلاقة بين المطر والمعاناة ليست مجرد تطابق سطحي أو تشابه مباشر، بل هي حالة من التماثل الدلالي التي تُستخلص بشكل ضمني من السياق العام للصورة الشعرية[٥٦].

ثانيا: الوظيفة التصويرية والدلالية

تلعب الصور المركبة في القصيدة دورًا تصويريًا بالغ الأهمية، حيث تمكّن المتلقي من أن يغوص في أعماق التجربة الشعورية وكأنه يعيشها من الداخل بكل تفاصيلها وانفعالاتها[٥٧].

يُظهر التشبيه المركب في هذا السياق براعته الفريدة، فمن خلاله لا يُكتفى بتوضيح المعنى المباشر وحسب، بل يُعمل على نقله بصورة حسية متكاملة تُلامس وجدان القارئ وتستدعي استجابته العاطفية[٥٨].

كما أنه يفتح الباب أمام فضاء متسع من التفسيرات والتأويلات، مما يجعل من عملية التأمل والتفاعل مع النص تجربة متعددة الوجوه[٥٩].

ومن خلال هذا التكوين الجمالي المشبع بالتصوير والرمزية، تتحول القصيدة إلى ساحة دلالية رحبة تمتاز بقدرتها على استيعاب قراءات وتأويلات متعددة، بحيث يستلهم كل قارئ تجربته الخاصة في استقبال النص[٦٠].

بهذا يصبح التشبيه المركب أداة محورية وفعالة تسهم في تشكيل الرؤية الشعرية الحديثة بأسلوبها الذي يمزج بين الإبداع الفني والانفتاح التأويلي، مما يعزز من مكانة القصيدة كفن قائم على التفاعل الحي بين النص والمتلقي.

الخاتمة:

توصل هذا البحث إلى أن التشبيه المركب يمثل إحدى الدعائم الأساسية في تشكيل الصورة الشعرية ضمن الشعر العربي الحديث. فقد تخطى دوره البلاغي التقليدي المتمثل في الإيضاح والزينة،

ليصبح أداة فنية وبنائية تسهم بفعالية في صياغة الرؤية الشعرية وتكثيف المعاني. كشف التحليل أن التشبيه المركب يعتمد على تشبيه هيئة بهيئة أو مشهد بمشهد، مما يعزّز قدرته على استيعاب التجارب الشعورية المعقدة وترجمتها من مستوى السرد المباشر إلى أفق التصوير والإيحاء.

كما أبرز البحث أن التطورات التي طرأت على بنية الصورة الشعرية الحديثة قد أعادت تعريف دور التشبيه، حيث أصبح جزءًا عضوياً من التركيب الدلالي والجمالي للنص. وقد جاءت الدراسة التطبيقية، التي تناولت نماذج من أعمال محمود درويش وبدر شاكر السياب، لتبرز الأهمية المحورية للتشبيه المركب في بناء المشاهد الشعرية، وربط التجارب الذاتية بالسياقات الجماعية والوجودية، مما يُضفي على النص شعرياً عمقًا نفسيًا وجماليًا.

ختاماً، أكدت النتائج أن التشبيه المركب أسهم بثراء في إثراء الشعر العربي الحديث، مانحاً إياه آفاقاً جديدة للتعبير قائمة على التفاعل الإبداعي بين الصورة واللغة والمتلقي. ينم ذلك عن نضج التجربة الشعرية المعاصرة وقدرتها على تجسيد تعقيدات الواقع الإنساني وأبعاده المتعددة بطرق مبدعة ومؤثرة.

اهم النتائج

١. التشبيه المركب يعتمد على الهيئة الكلية الناتجة عن تألف العناصر ، وليس على المقارنة الجزئية.

٢. يلعب التشبيه المركب دوراً محورياً في بناء المشاهد الشعرية المتحركة في القصيدة الحديثة.

٣. تحول التشبيه في الشعر الحديث من وظيفة "الإيضاح" إلى وظيفة "التخليق" وبناء عوالم فنية جديدة.

٤. الدراسات السابقة أكدت على تجذر هذا الفن في التراث (القرآن والشعرالقديم) مع تطور أدواته في العصرالحديث.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر التراثية البلاغة والنحو وعلوم القرآن

الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٢ السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.

٤ السيوطي ، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

ثانياً: المراجع الحديثة (كتب متخصصة)

٥ الجارم علي وأمين مصطفى البلاغة الواضحة وردت في النص باسم "البلاغة والوضاحة")، دار المعارف.

٦. الهاشمي، أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.
٧. العمري محمد البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
٨. المسدي، عبد السلام. البلاغة والأسلوبية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٩ صمود، حمادي. من تجليات الخطاب البلاغي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، ٢٠١٠م.
١٠. أبو موسى، محمد محمد خصائص :التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥م.
١١. بازي، محمد الحجاج والظرافة : استراتيجيات الخطاب والتلقي منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥م.
١٢ جامعة المدينة العالمية البلاغة ١ – البيان والبديع، المجلد الأول، جامعة المدينة العالمية.

ثالثاً: الرسائل العلمية والأبحاث المحكمة

١٣. نور عين، فاطمة (أو فطرية). التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥م.
١٤. أبو العلا، محمد الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤م.
١٥. مهدي، إنعام صالح دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤م.
١٦ حليمة مزواري وعائشة بوعمامة. التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت ٢٠١٨م.
١٧. شيماء، بوناقة العربي مايدي. دلالات المطر عند بدر شاكر السياب : انشودة المطر أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت ٢٠١٩م
١٨. الجزري، محمد بن محمد الصورة التشبيهية في قصيدة انشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥م.
١٩. سالم، عطاف. أنشودة المطر للسياب دراسة وتحليل مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية والمصادر الرقمية

٢٠. فارح عبد الشكور معلم عبد. "التشبيه: تعريفه وأقسامه وأمثلة عليه"، شبكة الألوكة الثقافية، تاريخ النشر: ٢٠ أبريل ٢٠٢٠
٢١. جامع الكتب الإسلامية.(كمصدر رقمي لكتاب البلاغة الخاص بجامعة المدينة).

الهوامش:

[١] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص. ٤٥-٤٧.

[٢] يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص. ١٢٠-١٢٢.

[٣] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص. ٥٦-٥٨.

[٤] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ص. ٧٨-٨٠.

[٥] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠، ص. ٥٤-٥٥.

[٦] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٥، ص. ٤٥.

[٧] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، ص. ٤٦.

[٨] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧، ج٤، ص. ٢١٠.

[٩] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، ج٣، ص. ١٤٥.

[١٠] الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص. ٣٢٠.

[١١] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، ص. ٤٦.

[١٢] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، ص. ٤٦-٤٧.

[١٣] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص. ١٤٨-١٥٠.

[١٤] يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٥٧-٣٥٩.

[١٥] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، ج٢، ص. ٥٥-٥٧.

[١٦] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص. ١١٢-١١٥.

[١٧] عبد السلام المسدي، البلاغة والأسلوبية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠، ص. ١٤٢-١٤٥.

[١٨] حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، ٢٠١٠، ص. ٢١٥-٢١٨.

[١٩] محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥، ص. ٢٥٨-٢٦٢.

[٢٠] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص. ١١٢-١١٥.

[٢١] محمد بازي، الحجاج والظرافة: استراتيجيات الخطاب والتلقي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥، ص. ٤٥-٤٨.

[٢٢] فاطمة نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص. ٢٠-٢٥.

[٢٣] محمد أبو العلا، الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤، ص. ٥٠-٥٥.

[٢٤] مزواري حليمة وبوعمامة عائشة، التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ٢٠١٨، ص. ٣٠.

[٢٥] أنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص. ٤٠-٤٥.

[٢٦] فطرية نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص. ٦٠-٦٥.

[٢٧] إنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص. ٨٠-٨٥.

[٢٨] إنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص ٨٠-٨٥.

[٢٩] مزواري حليمة وبوعمامة عائشة، التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ٢٠١٨، ص ٩٠-٩٥.

[٣٠] فاطمة نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٠٠-١٠٥.

[٣١] محمد أبو العلا، الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤، ص ١١٠-١١٥.

[٣٢] إنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص ١٢٠-١٢٥.

[٣٣] مزواري حليمة وبوعمامة عائشة، التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ٢٠١٨، ص ١٣٠-١٣٥.

[٣٤] فاطمة نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٤٠-١٤٥.

[٣٥] محمد أبو العلا، الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤، ص ١٥٠-١٥٥.

[٣٦] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٢٠-٢٥.

[٣٧] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٣٠-٣٥.

[٣٨] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٤٠-٤٥.

[٣٩] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٥٠-٥٥.

[٤٠] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٦٠-٦٥.

[٤١] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٧٠-٧٥.

[٤٢] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٨٠-٨٥.

[٤٣] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٩٠-٩٥.

[٤٤] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ١٠٠-١٠٥.
[٤٥] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١١٠-١١٥.
[٤٦] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ١٢٠-١٢٥.
[٤٧] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ١٣٠-١٣٥.
[٤٨] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١٤٠-١٤٥.
[٤٩] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١٧٠-١٧٥.
[٥٠] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ١٨٠-١٨٥.
[٥١] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٢٠-٢٥.
[٥٢] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٣٠-٣٥.
[٥٣] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٤٠-٤٥.
[٥٤] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٥٠-٥٥.
[٥٥] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٦٠-٦٥.
[٥٦] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٧٠-٧٥.
[٥٧] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٨٠-٨٥.
[٥٨] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٩٠-٩٥.
[٥٩] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١٠٠-١٠٥.
[٦٠] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ١١٠-١١٥

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

التطورات الداخلية في الولايات المتحدة الامريكية في عهد الرئيس روذ رفورد هايز (Rutherford Hayes) ١٨٧٧-١٨٨١

أ.م.د.حسين طعمة شذر
جامعة التراث

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

تناول البحث صفحات من التطورات الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس روذرفورد هايز (Rutherford B Hayes) ١٨٧٧ -- ١٨٨١ ، إذ شهدت البلاد في عهده تطورات داخلية لها من الأهمية كبيرة على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد ركز البحث على محورين اساسيين ، فقد عرض المحور الأول السيرة الذاتية للرئيس هايز ، وايضا، تتبع سير الانتخابات الأمريكية التي جرت عام ١٨٧٦ ، كماشهد العام نفسه تصاعد في حدة الصراع بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري أدى إلى سيطرة الجمهوريين على مجلس الشيوخ في حين سيطر الديمقراطيين على مجلس النواب١ .

وعرض المحور الثاني أبرز التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية التي شهدتها البلاد في عهد الرئيس هايز ولعل من أهمها قيام عمال السكك الحديدية بالاظرابات الكبرى التي عمت اغلب المدن الأمريكية ، كماشهدت البلاد تحسن الحالة الاقتصادية وتأسيس شركة الهاتف والتلغراف وتطور الصناعات الكهربائية ، وكان لذلك تأثير كبير على الحياة الاجتماعية للامريكيين .

ABSTRACT

The research paper deals with pages of the internal developments in the United States of America during the reign of the U.S. President Rutherford B. Hayes (1877-1881), as the country witnessed profound significant political, economic, and social internal developments.

The paper has focused on two sections, the first one has displayed the Curriculum vitae (C.V.) of the U.S. President Hayes in addition to the tracking of the process of the U.S. elections that occurred in 1876 which witnessed a fighting escalation of between the Democratic and Republic parties which resulted of the Republican control on the Capitol while the Democratic members control the Parliament.

The second section exhibits the most prominent economic, and social internal developments in the country during the reign of the U.S. President Hayes such as the big disturbances carried out by the railways' workers in most of the American States, while the economy of the country had witnessed improvement such as the establishment of the Telephone and Telegraph Company and the development of the electric industries and these developments has a profound influence on the American social life.

المقدمة

وقع اختيارنا لدراسة احدى الشخصيات التي أثرت في التاريخ الأمريكي الحديث، والتطورات الداخلية التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في عهده، وهو الرئيس التاسع عشر للولايات المتحدة الأمريكية روذرفورد هايز، الذي يعد واحد من أبرز الرؤساء الذين حكموا الولايات المتحدة للفترة (١٨٧٧-١٨٨١).

برزت شخصية هايز السياسية والفكرية من خلال دوره الكبير في تأسيس الكيان السياسي للجمهورية الأمريكية، حيث كان مشرعا للعديد من القوانين الاجتماعية التي حاولت إزالة الطبقية في المجتمع الأمريكي ، وأدى دوراً عظيماً في السياسة الداخلية للجمهورية الأمريكية الناشئة من خلال تقلده العديد من المناصب السياسية، واستطاع أن يرتقي بالولايات المتحدة إلى مصاف الدول. الكبرى، والتوجه نحو التوسع والتطور في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد في عهده.

اقتضت طبيعة الدراسة أن يقسم البحث إلى مقدمة ومحورين مع خاتمة كرس المحور الأول لدراسة السيرة الذاتية للرئيس روذرفورد هايز وسير الانتخابات الأمريكية التي جرت في عام ١٨٧٦ وصراع الاحزاب على الرئاسة والتي كانت متمثلة بالصراع بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري.

أما المحور الثاني فقد سلط الضوء على التطورات الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس روذرفورد هايز (١٨٧٧-١٨٨١)، مستعرضاً أهم وأبرز التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد في عهده

اعتمدت الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر الاصلية، شملت الكتب العربية والمعربة، والتي أمدت الباحث بالمعلومات المهمة في محاور الدراسة. وامل ان اكون قد وفقت في انجاز هذا الجهد المتواضع، والله ولي التوفيق.

أولاً: روذرفورد هايز سيرته الذاتية، والانتخابات الأمريكية عام ١٨٧٦ وصراع الأحزاب على الرئاسة

١ – روذرفورد هايز سيرته الذاتية:

ولد رودرفورد هايز (Rutherford B. Hayes) في الرابع من تشرين الأول عام ١٨٢٢م في مدينة ديلاوير (Delaware) بولاية أوهايو (Ohio)[١]، حيث كان والداه يقيمان على الساحل الشرقي للبلاد، وقد انتقلا قبل ولادته بخمس سنوات إلى اوهايو التي كانت غير مكتظة بالسكان، وكانا يزرعان الحبوب وبقطراتها كما كانت العادة هناك لأنتاج الويسكي وبيعه بالاسواق [٢].

توفي والده قبل ولادته بشهرين، وقد تولى رعايته شفيق والدته وكان رجلاً ثرياً واصبح بمثابة الوالد له [٣]، وتلقى هايز معظم تعليمه في ولاية أوهايو، ودرس في كلية كينيون، وتخرج فيها مع مرتبة الشرف الأولى في عام ١٨٤٢، ثم درس القانون في كلية الحقوق بجامعة هارفارد(Harvard) عام ١٨٤٣، وتخرج من الجامعة عام ١٨٤٥[٤].

وفي عام ١٨٥٠ أستقر في مدينة سينسيناتي (Cincinnati)، حيث مارس مهنة المحاماة فيها من عام ١٨٥٨ الى عام ١٨٦١ ، وانتخب عام ١٨٥٩ وكيلاً قانونياً للمدينة، وقادته معارضة الرق إلى صفوف الحزب الجمهوري[٥].

تزوج هايز من لوسي وير ويب (Lucy Ware Webb) التي كانت آنذاك ذات ثقافة عالية في الثلاثين من كانون الأول عام ١٨٥٢، وله منها ثمانية اولاد[٦] ، ولم تشجعه لوسي في طموحاته المهنية والسياسية فحسب، بل بثت فيه من المعتقدات الدينية الوثيقة بما يكفي لنشاطه الداعم للعبيد ولحركة الاعتدال، وقد حظيت لوسي على شعبية كبيرة وهي أول من حملت لقب السيدة الأولى[٧]

عندما بدأت الحرب الأهلية الأمريكية عام ١٨٦١ ترك هايز مسيرته السياسية الوليدة لينضم الى صفوف جيش الاتحاد كضابط، وعلى الرغم من اصابته بجراح اربع مرات في الحرب التي كان أخطرها في معركة ساوت ماونتن (South Mountain)، الا انه بقى يؤدي دوره القتالي، وقد تمت ترقيته إلى رتبة عميد خلال الحرب[٨] ، وكانت نتيجة الترقية تسميته من قبل الحزب الجمهوري عام ١٨٦٤ مرشحاً للكونغرس الأمريكي في الدوائر الانتخابية لمسقط رأسه [٩]، على رغم من رفضه القيام بأي دعاية انتخابية ولم يلعب دور السيناتور الا بعد نهاية الحرب، وقد تم انتخابه حالاً عضواً في الكونغرس الأمريكي، ورقي قبل انتهاءالحرب الى رتبة لواء لشجاعته التي أبداها خلال الحرب[١٠].

وخلال الفترة بين (١٨٦٥ – ١٨٦٧) كان ها يزعضو في مجلس النواب الأمريكي، ثم شغل بعدها منصب حاكم ولاية أوهايو لفترتين متتاليتين من عام ١٨٦٨ الى عام (١٨٧٢) [١١]، وفي عام ١٨٧٥ فاز بفترة ثالثة ترشح خلاله رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، فالمعركة الانتخابية التي جرت عام ١٨٧٥

بمنصب الحاكم كانت قاسية بشكل مميز جعلت هايز المتفوق معروفاً في انحاء البلاد لدرجة أن الحزب الجمهوري في مدينة سينسيناتي اختاره في عام ١٨٧٦ مرشحاً
للرئاسة، حيث كانت الانتخابات الاكثر خلافاً في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية[١٢] .

٢- الانتخابات الأمريكية عام ١٨٧٦ وصراع الأحزاب على الرئاسة :

على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها الرئيس بوليسيس غرانت (Ulysses Grant)[١٣] ، لإصلاح ما يمكن إصلاحه من فساد حكومي وما أقره الكونغرس من تشريعات لمعالجة مشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إلا أن هذه الجهود لم تنجح في وقف تراجع شعبية الحزب الجمهوري بين الناخبين، لاسيما في الولايات الجنوبية والغربية، وهذا ما أثبتته انتخابات التجديد النصفي للكونغرس في كانون الأول عام ١٨٧٥، إذ تمكن الديمقراطيون من تحقيق الأغلبية في الكونغرس للمرة الأولى منذ اندلاع الحرب الأهلية . فسيطروا على مجلس النواب، وانتخبوا السيناتور أم . سي . كبر (M .Kerr) عن ولاية أنديانا رئيساً للمجلس، فيما كان الحزب الجمهوري – مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية لعام ١٨٧٦ – يمر بأسوأ مرحلة في تاريخه السياسي منذ تأسيسه، إذ عجز عن إصلاح سياسته الراديكالية لإعادة إعمار الجنوب بعد أن انحرفت عن مسارها الحقيقي، وتحولت من برنامج المساعدة الفقراء المحررين وحمايتهم واستعادة حقوقهم الى برنامج لثراء المتنفذين من قيادات الحزب وكبار الموظفين الحكوميين، كما أطاحت فضائح الفساد بسمعة الرئيس غرانت وإنجازات إدارته ، فضلاً عما خلفته الأزمة الاقتصادية من تأثيرات قاسية على الاقتصاد الأمريكي، أسهمت في إرباك سياسة الحكومة وشغلتها عن مواجهة النفوذ المتنامي للديمقراطيين في الولايات الجنوبية[١٤].

عقد الحزب الجمهوري مؤتمره الانتخابي في الرابع عشر من حزيران عام ١٨٧٦ في مدينة سينسيناتي بولاية أوهايو ، وبعد فشل الجمهوريين الراديكاليين في إعادة ترشيح غرانت لولاية رئاسية ثالثة ، فقد شهد المؤتمر ترشيح خمس شخصيات مهمة لمنصب الرئيس، كان أهمها جيمس بلين (James Blaine) الذي يعد واحداً من أبرز قادة الحزب الجمهوري في فترة الإعمار ، وكان من الممكن له أن يحوز على ترشيح الحزب الجمهوري لمنصب الرئيس ، لولا اتهامه من قبل الديمقراطيين وبعض الجمهوريين الليبراليين بقبول الرشوة من أصحاب مصالح السكك الحديدية ، ومحاولته التأثير على الكونغرس في الموافقة على منح أراضي حكومية للسكك الحديدية عام ١٨٦٦ ، الأمر الذي أدى الى استبعاده من الترشيح ، وهكذا فقد استقر رأي الجمهوريين على ترشيح حاكم ولاية أوهايو روذرفورد هايز الذي كان أحد أبطال الحرب الأهلية لمنصب الرئيس ، فيما اختير لنائب عن نيويورك وليام ويلر (William A. Wheeler) بالتزكية لمنصب نائب الرئيس[١٦] .

وقد أعلن الحزب برنامجه الانتخابي في عام ١٨٧٦، فحاول في هذا البرنامج تقديم الوعود بمعالجة عدد من المشكلات المهمة لشرائح مختلفة من المجتمع، كقضايا الإصلاح الاقتصادي، والتعليم، والهجرة ، والدين العام ، ونظام الأسرة، وحقوق المرأة ، فضلاً عن محاولتهم النيل من الحزب الديمقراطي عبر اتهامه بالخيانة والتمييز الطائفي، وهذا كله محاولة لإستباق نتيجة الانتخابات التي بدت في كثير من الولايات تميل لصالح الحزب الديمقراطي[١٧].

في الثامن والعشرين من حزيران من العام نفسه ، وبعد أيام قليلة من انتهاء المؤتمر الانتخابي للحزب الجمهوري الذي أسفر عن ترشيح شخصية جمهورية إصلاحية لمنصب رئيس الولايات المتحدة ، عقد الحزب الديمقراطي مؤتمره الانتخابي في مدينة سانت لويس (St.Louis) بولاية ميسوري ، وحضره اكثر من خمسة الاف شخص كان يدفعهم الامل للفوز في هذه الانتخابات بعد عشرين عاماً على فوزهم في آخر انتخابات رئاسية ، وشهد المؤتمر إلقاء خطب حماسية تدعو الديمقراطيون الى عدم تفويت فرصة الفوز في الانتخابات عبر ترشيح شخصية إصلاحية تعبر عن متطلبات المرحلة التي تمر بها البلاد ، التي تقتضي إنهاء فساد الادارة الجمهورية ، وقد رشح الحزب الديمقراطي صموئيل تيلدن (Samuel J . tilden)[١٨] ، حاكم ولاية نيويورك ، وقد اشتهر بعد فضحه لعصابة توید في مدينة نيويورك عام ١٨٧٠ وعرف في ذلك الوقت بالرجل الصادق ، فضلاً عن تأييدهلأصلاح قانون الخدمة المدنية وقانون الاستئناف[١٩] ، وجاء في البرنامج الانتخابي للحزب الديمقراطي **تعهده بالقضاء على الفساد الحكومي لأدارة الرئيس غررانت ، وإصلاح الحكومات الاستبدادية في الجنوب ، وإصلاح نظام توزيع الاراضي ، وإزالة القيود الكمركية ، وتشريع القوانين التي تحمي المهاجرين الاوربين الجدد ، وتحد من الهجرة الشرقية**[٢٠] .

شهدت الحملات الانتخابية لمرشحي الحزبين الجمهوري والديمقراطي استخدام كل انواع الدعاية الممكنة من صحف ، ومجلات ، ومنشورات ، وفرق موسيقية للتأثير على الناخبين ، مع التركيز على الولايات المتأرجحة، نيويورك وإنديانا . وكذلك الولايات الجنوبية الثلاث التي لا تزال تحت الحكم العسكري بموجب قوانين الكونغرس لإعادة الإعمار وهي لويزيانا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية[٢١] ، في محاولة لكسب أصوات هذه الولايات المؤثرة ، إذ اعتقد الجمهوريون أن حصولهم على أصوات الولايات الثلاث، فضلاً عن أصوات الولايات الشمالية والغربية سيكون كافياً لحصولهم لفوز مرشحهم في هذه الانتخابات ، فيما سعى الديمقراطيون للحصول على أصوات الناخبين في هذه الولايات عن طريق دعم تشكيل الحكومات الديمقراطية فيها[٢٢].

تبادل الطرفين خلال الحملة الرئاسية شتى أنواع الاتهامات ، إذ إتهم الديمقراطيون خصومهم الجمهوريين بالفساد ، فرد الجمهوريون باتهامهم بالتسبب في الحرب الأهلية ، ورددوا الشعار الشهير ((

ليس كل ديمقراطي متمرداً ، ولكن كل متمرد كان ديمقراطياً)). ، وحذر الجمهوريون من خطورة فوز الديمقراطيين في هذه الانتخابات التي ستقضي على منجزات الحرب الأهلية ، وتهدد الحقوق الدستورية التي نالها المواطنون السود بعد الحرب ، فيما أكد الديمقراطيون على تاريخ مرشحهم صموئيل تيلدن الإصلاحي الذي سيقضي على فساد إدارة الرئيس غرانت.

لقد جرت الانتخابات الرئاسية في يوم الثلاثاء في السابع من تشرين الثاني عام ١٨٧٦ ، وتميزت تلك الانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة في ذلك العام بانها الأكثر أثارة للجدل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية[٢٤] ، وبعد ثلاثة ايام من الاقتراع أعلن عن نتيجة الانتخابات التي أظهرت فوز تيلدن المرشح الديمقراطي من نيويورك بحصوله على ٥١% من الأصوات الشعبية وفاز فيها اذ حصل على (١٨٤) انتخابياً بالتزكية، وتلقى هايز المرشح الجمهوري من ولاية اوهايو ٤٨% من الأصوات الشعبية ونال (١٦٦) صوتاً انتخابياً، ومع ذلك بقي عشرين صوت انتخابي متبقية في الولايات الجنوبية الثلاث الخاضعة لسيطرة الجمهوريين **(لويزيانا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية[٢٥])** ، وعلى الرغم من فوز هيلان الساحق في التصويت الشعبي، إلا إنه فشل في الحصول على الأغلبية في الهيئة الانتخابية ، فقد كان بحاجة الى صوت انتخابي واحد فقط للفوز بمنصب الرئيس أما هايز فقد كان بحاجة الى اصوات تسعة عشر ناخباً لتحقيق الأغلبية، وبسبب تقديم الولايات الجنوبية الثلاث التي تخضع للحكم العسكري، لائحتين لنتيجة الانتخابات ، تؤيد أحداها المرشح الجمهوري والأخرى تؤيد المرشح الديمقراطي، فقد تبادل الحزبان الاتهامات بتزوير الانتخابات في هذه الولايات[٢٦]، في محاولة منهما لنيل أصواتها والفوز بمنصب الرئيس، فقد اتهم الجمهوريون خصومهم الديمقراطيين باستخدام القوة والترهيب لمنع الناخبين السود من التصويت لصالح الحزب الجمهوري في هذه الولايات أما الديمقراطيون فقد اتهموا الجمهوريين بقذف صناديق الاقتراع في المسطحات المائية ، وتلطيخ البطاقات الانتخابية التي صوتت لصالح تيلدن بالحبر الأسود وذلك لجعلها غير مقروءة ، مما يؤدي بالتالي إلى إبطالها[٢٧] .

ثانياً : التطورات الداخلية في الولايات المتحدة لاامريكية في عهد الرئيس روذرفورد هايز (١٨٧٧-١٨٨١)

- **التطورات السياسية**

أدى النزاع في الانتخابات الى ازمة دستورية اذ هند العديد من الديمقراطيين بتعطيل عمل اللجنة الانتخابية ، وتعالت صيحاتهم **تيلدن أو الدم**[٢٨] ، وأضطر الكونغرس في وسائل عدة لتسوية الأزمة، اذ ان الديمقراطيين سيطروا على مجلس النواب، في حين أن الجمهوريين سيطروا على مجلس الشيوخ، وشكل كل من المجلس لجنة خاصة مكلفة لوضع الية لهذه القضية، واستقر بالنهاية لعمل لجنة انتخابية، اعترض الكثير من الجمهوريين على الفكرة، وإتهم هايز مشروع القانون بأنه غير دستوري، ومع ذلك وجد

عدد كاف من الجمهوريين الذين انضموا الى الديمقراطيين لضمان مرور التشريع في عام ١٨٧٧ وصوت مجلس الشيوخ الصالحمشروع قانون المفوضية العليا المستقلة، تبعه توقيع الرئيس بوليسيس غرانت على القانون[٢٩] .

عقدت اللجنة جلساتها في قاعة المحكمة العليا وبالطريقة نفسها كمحكمة تم الاستماع إلى الحجج من محامي كلا الطرفين الديمقراطيين والجمهوريين، وتألفت اللجنة من ١٥ عضواً: سبعة منهم ديمقراطيين، وسبعة جمهوريين، وقاض مستقل من قضاة المحكمة الاتحادية العليا أسمه ديفيد ديفيس (David Davis)١٨١٥-١٨٨٩،[٣٠] وقبل ان الديمقراطيين اعتقدوا ان الجمهوريين قد اشتروا دعم ديفيد ديفيس من خلال التصويت لهايز، وهدد بالسلاح من قبل جماعة لصالح تيلدن، مما أدى الى استقالته على الفور، وجاء بدلاً عنه القاضي جوزيف بي برادلي (Jaseph P . Bradley) وهو جمهوري ، الامر الذي اصاب الديمقراطيين بخيبة امل كبيرة[٣١] ، وذلك لأنه لم يكن في المحكمة الاتحادية العليا قاضٍ مستقل سوى القاضي المستقل ديفيد ديفيس ، وهذا ادى الى منح الحزب الجمهوري افضلية في اللجنة[٣٢] .

وهكذا صوت اعضاء اللجنة الانتخابية الخمسة عشر على المرشحين ، فحصل هايز على اصوات الجمهوريين الثمانية ، فيما حصل تيلدن على اصوات الديمقراطيين السبعة[٣٣] ، وقد اعلن الديمقراطيين عن موقفهم بمنح الاصوات العشرين المتنازع عليها الى المرشح الجمهوري هايز في الثاني من آذار عام ١٨٧٧ ، منهين بذلك ماعرف بتسوية ١٨٧٧ ، بعدها اعلن الكونغرس الامريكي عن تشكيل جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ في الثاني من آذار عام ١٨٧٧ اعلن في نهايتها عن فوز المرشح الجمهوري هايز بمنصب الرئاسة بعد حصوله على (١٨٥) صوتاً في الهيئة الانتخابية مقابل (١٨٤) صوتاً لمنافسه الديمقراطي تيلدن ، وفوز المرشح الجمهوري وليام ويلر بمنصب نائب الرئيس ، وهكذا اعلن عن هايز الرئيس التاسع عشر للولايات المتحدة الامريكية في ظل الانتخابات الامريكية الاكثر إثارة للجدل[٣٤] .

عندما تولى هايز الرئاسة في الرابع من آذار عام ١٨٧٧ وفى بوعده دون إبطاء ، فقد اصدر في الحادي عشر من نيسان عام ١٨٧٧ أمراً بسحب القوات العسكرية في جنوب البلاد بهدف إبعاد الديمقراطيين عن الرئاسة[٣٥] ، منهياً بذلك مرحلة إعادة الاعمار في الجنوب ، ومعلناً بدء مرحلة جديدة من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، هي مرحلة السلام الذي دعا إليه غرانت وفشل في تحقيقها طوال ثماني سنوات، والتي استعاد فيها الديمقراطيون سيطرتهم على الولايات الجنوبية ، وتخلى فيها الجمهوريون عن نضالهم من أجل ضمان حقوق المحررين السود، فضلاً عن ذلك لم يضم هايز الى حكومته وزيراً ديمقراطيا من ولاية جنوبية فقط بل أعطاه أيضاً منصب المدير العام للبريد، لاسيما ان المساومات على

المناصب كانت رائجة أنذاك، والمنصب المذكور يسمح بمراقبة كل احتمالات التعيينات بالوساطة، وان الانجاز الأكبر الذي حققه هايز كان دون أدنى شك ان جعل الجنوب يحظى أخيراً بقسم من الهدوء لاستعادة أوضاعه الطبيعية بعد اضطرابات الحرب الأهلية المفجعة، وهذا ما حصلت عليه البلاد بأكملها[٣٦].

بعد ان استطاعت العناصر البيضاء في الولايات الجنوبية أن تستمد سيطرتها على الجنوب بعد أنسحاب قوات الاحتلال الشمالية، فما أن أقبل عام ١٨٧٧ حتى أصبحت الأغلبية في المجالس التشريعية للعناصر البيضاء، وقد أصاب أعضاء الحزب الجمهوري الشمالي شيء من اليأس نتيجة لما وصلت اليه الحالة في الجنوب، وأن الجهد الكبير الذي بذل في أدخال النظم الجديدة في الجنوب لم يؤد في حقيقة الأمر إلى صيانة مصالح العبيد الا لفترة محدودة من الزمن أثناء وجود القوات المختلفة، وأن الأوضاع السياسية في الجنوب عادت الى ما كانت عليه من قبل بعد فترة قصيرة من أنتهاء الحرب، فالحرب الأهلية الأمريكية رغم ما بذل فيها من تضحيات الا أنها لم تحقق للعبيد كل ما كانوا يصبون اليه من حقوق، فهي قد منحتهم الحرية من الناحية القانونية، الا أنها لم تمنحهم المساواة الفعلية مع البيض رغم اعتراف القانون الأمريكي لهم بتلك المساواة، فظلت عوامل التفرقة والبغضاء تسيطر على فريقي الأمة حتى الآن[٣٧].

عندما تولى هايز الرئاسة في عام ١٨٧٧ ، كانت البلاد لاتزال تعاني من اطول كساد اقتصادي في تاريخها، بسبب الأزمة الاقتصادية التي شهدتها الولايات المتحدة منذ عام ١٨٧٣، وعلى أثر ذلك فقد شهد عام ١٨٧٧ سلسلة من الأضرابات والمشاكل ، التي كان من أبرزها أضرابات التي قام بها عمال السكك الحديدية[٣٨] ، في أكثر من عشر مدن وتعتبر أكبر أزمة عمالية على مدى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، بدأت الأضرابات بعد تخفيضات في أجور عمال السكك بنسبة ١٠%، في أوقات عصيبة لم يكونوا يتقاضون فيها أجور عالية، وفي الوقت الذي كانت فيه الشركات تحقق أرباحاً عالية، كان العمال يعملون في ظروف صعبة وغير أمنة، الأمر الذي تسبب في وفاة البعض وأصابة آخرين أصابات بالغة[٣٩].

وفي محطة بالتيمور وأوهايو بمنطقة مارتنسبروغ بغرب ولاية فرجينيا في السادس من تموز عام ١٨٧٧ قام العمال الذين صمموا على محاربة خفض الأجور بأضراب، وأقفلوا الماكنات وأعلنوا عدم مغادرة أي قطارات لمارتنسبرغ الا بعد الغاء الـ ١٠% التي أخذت من أجورهم وتجمع معهم حشد كبير لمناصرتهم حتى أن قوات الشرطة قد فشلت في تفريقهم، وقد طلب مسؤولي الشركة من حاكم ولاية فرجينيا الحماية العسكرية، فقام بأرسال قوة عسكرية وحاول القطار مغادرة المحطة في حماية القوة

العسكرية، الا ان أحد المضربين حاول أن يوقفه فتبادل أطلاق النار مع أحد أفراد القوة العسكرية، مما أدى إلى أصابته[٤٠].

وبعد أن تراكمت قطارات الشحن في مارتنسبروغ حتى بلغ عددهم (٦٠٠)،الأمر الذي دفع حاكم ولاية فرجينيا الغربية بتقديم طلب الى الرئيس الأمريكي هايز، من أجل الموافقة على أرسال قوات فدرالية بعد أن أبلغه بأن قوات ولايته غير كافية، والحقيقة أن المشكلة كانت تتمثل في أنه لا يمكن الاعتماد على القوة العسكرية لأنها كانت تشكل الكثيرين من عمال السكك الحديدية، ولما كان الكونغرس لم يخصص بعد ميزانية للجيش فقد عرض بعض أصحاب البنوك أقراض الحكومة بعض الأموال لدفع رواتب الضباط، وبعد وقت قصير وصلت القوات الفيدرالية وبدأت قطارات الشحن في مغادرة المحطة[٤١] .

وفي بالتيمور حصل أشتباك مسلح بين حشد من الأف المتعاطفين مع المضربين وبين قوات حرس الوطني، بعد ان احاط المضربين بمخزن السلاح الخاص بالحرس الوطني، والذي كان الحاكم قد أستدعى أفراده بناء على طلب أصحاب شركة بالتيمور وأوهايو للسكك الحديدية، وقام الحشد برشق الحرس الوطني بالحجارة، فخرج الجنود يطلقون النار عليهم وباتت الشوارع مسرحاً لمعركة دموية، وانتشرت الأخبار عن وفاة عشرة من الرجال وأصابة الكثيرين، بينما جرح جندي واحد فقط، فضلاً عن ذلك فقد كان خمسة عشر الفاً من الناس في ذلك الوقت يحيطون بمحطة القطارات، وقد أطلقوا النار في رصيف المحطة وعلى ثلاثة قطارات للمسافرين، وعلى أثر ذلك طلب الحاكم مرة أخرى بأمداده بقوات فدرالية، وقد استجاب الرئيس هايز له ووصل (٥٠٠) جندي الى بالتيمور، نجحوا في سحق أضراب شركة بالتيمور – أوهايو وذلك في الثاني والعشرين من تموز عام ١٨٧٧، وساد الهدوء فيها بعد ذلك[٤٢].

وفي السياق ذاته، أمتد الأضراب بعد ذلك الى سائر المدن الأمريكية، وأنتقل الى شركات السكك الحديدية في مدينة بيتسبرغ في ولاية بنسلفانيا، وخرج الاضراب على هيئة غضب منفجر ودون خطة مسبقة، وعندما رفض (هاريس) وهو عامل أشارة يعمل في السكك الحديدية على قطار يجر عربات أكثر من العدد المتعارف عليه، وهو الأمر الذي أعترض عليه العمال من قبل، لأن ذلك يتطلب عدداً أقل من العمال ويزيد من خطورة عمال الفرامل، وعندما قال هاريس انه لم يباشر عمله هذا ، رفض بقية طاقم العمل ان يباشروا عملهم أيضاً، وأزدادت الاضرابات وأنضم اليهم عدداً من عمال المصانع، وقد توقفت قطارات الشحن عن مغادرة المدينة لعدم وجود عمال، وقام أتحاد عمال السكك الحديدية بعقد اجتماع، دعى فيه جميع العمال مشاركة أخوانهم عمال السكك الحديدية في قضيتهم[٤٣].

وطالب أصحاب شركات السكك الحديدية والمسؤولون المحليون بإرسال قوات عسكرية من فيلاديفيا، لأن أفراد القوة العسكرية الخاصة (رجال الميليشيات المحلية) بمدينة بيتسبرغ لن يطلقوا النار على أبناء مدينتهم[٤٤]، في وقت كانت هناك ألف عربة قطار تقف عاطلة في بيتسبرغ، وعندما وصلت القوات

العسكرية التي استدعت من فيلادلفيا الى مدينة بيتسبرغ حاولت أعادة تسيير القطارات التي كانت متوقفة عن العمل، وتبادل حشد المتضاربين والمتظاهرين أطلاق النار مع القوات العسكرية، وقتل حوالي عشرين عاملاً وجرح تسعة وعشرون من المضربين ومعظمهم كانوا لا يعملون بشركات السكك الحديدية، وقد أدى ذلك إلى غضب شديد في المدينة، وان القوات العسكرية بدأت تدخل المبنى الخلفي للمحطة، بعد احاطة المضربين بهم وقد اشتعلت النار في عربات قطارات السكك الحديدية، ثم الحقت النار بمستودع المحطة، وزاد اطلاق النار بين المتظاهرين والقوات العسكرية، وقام المتظاهرين بنهب عربات الشحن التي كانت تقف بالمحطة، مما أدى إلى استدعاء الحرس الوطني الخاص ببنسلفانيا بكامل عدده، لكنه لم يتمكن من الحركة، لأن المتظاهرين في المدن الأخرى قاموا بأغلاق الطرق(٤٥).

أما في مدينة شيكاغو، فقد دعا حزب العمال الى مسيرة أنضم ستة الاف شخص طالبوا بتأميم شركات السكك الحديدية، وبدأ عدد من الشباب الذين لا تربطهم علاقة خاصة بالمسيرة بالتجول داخل افنية شركات السكك الحديدية وقاموا بأغلاق الأبواب على البضائع، ثم ذهبوا الى المصانع وطلبوا من عمال المخازن وطاقم عمال السفن في ليك ميشغيان بالتوقف عن العمل، مما دفع قوات الحرس الوطني بإطلاق الرصاص عليهم فقتلت ثلاثة منهم(٤٦).

كانت المدينة الوحيدة التي قاد فيها حزب العمال حركة التمرد بشكل واضح هي مدينة سانت لويس التي تقع في ولاية ميسوري التي كانت تشتهر بمصانع السبائك، ومحلات بيع الآلات وشركات السكك الحديدية، وقد دعا الحزب الى اجتماع جماهيري مفتوح حضره حوالي خمسة الاف شخص، وكان واضحاً ان الحزب وراء قيادة الاضراب(٤٧).

لم تستمر القوة الدفاعية في مدينة سانت لويس حتى سيطرت السلطات على الموقف، حيث قامت قوات الشرطة بمساعدة الفرق العسكرية والقوات الفيدرالية بالهجوم على مبنى حزب العمال والفت القبض على سبعين شخصاً، وزجتهم في السجون، وأقتديت اللجنة التنفيذية التي تكاد تكون هي المسؤولة عن حكم المدينة الى السجن، الأمر الذي دفع المضربون الى الاستسلام، وبقيت الأجور منخفضة كما كانت قبل الأضراب العام(٤٨).

أما في مدينة سان فرنسيسكو التي تقع في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، فقد حلت نقمة وغضب المضربين على العمال الصينين المهاجرين حديثاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبمديري شركة الاخشاب، وتظاهر العمال أيضاً في مدن أخرى من الولايات المتحدة ، مثل مدينة كولمبس واندیانا و مدينة سينسيناتي ونيويورك. ولكنهم لم يحدثوا فيها أي أضرار تذكر(٤٩).

- نتائج أضرابات السكك الحديدية الكبرى عام ١٨٧٧ :

١- أنتهت اضرابات عام ١٨٧٧ بموت مائة شخص وسجن الف آخرين.

٢- سحبت شركات السكك الحديدية قرارها بتخفيض الأجور بعد ان تعطلت نصف طاقتها.

٣- بنيت بعض القواعد الخاصة بالحرس الوطني وزودت بفتحات سرية الأطلاق الرصاص منها عند الحاجة.

٤- أن الاضرابات علمت الكثيرين من الناس دروساً لا تنسى، وعززت من روح الاتحاد والروح الوطنية العمالية.

هـ- تعلم السود درساً مهماً وهو أنهم لم يملكوا ما يكفي من القوة كي يحققوا الوعود بالمساواة التي قدمت اليهم اثناء الحرب الأهلية الأمريكية [٥٠].

وفي المجال السياسي أيضاً، أتبع هايز سياسة اصلاح نظام الجهاز الاداري بأن تتم التعيينات السياسية على أساس الجدارة في عام ١٨٧٧ وليس على أساس نظام المحسوبية في التعيينات، الذي كان معمولاً به منذ أن كان أندرو جاكسون (Andrew Jackson) رئيساً [٥١]، الأمر الذي أدى الى أنقسام الحزب الجمهوري في مؤتمره الذي أنعقد في عام ١٨٨٠ في مدينة نيويورك الى مجموعتين الأولى عرفت بالشجعان) بقيادة روسكو كونكلنك (Roscoe Conkling التي أرادت العودة إلى جماعة غرانت ودعم أعادة انتخابه كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هذه المجموعة تؤيد نظام الغنائم في التعيينات السياسية وقاتلت ضد جهود الأصلاح التي قام بها هايز [٥٢] .

اما المجموعة الثانية فقد عرفت باسم المجنسين المعتدلين بقيادة جيمس بلين (James Blaine) والتي ارادات أصلاح الجهاز المدني، إذ أبدت نظام الجدارة في التعيينات السياسية وكانت الأخيرة هي المنتصرة والمتأثرة بسياسة الرئيس هايز المؤيدة لهذا الجانب الذي كان يسعى دائماً لأنهاء المحسوبية في المناصب الحكومية [٥٣] .

- **التطورات الاقتصادية:**

خلال عام ١٨٧٧ أستاء الرأي العام بسبب العدول إلى الفضة في المعاملات، حيث أن القياس للنقود الأولى التي صكت في الولايات المتحدة الأمريكية كان الدولار الأمريكي المصنوع من الفضة واستمر ذلك إلى عام ١٨٧٣، على رغم مزج مواد أخرى مع الفضة التي صكت الدولارات منها، ثم أنه في عام ١٨٤٩ أضيف الى المسكوكات الأمريكية دولاراً مصنوع من الذهب فأضحى من ذلك التاريخ المقياس الفضي والذهبي، وبعدها أجاز الكونغرس عام ١٨٧٣ شرعية أسقط فيها الدولار الفضي من لائحة المسكوكات الأمريكية وأبطال صكه، فأصبح الدولار الذهبي المقياس الوحيد لنقود الولايات المتحدة الأمريكية[٥٤].

وفي كانون الثاني عام ١٨٧٥ أجاز الكونغرس الأمريكي قراراً خلاصته ان الحكومة ابتداء من كانون الثاني عام ١٨٧٩ ستشرع بوفاء ما عليها من الديون نقوداً مصكوكة، وقد بدأ الناس يتسألون عن المراد بكلمة مصكوكات، وهاج الرأي العام على هذا الأمر وهو أن دفع الديون بنقود فضية كان قد منع وأن كل المعاملات يجب أن تكون بموجب القياس الذهبي، وقد حدثت بسبب ذلك ضجة كبيرة في البلاد[٥٥].

وفي أوائل عام ١٨٧٨ أقترح كل من عضو مجلس النواب ريتشارد بلاند (Richard Bland) والسيناتور العضو في مجلس الشيوخ وليام أليسون (William Allison)، أصدار قانون بلاند – أليسون (The Bland Allison) وطالبوا الحكومة لتقليل استخدام العملة من الفضة، وكان القانون يهدف الى شراء كمية معينة من سبائك الفضة ووضعها في التداول (دولار الفضة)، وطالب القانون الصادر عن الكونغرس الأمريكي وزير الخزانة الأمريكي جون شيرمان (John Sherman) لشراء كمية معينة من الفضة ووضعها في التداول للدولار [٥٦] ، وتمت الموافقة على مشروع القانون في مجلس النواب ولكن خضع لتعديلات من قبل الجمهوري وليام أليسون وصدور النسخة النهائية من القانون، وأحدثت هذه التفاعلات المختلفة خلافات فالبعض أدعى أنه يجب أن تكون هناك عملية صك الفضة مجاناً، لكن جماعة من الجمهوريين كانوا يريدون ربط السياسة النقدية الى معدن الذهب، فضلاً عن ذلك ضغوط البنوك والشركات الكبرى على الرئيس الأمريكي هايز الذي أعترض ووقف ضد القانون ورفض التوقيع عليه أيضاً [٥٧] ، اذ أعتبر هايز أن هذا القانون سيتسبب في التضخم الذي من شأنه أن يكون مدمراً لقطاع الأعمال، وأضعاف التي استندت على الدولار الذهب الفضة المقترحة في مشروع القانون، مصراً على أن الحفاظ على معيار الذهب أساسي لتحقيق الانتعاش الاقتصادي، وتجاهل الكونغرين حق النقض لهايز[٥٨].

وفي الثامن والعشرين من شباط عام ١٨٧٨ دعا إلى من قانون ينص على حرية العملية من الفضة، اذ بدأ الاقتصاد العالمي بالتحسن مع وجود هايز في منصبه، وأعاد القانون السياسة النقدية المتعلقة بنظام المعدنين للولايات، ولكنها أنت التي أضطراب كبير في الاقتصاد الأمريكي[٥٩] ، وكان سعر الذهب أكثر استقراراً من الفضة، ويرجع ذلك إلى اكتشافات الفضة في ولاية نيفادا وأماكن أخرى في الغرب وفيه تمت عملية صك مجانية وغير محدودة من الفضة[٦٠] .

يقول أحد الكتاب **أن الحرب الأهلية الأمريكية كانت جرحاً بليغاً في تاريخ البلاد، وكان نشوئها أيذاناً بتحقيق التغيرات التي لاح طيفها في السنوات العشرين أو الثلاثين السابقة** ، وقد نشطت مستلزمات الحرب العظيمة. الصناعات وعجلت باتخاذ طريق اقتصادي كان من دعائمه الأساسية استغلال الحديد، والبخار، والقوة الكهربائية، والتقدم السريع الذي أحرزه العلم والاختراع[٦١] .

وفي عام ١٨٧٧ عرض الكسندر جراهام بل (Alexander Grahm Bell) وهو مهاجر أسكتلندي آلة التليفون (الهاتف)، وخلال نصف قرن أصبح في البلاد (١٦) مليون جهاز تليفوني عجلت في تقدم حياة الأمة الأمريكية من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، فأصبح الهاتف بخطى سريعة لأزمة لا غنى عنه لكل مكتب ومتجر صناعي وتجاري، وكانت الأسلاك تحجب سماء المدن الكبرى. وبعد فترة من الزمن، تكونت شركة أمريكية للتليفون والتليغراف برأس مال قدره ربع مليون دولار امريكي [٦٢] .

لقد أثرت الكهرباء على الحياة الاجتماعية للأمة تأثيراً مباشراء بسبب أهميتها للصناعة والنقل والمواصلات، ولم يكن توماس اديسون أول أمريكي استخدم الكهرباء للأضاءة، بل أن الفضل في ذلك يرجع الى مهندس شاب من مدينة كليفلاند بولاية أوهايو يدعى تشارلز برش[٦٣]، ووليام ولاس وموزز فارمر من نيوانجلند اللذين كانا قد استخدما مولدات كهربائية على شكل حلقات لأنارة مصابيح قوسية في شوارع كليفلاند والمحلات التجارية الكبيرة بمدينة فيلادلفيا وكان ذلك في عام ١٨٧٨ ، وكان برش قد تعلم كيف يستخدم محولات كهربائية تعمل الياً ليتفادى مصابيح محروقة مما جعل الأضاءة المتواصلة من مولدات كهربائية أمراً ممكناً من الناحية التجارية، ولكن المصابيح القوسية التي كانت قوية لدرجة قصوى لا يمكن استخدامها في المنازل الخاصة، وكان هناك مخترعون آخرون يسعون لأنتاج مصباح صغير غير قابل للاحتراق فأخذوا يبحثون من أجل العثور على سلك حراري ذو مقاومة منخفضة يستطيع احتمال الحرارة العالية دون أن ينصهر، ولكن أديسون كان قد قرر أن يبتكر سلكاً حراريا ذو مقاومة مرتفعة يستطيع استيعاب قدر قليل من التيار الكهربائي[٦٤].

ومع تنامي حجم الشركات الصناعية وانتشارها، أزدادت الحاجة إلى رؤوس الأموال، وذلك لأن البريطانيين لم يقدموا رأس المال هذه المرة بعد أن كانوا بلا منازع أهم الممولين في حقبة ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية، أنما قدمتة وول ستريت عبر مصارفها الاستثمارية المتسارعة نمواً ولم يجسد أحد مركز القوة الجديد في وول ستريت خيراً من أبرز مصرفية أنذاك جي دي مورغان [٦٥] .

وفي سبعينات القرن التاسع عشر حقق مورغان لنفسه موطن قدم راسخاً في وول ستريت، وأصبح شريكاً في شركة مرموقة هي شركة دريكسل ومورغان وشركائهم، حيث كان مصرف مورغان قائماً منذ ذلك الوقت، وقد تفوق مورغان سريعاً على مصارف وول ستريت، وقد جعل مورغان قوة كبرى في قطاع السكك الحديدية في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما فوض اليه المساهمون الأنكليز الجدد تمثيلهم في التصويت وفي عضوية مجلس ادارة الشركة، وقد استخدم مورغان نفوذه الجديد في إرساء النظام في قطاع السكك الحديدية الذي كان في حاجة ماسة الى ذلك، كما أنخرطت الخطوط الحديدية في منافسة ضاربة نجم عنها في بعض الأحيان أفراط في تأسيس الخطوط الجديدة كانت مصدراً للهدر وأنتهى أحياناً إلى نتائج كارثية [٦٦].

وعلى الرغم من أن مورغان كان مصرفياً وليس خبيراً بالسكك الحديدية، الا انه أصبح على الفور من أقوى أقطاب الصناعة حيث أعاده تنظيم خطوط السكك الحديدية في بالتيمور وأوهايو و (تشيزابيك واوهايو)، وغيرها من الخطوط الحديدية الرئيسية، وأصبحت شركات السكك الحديدية تتمتع بمستوى أعلى كثيراً من الكفاءة الاقتصادية، وقد خضع ثلث خطوط السكك الحديد في الولايات المتحدة الأمريكية لأعادة التنظيم، وهذا كان أيضاً حالة الرقابة على مصارف وول ستريت في العقدين الآخرين من القرن الثامن عشر، أما نتائج ذلك فكانت الصناعة أكثر نضجاً واستقراراً[٦٧].

أما بالنسبة للأصلاح البحري، الأمر الذي كان أقل أهتماماً خلال إدارة الرئيس هايز، ويعود ذلك الى المشاكل المالية والاجتماعية التابعة من الركود التجاري في السبعينات كان عاملاً معيقا للأصلاح التجاري، فضلاً عن رفض الأغلبية الديمقراطية في الكونغرس لتوجهات إدارة الجمهورية، بالإضافة إلى ذلك كثرة الخلافات الناشئة داخل صفوف الحزب الجمهوري بشأن السياسة التصالحية للرئيس وتعيناته للمناصب اللاذع للفساد المالي والإداري الذي طال أعضائه البارزين في الحزب الجمهوري، وقد بدأ أن الرئيس هايز غير مدرك لحال الأسطول البحري الأمريكي، فقد كانت ريتشارد وينكتون غير ملم بواقع الشؤون البحرية في بلاده[٦٨].

وبالنسبة لموقف مجلس الشيوخ من تطور الأسطول البحري فيبدو أن أنشغاله بالمشاكل الداخلية، واحتدام الصراع الحزبي بين الديمقراطيين والجمهوريين وافتقار المجلس القيادة قديرة، وعندما تحققت الأغلبية البرلمانية للديمقراطيين في مجلس النواب (١٨٧٧-١٨٨١) ومن ثم في مجلس الشيوخ (١٨٧٩-١٨٨١) أظهر الشيوخ والنواب الديمقراطيين رغبتهم في الاصلاح بيد أن خطوات الكونغرس باتجاه الاصلاحات كانت مبعثرة وغير حاسمة، واستنكرت لجنة الشؤون البحرية في مجلس الشيوخ هذا الوضع، ولكن لم يكن لديها ما توفره في محال برنامج تشريعي بناء، ووضع اجراء إصلاحي جدي، وعلى الرغم من تمرير مشروع قرار لتطوير البحرية في مجلس النواب غير انه أهمل تماماً في مجلس الشيوخ، ولم يتجاوز التصويت عليه الا في الثامن والعشرين من شباط عام ١٨٨١[٦٩] .

- **التطورات الاجتماعية :**

تعد تسوية عام ١٨٧٧ حدثا بارزا في سجلات التاريخ الأمريكي الذي انقذ امة كانت جروحها من الحرب الأهلية لاتزال حاضرة بالاذهان، ورأى هايز في الحكومة الجدارة والمساواة في المعاملة بغض النظر للعرق، وقام بتنفيذ الاصلاحات لوضع الخدمة المدنية التي وضعت الأساس لمزيد من الإصلاح في عام١٨٨٠، إذ وقع هايز على مشروع قانون اصلاح الخدمة المدنية الغير حزبية التي اجابت أصوات الديمقراطيين ذوي المبول الإصلاحية[٧٠].

حاول هايز التوفيق بين الأعراف الاجتماعية للجنوب مع قوانين الحقوق المدنية التي تهدف إلى حماية حقوق الأمريكيين السود وسد الفجوة بين الأغنياء والفقراء الأمريكيين[٧١] ، وقال هايز **مهمتي كانت للقضاء على خط اللون (Color line) لإلغاء حماية مصالح مجموعة ولإنهاء الحرب وإحلال السلام وكنت على استعداد للجوء لتدابير غير عادية ودائمة للمخاطرة من أجل سمعة طيبة داخل حزبي وبلدي**[٧٢] ، لكن جهود هايز فشلت في محاولة إقناع الجنوب لقبول فكرة المساواة وفشلت أيضاً في إقناع الكونغرس ذات الغالبية الديمقراطية في تنفيذ قوانين الحقوق المدنية[٧٣].

أهتم الرئيس هايز أيضاً بتنظيم مجلس للجمعيات الخيرية للأشراف والرقابة على صرف جميع الأموال لأغراض خيرية من خزانة المنطقة، وزيادة كفاءة المدارس العامة في جميع المقاطعات الأمريكية عن طريق المساعدات الأضافي من الخزانة الوطنية[٧٤].

اما التعليم، فقد شهد في عهد الرئيس هايز تطوراً كبيراً، حيث أعرب هايز عن اعتقاده بأن أي دولة قوية، يجب أن يكون مواطنيها متعلمين، وبصفته كان عضواً في الكونغرس الأمريكي للمدة (١٨٦٥ – ١٨٦٧)، قدم دعمه للقوانين المتعلقة بالتعليم، ولكن كان انتخابه حاكماً لأوهايو في عام ١٨٦٨ أعطاه وسيله الأحداث تأثير كبير على التعليم في ولايته الأصلية، وقد أستخدم الرئيس هايز نفوذه السياسي لأقناع أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب في ولاية أوهايو، لأصدار قوانيين تخص التعليم الجامعي، وعلى أثر ذلك منحت الحكومة الامريكية كل ولاية قطعة كبيرة من الأراضي العامة داخل ولايتها، ليتم بيعها من أجل دفع تكاليف بناء كلية، وبفضل الحث المثير للرئيس هايز تم بناء كلية أوهايو الزراعية والميكانيكية في مدينة كولومبس (Columbus) عام ١٨٧٨ والتي تعرف اليوم بـ (جامعة ولاية أوهايو)[٧٥].

وبعد أنتهاء فترة رئاسته للولايات المتحدة الأمريكية في الرابع من آذار عام ١٨٨١ واصل هايز دعمه واستخدام نفوذه السياسي للمساعدة في تأمين التمويل للمدارس والجامعات، ورأى من الضروري تدريب الطلاب على وظائف محددة مثل الهندسة المعمارية واللحام وصناعة الآلات، وكان نفوذه قوياً لدرجة أنه تم تسمية مبنى التدريب اليدوي الخاص بالجامعة بـ (هايز هول) (Hayes Holl) والذي افتتح عام ١٨٩٣ على شرفه[٧٦] .

الى جانب دعمه لجامعة ولاية أوهايو، كان له دورا كبير في تأسيس جامعة هامبتون (Hampton) في ولاية فرجينيا التي أنشئت لتعليم العبيد المحررين، ومدرسة كارليسل الهندية الصناعية (للأمريكيين الأصليين)، وأهتم أيضاً في تأسيس منشأة سكنية / تعليمية لأطفال جنود الحرب الأهلية الأمريكية، و أستمر هايز حتى وقت وفاته عام ١٨٩٣، بمشاركته في المؤتمرات التي تخص التعليم، والتي كان من ضمنها مؤتمرات (بحيرة موهونك)، التي ساعدت في التأثير على سياسات البلاد في مجال التعليم[٧٧].

أما بشأن مسألة تعدد الزوجات، فقد كان الأمر يتعلق بالمورمون وممارستهم تعدد الزوجات في أقليم يوتا، حيث يعتقد الرئيس هايز بأن المورمون،الذين يشكلون ٩٥% من سكان ولاية يوتا كانوا يشكلون تهديداً للمؤسسات الأمريكية المقدسة، فقد كان هايز متديناً لبيرالياً ومؤيداً لفصل الكنيسة عن الدولة وكان زعماء المورون قد حولوا حكومة الأقليم الى ملحقة بالكنيسة وان أصرارهم على الطاعة الصارمة لمذاهب الكنيسة فوض الحقوق المدنية الأساسية، وأثارت تعدد الزوجات على وجه الخصوص غضب هايز، لأنه يعتقد أنها تستبعد نساء المورمون، وكان الكونغرس قد جعل تعدد الزوجات غير قانوني في عام ١٨٦٢ ولكن المورمون أستمر في الأصرار على أن هذا القانون ينتهك حقوقهم، وأنه يجب تطبيق مبادئ الفيدرالية والسيادة الشعبية على يوتاه[٧٨].

في عام ١٨٨٠ عين الرئيس هايز حاكم على أقليم أوتاه يدعى أيلي مستون موراي وهو جنرال في الحرب الاهلية الأمريكية من ولاية كنتاكي، الذي عارض بشدة تعدد الزوجات، وتعهد موراي بالتعاون مع المدعين الفدراليين الأخراج قادة المورمون من المنصب السياسي، كما دعا هايز الى تشريع فيدرالي يحظر تعدد الزوجات من التصويت او شغل المنصب أو الجلوس في هيئات المحلفين، وبعد أنتهاء فترة رئاسته في عام ١٨٨١، ، حملت حملته ثمارها عندما أقر الكونغرس قانون (أدموندز) لعام ١٨٨٢ ، الذي يحظر أي شخص يؤمن بتعدد الزوجات من العمل في هيئات المحلفين الكبرى وأعتبر بأن المعاشرة الغير قانونية هي جريمة أخرى مضافة الى جريمة تعدد الزوجات[٧٩].

أما بالنسبة لموقف هايز من اليهود، فعندما تولى الرئاسة صدم بحقيقة الوجود اليهودي، وذلك بسبب الهجرة اليهودية الى الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما بعد الحرب الأهلية الأمريكية، حيث بلغ عددهم في عام ١٨٧٧ حوالي (٢٢٦٬٠٤٢) الف يهودي، ليصل عددهم عام ١٨٨٠) إلى (٢٨٠) الف[٨٠]، إذ كانت أكثر الادارات والمكاتب الحكومية تعج باليهود الذين بادروا الى المطالبة بإعتبار يوم السبت من كل أسبوع عطلة رسمية لهم إلى جانب الأحد، وعندما لم يستجب الرئيس هايز لمطلبهم، نظراً لأن الاستجابة لذلك تخل بالمساواة وتظلم الموظفين غير اليهود، صرح دبلوماسي يهودي بأنه لم يكن قادر على مخالفة التحريم في التوراة والعمل يوم السبت، وتلقت الصحف التي كان يسيطر عليها اليهود ذلك التصريح وصنعت منه حملة عامة[٨١].

كان اليهود في كل مكان يسيطرون على المؤسسات المالية والصحافة وينتشرون في الادارات الحكومية، ويمثل مؤيديهم من الصهاينة المسيحيين أضعاف عددهم، وازاء هذا لم يكن بوسع الرئيس هايز الا الرضوخ لمطلبهم، وصرح بعطلة السبت ذات القيمة الرمزية الكبيرة لدى اليهود، وبذلك يعد هايز أول رئيس أمريكي يمنح جميع الموظفين اليهود عطلة يوم السبت من كل أسبوع[٨٢].

توفي هايز في السابع عشر من كانون الثاني عام ١٨٩٣ في مدينة فريمونت بولاية أوهايو، بعد أصابته بنوبة قلبية عن عمر ناهز السبعين عاماً من عمره(٨٣).

الخاتمة

من خلال الدراسة توصلنا إلى عدة استنتاجات مهمة وهي كما يلي:

١ – عندما تولى هايز الرئاسة في الرابع من آذار عام ١٨٧٧ أعلن بدء مرحلة جديدة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية هي مرحلة السلام الذي دعا اليها غرانت وفشل في تحقيقها طوال ثماني سنوات.

٢ – شهدت الولايات المتحدة عام ١٨٧٧ سلسلة من الأضرابات والمشاكل ، والتي كان من أبرزها أضرابات التي قام بها عمال السكك الحديدية ، في أكثر من عشر مدن وتعد أكبر أزمة عمالية على مدى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

٣ – في عهده أكتشف أول هاتف تليفوني كان له دورا كبير في تقدم حياة الامة الأمريكية من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، فأصبح بخطى سريعة لازمة لا غنى عنه لكل مكتب ومتجر، وكذلك اكتشاف المصباح الكهربائي الذي كان له تأثيراً مباشراً بسبب أهميته للصناعة والنقل والمواصلات.

٤ – صدرت خلال عهده العديد من القوانين التي نظمت سير الحياة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها قانون الخدمة المدنية، الذي كان يهدف إلى حماية حقوق الأمريكيين السود، وسد الفجوة بين الأغنياء والفقراء الأمريكيين، وقانون منع تعدد الزوجات.

٥ – شهد التعليم في عهده تطوراً كبيراً، حيث أعرب عن اعتقاده بأن أي دولة قوية، يجب أن يكون مواطنيها متعلمين، وبصفته كان عضواً في الكونغرس الأمريكي للمدة (١٨٦٥ – ١٨٦٧) ، قدم دعمه للقوانين المتعلقة بالتعليم، وقد استخدم نفوذه السياسي الأقناع أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب في ولاية أوهايو، الأصدار قوانيين تخص التعليم الجامعي.

الهوامش

1 – Mike venezi, Rutherford B. Hayes nineteenth president 1877-1881, New York, 2006, p.3.

٢– او دو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم، دار الحكمة لندن، ٢٠٠٦، ص ١٤١.

3 – Andrew Santella, Profiles of the President Rutherford B. Hayes, Bostan Public Library, Bostan, 2004, p.10.

4 – Lliyd Robinson. The Stolen Election : Hayes versus tilden – 1876, Tom Doherty Associates. New Tork , 1968 ,p.99 .

5 – Emily Georg, Rutherford B.Hayes ,Army Historycal Foundation , Vol,17,No3,January 2012 p.17.

6 – Breann Rumsch, the united States Presidents, Rutherford B. Hayes, Bloomfield township Public Library, 2009, p.10 ..

٧- محمد القدوسي، رؤساء امريكا قادة الصهاينة في البيت الأبيض، ج١، د.م، د . ت ص ١٤٨ .

٨- اودو زاوتر، المصدر السابق، ص ١٤١.

9 – Thomas A. Smith. The Rutherford B. Hayes Library. The American Archivists, Vol. 43, No. 4, February 1980, p.486.

٨- محمد القدوسي، المصدر السابق، ص ١٥٠.

9 – Ari Arthur Hoogenboom, Rutherford B. Hayes: Warrior and President, New York, 1995, p.95.

١٠- محمد القدوسي، المصدر السابق، ص ١٥١.

11 – Ari Arthur Hoogenboom B. Hayes : Warrior and President , new york ,1995 ,p,95 .

١٢- اودو زاوتر، المصدر السابق، ص ١٤٠.

١٣) اودو زاوتر , المصدر السابق , ص١٤٠ .

١٤ – ابراهيم محمد سليمان، الحزب الجمهوري ودوره السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية. (١٨٥٤-١٨٧٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالي ٢٠١٢، ص ٢٢٦- ٢٢٧ .

١٥ – ابراهيم محمد سليمان المصدر السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

16 – Herman V. Ames, Rutherford B. Hayes, The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol.60, No.5, July 1915, p.269.

١٧ – محمد محمود النيرب المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٨٧٧ ج ١، طا، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٧ ، ص ٢٨٥ .

١٨ – صموئيل تيلدن (١٨١٤-١٨٨٦) ولد في نيولبنان بولاية نيويورك، وهو محامي بارز وابرز أعضاء الحزب الديمقراطي، وحاكم ولاية نيويورك للفترة (١٨٦٦-١٨٧٤)، حصل على مقعد في المجلس التشريعي للولاية في عام ١٨٧٢ ، وأصبح رئيس لجنة الدولة الديمقراطية بعد الحرب الأهلية، ثم رشح لانتخابات الرئاسة عام ١٨٧٦ التي خاضها ضد روذرفورد هايز وخسرها. للمزيد ينظر:

William O Jones, A History of The Democratic Party, New York , 1869 . p.216

19-Jeffery A. Jenkins and Justin Peck, Congress and the Redemption of the White South 1877-1891, U.S.A, 1968, P.4.

٢٠ – ابراهيم محمد سليمان المصدر السابق، ص ٢٣٠- ٢٣١ .

21 – Samuel Eliot Morison. The Oxford History of The American people, New York, 1965, p.733 .

٢٢ – ابراهيم محمد سليمان المصدر السابق، ص ٢٣٢ .

٢٣ – محمد محمود النيرب، المصدر السابق، ص ٢٨٥ .

24 – Frank P. Vazzane. Rutherford B. Hayes and the Politics of Discord, Vol.68, No.3, February 2006, p.519 .

25 – Ken Gormley, The Presidents and the Constitution A Living History, New York, 2016, p.255 .

٢٦ – ابراهيم محمد سليمان المصدر السابق، ص ٢٣٣ .

.Ken Gormley, Op.Cit., P.255 27 –

Charles Austin Beard. History of The United States, New York,2001 28– .p.251.

٢٩ – ايمان صباح أحمد محمد الجيلاوي، الحزب الجمهوري وقيادته للولايات المتحدة الأمريكية ١٩١٢–١٨٧٩ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل ٢٠١٤، ص ٤٨–٤٩ .

. Ken Gormley, Op.Cit.,P.256 30 –

٣١ – أيمان صباح أحمد محمد الجيلاوي، المصدر السابق، ص ٤٩.

٣٢ – محمد محمود النيرب المصدر السابق، ص ٢٨٥ .

33 – . Ken Gormley, Op.Cit.,P.256

٣٤ – ابراهيم محمد سليمان , المصدر السابق , ص٢٣٦ .

35 – Debbie Levy. Rutherford B. Hayes, Boston Public Library, Boston2007 . P.79.

36 – Steven M. Gillon, and Cathy D. Maston, The American Experiment: A History of the United states, Boston–New York, 2002, p. 289 – 290 .

٣٧ – عمر عبد العزيز عمر دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٢، ص ٣٨٤–٣٨٥.

٣٨ – ستيفن فنسنت بنيه، أمريكا، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد، مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٨١ .

٣٩ – هوارد زن التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية، ج١، ترجمة شعبان مكاوي المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، د.ت. ص ١٨٦.

٤٠ – هواردزن , المصدر السابق , ص ١٨٧ .

٤١ – الخوري باسيلوس خرباوي , تاريخ الولايات المتحدة الامريكية , مطبعة جريدة الدليل , نيويورك , د.ت , ص٥٤٠ .

٤٢ – كلود جوليان، الحلم والتاريخ أو مئتا عام من تاريخ أمريكا، ترجمة نخلة كلاس ط ٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩، ص ١٠١.

٤٣ – هوارد زن، المصدر السابق، ص١٨٨.

44– Ken Gormley, Op.Cit., P.259 .

45 - Steven Otfinoski, Rutherford B. Hayes, Encyclopedia of Presidents, New York, 2004, p.63 ..

٤٦ - هوارد زن، المصدر السابق، ص ١٩٠ .

٤٧ - الخوري باسيلوس خرباوي، المصدر السابق، ص ٥٤٠.

٤٨ - كلود جوليان ،المصدر السابق ص ١٠٦ .

٤٩ - المصدر نفسه ص ١٠٧.

٥٠ - هوارد زن، المصدر السابق، ص ١٩٣.

٥١ - اندرو جاكسون (١٧٦٧-١٨٤٥) الرئيس السابع للولايات المتحدة الأمريكية للفترة (١٨٣٧-١٨٢٩)، ولد في الخامس عشر من آذار عام ١٧٦٧ في مستعمرة واكسهوز بالقرب من الخط الفاصل بين مستعمرتي كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية، ونال تعليماً جيداً وأسند اليه منصب مدعي عام في ولاية تنيسي، التي كانت تابعة لولاية كاورلينا الشمالية سابقاً، وعين في مجلس الشيوخ وكان عمره لا يزيد عن الثلاثين عاماً، وشارك بصفة عامة في حرب عام ١٨١٢ ، كما شارك في الحرب التي ادت الى شراء ولاية فلوريدا في عام ١٨١٩ واصبح أول حاكم للدولة هناك، توفي في الثامن من حزيران عام ١٨٤٥. للمزيد ينظر: بشرى حسين عبود المكصوصي، اندرو جاكسون ودوره العسكري والسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٦٧-١٨٣٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد جامعة .

52 – Foster W.Z, Outline Political History of American , Neo york , 1951 , p.120.

٥٣ - ايمان صباح أحمد محمد الجيلاوي، المصدر السابق، ص ٥٩٠٥٨.

٥٤ - الخوري باسيلوس خرباوي، المصدر السابق، ص ٥٤٢.

٥٥ - الخوري باسيلوس خرباوي، المصدر السابق، ص ٥٤٤.

٥٦ - علي خوير مطرود، تاريخ النقد في الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٧٦ - ١٨٩٦ ، مجلة كلية التربية، جامعة واسط العدد (١٦) حزيران ٢٠١٤، ص ١٠٩.

57 - Henry William Elson, History of The United State of American, U.S.A, 1975, p. 138 ..

٥٨- أيمان صباح أحمد محمد الجيلاوي، المصدر السابق، ص ٥٧.

٥٩ - المصدر نفسه، ص ٥٨.

60-George H. Mayer, The Republican Party (1854-1966). Oxford .University Press, New York, 1967. p. 182 .

٦١ - شيرين سعيد شلبي، موجز التاريخ الأمريكي، مطبعة الأسكندرية، الأسكندرية، ٢٠٠٠. ص ٨٩ .

62 – Ari Arthur Hoogenboom , the Ppresidency of Rutherford B.Hayes , New York , 1988,p.4.

٦٣ - الان نيفيز وهنري ستيل كوماجر , موجز تاريخ الولايات المتحدة , ترجمة محمد بدر الدين خليل , الدار الدولية للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٠ , ص٢٩٨ .

٦٤ - جون تشيمبرلين , رواد الاقتصاد الامريكي , ترجمة احمد عمر , موسسة سجل العرب , القاهرة . ١٩٦٦ , ص ٢٨٧-٢٨٨ .

٦٥ – جي دي مورغان مصرفي ورجل اعمال أمريكي ينتمي الأسرة غنية من مدينة هارتفورد وكان جده مؤسس شركة أثينا للتأمين ضد الحريق، وقد استثمر أمواله في السكك الحديدية والمراكب التجارية، حيث أصبحت هارتفورد من أغلى المدن ينظر: جون ستيل جوردون، أمبراطورية الثروة، ج ٢، ترجمة محمد مجد الدين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٣، ص ٥٦.

٦٦ – جون تشيمبرلين ، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٦٧ – جون ستيل جوردون، المصدر السابق، ص ٥٨.

٦٨ – عبد الله حميد العتابي، ظهور الولايات المتحدة الأمريكية قوة كبرى ١٨٦٥–١٩٠٠. بغداد، ٢٠١٢، ص ٤٥ .

٦٩ – عبدالله حميد العتابي، المصدر السابق، ص ٤٦ ٤٧ .

٧٠ – ايمان صباح أحمد محمد الجيلاوي، المصدر السابق، ص : ٥ .

71–George H. Mayer, Op.Cit., P.191.

٧٢ – الان نيفينز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق، ص ٣٥٦ .

٧٣ – ايمان صباح أحمد محمد الجبلاوي، المصدر السابق، ص ٥٥–٥٦ .

74 – Letters and Messages of Rutherford B. Hayes, President of the United States, Washington, 1881, p. 76.

75 – Past Times, "newspaper", A just–for–kids publication produced by the Rutherford B. Hayes Presidential Center, Vol 13, October 2013,P.1

76 – Charles Richard Williams, Diary And Letters of Rutherford B. Hayes, New York, 1913. p.2.

77 – Past Times, "newspaper", Op.Cit..P.2.

78 – Charles Richard Williams, Op.Cit, P.55 .

79 – Ken Gormley, Op.Cit, P.262 .

٨٠ – صادق حسن السوداني، يهود الولايات ، المتحدة الأمريكية دراسة تاريخية، سياسية، بغداد، ٢٠١١، ص ١٧.

٨١ – محمد القدوسي، المصدر السابق من ١٥٠.

٨٢ – المصدر نفسه، ص ١٥١

٨٣ – اودو زاوتر , المصدر السابق , ص١٤٠ .

قائمة المصادر

القرآن الكريم

- الرسائل الجامعية:

١. أبراهيم محمد سليمان الحزب الجمهوري ودوره السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٥٤-١٨٧٦)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالي، ٢٠١٢

٢. أيمان صباح أحمد محمد الجيلاوي، الحزب الجمهوري وقيادته للولايات المتحدة الأمريكية ١٨٧٦-١٩١٢ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، ٢٠١٤.

٣. بشرى حسين عبود المكصوصى اندرو جاكسون و دوره العسكري والسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٦٧ – ١٨٣٧ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٦.

- الكتب المعربة :

١. ألان نيفنز و هنري ستيل كوماجر، موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة محمد بدر الدين خليل، الدار الدولية النشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠

٢ – اودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦.

١. جون تشيمبرلين، رواد الاقتصاد الأمريكي، ترجمة أحمد عمر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦.

. جون ستيل جوردون، أمبراطورية الثروة، ج ٢، ترجمة محمد مجد الدين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٣.

هـ. الخوري باستيلوس خرباوي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، مطبعة جريدة الدليل، نيويورك، د.ت.

٦- ستيفن فنسنت ، بنيه أمريكا ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٤٥.

٧ كلود جوليان الحلم والتاريخ أو مننا عام من تاريخ أمريكا، ترجمة نخلة كلاس ط ٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩

هوارد زن التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية، ج١، ترجمة شعبان مكاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ت.

- الكتب باللغة الأنكليزية:

1 - Andrew Santella, Profiles of the President Rutherford B. Hayes, Bostan Public Library, Bostan, 2004.

2 - Ari Arthur Hoogenboom, the Presidency of Rutherford B. Hayes, New York, 1988.
3 - Ari Arthur Hoogenboom, Rutherford B. Hayes: Warrior and President, New York, 1995.
4 - Breann Rumsch, the united States Presidents, Rutherford B. Hayes, Bloomfield township Public Library, 2009.
5 - Charles Austin Beard, History of The United States, New York. 2001 . 6 - Charles Richard Williams, Diary And Letters of Rutherford B. Hayes, New York, 1913.
7 -Debbie Levy, Rutherford B. Hayes, Boston Public Library, Boston, 2007.
8 -Foster W.Z, Outline Political History of American, New York, 1951.
9 -George H. Mayer, The Republican Party (1854-1966), Oxford University Press, New York, 1967.
10 -Henry William Elson, History of The United State of American, U.S.A, 1975.
11 .Jeffery A. Jenkins and Justin Peck, Congress and the Redemption of the White South 1877-1891, U.S.A, 1968.
12 .Ken Gormley. The Presidents and the Constitution A Living History, New York, 2016.
13 .Letters and Messages of Rutherford B. Hayes, President of the United States, Washington, 1881.
14 .Lloyd Robinson, The Stolen Election: Hayes versus Tilden-1876, Tom Doherty Associates, New York, 1968.
15 .Mike venezi, Rutherford B. Hayes nineteenth president 1877-1881, New York, 2006.
16 .Samuel Eliot Morison, The Oxford History of The American people, New York, 1965.
17 .Steven M. Gillon, and Cathy D. Maston, The American Experiment: A History of the United states, Boston New York, 2002.
18 - Steven Otfinoski, Rutherford B. Hayes, Encyclopedia of Presidents, New York, 2004.
19 - William O.Jones, A History of The Democratic Party, New York, 1869.

- **الكتب العربية :**

١ – شيرين سعيد شلبي موجز التاريخ الأمريكي، مطبعة الأسكندرية، الأسكندرية ٢٠٠٠.

٢ – صادق حسن السوداني، يهود الولايات المتحدة الأمريكية دراسة تاريخية سياسية بغداد، ٢٠١١

٣ –عبد الله حميد العتابي، ظهور الولايات المتحدة الأمريكية قوة كبرى ١٨٦٥ –١٩٠٠، بغداد، ٢٠١٢

٤ – عمر عبد العزيز عمر دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٢

٥ – محمد القدوسي، رؤساء أمريكا قادة الصهاينة في البيت الأبيض، ج١، د.م، د.ت.

١

٦ – محمد محمود النيرب المدخل فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٨٧٧، ج ١، ط١ ، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٧

– البحوث المنشورة باللغة الأنكليزية:

1 – Emily George, Rutherford B. Hayes, Army Historical Foundation, Vol. 17, No.3, January 2012.

2 –Frank P. Vazzane, Rutherford B. Hayes and the Politics of Discord, Vol.68, No.3, February 2006.

3 .Herman V. Ames, Rutherford B. Hayes, The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol.60, No.5, July 1915.

4 .Thomas A. Smith, The Rutherford B. Hayes Library, The American Archivists, Vol. 43, No. 4, February 1980.

– البحوث المنشورة باللغة العربية:

١. علي خوير مطرود تاريخ النقد في الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٧٦ – ١٨٩٦ ، مجلة كلية التربية جامعة واسط العدد (١٦) حزيران ٢٠١٤

– الصحف المنشورة باللغة الأنكليزية :

1 – Past Times, "newspaper", A just-for-kids publication produced by the Rutherford B. Hayes Presidential Center, Vol, 13, October 2013.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

التطور المالي والنقدي في العراق ١٩٢٠ ١٩٢٦
Financial and Monetary Development in Iraq (1920–1926)

م.د. سالم إسماعيل مصطفى
Asst. Prof. Salim Ismaeel Mustafa
جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الانسانية– قسم التاريخ
University of Anbar – College of Education for Humanities Department of History
Mobile: 07816888500
Email: ed.salim_ismaeel@uoanbar.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة

لم تعُد السياسة المالية والنقدية جزءً منفصلاً عن بقية السياسات المستخدمة من قبل الدولة؛ فالسياسة المالية والنقدية تلعب دوراً مهماً في مواجهة الأزمات الداخلية للدولة، حيث تنتهج الحكومة في نفقاتها خططاً مدروسةً في السياسة المالية، عُرفت بأنّها الإجراءات والقرارات كافة النقدية وغير النقدية التي تؤثر على النظام النقدي، وكذلك هي سيطرة وتحكّم البنك المركزي في معدلات أسعار الفائدة وكمية النقود لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية، أما الجانب المالي، فهو يمثل دور الحكومة في فرض الضرائب المباشرة وغير المباشرة وتحصيل إيرادات يتمّ إنفَاقها في مجال الخدمات العامة للأفراد، وخاصة الإنفاق الحكومي على مجالات رأس المال الاجتماعي، وعليه، يُقصد بهذه السياسة استخدام السلطات العامة لإيرادات الدولة من الضرائب والقروض العامة ونفقات الدولة التي تجمعها مع ميزانيتها، وينصبّ ذلك لهدف واحد مشترك في سبيل مواجهتها تجاه مسؤولية الدولة في تحقيق أهداف اقتصادية مختلفة، في مقدمتها الاستقرار الاقتصادي بكلّ جوانبه.

Introduction

Financial and monetary policy is no longer regarded as a domain separate from other state policies. Rather, financial and monetary policies play a vital role in confronting a state's internal crises. In its expenditures, the government adopts carefully designed financial plans, which are defined as the totality of monetary and non-monetary measures and decisions that influence the monetary system. This also includes the central bank's control and regulation of interest

rates and the money supply in order to achieve political and economic objectives.

As for the financial aspect, it represents the government's role in imposing direct and indirect taxes and collecting revenues that are spent on public services for individuals, particularly on social capital. Accordingly, this policy refers to the use of public authority over state revenues derived from taxes and public borrowing, as well as state expenditures incorporated within the budget. All of this is directed toward a single common objective: fulfilling the state's responsibility to achieve various economic goals, foremost among them overall economic stability in all its dimensions.

لمحة تاريخية لظهور النظام المالي والنقدي في العراق:

تُعدُّ الحضارة السومرية في بلاد ما بين النهرين أولى الحضارات في تاريخ البشرية، حيث يرجع تاريخها إلى ٣٤٢٠٠٠ ق. م.، فهذه الحضارة هي التي أنتجت فنون الزراعة والإنتاج الزراعي والحرفي إلى قيام الدولة وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

ولم تكن الحاجة إلى النقود ضرورة ملحّة؛ حيث كان الهدف من الإنتاج هو الإشباع فقط، ولكن بعد ظهور الفائض، تم التبادل في الإنتاج، وأصبح هناك ضرورة للنقود، حيث ظهرت النقود في الحضارة السومرية عام ٣٥٠٠ ق. م.، وبعدها في الحضارة الأكدية على يد سرغون الأول ملك أكاديا، ووُجِدَت بعض المسكوكات عليها صورة الملك سرغون(١).

ولم تنشأ النقود دفعة واحدة، بل نشأت مع تطور المجتمعات البشرية الأولى من التاريخ البشري؛ حيث كان حجم المجتمعات البشرية قليلاً، وكانت الحرفة الأولى التي عرفها الإنسان هي الصيد، وتدريجيًا مع ازدياد حجم التجمعات وتطورها، ظهرت الزراعة والصناعة، وبالتالي أدت الضرورة والحاجة إلى نظام المقايضة(٢)، وهذا مهّد الطريق إلى ظهور النقود، وكان هذا كما ذكرنا سابقاً في الحضارة السومرية التي أول ما عُرفت النقود في تعاملاتها، وكانت العملة آنذاك مصنوعة من الذهب والفضة، وبعد ازدياد التبادل التجاري، تطورت العملة النقدية بأشكالها الحالية(٣).

لم يكن العمل المصرفي كياناً منفصلاً، إذ كان المتعاملون بهكذا نشاط يمارسونه كنشاط ثانوي إلى جانب نشاطاتهم التجارية أو الصناعية، وكنتيجة لذلك ظهرت الحاجة إلى وجود مؤسسات تعمل على أَنْ تصبح مسؤولة عن إدارة العمل المصرفي تتميز بالاستقلالية عن المؤسسات الاقتصادية الأخرى التي كانت يتم التعامل بها، فظهرت المصارف، حيث عرف العراقيين أربعة مصارف أجنبية منذ عام ١٨٩٠م وهي:

١- البنك العثماني.
٢- البنك الشاهي الايراني.
٣- أيسترن بنك ليميتد الشرقي.
٤- بنك دي روما الايطالي.

نشأ الجهاز المصرفي العراقي بمرحلتين أساسيتين، أولهما امتهان بعض التجار الاقراض كحرفة والحفاظ على ما يؤتمنون عليه من ودائع نقدية وعينية تعود لأشخاص آخرين، أما الثانية فافتتاح البنك العثماني أول فرع له في العراق عام ١٨٩٠م، حيث أسهم في تسهيل معاملات الاستيراد والتصدير، ثم بعد ذلك افتتح فرعان في البصرة وبغداد عام ١٨٩٢م، لكن أغلقا عام ١٨٩٣م، ثن أعيد فتحهما عام ١٩١٦-١٩١٨م، على التوالي.

ثم قام البنك الشرقي المحدود عام ١٩١٢م بفتح أول فرع له في بغداد، وكذلك افتتح البنك الشاهنشاهي الايراني أول فرع له في البصرة، وفي عام ١٩١٦م أجيز بنك روما الايطالي بممارسة الصيرفة كمصرف في ١٣ أيلول ١٩٣٨م(٤).

النظام المالي والنقدي في العراق ١٩٢٠-١٩٢٦م:

تعتبر مرحلة الروبية الهندية في العراق منذ عام ١٩٢٠م من أخطر المراحل التي مرت بها السياسة المالية والنقدية في العراق؛ كون النظام النقدي العراقي تم ربطه مع النظام النقدي الهندي والبريطاني، مما جعل السياسة النقدية والمالية العراقية مستعمرة نقدية من قبل بريطانيا، ولا تمتلك لأبسط مقومات السيادة المالية كون القوات البريطانية كانت أغلبها من الهند، لذلك كانت الرواتب تدفع بالروبية، وحتى المشتريات، وعليه ارتبط العراق مالياً وإدارياً بحكومة الهند البريطانية، وبالتالي كان الغطاء النقدي مرتبط بالروبية وكون الروبية مرتبطة بالجنيه الاسترليني، وهذا ما وفّر استقراراً مالياً للدولة، كما وألزمت حكومة الهند البريطانية العراقيين بدفع الضرائب والرسوم بالروبية وإيداعها في المصارف وخصوصاً البنك العثماني والبنك الشرقي اللذان كانا يعملان كوكلاء لتوزيع الروبية الهندية في الأسواق العراقية ويكون التعامل بها تجارياً، كما وحدد سعر صرف الروبية مقابل الاسترليني كل (١٥) روبية وهو ما ربط القوة الشرائية للعراقيين بالتقلبات الاقتص

ادية في لندن ودلهي، ومع ذلك كان لذلك فوائد ومساوئ، من السلبيات:

١- نزوف الثروة أدى إلى استخدام الروبية إلى تحويل المدخرات العراقية إلى أوراق هندية، مما يدلّ على أَنَّ العراق سيقدم قروض بلا فوائد، وبذلك فَقَدَ السيادة والسياسة النقدية للبلد، ولم يكن للحكومة العراقية الجديدة بعد عام ١٩١٢م أيّ سلطة إصدار عملة نقدية أو حتى التحكم في حجم الكتلة

النقدية، كما وأنّ الميزانية العراقية كانت تعدّ بالعملة الروبية، وعليه أي خلل أو تدهور في الاقتصاد الهندي ينعكس سلباً على حياة الفرد والحكومة العراقية[٥].

أما الآثار الإيجابية:

١- توحيد العملة: أدى إلى القضاء على فوضى العملات المتعددة والسائدة وخصوصاً التي كانت سائدة أبن العهد العثماني.

٢- تسهيل التجارة: حيث أَنَّ العملة الروبية كانت قوية ومقبولة دولياً خصوصاً في الخليج العربي والهند مما سهل عمليات الاستيراد والتصدير.

٣- صراع الدينار العراقي من أجل الخروج من التبعة: على أثر ذلك أخذ النقد الوطني يأخذ مدى واسع في منتصف العشرينات، وأصبحت الحكومة العراقية أمام ضغوطات من قبل النخب الوطنية والمثقفين الذين اعتبروا الروبية رمزاً للاستعمار، ونتيجة لذلك جرت مفارقات بين بريطانيا والحكومة العراقية، حيث خشيت بريطانيا من أَنْ يؤثر انسحاب العراق من منطقة الروبية وإصدار عملة جديدة ونهج سياسة مالية ونقدية من شأنها التأثير على استقرار العملة في الهند[٦].

وتعتبر العلاقة بين التطور المالي والنقدي وثيقة جداً، في توظيف السياسة الاقتصادية للدولة نحو تحقيق رفاهية اقتصادية للفرد، من خلال التطبيق الصحيح للأنظمة المالية والنقدية المتطورة، فالعلاقة بين هاتين السياستين تمثلان العناصر الرئيسة للاقتصاد العام للدولة، حيث يرتبط بعضها مع البعض، مما يتوجب الملائمة باستمرار بين الإجراءات والتدابير المتخذة من قبل السلطات المالية، مع الإجراءات والتدابير التي تتخذها السلطات النقدية[٧].

لقد كانت هناك عوامل عدة أثرت على رسم السياسة المالية والنقدية في العراق، وتباين أثرها على سياسة العراق المالية، حيث أسهمت برسم الشكل العام لها، وتحكمت بمداها القريب والبعيد.

تعرض العراق إلى أحداث سياسية كثيرة، أربكت أوضاعه المالية والنقدية في رسم خطط مالية مستقبلية، لكن هذا الأمر جعل من الصعب التنبؤ بأوضاعه المالية، خصوصاً مع جعل العراق مرتبطاً بالدولة العثمانية قرابة (٤) قرون، حيث تدهورت أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، خصوصاً مع جعل خيرات العراق وموارده في خدمة الدولة العثمانية وتحكمها بالسياسة المالية، ولذلك مارست الدولة العثمانية سياسة مالية تطابقت مع ما يخدم مصالحها المالية، فعانى العراق والفرد العراقي من عُسر مالي، خصوصاً مع كثرة الاقتراض، وبالتالي أثر ذلك على ضعف القيمة المالية للعملة العراقية، وحاولت الإدارة العثمانية إيجاد حلول لهذه المشكلة من خلال إصدار قانون أجلت فيه تسديد الديون[٨].

وهناك وسائل وأدوات مكملة للسياسة المالية والنقدية، لأجل تحقيق أهداف معينة عن طريق الميزانية العامة للدولة، منها: إقامة المشاريع الخدمية والاجتماعية، والتنويع في الضرائب المباشرة سواء بزيادتها أو تخفيضها[٩].

عانت الدولة العراقية في بداية تكوينها من نقصٍ واضحٍ في خزينتها المالية، وذلك لإقدام بريطانيا على سحب الموجودات النقدية في العراق، وتحويلها إلى ميزانية حكومة الهند[١٠]، وعليه تقيّدت خطوات الحكومة وأصبح المجال أمامها ضيقاً، خاصة أن التركة التي خلّفها العثمانيون والبريطانيون في سنوات احتلالهم المباشر كانت ثقيلة، وكان على الحكومة أن تقوم بأعباء بناء الدولة الناشئة، مما يتطلب موارد مالية واسعة.

بلغت ميزانية الحكومة لسنة ١٩٢١–١٩٢٢م، التي تقدّمت بها وزارة المالية إلى مجلس الوزراء، ستمائة وثمانية وتسعين ألف وخمسمائة وثمانية وسبعين روبية، وقد تأخر تقديمها إلى المجلس لعدة أسباب، منها تأخر الدوائر الحكومية في إعداد ميزانيتها لكونها تمثل تجربة أولى لدوائر الدولة، وقد حُدِّدت السنة المالية بالأول من نيسان ١٩٢١م وحتى نهاية آذار ١٩٢٢م.

وقد شملت الميزانية ألوية: البصرة، والمنتفك (ذي قار)، والموصل، والحلة، والديلم (الأنبار)، والعماره، وبغداد، وديالى، وكركوك، واستُثني لواء السليمانية وإدارة سكة الحديد من حساباتها، لربط ميزانيتها بديوان المندوب السامي[١١].

ومن الظواهر التي تدعو للدهشة، أن تُقدّم وزارة المالية ميزانية المصروفات متطابقة مع قائمة المدخولات، والمثير للاستغراب في هذا الجانب أنّ الأرقام تتطابق حتى في حساب الأعداد العشرية للروبيات، بعد أَنْ قسّمت المصروفات إلى أحد عشر باباً[١٢].

اعتبرت السياسة المالية والنقدية في العراق خلال فترة الانتداب والاحتلال البريطاني والعثماني تقليداً في سياستهما المالية في العراق، إذ لم يكن للعراق برنامجاً مالياً خاصاً به، حيث كان تابعاً للدولة العثمانية، أما خلال الانتداب البريطاني، فكانت السياسة المالية نفسها التي استخدمها في الهند؛ حيث ارتبطت العملة العراقية بالهندية[١٣].

حيث تضمنت أدوات النظام المالي والنقدي في العراق أمرين هما: النفقات العامة والإيرادات العامة، وتشمل النفقات العامة جميع المصروفات التي تقوم بها الدولة، أما الإيرادات العامة فتشمل ما تحصل عليه الدولة من أموال ونقد[١٤].

وبعد ظهور العجز في ميزانية السنة المالية ١٩٢١-١٩٢٢م، حاولت الحكومة أن تقوم بإجراء وقائي كان الغرض منه تقليل مخاطر العجز على ميزانية ١٩٢٢-١٩٢٣م، خاصة أنّ احتمال ظهور العجز فيها كان وارداً، فقامت بتأليف لجنة للتوفير برئاسة وزير المالية، ووضعت جدولاً لأعمالها في قسمين، الأول يتعلق بإحداث تغيير في أعمال الدولة ومطالبة بتخفيض تدريجي في عدد الموظفين العراقيين المشمولين بقانون التقاعد ورواتب الضباط ذوي الرتب الصغيرة في الجيش والشرطة، وتخفيضات أخرى شملت الموظفين الأجانب، والمخصصات، والنقل بالسيارات في الدوائر، ومخصصات النقل للموظفين، أما القسم الثاني من جدول أعمال اللجنة، فقد كُرِّس بتخفيض بعض النفقات في ميزانيات دوائر الحكومة أو إلغائها، وعلى الرغم من أنّ اللجنة باشرت أعمالها، واستطاعت أن تحقق شيئاً من التوفير، إلّا أنّ انخفاض واردات الميزانية لسنة ١٩٢٢-١٩٢٣م كان السبب في ظهور العجز[١٥].

تشكلت في ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٢٠م حكومة مؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب (١٨٤٥-١٩٢٧م) أُسندت لشخصية ساسون حسقيل (١٨٦٥-١٩٣٢م) الأمور المالية بعد رفضه لاستلام المنصب، لكن الحكومة البريطانية اقنعته، وبذلك سيطرت الحكومة البريطانية على الشؤون المالية العراقية[١٦].

عمل المعتمد البريطاني برسيس كوكس على اختيار أعضاء الحكومة المؤقتة والغرض من ذلك إيجاد حكومة تساند البريطانيين لاستمرار بقائهم في العراق، فكان ساسون حسقيل من بين الوزراء المعنيين للمالية، وعليه قدم ساسون اقتراح في كتابه المرقم ٦٩٩٩/١/١٦ والمؤرخ في ١٣ تموز ١٩٢١م نشر ميزانية الأوقاف ميزانية ملحقة، وفي غضون ذلك الوقت وافق مجلس الوزراء على طلبه، وبهذا صارت مالية الأوقاف مستقلة وغير تابعة للخزينة العمومية للدولة العراقية من حيث الايرادات والمصروفات، وفي جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في الحادي والثلاثين من كانون الثاني ١٩٢١م نوقشت مسألة المتقاعدين من المدنيين الذين خدموا في الدولة العثمانية وتقدير رواتبهم أثناء مدة خدمتهم[١٧].

رسمت بريطانيا سياستها المالية في العراق بما يخدم مصالحها بعد المصادقة على المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٢٢م، حيث أكدت على السياسة المالية والنقدية في العراق، وبذلك قيدت المعاهدة السياسة المالية العراقية، فلا تسمح بتقديم أو حتى اقتراح قانون فيه صرف مالي[١٨].

وعلى ذلك وجهت الحكومة العراقية دعوة إلى السير هلتن يانغ الخبير البريطاني ليضع في تصوره الوضع المالي العراقي ورفع تقرير إلى الحكومة البريطانية والعراقية، والذي تضمن خطوات يجب العمل بها لتأمين الميزانية والدفع المالي للعراق وكما يلي:

١- حاجات العراقية من الدفاع والأمن والإدارة والترقي.

٢- شروط الانفاق المالي المعقودة بين بريطانيا والعراق.

٣- ما يتوجب على العراق من ديون مالية للدولة العثمانية.

وبذلك قللت الحكومة العراقية المصروفات وعدد الموظفين وزادت الرسوم الجمركية والضرائب[١٩].

وخلال السنوات اللاحقة، ظهر نوع من الثبات في الميزانية، حتى أنّها استطاعت أن تسدّ العجز عن السنتين الماليتين ١٩٢١-١٩٢٢م و ١٩٢٢-١٩٢٣م، وتحقيق فضلة في ميزانية ١٩٢٤-١٩٢٥م مقدارها ٦٩٤ ألف دينارًا، إلّا أَنَّ الديون العثمانية العمومية ودفع العراق حصّته منها سنوياً في ضوء معاهدة لوزان، كانت تمثل مشكلة تعترض الميزانية واستقرارها[٢٠].

يُضاف إلى ذلك التعهد الذي قطعته الحكومة العراقية في نص المادة الرابعة من الاتفاقية المالية الموقعة في ٢٥ آذار ١٩٢٤م والملحقة بمعاهدة ١٩٢٥م العراقية البريطانية (بأن تخصص حكومة العراق ما لا يقل عن ٢٥ بالمائة من إيرادات العراق لسدّ نفقات الدفاع عن العراق والمحافظة على الأرض فيه)[٢١]، ما أضاف عبئاً أرهق إيرادات خزينة الدولة الناشئة.

وخلال السنوات الأولى من عهد الانتداب، كانت الجهات الرسمية تشكو بصورة دائمة من ضآلة الميزانية، حتى أنّها كانت تضع مبرر (قلة الميزانية وضآلة مواردها) كلما طُلِب منها تحقيق مشروع ما، حتى غدا جواباً مكرراً من الحكومة[٢٢].

وفي العام ١٩٢٥م، عُرضت الميزانية المالية على المجلس النيابي للمصادقة عليها، ورغم أنّ المناقشات دارت حولها، إلّا أنّ تغييراً هاماً لم يطرأ عليها، وقد تأخر موعد المصادقة حتى ٢٨ تشرين الأول، مما كان له الأثر في تأخير أعمال بعض المديريات[٢٣].

إنّ التحسّن الذي ظهر في الميزانية العامة، كان يكمُن في امتناع الحكومة عن وضع الأقساط السنوية للدين العثماني، وتقليص الإنفاق، وفي محاولة للوصول إلى ميزانية متعادلة، وصلت إلى العراق لجنة "هيلتن يانغ – فرنن"، التي قدمت تقريرها في نيسان ١٩٢٥م، وكان من بين الاقتراحات التي تقدمت بها زيادة الضرائب كمحاولة لرفع إيرادات الحكومة، إلّا أنّ هذا المقترح لم يجد القبول لدى الحكومة[٢٤]،

فاستمرت في تأجيل دفع قسط الدين العثماني، فخلال العام ١٩٢٥م عُدَّ مبلغ ٢٠ لك روبية الذي خُصِّص للدين العثماني ديناً فأجّل الدفع حتى إنّه لم يُصرف وقد أُودِعَ في المستودع[٢٥].

وقررت السياسة البريطانية تقديم المساعدة المالية إلى الحكومة العراقية خلال سنواتها الأولى، على شكل قروض، وقد وضعت في اعتبارها أن تضمّنها واردات الدولة[٢٦]، وعززتها بعقد معاهدة ١٩٢٢م التي نصت المادة ١٥ منها على عقد اتفاقية مالية، تُسوّى فيها تسليم المرافق العمومية وتقديم المساعدة المالية التي تحتاجها الحكومة العراقية، وتصفية الديون المترتبة بذمتها نحو بريطانيا، فيما ربطت المادة الرابعة من المعاهدة العراق بالمشورة البريطانية؛ بسبب الديون التي كانت تنوأ بها حكومة العراق لبريطانيا، فيما ضمّنت تكبّد ميزانية العراق أعباء مصاريف الحكومة المدنية والإدارة ورواتب المعتمد السامي البريطاني ومصاريفه ومصاريف حاشيته بصورة تامة من خلال نص المادة الثالثة عشر[٢٧]، وقد حددت الاتفاقية المالية المعقودة بين الحكومة العراقية وبريطانيا في ١٥ آذار ١٩٢٤م، والملحقة بمعاهدة ١٩٢٥م العراقية – البريطانية شكل وقيمة الديون المترتبة بذمة الحكومة نحو ثلثي قيمتها، فقد نصّت المادة الخامسة من الاتفاقية على موافقة بريطانيا على نقل المرافق العمومية، مثل مشاريع الري، والطرق والجسور، والبريد والبرق والهاتف بقيمة ٩,٤٠٩,٥٤٠ وربية. وعدّت المادة السابعة المبلغ المذكور دَيناً، يقتضي تسديده بأقساط سنوية خلال مدة معينة مع احتساب فائدة سنوية قدرها ٥ بالمائة، وتسديد الدين على مدى عشرين سنة[٢٨]، كما نصت المادة الثامنة على موافقة بريطانيا على نقل ملكية السكك الحديد بمبلغ قدره ٤٧,٨٥٩,٨٨٤ روبية، على أن يُسدَّد بأقساط سنوية خلال خمسة وعشرين سنة، أما المادة العاشرة فقد نصّت على فصل إيرادات الميناء التي عُدّت مبلغًا ٧,٢١٩,٠٠٠ روبية ثمناً للميناء في ذمة أمانة الميناء يجب أن يُسدَّد إلى بريطانيا[٢٩].

وبقيام الحكم الوطني في العراق، وظهور التشكيلات الإدارية، برز الاتجاه نحو إصدار عملة نقدية وطنية كمظهر من مظاهر الاستقلال الوطني، وبدأت الحكومة تدرس موضوع العملة منذ عام ١٩٢٢م[٣٠].

واستمرت الحكومة في مساعيها لإنجاز موضوع العملة، حيث قرر مجلس الوزراء وفي ٢٢ حزيران ١٩٢٦م، سفر وزير المالية ومستشارها إلى لندن لإنهاء بعض المسائل المالية الهامة، وكان من بينها موضوع العملة العراقية، التي أكد المجلس على ضرورة دراستها مع الدوائر المالية البريطانية، وتوكيد رغبة الحكومة في أن يكون لها عُملة خاصة بها[٣١].

وقد تقرر مبدئياً القيام بمشروع العملة العراقية بدون وساطة بنك، وأنيطت المهمة إلى لجنة للعملة يكون بعضها في لندن، حيث يقومون بسكّ الأوراق النقدية والعملة المعدنية وإصدارها بقيمها المختلفة، وكان الرأي أن يقوم وكلاء التاج بدفع المبالغ اللازمة لإتمام المشروع، إلى أن يتمّ التداول، وقد وافقت وزارة المستعمرات البريطانية على هذا الترتيب(٣٢).

وبقيام الحكم الوطني في العراق وبروز تشكيلات إدارية ازدادت المطالب الشعبية والسياسية لإصدار عملة نقدية وطنية والتي تعتبر من أهم مظاهر الاستقلال، وعليه أخذت الحكومة العراقية دراسة موضوع السياسة النقدية والمالية وإصدار عملة وطنية عراقية، وبالفعل أخذت الدراسة حيز التنفيذ حيث قرّر مجلس الوزراء المنعقد في ٢٢ حزيران ١٩٢٥م تأكيد رغبة الحكومة على أنْ يصبح للعراق سياسة نقدية ومالية خاصة به، أي يقوم بإصدار عملة نقدية خاصة بالعراق، وكذلك بناء مؤسسات مالية وتشكيل موازنات عامة في المرحلة المقبلة، وهذا ما سوف يساعد بالانتقال التدريجي نحو بناء دولة ذات سياسة مالية ونقدية قوية(٣٣)، ويمكنه من أهم أهداف السياسة المالية والنقدية ممزوجة معاً.

النقدية:

١- استقرار المستوى العام للأسعار وهو هدف اقتصادي.

٢- العمالة الكاملة وتحقيق الأهداف الاجتماعية.

٣- زيادة النمو الاقتصادي وتحقيق استقرار سياسي(٣٤).

الخلاصة

١- إيجاد قاعدة للسياسة النقدية والمالية سوف يحقق استقراراً، وهذا سوف يؤدي إلى محاصرة أو تحجيم التقلبات النقدية.

٢- تحقيق معدلات نمو اقتصادية في مختلف القطاعات بما يحقق في الناتج المحلي الإجمالي والدخل القومي.

٣- العمل على حماية العملة من التعرض للتقلبات الواسعة.

٤- إيجاد نظام ضريبي موجّهٍ نحو تشجيع العرض والانتاج بدلاً من التوجه نحو الطلب الكلّي وتحفيف الضرائب بما يتفق مع توازن الانفاق الحكومي.

٥- تحقيق استقرار المؤسسات المالية والمصرفية عن طريق تنظيم علاقة بين المؤسسات المالية والنقدية والعمل على تحفيز المدخلات.

٦- السياسة المالية والنقدية عملت على تفاوت توزيع الدخل عن طريق تقليصها بين الدخول القابلة للإنفاق وفئة تقليل تكديس الثروات والدخول لدى فئات معينة من أفراد المجتمع.

٧- أنَّ السياسة المالية على عكس المالية لها انعكاسات مباشرة على سعر صرف العملة وعلى تدفق رؤوس الأموال من الخارج وإلى الخارج.

٨- أخيراً وعلى الرغم من أنَّ السياسات المالية والنقدية لها انعكاسات على كافة القطاعات في الاقتصاد، إلّا أنَّ فرص تركيز التأثير المباشر على قطاعات معينة ولغايات اجتماعية محدودة متاح أكثر في السياسة المالية منها في النقدية.

الهوامش

(١) كنعان علي كنعان، النقل والصيرفة والسياسة النقدية، دار المنهل اللبناني، ط١، ٢٠١٢م، ص٥٤-٥٥.

(٢) أكرم حداد – مشهور هذلول، النقود والمصارف: مدخل تحليلي ونظري، دار وائل للنشر، ط٢، ٢٠٠٨م، ص١٥.

(٣) ناظم محمد نور الشمري، النقود والمصارف النقدية، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ص٧٤.

(٤) ستيفن همسلي لوكنريك وفرانك، العراقية منذ فجر التاريخ حتى ثورة تموز ١٩٥٨م، ترجمة: مصطفى نعمان أحمد، مكتبة مصر ودار المرتضى، ٢٠٠٩م، ص١٥-٢٩.

(٥) مذكرات جعفر العسكري، تحقيق وتقديم: نجدة فتحي صفوة، دار السلام، لندن، ١٩٨٨م، ص٢١-٢٢.

(٦) دراسات البنك المركزي العراقي، إحصائية الكتلة النقدية من الروبية، ص٢٠-٢٥.

(٧) جمال خريس – أيمن أبو خضير – عماد خصاونة، النقود والبنوك، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص١٠١-١٠٩.

(٨) أمل مخلف عبد الوهاب، سياسة العراقية المالية في مناقشات مجلس النواب العراقي (١٩٢٥-١٩٣٢م)، رسالة ماجستير منشورة، المثنى، ٢٠٢٢م، ص١١-١٣.

(٩) إسماعيل محمد هاشم، السياسة النقدية للمتغيرات الاقتصادية في النظم المصرفية، المكتب العربي الحديث، ٢٠١١م، ص٢١٧-٢١٨.

(١٠) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات، ج١، ص٢٩.

(١١) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة ٣١١/١٢٤٢، الأوراق ٣٠٢، مذكرة مرفوعة إلى مجلس الوزراء عن ميزانية ١٩٢١-١٩٢٢م، المالية.

(١٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة ٣١١/١٢٤٢، ص٧ المصروفات.

(١٣) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ص١٨.

(١٤) تطور النظام النقدي في العراق، مجلة الأستاذ، مكتبة التربية، بغداد، ١٩٦٢م، ص١٠.

(١٥) سعيد حمادة، المصدر السابق، ص٤٧٤.

(١٦) لمعرفة المزيد ينظر: أمل مخلف عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٩٢.

(١٧) علي رياض كويد الفتلاوي، وزارة المالية ودورها في بناء الدولة العراقية ١٩٢٠-١٩٣٢م، بحث منشور في مجلة الدراسات الإنسانية والعلوم التربوية، عدد (٥)، أيار ٢-٢٤م، ص٢٣٧.

(١٨) فاروق صالح المعمر، المعاهدات العراقية البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢-١٩٤٨م، بغداد، دار الحرية، ١٩٧٧م، ص١١١-١١٥.

(١٩) للمزيد ينظر: حسين جميل، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨-١٩٣٥م، لندن، دار أقلام، ١٩٨٧م، ص١١٢-١٢٠.

(٢٠) سعيد عبود السامرائي، السياسة المالية في العراق، النجف، ١٩٧٦م، ص٤٦.

(٢١) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ص٣٣٢.

(٢٢) جريدة العالم العربي، العدد (١٠٢)، ٢ تموز ١٩٢٤م.

(٢٣) التقرير البريطاني لسنة ١٩٢٧م، المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٤) سعيد عبود السامرائي، السياسة المالية، ص٤٨.

(٢٥) التقرير البريطاني لسنة ١٩٢٧م، المصدر السابق، ص١٠٢.

(٢٦) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص١٨٧-١٨٨.

(٢٧) عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ص٧٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٢٩) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة ٣١١/١٤٤١، الأوراق ٢٣، ٢٤، الاتفاقية المالية.

(٣٠) عبد الرحمن الجليلي، النظام النقدي في العراق، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٠٩-١١٠.

(٣١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٦٠.

(٣٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة ٣١١/١٣٦١، ص١٨، من سكرتير مجلس الوزراء إلى المعتمد السامي البريطاني في ٢٥ تموز ١٩٢٦م/سري.

(٣٣) فرحان محمد حسن الذبيحاوي، اتجاهات السياسة المالية العراقية انموذجاً، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠١٣م، ص٤٠-٤٨.

(٣٤) للمزيد ينظر: حذيفة حسين محي الطهمازي، دور السياسة المالية والنقدية في تحقيق النمو الشامل – تجارب دول مختارة مع إشارة خاصة للعراق، رسالة ماجستير، منشورة، ٢٠٢٣م، جامعة كربلاء، كلية الإدارة والاقتصاد، ص٤٦–٥٠.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

التعديلات الدستورية في الولايات المتحدة الامريكية: الحقوق المدنية انموذجا (١٧٩١-١٩٦٥) : دراسة تاريخية

م.د عامره عبد الحسين مطلك الخزعلي
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات
amrah.a@coeduw.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

هدف البحث الى دراسة التعديلات الدستورية للحقوق المدنية في الولايات المتحدة الامريكية وتحليلها، منذ اصدار دستور الولايات المتحدة ١٧ ايلول ١٧٨٧؛ وبداية اولى التعديلات الدستورية في مرحلة الاعمار أي ما بعد الحرب الاهلية الامريكية، وصدور التعديل الخاص بحقوق التصويت للمواطنين الامريكيين، فضلا عن التعديلين الرابع عشر والخامس عشر ، والتي اسهمت في تأطير الحقوق المدنية بشكل رسمي وقانوني ، لكن تطبيقها تطلب المواجهة والصدام التي حالت دون تحقيق العدالة والمساواة المدنية بين الولايات الامريكية، ولاسيما الجنوبية التي تميزت بسياساتها العنصرية، اعتمدت الدراسة على المنهج السردي التاريخي والمنهج التحليلي والمزاوجة بينهما، وتوصل البحث الى ان التعديلات الدستورية للحقوق المدنية الامريكية اصبحت الحجر الاساس لضمان الحريات والحقوق على الرغم من انها تعديلات قد شُرعت، الا انها تطلبت استمرار في النضال من قبل المتضررين من المواطنين الامريكيين للوصول الى نقطة تقبل كل الولايات لتلك التعديلات والقضاء على التميز العنصري الذي لايزال متفشي للغاية يومنا هذا.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة لفهم اعمق للتعديلات الدستورية الخاصة بالولايات المتحدة الامريكية وعلى وجه الخصوص الحقوق المدنية حتى عام ١٩٦٥، والتي هدفت الى ضمان الحقوق وفق تعديلات واجهت رفض بعض الولايات وصلت حد الصدام المسلح مثل التعديل الثالث عشر الذي الغى العبودية، والرابع عشر والخامس عشر، إذ واجهت تلك التعديلات تحديات صارمة نتج عنها الحرب الامريكية الاهلية، لذلك سنتطرق الى مدى فاعلية تلك التعديلات وماهي اهم التحديات التي واجهتها؟ وهل نجحت

تلك التعديلات في تحقيق العدالة والمساواة في كافة ارجاء الولايات الامريكية الشمالية والجنوبية؟ كما ان الدراسة ساعدت الى حد كبير في فهم اعمق لجذور التمييز العنصري الذي كان متفشي في الولايات المتحدة الامريكية.

المقدمة:

اكتسبت دراسة موضوع التعديلات الدستورية في الولايات المتحدة الامريكية، اهمية لاعتبارات عدة منها ما هو سياسي واجتماعي والتي اثرت بشكل واضح على تطور الدستور الامريكي بشكل خاص والولايات المتحدة الامريكية كدولة بشكل عام، فالتاريخ الامريكي مليء بالأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وهذا ما دفعنا لاستقراء هذا الموضوع من تاريخها الحديث، من خلال دراسة موضوع شائك الا وهو **(التعديلات الدستورية في الولايات المتحدة الامريكية: الحقوق المدنية انموذجا ١٧٩١-١٩٦٥)**.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مقدمة ومطلبين وخاتمة، اوضحنا من خلالها اهم ما توصل اليه البحث، واخيرا قائمة بأهم المصادر التي استخدمت بهوامش البحث، تناول المطلب الاول والذي جاء بعنوان**(الخلفية التاريخية للحقوق المدنية في الولايات المتحدة الامريكية)** تعريف لمعنى الحقوق المدنية، واكدنا من خلال هذا المطلب على ان الدستور الامريكي هو اقدم وثيقة تاريخية رسمية في الولايات المتحدة الامريكية، اما السبب الرئيسي لسنه في بادئ الامر كان لتنظيم التجارة بين الولايات الامريكية، بعد حرب الاستقلال الامريكية(١٧٧٤-١٧٨٣)، وصولا الى اقراره بشكل رسمي بكافة بنوده في (٣اذار ١٧٨٩، ليتم انفاذه والعمل به بعد يوم واحد فقط أي في ٤ اذار من العام نفسه، اما المطلب الثاني:**(التعديلات في دستور الولايات المتحدة الامريكية)**، فقد ناقش اهم التعديلات الخاصة بالحقوق المدنية **والتي شملت التعديل الثالث عشر** الذي نص على الغاء العبودية والاسترقاق، والتعديل الرابع عشر لدستور الولايات المتحدة الذي نص على تعديل الحقوق المدنية لعام١٨٦٨، والذي نص على اعادة الاعمار بعد الحرب الاهلية الامريكية(١٨٦١-١٨٦٥)، كما نص على ضمان المساواة في الحقوق المدنية والقانونية للمواطنين السود، وكان من أهم بنوده منح الجنسية لجميع الأشخاص المولودين أو المجنسين في الولايات المتحدة، وبالتالي منح الجنسية للأشخاص الذين كانوا مستعبدين، فلا يحق لأي ولاية حرمان أي شخص من تلك الحقوق.

اعتمدت الدراسة على مصادر عدة مهمة في مجملها، ذات علاقة مباشرة بتاريخ الولايات المتحدة الامريكية في تلك المدة، كان لها دور في تدعيم وترصين البحث ومن الله التوفيق.

اولا: الخلفية التاريخية للحقوق المدنية في الولايات المتحدة الامريكية:

عُرفت الحقوق المدنية بأنها حقوق المواطنين في الحرية السياسية والاجتماعية والمساواة، وتشير إلى الإجراءات الإيجابية التي ينبغي للحكومة اتخاذها لخلق ظروف متساوية لجميع الأمريكيين، وغالبًا ما يرتبط مصطلح "الحقوق المدنية" بحماية الأقليات، مثل الأمريكيين من أصل أفريقي، واللاتينيين، والنساء، تتعلق الحقوق المدنية بالحق الأساسي في عدم التعرض للمعاملة غير المتكافئة بناءً على خصائص العرق، الجنس، الإعاقة، إلخ، وفي مجالات مختلفة مثل العمل، والتعليم، والسكن، والوصول إلى المرافق العامة، وفي حالات محددة يحدث انتهاك للحقوق المدنية، ومن الجدير بالذكر ان معظم قوانين الحقوق المدنية تُسنّ من قبل الحكومة الفيدرالية عبر التشريعات الفيدرالية أو القضائية[١].

كما عرفت الحريات المدنية بانها حالة الخضوع للقوانين الموضوعة لصالح المجتمع، وخاصة فيما يتعلق بحرية التصرف والتعبير، وهي حقوق فردية يحميها القانون من التدخل الحكومي أو غيره من التدخلات غير العادلة، لكن الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية كانت غير متساوية، مما ادى الى حرمان فئات بما فيهم النساء والأقليات التي كافحت لتحقيق مستوى أعلى من المساواة على مر التاريخ[٢] .

تاريخياً، عُد دستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي كُتب عام ١٧٨٧، وصُدِّق عليه عام ١٧٨٨، وبدأ العمل به عام ١٧٨٩، كأطول دستور مكتوب في العالم ولا يزال ساريًا حتى الآن، وهو اقدم ميثاق ووثيقة تاريخية في الولايات المتحدة الامريكية، سُنَّ عقب حرب الاستقلال الامريكية في مؤتمر فيلادلفيا لعام ١٧٨٧ بحضور ١٢ ولاية بتمثيل ٥٥ مندوب عن المستعمرات الامريكية آنذاك، برز اسم جيمس ماديسون[٣] في كتابة الدستور حتى انه لقب بـ (ابو الدستور)، ومن الجدير بالذكر، ان السبب الرئيسي لسن الدستور كان لتنظيم التجارة بين ولايتي فرجينا وميريلاند لتداخل تجارتهم في نهر البوتوماك، لكن تطور الامر لتتداخل مصالح بقية الولايات وتطالب بتنظيم تجارتها ايضاً، لذلك اصدر الكونغرس الامريكي دعوة رسمية في شباط ١٧٨١ لعقد مؤتمر ثاني في ١٤ ايار ١٧٨٧ في ولاية فيلادلفيا، ووفق ذلك عينت الولايات(٧٤) مندوب اطلق عليهم تسمية (واضعو الدستور) شملت كل فئات لشعب الامريكي آنذاك، وكانت اولى الولايات المتخلفة عن الحضور هي ميريلاند خوفاً على ما سيترتب على اقتصادها رفضت المشاركة في المؤتمر، لذلك كان الحضور قد اقتصر على ١٢ ولاية مثلها ايضا ٥٥ مندوب، عقد المؤتمر برئاسة جورج واشنطن[٤] في ٢٥ ايار ١٧٨٧، وبعد مناقشات طويلة وضعت المسودة الاولى لدستور الولايات المتحدة الامريكية بتاريخ ٦ اب ١٧٨٧، الا ان بندي التجارة والعبودية سببا في نشوب خلافات بين المجتمعين؛ وعليه شكلت لجنة من خمس اعضاء لكتابة الدستور بصيغته النهائية، وفي ١٧ ايلول ١٧٨٧ قدمت اللجنة الصيغة النهائية للدستور، وبعد مناقشات وقع عليه ٣٩ مندوب من

اصل ٥٥، وحتى يكون دستور رسمي لابد من توقيع ٩ ولايات من اصل ١٣ ولاية أي الثلثين، وانهت بذلك ولاية نيوهامشر الجدل بتوقيعها كتاسع ولاية بتاريخ ٢١ حزيران ١٧٨٨ [٥] .

صُدق على الدستور بتاريخ ٣ اذار ١٧٨٩ كدستور فدرالي وفقا لقرار المحكمة العليا الامريكية ، ليبدأ به العمل كدستور رسمي للولايات الامريكية بتاريخ ٤ اذار ١٧٨٩، ونصب جورج واشنطن كأول رئيس للولايات المتحدة الامريكية، ومن المعلوم ان الدستور تألف من ديباجة و(٧) مواد ضمت كل مادة منها ابواب متعددة، شملت المواد الثلاث الاولى بالسلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، حددت المادة الرابعة شكل العلاقة بين الولايات وحددت المادة الخامسة الاجراءات الواجب اتخاذها في حال عُدل الدستور ، اما السادسة فهي الدستور والذي وصف بانه القانون الاعلى وفوق الجميع، اما المادة السابع هي من صادقت على الدستور بصيغته النهائية، اما ديباجته فقد نصت على: " **نحن شعب الولايات المتحدة الامريكية من اجل تكوين اتحاد اكثر كمالا، واقامة العدل، وضمان الاستقرار الداخلي، وتوفير الدفاع المشترك، وتعزيز الرفاهية العامة، وتامين الحرية لأنفسنا ولأبنائنا، نقر ونسن هذا الدستور للولايات المتحدة الامريكية**" [٦].

اكدت كلماته الأولى على جملة (نحن الشعب، وأن حكومة الولايات المتحدة وُجدت لخدمة مواطنيها)، واقرت المادة الأولى بسيادة الشعب من خلال ممثليهم المنتخبين، وتم انشاء الكونغرس الامريكي الذي تألف من مجلس الشيوخ ومجلس النواب، وأسند الدستور مسؤولية تنظيم السلطتين التنفيذية والقضائية إلى الكونغرس الامريكي وجمع الإيرادات، وإعلان الحرب، وسنّ جميع القوانين اللازمة لتنفيذ تلك الصلاحيات، وسمح للرئيس باستخدام حق النقض (الفيتو) ضد بعض القوانين، لكن للكونغرس سلطة تجاوز الفيتو الرئاسي بأغلبية ثلثي أعضاء كلا المجلسين، كما نص الدستور على أن تقديم مجلس الشيوخ المشورة والموافقة على التعيينات الرئيسية في السلطتين التنفيذية والقضائية، وعلى التصديق على المعاهدات[٧].

بنيوياً تكون الدستور الامريكي من سبعة وعشرون تعديلاً، وبقى النص الاساسي للدستور الامريكي وتعديلاته الاولى غير قابلة للتعديل مرة اخرى او التغيير، وان التعديلات العشرة الاولى هي تعديلات خاصة بشريعة القانون، اما التعديلات من ١٣-١٥ هي تعديلات أعادة البناء، ومن الواضح ان تلك التعديلات وغيرها من التعديلات اللاحقة اصبحت جزء لا يتجزأ من مواد الدستور بعد اكتسابها الصفة القانونية، وبعد مصادقة ثلاثة ارباع الولايات الامريكية عليها، ومن المعلوم ان تلك التعديلات لا تحتاج الى مصادقة الكونغرس الامريكي، وانما تعرض على لجنة تابعة الى مكتب السجلات الاتحادية بعد تقديم التوثيقات المطلوبة التي تدعم صحة التعديل بشكل رسمي، ومن بعدها يرسل من قبل مكتب السجلات

الاتحادية مرفق بتصريح رسمي الى الارشيف ومن ثم يرسل الى الكونغرس والحكومة الاتحادية بمذكرة رسمية ليتم العمل به[٨].

ثانيا: التعديلات في دستور الولايات المتحدة الامريكية:

١. **التعديل الثالث عشر عام ١٨٦٥ الغاء العبودية:**

منذ السنوات الأولى للاستيطان الأوروبي في أمريكا الشمالية، أُستعبد واضطهد السود، وعلى الرغم من أن الحرب الأهلية(١٨٦٠-١٨٦٥) الغت العبودية، إلا أن نظامًا قاسيًا فُرضَ واستمر بسبب التفوق الأبيض، ومن الجدير بالذكر ان التعديلات العشرة الأولى من الدستور الامريكي شكلت رسميا وثيقة الحقوق، كحلٍ للحد من سلطة الحكومة وحماية الحريات الفردية، فقد رأى الاباء المؤسسون أن حرية التعبير والعبادة حقٌ طبيعي يحميه التعديل الأول، ويمنع الكونغرس من سنّ قوانين تقيد الدين أو حرية التعبير، كما ضمن التعديل الرابع حق المواطنين في التحرر من تدخل الحكومة غير المبرر في منازلهم من خلال طلب أمر قضائي، كما أُضيفت وثيقة الحقوق إلى الدستور لعدم وجود قيود على سلطة الحكومة، مما دعا الفيدراليون إلى حكومة وطنية قوية، معتبرين بذلك أن الشعب والولايات يحتفظان تلقائيًا بأي صلاحيات لم تُمنح للحكومة الفيدرالية، أما المناهضون للفيدرالية فأرادوا بقاء السلطة بيد حكومات الولايات والحكومات المحلية[٩].

جسد دستور عام ١٧٨٧ مبادئ عظيمة للحكم الديمقراطي، إلا أنه تأثر بشكل كبير بمطالبة الولايات التي تدعم العبودية لحماية مؤسساتها الخاصة، وذلك ما دفع ولاية جورجيا اعلانها لأسباب الانفصال عام ١٨٦١، والتي تمثلت بمطالبة الولايات الشمالية بإلغاء العبودية، لان ذلك سيعمل على ضرب اقتصاد الولايات الجنوبية التي تتيح العبودية، ومن الجدير بالذكر ان مسألة العبودية شكلت السبب الرئيسي اثناء صياغة الدستور، ولولا بند العبيد لرفض الدستور بشكل قطعي، والذي نص على احتساب العبد الواحد بثلاثة أخماس الشخص الابيض عند انتخاب الممثلين الفيدراليين والناخبين الرئاسيين، لان ذلك سيعمل على توازن سلطة الولايات الجنوبية مع سلطة الولايات الشمالية الحرة بتمثيل متساوٍ في مجلس الشيوخ، فضلا عن اشتراط توزيع الضرائب المباشرة وفقًا لعدد السكان **(مع احتساب العبيد أيضا بثلاثة أخماس الشخص)**، لذلك لا يمكن عزل بنية الدستور الأصلي عن الضرورة السياسية لاستيعاب العبودية[١٠].

غالبا لا يمكن تجاهل العبودية مع الحفاظ على فهم متماسك للتسويات والأهداف التي أدت إلى وضع دستور عام ١٧٨٧، وفي الوقت الذي كانت فيه السلطة الفيدرالية هي من حمت العبودية، الا انها في كثير من الاحيان تجاهلت المحاكم الفيدرالية حجج دعاة إلغاء العبودية المتعلقة بحقوق الولايات، على سبيل المثال منح قانون العبيد الهاربين لعام ١٧٩٣ مالكي العبيد الحق في العبور إلى الولايات الحرة

واعتقال العبيد الهاربين، وقد تجلى اتساع نطاق السلطة الفيدرالية من خلال الحق القانوني الفيدرالي لمالكي العبيد في مقاضاة أي شخص يتدخل في أسر العبيد الهاربين، وتُعد سلطة الكونغرس في رفع دعاوى ضد الأفراد لكنها وبشكل واضح موجهة ضد العبيد، وما يوضح ذلك فإن بند العبيد الهاربين لعام ١٧٨٧ تناول صراحةً قانون الولاية بدلاً من العمل الخاص، ولا يجوز لأي شخص ملزم بالخدمة أو العمل في ولاية ما بموجب قوانينها، والهارب إلى ولاية أخرى أن يُعفى من تلك الخدمة أو العمل بموجب أي قانون أو لائحة فيها، بل يُسلم بناءً على طلب الطرف الذي قد يكون مستحقًا له تلك الخدمة أو العمل، وأن الكونغرس يمكنه حماية حقوق الملكية التي يضمنها بند العبيد الهاربين من خلال منع الأفراد من عرقلة تمتع مالكي العبيد بتلك الحقوق(١١).

استاءت الولايات الشمالية من فشل قانون العبيد الهاربين في توفير أي إجراءات قانونية واجبة للعبيد الهاربين لسنوات عدة، كان بإمكان مالكي العبيد والتجار دخول الولايات الحرة واختطاف الرجال والنساء والأطفال السود، ولم تتح للعبيد فرصة لإثبات أنهم أحرار، ردت عدد من الولايات بجعل اختطاف رجل أو امرأة حرة جريمة، وعلى سبيل المثال كان قانون الحريات الشخصية في ولاية بنسلفانيا يُلزم مالكي العبيد بالحصول على إذن من قاضٍ محلي أو قاضٍ فيدرالي لإثبات ادعاءاتهم قبل أن يتمكنوا من إعادة العبيد الهاربين إلى الجنوب، مما أثار غضب الولايات الجنوبية، لذلك ضمن الدستور حق مطالبة مالكي العبيد من استرجاع عبيدهم الهاربين، لذلك سن قانون العبيد الهاربين عام ١٨٥٠ الذي نص على اعتقال وسجن الافراد الذين يتدخلون في استعادة الافراد لعبيدهم الهاربين، وتفرض عليهم عقوبات جنائية، فردّ دعاة إلغاء العبودية على ذلك باقتحام السجون لتحرير العبيد الهاربين، بينما أعلنت محاكم الولايات عدم دستورية القانون(١٢).

ادى قانون العبيد الهاربين إلى تطرف الكثيرين في الولايات الشمالية، ليس فقط لأنه هدّد السود الشماليين الأحرار، بل لأنه أجبر البيض الشماليين المناهضين للعبودية على لعب دور الشرطة لحماية عبيدهم، ومما وجب ذكره انه قبل الحرب الأهلية كانت حقوق الولايات هي مطالبات دعاة إلغاء العبودية، وليس الجنوبيين الذين يحتفون بالسلطة الفيدرالية التي تحمي حقوق ملكية العبيد(١٣).

قضت المحكمة العليا في ويسكونسن بعدم دستورية القانون، وأمرت بالإفراج عن احد الافراد السود الذي اعتقل على انه عبد هارب، كما ألغت المحكمة العليا للولايات المتحدة القرار بالإجماع، على الرغم من انً قانون العبيد الهاربين في جميع أحكامه مُصرّح به بموجب الدستور الامريكي، تمتع من خلاله المفوض بسلطة قانونية لإصدار مذكرة التوقيف، وأن إجراءاته كانت منتظمة ومتوافقة مع القانون، صدر القرار في العام الذي سبق انتخاب لينكولن كرئيس، تاريخًا : إذا كان بند العبيد الهاربين في الدستور قد سمح بسجن الأفراد الذين يتدخلون في حقوق ملكية الأفراد الآخرين، فإن التعديلات الجديدة ستمنح

الكونغرس سلطة واسعة مماثلة لحماية الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية التي دافع عنها الجمهوريون الراديكاليون[١٤].

وفي سياق متصل، ومنذ صفقة لويزيانا عام ١٨٠٣ على الأقل، اختلف الشمال والجنوب حول ما إذا كانت الولايات الفيدرالية الجديدة هي ولايات تقر نظام العبيد ام ولايات حرة، وقد ركزت تسوية عامي ١٨٢٠ و١٨٥٠ بشكل كبير على حل تلك المسألة، أو على الأقل تأجيلها، واعتبر البعض أن تسوية عام ١٨٢٠ غير دستورية، إذ لم يكن للكونغرس سلطة حرمان مالك العبيد من ممتلكاته عندما يُدخل عبده إلى منطقة حرة، دعا ذلك القرار مالكي العبيد الدخول إلى المناطق والتصويت على دساتير مؤيدة للعبودية للولايات جديدة، مما دفع البلاد إلى حرب أهلية في عهد الرئيس ابراهام لنكولن[١٥] خلال السنوات (١٨٦١-١٨٦٥)، وهي حرب سببها الرئيسي العبودية، فقد اعلنت ولاية ميسيسبي مغادرة الاتحاد عام ١٨٦١، وقد ذكر إعلان ولاية مسيسيبي كغيره من إعلانات الولايات المنفصلة رفض الولايات الحرة للامتثال لبند العبيد الهاربين كشكوى رئيسية، كما برزت معارضة الشمال لتوسع العبودية في الولايات الجديدة، وكذلك كان الحال مع تشكيل وصعود حزب سياسي شمالي بحت وهو الجمهوريون، الذين جعل فوزهم في انتخابات عام ١٨٦٠ هو الصدام بين إلغاء العبودية والعبودية أمرًا حتميًا[١٦].

ومن المعلوم ان الدستور الكونفدرالي قدم بعض التنازلات لسيادة الولايات في مجالات أخرى، لكنه ألزمها بالخضوع للسلطة المركزية فيما يتعلق بالعبودية، لم يكن لأي ولاية كونفدرالية سلطة التدخل في حماية الحكومة المركزية للعبودية، فأصبحت جميع الولايات الجديدة تؤيد العبودية مهما كانت إرادة سكانها، وبذلك ستتفوق السلطة المركزية دائمًا على سلطة الولايات في قضية العبودية، وهو أبلغ دليل على أن الحرب الأهلية بالنسبة للجنوب كانت دائمًا تدور حول العبودية، بينما كانت في الولايات الاخرى قضية ثانوية[١٧].

اصدر الرئيس لينكولن إعلان تحرير العبيد عام ١٨٦٣ مُعلنًا أن :"**جميع الأشخاص المُستعبدين في أي ولاية، أو جزء مُحدد منها، يكون شعبها في حالة تمرد ضد الولايات المتحدة، يكونون أحرارًا من ذلك الحين فصاعدًا وإلى الأبد**"، ومع ذلك، لم يُنهِ إعلان تحرير العبيد العبودية في البلاد، إذ اقتصر تطبيقه على مناطق الكونفدرالية التي كانت آنذاك في حالة تمرد ولم يشمل حتى الولايات الحدودية الموالية التي بقيت ضمن الاتحاد، لذلك أدرك لينكولن أن إعلان تحرير العبيد يحتاج إلى تعديل دستوري لضمان إلغاء العبودية، وعليه فقد أُقرّ التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكي في نهاية الحرب الأهلية قبل عودة الولايات الجنوبية إلى الاتحاد، وكان من المفترض أن يُقرّ بسهولة في الكونغرس، إلا أنه على الرغم من إقراره في مجلس الشيوخ في نيسان ١٨٦٤، إلا أن مجلس النواب لم يُقرّه في بادئ الامر، عندئذٍ اضطلع لينكولن بدورٍ فعّال لضمان إقراره في الكونغرس، وأصرّ على إضافته إلى برنامج الحزب

الجمهوري للانتخابات الرئاسية لعام ١٨٦٤، وقد تكللت جهوده بالنجاح عندما أقرّ مجلس النواب مشروع القانون في كانون الثاني ١٨٦٥ بأغلبية ١١٩ مقابل ٥٦ صوتاً، بعد ان احيل الى المجالس التشريعية للولايات، وصادقت ثلاثة أرباع الولايات عليه من العام نفسه، ومن الجدير بالذكر ان التعديل الثالث عشر نص على أنه: "**لا يجوز وجود العبودية أو العمل القسري، إلا كعقوبة لجريمة أدين بها الشخص حسب الأصول، داخل الولايات المتحدة الامريكية أو أي مكان يخضع لولايتها القضائية**[١٨] .

كان جوهر التعديل هو مادته الثانية التي خوّلت الكونغرس إنفاذ إلغاء العبودية بالتشريعات الرسمية، فلم يقتصر التعديل على إنهاء العبودية فحسب، بل جعل السود مواطنين أمريكيين مع وجود الحكومة الفيدرالية لضمان حقوق المواطنة، وباعتماد هذا التعديل وجدت الولايات المتحدة حلاً دستورياً نهائياً لمسألة العبودية، ويُعد التعديل الثالث عشر احد التعديلات الثلاثة التي أُقرت خلال الحرب الأهلية، والتي وسّعت بشكل كبير الحقوق المدنية للأمريكيين[١٩].

سُنت الحكومات الجنوبية المنظمة حديثا للاتحاد قوانين جائرة للحفاظ على سيادة البيض على الرغم من المصادقة على التعديل الثالث عشر، واستجابةً لتلك القوانين والمضايقات العامة للعبيد المحررين، أقرّ الكونغرس قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٦٦، الذي ضمن الحقوق المتساوية للعبيد المحررين في كل ولاية وإقليم في الولايات المتحدة، في إبرام العقود وإنفاذها والتقاضي والإدلاء بشهاداتهم والوراثة والشراء والبيع، ونقل الممتلكات العقارية والشخصية؛ والاستفادة الكاملة والمتساوية من جميع القوانين والإجراءات المتعلقة بأمن الأشخاص والممتلكات مثلما تمتع بها المواطنون البيض، وقد صاغ الكونغرس صراحةً أحكام إنفاذ قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٦٦ على غرار قانون العبيد الهاربين لعام ١٨٥٠، مُجرّمًا انتهاكات الحقوق المدنية من قِبل الأفراد تمامًا كما جرّم القانون السابق التدخل في حقوق مالكي العبيد، كما عين الكونغرس مسؤولين اتحاديين لإنفاذ الحقوق التي يضمنها القانون، وفرض غرامات باهظة على أي شخص يعيق تلك الحقوق[٢٠].

باختصار، جسّد القانون السلطة الكاملة للكونغرس لإنفاذ الحقوق المدنية بالقدر نفسه الذي فرض به حقوق مالكي العبيد في حقبة ما قبل الحرب الأهلية.

٢. <u>التعديل الرابع عشر لدستور الولايات المتحدة: الحقوق المدنية (١٨٦٨)</u>

قدم مجلس النواب في ١٦ حزيران عام ١٨٦٦ قرارٌ مشتركٌ اقترح فيه التعديل الرابع عشر للدستور إلى الولايات، قدمه عضو الكونغرس جون أ. بينغهام[٢١] (*John A. Bingham*) من ولاية أوهايو الى الكونغرس الامريكي وهو المُؤلِّف الرئيسي للقسم الأول من التعديل، والذي هدف بتعديله إلى اضفاء طابعًا وطنيًا على وثيقة الحقوق بجعلها مُلزمةً للولايات عند تقديم التعديل، كما صرَّح السيناتور جاكوب هوارد[٢٢] (*Jacob Howard*) من ولاية ميشيغان تحديدًا بأنَّ بند الامتيازات والحصانات سيُمكِّن الولايات من الحفاظ على "**الحقوق الشخصية التي كفلتها وضمنتها التعديلات الثمانية الأولى من**

الدستور"، وصُدِّق عليه في ٩ تموز ١٨٦٨، وفي ٢٨ تموز من العام نفسه أُعلنَ عن التعديل الرابع عشر، الذي وسع الحريات والحقوق التي منحتها وثيقة الحقوق لتشمل الأشخاص الذين كانوا مستعبدين سابقًا، قدم الكونغرس إلى الولايات بعد الحرب الاهلية ثلاثة تعديلات كجزء من برنامج إعادة الإعمار لضمان المساواة في الحقوق المدنية والقانونية للمواطنين السود، كان من أهم بنود التعديل الرابع عشر منح الجنسية لجميع الأشخاص المولودين أو المجنسين في الولايات المتحدة، وبالتالي منح الجنسية للأشخاص الذين كانوا مستعبدين، ومن البنود الأخرى التي نصت على ان "**لا يجوز لأي ولاية أن تحرم أي شخص من الحياة أو الحرية أو الملكية، دون اتباع الإجراءات القانونية الواجبة؛ ولا تحرم أي شخص داخل نطاق ولايتها القضائية من الحماية المتساوية بموجب القوانين**"، وبذلك أصبح الحق في اتباع الإجراءات القانونية الواجبة والحماية المتساوية بموجب القانون ساريًا على كل من الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات، وايضاً آخر فقرة في التعديل نصت على ان يكون للكونغرس سلطة تطبيق احكام هذا التعديل صُدق عليه من قِبَل ٢٨ ولايةً من أصل ٣٧، ليصبح جزءًا من الدستور الامريكي بشكل رسمي وهو القانون الأعلى في البلاد[٢٣].

فشل التعديل الرابع عشر في توسيع نطاق وثيقة الحقوق وحماية حقوق المواطنين السود في الولايات الامريكية خلال إعادة الإعمار، الا انهم ناضلوا في سبيل التعديل الرابع عشر، فقد قدّم المواطنون الاعتراضات ورفعوا دعاوى قضائية، وعليه؛ سنّ الكونغرس تشريعات هدفت لفرض السلطة التنفيذية في الولايات اتخاذ التدابير اللازمة لحماية حقوق جميع المواطنين، ورغم أن هؤلاء المواطنين لم ينجحوا في تفعيل التعديل الرابع عشر خلال فترة إعادة الإعمار، إلا أنهم قدّموا حججًا فعّالة وآراءً مختلفة شكّلت أساسًا للتغيير في القرن العشرين، إن منح الكونغرس سلطة إنفاذ التعديل "**بموجب تشريع مناسب**" لن يكون له أي معنى إذا استطاع الكونغرس ببساطة إقرار قانون يُمكّن الأفراد من مقاضاة الولايات على سلوك يُمكن للمحاكم إبطاله بالفعل بموجب المادة (١) فمن الواضح أنه لو حُذف القسم الخامس من التعديل الرابع عشر بالكامل، لكانت السلطة القضائية قد ألغت جميع قوانين الولايات وأبطلت جميع إجراءاتها القضائية عدائيةً للحقوق والامتيازات التي يضمنها أو يُقرها ذلك التعديل[٢٤].

٣. <u>التعديل الخامس عشر لدستور الولايات المتحدة: حقوق التصويت (١٨٧٠):</u>

رفض الناخبون البيض في الولايات الجنوبية في بادئ الامر التصديق على التعديل الرابع عشر، وكثيرًا ما أفسد العنف الانتخابات والإجراءات الدستورية، ردًا على ذلك نفّذ الكونغرس "إعادة الإعمار العسكري" عام ١٨٦٧، ونشر قوات فيدرالية لقمع العنف، ولم يسمح للولايات الجنوبية بالعودة إلى الاتحاد إلا إذا سمحت دساتيرها للسود بالتصويت، والمصادقة على التعديل الرابع عشر، ومع منع حكومات الولايات من حرمان السود رسميًا من حقهم في التصويت، بذلت الجماعات الخاصة جهدها لسد لمنع

السود من التصويت، أصبحت جماعة كو كلوكس كلان[٢٥] (*Ku Klux Klan*) ، التي تأسست في تينيسي عام ١٨٦٦ نموذجاً للجماعات المتطرفة العنصرية في جميع أنحاء الجنوب، ففي انتخابات عام ١٨٦٨ أدى قمع جماعة كو كلوكس كلان للإقبال على التصويت إلى انتصارات ديمقراطية في جورجيا ولويزيانا، أقنع العنف حتى المعتدلين بأن ضمان حق السود في التصويت هو السبيل الوحيد لضمان حماية الحقوق المدنية، وهكذا قدم السيناتور جورج بوتويل[٢٦](*George Boutwell*) واضع التعديل الخامس عشر وهو تعديل فيدرالي جديد يحظر التمييز العنصري في التصويت أوضح فيه؛ "**مع حق التصويت، يحصل الإنسان على كل ما ينبغي أن يحصل عليه أو يتمتع به من حقوق مدنية وبدون هذا الحق لا قيمة له**"[٢٧].

قدم التعديل الخامس عشر الكونغرس في ٢٦ شباط ١٨٦٩، وصُدّق عليه في ٣ شباط ١٨٧٠ مانحًا الرجال الأمريكيين من أصل أفريقي حق التصويت، فأصدر الكونغرس بين عامي ١٨٧٠ و١٨٧٢ خمسة قوانين (قوانين الإنفاذ) لحماية الحقوق المدنية، نصت على الحق في التصويت في انتخابات الولايات والانتخابات المحلية للمواطنين المستبعدين، وفرض عقوبات جنائية على أي شخص يمنع شخصًا من التسجيل للتصويت أو التصويت، مع تركيزه على جماعة كو كلوس كلان، فجرّم الكونغرس "**تجمع شخصين أو أكثر أو التآمر معًا، أو التنكر على الطريق العام أو في مباني الغير، بقصد انتهاك أي حكم من أحكام هذا القانون أو إيذاء أو قمع أو تهديد أو ترهيب أي مواطن بقصد منعه من ممارسة أي حق أو امتياز ممنوح له أو مضمون له بموجب دستور الولايات المتحدة أو قوانينها**"، استخدم الرئيس الامريكي يوليسيس س. غرانت[٢٨](*Ulysses S. Grant*) سلطته الجديدة لقمع إرهاب الكو كلوكس كلان في تسع مقاطعات بولاية كارولينا الجنوبية عام ١٨٧١، وحد من نقودهن هناك. أدت جهود مماثلة إلى الحد بشكل كبير من العنف في جميع أنحاء الجنوب. أدانت المحاكم الفيدرالية مئات من أعضاء الكو كلوس كلان بين عامي (١٨٧٠ و ١٨٧٣) لانتهاكهم حقوق المحررين في الملكية والتعبير والتجمع والتصويت، فضلا عن حقوق حيازة وحمل الأسلحة والتمتع بحماية متساوية بموجب القوانين. إدراكًا منه لضرورة التصدي للكو كلوس كلان إذا كان لحقوق السود أي معنى عمليًا، بدا التعديل الخامس عشر بمثابة تحقيق لجميع الوعود التي قُطعت للأمريكيين من أصل أفريقي، فبعد أن نالوا حريتهم بموجب التعديل الثالث عشر مع ضمان المواطنة بموجب التعديل الرابع عشر، مُنح الرجال السود حق التصويت بموجب التعديل الخامس عشر، ويتضح أن التعديل الخامس عشر لم يكن في الواقع سوى خطوة أخرى في النضال من أجل المساواة الذي استمر لأكثر من قرن قبل أن يتمكن الأمريكيون من أصل أفريقي من المشاركة الكاملة في الحياة العامة والمدنية الأمريكية[٢٩].

مارس الأمريكيون من أصل أفريقي حقهم في التصويت وشغلوا مناصب في العديد من الولايات الجنوبية حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر، ولكن في أوائل تسعينيات القرن نفسه، اتُخذت خطوات لضمان استمرار هيمنة البيض، فقد أُدرجت في قوانين الولايات الكونفدرالية السابقة اختبارات معرفة القراءة والكتابة للتصويت، واستبعاد كل من لم يصوت أسلافه في ستينيات القرن التاسع عشر، وغيرها من الوسائل لحرمان الأمريكيين من أصل أفريقي من حقهم في التصويت(٣٠).

٤. قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٧٥:

أُضيف الفصل الاجتماعي والاقتصادي الى جانب فقدان الأمريكيين السود جانب من لسلطتهم السياسية، لذلك أعلن الرئيس غرانت في خطاب تنصيبه الثاني أن الفصل العنصري غير مقبول، ودعا إلى تشريع اتحادي لضمان المساواة في الحقوق في الوصول إلى وسائل النقل والمدارس العامة، وعليه؛ أقرّ الكونغرس قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٧٥، الذي حظر الفصل العنصري في المرافق العامة ووسائل النقل والمرافق الترفيهية، فقد شرّع قرار المحكمة العليا مبدأ المرافق المنفصلة ولكن المتساوية للأعراق، ولأكثر من خمسين عامًا حُرمت الغالبية العظمى من المواطنين الأمريكيين من أصل أفريقي من حقوقهم المدنية، وعُوملوا كمواطنين من الدرجة الثانية في ظل قوانين الفصل العنصري جيم كرو(٣١)، وكان من شأن هذا القانون أيضًا أن يحظر على السيناتور ليمان ترمبول(٣٢) (*Lyman Trumbull*) واضع قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٦٦ الفصل العنصري في المدارس العامة، إلا أن عمليات المعارضة حالت دون إقرار تلك الأحكام، ومع ذلك فمن اللافت للنظر أنه في عمليات التصويت المتكررة في سبعينيات القرن التاسع عشر، أيدت الأغلبية في كل من مجلسي النواب والشيوخ حظرًا قانونيًا على مستوى البلاد على الفصل العنصري في المدارس، أدان أحد أعضاء مجلس النواب الفصل العنصري القائم على مبدأ "**منفصلون ولكن متساوون**"، قائلاً إن غرضه الوحيد هو "**إخضاع الضعفاء من كل طبقة وعرق**"، وأعلن آخر أن الفصل العنصري يعامل السود معاملة المصابين بالجذام، بينما جادل المعارضون على أن الحكومة الوطنية لا تملك سلطة تجريم التمييز الخاص، لكن أولئك الذين صاغوا التعديل الرابع عشر رفضوا هذا الادعاء، وسببه فشل الولايات في وقف التمييز العنصري، لكن يمكن للحكومة الفيدرالية تصحيحها(٣٣).

أيّد جميع المشرّعين تقريبًا الذين صوّتوا لصالح التعديل الرابع عشر إقرار مشاريع قوانين مناهضة للفصل العنصري. ووافق معظم زملائهم على ذلك؛ وللتغلب على المماطلة كان لا بدّ من إقرار هذه المشاريع بأغلبية ساحقة، ففي مجلس الشيوخ عام ١٨٧٤ أُقرّت نسخة من مشروع القانون الذي حرم الفصل العنصري في المدارس بواقع ٢٩ صوتًا مقابل ١٦، اذ صوّت جميع أعضاء مجلس الشيوخ الذين أيّدوا التعديل الرابع عشر لصالحه، أما في مجلس النواب فقد أُقرّت نسخة مبكرة من مشروع القانون

تتضمن أيضًا بند المدارس، في مجلس النواب عام ١٨٧٢ بهامش ١١٤مقابل ٨٣ صوتاً، أي أقل من ثلثي الأصوات اللازمة للتغلب على المعارضة في مجلسي النواب والشيوخ، تطابقت بذلك الأصوات المصوتين على التعديل الرابع عشر مع الأصوات على مشروع قانون عام ١٨٧٢، وعندما أُقرّ قانون الحقوق المدنية أخيرًا عام ١٨٧٥، أيّده جميع أعضاء مجلس النواب الذين كانوا موجودين للتصويت على التعديل الرابع عشر؛ بينما صوّت عضو واحد فقط في مجلس الشيوخ كان قد صوّت في الأصل لصالح التعديل الرابع عشر ضد قانون عام١٨٧٥ [٣٤].

كان قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٧٥ بمثابة ذروة تشريعات إعادة الإعمار، في أقل من عامين انتهى إعادة الإعمار، وترسخت سيادة البيض في الجنوب لقرن آخر تقريبًا، كان العنف هو الحصن المنيع لسيادة البيض، وقد صدّت الاستجابة الفيدرالية القوية جرائم القتل والإرهاب قبل انتخابات عام ١٨٧٢، ولكن بحلول انتخابات عامي ١٨٧٤ و١٨٧٦، سقط عشرات السود وحلفائهم من الجمهوريين البيض قتلى مع عودة الديمقراطيين المناهضين للحقوق المدنية إلى السلطة في جميع أنحاء الجنوب. انخفضت الملاحقات القضائية الفيدرالية بشكل حاد، وأصبح كسب القضايا المرفوعة أصعب بسبب تدخل المسؤولين الجنوبيين والأفراد، قامت حكومات الولايات بمضايقة واعتقال الشهود الفيدراليين بشكل منهجي لردع مشاركتهم، حتى أنها أدانتهم بتهمة شهادة الزور بسبب شهاداتهم في المحاكمات الفيدرالية، قُتل الشهود الفيدراليون بانتظام وبلغت المذبحة ذروتها مع الانتخابات الرئاسية المتنازع عليها عام ١٨٧٦، فقمعت أصوات الناخبين السود في جميع أنحاء الجنوب[٣٥].

ظلت مشكلة التصويت للمستبعدين قائمة في الجنوب حتى تسعينيات القرن التاسع عشر، فهدفت "خطة ميسيسيبي" المتجسدة في دستور ميسيسيبي، إلى حرمان الناخبين السود تمامًا من حق التصويت بفرض مزيج من اختبارات معرفة القراءة والكتابة وضرائب الاقتراع وغيرها من الأساليب، وأيدت المحكمة العليا تلك الخطة عام ١٨٩٨، وعندها حذت ولايات أخرى حذوها نظرًا لأن الخدمة في هيئات المحلفين كانت مرتبطة بتسجيل الناخبين، أصبحت هيئات المحلفين الجنوبية أيضًا بيضاء بالكامل[٣٦]، أُعلن التخلي الكامل عن حقوق التصويت للسود في قرار صدر عام ١٩٠٣ فقد تجاوز آلاف السود في ألاباما جميع العقبات الرسمية واستوفوا جميع متطلبات قانون الولاية للتسجيل للتصويت، ومع ذلك حُرموا من التصويت لمجرد كونهم سودًا، في الواقع، حرمتهم ولاية ألاباما حقهم في التصويت مدى الحياة، تضمنت الخطة المتجسدة في دستور الولاية الجديد العنصري الأبيض ثلاث خطوات: أولاً، إبقاء السود خارج قوائم الناخبين في انتخابات عام ١٩٠٢ مع السماح للبيض بالتسجيل بموجب معايير أهلية متساهلة؛ ثانيًا: جعل معايير الأهلية أكثر صرامةً من عام ١٩٠٣ فصاعدًا؛ وأخيرًا، السماح لأي شخص سُجل في عام ١٩٠٢ بمواصلة التصويت إلى الأبد، لم يستطع الكونغرس حماية المواطنين السود من العنف العنصري؛

ولم تستطع المحاكم حمايتهم من الفصل العنصري الذي تفرضه الولايات، واستثنتهم عقيدة الحصانة السيادية من المحكمة حتى في الحالات النادرة التي قد تكون فيها المحكمة مستعدة للحكم بأن ولاية ما قد انتهكت التعديلين الرابع عشر والخامس عشر؛ وكان الفصل العنصري الخاص قانونيًا على الرغم من وجود قانون فيدرالي يخالف ذلك، لم يكن هذا هو ميلاد الحرية الجديد الذي وعد به ابراهام لينكولن، وبعد قرن من الحرب الأهلية، أقرّ الكونغرس مجموعة ثانية من قوانين الحقوق المدنية المهمة[٣٧].

٥. قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤:

عرف قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ بشكل رئيسي بركيزتيه الاساسيتين في مجال الحقوق المدنية وهما: اللجنة المركزية للحقوق المدنية وقسم الحقوق في وزارة العدل، ارست هاتان المؤسستان التشريعات للحقوق المدنية، اذ نص القانون بشكل اساسي على مسألة التصويت فقد حظر التدخل في حق اي فرد في التصويت في الانتخابات الفدرالية، وتجريم التمييز العنصري في الاماكن العامة في جميع انحاء البلاد، وخول وزارة العدل رفع الدعاوي للمحاكم الفدرالية للنظر فيها للحصول على اوامر قضائية لمنع ذلك التدخل، ومثل سابقاته من التعديلات لم يكتب لهذا القانون ان يطبق، فقد عاب عليه بانه ضعيف، لكن بعض المختصين رفضوا تسميته بالقانون الضعيف بل عدوه بأنه الاساس لقانوني الحقوق المدنية لعامي ١٩٦٠ و ١٩٦٤ [٣٨]، أما قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٠، فقد كان تشريعًا هامًا يهدف إلى معالجة حقوق التصويت للأمريكيين من أصل أفريقي في الولايات المتحدة، وبعد الصعوبات التي واجهت تطبيق التعديل الخامس عشر للدستور، والذي كان يهدف إلى حماية حقوق التصويت لجميع المواطنين بغض النظر عن العرق، سعى القانون إلى تعزيز الحماية الفيدرالية ضد التمييز في التصويت، وبينما كان قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ قد وضع بعض آليات الرقابة الفيدرالية، إلا أنها كانت غير فعالة إلى حد كبير، مما أدى إلى إصدار قانون عام ١٩٦٠ الذي يهدف إلى تعزيز هذه الحماية[٣٩].

ومن الجدير بالذكر، انه حتى قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٠ وُجّهت له انتقادات، نتيجة لضعفه وافتقاره لآليات إنفاذ فعّالة، فكانت أحد اهم بنوده السماح للقضاة الفيدراليين بتعيين حكام لمساعدة الأمريكيين من أصل أفريقي في عملية التصويت في حال رصد أي تمييز؛ إلا أن الكثيرين واجهوا عواقب وخيمة، بما في ذلك فقدان وظائفهم والتعرض للعنف، عند محاولتهم التسجيل للتصويت، في نهاية الامر لم يُحقق القانون تغييرات جوهرية، مما سلّط الضوء على التحديات المستمرة التي تواجه مناصرة الحقوق المدنية في الجنوب[٤٠] ، كما أكّدت محدودية قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٠ على ضرورة سنّ تشريعات أقوى، لذلك عملت على إقرار قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ و قانون حقوق التصويت لعام

١٩٦٥، وأصبح القانون الأخير حجر الزاوية في قانون الحقوق المدنية، مُحدثًا تحولًا جذريًا في المشهد السياسي، ومُعززًا النضال من أجل حقوق تصويت عادلة في الولايات المتحدة[٤١].

اما قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ تطرق الى مجموعةً من القرارات، بما في ذلك أساليب التصويت التمييزية، والتمييز في الخدمة أو الوصول إلى المؤسسات التجارية، وإلغاء الفصل العنصري في المرافق العامة والمدارس، والتمييز في التوظيف، والتمييز العنصري في البرامج الممولة اتحاديًا، وتطبيق القانون الاتحادي في تلك المجالات، كما أنشأ القانون وكالتين اتحاديتين هما: لجنة تكافؤ فرص العمل ودائرة العلاقات المجتمعية، لإنفاذ وتسهيل وحماية الحقوق المدنية، ونتيجة لذلك أصدر الكونجرس تعديلات مختلفة على قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤، بما في ذلك تعديلات على البابين الرابع والتاسع والتي خوّل فيها المدعي العام إنفاذ القانون ضد بعض انتهاكات المساواة في الحماية القائمة على أساس الجنس، والعديد من التعديلات الأخرى الخاصة بالباب السابع، بما في ذلك تدوين المسؤولية عن الآثار المتفاوتة[٤٢].

التعديل الأول من قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ شمل أحكام التصويت في قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ لمعالجة المشاكل التي وُجدت في تطبيق وإنفاذ الأحكام القانون السابق، وتلك لم تكن المرة الأولى التي يُعدّل فيها الكونجرس قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ فقد فعل ذلك سابقًا من خلال تعديله بقانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٠، ومع ذلك فشلت هذه الجهود التشريعية السابقة في مواجهة اجراءات حكومات الولايات والحكومات المحلية[٤٣]، كما عدل متطلبات تسجيل التي هدفت لحرمان الأمريكيين السود من حقهم في التصويت، كم اضاف التعديل أحكامًا تحظر استخدام معايير مختلفة لتأهيل الناخبين، واختبارات معرفة القراءة والكتابة أو التفسير، وحرمان الحق في التصويت بناءً على أخطاء غير جوهرية في التسجيل أو وثيقة تصويت أخرى، فضلا عن ذلك، لمواجهة مشكلة التأخير الطويلة وغير المبررة قانون عام ١٩٦٤ قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ لتسريع المراجعة القضائية لقضايا التصويت، جعل سلطة الكونجرس المنفذة لبند الحماية المتساوية في التعديل الرابع عشر وإنفاذ التعديل الخامس عشر للدستور، وهي سلطة فرضت بموجب التعديل الخامس عشر[٤٤]، وعليه؛ فقد فرضت معايير موحدة للأفراد المؤهلين للتصويت في سياق ممارسات تسجيل التصويت المطبقة بشكل متباين، لذلك عدل قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ لجعله: التزام الولايات والحكومات المحلية باستخدام نفس المعايير والإجراءات لجميع الأفراد لتحديد أهليتهم للتصويت[٤٥]، اضافة الى ذلك حظر اختبارات معرفة القراءة والكتابة أو التفسير، باستثناء اجراء اختبار معرفة القراءة والكتابة لجميع الأفراد، على ان يتم كتابيًا بالكامل، وتقُديم نسخة مصدقة من الاختبار وإجابات الأفراد في غضون خمسة وعشرين يومًا من تقديم طلب التسجيل للتصويت، تثبت أن المصوت يمتلك معرفة قراءة وفهمًا وذكاءً كافيًا للتصويت في

أي انتخابات، كما رفض التعديل حرمان أي شخص من حقه في التصويت بناءً على أخطاء أو سهو في أي سجل أو ورقة تتعلق بأي طلب أو تسجيل أو أي إجراء آخر مطلوب للتصويت، ويحق للمصوت الذي استبعد نتيجة لاخطاء غير جوهرية رفع دعاواه القضائية في المحاكم الفيدرالية، الا ان تلك الدعاوي واجهة تأخير من جانب المحاكم الفيدرالية للبت فيها، ولتسريع مثل تلك الأحكام، عدل الكونجرس قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ للحصول على أمر قضائي دائم أو مؤقت، أو أمر تقييدي، ليسهل عملية التصويت للمستبعدين(٤٦).

اما التعديل الخاص بالباب الثاني من قانون عام ١٩٦٤، والمُقسّم إلى سبعة أقسام فقد تطرق الى الفصل والتمييز ضد الأفراد على أساس العرق أو اللون أو الدين أو الأصل القومي، في سياق الوصول إلى الخدمات في مختلف المؤسسات التجارية، ولتنظيم التجارة بين الولايات نص التعديل اولا: أن جميع الأشخاص يحق لهم التمتع الكامل والمتساوي بالسلع والخدمات التي تقدمها بعض المؤسسات التي تشكل أماكن إقامة عامة دون تمييز أو فصل على أساس العرق أو اللون أو الدين أو الأصل القومي، ثانيا : حظر التعديل الثاني التمييز أو الفصل حيثما يكون ذلك مفروضًا بموجب قوانين أو قواعد الولاية أو المحلية، بغض النظر عما إذا كانت المؤسسة المعنية تشكل مكانًا إقامة عامة بموجب التعديل الأول. وحظر التعديل الثالث التدخل في تلك الحقوق القانونية الفيدرالية(٤٧)، وقبل صدور قانون عام ١٩٦٤، استمع الكونجرس إلى شهادات بشأن أشكال التمييز اليومية ضد المواطنين السود في وسائل النقل العام، والمطاعم، والفنادق، ومتاجر التجزئة، والأسواق، وغيرها من الأماكن التي تخدم عامة الناس ولكنها تقدم للأفراد السود إما خدمة متمايزة أو لا خدمة على الإطلاق، فضلا عن تقديم شهادات كثيرة أمام الكونجرس بأدلة دامغة على التمييز ضد المسافرين السود، بما في ذلك الحرمان الروتيني من خدمات الطعام والإقامة، فقد عانى المسافرون السود للتمييز في محطات السكك الحديدية والحافلات والخطوط الجوية مما قلل من السفر بين الولايات، لذلك كان من أحكام الإقامة العامة في الباب الثاني لحل مشكلة أي الانتقاص من الكرامة الشخصية الذي يصاحب بالتأكيد حرمانهم من المساواة في الوصول إلى المؤسسات العامة(٤٨)، وعليه فقد نص التعديل: على أن لجميع الأشخاص الحق في التمتع الكامل والمتساوي بالسلع والخدمات والمرافق والامتيازات والمزايا وأماكن الإيواء في أي امكان الايواء العامة، دون تمييز أو فصل على أساس العرق أو اللون أو الدين أو الأصل القومي، وحدد القانون أربعة أنواع من المنشآت الخاضعة لهذا البند المتعلق بأماكن الإيواء العام للمؤسسات التجارية، أماكن إقامة النزلاء المؤقتين (مثل نُزُل أو فندق أو نُزُل أو أي منشأة أخرى) تُوفر الإقامة للنزلاء المؤقتين، واماكن تناول الطعام (أي مطعم أو كافتيريا أو قاعة غداء أو ركن غداء أو نافورة صودا أو أي منشأة أخرى) تعمل بشكل رئيسي في بيع الطعام للاستهلاك في الموقع، والمؤسسات الترفيهية مثل (دار سينما، أو مسرح،

أو قاعة حفلات موسيقية، أو ساحة رياضية، أو ملعب، أو أي مكان آخر للعرض أو الترفيهية)، واخيراً الاماكن الموجودة داخل مؤسسة أخرى مشمولة وتخدم رعاتها: مثل صالون حلاقة يعمل داخل[٤٩]، سعى قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ إلى تمكين الحكومة الفيدرالية من حماية حقوق التصويت عبر إصدار أوامر قضائية ضد منتهكيها.

من الجدير بالذكر، ان الرئيس جون إف. كينيدي[٥٠] (*John F. Kennedy*) وفي خطاب متلفز على مستوى البلاد في ٦ حزيران ١٩٦٣، حثّ الأمة على اتخاذ إجراءات لضمان المساواة في المعاملة لجميع الأمريكيين بغض النظر عن عرقهم، واقترح على الكونغرس النظر في تشريع لحقوق الإنسان يتناول حقوق التصويت، والأماكن العامة، وإلغاء الفصل العنصري في المدارس، وعدم التمييز في البرامج المدعومة اتحاديًا وغير ذلك. وعلى الرغم من اغتيال الرئيس كينيدي في تشرين الثاني عام ١٩٦٣، الا ان مقترحه تُوّج بقانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤، والذي وقّعه الرئيس الامريكي ليندون جونسون ليصبح قانونًا بعد ساعات قليلة من إقراره من قبل الكونغرس في ٢ تموز ١٩٦٤[٥١].

إلا أن إقرار القانون لم يكن سهلاً، فقد عرقلت المعارضة في مجلس النواب مشروع القانون في لجنة القواعد، وفي مجلس الشيوخ حاول المعارضون الديمقراطيون الجنوبيون تعطيل مشروع القانون عبر المماطلة، وفي أوائل عام ١٩٦٤، تغلب مؤيدو القانون في مجلس النواب على عقبة لجنة القواعد بالتهديد بطرحه للتصويت دون موافقة اللجنة، وتم تجاوز المماطلة في مجلس الشيوخ بفضل الدعم الكبير من الرئيس ليندون جونسون، وصوت عليه مجلس الشيوخ، بأغلبية ٧٣ مقابل ٢٧ صوتا، اما قانون حقوق التصويت لعام ١٩٦٥ ما هو الا امتداد لقانون ١٩٦٤ ، واهم ما جاء به (مبدأ الموافقة المسبقة) الزام الولايات قبل اي مطابة لتغيير قانون الخاص بالتصويت لابد من حصولها علو موافقة الحكومة الفدرالية، بذلك اصبح حق التصويت محمي بالقانون الاتحادي[٥٢].

وبقى ان نقول، مثّل قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ ، وقانون التصويت لعام ١٩٦٥ والذي تم بموجبهما تعديل قوانين الحقوق المدنية لعامي ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، تتويجًا لحوار دستوري شمل السلطات الثلاث، التنفيذية والتشريعية والقضائية ، فقد اعترفت المحكمة بمطالبات الحقوق المدنية بموجب بند المساواة في الحماية في وقتٍ كانت فيه السلطتان التنفيذية والتشريعية بالكاد تُبديان اهتمامًا يُذكر بهذه الأمور.

الخاتمة:

شكلت التعديلات الدستورية في الولايات المتحدة الامريكية للحقوق المدنية انموذجاً؛ نقطة تحول في التاريخ الامريكي وارساء مبادئ العدل المساواة لجميع الشعب الامريكي دون تمييز بشكل قانوني، وعلى الرغم من اهمية تلك التعديلات الا انها لم تطبق وتترجم على ارض الواقع فور سنها، فقد واجهت تحديات

وصعوبات بسبب ما تقتضي المصلحة الشخصية لبعض الولايات، مع استمرار التمييز العنصري ، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول انها مثلت اساس قانوني للعمل على بناء مجتمع امريكي اساسه الحرية والحقوق وتوج تلك الحقوق صدور تعديلان مهمان هما تعديل الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ وقانون التصويت لعام ١٩٦٥، اللذان عملا على تفعيل وتعزيز المبادئ والمساواة والحقوق .

الهوامش:

(1) Juan F. Perea, An Essay on the Iconic Status of the Civil Rights Movement and its Unintended Consequences, Loyola University Chicago, 2010, P. 45-46.

(2)John Valery White, Civil Rights Equity: An Introduction to a Theory of What Civil Rights Has Become, University of Nevada JOURNALS , Washington and Lee Law Review ,2021, Vol. 78 , p.1899.

(٣) للمزيد ينظر : أسماء حسن حسين مزيقة، جيمس ماديسون ودوره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية حتى عام ١٨١٧، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كربلاء، ٢٠٢٢.

(٤) للمزيد ينظر: عباس علوان لفته ، جورج واشنطن ودوره العسكري والسياسي في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٣٢-١٧٨٩)، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.

(5) Fritz, Christian G. , American Sovereigns: The People and America's Constitutional Tradition Before the Civil War, New York, Cambridge University Press. , 2008, p. 131.

(6) Constitution of the United States: Primary Documents in American History: https://guides.loc.gov/constitution

(7) https://bri-wp-images.s3.amazonaws.com/wp-content/uploads/The-Constitution.pdf

(8) John Taylor of Caroline, New Views of the Constitution, Washington, D.C.: Roguery Publishing Inc., 2000,P. 65.

(9) https://billofrightsinstitute.org/primary-sources/bill-of-rights/

(10) Richard J. Regan, The American Constitution and Religion, The Catholic University of America Press, 2013, P. 72.

(11) John Valery White, Op .Cit., P.1901.

(12) NATHAN NEWMAN & J.J. GASS, A NEW BIRTH OF FREEDOM :THE FORGOTTEN HISTORY OF THE 13 TH , 14 TH , AND 15 TH AMENDMENTS, NYU SCHOOL OF LAW, New York, 2004, p.9.S

(13) Arthur L. Murphy Sr, American Civil War Era In A Nutshell And African Americans Diaspora, Newman Springs Publishing, Incorporated, Newman Spring Publishing, 3023,p.87.

(14) Kermit L. Hall, The Oxford Companion to the Supreme Court of the United States, Oxford University press , New York, 2005, p. 370.

(15) Harriet C. Frazier, Runaway and Freed Missouri Slaves and Those who Helped Them, 1763-1865, McFarland & Company, North Carolina,2004 , p.23-42.

(16) John Valery White, Op.Cit., p.1920.

(17) SID DHARTH S., The American Civil War (1861-1865): Its Impact on Slavery, and the Emergence of: Slavery Abolition as Jus Cogens in International Law, International Journal for Research Trends and Innovation, Vol: 10, Issue 5 May 2025, p. 212-213.

(١٨) نضال فواز العبود، الانتخابات الرئاسية الامريكية: الابعاد التاريخية والسياسية والدستورية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٧، ص٧٦.

(19) JAMES G. BASKER and NICOLE A. SEARY, Slavery and Abolition in the Founding Era: Black and White Voices, The Gilder Lehmann, New York, 2021, p. 53.

(20) Michael Les Benedict, Constitutional Politics, Constitutional Law, and the Thirteenth Amendment, Maryland Law Review, Vol.71, Issue1, p.180-188.

(٢١) سياسيًا ومحاميًا أمريكيًا بارزًا، وُلدعام ١٨١٥ في ولاية بنسلفانيا، تلقى تعليمه في أوهايو ، درس القانون ومارس المحاماةو انتُخب عضوًا في مجلس النواب الأمريكي ممثلًا عن ولاية أوهايو في المدة(١٨٥٥-١٨٧٣)، كما أنه من أبرز الجمهوريين خلال مرحلة الحرب الأهلية وإعادة الإعمار. عُرف بدوره الرئيس في صياغة التعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي، كما شغل منصب سفير الولايات المتحدة لدى اليابان (١٨٧٣-١٨٨٥)؛ اما وفاته فكانت عام ١٩٠٠.للمزيد ينظر:

Gerard N. Magliocca, American Founding Son: John Bingham and the Invention of the Fourteenth Amendment, New York: NYU Press, 2013.

(٢٢) سياسي ومحامي أمريكي، وُلد في ماساتشوستس عام ١٨٠٥، ومارس المحاماة في ميشيغان بعد أخرجها من كلية القانون في كلية وليام، شغل مناصب عدة منها عضو في الكونغرس ثم عضو في مجلس الشيوخ، وكان من أبرز المشاركين في صياغة وتقديم التعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي. للمزيد ينظر:

Foner, Eric, Reconstruction: America's Unfinished Revolution, 1863-1877, New York: Harper & Row, 1988.

(23) الولايات الي رفضت التعديل الرابع عشر هي:(ديلاوير ، ماريلاند ، كنتاكي، كاليفورنيا، اوريغون، نيوجيرسي، أوهايو، فلوريدا، كالمينت الشمالية) ، بعض الولايات الجنوبية لم تكن ضمن الولايات الرافضة لانها لم يكن لها تمثيل داخل الكونغرس الأمريكي بعد الحرب الاخرين الا انها ووفق سياسة اتبعت بعد الحرب وهي إعادة الأعمال اجبرت على التصديق. للمزيد ينظر:

William Baude, Jud Campbell & Stephen E. Sachs, "General Law and the Fourteenth Amendment," Stanford Law Review, Vol. 76, June 2024,p.51-52.

(24) Ibid.,p.43-44.

(٢٥) منظمة أمريكية سرية تأسست عام ١٨٦٥ في تينيسي على يد جنود الكونفدرالية السابقين بعد الحرب الأهلية، بهدف مقاومة الحقوق المدنية للأفارقة الأمريكيين. اشتهرت بممارساتها العنيفة مثل الترهيب والقتل والتأثير السياسي على التصويت، وشهدت عدة مراحل تاريخية أبرزها أعوام إعادة الإعمار، والتوسع الوطني في القرن العشرين، وظهور مجموعات صغيرة بعد الخمسينيات للمزيد ينظر:

David M. Chalmers, Hooded Americanism: The History of the Ku Klux Klan, Duke University Press, 1987.

(٢٦) سياسي أمريكي وُلِد في ولاية ماساتشوستس عام ١٨١٨، وتلقّى تعليمه بشكل غير نظامي مع اعتماد كبير على التعليم الذاتي. شغل عدة مناصب مهمة، منها حاكم ماساتشوستس، ووزير الخزانة في عهد غرانت، وعضو مجلس الشيوخ، وكان من الداعمين لإلغاء العبودية وحقوق الأمريكيين الأفارقة، اما وفاته فكانت عام ١٩٠٥.للمزيد ينظر:

George S. Boutwell, Reminiscences of Sixty Years in Public Affairs, Vols. 1, New York: McClure, Phillips & Co., 1902.

(27) Travis Crum, The Unabridged Fifteenth Amendment, Yala Law Journal 133, No.4, March 15, 2023,p.36-37.

(٢٨) الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة الامريكية خلال المدة(١٨٦٩-١٨٧٧)، والقائد العام للجيش الأمريكي، وُلِد في ولاية اوهايو عام ١٨٢٢، وتخرّج من الأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت عام ١٨٤٣، برز خلال الحرب الاهلية الأمريكية كقائد عام لقوات الاتحاد، وأسهم بشكل حاسم في هزيمة الكونفدرالية، وركّز خلال فترة حكمه على إعادة إعمار الجنوب وحماية الحقوق المدنية للأمريكيين الأفارقة، رغم التحديات السياسية والفساد في إدارته، توفي عام ١٨٩٧ .للمزيد ينظر:

Ulysses S. Grant, Personal Memoirs of U.S. Grant, New York: Charles L. Webster & Co., 1885.

(29)Travis Crum,Op.Cit.,p.19-21.

(30)William Baude, Jud Campbell & Stephen E. Sachs,Op.Cit.,p.53-55.

(31)Michael J. Klarman, From Jim Crow to Civil Rights: The Supreme Court and the Struggle for Racial Equality, New York: Oxford University Press, 2004,p.42.

(٣٢) سياسي وقاضي أمريكي وُلِد في ١٨١٣في ولاية كونتيكت، درس القانون وعمل كمحامي قبل دخوله الحياة السياسية، شغل منصب قاضٍ ثم أصبح عضوًا في مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية الينوي عرف بدوره المهم في فترة إعادة الإعمار، وكان من أبرز المناهضين والمبدعين لإلغاء العبودية، وساهم بشكل كبير في صياغة قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٦٦، كما ترأس اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ، وكان له تأثير كبير في التشريعات المتعلقة بالحقوق المدنية،توفى عام ١٨٩٦. للمزيد ينظر:

Lyman Trumbull, Speeches of Lyman Trumbull, Washington, 1866.

(33) Earl M. Maltz, The Entire Fourteenth Amendment, The State University of New Jersey-Rutgers Law School,September7,2023,p.83.

(34)Earl M. Malt z, Op. Cit. ,p.83.

(35)David H. Gans, Equality and Protection :The For Gotten Meaning of the Fourteenth Amendment, Denver Law Review,Vol.102.No.4,December11,2025,p.28-32.;Earl M. Maltz,Op.Cit.,p.83-84.

(36)Travis Crum,Op.Cit.,p.98-99.

(37)James M. McPherson, Abolitionists and the Civil Rights Act of 1875, The Journal of American History, Vol. 52, No. 3,Dec.1965,p.509-510.

(38)Todd S. Purdum, An Idea Whose Time Has Come: Two Presidents, Two Parties, and the Battle for the Civil Rights Act of 1964 ,New York: Henry Holt and Company, 2014,p.24.

(39)Todd S. Purdum,Op.Cit.,p.25.

(40) Judy L. Hasday, The Civil Rights Act of 1964: An End to Racial Segregation ,New York: Chelsea House, 2007,p.31-35.

(41)Todd S. Purdum,Op.Cit.,p.366.

(42)Judy L. Hasday,Op.Cit.,p.96.

(43)Todd S. Purdum,Op.Cit.,p.73.

(44)Judy L. Hasday,Op.Cit.,p.118.

(45)Christine J. Back,, The Civil Rights Act of 1964: An Overview, Congressional Research Service Report R46534, Library of Congress,Septmber21,2020,p.7-8.

(46) Juan Williams ,Eyes on the Prize, New York, Penguin Books,1987,p.258-259.

(47) Dennis William Johnson ,Friend of the Court :The United States Department of Justice as Amicus Curiae in Rights Cases Before the Court 1947-1971,Duke University,1972,p.62.

(٤٨) أمين المميز، أميركا كما رأيتها، بغداد، مطبعة السكك الحديدية،١٩٥١،ص١٨٩.

(٤٩) ليرون بينيت، زعيم الزنوج مارتن لوثر كنغ ،القاهرة، دار اتحاد للطباعة،١٩٦٦،ص٨١.

(٥٠) للمزيد ينظر:

Robert Dallek, An Unfinished Life: John F. Kennedy, 1917-1963, New York: Little, Brown and Company, 2003.

(٥١) مارشال فرادي ،مارتن لوثر كنغ، ،بيروت ،دار الساقي،٢٠١٢، ص١٠٦-١٠٧.

(٥٢) عبد الفتاح ياغي، الحكومة والادارة العامة في الولايات المتحدة الامريكية، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع،٢٠١٢،ص٢٧٩.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

التوصيف القانوني والرؤية التاريخية لقضايا المرأة في الدستور العراقي ٢٠٠٥

The legal characterization and historical perspective of women's issues in the 2005 Iraqi Constitution".

م.م. نِعم مفيد حميد

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

Niam.m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث

حقوق المرأة وقضاياها من الأمور المهمة في المجتمعات كافة، وبتتبع التاريخ نجد انها عانت من الظلم والاضطهاد والقهر الاجتماعي والسياسي، فقد بدأت التشريعات وبمختلف أنواعها مع مراعاة حقوقها، ومنذ صدور دستور عام ٢٠٠٥ في العراق فقد شهد تطورا ملحوظا في حقوق المرأة لاسيما في المجال السياسي، إذ يسلط الضوء على التحديات والفرص التي تواجه تحقيق المساواة وتعزيز دور المرأة في بناء المجتمع والدولة، وبيان مدى انسجامها مع المبادئ الدولية لحقوق الانسان والضمانات القانونية التي اقرها الدستور، والتي تمثلت بالمساواة وعدم التمييز ومدى فاعلية هذه النصوص في التطبيق الفعلي.

Abstract

Women's rights and their issues are among the important matters in all societies. By tracing history, we find that women have suffered from injustice, oppression, and social and political subjugation. Over time, various types of legislation have emerged with consideration for their rights. Since the issuance of the 2005 Constitution in Iraq, there has been a noticeable development in women's rights, especially in the political field. This highlights the challenges and opportunities facing the achievement of equality and the strengthening of women's role in building society and the state. It also examines the extent to which these developments align with international human rights principles and the legal guarantees established by the constitution, represented by equality and non-discrimination, as well as the effectiveness of these provisions practical application

المقدمة

تعد حقوق المرأة ركيزة اساسية في بناء الدول، اذ شغلت مكانة اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية ودينية وادت دورا فاعلا في مفاصل الحياة كافة، ولذا أولى دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ لدور المرأة اهمية في الحياة العامة منها والحياة السياسية، وسعى إلى تكريس مبدأ المساواة بين الجنسين وضمان الحقوق الأساسية لها في مختلف المجالات، وكافلًا لها حق المشاركة في الحياة العامة، بما في ذلك التمثيل النيابي من خلال نظام الكوتا[١]. وتناول الدستور حماية الأمومة، وضرورة تمكين المرأة من أداء دورها في المجتمع.

أن الدساتير العراقية والحقوق التي أقرت للمرأة العراقية، تحتاج الى التطرق للأزمنة التاريخية التي مرت بها الدساتير العراقية المؤقتة منذ تأسيس الدولة العراقية، وان ما سبقها من قوانين وتشريعات أبان حكم الإمبراطورية العثمانية و الخلافات الدينية التي نشأت بين رجال الدين والدولة وان صياغة التشريعات وتطبيق الأحكام وكل ما يتعلق بحقوق المرأة في المجتمع العراقي ومن الضروري أن يتم التركيز على المستوى الدستوري، لأن الدستور يوفر الإطار لحقوق الأفراد الأساسية وعلاقتهم مع أفراد آخرين وعلى الدولة ان تتبع حماية المساواة بين الجنسين من ذلك الإطار نفسه. كما إن وجود النزاعات المحتملة بين حقوق المرأة والضغوطات الاجتماعية والعرفية ينبغي ألا يقضي على وجود أو تطبيق هذه الحقوق أو يقلص منها، فمن الضروري أن يمنح النظام القانوني المرأة الاليات والأدوات لحماية حقوقها حتى وأن كانت المعايير الاجتماعية لا تفعل ذلك .

إشكالية البحث

على الرغم من أن الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ ضمن حقوق المرأة، الا انها ظلت تواجه اشكاليات التنفيذ لبعض مواده الدستورية، بفعل تأثير بعض السلوكيات المتفاوتة بين المحافظات العراقية وانعكاس ذلك على تمثيلها السياسي، او في مواجهة بعض الظواهر الاجتماعية كالعنف والتحرش وغيرها.

أهمية البحث

تنطلق اهمية الدراسة في كونها تأسس لحقيقة تفعيل مواد الدستور ذات الصلة بشؤون المرأة وقضاياها المعاصرة والحد من سطوة الارث الاجتماعي الذي عانت منه المرأة العراقية.

منهجية البحث

أعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي، اذ تم مراجعة المواد الدستورية ذات الصلة بشؤون المرأة ومتعلقاتها، وبيان حدود توظيفها لمعالجة المشكلات التي تواجهها.

هيكلية البحث

استلزمت هيكلية الدراسة توزيعها على مبحثين الأول: المسار التاريخي للمعالجات الدستورية لقضايا المرأة حتى صدور دستور عام ٢٠٠٥ ، واستعرضت القوانين والاحكام التي نصت على حماية حقوق المرأة، والمبحث الثاني: دستور عام ٢٠٠٥ والتركيز على المواد الدستورية المرتبطة بحقوقها السياسية، والاجتماعية والصحية، ثم الخاتمة.

المبحث الأول: المسار التاريخي للمعالجات الدستورية لقضايا المرأة حتى صدور دستور عام ٢٠٠٥

القانون الأساسي عام ١٩٢٥ هو البداية التشريعية بعد تأسيس الدولة العراقية، وأستمر العمل به حتى عام ١٩٥٨، ثم صدر دستورا جديد واعقبها كذلك دستورين مؤقتين عام ١٩٦٨ و ١٩٧٠، وعبرت المراحل الثلاثة في الدساتير التي أنشأت على رؤيتها للحقوق والحريات وفقا للإيديولوجية والقيم التي حملتها، وبالتالي كانت فقرات الدستور المتعلقة بهذا الجانب متفاوتة من مرحلة إلى أخرى[٢] ، على سبيل النموذج نص الدستور العراقي عام ١٩٢٥ على الحقوق والحريات "حقوق الشعب" ونص على انه " **لا فرق بين العراقيين في الحقوق أمام القانون وان اختلفوا في القومية والدين واللغة**" [٣].

شهد العراق في عام ١٩٤٦ مرحلة مهمة من الانفتاح السياسي في ظل النظام الملكي، الامر الذي اسهم في اشراك المرأة في الحياة السياسية وعلى الرغم من ذلك ان تلك المدة لم تتضمن منح المرأة نصا صريحا يمنحها حق الانتخاب او الترشح، وذكر لأول مرة في المادة (٩) من الدستور العراقي لعام ١٩٥٨ على المساواة بين الرجل والمرأة ولاسيما في ممارسة الحقوق السياسية التي حرمت منها المرأة وتسنم المناصب والحق في الاعتقاد والتعبير عن الراي [٤].

تضمنت الدساتير العراقية مواد مختلفة تناولت في موضوعاتها ماله صلة بحقوق الانسان ومنها حقوق المرأة وفي مقدمتها المساواة والقضاء على التميز ضد المرأة في المجتمع كما اذ يعد الدستور مظلة لجميع القوانين الوطنية التي من المفروض أن تضمن حقوق الانسان دون تميز وتضمن حقوق الجميع الرجال والنساء والحقوق المتصلة بالأسرة وحمايتها[٥]. أن الدستور المؤقت لعام ١٩٥٨ فقد بين في مضمون بعض مواده أن المواطنين سواسية أمام القانون وهذا يعني يجب إعطاء فرصة للمرأة للتسنم المناصب العليا، وبالأخص المناصب السياسية، اذ أن يحق للمرأة التصدي الى شغل منصب رئاسة الجمهورية أو حقيبة وزارية أو عضوية في مجلس النواب وغيرها من المناصب[٦].

تمثلت حقوق المرأة السياسية في ظل الدساتير العراقية السابقة بانها متفاوتة من دستور الآخر، إذ وضح القانون الأساسي العراقي على أن المرأة هي جزء من المجتمع العراقي وأنها لم تمنح حقوقاً سياسية وبقيت محرومة من مظاهر الحياة السياسية ولاسيما مساهمتها في الانتخابات بعد عام ١٩٤٦، اذا ان

دستور العراق لعام ١٩٥٨ قد نص على المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات العامة ولا يجوز التمييز بينهما ويكون المشرع قد ساوى بين الرجل والمرأة في ممارسة الحقوق السياسية التي لطالما حرمت منها المرأة في ظل النظام الملكي ومنها حق الانتخاب وتولي المناصب السياسية، وان دستور عام ١٩٧٠ أكد على المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والحريات الا أنه لم يضع نصيب أو حصة لتمثل النساء سياسياً(٧).

ويقوم مبدأ المساواة على أساس التعامل مع الجميع بصورة متساوية في ظل المراكز القانونية المتماثلة، ومن دون تمييز ويتسم بالمرونة والنسبية، ويتحدد بالسياسة العامة التي وضعت القانون وأهدافه، ومن ثم لا يسمح هذا المبدأ عند تطبيقه في أن تتجاوز هيئات سلطة الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية لاختصاصاتها الدستورية، ولاسيما في إطار تحقيق الحماية المتكافئة لحقوق المواطنين وحرياتهم الأساسية ويطبق مبدأ المساواة بين الأفراد، في ظل المراكز القانونية الواحدة او المتماثلة، من دون تمييز على أساس الأصل أو الجنس أو اللون أو الدين أو اللغة أو المركز الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي أو الصحي أو الإعاقة أو أي عامل أخر للتمييز ويقرر مبدأ المساواة في ممارسة تلك الحقوق (٨)، اذ توافقت معظم مواد الدستور العراقية على حقوق المساواة بين الرجل والمرأة ولا يجوز التمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة، كما تضمنت كذلك ضمانات الحقوق الفكرية، وأن مسألة نيل المرأة العراقية حقوقها القانونية بجانبيها الشخصي وحقوقها داخل الأسرة، وحقوقها في العملية السياسية عبر الانتخاب والترشيح أو اعطائها مناصباً سياسية معينة، لا ينفصل ذلك كله عن البعد السياسي والاجتماعي (٩).

وتزامن دخول اول امرأة عراقية الى الحياة السياسية مع صدور قانون المجلس الوطني رقم ٥٥ لعام ١٩٨٠ اذ شغلت ستة مقاعد برلمانية من مجموع ٢٥٠ مقعد(١٠)، وفي عام ١٩٨٦ أصبح العراق من أوائل الدول التي صادقت على ضمانات المساواة وعدم التمييز ضد المرأة لاسيما في القضايا المتعلقة بحقوق النساء والفتيات (١١).

في عام ١٩٨٦ انضم العراق لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وقد صادق عليها بالقانون رقم (٦٦) لعام ١٩٨٦، ولكن العراق تحفظ على المادة الثانية منه بفقرتها (ز) والتي تنص على الغاء جميع أحكام قوانين العقوبات الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة وانه تحفظ على المادة التاسعة التي تتعلق بحق المرأة بالجنسية، بينما كان تحفظه على المادة (١٦) التي تتعلق بالأحوال الشخصية والمساواة في الزواج وفي قانون الاسرة وفيما يتعلق بتحفظ العراق على المادة التاسعة منها اذ اصبح التحفظ لا قيمة له بعد صدور قرار قانون الجنسية رقم ٢٦ لعام ٢٠٠٦ والذي منح المرأة الكثير من الحقوق لم تحصل عليها سابقا (١٢) .

توالت الانظمة والقرارات فيما بعد، تناولنا في بعض تفاصيلها حقوق المرأة على المستويين الوظيفي والاجتماعي حتى عام ٢٠٠٣ وبعد الاحتلال العسكري الامريكي للعراق وفي عام ٢٠٠٥ صدر دستور العراق الجديد.

المبحث الثاني: دستور العراق عام ٢٠٠٥ شؤون وقضايا المرأة

بعد احداث الاحتلال العسكري الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ وتطور الاحداث، بدأت بوادر التنظيم الاداري الجديد للعراق، إذ كان لابد من اصدار دستور جديد يأخذ بنظر الاعتبار تلك المتغيرات وبعد استفتاء ومفاوضات مكثفة، تشكلت لجنة لصياغتهٍ قامت بوضع النصوص القانونية عكستها على صورة قواعد دستورية وبأسس معينة بعد ان تم صياغة الدستور وبشكله النهائي إذ حدد يوم ١٥ تشرين الاول عام ٢٠٠٥ للاستفتاء عليه إذ ذهب الشعب الى صناديق الاقتراع للتصويت عليه[١٣]، فهو المسؤول عن تحديد الحقوق والواجبات للأفراد ومسؤول عن تنظيم اعمال الحكومة وهو الضمان الأساس لمجتمع تسوده علاقة العدل والمساواة [١٤] ، وبلغ عدد النساء المشاركات من الكتل السياسية في لجنة صياغة الدستور عشر نساء[١٥]، وبهذا أعربت ناشطات نسويات والعديد من المنظمات غير الحكومية النسائية عن معارضتهن لهذه التغييرات وانتقدن استبعادهن من صياغة الدستور، ومع ذلك فقد تعثرت جهودهن بسبب نقص الدعم الواسع من المجتمع المدني، وبسبب النقص العام في المعرفة بحقوق المواطنين في المشاركة في صياغة الدستور وعملية التصديق عليه، فضلا عن أن ما تعرضت إليه النساء اللواتي تحدثن علنًا للتهديدات والعنف، فإن لهذه الإخفاقات تأثيرًا أوسع نطاقًا لأنها تشكل انتهاكًا لحقوق الإنسان خاصة وللمرأة بشكل عام [١٦].

وأن صياغة التشريعات أو تطبيق الأحكام المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع العراقي، وأن التركيز على المستوى الدستوري الذي يوفر الإطار الاساسي لحقوق الأفراد وعلاقتهم مع أفراد آخرين في الدولة، يجب أن تنبع حماية المساواة بين الجنسين من ذلك الإطار نفسه، كما أن وجود النزاعات المحتملة بين حقوق المرأة والضغوطات الاجتماعية والعرفية ينبغي ألا يقضي على وجود أو تطبيق هذه الحقوق أو يقلص منها، ومن الضروري أن يمنح النظام القانوني المرأة الآليات والأدوات لحماية حقوقها، حتى وإن كانت المعايير الاجتماعية لا تفعل ذلك، وقبل التطرق في موضوع حقوق المرأة في الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ وان حقوق المرأة المعترف بغض النظر عن أي اعتبار أو سبب يمكن ان يؤدي الى التميز أو الى الاضطهاد، فلا بد ان نلقي الضوء على حقوق المرأة والتي تم ذكرها في الدستور العراقي عام ٢٠٠٥، وكرستها المواثيق التي تشكلت في القانون الدولي لحقوق الانسان وللمرأة و الطفل و تجدر الاشارة الى أن حقوق المرأة الدولية لن تأتي إلا بعد نضال طويل وان توسع ميادين عمل القانون الدولي في القرن العشرين ونالت المعاهدات الدولية مكاناً بارزاً بين مصادر القانون الدولي وان المعاهدات ادت

دور كبير في تطبيق القواعد القانونية الدولية الداخلية ذلك عبر الأزمنة المتعاقبة مما ادى الى ازدهار الحياة المعاصرة [١٧].

الحقوق الاجتماعية

أشارت حقوق المرأة في دستور ٢٠٠٥ الى المواد المهمة التي تميز بين الرجل والمرأة و التي ضمنت حقوقها وفق مع ما ورد في الاتفاقيات الدولية إذ وقع عليها العراق واصبح طرفاً فيها مثل العهد الخاص بالحقوق المدنية والنسائية والعهد الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية و غيرها و نجملها بالمواد والفقرات الاتية:

المادة (٢) من الدستور فقرة (أ) نصت على "**انه لا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت الاسلام وان ثوابت الاسلام تعني الاتفاق أي يتفق الجميع على امر معين من غير الالتجاء الى الاجتهاد والعمل بالآراء الفقهية**".

الفقرة (ب) من المادة نفسها نصت على "**انه لا يجوز سن قانون يتعارض مع الحقوق والحريات الاساسية الواردة في هذا الدستور**" [١٨].

أما المادة (٢٩) من نفس الدستور نصت على "**أن الأسرة اساس المجتمع وتحافظ الدولة على كيانها وقيمتها الدينية والاخلاقية والوطنية**"، وجاءت الفقرة (٤) من المادة نفسها على "**انه تمنع كل اشكال العنف والتعسف في الأسرة والمدرسة والمجتمع**" [١٩].

بينما ان المادة (٣٠) فقرة (١) تنص على "**تكفل الدولة للفرد والأسرة وبخاصة الطفل والمرأة وان الضمان الاجتماعي والصحي والمقومات الاساسية للعيش في حياة حرة كريمة تؤمن لهم الدخل المناسب والسكن الملائم**" [٢٠].

وبين دستور العراق لعام ٢٠٠٥ ضمانات حقوق المرأة الاجتماعية والثقافية والصحية، فركز على حماية الأسرة والأمومة جاء ذلك في نص المادة (٢٩) الفقرة (ب) والتي بينت أن الدولة " **تكفل حماية الأمومة و الطفولة و الشيخوخة وترعى النشئ و الشباب وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم و قدراتهم**"، وأكد الدستور على الضمان الاجتماعي ذكر نص في المادة (٣٠) منه على ان الدولة تكفل للفرد والأسرة ولاسيما الطفل و المرأة الضمان الاجتماعي و الصحي، والمقومات الاساسية للعيش في حياة حرة كريمة، تؤمن لهم الدخل المناسب، والسكن الملائم، وجاءت الفقرة ثانياً من المادة ذاتها لتنص على ان تكفل الدولة الضمان الاجتماعي و الصحي للعراقيين في حال الشيخوخة أو المرض أو التشرد أو اليتم أو البطالة، وتعمل على وقايتهم من الجهل والخوف والفقر، وتوفر لهم السكن والمناهج لاسيما لتأهيلهم والعناية بهم، وينظم ذلك بقانون)، اما المادة (٣١ / اولاً) منه فقد نصت على ان لكل عراقي

الحق في الرعاية الصحية والعلاجية، أما الفقرة ثانيا من المادة ٣١ نصت على ان **"للأفراد والهيئات إنشاء مستشفيات أو مستوصفات أو دور علاج خاصة وبأشراف من الدولة وينظم ذلك القانون"** [٢١].

ونلاحظ ان الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ قد اولى لجانبها الصحي اهتماماً، الا ان من اهم التدابير لحماية صحة المرأة هي مجانية العلاج فهو يشجع المرأة على الحفاظ على صحتها وصحة أطفالها دون تحملها لأعباء مالية، الا ان مجانية العلاج لا تستفيد منه كل النساء ، وذلك لتزايد أعداد المرضى المراجعين الى جانب اجراءات الكشف والعلاج ، مما يؤدي الى لجوء المرأة إلى القطاع الخاص وهو مكلف قياسا بأجور الفحص والتحاليل وتحديد العلاج، الا أن الواقع المعرف أن الدولة ملزمة بأن توفر لها المتطلبات العلاجية[٢٢] ، اقر دستور عام ٢٠٠٥ حقوقاً وحريات للمرأة ، وبين ذالك في بنوده وفقراته بانه اقر مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة وأورد في المادة (١٤) منه والتي نصت " **العراقيون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللون أو الدين أو المذهب أو المعتقد أو الرأي أو الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي**" [٢٣]، وعليه ان الاقرار بمبدأ المساواة بين المرأة والرجل هي قاعدة دستورية لا يمكن مخالفتها ، فضلا عن ان الدستور اولى للتعليم اهتماماً كبيراً اذ وضحت المادة ٣٤ منه "**أن التعليم عامل اساس لتقدم المجتمع وحق تكفله الدولة، وهو الزامي في المرحلة الابتدائية**"، بالرغم من أن المواد التي تضمنها الدستور ألا أن الواقع يشير الى حرمان المرأة من حق التعليم بسبب الاضطراب الامني الذي شهده العراق بعد الاحتلال العسكري الامريكي ٢٠٠٣، مما أدى الى تقييد حرية النساء في التنقل والقدرة على الذهاب للعمل والمؤسسات التعليمية [٢٤].

الحقوق السياسية

تضمن دستور ٢٠٠٥ بيان حقوق المرأة السياسية والمشاركة في الشؤون العامة وتمتعها بالحقوق السياسية بما فيها التصويت والانتخاب والترشيح وان نسبة تمثيل النساء لا تقل عن الربع من أعضاء مجلس النواب وهذا ما أطلق عليه بالكوتا، والتي تعني نصيب أو حصة وهذا المفهوم كمطلب حقوقي بدأ يستمد قوته ومشروعيته منذ انعقاد مؤتمر المرأة العالمي الرابع عام ١٩٩٥ والذي أقر بوجوب اعتماد مبدأ الكوتا كتميز ايجابي يساهم في تفعيل مشاركة المرأة في الحياة العامة ومنذ ذلك الحين أستخدم هذا المصطلح للإشارة الى تخصيص نسبة أو عدد محدد من مقاعد البرلمانات ومجالس المحافظات والبلديات[٢٥]، ومع هذا عانت المرأة من ضعف المشاركة السياسية الفعالة وغياب القيم والتقاليد الديمقراطية، فضلا عن انعدام الاستقرار السياسي المتمثل بالحروب الداخلية والخارجية وعدم احترام حقوق الانسان وغيرها من الأسباب التي ساهمت في تهميش المرأة واستبعادها [٢٦]، وأن المشاركة السياسية للمرأة لا تعني زوال التمييز القائم على أساس الجنس فلا يزال ذلك عائقاً أمام مشاركتها الفعلية

في عملية اتخاذ القرار فهي لا تتمتع في كل الدول بالمساواة التامة مع الرجل سواء في المكانة السياسية أو المشاركة في أصدار القرارات، وأن المشاركة السياسية للمرأة مرتبطة بتوافر شرطين هما:

١. بيئة حقوقية تحرر المساحة الموضوعية للمرأة وتعمل على الاعتراف بوجودها الاجتماعي المستقل.
٢. منظومة تربوية هدفها بناء صور متوازنة للعلاقات المتساوية بين الرجل والمرأة ومن وجهة نظرنا نجد أن وجود المرأة في العملية السياسية لا يغنى عن وجودها وبكثافة في الانظمة البديلة [٢٧].

وجاء في نص المادة ٣٨ من الدستور على مشاركة المرأة السياسية والتي نصت على: حرية التعبير عن الرأي [٢٨]. وبذلك شخصت المادة مساحات عديدة في مساهمة المرأة في الحياة المجتمعية.

ومنح دستور ٢٠٠٥ للمرأة العراقية حق التصويت في الاستفتاءات العامة اذ اكد ذلك في المواد ٤، ١١٩، ١٢٦، وان لها الحق كذلك في الجوانب الاتية:

١. حرية التعبير عن ارادتها السياسية والتعبير عن افكارها الحزبية خلال مدة الانتخابات.
٢. حرية تعبيرها عن رأيها السياسي من دون قيد أو شرط.
٣. حقها في التجمع السلمي والمشاركة في المظاهرات أو التجمعات السياسية [٢٩].

وبين الدستور بشكل برامج الاهتمام بالحقوق السياسية وضمان احترام الاعلان العالمي لحقوق الانسان والمواثيق الدولية وهذا ما ينسجم مع التطورات والمتغيرات التي شهدها العراق بعد عام ٢٠٠٣.

أن وجود الاعتراف الدستوري للمرأة بحق المواطنة وما يتبعها من حقوق الضمانة الأساسية وهي تمتع المرأة بالحقوق السياسية والاجتماعية وهي حقوق طبيعية والمتمثلة بالاعتراف الدستوري للمواطن وانها حق من حقوق الانسان ولابد ان يقترن بضمانة لحمايتها وكفالة حريته [٣٠] ، اكدت المادة ١٣ من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥على :

أولا : يُعد هذا الدستور القانون الأسمى والأعلى في العراق ويكون ملزماً في أنحائه كافة وبدون استثناء.

ثانياً : لا يجوز من قانون يتعارض مع هذا الدستور، وبعد باطلاً أي نص يرد في دساتير الأقاليم أو أي نص قانوني آخر يتعارض معه [٣١].

كما ونصت المادة ٤٦ منه إلى : "**لا يكون تقييد ممارسة أي من الحقوق والحريات الواردة في هذا الدستور أو تحديدها إلا بقانون أو بناء عليه، على ألا يمس ذلك التحديد والتقييد جوهر الحق أو الحرية**" [٣٢].

وأما على صعيد انضمام المرأة الى منظمات المجتمع المدني فقد ضمن الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ ذلك وسمح بتشكيل مؤسسات المجتمع المدني ورد فيه أن " **تحرص الدولة على تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني ودعمها وتطويرها واستقلاليتها بما ينسجم مع الوسائل السلمية لتحقيق الأهداف المشروعة**" [٣٣]، وأن تعدد نشر الثقافة التي بدأت بالتفاعل مع وسائل الاعلام ومؤسسات المجتمع المدني فأن نشر الثقافة لها اثر في تفعيل مشاركة المرأة في الحياة السياسية [٣٤]، وبين الدستور في المادة ٣٩ منه حرية الانضمام الى الجمعيات والأحزاب السياسية والانسحاب معها [٣٥]، وأن تثقيف المجتمع يكون بوعي نسوي وليس وعي حزبي سياسي ونتيجة الاوضاع الامنية ابعدت النساء عن الخوض في هذا المجال[٣٦] وبالرغم من ذألك فأن مشاركات المرأة في المنظمات والأحزاب السياسية كانت محدودة ولذا يلزم أصدار قوانين وأنظمة تعالج جوانب مختلفة في حياة المرأة على الصعيدين السياسي والاجتماعي والوظيفي[٣٧].

الخاتمة:

أظهرت الدراسة أن حقوق المرأة واوضاعها في العراق هي جزء لا يتجزأ من بناء دولة مستقرة وديمقراطية، فأن دستور عام ١٩٢٥ أبعد المرأة عن حقها في الحياة السياسية من الانتخاب والترشيح مركزا على الذكور، بينما هناك دساتير كفلت حقوقها السياسية واقتصرتها على الالتزام بأيديولوجية أذ وضح ذلك دستور العراق المؤقت عام ١٩٧٠، لذا فان دستور عام ٢٠٠٥ كفل حقوقها المدنية ومساواتها مع الرجل في جوانب الحياة كافة، ونص على قرار جديد لم يكن في الدساتير السابقة الا وهو أن من حقها منح الجنسية العراقية لا بنائها، فضلا عن حقوقها المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومع هذا فان الدستور اغفل بيان القيمة القانونية للاتفاقيات الدولية التي تحمي تلك الحقوق، مع أنشاء مكاتب خاصة الهدف منها حماية حقوق المرأة واستقبال شكاواها، فضلا عن منع العنف ضد المرأة إذ حصلت على حقوق نوعية غيرت من وضعها الاجتماعي والسياسي واحتوى الدستور على مواد داعمة لمشاركة المرأة في الحياة السياسية بموجب نظام الكوتا، وأن مشاركتها يجب ان تكون واقعا تساهم في بناء المجتمع وازدهاره، ومع ذلك فأن السلطة التشريعية في العراق مطالبة اليوم بإصدار تشريعات تعزز من مكانة ومشاركة المرأة في جوانب الحياة المختلفة، وهي فرصة مناسبة لاستغلال تلك الطاقات في محطات البناء الجديدة.

هوامش البحث

[١] الكوتا :- أصل الكلمة لاتيني شاع استخدامها بلفظها الأصلي ومعناها في اللغة العربية الحصة، أما معناها الاصطلاحي هو : تخصيص عدد من مقاعد البرلمان بغض النظر عن عدد الناخبين الذين صوتوا لأنتخاب النساء، أي أن ذلك يعني أن تكون للنساء حصة عضوية السلطة التشريعية على سبيل الوجوب والالزام، إذ لا تكتسب السلطة التشريعية الصفة الدستورية والمشروعية مالم يكن من بين أعضائها عدد محدد من النساء، كوثر حسين محمد الموسوي، مشاركة المرأة في الحياة السياسية في العراق بين ٢٠٠٣و٢٠١٠، الجامعة الإسلامية في لبنان، كلية الحقوق، ٢٠١١، ص٧٦.

[٢] عبد الكريم علوان، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٩، ص٢٥٥.

[٣] رعد ناجي جدة، التطورات الدستورية في العراق، بيت الحكمة ، بغداد، ٢٠٠٤، ص٦٥.

[٤] ايناس هاشم، رشا شاكر، سهيله خطاف، الحماية القانونية للمرأة في إطار القانون العراقي والقوانين الدولية ،مجلة جامعة دهوك، مجلد ٢١، العدد١، ٢٠٢٣، ص١٦٤.

[٥] لطيف مصطفى امين، مبدأ الفصل بين السلطات ووحدتها وتطبيقها في الدساتير العراقية، مكتبة الفكر والتوعية، سليمانية، ٢٠٠٧، ص٣٤.

[٦]عبد المهدي صاحب عبد المطلب الموسوي، النظام القانوني العراقي لتولي المرأة لمناصب السياسية مقارنا بالشريعة الاسلامية، العدد ٦٥، الجزء ٣، ٢٠٢٤، ص٣٧٤.

[٧] احسان حميد المفرجي، كطران زغير نعمة، رعد ناجي، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، بغداد، مكتبة السنهوري، ١٩٨٩، ص٣٢٢.

[٨] سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة لحقوق الانسان، ط١، القاهرة،٢٠٠٧، ص٤٠.

[٩] نضال عيسى كريف، حقوق المرأة بين القانون والعرف العشائري مقارنة سوسيولوجية للحالة العراقية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المؤتمر العلمي الدولي الخامس، جامعة ديالى، ٢٠٢٣، ص٣٣٨ .

[10] Suad Joseph, Elite Strategies for State- Bulding:Women, Family, Religion and State in Iraq and Lebanon, in Women,Islam and the State,ed, Deniz, Kandiyot(leiden, the neherlands:E.J Brill, 1992, p178.

[١١] جدة، المصدر السابق، ص٥٢.

[١٢] محمد عوض، حقوق الانسان والاعلام، دراسات ومناقشات الدورة التدريبية، برنامج الأمم المتحدة، القاهرة،٢٠٠٢، ص٣١٦.

[١٣] عبد العظيم محمد، الخلافات الطائفية ومستقبل صياغة الدستور العراقي، مقال منشور على موقع الجزيرة الفضائية، لقاء مع الشيخ همام حمودي رئيس لجنة صياغة الدستور العراقي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٢٧ على الرابط http//www.aljazeera.net/programs/Iraqi-scene/27/7/2005 ، ٧/ ٤/٢٠٢٦.

[١٤] جمهورية العراق، دستورنا بين أيدينا، مسودة دستور جمهورية العراق، اب، ٢٠٠٥، ص٢.

[١٥] همام حمودي، رئيس اللجنة الدستورية، جريدة الصباح، بغداد، ٢٠٠٥/٤/١٣.

[16] Mouna.H.hashem, un women asro Iraq national constitution and referendum awareness campaign 2005-2007, independent evaluation consultant, February, 2011,p11.

[١٧] مصلح حسن احمد، حقوق المرأة في القانون الدولي العام، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد ٧٠، ٢٠١١، ص١٩٥.

[١٨] ينظر المادة (٢) من دستور جمهورية العراق، لعام ٢٠٠٥.

[١٩] ينظر المادة (٢٩) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٢٠] ينظر المادة (٣٠) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٢١] ينظر المادة (٣١) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٢٢] احمد عمر الراوي، حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية في الدستور العراقي الجديد، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٢٥، ٢٠٠٨، ص ٤٢.

[٢٣] ينظر المادة (١٤) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٢٤] سجى فالح حسين، الضمانات القانونية لحقوق المرأة الثقافية والاجتماعية، كلية القانون، مجلة القانون للدراسات والبحوث القانونية، العدد٢١، ٢٠٢٠،ص ٣٠١.

[٢٥] ميسون علي عبد الهادي، حقوق وحريات المرأة في ظل دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، كلية اليرموك الجامعة، مجلة اليرموك، العدد٩, مجلد٩، ٢٠١٧، ص٨٨.

[26] Dima Kamel Abdul Amir, Montaser Hussein Jawad, The Quota System AND Its Impact On The Political Participation Of Iraqi Women After 2005, Evoltionary Sudies in Imaginative Culture, ESC,VOL.8.1/NO.21 2024, P1743.

[٢٧] فهيمه شرف الدين، المشاركة السياسية للمرآه العربية الأهمية والدور، نشرة قضايا، العدد٢. تموز٢٠٠٢، ص٢٣.

[٢٨] ينظر المادة (٣٨) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٢٩] زينب شريف الجزائري، الحماية الدستورية لحقوق المرأة في ضوء دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، جامعة دهوك، مجلة جامعة دهوك، العدد١، المجلد٢٦، ٢٠٢٣، ص٥٤٧.

[٣٠] عبد الاله محمد سالم، ضمانات المتهم اثناء التحقيق الابتدائي، الطبعة الثالثة، دار وائل للنشر، ٢٠٠٦، ص١٠.

[٣١] ينظر المادة (١٣) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٣٢] ينظر المادة (٤٦) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٣٣] ينظر المادة (٤٥) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

[٣٤] محمد عابد الجابري، الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤، ص٧١.

[٣٥] الجزائري، المصدر السابق، ص٥٤٩.

[٣٦] عبد الجبار احمد، هدى محمد مثنى، السلوك السياسي للمرأة العراقية، مجلة علوم سياسية، كلية العلوم السياسية، العدد ٤٢، كانون الثاني، ٢٠١١، ص٧.

[٣٧] روافد محمد علي الطيار، التنظيم القانوني للكوتا النسائية وفق دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥: دراسة مقارنة، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، فلسطين، العدد٦، المجلد٢، اذار، ٢٠٢٢ ص٧٠٥.

قائمة المصادر:

١. احمد، عبد الجبار، مثنى هدى محمد، السلوك السياسي للمرأة العراقية، مجلة علوم سياسية، كلية العلوم السياسية، العدد ٤٢، كانون الثاني، ٢٠١١، ص٧.
٢. احمد، مصلح حسن، حقوق المرأة في القانون الدولي العام، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد ٧٠، ٢٠١١، ص١٩٥.
٣. امين، لطيف مصطفى، مبدأ الفصل بين السلطات ووحدتها وتطبيقها في الدساتير العراقية، مكتبة الفكر والتوعية، سليمانية، ٢٠٠٧، ص٣٤.
٤. الجابري، محمد عابد الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤، ص٧١.
٥. جدة، رعد ناجي ، التطورات الدستورية في العراق، بيت الحكمة ، بغداد، ٢٠٠٤، ص٦٥.
٦. الجزائري، زينب شريف الحماية الدستورية لحقوق المرأة في ضوء دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، جامعة دهوك، مجلة جامعة دهوك، العدد١، المجلد٢٦، ٢٠٢٣، ص٥٤٧.
٧. حسين، سجى فالح الضمانات القانونية لحقوق المرأة الثقافية والاجتماعية، كلية القانون، مجلة القانون للدراسات والبحوث القانونية، العدد٢١، ٢٠٢٠،ص ٣٠١.
٨. حمودي، همام، رئيس اللجنة الدستورية، جريدة الصباح، بغداد، ٢٠٠٥/٤/١٣.
٩. الدين، فهيمه شرف المشاركة السياسية للمرآه العربية الأهمية والدور، نشرة قضايا، العدد٢. تموز ٢٠٠٢، ص٢٣.
١٠. الراوي، احمد عمر، حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية في الدستور العراقي الجديد، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٢٥، ٢٠٠٨، ص ٤٢.
١١. سالم، عبد الاله محمد، ضمانات المتهم اثناء التحقيق الابتدائي، الطبعة الثالثة، دار وائل للنشر، ٢٠٠٦، ص١٠.
١٢. الطيار، روافد محمد علي، التنظيم القانوني للكوتا النسائية وفق دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥: دراسة مقارنة، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، فلسطين، العدد٦، المجلد٢، اذار، ٢٠٢٢ ص٧٠٥.
١٣. عبد الهادي، ميسون علي، حقوق وحريات المرأة في ظل دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، كلية اليرموك الجامعة، مجلة اليرموك، العدد٩, مجلد٩، ٢٠١٧، ص٨٨.
١٤. العراق، جمهورية ، دستورنا بين أيدينا، مسودة دستور جمهورية العراق، اب، ٢٠٠٥، ص٢.

١٥.علوان، عبد الكريم، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٩، ص٢٥٥.
١٦.عوض، محمد، حقوق الانسان والاعلام، دراسات ومناقشات الدورة التدريبية، برنامج الأمم المتحدة، القاهرة،٢٠٠٢، ص٣١٦.
١٧.فوزي، سامح ، المواطنة، مركز القاهرة لحقوق الانسان، ط١، القاهرة،٢٠٠٧، ص٤٠.
١٨.كريف، نضال عيسى، حقوق المرأة بين القانون والعرف العشائري مقارنة سوسيولوجية للحالة العراقية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المؤتمر العلمي الدولي الخامس، جامعة ديالى، ٢٠٢٣، ص٣٣٨ .
١٩. محمد، عبد العظيم ، الخلافات الطائفية ومستقبل صياغة الدستور العراقي، مقال منشور على موقع الجزيرة الفضائية، لقاء مع الشيخ همام حمودي رئيس لجنة صياغة الدستور العراقي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٢٧على الرابط http//www.aljazeera.net/programs/Iraqi-scene/27/7/2005 ، ٧/ ٤/٢٠٢٦.
٢٠.المفرجي، احسان حميد ، نعمة، كطران زغير، رعد ناجي، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، بغداد، مكتبة السنهوري، ١٩٨٩، ص٣٢٢.
٢١.الموسوي، عبد المهدي صاحب عبد المطلب، النظام القانوني العراقي لتولي المرأة لمناصب السياسية مقارنا بالشريعة الاسلامية، العدد ٦٥، الجزء ٣، ٢٠٢٤، ص٣٧٤.
٢٢.الموسوي، كوثر حسين محمد، مشاركة المرأة في الحياة السياسية في العراق بين ٢٠٠٣و٢٠١٠، الجامعة الإسلامية في لبنان، كلية الحقوق، ٢٠١١، ص٧٦.
٢٣.ميسون علي عبد الهادي، حقوق وحريات المرأة في ظل دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، كلية اليرموك الجامعة، مجلة اليرموك، العدد٩, مجلد٩، ٢٠١٧، ص٨٨.
٢٤.هاشم، ايناس، شاكر، رشا، خطاف، سهيله، الحماية القانونية للمرأة في إطار القانون العراقي والقوانين الدولية ، مجلة جامعة دهوك، مجلد ٢١، العدد١، ٢٠٢٣، ص١٦٤.
٢٥.ينظر المادة (٢) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٢٦.ينظر المادة (١٣) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٢٧.ينظر المادة (١٤) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٢٨.ينظر المادة (٢٩) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٢٩. ينظر المادة (٣٠) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٣٠. ينظر المادة (٣١) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٣١.ينظر المادة (٣٨) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٣٢.ينظر المادة (٤٥) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٣٣.ينظر المادة (٤٦) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

34. Amir ,Dima Kamel Abdul, Jawad, Montaser Hussein, The Quota System AND referendum awareness campaign 2005-2007, independent evaluation consultant, February, 2011,p11.

35. Hashem, Mouna.H., un women asro Iraq national constitution and Its Impact On The Political Participation Of Iraqi Women After 2005, Evoltionary Sudies in Imaginative Culture, ESC,VOL.8.1/NO.21 2024, P1743.

36. Joseph, Suad, Elite Strategies for State- Bulding:Women, Family, Religion and State in Iraq and Lebanon, in Women,Islam and the State,ed, Deniz, Kandiyot(leiden, the neherlands:E.J Brill, 1992, p178.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، دراسة تاريخية في ضوء محاضر إجتماعها السنوي الأول عام ١٩٠٧ .

أ.م.د مأمون شاكر إسماعيل
الجامعة المستنصرية – كلية التربية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

مستخلص :

شهد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تزايداً في إنعقاد المحاكم الدولية التي مارست دوراً تحكيمياً مستنداً على القانون الدولي ، وجاء إنعقاد تلك المحاكم نتيجة لرغبة الدول المتنازعة حول قضايا تخص مصالحها لاسيما الاقتصادية والسيادية في تجنب تطور تلك النزاعات أو بالأحرى الخلافات الى حالة تؤدي الى إندلاع الحروب أو الصراعات المسلحة. كانت الولايات المتحدة واحدة من تلك الدول التي فضّلت إحالة خلافاتها المتعددة مع بريطانيا الى تلك المحاكم التي قامت بدورها في إصدار القرارات والأحكام المناسبة لكل خلاف من تلك الخلافات. ومع تطور الإعتماد على القانون الدولي في حل تلك الخلافات ، أصبح لابد من التعريف به أكثر بين أوساط المجتمع الأميركي الذي كان مثقفوه يقرأون عنه في الصحافة الأميركية ، لذلك السبب جاء تأسيس الجمعية الأميركية للقانون الدولي.

كلمات مفتاحية : الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، الولايات المتحدة الأميركية ، القانون الدولي.

Abstract:

The American Society of International Law was one of the organizations specializing in international law, but it is not a union in the traditional sense. It does not advocate for international law professionals or support them, nor does it defend their rights as is typical of other professional associations such as the American Bar Association or labor unions. Its purpose was clear: to provide the American public with a clear and simple understanding of international law and why states resort to its application through arbitration, which is conducted by international courts. In this research, we tried to investigate the beginnings of the idea of establishing the American Society of International Law, what international circumstances surrounded its establishment, how the appropriate opportunity came about for that establishment, who the personalities who contributed to it were, how many sessions it required, the internal system of the Society, its branch committees, its periodical publication, its first annual meeting, and what topics of discussion were raised in that meeting.

المقدمة :

تُعد الجمعية الأميركية للقانون الدولي واحدة من التنظيمات المتخصصة بالقانون الدولي ، إلا أنها لم تكن تنظيماً بالمعنى النقابي ، فهي لم تتبنى شؤون المتخصصين بالقانون الدولي ولم تتولى دعمهم أو الدفاع عن حقوقهم كما هو متعارف عليه في الجمعيات المهنية الأخرى كنقابة المحامين الأميركيين أو النقابات العمالية. إذ أن الهدف من إنشائها كان واضحاً ، تمثل في إيصال فكرة سلسة وبسيطة للمثقف الأميركي عن ماهية القانون الدولي ، ولماذا تلجأ الدول الى تطبيقه عن طريق ما عُرف بالتحكيم الذي يُمارس عبر المحاكم الدولية.

كان ذلك الهدف موجهاً الى المثقفين العاديين في الولايات المتحدة ، أما المتخصصون في القانون الدولي ، فهم الذين خططوا لتأسيس الجمعية وتحقيق أهدافها المشار اليها ، إلا أن نشاطهم وعملهم فيها لم يكن يخلوا هو الآخر من هدف أرادوا تحقيقه تمثل في متابعة قضايا التحكيم الدولي والخلافات بين الدول التي من الممكن تجنب تطوراتها السلبية عن طريق تطبيق القانون الدولي ، بالإضافة الى مناقشة إمكانية تعديل بعض مفاهيم ونقاط ذلك القانون بما يخدم السلام في العالم وتجنب الحروب.

حاولنا في هذا البحث تقصي بدايات التفكير الأولى لإنشاء الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، وما هي الظروف الدولية التي أحاطت بتأسيسها ، وكيف جاءت الفرصة المناسبة لذلك التأسيس ، ومن هي الشخصيات التي ساهمت فيه ، وكم من الجلسات تطلب ذلك ، والنظام الداخلي للجمعية ، ولجانها المتفرعة ، ونشرتها الدورية ، ودورة إنعقادها الأولى ، وما هي مواضيع النقاش التي طرحت في جلساتها.

حاولنا أيضاً الإجابة على تساؤلات منها السبب الذي دعا تلك الشخصيات المتخصصة في القانون الدولي الى تأسيس الجمعية ، وهل كانت جميع آراء أولئك المتخصصين متفقة على نوعية التخصصات التي من الممكن أن يقبل أصحابها في الجمعية ، وما هو شكل ونوعية تلك العضوية ، وهل أثرى أولئك الأعضاء نقاشات الجمعية بطروحاتهم في مداخلاتهم خلال إجتماعها السنوي الأول عام ١٩٠٧ ؟.

إستندنا في كتابة البحث على مجموعة من المصادر المتنوعة ، كان أكثرها أهمية الوثائق المنشورة لمحاضر الجمعية الأميركية للقانون الدولي في إجتماعاتها السنوية Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting التي نشرت على نحو متسلسل إبتداءاً من عام ١٩٠٧ ، إذ كان لها المكانة الأولى في المصادر ، نظراً لما جاء فيها من تعريف لعمل الجمعية وأهذافها والنقاشات والكلمات التي ألقيت في إجتماعها السنوي الأول. وأتت بعدها من حيث الأهمية المقالات والبحوث المنشورة في المجلة الأميركية للقانون الدولي The American Journal of International Law ، بالإضافة الى العديد من المصادر المتنوعة الأخرى المتعلقة

بمواضيع القانون الدولي. وأخيراً ، لا يخلوا أي جهد علمي من الهفوات أو القصور ، ونحن بدورنا لا نترفّع ببحثنا عن ذلك ، فهو في النهاية نتاج علمي يخضع لنقد القارئ الكريم. والله الموفق.

أولاً – تمهيد :

تأسست الجمعية الأميركية للقانون الدولي عام ١٩٠٦ ، إلا إن بدايات وحيثيات العمل من أجل تأسيسها تعود الى ما قبل ذلك العام. إذ كانت الولايات المتحدة الأميركية واحدة من أكثر الدول في العالم إهتماماً بموضوع القانون الدولي والمحاكم الدولية التي عملت إستناداً الى مبادئه. وقد إرتبط ذلك الموضوع أيضاً بالدعوة الى نبذ الحروب ومحاولة ترسيخ السلام في العالم عن طريق الدعوة الى حل المشاكل الدولية بالتفاوض أو التحكيم بين الأطراف المتنازعة. كان المواطنون الأميركيون خلال القرن التاسع عشر وبعد تجربة الحروب التي خاضوها لتكريس إستقلال دولتهم ووجودها قلقون على مستقبل السلام في بلادهم ، وقد زادت الحرب الأهلية الأميركية بين عامي ١٨٦١– ١٨٦٥ من هواجس الخوف على مستقبلهم وعلاقاتهم السلمية مع الخارج ، وبما أنهم كانوا ميالين الى التنظيمات والمؤسسات غير الحكومية في الكثير من نواحي الحياة ، فقد ظهرت أنواع من المجموعات والمنتديات الخاصة التي كان الأميركيون يعبّرون فيها عن قلقهم ومخاوفهم بشأن علاقات الولايات المتحدة الأميركية السلمية مع القوى الكبرى في العالم آنذاك.[١] وعليه ، زاد دعاة السلام في الولايات المتحدة الأميركية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر من نشاطاتهم ، وشجعوا على أن يأخذ التحكيم في القضايا الخلافية الدولية حيزاً أوسع مما كان عليه بوصفه أحد السبل لتحقيق السلام. وكان لأولئك الدعاة الأميركيين نظرائهم في أوربا الذين دعوا الى تشكيل تكتل دولي موحد لتحقيق الغاية ذاتها ، إلا أن جهودهم لم تكن كافية لكي تحقق ما كانوا يصبون اليه ، إذ كان التنافس بين الدول الكبرى آنذاك على أشده في المجالات الاقتصادية والإستعمارية والعسكرية ، لذا بدأت تلك التكتلات الطامحة الى إحلال السلام تغيّر من أساليب دعواتها السابقة التي كانت تستند على الوازع الديني والأخلاقي والإنساني لتتجه أكثر نحو دعوات وأنشطة أكثر فاعلية ، فأخذت دعواتهم تركّز على العمل بنظام التحكيم والمحاكم الدولية ليكون مخرجاً من طريق الحروب والنزاعات المسلحة.[٢] وقد وجدت تلك الجهود تجاوباً ملحوظاً من قبل حكومات بعض الدول لاسيما الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، مما أدى الى عقد سلسلة من مؤتمرات السلام الدولية التي بدأت عام ١٨٨٩ بـ (مؤتمر السلام العالمي) الذي عقد في باريس ،[٣] ولتتوالى بعده المؤتمرات السنوية التي إستمرت حتى عام ١٩١٣ ، إذ توقفت وعادت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.[٤]

ويبدو أن تلك الجهود والتوصيات قد وجدت آذاناً صاغية بعد سنوات من النشاط المكثف لاسيما من دعاة السلام ورجال القانون في الولايات المتحدة ، إذ نشطت حركة السلام الأميركية في العشرين سنة

التي سبقت الحرب العالمية الأولى ،[٥] ومما شجع تلك الحركة على المضي قدماً في نشاطها ، هو أن الولايات المتحدة بدأت فعلاً باللجوء الى التحكيم الدولي من أجل حل خلافاتها مع كل من بريطانيا وكندا ، فكانت هناك قضية (فقمة الفراء في بحر بيرنغ)[٦] التي عقدت من أجلها محكمة دولية في باريس ، إستمر عملها بين عامي ١٨٩٢– ١٨٩٣، وجاء قرارها في النهاية لصالح الولايات المتحدة.[٧] ويبدو أن نجاح تلك المحكمة كان بمثابة تعزيز للجهود الرامية الى تفعيل موضوع التحكيم الدولي ، والذي بدء رجال القانون الأميركيين يسعون للإهتمام به ودعمه عن طريق إقامة محفل أو اجتماع دولي له.

تتابعت الجهود الدولية الرامية الى حل الخلافات بعيداً عن الحروب ، فعُقد مؤتمر لاهاي في هولندا في الخامس والعشرين من مايس عام ١٨٩٩ والذي عُرف بمؤتمر السلام الأول ،[٨] من أجل وضع حد لسباق التسلح الدولي الذي كان يدفع الدول التي تمتلك الأسلحة المتطورة آنذاك الى المجازفة في خوض الحروب من أجل تحقيق غاياتها أو حل خلافاتها عن طريق القوة العسكرية ، بالإضافة الى ما يسببه الإنفاق على صناعة تلك الأسلحة من عجز إقتصادي وتراجع في عملية التنمية.[٩] حضر الى المؤتمر ما يقرب من مائة شخصية مثّلوا بلدانهم بإختصاصات متعددة منها الدبلوماسية والقانونية والعسكرية.[١٠] تضمنت القرارات النهائية للمؤتمر بنوداً تتعلق بالتحكيم وضرورة توسيع نطاقه في مجال العلاقات الدولية ،[١١] وتأسيس محكمة دولية دائمة تضم عدداً متساوياً من القضاة المحكّمين من كل دولة وافقت على إنشاء المحكمة وكان من بينها الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا ، على أن يقضي أولئك القضاة المعيّنون فيها مدة ست سنوات في العمل التحكيمي ، إذ يتم تكليفهم بمهمات التحكيم في القضايا التي ترفعها الدول المتنازعة الى المحكمة ، فضلاً عن تأسيس مكتب إستشاري دولي للقضايا التحكيمية يكون مقره في لاهاي ، أما قرارات المحكمة فتكون نهائية عند صدورها وملزمة لجميع الأطراف المتنازعة.[١٢]

لم يكن مؤتمر السلام في لاهاي عام ١٨٩٩ يمثل أول تجمع للمهتمين بالقانون الدولي ومحاكمه ، إذ كانت جهود كبار رجال القانون الأميركيين قد تطورت قبله وتظافرت لتؤدي الى إنعقاد أول مؤتمر لدعم التحكيم الدولي في نيويورك عام ١٨٩٥ والذي عرف تاريخياً باسم (مؤتمر بحيرة موهونك للتحكيم الدولي) Lake Mohonk Conference on International Arbitration نسبة الى الموقع الذي إنعقد فيه.[١٣] توالى إنعقاد المؤتمر سنوياً ، وكان يحضره العديد من الشخصيات المهتمة بتعزيز مكانة التحكيم الدولي في حل الخلافات بين الدول ، إذ كان منهم السياسيون ورجال القانون والتربويون ورجال الدين والصحفيون.[١٤]

ثانياً – تأسيس الجمعية :

مثّلت دورة الإنعقاد الحادية عشرة لمؤتمر موهونك (٣١ مايس – ٢ حزيران ١٩٠٥) المناسبة الأساس التي بدأ فيها التفكير بإنشاء الجمعية الأميركية للقانون الدولي ،[١٥] إذ يبدو أن المتخصصين

الأميركيين في القانون والذين شاركوا في المؤتمر المذكور باتوا على قناعة بأن الولايات المتحدة الأميركية واحدة من أكثر الدول ميلاً الى موضوع التحكيم الدولي وإنسجاماً معه وتشاطرها في ذلك بريطانيا ، والدليل هو أن الولايات المتحدة خاضت تجربة اللجوء الى التحكيم مرات عديدة في الخمس عشرة سنة الأخيرة التي سبقت عام ١٩٠٥ ، لذا كان من المنطقي أن يكون لها تنظيم أو تجمع على الصعيد الداخلي يناقش موضوع القانون الدولي وقضاياه وينضم اليه خيرة خبراء القانون الأميركيين.

لقد بدا واضحاً من خلال النقاشات الرسمية لمؤتمر موهونك وتبادل الحديث الجانبي وغير الرسمي على هامش إجتماعاته ، أن هناك رغبة متنامية لدى الكثير من رجال القانون الأميركيين في تأسيس تجمع أو منظمة تعنى بالقانون الدولي ، تكون بمثابة منبر لطرح الأفكار والآراء التي تتماشى مع الأهمية التي بات يشكلها ذلك القانون في العلاقات الدولية ولاسيما قضايا التحكيم ، وإصدار منشور دوري باللغة الإنكليزية لمتابعة آخر التطورات المتعلقة به ويكون بمثابة اللسان الناطق باسم ذلك التنظيم المزمع إنشاؤه.[١٦] وبالفعل ، وقبل إنتهاء أعمال مؤتمر موهونك ، تم تشكيل لجنة غير رسمية ضمت مجموعة من رجال القانون الذين حضروا في المؤتمر ، وإجتمعت في الأول من حزيران عام ١٩٠٥ ، وضمت في عضويتها كل من جورج كيرتشوي George W. Kirchwey [١٧] و روبرت لانسينغ Robert Lansing [١٨] وجيمس براون سكوت James B. Scott [١٩] لغرض إعداد مذكرة تشرح الأسباب الموجبة لإنشاء ذلك التنظيم ، وقد عرضت تلك المذكرة على المجتمعين في المؤتمر ولاقت إستحساناً وتشجيعاً ، لاسيما وأن اللجنة عرضت المذكرة قبل ذلك على مجموعة من كبار رجال القانون الأميركيين ، كان من بينهم القاضي ديفيد بريور David J. Brewer [٢٠] والقاضي جورج غراي George C. Gray [٢١] وأستاذ القانون جون باسيت مور John Bassett Moore .[٢٢] ألقى أحد أعضاء اللجنة جورج كيرتشوي في اليوم الثالث من المؤتمر الموافق للثاني من حزيران ١٩٠٥ كلمة أمام الحضور أشار فيها الى الدعم الذي تلقته اللجنة المذكورة لفكرة إنشاء التنظيم ، ثم عقّب القاضي جورج غراي على ذلك الخطاب ووجه دعوة الى أعضاء المؤتمر للإجتماع مجدداً في اليوم ذاته من أجل التطرق الى تفاصيل جديدة والتباحث بشأنها ، وبالفعل جرى الاجتماع كما كان مقرراً له بحضور أربع وعشرين شخصية من كبار المتخصصين والمهتمين بالقانون الدولي في الولايات المتحدة. كان جورج كيرتشوي هو المنسق للإجتماع ، وتقرر في بدايته أن يترأسه أوسكار شتراوس Oscar Straus [٢٣] وأن يكون جيمس براون سكوت مقرراً له. ألقى كيرتشوي كلمة وضّح فيها السبب الذي من أجله عقد ذلك الاجتماع ، وإستطرد في شرحه قائلاً ما معناه أن الأوساط القانونية في الولايات المتحدة الأميركية تفتقر الى وجود جمعية قانونية تعنى بشؤون القانون الدولي ، بينما توجد جمعيات مماثلة لها في بريطانيا ، وإن إنشاء مثل تلك الجمعية

لابد أن يستكمل بإصدار مجلة دورية متخصصة تكون واجهة لتلك الجمعية وتتابع شؤون القانون الدولي وتقدم ما يمكن أن تقدمه من معلومات للمهتمين بذلك الموضوع.[٢٤]

تُبين لنا محاضر إجتماعات الجمعية الأميركية للقانون الدولي أن الموافقات الأولية التي حصلت عليها اللجنة التي كُلفت بالترويج لفكرة إنشاء الجمعية لم تكن موافقات نهائية ، وكان الدليل على ذلك الآراء التي طُرحت من قبل بعض كبار خبراء القانون الأميركيين في اجتماع الثاني من حزيران عام ١٩٠٥ ، فمثلاً أشار الخبير القانوني إيفرت ويلر Everett P. Wheeler[٢٥] بأنه على الرغم من تأييده للفكرة بشكل مبدئي ، إلا أنه كان يحبذ أن تكون تلك الجمعية فرعاً من نقابة المحامين الأميركيين بدلاً من إستقلاليتها التامة ، وأن ذلك الفرع يمكن أن يوسَع ويطوَر وتكون له الأهداف ذاتها التي تسعى الجمعية المقترحة الى تحقيقها ، كما أن ذلك سيعزز من دور وأهمية النقابة ليس داخل الولايات المتحدة فحسب ، بل على الصعيد الدولي أيضاً ، لاسيما إذا ما تعاونت مع المنظمات الأوربية المتخصصة في القانون الدولي والداعمة لجهود السلام في العالم.[٢٦] ولم تلقى فكرة (ويلر) تأييداً من الحضور ، إذ عارض خبير قانوني آخر وهو تشارلز هنري بتلر Charles H. wer (و١٨٥٩ – ت١٩٤٠) [٢٧] أن تكون الجمعية المزمع إنشاؤها تابعة لأي تنظيم آخر ، ولم يكن من المهم حسب رأيه أن تقيم علاقات مع الجمعيات أو المنظمات الأوربية المشابهة لها ، لأن تلك المنظمات ذات طابع وطني ومحلي في الدول التي أنشأت فيها ، كما أن تلك المنظمات أوربية من حيث التفكير والطموحات ، لذا إرتأى أن تكون الجمعية الجديدة ممثِلة للأفكار والتطلعات الأميركية ، كما أن المجلة التي ستصدر بإسمها ضرورية للتعبير عن مواقف وآراء رجال القانون الأميركيين المتخصصين فيه.[٢٨]

تظهر لنا المداخلات التي حدثت في ذلك الاجتماع أن هناك رؤى وأفكار متباينة بشأن مهام الجمعية المقترحة ، إذ كان البعض من المتخصصين في القانون منحازين الى التنظيمات السابقة التي أُنشأت في فترات زمنية بعيدة أو قريبة ، وكان هدفهم أن لا تكون الجمعية الجديدة تنافس من حيث الأهمية الجمعيات القائمة آنذاك في الولايات المتحدة الأميركية ، لاسيما تلك الجمعيات المتخصصة في القانون أو السياسة. وقد عبّر عن هذا الرأي خبير القانون جورج غرافتون ويلسون George G. Wilson[٢٩] ، إذ أشار الى الجمعية الأميركية للعلوم السياسية [٣٠] التي أُنشأت عام ١٩٠٤ ، وإقترح أن تكون إجتماعات الجمعية الأميركية للقانون الدولي مشتركة مع الجمعية المذكورة ، على إعتبار أن القانون الدولي يقع ضمن إهتمامات الجمعية الأميركية للعلوم السياسية ، كما رأى أنه لا ضير أن تكون جمعية القانون الدولي جزءاً من جمعية العلوم السياسية بدلاً من إنشائها كجمعية مستقلة. والواضح أن تلك الآراء التي أرادت أن تقلص من مساحة العمل التي ستعطى آنذاك لجمعية القانون الدولي ، لاقت معارضة شديدة من قبل أعضاء اللجنة الأساسية صاحبة الفكرة والداعية الى ذلك الاجتماع. لذا سارع

روبرت لانسينغ أحد أعضاء تلك اللجنة الى الدعوة للعمل الفعلي لإنشاء الجمعية بصفتها المستقلة ، وبالفعل تم إختيار لجنة مؤقتة جديدة برئاسة أوسكار شتراوس والذي بدوره إختار ستة أشخاص آخرين ليكونوا أعضاءً فيها ، وكانوا كلاً من (جون باسيت مور ، رويرت لانسينغ ، جيمس براون سكوت ، جورج ويلسون ، جورج كيرتشوي ، تشارلز هنري بتلر) ، وقد إجتمعت اللجنة في وقت لاحق من يوم الثاني من حزيران عام ١٩٠٥ وقررت أن يكون أوسكار شتراوس رئيساً دائماً للجمعية وجيمس براون سكوت أميناً عاماً لها ولصندوقها المالي ، وبدلاً من إستمرار اللجنة المؤقتة تم إنتخاب لجنة جديدة للجمعية ضمت عدداً أكبر من المتخصصين بالقانون الدولي والمهتمين بشؤونه ، وكانوا كلاً من المحامي تشاندلر أندرسون Chandler P. Anderson (و ١٨٦٦- ت ١٩٣٦) ، جيمس بوريل أنجيل James B. Angell(و ١٨٢٩- ت ١٩١٦) التربوي والدبلوماسي الذي كان يشغل منصب رئيس جامعة ميشيغان آنذاك ، البروفيسور جوزيف هنري بيل الأبن Joseph H. Beale, Jr (و١٨٦١- ت ١٩٤٣) المختص بالقانون ، جاكوب ماجافك ديكنسون Jacob M. Dickinson (و١٨٥١- ت ١٩٢٨) نقيب المحامين في ولاية تينيسي بين عامي ١٨٨٩- ١٨٩٣ [٣١]، جون واتسون فوستر John W. Foster (و ١٨٦٣- ت ١٩١٧) وزير الخارجية الأميركية بين عامي ١٨٩٢- ١٨٩٣، جورج غراي العضو في محكمة الإستئناف في ولاية ميشيغان ، تشارلز هنري بتلر المحامي والمدون القانوني في المحكمة الأميركية العليا ، البروفيسور تشارلز نوبل غريغوري Charles N. Gregory (و١٨٥١- ت ١٩٣٢) عميد كلية القانون في جامعة أيوا بين عامي ١٩٠١- ١٩١١ ، جون وليم غريغز John W. Griggs (و ١٨٤٩- ت ١٩٢٧) الذي شغل منصب مدعي عام الولايات المتحدة الأميركية بين عامي ١٨٩٨- ١٩٠١ [٣٢]، وليم مورو William W. Morrow (و ١٨٤٣- ت ١٩٢٩) القاضي في محكمة الإستئناف الأميركية منذ عام ١٨٩٧ [٣٣]، البروفيسور ليو ستانتون رو Leo Stanton Rowe (و١٨٧١- ت ١٩٤٦) أستاذ العلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا بين عامي ١٨٩٦- ١٩١٧ [٣٤]، البروفيسور ثيودور سالزبيري وولسي Theodore S. Woolsey (و ١٨٥٢- ت ١٩٢٩) أستاذ القانون الدولي في جامعة ييل بين عامي ١٨٧٨- ١٩١١[٣٥]، البروفيسور أندرو ديكسون وايت Andrew D. White (و ١٨٣٢- ت ١٩١٨) رئيس جامعة كورنيل في ولاية نيويورك بين عامي ١٨٦٦- ١٨٨٥ [٣٦]، أما الأعضاء الآخرون فكانوا أولئك الذين ساهموا في اللجان الأولية المؤقتة للجمعية والبعض الآخر من الذين تمت إستشارتهم قبل التأسيس ، وهم كل من جورج واشنطن كيرتشوي ، روبرت لانسينغ ، جيمس براون سكوت ، جورج غراي ، جون باسيت مور ، إيفرت بيبريل ويلر، ديفيد بريور.[٣٧]

كان مؤتمر موهونك للتحكيم الدولي لعام ١٩٠٥ – كما أشرنا سابقاً – المناسبة التي تم فيها مناقشة موضوع تأسيس الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، ومن خلال جلسات المؤتمر بدأت الإجراءات الفعلية

لتأسيسها ، وعندما وصل المؤتمر لجلسته الختامية مساء يوم الثاني من حزيران من السنة ذاتها ، أعلن رئيس الجلسة جون هنري ستاينس John H. Stiness (و ١٨٤٠- ت ١٩١٣) الذي كان يشغل منصب رئيس القضاة في المحكمة العليا للولايات المتحدة الأميركية بين عامي ١٩٠٠- ١٩٠٤ [٣٨]، أن أعضاء المؤتمر قد دعموا تأسيس الجمعية ، وأنهم يأملون في أن يستمر الأعضاء المؤسسون لها في متابعة وإستكمال الإجراءات المتبقية واللازمة لتأسيسها بعد إنتهاء أعمال المؤتمر.[٣٩]

الأمر اللافت هنا هو أن منظمة ذات تخصص مهم كالجمعية الأميركية للقانون الدولي إعتمدت في تأسيسها وطرح فكرة إنشائها على مؤتمر لم يكن مخصصاً أساساً لمناقشة موضوع تأسيسها ، على الرغم من أن المؤتمر كان يناقش المواضيع المتعلقة بالتحكيم والقانون الدولي ، أي أنه ذا طابع دولي وليس محلي. إلا أنه يبدو أن الأعضاء المؤسسين أدركوا بأن طرح الفكرة على الصعيد المحلي داخل الولايات المتحدة سوف يلاقي معارضة أعضاء في نقابة المحامين الأميركيين وبعض كبار رجال القانون فيها ، وهذا ما حدث بالفعل عندما إعترض بعض كبار أعضاء تلك النقابة على فكرة أن تكون المنظمة أو الجمعية المقترحة مستقلة عن نقابة المحامين ، لذا وجد المتحمسون لفكرة الجمعية أن مؤتمراً يناقش مواضيع القانون الدولي ويحضره كبار المتخصصين في تلك المواضيع هو خير تجمع لطرح الفكرة لأنها ستحظى بتأييد أوسع ، وهو ما حصل بالفعل.

إستمرت الإجتماعات التحضيرية من أجل إعلان تأسيس الجمعية بشكلها الرسمي، إذ إجتمع المؤسسون في التاسع من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٠٥ ، وشهد ذلك الاجتماع حضور جميع الشخصيات التي تشكلت منها اللجنة المؤسسة في شهر حزيران من السنة ذاتها. تحدث أوسكار شتراوس الذي ترأس الاجتماع عن ضرورة أن يكون للجمعية منشور أو مجلة دورية تكون بمثابة المُعَبّر الرسمي عن آراء أعضاء الجمعية ، إذ إعتبر أن عدد أعضاء الجمعية كان قليلاً حتى ذلك الحين ، مما يجعلها تبدو أشبه بجمعية إجتماعية عامة غير مهنية أو متخصصة ، لذا فإن المنشور الرسمي – حسب رأيه – سيُظهر الجمعية أمام الجمهور المثقف والمتخصصين في القانون بأنها ذات هدف أساسي ومحدد وهو توضيح أهمية القانون الدولي وتعميم مفاهيمه داخل الولايات المتحدة الأميركية. تضمّن ذلك الاجتماع أيضاً ، عرضاً قدمه جيمس براون سكوت عن خطته المقترحة في إصدار مجلة دورية متخصصة بالقانون الدولي تصدر باسم الجمعية ، إذ رأى أن تلك المجلة ستكون بمثابة مرجع مهم للمتخصصين في القانون الدولي والطلبة الذين يدرسون في التخصص ذاته ، إضافة الى القراء المهتمين بذلك المجال ، ولكي تكون رصينة في محتواها ، إرتأى تشجيع أساتذة القانون المشهود بخبراتهم وكفاءاتهم من الولايات المتحدة أو خارجها لا سيما أوروبا على النشر فيها بعد أن تتم ترجمة مؤلفاتهم الى اللغة الإنكليزية. وبسبب أن المجلة لا تعتمد في عملها على الجهد الصحفي كما هو الحال مع المجلات ذات الطابع العام

في مواضيعها ، فقد إقترح أن يكون إصدارها فصلياً أي ربع سنوي ، لكي يتم توفير الزمن الكافي للجنة تحريرها في إختيار المقالات والبحوث والمواضيع ذات الصلة البحتة بقضايا القانون الدولي.[٤٠] وإسترسل (سكوت) شارحاً ما يمكن أن تنشره تلك المجلة ، مشيراً الى أن ما سيُلقى في إجتماعات الجمعية من خطب ومداخلات ومناقشات لابد أن يأخذ طريقه الى النشر فيها ، بدلاً من نشره في الإصدارات الصحفية غير المتخصصة. ورأى أن تنشر المجلة أيضاً أخباراً عن الإتفاقيات والمعاهدات وإجراءات التحكيم الدولية ، وأن يُثَبّت ذلك في قائمة متسلسلة حسب تاريخ حدوث كل واحدة منها. حظيت إقتراحات (سكوت) بموافقة المجتمعين ، لذا دعا أوسكار شتراوس رئيس الجلسة الى عقد اجتماع آخر في الثاني عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦ لإعلان تأسيس الجمعية بشكل رسمي ، وتمت دعوة لجنة من واحد وعشرين شخصاً من الذين حضروا الإجتماعات التمهيدية ، فضلاً عن عدد آخر من المهتمين بمواضيع القانون الدولي لحضور ذلك الاجتماع.[٤١]

لم ينته اجتماع شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٥ عند ذلك الحد ، بل تم فيه أيضاً مناقشة موضوع عضوية الجمعية لا سيما طريقة إنتخاب الأعضاء الجدد ، وتقرر أن يتم ذلك عن طريق ترشيح عضوين من الأعضاء الدائمين لشخص ثالث يرغب في الإنضمام لعضوية الجمعية ، وبعدها يصّوِت المجلس التنفيذي بالقبول أو الرفض حسب أكثرية الأصوات. وتقرر أيضاً أن يدفع كل عضو إشتراكاً سنوياً مقداره خمس دولارات لكي يُشمل بكل إمتيازات الجمعية ، ومنها أن يحصل على نسخة من منشوراتها التي تصدر في السنة التي يدفع إشتراكها ، أما في حال عدم تسديد العضو الإشتراك السنوي ، فإن من صلاحيات المجلس التنفيذي إيقاف عضويته أو شطب إسمه من قائمة العضوية. أما العضوية الدائمة لمدى الحياة ، فحددت بمبلغ مائة دولار يدفعها الراغب في الإنضمام لتلك العضوية ، وتم تفضيل الأعضاء القدامى لنيلها أكثر من الأعضاء الجدد. وفي خطوة تشجيعية للمتخصصين بالقانون الدولي من غير الأميركيين ، أجاز الحاضرون في ذلك الاجتماع إنتخاب عدد محدود منهم لا يزيد عن شخص واحد في كل سنة على أن يكون ممن ساهموا في دعم عمل الجمعية بحضور إجتماعاتها أو إلقاء الكلمات والمحاضرات أمام أعضائها أو من الذين نشروا مقالاتهم في مجلتها الدورية ، إلا إن عضويتهم صُنفت على أنها عضوية فخرية على الرغم من شمولهم بجميع إمتيازات العضوية الكاملة ما عدا دفع الإشتراك السنوي الذي تم إعفائهم منه. وعلى أي حال ، رأى فريق من رجال القانون الحاضرين للإجتماع المشار إليه ، ألا تكون عضوية الجمعية مقتصرة على المتخصصين في مجال القانون ، الأمر الذي جوبه بمعارضة صريحة لتلك الفكرة ، إذ إقترح بعض الحاضرين توسيع عضويتها على غرار ما كانت تضمّه الجمعية البريطانية للقانون الدولي[٤٢] في عضويتها من أعضاء مثلوا شركات النقل البحري والسكك الحديدية وشركات التأمين ، إلا إن إصرار الكثير من المجتمعين على أن تكون الجمعية مقتصرة

على ذوي المهن القانونية والموظفين السابقين في السلك الدبلوماسي أبطل ذلك الرأي الذي إعتبره بعض المعارضين له بأنه سوف يضفي طابعاً تجارياً على عضويتها وفحوى المواضيع التي ستثار فيها مستقبلاً ، كما أن وجود غير المتخصصين بالقانون الدولي سوف يسبب إحراجاً لها في المحافل الدولية التي قد تشارك فيها.[٤٣] لقد أثار رفض غالبية أعضاء الجمعية لعضوية ذوي المهن التجارية فيها إهتمام الصحافة الأميركية لا سيما صحيفة نيويورك تايمز ، إذ تناولت في إحدى أعدادها خبر تأسيس الجمعية وإنتخاب إليهو رووت Elihu Root [٤٤] رئيساً للجنتها التنفيذية. وتطرقت الى النقاش الذي دار بين الحاضرين لذلك الاجتماع ، فمنهم من رأى أن تتم الإستفادة من قوانين الدول الأخرى التي سبقت الولايات المتحدة الأميركية في تشريع قوانينها ومنها بريطانيا ، إذ كان هناك من إعتبر بأن القوانين البريطانية مشبعة بالنزعة التجارية ، وهناك قوانين في دول أوربية أخرى لا تختلف في ذلك الصدد عن القوانين البريطانية ، ورأى آخرون أيضاً أن الأمور المالية والإقتصادية هي أصل القانون الدولي ومحركه الأساسي ، وعلى الرغم من كل ذلك النقاش رأت الصحيفة أن تأسيس الجمعية الأميركية للقانون الدولي بحد ذاته يعد أمراً جيداً ، إذ أن وجودها سيزيد من معرفة وإهتمام المتخصصين الأميركيين بالقانون الدولي ، وسيدفع الدول الأخرى الى الاهتمام أكثر بوجهات النظر الأميركية في القضايا الخلافية التي تقدم للمحاكم الدولية.[٤٥]

أقام المجلس التنفيذي للجمعية الأميركية للقانون الدولي أول اجتماع عادي له في التاسع والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٦ في قاعة هابارد التذكارية Hubbard Memorial Hall في العاصمة واشنطن ، وقد كانت تلك القاعة مقراً دائماً للجمعية الجغرافية الأميركية [٤٦]، ويبدو أنها أختيرت بسبب أن جمعية القانون الدولي الحديثة التأسيس في حينها لم يكن لها مقر دائم لعقد الإجتماعات. حضر الاجتماع كل من إليهو رووت رئيس المجلس التنفيذي للجمعية ، ومجموعة أخرى من كبار رجال القانون الأميركيين كان منهم جون فوستر بإعتباره نائباً لرئيس المجلس التنفيذي ، أوسكار شتراوس النائب الثاني لرئيس المجلس ذاته ، والأعضاء الآخرون وهم كل من جورج كيرتشوي ، تشاندلر أندرسون ، ريتشارد بارثولت Richard Bartholdt (و ١٨٥٥– ت ١٩٣٢) عضو مجلس النواب الأميركي عن الحزب الجمهوري منذ عام ١٨٩٣ والصحفي السابق المتخصص بالشؤون القانونية [٤٧]، تشارلز هنري بتلر ، هورس بورتر Horace Porter (و ١٨٣٧– ت ١٩٢١) العميد السابق في الجيش الأميركي وسفير الولايات المتحدة في فرنسا بين عامي ١٨٩٧– ١٩٠٥ [٤٨]، ليو ستانتون رو، جيمس براون سكوت ، تشارلز وورن Charles B. Warren (و ١٨٧٠– ت ١٩٣٦) المتخصص بالقانون والموظف الدبلوماسي[٤٩]، و جون غرافتون ويلسون.[٥٠]

كانت واحدة من أهم الإجراءات التي عقد ذلك الاجتماع من أجلها تتمثل بتنفيذ بعض البنود التي وردت في القانون الأساسي للجمعية ، ومنها المادة الرابعة التي تتعلق بإختيار رؤساء الفروع واللجان والموظفين الإداريين في كل منها ، ومن بين تلك الوظائف كانت وظيفة أمين السجل التنظيمي والإداري ، وأمين مراسلات الجمعية ، وأمين صندوقها المالي.[٥١] وعليه ، تم إنتخاب جيمس براون سكوت أميناً للسجل التنظيمي ، وتشارلز هنري بتلر أميناً للمراسلات ، وتشاندلر أندرسون أميناً لصندوق الجمعية ، وأوسكار شتراوس رئيساً للجنة التنفيذية التي ضَمّت أعضاءاً تم إنتخابهم في الاجتماع ذاته [٥٢]، وكانوا كلاً من إليهو رووت ، روبرت لانسينغ ، جون فوستر ، جون باسيت مور ، جورج غراي ، جورج غرافتون ويلسون ، جورج كيرتشوي. وبسبب أن عمل الجمعية يتطلب تمويلاً دائماً وربما إستثنائياً أحياناً ، فقد إقترح البرفيسور ليو ستانتون رو أن يُخَصَص صندوق لجمع المبالغ المالية التي سيدفعها ذوو العضوية الدائمة لمدى الحياة والتي حُددت في اجتماع سابق بمبلغ مائة دولار للعضو الواحد ، ويُكلَّف أمين صندوق الجمعية بإنفاقها وفقاً لإحتياجات الجمعية.[٥٣]

إستغل أعضاء المجلس التنفيذي للجمعية مناسبة الإنعقاد السنوي لمؤتمر موهونك للتحكيم الدولي في الأول من شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٠٦ لعقد إجتماعها الجديد ، ويبدو أن ذلك يعود وكما أشرنا سابقاً الى عدم وجود مقر دائم وثابت لعقد إجتماعاتها. جرى في ذلك الاجتماع وضع اللمسات الأخيرة لإصدار المجلة الأميركية للقانون الدولي التي ستصدر عن الجمعية ، وتم رفد جيمس براون سكوت بصفته مدير تحرير المجلة بمبلغ ستمائة دولار من أمانة الصندوق لغرض تنفيذ الإجراءات اللوجستية التي تساعد على إصدارها. كان ذلك آخر اجتماع أجرته الجمعية أو لجنتها التنفيذية عام ١٩٠٦ ، ولم تعد تلك اللجنة الى الاجتماع حتى شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٧.[٥٤]

إغتنمت لجنة التحرير التابعة للجمعية المدة الزمنية التي توقفت فيها الإجتماعات والتي دامت من شهر حزيران ١٩٠٦ حتى كانون الثاني ١٩٠٧، لإصدار العدد الأول من مجلتها التي أختير لها إسم (المجلة الأميركية للقانون الدولي) The American Journal of International Law ، صدر ذلك العدد في أواخر شهر آذار (مارس) ١٩٠٧ وبلغ عدد صفحاته ثمان وثمانين صفحة ، وتم تخصيص ذلك العدد لنشر وثائق دولية متعددة بعضها يخص علاقات الولايات المتحدة الأميركية مع بعض دول أميركا اللاتينية والتي يعود تاريخها الى سنوات سبقت عام ١٩٠٧، وإحتوى العدد أيضاً على قائمة ملحقة بأسماء الموظفين الدبلوماسيين الأميركيين في البعثات الدبلوماسية الأميركية في العديد من دول العالم والذين كانوا لا يزالون في وظائفهم حتى بداية عام ١٩٠٧، فضلاً عن بعض الإتفاقيات الدولية التي وقِعَّت بين دولتين أو أكثر شملت بريطانيا والصين واليابان للمدة المحصورة بين عامي ١٩٠٤-١٩٠٦.[٥٥] والملاحظ على العدد الأول من المجلة ، أنه كان سياسياً ودبلوماسياً في محتواه أكثر من

الطابع القانوني الدولي الذي كان من المفترض أن يطغى على مواضيعه ، إلا أن تلك المواضيع لم تكن بعيدة تماماً عن الهدف الذي أُصدِرت المجلة من أجله ، لأن الوثائق المتعلقة بالإتفاقيات الواردة في صفحاتها والموقعة من قبل حكومات الدول المعنية قد راعت في أغلب موادها وفقراتها القانون الدولي ولم تكن مخالفة أو معاكسة لمفاهيمه ، هذا بالإضافة الى أن تلك المواضيع المنشورة سوف تزيد من إهتمام الفئات السياسية والعاملة في الشأن السياسي الخارجي والدبلوماسي بما تنشره المجلة ، وبالتالي توسيع نطاق المهتمين بقراءتها.

ثالثاً : الاجتماع السنوي الأول للجمعية عام ١٩٠٧ :

عادت اللجنة التنفيذية الى الاجتماع خلال شهري كانون الثاني وشباط عام ١٩٠٧، ويبدو أن تلك الإجتماعات لم تكن ذات صفة رسمية بالمعنى الدقيق ، لأنها أقيمت في المكتب الحكومي الرسمي لوزير التجارة أوسكار شتراوس في العاصمة واشنطن والذي لم يكن مخصصاً لإقامة إجتماعات غير متعلقة بعمل وزارة التجارة ، ومن المعلوم أيضاً أن الجمعية لم تكن ذات طابع حكومي ، وغير تابعة لإشراف وتمويل الحكومة الأميركية أو إحدى وزاراتها ، بل هي ذات طابع مدني خاص وتمويلها في الغالب داخلي يعتمد على الإشتراكات المالية للأعضاء أو التبرعات. وقد لوحظ على الإجتماعين المشار إليهما بأنهما كانا مختصرين في مدتيهما الزمنيتين، إذ إتضح ذلك من خلال ما أفردته المحاضر المنشورة للجمعية التي خصصت صفحة واحدة ونصف الصفحة لبيان ما جرى في الإجتماعين واللذين تمخض عنهما إعلان أشير فيه الى أن الجمعية ستقيم إجتماعها السنوي الأول يومي التاسع عشر والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٧، وأن المواضيع التي ستناقش في ذلك الاجتماع تتمحور حول الوضع القانوني للتجارة في أزمنة الحروب ، وحقوق المقيمين الأجانب في الولايات المتحدة الأميركية إذا ما تعارضت تلك الحقوق مع القوانين الفيدرالية والقوانين المحلية في الولايات ، ومؤتمر لاهاي الثاني وكيفية تطوير القانون الدولي.(٥٦)

إستَبَقَ إليهو رووت موعد إنعقاد الاجتماع السنوي الأول للجمعية الأميركية للقانون الدولي ، فنشر مقالاً في مجلة الجمعية التي صدر عددها الفصلي الأول في نهاية شهر آذار عام ١٩٠٧ وكان عنوانه (الحاجة الى فهم شعبي للقانون الدولي) ، كانت فحوى ذلك المقال تتمحور حول خطورة الركون الى الطموحات الشعبية وآراء الفئات الشعبية والإجتماعية العامة المتطرفة في مواقفها والتي قد تقود رجال السياسة سواء أولئك الذين هم في سدة الحكم والمسؤولية أو من يقودون الحركات السياسية المعارضة لسياسة الحكومة الى إتخاذ قرارات لا تصب في صالح الأوطان ، بل قد تقودها الى نتائج ومصائر لا تحمد عواقبها. وأوضح أن الحكومات في الدول الديمقراطية لا تتخذ قرار الحرب إلا إذا كانت مدعومة بتأييد شعبي واسع ، لكن في أحيان أخرى قد تضطر تلك الحكومات الى الدخول في الحرب رغماً عنها

بسبب الضغوط الشعبية المتزايدة. كان من الواضح في ذلك المقال أن إليهو رووت أراد أن يبين الفرق بين فهم المتخصصين من السياسيين ورجال القانون لطبيعة العلاقات الدولية وبين فهم الغالبية من أبناء المجتمع لتلك العلاقة ، إذ قد يكون التفاهم من أجل السلام ممكناً بين الدول إذا ما تصرفت الحكومات بمعزل عن الروح العدائية التي تسيطر أحياناً على تفكير الغالبية من أبناء المجتمع. وقد تتعرض إتفاقيات التسوية السلمية بين دولتين الى إنتقادات شعبية شديدة لاسيما إذا ما قدّم أحد الطرفين المتفاوضين أو كلاهما تنازلات للطرف الآخر نتيجة لوجود قناعة بمعقولية الحجج التي تم تقديمها ، ولا يقتصر الإنتقاد الشعبي على الأسلوب المتعارف عليه فقط ، بل قد يصل أحياناً الى حد الإدانة أو إتهام المفاوضين بالتواطؤ مع الطرف الآخر. كانت معاهدة عام ١٨٤٢ الأميركية – البريطانية [٥٧] واحدة من الأمثلة التي لم تغب عن ذاكرة إليهو رووت بسبب ما تعرض له الطرفان الموقعان عليها من نقد شديد ولوم من قبل الصحافة والأوساط الشعبية في كل من الولايات المتحدة وكندا ، إذ كان كل طرف يعتقد بأن مفاوضيه قد فرطوا بحقوقه الوطنية ، وعلى الرغم من كل ذلك مضى أولئك المفاوضون في سعيهم الذي أفضى الى تسوية هامة وصفها كاتب المقال بأنها كانت أفضل إنجاز لتحقيق السلام وتعميقه بين الولايات المتحدة وكندا ، فاق في أهميته كل الأراضي المتنازع عليها بينهما. وإعتبر إليهو رووت أن حل الخلافات الدولية دون اللجوء الى الحروب عن طريق تغليب منهج التفاوض أو التحكيم في المحاكم الدولية لابد أن يكون مبنياً على العقلانية في التفكير والدبلوماسية الإيجابية ، وأن يكون الطرفان أيضاً على إستعداد لقبول الحجج والأدلة التي قد لا تكون في صالح أحدهما.[٥٨]

يتضح من فحوى المقال أن كاتبه قد سوّق لفكرة أن يتم نشر أهمية ودور القانون الدولي في العلاقات الدولية بين الأوساط العامة من المجتمع الأميركي ، فضلاً عن تعميق الشعور بتلك الأهمية بين الأوساط الأكثر رقياً وثقافة في ذلك المجتمع. إذ إعتبر أن ذلك الفهم الإيجابي لموضوع القانون الدولي يأتي عن طريق توسيع نطاق المعرفة العامة للجمهور بحقوق الولايات المتحدة الأميركية وواجباتها تجاه غيرها من دول العالم ، وحث ذلك الجمهور على زيادة الإطلاع والتفكير فيما يشهده العالم في بداية القرن العشرين من تطور في العلاقات الدولية. ورأى إليهو رووت أنه على الرغم من إزدياد القناعة بين دول العالم حول حل النزاعات عن طريق التحكيم بدلاً من اللجوء الى الحروب والتي إعتبرها واحدة من التطورات الإيجابية في العلاقات الدولية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي أعتُبرت أيضاً إنجازاً مهماً لجيل السياسيين الذين عاصروا ذلك الإنجاز وساهموا في تحقيقه. ومع ذلك ، فإن ذلك النجاح بيَّنَ أن أساس السلام الفعلي يكمن في إحترام الشعوب لحقوق غيرها من شعوب وبلدان العالم ، ويأتي أيضاً من رغبتها في النظر بعقلانية الى المواضيع التي تؤجج الخلافات بينها. أما عن أهمية القانون الدولي ، فأشار بأنه ليس من المطلوب أن يتعلم أي شعب من شعوب العالم حيثيات وتفاصيل

القانون الدولي ، ولكن يمكن للنخبة المثقفة أن تكون على إطلاع ودراية كافية به لكي توجّه الرأي العام الوجهة الصحيحة حينما يظهر أي خلاف بين دولتين أو أكثر. ووصل إليهو رووت في النهاية الى الهدف الذي كتب المقال من أجله ، وهو إظهار أهمية الجمعية الأميركية للقانون الدولي التي إعتبر أن تأثيرها سيكون إيجابياً ومفيداً للشعب الأميركي ، وأوصى أن تهتم الجمعية بالمفكرين القادرين على توجيه الاهتمام نحو قضايا العدالة والسلام في العالم.[٥٩]

أ – الجلسة الإفتتاحية :

أقيم الاجتماع السنوي الأول للجمعية الأميركية للقانون الدولي في فندق ويلارد Willard Hotel بالعاصمة واشنطن صباح يوم التاسع عشر من نيسان عام ١٩٠٧. وقبل بداية الجلسة الأولى ، فسح إليهو رووت رئيس الجمعية المجال لرئيس مجلس مفوضي مقاطعة كولومبيا هنري ماكفارلاند Henry MacFarland (و ١٨٦١– ت ١٩٢١)[٦٠] لإلقاء كلمة ترحيبية بالجمعية وأعضائها لكونهم إختاروا مدينة واشنطن العاصمة لإقامة الاجتماع السنوي الأول لجمعيتهم. كانت كلمة ماكفارلاند تشجيعية في مجملها ، إذ أشاد بأعضاء الجمعية الذين تميزوا بسمعتهم الدولية المرموقة سواء في مجال القانون أو في مجال السياسة والعمل الدبلوماسي ، وفي مقدمتهم رئيس لجنتها التنفيذية السيد رووت الذي كان يتولى في حينها منصبين مهمين أولهما منصب وزير الخارجية ، وثانيهما رئيس نقابة المحامين الأميركيين. وكرر ماكفارلاند العديد من النقاط التي ذكرها رووت في مقاله الذي أوردناه في فقرة سابقة من ناحية أهمية القانون الدولي في العلاقات بين دول العالم ، والدور الملقى على عاتق الجمعية في تثقيف المجتمع الأميركي بأهمية ذلك القانون ودوره في حل الخلافات الدولية سلمياً.[٦١]

لم يُلقِ إليهو رووت رئيس المجلس التنفيذي للجمعية خطاباً تقليدياً في الجلسة الإفتتاحية ، بل تطرق مباشرة وبإسهاب الى ما إعترى العلاقات الأميركية – اليابانية عام ١٩٠٦ من إشكال كان سببه التضارب في الصلاحيات بين كل من الحكومة الفيدرالية في واشنطن وحكومة ولاية كاليفورنيا ولاسيما السلطات المحلية في مدينة سان فرانسيسكو. وفي واقع الأمر ، كان ذلك الموضوع جزءاً من إحدى المحاور العامة المقرر أن يناقشها الاجتماع والمتعلقة بحقوق المقيمين الأجانب في الولايات المتحدة الأميركية لاسيما إذا ما حصل أي تطور أو حدث طارئ يمُس حقوق إقامتهم. إذ شهدت مدينة سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا عام ١٩٠٦ أحداثاً كانت لها تأثيرات سلبية على المقيمين الآسيويين ولاسيما اليابانيين ، تمثلت في قيام السلطات المحلية في تلك المدينة بتنفيذ القرار الذي أصدره في وقت سابق مجلس التعليم في المدينة المذكورة بعزل طلبة المدارس من أبناء المقيمين الآسيويين عن مدارسهم ونقلهم الى مدارس أخرى تم تخصيصها لهم ، الأمر الذي أثار خلافاً دبلوماسياً بين الولايات المتحدة الأميركية واليابان ، ولم تكن تلك الخطوة الأولى في ذلك السياق ، بل سبقتها في شهر شباط (فبراير) عام ١٩٠٥ خطوة إتُخذت من

قبل مجلس عمال سان فرانسيسكو ضد العمالة اليابانية ، مما أدى الى فقدان العديد منهم لأعمالهم ووظائفهم.(٦٢)

لم تكن تلك القرارات في البداية تستهدف المقيمين اليابانيين ، بل كانت موجهة ضد المقيمين الصينيين والسبب هو حالة العداء والكراهية من قبل الأميركيين تجاههم والتي إزدادت بسبب منافسة العمالة الصينية الرخيصة للعمالة الأميركية في مجالات واسعة من الأعمال والوظائف في سان فرانسيسكو ، فضلاً عن العادات والتقاليد الاجتماعية المختلفة بين الجانبين ، ويبدو أن السلطات المحلية في سان فرانسيسكو لم ترغب في أن تظهر قراراتها بأنها تستهدف المقيمين الصينيين من بين جالية واسعة من الأعراق الآسيوية المتواجدة آنذاك في المدينة المذكورة ، لذا وسّعت نطاق قراراتها لتشمل اليابانيين والكوريين أيضاً ، مما أدى الى تذمر الحكومة اليابانية من تلك القرارات وتقديمها إحتجاجاً الى وزارة الخارجية الأميركية(٦٣) ، الأمر الذي دفع الإدارة الأميركية الى تشكيل لجنة حكومية لتقصي الحقائق ، بإعتبار أن ما قامت به السلطات المحلية في سان فرانسيسكو مغاير لما نصت عليه المعاهدة الأميركية – اليابانية لعام ١٨٩٤ والتي أكدت في بنودها على إحترام الطرفين لحقوق المقيمين من كلا الجانبين على أراضيهما ومنها حق العمل والتعليم ، وضمان تلك الحقوق دون غبن أو سلوك يوحي بالإهانة أو المعاملة غير الكريمة.(٦٤) وقد أثار ذلك الحدث تعاطف الصحافة الأميركية مع المقيمين اليابانيين بإعتبار أن ما جرى في سان فرانسيسكو مثّلَ عزلاً عرقياً وإجتماعياً ، وهو ما أدى في النهاية الى رفع دعاوى قضائية أمام المحاكم الفيدرالية في سان فرانسيسكو وواشنطن عن طريق رجال قانون وسياسيين وصحفيين أميركيين عارضوا تلك القرارات التي وصفت بأنها إساءة للعلاقات الأميركية – اليابانية.(٦٥)

كان على إليهو رووت أن يشرح التناقض الذي حصل بين المعاهدة الأميركية – اليابانية لعام ١٨٩٤ ودستور ولاية كاليفورنيا الذي تم إصداره عام ١٨٧٩ ، فأشار الى أن المعاهدة منحت الطرفين الياباني والأميركي حريات واسعة في السفر والإقامة في أي جزء من أراضي الطرف الآخر ، وذلك بالطبع يشمل مواطني البلدين ، فضلاً عن توفير الحماية الكاملة لأرواحهم وممتلكاتهم.(٦٦) وحقيقة الأمر ، فإن كل ما ذكره رووت بشأن المعاهدة لم يشر الى حقوق التعليم أو العمل التي بقيت مبهمة ودون معالجة ، إذ أن السفر والإقامة وحق دخول المواطن الياباني الى الولايات المتحدة لا يضمن له حق العمل أو نوعه ، ويبدو أن تلك كانت ثغرة إستفاد منها مجلس التعليم في سان فرانسيسكو في تعامله مع الطلبة اليابانيين الذين كانت عوائلهم تقيم في المدينة. وتطرق رووت ضمن كلمته الإفتتاحية أيضاً الى بعض مما جاء في دستور ولاية كاليفورنيا لاسيما القسم السادس منه الذي أقر بأن نظام المدارس العامة في الولاية يقوم على أساس قوانين الولاية نفسها ، وتلك القوانين يتم تشريعها وفقاً لدستورها ، وأن مجلس التعليم في مدنها ومنها مدينة سان فرانسيسكو هو من كان يملك سلطة إصدار وتطبيق القواعد واللوائح

اللازمة لإدارة المدارس في المدينة. وإستشهد أيضاً بالمادة ١٦٦٢ من قانون المدارس الخاص بولاية كاليفورنيا [٦٧] التي أشارت الى أن كل مدرسة في الولاية تكون مفتوحة لقبول جميع الأطفال الذين تبدأ أعمارهم بست سنوات ومنهم المقيمين في الولاية ، ويكون من صلاحية الهيئة الإدارية للمنطقة التعليمية إنشاء مدارس منفصلة للأطفال الهنود أو ذوي الأصول الشرق آسيوية ومنهم الصينيون واليابانيون ، وعند إنشاء تلك المدارس لا يُسمح للطلبة المشار إليهم بالعودة للدراسة في مدارسهم السابقة أي المدارس العامة التي كانت تجمعهم مع الطلبة الأميركيين أو ذوي الأصول الأوربية.[٦٨] ويبدو أن إليهو رووت تطرق الى هذه المادة من قانون مدارس كاليفورنيا المستندة الى دستور الولاية الصادر عام ١٨٧٩ لكي يبين أن مجلس التعليم في مدينة سان فرانسيسكو قد إستند الى ذلك القانون في القرار الذي أصدره في الحادي عشر من تشرين الأول عام ١٩٠٦. وبالفعل ، فإن من يطّلع على قرار مجلس التعليم في مدينة سان فرانسيسكو يجد فيه إشارة صريحة الى قانون التعليم في كاليفورنيا وتحديداً المادة العاشرة – القسم ١٦٦٢، والتي إستناداً عليها وجّه المجلس المذكور إدارات المدارس في المدينة الى نقل جميع الطلبة الأطفال ذوي الأصول اليابانية والصينية والكورية الى المدرسة العامة الشرقية التي أنشأت خصيصاً لهم ، وأن يُنَفّذ ذلك القرار في غضون أربعة أيام من إصداره ، علماً أن القرار لم يشمل المقيمين الآخرين من الجنسيات الأخرى ، وقد إكتسب صيغة الإجبار ليس فقط في إجراءات النقل بل في الإلتحاق بتلك المدارس والإستمرار على الدراسة فيها.[٦٩] أشار إليهو روت الى أن الحكومة الفيدرالية الأميركية ولغرض حل الإشكال بشكل قانوني ، قدّمت الموضوع الى المحكمة الفيدرالية في كاليفورنيا ، وتمت تسوية القضية دون إصدار قرارات أو أحكام قضائية ، إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث نقاش واسع حول الموضوع في أوساط الصحافة الأميركية أو الأوساط السياسية المهتمة به ، كما أن ذلك – من وجهة نظره – كان إختباراً مهماً لمتانة العلاقات الأميركية – اليابانية والثقة المتبادلة بين الجانبين التي ساعدت على حل المشكلة.[٧٠]

لقد كانت إجراءات سلطات ولاية كاليفورنيا وتحديداً مدينة سان فرانسيسكو فيما يتعلق بتعاملها مع الطلبة الآسيويين ، وبالذات اليابانيين منهم ، ذات تأثير واضح على الجلسة الإفتتاحية للجمعية الأميركية للقانون الدولي ، إذ تعمق إليهو رووت بشأن ذلك الموضوع في كلمنه الإفتتاحية المطولة ، طارحاً سؤالاً مهماً يمس السياسة الخارجية للولايات المتحدة وتقاطعها مع السياسات المتبعة من قبل سلطات الولايات ، وكان معنى ذلك السؤال هل تملك الحكومة الفيدرالية في واشنطن العاصمة الحق الدستوري الكامل لعقد معاهدة مع حكومة دولة أخرى تكون بنودها أعلى من قوانين ولاية كاليفورنيا ؟ وأشار أن ذلك السؤال له أهمية بالغة ليس فيما يتعلق بالعلاقة بين الحكومة الأميركية في واشنطن وحكومة ولاية كاليفورنيا فقط، بل بطبيعة العلاقة مع حكومات جميع الولايات الأخرى. إذ لم تكن نقطة الخلاف الجوهرية مع ولاية

كاليفورنيا في إجبارها على أن تقبل مدارسها العامة ضم الطلبة اليابانيين الى الدراسة فيها الى جانب الطلبة الأميركيين ، بل أن تضمن المساواة في التعامل معهم أسوة بطلبة أي دولة أخرى يقيمون داخل الولايات المتحدة. لذا جاءت معاهدة عام ١٨٩٤ الأميركية – اليابانية متماشية مع ما نص عليه دستور الولايات المتحدة الأميركية لعام ١٧٨٧ الذي منح سلطة وصلاحيات كاملة للحكومة الأميركية في واشنطن في عقد المعاهدات الثنائية أو الدولية [٧١] ، وفي السياق نفسه لم يجيز لأي ولاية – دون حصولها على موافقة من الكونغرس – عقد إتفاقية مع ولاية أخرى أو دولة أجنبية.[٧٢]

أورد إليهو رووت – دعماً لرأيه وطروحاته – العديد من الإتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها الولايات المتحدة الأميركية منذ إستقلالها حتى أواخر القرن التاسع عشر ، لاسيما تلك التي تضمنت في بنودها حقوقاً للرعايا الأجانب المقيمين في الولايات المتحدة ، وخلُص الى القول أن تلك الإتفاقيات الثنائية بين الدول والتي تُعنى بالمعاملة التي يتلقاها مواطنو كل منهما على أراضي الدولة الأخرى ، أصبحت في ذلك الزمن شيئاً حتمياً ولا جدال فيه ، وسبق أن ضمّنتها دول أخرى في إتفاقياتها الخارجية قبل ظهور الولايات المتحدة الأميركية كدولة مستقلة.[٧٣]

ب – الجلسة المسائية في اليوم الأول للاجتماع السنوي الأول للجمعية :

كان من الواضح أن الكلمة الإفتتاحية المطوّلة التي أدلى بها رئيس الجمعية إليهو رووت ، أثارت إهتمام الحاضرين ومن بينهم الدكتور ثيودور آيون Theodore P. Ion الذي عرّف نفسه أمام الحضور بأنه أستاذ متخصص بالقانون الدولي في كلية القانون بجامعة بوسطن، والذي سبق له أن نشر مقالاً قانونياً مسهَباً يخص الموضوع ذاته في (مجلة ميشيغان للقانون).[٧٤] أشار في مداخلته – خلال الجلسة المسائية في اليوم الأول للإجتماع – أن موضوع الطلبة اليابانيين في مدينة سان فرانسيسكو قد أدى فعلاً الى نشوب أزمة دبلوماسية مع اليابان ، وعلى الرغم من إحتوائها إلا أنها كانت ستؤدي الى عواقب سلبية على الصعيدين الداخلي والخارجي للولايات المتحدة ، وتوقع أن يكون ذلك مؤشراً الى أزمات مماثلة قد تحصل مستقبلاً في ولايات أميركية أخرى أساسها حق المساواة بين ذوي البشرة الصفراء (الآسيويين) وذوي البشرة البيضاء من الأميركيين المنحدرين من أصول أوروبية ، فأصحاب العرق الأول يسعون الى نيل حقوقهم كمقيمين داخل الولايات المتحدة ، بينما يسعى أصحاب العرق الثاني الى ضمان التفوق والسيادة.[٧٥] ولفت آيون إنتباه الحاضرين الى أن هناك العديد من الآراء داخل الولايات المتحدة وخارجها قد أشارت الى حقوق الرعايا الأجانب ، فمثلاً أشار الى أن هناك من يرى أن إمتيازات الأجانب لا تشمل الحقوق السياسية التي يمتلكها سكان البلد الأصليين ، وهي كذلك لا تشمل جميع الحقوق المدنية ، كحق إمتلاك العقارات ، إضافة الى أن المقيمين الأجانب لا تفرض عليهم جميع الرسوم والضرائب التي تفرض على المواطن الأصلي ، وذلك يعني – حسب رأيه – أن هناك حدوداً للحقوق المدنية المسموح بها

للأجانب. وإستطرد آيون في مداخلته مشيراً الى أن حق التعليم للأجانب مكفول في بعض الدول وهناك دول أخرى تمنحه من باب المجاملة أو المعاملة بالمثل وفق ما ينص عليه إتفاقها مع دول أخرى ، لكنها في الوقت نفسه لا تسمح لأولئك الأجانب بالدراسة في كلياتها العسكرية إلا ضمن إتفاق وتفاهم خاص مع دولهم. أما المؤسسات التعليمية الأساسية أو الأدنى مرتبة من الجامعات ، فقد كان رأيه أن تسمح الدولة للرعايا الأجانب بالدراسة فيها لأن ذلك يعود عليها بمردود مادي وسياسي ، إلا أنه شدد على أن الدولة لابد لها من أن تحتفظ بحق إستبعاد أولئك الأجانب من تلك المؤسسات أو التحكم بإمتيازاتهم التعليمية إذا ما تعارض وجودهم فيها مع المصلحة العامة.(٧٦)

يستشف من مداخلة ثيودور آيون أنه كان أكثر ميلاً للإجراءات التي إتخذتها ولاية كاليفورنيا بحق الطلبة الآسيويين والذي شمل الطلبة اليابانيين ، أي أنه لم يكن مؤيداً لموقف الحكومة الأميركية في واشنطن التي أرادت حل الخلاف دون الدخول في إشكال دبلوماسي مع الحكومة اليابانية. وكان الدليل على موقف آيون المشار اليه هو ما أورده في أواخر مداخلته من آراء تبين دعمه لإجراءات ولاية كاليفورنيا ، إذ أشار الى أن المبدأ المتبع في القانون الدولي هو أن الأجانب المقيمين في غير بلدانهم لا يحق لهم التعلم في المؤسسات التعليمية لتلك البلدان ، إلا ضمن بنود معاهدة تنص على ذلك بشكل واضح ، وأن الإقامة بحد ذاتها لا تبرر – من وجهة نظره – مطالبة أولئك الأجانب بحق التعلم في تلك المؤسسات ، لذا فإن إدعاء الحكومة اليابانية بإنتهاك حقوق رعاياها من قبل مجلس التعليم في مدينة سان فرانسيسكو لم يبنى على أساس صحيح. وعليه ، أشار آيون الى أن اليابان بإعتبارها دولة ذات سيادة ، لها كامل الحق في الرد على إجراءات ولاية كاليفورنيا ومعاملة الطلبة القادمين منها للدراسة في المؤسسات التعليمية اليابانية بالمثل ، أو توسيع الإجراء ليشمل جميع الطلبة الأميركيين المقيمين في اليابان. وذهب آيون الى أبعد من ذلك عندما أشار الى أن معاهدة عام ١٨٩٤ الأميركية – اليابانية لا تقدم دليلاً يدعم الحكومة اليابانية في إدعائها أن لرعاياها الحق في الدراسة في المؤسسات التعليمية التابعة لمختلف الولايات الأميركية ، وأن ذلك الحق كان يتطلب بنداً منفرداً في المعاهدة ، لكي تستند عليه الحكومة اليابانية في إدعائها بحقوق رعاياها التعليمية ، وبما أن ذلك البند غير موجود – حسب رأيه – فإن ولاية كاليفورنيا لها الصلاحية الكاملة في إستثناء تعليم الأجانب في مدارسها أو نقلهم للدراسة في مدارس أخرى مخصصة لهم ، ومن حق الولاية أيضاً تطبيق ذلك الإجراء على رعايا دول معينة دون غيرها.(٧٧)

كان موضوع الطلبة اليابانيين وإجراءات مجلس التعليم في مدينة سان فرانسيسكو بحقهم ، قد شغل حيزاً واسعاً من إهتمام رجال القانون الأميركيين والصحافة الأميركية لاسيما صحيفة نيويورك تايمز التي أشرنا لها في صفحات سابقة. إنتقد الكثيرون إجراءات مجلس التعليم المشار إليه ، وأشاروا الى أنه سبب

إحراجاً للحكومة الأميركية في واشنطن وإشكالاً في العلاقات مع اليابان ، وهناك القليل من الآراء التي دعمت إجراءات مجلس التعليم في سان فرانسيسكو ومنهم رأي ثيودور آيون. كان ذلك الأخذ والرد بين أعضاء الجمعية الأميركية للقانون الدولي جزءاً من تبادل الآراء والإستفادة من المواقف المتباينة بين أعضائها فيما يتعلق بالموضوع ذاته ، لاسيما وأنه لم يكن موضوعاً بعيداً من الناحية الزمنية ، بل كان آنيّاً لم يمضِ عليه وعلى السجال القانوني الذي دار بشأنه سوى بضعة أشهر. إلا أن ذلك النقاش وتلك المداخلات رغم أهميتها وطابعها التوضيحي سواء للمتخصصين في مجال القانون الدولي أو غير المتخصصين ، لم تصل الى صيغة التوصيات التي تقدم الى أصحاب الشأن من رجال السياسة أو الدبلوماسيين أو أعضاء الحكومات الفيدرالية في الولايات الأميركية ، بل بقيت على شكل خطب ومداخلات في محاضر جلسات الجمعية ، تمثل مرجعاً للمتخصصين آنذاك في القانون الدولي ، أو معلومات قانونية يمكن الإستفادة منها من قبل ذوي المناصب الرفيعة في الحكومة الأميركية ، لاسيما أن البعض منهم كانوا أعضاء في الجمعية ، والبعض الآخر من أعضائها أخذ طريقه فيما بعد نحو العمل السياسي الرسمي.

ج – اليوم الثاني لإجتماع الجمعية (الجلسة الختامية) :

عقدت جلسة اليوم الثاني والأخير للجمعية الأميركية للقانون الدولي صباح يوم الجمعة العشرين من نيسان ١٩٠٧ في المكان نفسه الذي عقدت فيه جلسات اليوم السابق أي في فندق ويلارد بالعاصمة واشنطن. خصصت جلسة اليوم الأخير لإلقاء كلمات من قبل بعض الحضور تخص الدورة الثانية من مؤتمر لاهاي للسلام [٧٨] الذي تقرر عقده إبتداءاً من شهر حزيران ١٩٠٧ في مدينة لاهاي الهولندية.[٧٩]

كان جون فوستر أحد المتحدثين بشأن الموضوع المشار إليه ، إذ إبتدأ حديثه بالإشارة الى مؤتمر السلام الأول في لاهاي عام ١٨٩٩ ، والذي عقد كما أشار من أجل موضوع التسلح الدولي وكيفية الحد منه ، إضافة الى بعض المواضيع الثانوية التي تم التطرق إليها خلال مناقشات المؤتمر ، ولم يكن موضوع تعداد القوة البشرية المسلحة لكل دولة بعيداً عن النقاش ، فكان رأي الكثير من الدول إما الإكتفاء بالأعداد الفعلية لقوتها البشرية في جيوشها أو العمل على تقليل أعدادها ، بالإضافة الى تقليص الميزانيات المالية المرصودة لها ، إلا أن كل ما جرى نقاشه والإتفاق عليه لم يكن ملزماً بسبب موقف بعض الدول المعارض لذلك الإلزام ومنها ألمانيا. تطرق فوستر الى وجهة نظر كان يراها ملحة للدول ذات الأساطيل التجارية التي تجوب المياه الدولية ومنها الولايات المتحدة الأميركية ، إذ رأى أن أي حرب بين دولتين أو أكثر لاسيما داخل القارة الأوربية لابد أن تبقى معاركها على البر أو المياه الإقليمية ولا تتجاوزها الى المياه الدولية ، لأن ذلك يعني أن تلك الحرب إذا توسعت خارج نطاق البر سوف تلحق

الضرر بمصالح الدول الأخرى لاسيما من الناحية التجارية على الرغم من كون تلك المصالح تابعة لدول محايدة. وأشار في ذلك الصدد الى نقطة هامة ، تمثلت في أن موانئ الدول المحايدة غير ملزمة بإستقبال السفن الحربية للدول المتحاربة إذا ما إحتاجت أي نوع من المساعدة كالمؤونة أو الصيانة أو أي نوع آخر من أنواع المساعدة ، وإعتبر أن القانون الدولي قد أغفل تلك النقطة التي كانت بمثابة الثغرة الواجب سدها ، وأورد في هذا الشأن مقارنة منطقية مفادها إذا كان من المحظور على الجيوش المتحاربة دخول أراضي دول محايدة للإستراحة أو التزود بالمؤن ، فكيف يسمح للسفن الحربية الرسو في موانئ دول محايدة للغرض نفسه. ولم يكتف فوستر بتلك الملاحظات المهمة التي رأى أنه من المفروض أن يناقشها مؤتمر لاهاي للسلام ، بل أشار أيضاً الى ملاحظة أخرى لا تقل أهمية عما سبق وأشار إليه ، وهي أن قوانين الحياد لا تقر ولا تسمح للدول المحايدة أن تقدم أموالاً للأطراف المتحاربة ، بينما أغفلت تلك القوانين أن تمنع كبار المصرفيين وذوي رؤوس الأموال من تقديم أموال مماثلة للدول المتحاربة على الرغم من كونهم من مواطني الدول المحايدة ، لذا رأى أن من واجب مؤتمر السلام إصدار قرار يحرّم ويجرّم مثل ذلك الفعل ، وإعتبرها خطوة تعزز من فرص تحقيق السلام في العالم.[٨٠]

جاءت الكلمة التالية في الجلسة من البروفيسور ثيودور وولسي الذي كان يشغل منصب أستاذ القانون الدولي في جامعة ييل ، أراد أن يبين في مداخلته أن التحكيم يمكن أن يكون بديلاً ناجحاً عن التفاوض والدبلوماسية. إذ رأى أن التحكيم الدولي عبارة عن وسيلة مهمة لتسوية وحل الخلافات بين دولتين أو أكثر عن طريق القضاء أمام المحاكم الدولية ، وهو خيار يتم اللجوء اليه بعد أن تكون المفاوضات قد وصلت الى طريق مسدود في حل تلك الخلافات. إستشهد وولسي لدعم رأيه بما نصت عليه المادة الأولى من الإتفاقية الفرنسية – البريطانية لعام ١٩٠٣[٨١] التي نصت على أن تنقل الخلافات المتعلقة بالأحكام القضائية أو تفسير أي بند من بنود المعاهدات أو الإتفاقيات بين الدولتين الى محكمة التحكيم الدولية في لاهاي التي أنشأت عام ١٨٩٩ لأجل إصدار حكم قضائي فيها ، وأشار الى أن التحكيم يكون في هذه الحالة بديلاً عن الحرب لاسيما في حال فشل المفاوضات الدبلوماسية بين الطرفين لكنه إستدرك مشيراً الى أن سياسات الدول لا تتشابه دائماً مع بعضها بخصوص الخلافات فبعض الدول تحيل المسائل الثانوية فقط الى التحكيم ، لذا فإن التحكيم سيكون في تلك الحالة بديلاً عن الدبلوماسية وليس بديلاً عن الحرب. إلا أنه شدد من ناحية أخرى على أهمية الدبلوماسية التي توفر الفرصة لتبادل الآراء بين الجانبين المتنازعين من أجل الوصول الى تسويات ترضي الأطراف ، ويمكن تعديل تلك التسويات وشروطها طالما كان الحوار الدبلوماسي مستمراً ، على عكس قرارات التحكيم التي تكون قطعية ولا رجعة عنها.[٨٢]

كان آخر المتحدثين ريتشارد بارثولت عضو مجلس النواب الأميركي عن الحزب الجمهوري والرئيس السابق للاتحاد البرلماني الدولي. أعلن بارثولت بأنه يختلف من حيث الرأي مع بعض الذين سبقوه في الحديث لاسيما جون فوستر لاسيما في مسألة الاهتمام بموضوع الحد من التسلح الدولي ، فإعتبر أن ذلك الموضوع كان من الممكن أن يُفشِل مؤتمر لاهاي الأول للسلام الدولي عام ١٨٩٩ لو كانت الدول الحاضرة فيه قد أصرت على تطبيقه ، وتوقع أن يفشل مؤتمر لاهاي الثاني – الذي لم يعقد حتى ذلك الحين – إذا أعطي الموضوع ذاته حيزاً واسعاً من الاهتمام ، والسبب حسب رأيه هو أن الكثير من الحكومات في العالم آنذاك لم تكن مستعدة للتخلي عن أسلحتها الحربية لا كماً ولا نوعاً ، لأنها جزء من ضمان أمنها الداخلي والخارجي. وشبّه الموضوع بعملية هدم جدار وإزالة أحجاره بصعوبة ، وهو يقصد بالأحجار الدول التي تمتلك جيوشاً وأسلحة متنوعة وكثيرة والتي تتطلب جهداً كبيراً وصبراً طويلاً لإقناع كل واحدة منها بنزع جزء من أسلحتها ، وبدلاً عن ذلك إقترح تأسيس نظام دولي قائم على أساس سيادة القانون والعدالة بين الدول ، فعند ذاك ربما تقتنع تلك الدول والحكومات بأن سياساتها نحو التسلح ليس لها ما يبررها.(٨٣)

شهدت الجلسة الختامية للإجتماع السنوي الأول للجمعية الأميركية للقانون الدولي إعلان رئيسها بأن الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت سيستقبل أعضائها عند إنتهاء إجتماعاتها في ذلك اليوم ، وبالفعل جرى ذلك الإستقبال ظهيرة اليوم نفسه في البيت الأبيض.(٨٤) كان ذلك الإستقبال دليلاً على إهتمام الرئيس الأميركي ودعمه المعنوي لنشاط الجمعية ، لاسيما وأن بعض أعضائها كما أشرنا أيدوا وساندوا دعوة الرئيس روزفلت لإقامة الدورة الثانية لمؤتمر لاهاي الدولي للسلام ، وروجوا له ولما يمكن أن يطرح ويناقش فيه من مواضيع. ويمكن القول أن الاجتماع الأول للجمعية نجح من الناحية التنظيمية والمعنوية ، وقد أُقِر إنعقاده سنوياً من أجل الحفاظ على الجمعية ونشاطها المتعلق بشؤون القانون الدولي.

الخاتمة :

١- لم تكن فكرة إنشاء تنظيم أو جمعية أميركية تعنى بشؤون القانون الدولي وليدة الصدفة أو لا تستند الى أسباب موجبة لها ، إذ أن تعدد القضايا التي قدمت الى التحكيم الدولي للبت فيها وإصدار قرارات بشأنها والتي كانت الولايات المتحدة الأميركية طرفاً فيها ، أدى الى زيادة الاهتمام بالقانون الدولي وتفاصيله بين المختصين الأميركيين بذلك الشأن.

٢- جاء تأسيس الجمعية الأميركية للقانون الدولي متأخراً نسبياً من الناحية الزمنية ، لاسيما إذا ما أشرنا الى جمعيات مماثلة من حيث الإختصاص تم تأسيسها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وبالتحديد في بريطانيا ، والمقصود بها جمعية التشريع المقارن والقانون الدولي التي تم تأسيسها عام ١٨٩٤ ، هذا بالإضافة الى جمعيات أخرى داخل الولايات المتحدة لم تعنى بالقانون الدولي لكنها

خدمت إختصاصاً مقارباً له ومرتيطاً به في كثير من الأحيان ، والمقصود بها الجمعية الأميركية للعلوم السياسية التي تم تأسيسها عام ١٩٠٣.

٣- إغتنم المتخصصون في القانون الدولي داخل الولايات المتحدة فرصة إنعقاد مؤتمر موهونك للتحكيم الدولي عام ١٩٠٥ لطرح فكرة نأسيس الجمعية التي أرادوها أن تكون جمعية مستقلة غير مرتبطة بتنظيمات قانونية أخرى لاسيما نقابة المحامين ، إذ أن تخصص القانون الدولي يختلف عن التخصص في القوانين المحلية التي تميز أغلب أعضاء نقابة المحامين الأميركيين.

٤- لم يكن تأسيس الجمعية أمراً سهلاً في بدايته ، إذ كان على الشخصيات الأميركية المتخصصة في القانون الدولي إقناع الكثير من الشخصيات الأخرى التي لم تكن ترى ضرورة في تأسيسها ، وربما يكون ذلك الرأي المعارض نابعاً من أن الولايات المتحدة كانت تستضيف على نحو سنوي تقريباً مؤتمراً للتحكيم الدولي يحضره المتخصصون في القانون الدولي من الأميركيين وغير الأميركيين ، وكان ذلك المؤتمر بمثابة المنتدى الذي تطرح فيه الآراء وتقام النقاشات المستندة على القانون الدولي بخصوص مواضيع التحكيم.

٥- التزمت الجمعية في نشاطها وإجتماعاتها بالهدف الذي أُسِست من أجله ، وهو نشر الوعي والإهتمام بالقانون الدولي بين شريحة واسعة من الأميركيين ، إذ أن ذلك القانون يعتبر الأساس الذي تقوم عليه المحاكم الدولية التي تنظر في الخلافات التي لا تتمكن الدول من حلها بشكل دبلوماسي أو عن طريق التفاوض فيما بينها ، وهي الطريقة الأفضل لتجنب الحروب التي قد تقع نتيجة لتلك الخلافات.

٦- يمكن القول أن تلك الجمعية كانت بمثابة المرآة العاكسة للقضايا الخلافية التي واجهتها الولايات المتحدة مع بعض دول العالم ، والى أي حد نجحت الحكومة الأميركية أو وزارة الخارجية في التعامل مع تلك القضايا ، ومنها على سبيل المثال الخلاف مع اليابان عام ١٩٠٦ والذي تسببت يه سلطات ولاية كاليفورنيا بإصدارها قرارات أثّرت سلبياً على الطلبة اليابانيين المقيمين في تلك الولاية.

٧- مثّلت الشخصيات السياسية الأميركية والأخرى المتخصصة في القانون الدولي التي ساهمت في تأسيس الجمعية أو التي إنضمت اليها فيما بعد ، قيمة ودعماً معنوياً للجمعية ونشاطها ، يضاف الى ذلك المقالات والبحوث التي نشرتها تلك الشخصيات في الدورية الربع سنوية (الفصلية) التي أصدرتها الجمعية والتي تناولوا فيها العديد من المواضيع المتعلقة بالقانون الدولي وقضايا التحكيم والخلافات المتعددة بين الدول ومنها الخلافات التي كانت الولايات المتحدة الأميركية طرفاً فيها.

٨- لم يكن من المتوقع أن تحقق الجمعية كل ما أعلنته في بيان تأسيسها من أهداف في السنة الأولى ، ولا من خلال إجتماعها السنوي الأول ، لاسيما الهدف المتعلق بنشر الوعي المعرفي بالقانون

الدولي بين أوساط المثقفين الأميركيين العاديين ، إذ أن النقاشات التي حدثت في دورة إنعقادها الأولى كانت أقرب في لغتها ومعانيها الى مستوى المتخصصين في القانون الدولي ، بل كانت كذلك بالفعل. لذا فإن هدفاً كالذي أشرنا اليه كان يتطلب عملاً طويل الأمد من قبل أعضاء الجمعية وإهتماماً إعلامياً أوسع من الصحافة الأميركية والمنتديات الثقافية العامة التي كان يرتادها غير المتخصصين بالقانون الدولي.

هوامش البحث :

(1) Tocqueville, Alexis de., Democracy in America, Vol. 2, Edited by Phillips Bradley, Bombay Popular Prakashan, Bombay, 1945, pp. 93- 94; Patterson, David S., Citizen Peace Initiatives and American Political Culture 1865- 1920, in Chatfield, Charles., Van Den Dungen, Peter., (Editors), Peace Movement and Political Culture, The University of Tennessee, Knoxville, 1988, pp. 187- 188.

(2) Kuehl, Warren F., Seeking World Order, The United States and International Organization to 1920, Vanderbilt University Press, Nashville, Tennessee, 1969, pp. 38- 39.

(٣) عقد ذلك المؤتمر بين الثالث والعشرين والسابع والعشرين من حزيران ١٨٨٩ في باريس ، وقد حضره رجال قانون وسياسيون من دول عديدة كفرنسا والولايات المتحدة الأميركية وسويسرا وإيطاليا وبريطانيا وألمانيا والدنمارك والبرازيل. أصدر المؤتمر قرارات كانت بمثابة توصيات حثت على تكريس التعليم التحكيمي ، أي التعريف بمبادئ التحكيم من خلال التعليم الذي يشمل المدارس والجامعات ، إضافة الى نشر الكتب التي تتضمن ثقافة التحكيم ، والدعوة الى نبذ الحروب عن طريق نشر قوائم إحصائية عن تكاليف الحروب التي حدثت خلال الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت عام ١٨٨٩. وجاء في مقررات المؤتمر أيضاً ، أن تُقدَم مذكرة باسم المجتمعين فيه الى حكومات الدول المتحضرة ، تناشدها إتخاذ الإجراءات الدبلوماسية اللازمة لإنشاء محكمة دولية تحكم في القضايا التي تثير الخلافات بين الدول ، وأخيراً الدعوة الى عقد مؤتمر آخر للسلام عام ١٨٩٠.

The Universal Peace Congress Paris 1889, The American Advocate of Peace and Arbitration, Vol. 51, No. 4 -5, Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey, September - October, 1889, pp. 97- 101.

(4) Fry, M Graham. et.al, (Editors), Guide to International Relations and Diplomacy, Continuum, New York, 2002, pp. 145- 146.

(5) Patterson, David S.,op.cit, p. 187.

(٦) كان صيد حيوان الفقمة ذات الفراء في بحر بيرنغ يمثل عملاً مربحاً من الناحية التجارية، إذ كان فراؤه يستخدم في صناعة الملابس لاسيما الشتوية التي يحتاجها سكان المناطق شديدة البرودة ، كما أن بيعه كمادة خام قبل إستخدامه في تلك الصناعة يدر أرباحاً جيدة على الصيادين والتجار الأميركيين. رأت الحكومة الأميركية أن صياديها هم الأولى بمزاولة صيد الفقمة من صيادي بريطانيا وكندا ، إذ أن الولايات المتحدة الأميركية كانت تملك السيادة على أهم الجزر التي يُجرى عليها الصيد في بحر بيرنغ وهي جزر (بريبيلوف) التابعة لإقليم ألاسكا الذي إشترته من روسيا عام ١٨٦٧، كما أن المياه المحيطة بتلك الجزر تعتبر مياه إقليمية أميركية ، لذا أصدرت وزارة الخزانة الأميركية عام ١٨٨٦ تعليمات الى الصيادين الأميركيين بمنع الصيادين البريطانيين والكنديين من ممارسة الصيد في تلك المياه المشار اليها ومصادرة سفنهم ، مما أدى الى نشوب خلاف بين الولايات المتحدة من جهة وبريطانيا وكندا من جهة أخرى.

Brown, Robert Craig., Canada's National Policy 1883-1900: A Study in Canadian-American Relations, Princeton University Press, 1964, p.p. 7- 10.

(٧) أصدرت المحكمة الدولية المكلفة بالتحكيم في الخلاف بين الولايات المتحدة الأميركية من جهة وبريطانيا وكندا من جهة أخرى قرارها عام ١٨٩٣ ، وتضمن تأييد المطالب والإجراءات الأميركية المتمثلة بمنع الصيادين البريطانيين والكنديين من صيد حيوان الفقمة ذات الفراء في المياه الإقليمية الأميركية قرب سواحل إقليم ألاسكا وجزر بريبيلوف الأميركية وهي الأماكن التي كان حيوان الفقمة يتواجد فيها لاسيما في فترة التكاثر، أما موضوع تعويض الصيادين

البريطانيين والكنديين الذين إستولت الولايات المتحدة على سفنهم ، فقد وجهت المحكمة كلا الجانبين الى حل الموضوع عن طريق التفاوض ، وهو الأمر الذي تم فعلاً فيما بعد.

Foster, John W., Results of The Bering Sea Arbitration, The North American Review, Vol. 661, No. 469, Published by University of Northern Iowa, December 1895, pp. 693- 702.

(8) Finch, George A., The American Society of International Law, The American Journal of International Law, Vol. 50, No. 2, Published by: American Society of International Law, Apr., 1956, p. 293.

(9) Tryon, Games L., The Hague Conferences, Yale Law Journal, Vol. 20, No. 6, The Yale Law Journal Company, Inc., New Haven, Connecticut, Apr., 1911, p. 272.

(١٠) مثلت الوفود المشاركة كل من هولندا وروسيا والولايات المتحدة الأميركية وألمانيا والنمسا- هنغاريا وبلجيكا والصين والدنمارك وإسبانيا وبريطانيا واليونان وإيطاليا واليابان ولوكسمبورغ والمكسيك وبلاد فارس والبرتغال ورومانيا وصربيا والسويد والنروج وسويسرا والدولة العثمانية وبلغاريا.

Holes, Frederick W., The Peace Conference at The Hague and its Bearings on International Law and Policy, The Macmillan Company, London, 1900, pp. 38- 52.

(11) Barcroft, Stephen., The Hague Peace Conference of 1899, Irish Studies in International Affairs, Vol. 3, No. 1, Published by: Royal Irish Academy, Dublin, 1989, p. 66.

(12) Tryon, Games L., op.cit, p. 754.

(١٣) إنعقد المؤتمر في منتجع جبلي مطل على بحيرة موهونك شمال ولاية نيويورك والذي كان يملكه ألبرت سمايلي Albert Smiley (و ١٨٢٨- ت ١٩١٢) ، وهو من الكويكرز البروتستانت وأحد دعاة السلام المهمين في الولايات المتحدة الأميركية.

Paterson, David S., Toward a Warless World : The Travail of the American Peace Movement 1887- 1914, Indiana University Press, Bloomington, 1976, pp. 30- 31; The Advocate of Peace (1894-1920), Vol. 75, No. 1, Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey, January, 1913, p.9.

(14) Daniel Hucker, The Lake Mohonk Conferences on International Arbitration (1895–1916): Evoking and Mobilizing an "International Mind", Journal of American Studies, Vol. 58, No. 1, Published by Cambridge University Press in association with the British Association for American Studies, 2023, p. 39.

(15) Finch, George A., op.cit, p. 296.

(16) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, Vol. 1, Published by Cambridge University Press, April 19 and 20, 1907, p. 23.

(١٧) جورج واشنطن كيرتشوي : ولد عام ١٨٥٥ في مدينة ديترويت بولاية ميشيغان ، إنحدر والداه من أصول ألمانية. درس كيرتشوي في المدارس العامة ثم أكمل في المدارس الخاصة ، وأظهر تفوقاً في دراسته الثانوية التي تخرج منها عام ١٨٧٥. درس القانون في جامعة (ييل) وتخرج منها عام ١٨٧٩. إنضم الى نقابة المحامين في نيويورك وعمل على أمد عشر سنوات محامياً في مدينة ألباني. أختير عميداً لكلية الحقوق بجامعة كولومبيا عام ١٩٠١. أصبح عضواً في لجنة ولاية نيويورك لإصلاح السجون بين عامي ١٩١٣- ١٩١٤. إنتقل عام ١٩١٧ الى كلية نيويورك للأعمال الخيرية ليكون عضواً في هيئتها التدريسية ، وفي السنة التالية عُين رئيساً لقسم علم الإجرام في الكلية ، وهو المنصب الذي بقي فيه حتى تقاعده عام ١٩٣٢. عُرف عنه بأنه كان من دعاة السلام وإحترام القانون الدولي ، لذا كان ممثلاً للولايات المتحدة الأميركية في المؤتمر الدولي للسلام الذي عقد في جنيف عام ١٩١٢ ، كما ترأس جمعية السلام الأميركية من عام ١٩١٥ حتى ١٩١٧. كُرّم من قبل العديد من المؤسسات القانونية الأميركية ومنها المعهد الأميركي للقانون الجنائي وعلم الإجرام عام ١٩١٧. توفي في مدينة نيويورك عام ١٩٤٢.

Dictionary of American Biography, Supplement Three 1941- 1945, American Council of Learned Societies, New York, 1973, pp. 420- 421.

(١٨) روبرت لانسينغ : ولد عام ١٨٦٤ في مدينة ووترتاون بولاية نيويورك ، إنحدر أجداده من أصول هولندية. أكمل دراسته الثانوية في ووترتاون عام ١٨٨٢ ، وفي السنة ذاتها قدم للدراسة في كلية إيمرست وبعد أربع سنوات تخرج منها بعد أن درس مجموعة من العلوم العامة. درس القانون منفرداً في المكتب القانوني لوالده في إحدى شركات الخدمة القانونية التي كان والده شريكاً في ملكيتها، تم بعدها قبوله في نقابة المحامين في ووترتاون بعد أن إجتاز الإختبار الذي أجري له عام ١٨٨٩. تدرج في عمله القانوني وإختير مرات عديدة لعضوية اللجان الأميركية التي دافعت عن حقوق

الولايات المتحدة في عدد من القضايا التي قدمت للتحكيم الدولي بين عامي ١٨٩٢- ١٩١٠. ساهم في تأسيس الجمعية الأميركية للقانون الدولي عام ١٩٠٦ التي كان له دور فاعل فيها لحين وفاته. عينه الرئيس وودرو ولسن وزيراً للخارجية الأميركية في حزيران ١٩١٥ ، ليقود الدبلوماسية الأميركية قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى وبعد دخولها عام ١٩١٨ وأثناء مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ ولحين خروجه من ذلك المنصب عام ١٩٢٠. توفي في نيويورك عام ١٩٢٨.

Hartig, Thomas Henry, Robert Lansing: An Interpretive Biography, Modern History Ph.D. Dissertation, Ohio State University, 1974.

(١٩) جيمس براون سكوت : ولد عام ١٨٦٦ في (كينكاردن) إحدى بلدات مقاطعة أونتاريو الكندية. حاصل على شهادة البكلوريوس في الآداب من جامعة هارفرد عام ١٨٩٠، وبعدها بسنة واحدة أكمل دراسة الماجستير. أكمل الدكتوراه في تخصص القانون بجامعة هايدلبرغ في ألمانيا عام ١٨٩٣. عمل في المحاماة في لوس أنجلس بالولايات المتحدة الأميركية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر. يعتبر أحد مؤسسي الجمعية الأميركية للقانون الدولي عام ١٩٠٦. عمل محاضراً في جامعة جورج تاون في واشنطن العاصمة ، وبعدها رئيساً لقسم القانون الدولي والعلاقات الدولية في كلية جورج تاون للخدمة الخارجية حتى عام ١٩٤٠. توفي عام ١٩٤٣ في مدينة أنابولس بولاية ميريلاند.

Finch, George A., James Brown Scott, 1866-1943, The American Journal of International Law, Vol. 38, No. 2, Published by American Society of International Law, Washington, D.C, Apr., 1944, pp. 183- 215.

(٢٠) ديفيد بريور: ولد في مدينة سميرنا (أزمير) في الدولة العثمانية عام ١٨٣٧، كان والده موظفاً في إحدى الإرساليات التبشيرية البروتستانتية الأميركية التي عملت هناك ، عاد الى الولايات المتحدة عام ١٨٣٨ وسكن مع عائلته في ولاية كونيتيكت. تدرج ديفيد في دراسته حتى سن الخامسة عشرة ، وحينها بدأ بالدراسة في جامعة ويسليان Wesleyan في كونيتيكت ، ثم إنتقل عام ١٨٥٤ الى جامعة ييل التي تخرج منها عام ١٨٥٦ ، وبعدها الى نيويورك ليلتحق بكلية ألباني للحقوق التي تخرج منها بعد أقل من عام واحد. وبعد تدرجه في سلك المحاماة والقضاء ، عينه الرئيس بنجامين هاريسون عام ١٨٩٠ بمنصب قاضٍ مساعد في المحكمة العليا للولايات المتحدة. عُرف عن بريور بأنه كان مناهضاً للعبودية، وهو ما دفعه الى المساهمة في تحرير وإصدار العديد من المنشورات الدورية المؤيدة لإلغاء العبودية . تنقل بين العديد من الأحزاب السياسية ، إذ كان في البداية مؤيداً للحزب الديمقراطي ، إلا أن قناعاته السياسية تغيرت في منتصف عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر ، فأصبح أكثر ميلاً الى الحزب الجمهوري . توفي عام ١٩١٠.

Brodhead, Michael J., David J. Brewer : The Life of a Supreme Court Justice 1837- 1910, Southern Illinois Press, 1994, pp. 2- 230.

(٢١) جورج غراي : ولد عام ١٨٤٠ في نيوكاسل بولاية ديلاوير ، كان والده محامياً ورجل أعمال ومن الشخصيات المعروفة في تلك الولاية. درس جورج غراي في المدارس العامة في ديلاوير ، وتخرج بعد تدرجه في الدراسة من كلية برينستون عام ١٨٥٩ ، تتلمذ في دراسة القانون بمكتب والده للمحاماة ثم في جامعة هارفرد ، وبعد تخرجه تم قبوله في نقابة المحامين ومارس مهنة المحاماة في مدينة نيوكاسل. عين مدعياً عاماً لولاية ديلاوير بين عامي ١٨٧٩- ١٨٨٥. أنتخب لعضوية مجلس الشيوخ بين عامي ١٨٨٥- ١٨٩٩. كان عضواً في اللجنة الأميركية لتسوية الخلافات مع كندا ١٨٩٨، ثم وفي العام نفسه كان عضواً في اللجنة الأميركية المكلفة ببحث ترتيبات السلام مع إسبانيا. عُين عام ١٨٩٩ من قبل الرئيس وليم ماكنلي قاضياً في الدائرة الثالثة لمحكمة الإستئناف الأميركية. عُين أيضاً من قبل الرئيس ماكنلي عضواً عن الجانب الأميركي في المحكمة الدولية الدائمة في لاهاي عام ١٩٠٠ وهو المنصب الذي خدم فيه حتى عام ١٩٢٠. توفي في ويلمنغتون بولاية ديلاوير عام ١٩٢٥.

Biographical Dictionary of The American Congress 1774- 1961, United States Government Printing Office, Washington, D.C., 1961, p. 968.

(٢٢) جون باسيت مور : ولد عام ١٨٦٠ في بلدة سمبرنا بمقاطعة نيوكاسل التابعة لولاية ديلاوير. تدرج في دراسته حتى تخرج من جامعة فرجينيا عام ١٨٨٠ متخصصاً بالقانون. وبعدها بثلاث سنوات تم قبوله في نقابة المحامين في ولاية ديلاوير. قدم خدمات إستشارية قانونية لوزارة الخارجية الأميركية بين عامي ١٨٨٦- ١٨٩١. عمل أستاذاً للقانون في جامعة كولومبيا من عام ١٨٩١ حتى عام ١٨٩٨. أختير مرات عديدة لعضوية اللجان التي مثلت الولايات المتحدة لغرض التفاوض في قضايا عديدة ، منها اللجنة التي كلفت بالتفاوض مع الإسبان حول ترتيبات معاهدة السلام الأميركية – الإسبانية عام ١٨٩٨. أختير ممثلاً للولايات المتحدة في محكمة العدل الدولية الدائمة عام ١٩٢٢. توفي في مدينة نيويورك عام ١٩٤٧.

Hinckley, Frank E., John Bassett Moore: A Member of the Permanent Court of International Justice, California Law Review, Vol. X, No. 2, University of California, Berkeley, California,

January, 1922, pp. 102- 110; Borchard, Edwin., John Bassett Moore, American Journal of International Law, Vol. 24, Issue. 1, Published by American Society of International Law, January, 1948, pp. 98- 101.

(٢٣) أوسكار شتراوس : ولد عام ١٨٥٠ في مدينة أوتيربيرغ غرب ألمانيا لعائلة يهودية الديانة. إنتقلت عائلته الى الولايات المتحدة الأميركية بعد أربع سنوات من ولادته وإستقرت في ولاية جورجيا. تخرج من جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك ضمن تخصص القانون. نال شهادة الدكتوراه في الأدب من جامعة براون في رود آيلاند منتصف عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر. عُين وزيراً مفوضاً للولايات المتحدة في إسطنبول عام ١٨٨٧ ولمدة سنتين ، وللمرة الثانية عامي ١٨٩٨- ١٨٩٩. عُين عضواً في محكمة التحكيم الدولية الدائمة في لاهاي عام ١٩٠٢. عينه الرئيس ثيودور روزفلت وزيراً للتجارة عام ١٩٠٦ ولمدة ثلاث سنوات. توفي عام ١٩٢٦.

Strauss, Lewis l., Oscar S. Straus: An Appreciation, Publications of the American Jewish Historical Society, Vol. 40, No. 1, New York, September, 1950, p.p. 3- 16.

(24) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 24.

(٢٥) إيفرت بيبريل ويلر : ولد عام ١٨٤٠ في مدينة نيويورك ، من المحامين الأميركيين الذين كانت لهم آراء إصلاحية لاسيما في الخدمة المدنية والجانب الاجتماعي. تخرج من كلية مدينة نيويورك عام ١٨٥٦ وبعدها بثلاث سنوات تخرج من جامعة هارفارد. ساهم في تأسيس نقابة المحامين في نيويورك ، وعمل رئيساً للجنة التنفيذية لإصلاح الخدمة المدنية فيها. فشل عام ١٨٩٤ في الترشح لمنصب حاكم ولاية نيويورك. عُرف بأنه كان واحداً من أكثر المعارضين لمنح المرأة الأميركية حق التصويت في الانتخابات ، وتزعم من أجل ذلك العديد من المنظمات المؤيدة لطروحاته. توفي عام ١٩٢٥. ينظر الصفحة الإلكترونية التالية ، تم تصفحها بتاريخ ١٨ آذار ٢٠٢٥

archives.nypl.org/mss/3307

(26) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 24.

(27) Hall, Kermit L. et.al, (Editors), The Oxford Companion to the Supreme Court of the United States, Oxford University Press Inc., New York, 2005, p. 130.

(28) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 25.

(٢٩) جورج غرافتون ويلسون : ولد عام ١٨٦٣ في مدينة بلانفيلد في ولاية كونيكتيكت. حاصل على العديد من الشهادات الأكاديمية ، منها بكالوريوس في الآداب عام ١٨٨٦ من جامعة براون في ولاية رود آيلاند ، ثم شهادة الماجستير عام ١٨٨٨ ، والدكتوراه عام ١٨٩١. عمل في وظائف عديدة منها مديراً لمدرسة روتلاند الثانوية العالية في ولاية فيرمونت عامي ١٨٨٩- ١٨٩٠. عين عام ١٨٩١ أستاذاً مشاركاً للعلوم الاجتماعية والسياسية في جامعة براون. وعمل كذلك أستاذاً للقانون الدولي في جامعة هارفارد منذ عام ١٩١٠ ، وكذلك العديد من المهام الأكاديمية الأخرى. عمل عام ١٩١٤ مستشاراً في مفوضية الولايات المتحدة في لاهاي بهولندا. أختير عضواً في هيئة تحرير المجلة الأميركية للقانون الدولي منذ إصدارها عام ١٩٠٧. توفي في مدينة كامبرج بولاية ماساتشوستس عام ١٩٥١.

Finch, George A., George Grafton Wilson 1863-1951, The American Journal of International Law, Vol. 45, No. 3, Published by Cambridge University Press, Jul., 1951, pp. 526-528; Myers, Dents P., The American Journal of International Law, Vol. 45, No. 3, Published by Cambridge University Press, Jul., 1951, pp. 549-552.

(٣٠) الجمعية الأميركية للعلوم السياسية American Political Science Association : تأسست عام ١٩٠٣ في جامعة تولين في ولاية نيو أورلينز من قبل مجموعة من المتخصصين الأميركيين في علم السياسة. كان الهدف من إنشائها إيجاد تنظيم مستقل للأشخاص الذين يجمعهم الاهتمام بالدراسة العلمية لهيكلية الدولة ووظائفها وتفاعلها مع المجتمع.

Willoughby, W.W., The American Political Science Association, Political Science Quarterly, Vol. 19, No. 1, Published by Oxford University Press, Mar., 1904, pp. 110-111.

(31) Bell, William Gardner., Secretaries of War and Secretaries of the Army, Center of Military History, United States Army Washington, D.C., 2010, p. 106.

(32) Birkner, Michael J. et.al, (Editors), The Governors of New Jersey: Biographical Essays, Rutgers University Press, New Brunswick, New Jersey, 2014, pp. 211- 214.
(33) Biographical Directory of the American Congress, op.cit, pp. 1363- 1364.
(34) Encyclopaedia Judaica, Vol. 17, Keter Publishing House, Beit Shemesh, Israel, 2007, p. 502.
(35) Hyde, Charles Cheney., In Memoriam Theodore Salisbury Woolsey, The American Journal of International Law, Vol. 23, No. 3, Published by Cambridge University Press, Jul., 1929, pp. 616-617.
(36) Bishop, Morris., A History of Cornell, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1962, pp. 29- 49.
(٣٧) تم تعريف الشخصيات المشار إليها في الهوامش السابقة. ينظر أيضاً :
Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 25- 26.
(38) Conley, Patrick T., The Leaders of Rhode Island's Golden Age, History Press, Charleston, South Carolina, 2019, pp. 115- 116.
(39) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 27.
(40) Finch, George A., The American Society of International Law, op.cit, p. 296.
(41) Ibid, p. 296; Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 30- 31.
(٤٢) المقصود بها جمعية التشريع المقارن والقانون الدولي The Society of Comparative Legislation and International Law التي أسست في بريطانيا عام ١٨٩٤ ، وأصدرت منشورها الدوري المتخصص (مجلة جمعية التشريع المقارن) Journal of the Society of Comparative Legislation إبتداءاً من عام ١٨٩٦. ينظر :
Journal of the Society of Comparative Legislation, Published by Cambridge University Press on behalf of the British Institute of International and Comparative Law, Vol. 1, 1896 – 1897, pp. vi-x.
(43) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 31- 32.
(٤٤) إليهو رووت : ولد عام ١٨٤٥ في قرية كلينتون بمقاطعة أونايدا بولاية نيويورك. تعود أصول أجداده الى إنكلترا. درس في المدارس المحلية في قرية كلينتون وتلقى تعليماً دينياً في إحدى معاهد اللاهوت. أكمل دراسته الجامعية في كلية هاملتون بولاية نيويورك حاصلاً على شهادة البكلوريوس في الآداب عام ١٨٦٤. درس القانون في كلية الحقوق بجامعة نيويورك وتخرج منها عام ١٨٦٧ ، وفي السنة ذاتها تم قبوله في نقابة المحامين. عمل خلال حياته المهنية بأعمال متعددة منها المحاماة والتدريس ، وإختارته الحكومة الأميركية لتمثيلها قانونياً في بعض الخلافات التي نشبت بينها وبين بعض الدول الأوربية خلال عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر. عينه الرئيس وليم ماكنلي وزيراً للحرب عام ١٨٩٩ إذ بقي في ذلك المنصب حتى عام ١٩٠٤. خدم كوزير للخارجية بين عامي ١٩٠٥- ١٩٠٩ في عهد الرئيس ثيودور روزفلت. أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأميركي عن ولاية نيويورك بين عامي ١٩٠٩- ١٩١٥. توفي في مدينة نيويورك عام ١٩٣٧.
Jessup, Philip C., Elihu Root, Vol. I, Archon Books, New Haven, Connecticut, 1964, pp. 10- 540.
(45) New York Times (Newspaper), New York, 14 January, 1906.
(46) Ibid, 30 January, 1906.
(47) Ibid, 20 March, 1932.
(48) Ibid, 30 May. 1921.
(49) Ibid, 4 February, 1936.
(50) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 34.
(51) Ibid, p. 6.

(52) New York Times, 30 January, 1906.
(53) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 34- 35.
(54) Ibid, p. 37.
(55) The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Baker, Voorhis & Company, New York, January- April 1907, pp. 1- 88.
(56) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 38- 39.
(٥٧) المعاهدة الأميركية – البريطانية عام ١٨٤٢: عرفت أيضاً باسم معاهدة (ويبستر- أشبرتن) نسبة الى الشخصيتين الموقعتين عليها ، وهما كل من وزير الخارجية الأميركية دانييل ويبستر Daniel Webster (و ١٧٨٢- ت ١٨٥٢) ، والسياسي والدبلوماسي البريطاني بارون أشبرتن Baron Ashburton (و ١٧٧٤- ت ١٨٤٨). أكدت تلك المعاهدة التي وقّعت في واشنطن العاصمة بتاريخ التاسع من آب (أغسطس) ١٨٤٢ على حل العديد من النزاعات الحدودية بين الولايات المتحدة الأميركية وكندا لاسيما بين ولاية مينز الأميركية ومقاطعة نيو برونزويك الكندية ، والتعاون في جهود إنهاء تجارة العبيد في أعالي البحار ، والإستفادة المشتركة من مياه البحيرات العظمى ، وتبادل المجرمين بين الجانبين المتورطين بجرائم محددة.
Bartlett, Irving H., Daniel Webster, The Easton Press, Norwalk, Connecticut, 1994, pp. 178- 180.
(58) Root, Elihu., The Need of Popular Understanding of International Law, The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Baker, Voorhis & Company, New York, January - April, 1907, pp. 1- 2.
(59) Ibid, pp. 2-3.
(60) The Evening Star (Newspaper), Washington, D.C., 15 October, 1921.
(61) Macfarland, Henry B. F., Address of Welcome, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 41- 42.
(62) Jessup, Philip C., Elihu Root, Vol. II, 1905- 1937, Dodd, Mead & Company, New York, 1938, P. 8.
(63) New York Times, 28 October, 1906.
(64) Ibid, 27 October, 1906.
(65) Ibid, 1 November, 1906.
(66) Root, Elihu., Address by the President of the Society, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 44.
(67) Office of Superintendent of Public Instruction, School Law of California, Sacramento, California, 1911, pp. 66- 69.
(68) Ibid, p. 66.
(69) Root, Elihu., Address by the President of the Society, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p.46.
(70) Ibid, p. 47.
(71) Ibid, p. 50.
(٧٢) ينظر المادة الأولى ، الباب العاشر من دستور الولايات المتحدة الأميركية في :
Amar, Akhil Reed., America's Constitution: A Biography, Random House, New York, 2006, p. 484.
(73) Root, Elihu., Address by the President of the Society, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 50- 51.
(74) Theodore P. Ion, The Japanese School Incident at San Francisco from the Point of View of International and Constitutional Law, Michigan Law Review, Vol. 5, No. 5, Published by: The Michigan Law Review Association, Ann Arbor, Michigan, March., 1907, pp. 326-343.

(75) Gregory, Charles Noble. et al., The Rights of Foreigners in the United States in case of conflict between Federal
Treaties and State laws, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 173.
(76) Ibid, pp. 176- 177.
(77) Ibid, pp. 181- 193.
(٧٨) مؤتمر لاهاي للسلام ١٩٠٧ : عقد في مدينة لاهاي الهولندية للفترة من ١٥ حزيران حتى ١٨ تشرين الأول ١٩٠٧ بدعوة من الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت ، وتقرر عقده في لاهاي بدلاً من واشنطن مراعاة للعامل الجغرافي المتمثل بأن لاهاي تقع في موقع وسيط بالنسبة للكثير من دول العالم لاسيما الكبرى منها مقارنة بموقع مدينة واشنطن ، ولضمان حضور عدد أكثر من ممثلي دول العالم ، هذا بالإضافة الى أن الدورة الأولى للمؤتمر سبق أن عقدت في لاهاي أيضاً عام ١٨٩٩. حضر الى المؤتمر العديد من الدول الأوروبية والآسيوية والأمريكيتين الشمالية والجنوبية ، ماعدا القارة الأفريقية التي لم يكن لها ممثل في المؤتمر. أفضى ذلك المؤتمر الى التوقيع على إثنتي عشرة معاهدة كان من أهمها إتفاقية الحل السلمي للصراعات الدولية ، إلا أنه لم ينجح في الوصول الى إتفاق بشأن موضوع التحكيم الدولي الذي رغبت بعض الدول كالولايات المتحدة الأميركية بأن يكون إلزامياً في حل النزاعات.
Wolfrum, Rudiger.(Editor), The Max Planck Encyclopedia of Public International Law, vol. IV, Oxford University Press, New York, 2012, pp. 715- 717.
(79) Oscar S. Straus, Opening Remarks, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, p. 215.
(80) Olney, Richard. et al., The Second Hague Conference and the development of international law as a science, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, op.cit, pp. 233,239.
(٨١) الإتفاقية الفرنسية – البريطانية عام ١٩٠٣: عرفت أيضاً بإتفاقية التحكيم الفرنسية – البريطانية الموقعة في ١٤ تشرين الأول عام ١٩٠٣ ، والتي مهدت الى عقد إتفاقية أوسع عام ١٩٠٤ عرفت باسم الوفاق الودي الذي ضم روسيا الى جانب بريطانيا وفرنسا. نصت إتفاقية عام ١٩٠٣ على تسوية النزاعات والخلافات التي قد تنشأ بين حكومتي البلدين عن طريق التحكيم ، وتألفت الإتفاقية من ثلاث مواد.
Adams, William Scovell., Edwardian Heritage: A Study in British History I90I - 1906, Kraus Reprint Co., New York, 1971, pp. 167- 168.

(82) Olney, Richard. et al., op.cit, pp. 240- 243.
(83) Ibid, pp. 246- 247.
(84) Ibid, p. 263.

مصادر البحث :

١- الوثائق المنشورة :

- Gregory, Charles Noble. et al., The Rights of Foreigners in the United States in case of conflict between Federal Treaties and State laws, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917.

- Macfarland, Henry B. F., Address of Welcome, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917.

- Office of Superintendent of Public Instruction, School Law of California, Sacramento, California, 1911.

- Olney, Richard. et al., The Second Hague Conference and the development of international law as a science, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917.

- Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917, Vol. 1, Published by Cambridge University Press, April 19 and 20, 1907.

- Root, Elihu., Address by the President of the Society, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917.

- Straus, Oscar S., Opening Remarks, Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907-1917.

٢- الأطاريح :

- Hartig, Thomas Henry, Robert Lansing: An Interpretive Biography, Modern History Ph.D. Dissertation, Ohio State University, 1974.

٣- الكتب :

- Adams, William Scovell., Edwardian Heritage: A Study in British History I90I - 1906, Kraus Reprint Co., New York, 1971.

- Amar, Akhil Reed., America's Constitution: A Biography, Random House, New York, 2006.

- Bartlett, Irving H., Daniel Webster, The Easton Press, Norwalk, Connecticut, 1994.

- Bell, William Gardner., Secretaries of War and Secretaries of the Army, Center of Military History, United States Army Washington, D.C., 2010.

- Birkner, Michael J. et.al, (Editors), The Governors of New Jersey: Biographical Essays, Rutgers University Press, New Brunswick, New Jersey, 2014.

- Bishop, Morris., A History of Cornell, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1962.

- Brodhead, Michael J., David J. Brewer : The Life of a Supreme Court Justice 1837- 1910, Southern Illinois Press, 1994.

- Brown, Robert Craig., Canada's National Policy 1883-1900: A Study in Canadian-American Relations, Princeton University Press, 1964.

- Conley, Patrick T., The Leaders of Rhode Island's Golden Age, History Press, Charleston, South Carolina, 2019.

- Fry, M Graham. et.al, (Editors), Guide to International Relations and Diplomacy, Continuum, New York, 2002.

- Hall, Kermit L. et.al, (Editors), The Oxford Companion to the Supreme Court of the United States, Oxford University Press Inc., New York, 2005.

- Holes, Frederick W., The Peace Conference at The Hague and its Bearings on International Law and Policy, The Macmillan Company, London, 1900.

- Jessup, Philip C., Elihu Root, Vol. I, 1845—1909, Dodd, Mead & Company, New York, 1938.

- Jessup, Philip C., Elihu Root, Vol. II, 1905- 1937, Dodd, Mead & Company, New York, 1938.

- Kuehl, Warren F., Seeking World Order, The United States and International Organization to 1920, Vanderbilt University Press, Nashville, Tennessee, 1969.

- Paterson, David S., Toward a Warless World : The Travail of the American Peace Movement 1887- 1914, Indiana University Press, Bloomington, 1976.

- Tocqueville, Alexis de., Democracy in America, Vol. 2, Edited by Phillips Bradley, Bombay Popular Prakashan, Bombay, 1945.

- Van Den Dungen, Peter., (Editors), Peace Movement and Political Culture, The University of Tennessee, Knoxville, 1988.

٤- البحوث والمقالات المنشورة :

- Barcroft, Stephen., The Hague Peace Conference of 1899, Irish Studies in International Affairs, Vol. 3, No. 1, Published by: Royal Irish Academy, Dublin, 1989.

- Borchard, Edwin., John Bassett Moore, American Journal of International Law, Vol. 24, Issue. 1, Published by American Society of International Law, January, 1948.

- Finch, George A., The American Society of International Law, The American Journal of International Law, Vol. 50, No. 2, Published by: American Society of International Law, Apr., 1956.

- Finch, George A., James Brown Scott, 1866-1943, The American Journal of International Law, Vol. 38, No. 2, Published by American Society of International Law, Washington, D.C, Apr., 1944.

- Finch, George A., George Grafton Wilson 1863-1951, The American Journal of International Law, Vol. 45, No. 3, Published by Cambridge University Press, Jul., 195

- Foster, John W., Results of The Bering Sea Arbitration, The North American Review, Vol. 661, No. 469, Published by University of Northern Iowa, December 1895.

- Hinckley, Frank E., John Bassett Moore: A Member of the Permanent Court of International Justice, California Law Review, Vol. X, No. 2, University of California, Berkeley, California, January, 1922.

- Hucker, Daniel., The Lake Mohonk Conferences on International Arbitration (1895–1916): Evoking and Mobilizing an "International Mind", Journal of American Studies, Vol. 58, No. 1, Published by Cambridge University Press in association with the British Association for American Studies, 2023.

- Hyde, Charles Cheney., In Memoriam Theodore Salisbury Woolsey, The American Journal of International Law, Vol. 23, No. 3, Published by Cambridge University Press, Jul., 1929.

- Journal of the Society of Comparative Legislation, Published by Cambridge University Press on behalf of the British Institute of International and Comparative Law, Vol. 1, 1896 – 1897.

- Myers, Dents P., The American Journal of International Law, Vol. 45, No. 3, Published by Cambridge University Press, Jul., 1951.

- Root, Elihu., The Need of Popular Understanding of International Law, The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Baker, Voorhis & Company, New York, January - April, 1907.

- Strauss, Lewis l., Oscar S. Straus: An Appreciation, Publications of the American Jewish Historical Society, Vol. 40, No. 1, New York, September, 1950.

- The Advocate of Peace (1894-1920), Vol. 75, No. 1, Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey, January, 1913.

- Theodore P. Ion, The Japanese School Incident at San Francisco from the Point of View of International and Constitutional Law, Michigan Law Review,

Vol. 5, No. 5, Published by: The Michigan Law Review Association, Ann Arbor, Michigan, March., 1907.

- The Universal Peace Congress Paris 1889, The American Advocate of Peace and Arbitration, Vol. 51, No. 4 -5, Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey, September - October, 1889.

- Tryon, Games L., The Hague Conferences, Yale Law Journal, Vol. 20, No. 6, The Yale Law Journal Company, Inc., New Haven, Connecticut, Apr., 1911.

- Willoughby, W.W., The American Political Science Association, Political Science Quarterly, Vol. 19, No. 1, Published by Oxford University Press, Mar., 1904.

٥- القواميس والموسوعات :

- Biographical Dictionary of The American Congress 1774- 1961, United States Government Printing Office, Washington, D.C., 1961.

- Dictionary of American Biography, Supplement Three 1941- 1945, American Council of Learned Societies, New York, 1973.

- Encyclopaedia Judaica, Vol. 17, Keter Publishing House, Beit Shemesh, Israel, 2007.

- Wolfrum, Rudiger.(Editor), The Max Planck Encyclopedia of Public International Law, vol. IV, Oxford University Press, New York, 2012.

٦- الصحف :

1- The Evening Star (Newspaper), Washington, D.C.
- 15 October, 1921

2- New York Times (Newspaper), New York.
- 14 January, 1906.
- 30 January, 1906.
- 27 October, 1906.
- 28 October, 1906.
- 30 May. 1921.
- 20 March, 1932.
- 4 February, 1936.

٧- الصفحات الإلكترونية :

archives.nypl.org/mss/3307

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الجهود الدولية للحد من التجارب النووية ١٩٧٤-١٩٧٦
International Efforts to Curb Nuclear Testing: 1974–1976

م.د. بشير عبد الواحد صاحب
Dr. Bashir Abdul-Wahid Sahib
وزارة التربية- الكلية التربوية المفتوحة
قسم ميسان
Ministry of Education – The Open Educational College
Maysan Department
Email: alsadybshyr223@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

تسارعت البحوث والتجارب النووية بعد الحرب العالمية الثانية لإنتاج وتطوير الأسلحة النووية، وكانت جزءاً من سباق التسلح النووي وتطور تكنولوجيا السلاح بصورة عامة، وشهدت فترة السبعينيات نشاطاً تفاوضاً واضحاً تزامناً مع الانفراج والوفاق الدولي الذي شهدته العلاقات السوفيتية- الأمريكية نتج عنه إبرام عدد من معاهدات الحد الجزئي للتجارب النووية.

عقدت معاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية تحت الأرض (معاهدة العتبة) عام ١٩٧٤ لتمثل خطوة في طريق عقد معاهدة شاملة لحظر التجارب النووية والذي أيدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في أغلب قراراتها وحثت الدول على استمرار المفاوضات لعقد معاهدة حظر شامل للتجارب، كما طرح الاتحاد السوفيتي مشروع معاهدة عام ١٩٧٥ والذي حاول معالجة إشكاليات عدم عقد معاهدة للحظر الشامل للتجارب النووية واستكمالاً لتلك الجهود عقدت معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية (معاهدة التفجيرات النووية السلمية ١٩٧٦) وكانت مكملة لمعاهدة العتبة وحاولت إيجاد نظام فعال للسيطرة على إجراء التجارب النووية السلمية.

الكلمات المفتاحية: التجارب النووية، التفجيرات النووية، معاهدة العتبة، المشروع السوفيتي

Abstract:

In the aftermath of World War II, nuclear research and experimentation accelerated at an unprecedented pace to facilitate the production and advancement of nuclear arsenals. This surge was a fundamental component of the nuclear arms race and the broader evolution of military technology. The

1970s, however, witnessed a distinct shift toward diplomatic engagement, coinciding with the era of *détente* and the thawing of Soviet-American relations.

This diplomatic climate culminated in several partial nuclear test ban agreements. Notably, the Threshold Test Ban Treaty (TTBT) was signed in 1974, serving as a pivotal milestone toward a comprehensive ban—a cause consistently championed by the United Nations General Assembly, which repeatedly urged nations to sustain negotiations for a total prohibition. Furthermore, the Soviet Union proposed a draft treaty in 1975 aimed at resolving the obstacles hindering a universal ban.

Building upon these foundations, a further restrictive agreement was reached: the Peaceful Nuclear Explosions Treaty (PNET) of 1976. Designed to complement the 1974 Threshold Treaty, it sought to establish an effective regulatory framework for monitoring and controlling nuclear explosions conducted for non-military purposes.

Keywords: Nuclear Testing, Nuclear Explosions, Threshold Test Ban Treaty (TTBT), The Soviet Project

(مفهوم التجارب النووية وتطورها التاريخي):

تسارعت التجارب النووية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ سار الاعتقاد في بداية العصر النووي إلى ضرورة زيادة الجهود العلمية لضبط فاعلية وتطوير الأسلحة النووية من خلال إجراء العديد من التجارب النووية. (برانلي، ١٩٦١، ص١٦٢)

إذ اعتبرت التفجيرات التجريبية خطوة رئيسية في تصميم الأسلحة النووية وتطويرها وتحسينها، كما أنها تعتبر على نطاق واسع رسالة سياسية، وإشارة إلى العالم الخارجي بأن البلد المعني قد أمعن في استخدام تكنولوجيا الأسلحة النووية. (أسلحة الرعب، ٢٠٠٧، ص٣٥) وتهدف التجارب النووية إلى جملة أهداف أهمها:

١- توسيع مجال الخيارات العسكرية التي تلبي الظروف العسكرية والمستجدات الدولية.
٢- الحفاظ على مخزونات وفعالية وحيوية الأسلحة النووية وضمان تلبيتها لمتطلبات الأمان.
٣- تحقيق إمكانية الردع النووي. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص١٩)
٤- العمل على تقدم التكنولوجيا النووية وإنتاج واستحداث أنواع جديدة من الأسلحة النووية واختبار زيادة في قدراتها النووية.
٥- تدمير الأسلحة النووية التي عدت قديمة بالقياس إلى ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في إنتاج أنواع أكثر تطوراً، لاسيما أن عملية خزنها مكلفة مادياً.
٦- تستخدم التجارب النووية انشطارية كانت أم اندماجية وسيلة لتطبيقات سلمية بهدف دعم وخدمة الاقتصاد القومي للدول ذات القدرات التقنية. (بيكر، ١٩٥٨، ص٢٧٣)

تجري التفجيرات النووية في جوف الأرض أو على سطحها أو في البحار أو الجو، والانفجار الذي يحدث في الجو يحدث مواداً مشعة قليلة بالنسبة للانفجار على سطح الأرض (باركر، ١٩٦٦، ص٥٩)، وينتج عن التفجيرات النووية أو الهيدروجينية إشعاعات ذات طاقة عالية تسمى الإشعاعات المباشرة وجسيمات مشعة متناثرة تحملها شعلات نار وتوزعها إلى مسافات بعيدة تسمى بالسقوط الذري ويختلف حجم التفجيرات النووية تبعاً للمكان الذي يجري به الانفجار(باركر، ١٩٦٦، ص٥٩)، ورغم الأضرار الكبيرة والتكاليف الباهظة فأن الدول تقدم على إجراء التجارب النووية لتحقيق غرضين أساسيين أولهما معرفة مدى صلاحية القنابل لاستخدامها في الحروب، والثاني هو دعائي للظهور أمام العالم بمظهر الدول الكبرى (بيكر، ١٩٥٨، ص٢٧١)، إذ تدفع محاولة تجربة للتفجير الذري أو الهيدروجيني في أي دولة الدول الأخرى إلى اتباع إجراءات مماثلة وقد أدى ذلك إلى توسع عام في سباق التسلح النووي، الأمر الذي جعل العالم في حالة مستمرة من التوتر والخطر. (آرون، ١٩٨٤، ص٢٦-٢٧)

تميزت المدة بين عامي (١٩٤٥-١٩٦٤) بالمنافسة بين دول النادي النووي في مجال البحث والتطوير وإجراء التجارب النووية ومحاولة كسر الاحتكار الأمريكي(*). أضاف امتلاك دول أخرى للسلاح النووي بعداً جديداً لمفاوضات نزع السلاح (بأول ومولي، ١٩٨٠، ص١٣٢) (نصار، وهبان، د.ت، ص١٣٤)، إذ شهدت الفترة بين عامي ١٩٦٣-١٩٧٤ عدد من المعاهدات الدولية والإقليمية المتنوعة والمتعددة الأطراف بهدف الحد من التسلح الدولي ونزع السلاح وترتب على ذلك التزامات ومسؤوليات متبادلة بين الدول الغير حائزة للأسلحة النووية (توليو وشمبالرغر، ٢٠٠٣، ص١١٤) (بوردس، ١٩٩٤، ص٣٢) (حماد، ١٩٩٥، ص٧).

الجهود الدولية لعقد معاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية تحت الأرض معاهدة العتبة (Threshold Test Ban Treaty "TTBT"):

تواصلت الجهود الدولية للتوصل إلى معاهدة تحظر جميع التفجيرات النووية وهو الهدف المعلن في ديباجة معاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت سطح الماء لسنة ١٩٦٣ (عبد الحافظ، ٢٠٠٩، ص٦٥)، والتي أكدت على ضرورة عدم إجراء أي تجربة لتفجير سلاح نووي يكون سبباً لنشاط إشعاعي يظهر تأثيره خارج حدود الدولة التي يجري فيها التفجير، كما أكدت المعاهدة على ضرورة استمرار ومواصلة المفاوضات لحظر شامل للتجارب النووية. (بنونة، ١٩٦٩، ص٤)

أكدت معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٦٨ في المادة السادسة على ضرورة مواصلة المفاوضات لوقف سباق التسلح النووي وإبداء الرغبة للعمل على تخفيف حدة التوتر الدولي وتقوية الثقة المتبادلة بين الدول بهدف وقف إنتاج الأسلحة النووية وتخفيف المخزون منها(الأمم المتحدة ونزع

السلاح، ١٩٨٥، ص١٧)، وأدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دوراً بارزاً في ذلك، إذ طالبت على وجه الاستعجال باستمرار المداولات بشأن معاهدة تحظر التجارب الجوفية للأسلحة النووية ولم تحظ مسألة أخرى في ميدان نزع السلاح بذلك القدر من الاهتمام والنقاش والدراسة والتفاوض الذي حظيت به مسألة إنهاء جميع تجارب الأسلحة النووية (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص١٧).

استمرت الأمم المتحدة في إصدار القرارات التي تدعو إلى عقد معاهدة حظر شامل للتجارب النووية إذ أصدرت القرار (٢٦٦٣) في السابع من كانون الأول ١٩٧٠ وأكد على الآتي:

١- دعوة جميع الدول الحائزة للأسلحة النووية إلى وقف تجارب الأسلحة النووية في جميع البيئات.
٢- دعوة مؤتمر نزع السلاح أن يواصل على سبيل الاستعجال مداولاته بشأن معاهدة تحظر التجارب الجوفية للأسلحة النووية.
٣- حث جميع الدول التي لم تنظم إلى معاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية في الجو والفضاء الخارجي وتحت سطح الماء على الانضمام عليها دون تأخير.
٤- تقديم بعض المقترحات إلى مؤتمر لجنة نزع السلاح التي يمكن ان تتضمنها معاهدة تحظر التجارب الجوفية للأسلحة النووية. (مجموعة القرارات التي أصدرها الجمعية العامة، ١٩٧١، ص٤٧)

وفي السياق نفسه أصدرت الجمعية العامة القرار ٢٨٢٨ في السادس عشر من كانون الأول١٩٧١ والذي أكدت فيه إلى ضرورة وقف تجارب الأسلحة النووية الحرارية بما في ذلك التجارب الجوفية، وأكدت مرة أخرى إلى ضرورة الاستعجال في تحقيق وقف جميع التجارب الأسلحة النووية، كما أكد القرار على الآتي:

١- مناشدة الحكومات التي تجري تجارب الأسلحة النووية ولاسيما حكومات الدول الأطراف من معاهدة تجارب الأسلحة النووية من الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت سطح الماء إلى اتخاذ إجراءات فورية بصورة انفرادية أو بعد التفاوض مع غيرها تدابير تقييدية تفضي إلى وقف تجريب الأسلحة النووية أو تحديد أو خفض حجم وعدد تجارب الأسلحة.
٢- حث الحكومات على اتخاذ جميع التدابير الممكنة من أجل مواصلة تطوير الإمكانيات الحالية لكشف التجارب النووية الجوفية بغية تسيير مراقبة الحظر الشامل للتجارب.
٣- دعوة مؤتمر لجنة السلاح إلى أن يواصل وعلى سبيل الأولوية العالية مداولاته بشأن عقد معاهدة تحظر التجارب الجوفية للأسلحة النووية مع الأخذ بعين الاعتبار المقترحات التي سبق إبداؤها في المؤتمر. (الأمم المتحدة، ١٩٧٢، ص٣٧)

كانت محاولات عقد معاهدة للحظر الشامل للتجارب النووية جزء من مشروع وجهود دولية مشتركة لمحاولات نزع السلاح الشامل (الأمم المتحدة، ١٩٧٢، ص٢٥)، وهذا ما جاء في قرار الجمعية العامة ٢٩٣٤ (د-٢٧) الذي أكد على أن عقد معاهدة تحظر تجارب جميع الأسلحة النووية عنصر هام في تقدم مفاوضات نزع السلاح والحد من التسلح وأنه يسهل التقدم في هذين الميدانين وإدراك الأخطار التي تهدد الإنسانية بسبب استمرار سباق التسلح النووي. (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص٨١)

أشار الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم Kurt Wadheim في رسالته الموجه إلى دورة عام١٩٧٣ لمؤتمر لجنة نزع السلاح إلى حظر التجارب النووية بوصفه الأجراء الوحيد الأكثر أهمية لوقف سباق التسلح النووي وأعرب عن اعتقاده بأن جميع الجوانب التقنية والعلمية للمسألة قد استوفت حقها من الدراسة وأن الشيء الوحيد اللازم من أجل التوصل إلى اتفاق نهائي هو اتخاذ قرار سياسي، وأكد أن الاستمرار في تجارب الأسلحة النووية من شأنه أن يضعف الثقة بمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ولربما يؤدي إلى تهديد قابليتها للبقاء.(الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص٨١)

ناقشت الجمعية العامة تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، وبعدها أصدرت القرار (٣٠٧٨) والذي أكد فيه ما لتجارب الأسلحة النووية من نتائج ضارة فيما يتعلق بسباق التسلح (خليل، ٢٠٠٩، ص١٩٥)، وتضمن القرار ما يلي:

١- التأكيد على الحاجة الماسة لوقف تجارب الأسلحة النووية وتستطيع اتخاذ التدابير للحد من التسلح ونزع السلاح في تخفيض التوتر العالمي.
٢- رغم السعي لوقف جميع التفجيرات التجريبية للأسلحة النووية إلا أن تجريب الأسلحة لا يزال مستمراً بخطى حثيثة.
٣- مطالبة الدول الحائزة للأسلحة النووية التي تجري التجارب في الجو أن نتوقف فوراً عن إجراء مثل تلك التجارب.
٤- حث الدول التي لم تنظم لمعاهدة حظر الأسلحة في الفضاء والجو وتحت سطح الماء إلى الانضمام إليها دون تأخير.
٥- الأخذ بنظر الاعتبار جميع المقترحات التي أبداها أعضاء اللجنة وجميع مقترحات الدول المتعلقة بالحظر التام للتجارب.
٦- دعوة مؤتمر نزع السلاح أن يواصل على سبيل الأولوية العليا مداولاته بشأن المعاهدة. (الأمم المتحدة، مجموعة القرارات التي أصدرتها الجمعية العامة في دورتها الثانية والعشرون، ١٩٧٤)

عقدت دورة مؤتمر لجنة نزع السلاح عام ١٩٧٤ في جنيف ولم يحدث أي تغيير أساسي في موقفي الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية تجاه مسألة الحظر الشامل لتجاربه النووية.

(F.R.U.S, Vol.14, P.2) إذ نجحت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي للبحث عن سبل تفادي حدوث مواجهات نووية بينهما. (F.R.U.S, Vol.14) وأكدت إيطاليا والمملكة المتحدة وهولندا واليابان ضرورة الاتفاق على نظام يرضي كل الأطراف على أن لا يستبعد منه من حيث المبدأ التحقق الدولي أو حتى التفتيش الموضعي وأنه مهما بلغت مسألة التحقق من الصعوبة فليس هناك سبب وجيه لتأجيل إبرام معاهدة للحظر الشامل للتجارب. (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص٩٥)

رافق تلك المفاوضات تطور في العلاقات الأمريكية – السوفيتية واستمرت لقاءات القمة وعقد الاتفاقيات بين (ليونيد بريجنيف Leonid Breznnev) (*) والرئيس الأمريكي (ريتشارد نيكسيون Richard Milnous Nixon)(**).

أكد الجانبان عزمها المتبادل على الاستمرار بنشاط إعادة تشكيل العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على أساس التعايش السلمي والأمن المتساوي بما يتفق تماماً مع روح ونص الاتفاقيات التي تم التوصل إليها بين البلدين، ولاحظوا مرة أخرى الأهمية الأساسية للوثائق المشتركة المعتمدة نتيجة لاجتماعات القمة التي عقدت بين عامي ١٩٧٢، ١٩٧٣ لاسيما اتفاقية منع الحرب النووية، ومعاهدة الحد من أنظمة القذائف المضادة والاتفاقية المؤقتة بشأن بعض التدابير فيما يتعلق بالحد من الأسلحة الهجومية والاستراتيجية. (المنصوري، ٢٠٠٢، ص٩٦٥)

وأصدرت قمة موسكو ٢٧ حزيران – ٣٠ تموز ١٩٧٤ مجموعة مقررات أخرى تتعلق بتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تضمنت التطورات في أوربا والتعاون في مجال الفضاء وحماية البيئة والتبادلات الثقافية ووسائل النقل المستقبلية وبحوث القلب الصناعية. (المنصوري، ٢٠٠٢، ص٩٦٦)

أكد الطرفان على الأهمية الجدية التي تعلقها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على تنفيذ تدابير أخرى على أساس ثنائي أو متعدد الأطراف في مجال الحد من الأسلحة ونزع السلاح. (الأمم المتحدة، حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٧٦، ص٦٧١)

نصوص المعاهدة:

وقع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر قمة موسكو معاهدة الحد من تجارب الأسلحة النووية الجوفية وقد وقعها الطرفان بصفتها وثيقة من وثائق مؤتمر لجنة نزع السلاح والتي يشار إليها معاهدة عتبة التجارب. (الأمم المتحدة، حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٧٦، ص٦٧٢)

احتوت المعاهدة على أربعة مواد مع بروتوكول ملحق بها وحددت المادة الأولى من المعاهدة الأهداف العامة والتي تمثلت في العمل على الحد من سباق التسلح واتخاذ التدابير اللازمة لتخفيض ونزع

الأسلحة النووية بشكل عام وشامل، ومواصلة السعي للتخلص من التجارب النووية جميعها التي يتم إجراؤها تحت الأرض بما يسهم في تحقيق الأمن والسلم الدوليين. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص٨١)

كما حددت المعاهدة في نفس المادة القوة التفجيرية المسموح بها بحيث لا تزيد قوتها على (١٥٠) كيلو طن تحت الأرض في أي مكان يعود له أو تحت سيطرته وابتدأ من تاريخ الحادي والثلاثين من حزيران ١٩٧٦. (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص٩٦)

تضمنت المادة الثانية من المعاهدة تدابير التحقق ومسؤولية كل طرف فيها، حيث الزمت كل طرف باستخدام وسائل فنية وطنية للتحقق تتلائم مع مبادئ القانون الدولي وتضمن الالتزام بأحكام المعاهدة، وتضمنت هذه الوسائل المراقبة الزلزالية التي تعد أكثر الوسائل فائدة فيما يتعلق بحجم الزلزال الذي يساعد على قياس حجم التجارب فضلاً عن المراقبة الفضائية والتحسس الإلكتروني، وفي حالة معاهدة شاملة تستخدم الوسائل جميعها للاستدلال على التفجير النووي وحجمه أما في حالة معاهدة العتبة فيهدف التحقق إلى تحديد قوة التفجير الزلزالي ومطابقته لأحكام المعاهدة. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص١١-١٢)

ألزمت المادة الثالثة من المعاهدة كل طرف باستخدام وسائل فنية وطنية للتحقق تتلائم مع مبادئ القانون الدولي وتضمن الالتزام بأحكام المعاهدة وحددت تدابير للتحقق ووسائلها التي تضمن المراقبة الزلزالية فضلاً عن المراقبة الفضائية والتجسس الإلكتروني وفي حالة معاهدة شاملة تستخدم الوسائل جميعها للاستدلال على التفجير النووي وحجمه، أما فيما يتعلق بمعاهدة العتبة فهدف التحقق يتحدد في تحديد قوة الانفجار الزلزالي ومطابقته لأحكام المعاهدة ومعرفة طبيعة التفجير بحدته زلزالي أم لا. (عبد الحافظ، ٢٠٠٩، ص٦٩)

وجاءت المادة الرابعة لتؤكد على أن لا تمثل أحكام المعاهدة التفجيرات النووية الجوفية التي يجريها الطرفان للأغراض السلمية خارج المواقع المخصصة لتجارب الأسلحة، بل أن يحكم هذه التجارب اتفاق مفصل بين الطرفين يتم التوصل إليه في أسرع وقت ممكن. (عبد الحافظ، ٢٠٠٩، ص٤١)

واتفق الطرفان في بروتوكول ملحق بالمعاهدة على التبادل المشترك لمعلومات محددة تتعلق بموقع الأماكن التي تجري فيها التجارب وبطبيعة التجارب نفسها (F.R.U.S, Vol.14, P.84)، كما أعطى البروتوكول حق تحديد موقع جديد لإجراء التجارب وهذا يعني إيجاد معلومات جديدة عن المعاهدة، كما أن "البيانات المتبادلة قد تكون معرفة لدى الطرفين، لكل المعلومات المتعلقة بالتفجيرات القياسية غير متحقق منها ولذلك فأن العمل سيكون على أساس القناعة بدقة هذه البيانات ونية كل طرف إزاء الآخر أما أسرار هذه التجارب فأنها ليست سهلة الكشف لأن الأطراف سوف تستخدم مواقع أخرى". (F.R.U.S, Vol.14, P.44)

أصدرت الجمعية العامة القرار (٣٢٥٧) وفي التاسع من كانون الأول والذي أكدت فيه أن توقيع معاهدة حظر التجارب الجوفية للأسلحة النووية يمثل تطوراً جزئياً وخطوة مهمة إلا أنها أكدت أن "استمرار إجراء التجارب سيزيد من حدة سباق التسلح وأنها تدين جميع التجارب مهما كانت النسبة وتؤكد على قلقها العميق لاستمرار تلك التجارب في الجو وجوف الأرض وفي الوقت الذي ترحب فيه بعقد الاتفاق الجزئي، إلا أنها مستمرة في دعوة الدول الحائزة لتحمل مسؤوليتها والتعاون المشترك في مؤتمر لجنة السلاح لعقد اتفاق للحظر الشامل للتجارب". (الأمم المتحدة، مجموعة القرارات التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرون، ١٩٧٤، ص٤٨-٤٩)

وصف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر لجنة نزع السلاح المعاهدة الجديدة (عتبة التجارب)، بأنها إسهام هام في حل مشكلة الحظر الشامل للتجارب وأن سريان تلك المعاهدة سيتيح إجراء المزيد من المباحثات المفصلة حول متطلبات التحقق والتفاوض بشأن الاتفاقية (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص٩٦)، كما ناقشت بعض البلدان الأعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة معاهدة الحد من التجارب الجوفية للأسلحة النووية إذ بينت فنلندا وهولندا واليابان أن الاتفاقية تمثل بعض التقدم في مواقف الدول الحائزة للأسلحة النووية تجاه هذه المسألة وأنه قد يساعد في حل بعض المسائل المتعلقة بالحظر الشامل للتجارب كما امتدحت هولندا البروتوكول الملحق بالمعاهدة لما جاء فيه من تعاون علمي وتبادل للبيانات، ورغم ذلك فقد انتقدها بعض الأعضاء من دول عدم الانحياز وبلدان المحيط الهندي ووصفوها بأنها لا ترقى إلى آمال وتوقعات المجتمع الدولي كما أعربت عن قلقها المتواصل لما يهدد البيئة والصحة نتيجة التجارب الجوفية أما فرنسا فأنها أعلنت عن قرارها بالشروع في تجاربها الجوفية ابتداءً من عام١٩٧٥. (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص٩٧)

المشروع السوفيتي عام ١٩٧٥ للحد من التجارب النووية:

استمر الانفراج الدولي بعد تولي الرئيس جيرالد رودولف فورد (Gerald Rudolph Forfd)[*] بعد توليه السلطة عام١٩٧٤ وكانت مباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وما يتضمنه من إيقاف تجارب الأسلحة النووية في مختلف البيئات هي المحور ونقطة الارتكاز بين الدولتين، وعلى ضوء ذلك اجتمع الرئيسان فورد وبريجنيف في (فلاديفوستك) بالاتحاد السوفيتي للتوقيع على مجموعة من المبادئ لتوجيه مفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وأصدر الطرفان بياناً مشتركاً ينص على الآتي: (خليل، ٢٠٠٩، ص٨٧-٨٨)

١- إقناع الدولتين بدعم السلام العالمي وتحقيق سياسة الوفاق وتنمية العلاقات والتقارب لتحقيق نفعاً متبادلاً للدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة.

٢- تم التوصل إلى نتائج هامة في مجال إعادة تنظيم وتطوير العلاقات بين البلدين على مبدأ التعايش السلمي وتحقيق الأمن، وفي هذا الإطار العمل على الحد من الأسلحة الاستراتيجية ودعم الاقتصاد العالمي.

واجهت المفاوضات التي دارت حول مشكلة الحظر الشامل على إجراء التجارب النووية ثلاث مشاكل رئيسية هي:

١- المشكلة الخاصة بكيفية التحقق أو التثبت من الانتهاكات التي تحدث بأدلة دافعة.

٢- مشكلة التمييز بين التفجيرات النووية للأغراض السلمية والتفجيرات النووية العسكرية.

٣- المشكلة الخاصة بامتناع فرنسا والصين عن الاشتراك في المعاهدات. (مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية، ١٩٨٥، ص٣٤٦)

جرت معظم مناقشات الدورة الثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة ومؤتمر لجنة نزع السلاح في إطار الحظر الشامل للتجارب، وتقدم الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٥ بمشروع معاهدة تدعو إلى الحظر الشامل على أجراء التجارب النووية، وكانت هذه هي المرة الأولى منذ التوقيع على معاهدة الحظر الجزئي عام ١٩٦٣ التي تتبنى فيه إحدى الدول النووية الكبرى مثل هذا الاقتراح وأن تصيغه في شكل معاهدة شاملة. (مقلد، العلاقات السياسية الدولية، ١٩٨٤، ص٦٥٨)

أشار مشروع المعاهدة السوفيتية إلى أن التحقق هو من تقيد الدول بتعهداتها وتنفيذها لتدابير الحظر الشامل ويجب أن يكون ذلك عن طريق وسائل الرقابة الفنية الوطنية والتي تدعو إلى الاهتمام بالمقاييس العلمية القائمة على تسجيل الهزات الأرضية في أقاليم الدولة الأخرى.(مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية، ١٩٨٥، ص٣٤٧)

ثم ذكرت المعاهدة أنه في الحالات التي يعتقد فيها وجود انتهاكات فأنه على الدول أو الدولة أن تقدم هذا الادعاء إلى مجلس الأمن كما أعطى الحق للدول المشتركة في المعاهدة بالانسحاب منها في الحالات الاستثنائية. (مقلد، العلاقات السياسية الدولية، ١٩٨٤، ص٦٦١)

كما أكدت المعاهدة إلى أن التفجيرات النووية السلمية يجب أن تجري في اتفاق كامل مع جاءت إليه المادة الخامسة من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وأيضاً من تدابير مناسبة للرقابة عليها. (أسلحة الرعب، ٢٠٠٧، ص٧٤)

قدم المشروع إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في الأول من أيلول ١٩٧٥ وأصدرت توصية خاصة حول الموضوع، غير أن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية امتنعت عن التصويت عليها في حين صوتت الصين ضدها وأكدت أن هدفها الأساس الإبقاء على الاحتكار النووي للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وأنها لن تدخل مفاوضات. (الأمم المتحدة، دراسة عن جميع جوانب السلاح

على الصعيد الإقليمي، ١٩٨١، ص٥٤) أما الولايات المتحدة وبريطانيا فقد استندت في امتناعها من التصويت بأن المشروع السوفيتي لم ينصب على وسائل فعالة للتثبت من الانتهاكات كما لم يتعامل بشكل واضح مع مشكلة التفجيرات النووية السلمية. (مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية، ١٩٨٥، ص٣٤٧) كما رفضت فرنسا مشروع المعاهدة وكان رأيها أن حظر التجارب النووية لن يضع حداً نهائياً لإنتاج الأسلحة النووية وبالتالي فأنه لم يكن يعالج مشكلة نزع السلاح النووي من جذورها. (مقلد، العلاقات السياسية الدولية، ١٩٨٤، ص٦٥٨)

معاهدة التفجيرات النووية السلمية Peaceful Nuclear Explosion Trael:

بدأت المحادثات الأمريكية- السوفيتية الخاصة بالتفجيرات النووية في نهاية عام ١٩٧٤ وكانت تنفيذاً من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية لعام ١٩٦٨. (بيل وآخرون، ٢٠٠٥)

وضمنت الولايات المتحدة الأمريكية بأن الاتفاق العتبة العام ١٩٧٤ لم يحل مشكلة تطوير قابلية التفجير النووي للدول غير الحائزة لأنها من المستحيل أن تطور قابلياتها من دون أن تقوم بتفجيرات نووية لأغراض سلمية، وهذه التفجيرات قد تكون وسيلة لصنع أسلحة نووية. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص٨٧) وعلى ضوء ذلك وبعد أكثر من جولة مفاوضات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وعلى ضوء ما جاء في المادة الثالثة من معاهدة حظر التجارب النووية، أبرمت معاهدة التفجيرات النووية للأغراض السلمية في الثامن والعشرين من أيار ١٩٧٦. (الأمم المتحدة، حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٧٦، ص٢٢)

تحدث معاهدة التفجيرات النووية السلمية لعام ١٩٧٦ مكملة لمعاهدة العتبة، وجاء في مقدمتها التزام الطرفين بأهداف ومبادئ الحظر الجزئي لعام ١٩٦٣. (العباسي، ٢٠١٢، ص٥٣٥) (فاضل، ١٩٧٦، ص٢٠١) ومعاهدة انتشار الأسلحة النووية لعام ١٩٦٨، ومعاهدة العتبة لعام ١٩٧٤ وتأكيد لرغبة الموقعين عليها في ضمان عدم استخدام التفجيرات النووية للأغراض السلمية لأغراض عسكرية وتحقيق التعاون الدولي في المجال السلمي ليشمل الدول الحائزة وغير الحائزة. (الأمم المتحدة ونزع السلاح، ١٩٨٥، ص١٦)

حاولت المعاهدة إيجاد نظام فعال للسيطرة على إجراء التجارب النووية السلمية التي ظلت تمثل عائقاً أمام أي اتفاق دولي. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص٨٧)

اتفق الطرفان على إنشاء لجنة استشارية مشتركة لتنفيذ أهداف المعاهدة وتبادل المعلومات والبيانات وبناء الثقة ومناقشة المسائل الغامضة إضافة إلى دراسة التطورات التكنولوجية والدولية المتعلقة بتطبيق المعاهدة والتعديلات الممكن إدخالها عليها. (الأمم المتحدة، حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٧٦، ص٢٠٢)

كما تضمنت المعاهدة الالتزام بتقديم المساعدة اللازمة إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية حول تطبيق التفجيرات النووية العلمية وتعهد كل طرف بعدم إبداء المساعدة أو الاشتراك في أي تفجير من إقليم دولة أخرى دول موافقتها وحددت المعاهدة مدة نفاذها بخمس سنوات تجدد بعدها خمس سنوات أخرى. (العجيلي،٢٠٠٩، ص٢٦) أما البروتوكول الملحق بالمعاهدة فتضمن التأكيدات بشأن التدابير التنفيذية المحددة بإجراء التجارب النووية للأغراض السلمية .(العجيلي، ، ص٢٦) أما تدابير التحقق فأكدت على استخدام وسائل التحقق الوطنية بشكل يتفق على مبادئ القانون الدولي وتبادل المعلومات بين الطرفين ويسهل الوصول إلى مواقع التفجيرات النووية، فضلاً عن تحديد المسائل المتعلقة بالتفتيش الموقعي من حيث السماح لموظفين معينين من كل طرف للدخول إلى موقع التفجير للمراقبة وممارسة جميع الحقوق المناطة بهم. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص٨٨)

تعد معاهدة التفجيرات النووية السلمية لعام ١٩٧٦ الأولى من نوعها بشأن تحديد قدرة التفجيرات النووية السلمية وضمان عدم تحولها إلى الأغراض العسكرية، لاسيما أنها وقعت بين قوتين تمتلكان تكنولوجيا نووية متقدمة للاستخدام السلمي والعسكري وعليه فأنها حدت من إمكانية الاستخدام المزدوج للتفجيرات النووية السلمية واستغلالها. (الدليمي، ٢٠٠٣، ص٩٠)

أما أبرز المؤاخذات على المعاهدة فأنها لم تسهم بشكل فعال بإيقاف سباق التسلح النووي الكمي والنوعي، كما يؤخذ عليها عدم تحديدها لسقف زمني لتنفيذها وبقيت مدة سريانها مفتوحة ومقرونة بالتصديق عليها من الطرفين، لذلك فأن المعاهدة تم التنديد بها من أطرافها وعليه فأن المعاهدة على الرغم من أنها حددت القوة التفجيرية للتجربة النووية ووضعت تدابير فعالة وأوصت باستمرار المفاوضات إلا أنها فشلت من تحقيق مقاصدها. (الأمم المتحدة، حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٧٦، ص٢٠٢)

قائمة المصادر

أولاً. المصادر العربية:

١. أرون، ريمون (١٩٨٤): **الجدل الكبير حول الاستراتيجية الذرية**، ترجمة: محمد سميع السيد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
٢. أسلحة الرعب (٢٠٠٧): **إخلاء العالم من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت.
٣. الأمم المتحدة (١٩٧١): **مجموعة القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة في دورتها الخامسة والعشرون**، ١٦ كانون الأول ١٩٧٠، نيويورك.

٤. الأمم المتحدة (١٩٧٢): **مجموعة القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة في دورتها السادسة والعشرون**، المجلد الثاني، ١٦ كانون الأول ١٩٧١، نزع السلاح الشامل والتجارب النووية، نيويورك.
٥. الأمم المتحدة (١٩٧٣): **مجموعة القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة في دورتها السابعة والعشرون**، المجلد الثاني، ٢٠ أيلول- ١٦ كانون الأول ١٩٧٢، نيويورك.
٦. الأمم المتحدة (١٩٧٤): **مجموعة القرارات التي أصدرتها الجمعية العامة في دورتها الثامنة والعشرون**، ١٦ أيلول- ١٦ كانون الأول ١٩٧٣، نيويورك.
٧. الأمم المتحدة (١٩٧٥): **مجموعة القرارات التي أصدرتها الجمعية العامة في دورتها التاسعة والعشرون (الحاجة إلى وقف التجارب النووية الحرارية وعقد معاهدات تهدف إلى حظر شامل للتجارب)**، المجلد الثاني ١٩٧٤، ١ كانون الأول ١٩٧٤.
٨. الأمم المتحدة (١٩٨١): **دراسة عن جميع جوانب نزع السلاح على الصعيد الإقليمي**، نيويورك.
٩. الأمم المتحدة (١٩٨١): **دراسة عن جميع جوانب نزع السلاح على الصعيد الإقليمي**، نيويورك.
١٠. الأمم المتحدة ونزع السلاح (١٩٨٥): منشورات الأمم المتحدة، نيويورك.
١١. الأمم المتحدة ونزع السلاح ١٩٧٠-١٩٧٥ (١٩٧٦)، نيويورك.
١٢. باركر، تشارلز (١٩٦٦): **نزع السلاح ومشاكله العالمية**، ترجمة: أحمد البدران، القاهرة.
١٣. باول، كولن، ومولي، بيتر (١٩٨٠): **من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥-١٩٩٠**، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
١٤. بنونة، محمد خيري (١٩٦٩): **التسلح النووي بين الحظر الجزئي ومنع الانتشار، مجلة دراسات في القانون الدولي**، السنة الأول، العدد، الإسكندرية.
١٥. بوروس، وليام، ونيدرم، روبرت (١٩٩٤): **أسلحة الدمار الشامل**، ترجمة: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث، ط١، عمان.
١٦. بيكر، فيليب نويل (١٩٥٨): **سباق التسلح برنامج لنزع السلاح في العالم**، ترجمة: حمدي حافظ، د.م.
١٧. توليو، ستيف، وشمبالرغر، توماس(٢٠٠٣): **نحو الاتفاق على مفاهيم الأمن، قاموس مصطلحات تحديد الأسلحة ونزع السلاح وبناء الثقة**، معهد الأمم المتحدة لبحوث نزع السلاح، الأمم المتحدة.
١٨. حماد، خيري (١٩٩٥): **مراجعة عن معاهدة منع الانتشار النووي، مجلة السياسة الدولية، السنة الثلاثون**، العدد ١٢٠، مركز الأهرام، القاهرة.

١٩. حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح (١٩٧٦): المجلد الأول، نيويورك.
٢٠. حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح (١٩٧٨): المجلد الثالث، نيويورك.
٢١. خليل، حسين (٢٠٠٩): **النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية**، دار المنهل، بيروت.
٢٢. الدليمي، قاسم محمد عبد (٢٠٠٣): **معاهدة الحظر الشامل النووية لعام ١٩٩٦**، بيت الحكمة، بغداد.
٢٣. العباسي، ماهر عبد الكريم (٢٠١٢): سياسة الولايات المتحدة تجاه كوبا ١٩٥٣-١٩٦٣، **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد
٢٤. عبد الحافظ، معمر ترتيب (٢٠٠٩): **امتلاك الأسلحة النووية في ضوء المواثيق والاتفاقيات الدولية، خطوة للأمام نحو نزع أسلحة الدمار الشامل**، دار النهضة العربية، القاهرة.
٢٥. غالوا، بيير (١٩٨٤): **استراتيجية العصر النووي**، ترجمة: محمد سميع السيد، دار كلاس للدراسات والنشر، القاهرة.
٢٦. فاضل، سمير محمد (١٩٧٦): **المسؤولية الدولية عن الأضرار الناتجة عن استخدام الطاقة النووية وقت السلم**، الدار العربية، القاهرة.
٢٧. فانكلين، وبرانلي(١٩٦١): **تجارب في الذريات**، ترجمة: سيد رمضان جدارة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٨. مقلد، إسماعيل صبري (١٩٨٤): ال**علاقات السياسية الدولية/ دراسة في الأصول والنظريات**، مطبعة جامعة الكويت.
٢٩. مقلد، إسماعيل صبري (١٩٨٥): **الاستراتيجية والسياسة الدولية**، المفاهيم والحقائق الأساسية، ط٢، بيروت.
٣٠. المنصوري، منتهى صبري مولى (٢٠٠٢): **قمة موسكو ٢٧ حزيران-٢٣ تموز ١٩٧٤ وأثرها في العلاقات الأمريكية- السوفيتية**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد١١، العدد ٢.
٣١. نبيل، جورج، وآخرون (٢٠٠٥): **الامتثال العالمي لاستراتيجية الأمن النووي**، ترجمة ونشر: مركز الخليج العربي للأبحاث، د.م.
٣٢. نجم، فيصل مطلب فارس (٢٠٢٢): ليونيد بريجنيف ودوره السياسي في الاتحاد السوفيتي ١٩٠٦-١٩٨٢ دراسة تاريخية، **أطروحة دكتوراه، غير منشورة**، كلية الآداب، جامعة بغداد.
٣٣. نصار، ممدوح، وهبان، أحمد (د.ت): **التاريخ الدبلوماسي للعلاقات السياسية بين القوى الكبرى ١٨١٥-١٩٩١**، القاهرة.
٣٤. وللور، لويس (١٩٧٠): **التاريخ الدبلوماسي**، ترجمة: سموحي فوق العادة، بيروت.

ثانياً. المصادر الأجنبية:

1. Chalmers, Malcom Gorge (1981): **Nuclear Neapons and British Defense**, Policy University of Bradford.
2. F.R.U.S. (1969): **Message From The Embassy in The Embassy in The Soviet Unions to The Department of State**, Vol. XI, No.271, New York, 10 November 1969.
3. F.R.U.S. (1973): **Document on Arms Control and Nonproliferation1973**, Vol.14, Memorandum of Conversation, No.61, Moscow, July 1973.
4. F.R.U.S. (1974): **Memoranda, From Jan Lodal of The National Security Council staff and The Counselor of The Department of State (Sonnen Feldt) to Secret ary of State Kissinger**, Vol.14, No.07, Washington, August 1974.
5. F.R.U.S. (1974): **Memorandum From Jan Lodal of The National Security Councill Staff and The Counselor of The Department of State (Sonnen Feldt) To Secretary of State Kissinger**, Vol.14, No.67, Washington, 5 August 1974.
6. Ojserkis, Raymond (2014): **Beginning of The War Arms 1950-1951**, Prog Est United States.

الهوامش:

(*) أجرت الولايات المتحدة الأمريكية أول تجربة نووية للولايات المتحدة الأمريكية في صحراء الماجوردا (Almagordo) في ١٦ تموز ١٩٤٥ واستخدمتها على مدينتي هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين في ٦ و٩ آب ١٩٤٥ ثم فجر الاتحاد السوفيتي القنبلة الذرية الأولى في استراليا في ٣ تشرين الأول ١٩٥٢ ثم أصبح عدد الدول النووية أربعة بعد أن أجرت فرنسا أول تجربة انشطارية لها في ١٣ شباط ١٩٦٠ ونتيجة لتطور الوضع الدولي والتنافس أجرت الصين أول تجربة انشطارية لها عام ١٩٦٤. (آرون، ١٩٨٤، ص١٤-١٥) (غالوا، ١٩٨٤، ص١٨٤) (ديلو، ١٩٧٠) (Serkis, 1987, P.92)

(*) ريتشارد نيكسون (١٩١٣-١٩٩٤): ولد في كاليفورنيا عام ١٩١٣، وأكمل دراسة القانون في جامعة ديوك Duke، انتخب نقيباً للمحامين عام ١٩٤١، شغل وظائف سياسية عديدة وخدم في البحرية العسكرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية ثم أصبح نائباً عن الحزب الجمهوري (١٩٤٧-١٩٥٠) في مجلس النواب والشيوخ بين عامي (١٩٥٠-١٩٥٣) وحكم الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي (١٩٦٩-١٩٧٤). (أدوزاوتر، ٢٠٠٦، ص٢٦١)

(**) ليونيد بريجنيف (١٩٠٦-١٩٨٢): ولد في التاسع عشر من كانون الأول ١٩٠٦، أنضم بريجنيف كعضو مرشح في الحزب الشيوعي السوفييت عام ١٩٢٩، شارك في الحرب العالمية الثانية وأصبح رئيس الإدارة السياسية للجيش عام١٩٤٣ ساهم في عملية الإعمار ونمو الاقتصاد بعد الحرب العالمية الثانية، تولى زمام السلطتين عامي ١٩٦٤-١٩٨٢ توفي في العاشر من تشرين الثاني ١٩٨٢ وأختير اندروبوف أميناً للحزب بعده. (نجم، ٢٠٢٢، ص)

(*) جيرالد رودولف فورد: ولد في الرابع عشر من تموز ١٩١٣، الرئيس الثامن والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية، مارس العمل السياسي عام١٩٤٨ ودخل مجلس النواب وممثلاً عن ولاية ميشيغان ثم عينه نيكسون نائباً للرئيس عام ١٩٧٣ وبهذا اضطر نيكسون للاستقالة في ٩ آب ١٩٧٤ خلفه فورد من منصب الرئاسة واستمر في المنصب حتى عام ١٩٧٧. (أدوزاوتر، ٢٠٠٦، ص٢٧٠-٢٧٤)

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الدور المصري في دعم جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) ١٩٦٢ – ١٩٧٠

The Egyptian Role in Supporting the Mozambique Liberation Front (FRELIMO) 1962–1970

م.د اية جميل عباس محمد

DR Aya Jameel Abbas Mohammed

كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية

Al-Mustansiriyah University- College of Basic Education

aya-jameel@uomustansiriyah.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المخلص

يتناول البحث الدور المصري في دعم جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) خلال المدة ١٩٦٢–١٩٧٠، من خلال تحليل الخلفية الاستعمارية لموزمبيق وبواكير المقاومة الوطنية، ثم تتبع أشكال الدعم المصري السياسي والدبلوماسي والعسكري والإعلامي للثورة الموزمبيقية، ويبرز البحث أن هذا الدعم جاء ضمن رؤية مصرية شاملة ربطت بين تحرر إفريقيا وأمن مصر القومي، وأسهم في تعزيز شرعية فريليمو إقليميا ودوليا، وتثبيت قدرتها على الاستمرار في الكفاح المسلح ضد الاستعمار البرتغالي، رغم التحديات الداخلية والضغوط الدولية.

الكلمات المفتاحية : (مصر – جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) – الاستعمار البرتغالي)

Abstract

This study examines the Egyptian role in supporting the Mozambique Liberation Front (FRELIMO) between 1962 and 1970, by analyzing the colonial background of Mozambique and the early stages of national resistance, followed by an exploration of the political, diplomatic, military, and media support provided by Egypt to the Mozambican revolution. The research demonstrates that Egyptian support was part of a comprehensive strategic vision linking Africa's liberation to Egypt's national security. This support significantly enhanced FRELIMO's regional and international legitimacy and strengthened its capacity to

sustain armed struggle against Portuguese colonial rule, despite internal challenges and international pressures.

Keywords: (Egypt – Mozambique Liberation Front (FRELIMO) – Portuguese Colonialism)

اولا: الاستعمار البرتغالي في موزمبيق وبواكير المقاومة الوطنية حتى عام ١٩٦٢

تكتسب دراسة الدور المصري في دعم جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) خلال المدة ١٩٦٢–١٩٧٠ أهمية خاصة في إطار فهم تفاعلات حركات التحرر الوطني الإفريقية مع السياسات الإقليمية والدولية في مرحلة الحرب الباردة، إذ لم يكن هذا الدور تعبيرا عن تضامن سياسي عابر، بل جاء ضمن رؤية استراتيجية متكاملة تبنتها مصر في عهد الرئيس الاسبق جمال عبد الناصر، ربطت بين أمنها القومي وتحرر القارة الإفريقية من الاستعمار، ولا سيما الاستعمار البرتغالي في إفريقيا الجنوبية. ويكشف البحث كيف أسهمت مصر سياسيا ودبلوماسيا وإعلاميا وعسكريا في دعم الثورة الموزمبيقية، بما جعل القاهرة إحدى أبرز الحواضن الإقليمية لحركات التحرر الإفريقية في عقد الستينيات.

بدأت فكرة التحرر بالظهور لدى مجتمعات العالم الثالث خلال القرن العشرين في أفريقيا، نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، وتفاوت أثرها من دولة إلى أخرى تبعا لموقعها الجغرافي، وبنيتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي، وسياقها التاريخي، وارتبطت هذه التحولات بمشاعر اعتزاز جماعي أحدثها ذلك الانتصار في الوجدان الشعبي، وأسهمت في دفع الحركات الوطنية إلى تكثيف نشاطها في موزمبيق وانغولا وكينيا ومصر وغيرها، إذ ضاعفت هذه الحركات جهودها في مواجهة الاستعمار ومواصلة الكفاح ضده [١].

بدأ الوجود البرتغالي في موزمبيق منذ أواخر القرن الخامس عشر في إطار التوسع الأوروبي نحو المحيط الهندي، إذ أسست البرتغال مراكز تجارية ساحلية هدفها التحكم في طرق التجارة البحرية وتأمين خطوط الربط بين شرق إفريقيا والهند، وقد اتسم هذا الوجود في مراحله الأولى بطابع تجاري عسكري محدود، ولم يكن مشروعا استعماريا متكاملا بالمعنى الإداري، الأمر الذي سمح باستمرار نفوذ الكيانات السياسية الإفريقية المحلية في الداخل، غير أن هذا الوجود وضع الأساس الأول للاحتكاك بين البرتغاليين والسكان المحليين، ومهد لنشوء علاقات غير متكافئة ستتحول لاحقا إلى سيطرة استعمارية مباشرة [٢].

خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر توسع النفوذ البرتغالي تدريجيا من السواحل نحو الداخل، واعتمدت الإدارة الاستعمارية على نظام قائم على منح امتيازات واسعة لمستوطنين أوروبيين وأفارقة موالين، وقد أدى هذا النظام إلى تحويل مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية إلى ملكيات خاصة خاضعة

للبرتغاليين، وفرض أشكال متعددة من الجباية والعمل القسري على السكان المحليين، ما أسهم في تقويض البنى الاجتماعية التقليدية، وأوجد حالة من التذمر المستمر شكلت إحدى البدايات المبكرة للمقاومة ضد السيطرة البرتغالية [٣].

واجهت السياسات البرتغالية مقاومة من الكيانات السياسية الإفريقية، ولا سيما في وادي الزامبيزي، إذ رفضت الزعامات المحلية الخضوع للسلطات البرتغالية أو التخلي عن سلطتها التقليدية، واندلعت مواجهات مسلحة متفرقة عكست رغبة هذه الجماعات في الدفاع عن أراضيها واستقلالها السياسي، وقد واجه البرتغاليون هذه المقاومة باستخدام القوة العسكرية والتحالفات المحلية، ما أدى إلى إخضاع هذه المناطق تدريجيا، دون القضاء الكامل على روح المقاومة [٤].

اتسمت المقاومة في هذه المرحلة بطابعها المحلي ، إذ افتقرت إلى قيادة مركزية أو برنامج سياسي موحد، واعتمدت على مبادرات فردية وزعامات تقليدية، وهو ما حد من قدرتها على التحول إلى حركة وطنية شاملة، كما أن التشتت الجغرافي والتنوع العرقي، إلى جانب التفوق العسكري البرتغالي، أسهم في إضعاف فرص هذه المقاومات في تحقيق أهداف بعيدة المدى [٥].

ومع نهاية القرن التاسع عشر، ولا سيما عقب مؤتمر برلين [٦] عام ١٨٨٤، فرضت البرتغال سيطرتها العسكرية المباشرة على معظم أراضي موزمبيق، وسعت إلى تحويل الوجود الاستعماري إلى احتلال فعلي يمنع القوى الأوروبية المنافسة من التغلغل في المنطقة، وقد رافق هذا التحول تصاعد في القمع العسكري والسياسي، واندلاع انتفاضات محلية واسعة النطاق، عكست رفض السكان المحليين لفقدان استقلالهم السياسي [٧].

برزت انتفاضة باروي في شمال موزمبيق عام ١٩٠٨ بوصفها واحدة من أبرز حركات المقاومة المسلحة في هذه المرحلة، إذ قاد الزعيم باروي مقاومة منظمة نسبيا ضد التوسع البرتغالي، واستطاعت حركته إلحاق خسائر بالقوات الاستعمارية، غير أن التفوق العسكري البرتغالي أدى في النهاية إلى قمع الانتفاضة، ما كشف محدودية المقاومة المحلية في مواجهة دولة استعمارية تمتلك موارد عسكرية متفوقة [٨].

اعتمدت الإدارة الاستعمارية البرتغالية على نظام العمل الإجباري بوصفه ركيزة أساسية للاقتصاد الاستعماري، إذ فُرض على آلاف الموزمبيقيين العمل في المزارع والمناجم والمشروعات الكبرى داخل البلاد وخارجها، وقد تسبب هذا النظام في تفكيك الأسر والمجتمعات المحلية، وأثار موجات متواصلة من السخط والرفض، شكلت أحد أهم دوافع المقاومة الاجتماعية طويلة الأمد [٩].

لم تقتصر المقاومة على المواجهة المسلحة، بل اتخذت أشكالا مختلفة، مثل الهجرة غير النظامية، والتهرب من الضرائب، واللجوء إلى المناطق الحدودية، وقد اعتبرت السلطات الاستعمارية هذه الممارسات

تهديدا مباشرا لاستقرار النظام الاقتصادي، ما دفعها إلى تشديد الرقابة والعقوبات، وزاد في المقابل من حدة التوتر بين السكان والإدارة الاستعمارية [١٠].

كرست السياسات الاستعمارية نظاما صارما من التمييز العنصري، إذ حُرم الأفارقة من الحقوق السياسية والتعليمية، واقتصر اندماجهم في الإدارة على أدوار هامشية، وقد عزز هذا الواقع الشعور بالاغتراب داخل الوطن، وأسهم في بلورة وعي سياسي معارض للاستعمار، خاصة في المناطق الحضرية ، وخلال النصف الأول من القرن العشرين، ربطت البرتغال موزمبيق بالاقتصاد الرأسمالي العالمي، ولا سيما باقتصادات جنوب إفريقيا وروديسيا، ما أدى إلى تعميق التبعية الاقتصادية، وإخضاع البلاد لمنطق السوق الاستعماري [١١].

شهدت موزمبيق في تلك المرحلة نشاطا لافتا للمثقفين والشعراء الوطنيين، ومن أبرزهم أغوستينيو نيتو (Agostinho Neto) وماريو دي أندرادي (Mario de Andrade) ومارسيلينو دوس سانتوس (Marcelino dos Santos)، إذ انشغل هؤلاء باكتشاف آفاق الماضي الإفريقي وإعادة الاعتبار للحضارة الإفريقية، وظهرت في أعمالهم نبرة نقد واضحة للبؤس والقسوة الناتجين عن الاستعمار، وفي هذا السياق برز دوس سانتوس الذي تأثر بالأفكار الشيوعية إبان دراسته في أوروبا، ثم انخرط بعد عودته في العمل الوطني وأصبح من مؤسسي جبهة تحرير موزمبيق، وأسهم في تأسيس مجلة أفريكانو في أربعينيات القرن العشرين، التي عُدت أول مطبوعة إفريقية لعبت دورا محوريا بوصفها منبرا رئيسيا للمفكرين السود والملونين، قبل أن تُغلق بقرارات فاشية أصدرتها حكومة أنطونيو دي اوليفيرا سالازار [١٢] (António de Oliveira Salazar) ، وعلى الرغم من ذلك شهدت البلاد موجات احتجاج عنيفة ضد الحكم والاستغلال الاستعماري شارك فيها العمال والفلاحون [١٣].

ففي ثلاثينيات القرن العشرين أضرب عمال الموانئ في لورينسو ماركيز (Lorenzo Márquez) في مناسبات عدة، ثم تكرر الإضراب في عام ١٩٤٧، وأعقبت تلك التحركات انتفاضة فاشلة عام ١٩٤٧ تدخلت القوات البريطانية لقمعها ونفي قادتها وعدد كبير من المشاركين فيها إلى خارج البلاد، وفي عام ١٩٥٢ سقط تسعة وأربعون من عمال الموانئ ضحايا بعد إضرابهم للمرة الثانية، لتنتهي هذه المرحلة بمحاولة إضراب أخرى قام بها العمال لكنها لم تحقق أهدافها، أما في عام ١٩٥٦ فقد سقط تسعة وأربعون من عمال الموانئ ضحايا بعد أن أضربوا للمرة الثانية، وفي نهاية المطاف فشل إضراب آخر قام به عمال الموانئ في عام ١٩٥٩ بمدينة لورينسو ماركيز، وانتشرت تداعياته حتى وصلت إلى كل من مدينتي بيرا وناكالا [١٤].

وكان الريف أبعد ما يكون عن الهدوء، فقد شهد إقليم كابو ديلغادو في نيسان عام ١٩٦٠ حادثة مذبحة مويدا، إذ أُلقي القبض على زعماء محليين وأعضاء آخرين من قبيلة ماكوندي، ونُفي الجميع إلى

خارج البلاد عندما سعوا إلى إيجاد شكل من أشكال الاتحاد، غير أن هذا المسعى لم يتبلور فعليا إلا بعد أن قتلت القوات البرتغالية نحو ستمائة من أتباعهم رميا بالرصاص، وسارع البرتغاليون بعد ذلك إلى الاستفادة من أسلحتهم في مواجهة الأفارقة الذين عجزوا في كثير من الأحيان عن الدفاع عن أنفسهم، كما باشروا بممارسات الاعتقال الجماعي في مناطق الاضطراب [١٥].

أما أول تنظيم وطني حقيقي فكان الاتحاد الديمقراطي الوطني الموزمبيقي UDENAMO، الذي تأسس في ٢ تشرين الأول من عام ١٩٦٠ بين الموزمبيقيين في المنفى في كل من روديسيا ونياسالاند (ملاوي) بزعامة أديلينو غوامي، وفي نيسان من عام ١٩٦١ نُقل مركز رئاسته إلى دار السلام، ثم ظهر تنظيم آخر هو الاتحاد الوطني الأفريقي الموزمبيقي MANU، الذي تأسس خلال شهر شباط من عام ١٩٦١ في مدينة ممباسا بكينيا، وكان أعضاؤه من الموزمبيقيين في المنفى في كل من كينيا وتنجانيقا، وأغلب هؤلاء الأعضاء كانوا يستوحون نجاحات الاتحاد الوطني الأفريقي الكيني KANU والاتحاد الوطني الأفريقي الموزمبيقي من أمثال مايو أمويل رئيس الاتحاد ومالينغا، وقد عملوا وتأثروا إلى حد كبير بهذه الأحزاب الوطنية في شرق إفريقيا، وفي الوقت المناسب نقل الاتحاد الوطني الأفريقي الموزمبيقي مركز رئاسته إلى دار السلام، وأسس الموزمبيقيون في المنفى في إقليم تيتي تنظيمًا ثالثًا هو الاتحاد الأفريقي لاستقلال موزمبيق UNAMI، الذي انتقل هو الآخر إلى دار السلام في عام ١٩٦١ [١٦].

ثانيا : الدور المصري في دعم الثورة الموزمبيقية في مرحلتها التأسيسية (١٩٦٢–١٩٦٥)

وقفت مصر في عهد جمال عبد الناصر [١٧] إلى جانب الدول الإفريقية التي سعت إلى تحرير أراضيها والخروج من دائرة السيطرة الاستعمارية، وبرز ذلك بوضوح في تبنيها حركة عدم الانحياز [١٨] ، ودعمها قضايا الاستقلال الوطني، إذ آمنت بأن تحرر إفريقيا جزء لا يتجزأ من تحرر مصر، وأن مساندة حركات التحرر تمثل ركيزة أساسية في مواجهة أشكال الاستعمار الجديد الذي سعى إلى إعادة إنتاج النفوذ الأجنبي بوسائل غير مباشرة [١٩].

ارتبط الدور المصري في دعم الثورة الموزمبيقية منذ عام ١٩٦٢ برؤية شاملة للسياسة الخارجية المصرية، انطلقت من اعتبار إفريقيا عمقا استراتيجيا لا ينفصل عن الأمن القومي المصري، وقد جاء هذا التوجه في سياق تصاعد حركات التحرر الوطني في القارة، وشعر عبد الناصر بمسؤولية خاصة تجاه الدول الإفريقية الحديثة الاستقلال، ولا سيما تلك التي واجهت مخاطر الارتباط بالأنظمة الاستعمارية التقليدية، إذ رأت القيادة المصرية أن هذه الدول قد تتعرض لاستغلال اقتصادي وسياسي يعيد إنتاج التبعية، لذلك عملت على دعم استقلالها الحقيقي، وإسناد إرادتها الوطنية، انطلاقا من قناعة راسخة بأن تحرر إفريقيا يعزز أمن مصر ودورها الإقليمي، ويؤكد أن استقلالها السياسي يظل ناقصا ما لم يتحقق استقلال القارة بأكملها [٢٠].

وفي شهر حزيران من عام ١٩٦٢ أعلنت حركة الاتحاد الديمقراطي الوطني الموزمبيقي والاتحاد الوطني الأفريقي الموزمبيقي وحركة الاتحاد الأفريقي لاستقلال موزمبيق توحيد جهودها في إطار تنظيمي واحد أُطلق عليه اسم "جبهة تحرير موزمبيق" (فريليمو)، غير أن هذه الوحدة لم تُكتب لها الاستمرارية إذ لم تعش سوى مدة قصيرة جدا، أما منصب الأمين العام في الجبهة فقد أُسند عند التأسيس إلى إدواردو موندلاني (Eduardo Mondlani) القادم من صفوف الاتحاد الديمقراطي الوطني الموزمبيقي ، وعُين أورلاندو بالوغويش جوماني (Orlando Baloguesh Jumani) نائبا له وهو أيضا من الحركة نفسها، في حين تولى مارسيلينو دوس سانتوس منصب أمين الصندوق ممثلا للاتحاد الوطني الأفريقي الموزمبيقي [٢١].

أطلقت حركة فريليمو حركة كفاح مسلح تعتمد حرب العصابات للمطالبة بالاستقلال، وضمت في صفوفها عددا من الشباب الذين تلقوا تعليمهم في الغالب باللغة البرتغالية داخل مدارس تبشيرية كاثوليكية، وهي مؤسسات ادعت الطابع الماركسي [٢٢] أو مالت إليه على الأقل، وكان الانقسام واضحا بين هذا الجيل الجديد وبين العالم التقليدي الذي نشأ فيه معظم سكان موزمبيق [٢٣].

مع تأسيس جبهة تحرير موزمبيق فريليمو عام ١٩٦٢، سارعت مصر إلى الاعتراف بها حركة تحرر وطني شرعية، وعدت نضالها امتدادا طبيعيا لحركات التحرر الإفريقية التي دعمتها القاهرة سابقا في الجزائر وكينيا والكونغو، وقد منح هذا الاعتراف المبكر فريليمو زخما سياسيا ومعنويا أسهم في تعزيز مكانتها داخل الأطر الإفريقية والدولية [٢٤].

تجسد الدعم المصري في بعده السياسي من خلال احتضان القضية الموزمبيقية داخل المحافل الدولية، ولا سيما الأمم المتحدة، إذ عملت الدبلوماسية المصرية على فضح السياسات الاستعمارية البرتغالية، وربطها بانتهاكات حقوق الإنسان، والسعي إلى حشد تأييد دول عدم الانحياز لصالح حق موزمبيق في تقرير مصيرها، بعد عودة إدواردو موندلاني من الولايات المتحدة واصل التزامه بالتدريس في جامعة سيراكيوز، وفي الوقت نفسه تولى موقعا قياديا في مركز الرئاسة العامة لجبهة تحرير موزمبيق فريليمو في تنجانيقا [٢٥].

برز دور إدواردو موندلاني الإعلامي والسياسي ممثلا للجبهة في الخارج، وفي هذا السياق استطاع خلال مدة قصيرة إقصاء عدد من قيادات جبهة تحرير موزمبيق وهم كل من جولياس نيريري (Julias Nyerere) وجواو مابيلانو (Joao Mapilano) من مواقع النفوذ داخل التنظيم، ثم غادر الاثنان دار السلام متجهين إلى القاهرة وهناك أسسا جماعة معارضة داخل صفوف فريليمو، غير أن قيادة الجبهة وبدعم مصري حسمت الخلاف في آب عام ١٩٦٤ بإقصاء مابيلانو نهائيا بعد اتهامه بإقامة صلات خارجية مشبوهة، وفي هذا الإطار جرى تداول اتهامات بشأن ارتباط بعض العناصر بالمخابرات الأمريكية، ولا سيما مابيلانو الذي كان يعمل في ولاية تكساس قبل نشاطه السياسي ولم يكن معروفا داخل موزمبيق، بينما شغل في تلك المرحلة موقع سكرتير الدفاع والأمن داخل فريليمو، وهي مواقع أثارت شكوك القيادة المركزية حول

طبيعة علاقاته الخارجية، وتردد أنه كان يتلقى دعما ماليا منتظما من جهات مرتبطة بالسفارة "الاسرائيلية" في دار السلام [٢٦].

أسهمت مصر في إدماج فريليمو ضمن آليات منظمة الوحدة الإفريقية [٢٧] بعد تأسيسها عام ١٩٦٣، ودعمت إدراج القضية الموزمبيقية ضمن أولويات لجنة التحرير التابعة للمنظمة، ما أتاح للحركة الاستفادة من شبكة دعم إفريقية أوسع، وحد من محاولات البرتغال عزلها سياسيا، وفي المجال العسكري، قدمت مصر دعما مهما تمثل في تدريب عناصر فريليمو على القتال وحرب العصابات، وقد جرى هذا التدريب داخل الأراضي المصرية أو عبر تنسيق غير مباشر مع دول إفريقية صديقة ، بما حافظ على سرية الدعم وحد من الضغوط الدولية [٢٨].

وفي مجال المساعدات العسكرية، برزت مصر بوصفها أول دولة في العالم تفتح أبوابها لتدريب حركات التحرر الإفريقية عسكريا، وجاء ذلك في سياق دعمها لحركات التحرير في موزمبيق ، انطلاقا من تصور يرى أن الاستعمار يفرض على الشعوب الإفريقية ضرورة امتلاك أدوات القوة والتنظيم، وأن تطور المصالح الوطنية لا يتحقق بالوسائل السلمية وحدها، بل عبر الكفاح المسلح أيضا، وهو تصور تبلور في الخبرة المصرية المبكرة، ولا سيما في التجربة التي سبقت الثورة الجزائرية وما رافقها من دعم مباشر للفدائيين الجزائريين [٢٩].

وفتحت الكلية الحربية المصرية أبوابها أيضا لاستيعاب أعداد من الأفارقة، إذ جرى اختيار الموهوبين سنويا ممن امتلكوا قابلية القيادة والخبرة العسكرية، ليشكلوا لاحقا نواة الجيوش الوطنية بعد الاستقلال، وبحكم طبيعة العلاقات الوثيقة التي ربطت مصر بالحركات الإفريقية، اعتمدت هذه الدول على الجيش المصري في إعداد الضباط وتدريب الكوادر العسكرية، واقتصر ذلك في مراحله الأولى على الأفراد، ثم اتسع ليشمل مجموعات أكبر، وكان من بين هؤلاء عدد من أعضاء مجالس قيادة الثورة في موزمبيق ، والذين تلقوا تعليمهم العسكري في الكلية الحربية المصرية، ثم عادوا ليتولوا أدوارا مركزية في بناء الجيوش الوطنية بعد استقلال بلدانهم [٣٠].

شمل الدعم العسكري المصري تزويد فريليمو بكميات محدودة من السلاح والذخيرة، بما يتناسب مع قدراتها التنظيمية وظروفها الميدانية، وقد أُنجز هذا الدعم عبر قنوات غير معلنة، تفاديا لإثارة مواجهة مباشرة مع البرتغال أو حلف شمال الأطلسي [٣١] الذي كانت لشبونة عضوا فيه، ولم يقتصر الدور المصري على الدعم المادي، بل امتد إلى تقديم المشورة السياسية والتنظيمية لقيادة فريليمو، ولا سيما في ما يتعلق ببناء هيكل تنظيمي موحد وتجاوز الانقسامات الجهوية والقبلية، وهو ما عُد شرطا أساسيا لتحويل الحركة إلى تنظيم وطني قادر على قيادة كفاح طويل الأمد [٣٢].

تحولت القاهرة إلى مركز رئيسي لنشاط الاتحاد الديمقراطي الوطني الموزمبيقي، إذ افتتح مكتبه في مصر، ونشط ممثلو الحركات الوطنية الموزمبيقية سياسيا وإعلاميا، وأقاموا الندوات وعقدوا المؤتمرات، واتصلوا بالهيئات السياسية ووسائل الإعلام المصرية، وفي هذا الإطار تولت مصر تدريب عناصر جيش موزمبيق الوطني، في خطوة عكست انخراطها العملي في دعم الكفاح التحرري الموزمبيقي [٣٣].

اتخذ توجه جمال عبد الناصر نحو إفريقيا بعد مؤتمر أديس أبابا عام ١٩٦٣ طابعًا سياسيًا وعمليًا في آن واحد، إذ لم ينحصر اهتمامه بالشعارات العامة للوحدة الإفريقية، بل سعى إلى تحويلها إلى مشروع تحرري فعلي يخدم شعوب القارة في نضالها ضد الاستعمار، وانطلقت الرؤية المصرية من قناعة بأن إفريقيا لا يمكن أن تتحرر إلا عبر تنظيم سياسي واعٍ، وتنسيق بين حركاتها الوطنية، بعيدًا عن الشعارات الفضفاضة أو الصيغ الشكلية، إذ شدد عبد الناصر على أن الوحدة لا يمكن أن تقوم دون حرية سياسية واقتصادية واجتماعية حقيقية، وأن الاستقلال الشكلي لا يكفي ما لم يُستكمل بالقضاء على التبعية وبناء إرادة وطنية مستقلة، وهو ما جعل مصر ترى في دعم حركات التحرر، ومنها جبهة تحرير موزمبيق، واجبًا استراتيجيًا وأخلاقيًا [٣٤].

وأكدت السياسة المصرية في إفريقيا، كما عبر عنها عبد الناصر، أن تحرير القارة لا يتحقق إلا بتكامل نضال شعوبها وتضامنها، وأن مصر جزء لا يتجزأ من هذا الفضاء الإفريقي، تشترك معه في المصير والتحديات، لذلك ربطت القاهرة بين دعم الحركات الوطنية الإفريقية وبين مشروع السلام القائم على العدل، معتبرة أن الحرية والكرامة شرط أساسي لأي استقرار دائم، وأن الشعوب الإفريقية، ومنها الشعب الموزمبيقي، لا يمكن أن تنال مستقبلها دون كفاح منظم وسند دولي صادق، وهو ما سعت مصر إلى توفيره خلال عقد الستينيات [٣٥].

لم تبدأ جبهة تحرير موزمبيق أي عمل مسلح داخل موزمبيق إلا في الخامس والعشرين من أيلول عام ١٩٦٤، أي بعد مرور نحو عامين على تأسيسها، إذ شرعت حينها قوات العصابات التابعة للجبهة، التي تلقت تدريباتها في مصر، بتنفيذ عملياتها القتالية الأولى، وجاء هذا التحول بعد إعداد طويل وتردد محسوب، ولا سيما أن قيادة الجبهة كانت تدرك حساسية الانطلاق المبكر للكفاح المسلح في ظل ضعف الإمكانات وتشتت التنظيم، وقد سبقت هذه العمليات صراعات داخلية حادة، كان أخطرها تمرد مجموعة صغيرة بقيادة عدد من قيادات الاتحاد الوطني الإفريقي الموزمبيقي ، أسفرت عن مقتل عدد من رفاقه وبعض المنشقين، غير أن القوات البرتغالية تمكنت من ملاحقتهم والقضاء عليها، وقتلت عددا كبيرا من عناصرها ومن بينهم زعيمها، وهو ما عزز قناعة قيادة فريليمو بضرورة توحيد القيادة والانطلاق المنظم للعمل المسلح بدعم خارجي منسق [٣٦].

واجه الدور المصري ضغوطا غربية متزايدة، ولا سيما من الدول الأوروبية الداعمة للبرتغال، غير أن القاهرة تمسكت بموقفها، معتبرة أن دعم فريليمو جزء من صراع أوسع ضد الاستعمار، ولا يمكن التراجع عنه دون المساس بمصداقيتها الإفريقية، وتزامن الدعم المصري لفريليمو مع تصاعد الكفاح المسلح داخل موزمبيق عام ١٩٦٤، وقد ساعد هذا الدعم في تحسين جاهزية المقاتلين وتنظيم عملياتهم الأولى، ما عزز ثقة القيادة الموزمبيقية بإمكان الاستمرار في المواجهة رغم اختلال ميزان القوى [٣٧].

حرصت مصر على أن يكون دعمها لفريليمو منسجما مع الإجماع الإفريقي، تفاديا لاتهامها بالتدخل الأحادي، ولذلك شجعت العمل المشترك عبر لجنة التحرير الإفريقية، وأسهمت في توفير غطاء سياسي جماعي للحركة، وأدركت القيادة المصرية أن نجاح الثورة في موزمبيق سيضعف الوجود البرتغالي في إفريقيا الجنوبية، ويؤثر في موازين القوى الإقليمية، ولا سيما في أنغولا وغينيا بيساو، وهو ما جعل دعم فريليمو جزءا من استراتيجية أوسع لمواجهة الاستعمار البرتغالي [٣٨].

أسهم الدعم المصري في تعزيز شرعية فريليمو داخل الأوساط الإفريقية، إذ باتت الحركة تحظى باعتراف سياسي متزايد، وجرى التعامل معها بوصفها الممثل الرئيس للشعب الموزمبيقي، لا مجرد تنظيم معارض في المنفى، ولم تغفل مصر البعد الاجتماعي للثورة الموزمبيقية، إذ شجعت فريليمو على ربط الكفاح المسلح ببرامج اجتماعية وتعليمية في المناطق المحررة، مستلهمة تجربتها في تعبئة الجماهير خلال مراحل الصراع الوطني [٣٩].

وبحلول عام ١٩٦٥، بات الدور المصري جزءا من شبكة دعم دولية أوسع، شاركت فيها دول إفريقية وآسيوية، ما خفف من العبء المباشر على القاهرة، مع احتفاظها بدورها السياسي والرمزي داخل هذه الشبكة، وورغم التحديات الداخلية التي واجهتها مصر، ولا سيما بعد تورطها العسكري في اليمن، لم تتراجع عن دعم فريليمو، وعدت هذا الدعم استثمارا سياسيا طويل الأمد في مستقبل إفريقيا [٤٠].

ثالثا: تطور الدور المصري في دعم الثورة الموزمبيقية وتصاعده (١٩٦٦–١٩٧٠)

اتخذ الموقف المصري من الاستعمار البرتغالي بعدًا واضحًا في إطار مواجهة النظام الاستعماري في موزمبيق، إذ ثبتت مصر موقفها المناهض للاستعمار البرتغالي منذ بدايات طرح القضية في مجلس الأمن، إذ أدانت مصر السياسات الاستعمارية البرتغالية، وأسهمت في تقديم مشروعات قرارات دعت إلى اتخاذ إجراءات دولية رادعة ضدها، كما شاركت في بلورة أساليب عملية للتصدي للاستعمار عبر التحرك داخل الأمم المتحدة، وفي هذا السياق طُرح في عام ١٩٦٦ مشروع قرار تقدمت به مصر، مدعومًا من عدد من الدول الآسيوية والإفريقية، لمعالجة مختلف أبعاد القضية، وأسفر ذلك عن تشكيل لجنة خاصة، عُرفت باللجنة الدولية لتقصي الأوضاع في الأقاليم البرتغالية، وتولت هذه اللجنة دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية في تلك الأقاليم، ورفعت تقارير دورية إلى الهيئات الدولية، وقد أكدت هذه التقارير أن

البرتغال مارست القمع والاستغلال بحق الشعوب الإفريقية، وحرمتها من أبسط حقوقها السياسية والاقتصادية، ولم تتقدم بأي خطوات جدية نحو منحها الاستقلال [٤١].

وفي عام ١٩٦٥ واصلت مصر تحركاتها داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة، فدعمت القرارات التي دعت إلى تصفية الاستعمار، وأوصت باتخاذ إجراءات اقتصادية ودبلوماسية ضد البرتغال، كما شجعت الوكالات المتخصصة والمؤسسات الدولية على تقديم مساعدات عاجلة للشعوب التي كافحت من أجل حريتها، ولا سيما في المستعمرات البرتغالية، وقد انعكس هذا التوجه في دعم مصر للمؤتمرات الدولية المتخصصة التي ناقشت آليات عزل النظام الاستعماري البرتغالي دوليًا، وإضعاف قدرته على الاستمرار في قمع حركات التحرر الوطني [٤٢].

وإلى جانب ذلك، برز الدور المصري في إطار دعم مساعي الوحدة الإفريقية، إذ رأت مصر أن الاستعمار البرتغالي شكل عائقًا مباشرًا أمام تحقيق التنمية والاستقرار في القارة، وأن تحرير المستعمرات البرتغالية، ولا سيما في مناطق الجنوب الإفريقي، مثل شرطًا أساسيًا لترسيخ مبادئ الوحدة الإفريقية وتعزيز التضامن بين شعوبها، وقد جاء هذا الدور متسقًا مع السياسة الإفريقية لمصر في عهد جمال عبد الناصر، التي قامت على مناهضة الاستعمار بكافة أشكاله، ودعم حركات التحرر الوطني سياسيًا ودبلوماسيًا في المحافل الدولية [٤٣].

وجهت مصر في عام ١٩٦٦ عددا كبيرا من الإذاعات باللغات واللهجات الإفريقية، إذ جرى التركيز على البث باللغات السواحلية والهومبا واليوروبا والبامبرا والولوف في غرب إفريقيا، وباللغات النيجيرية والشونا والسندية والنوبية في وسط القارة، وباللغة الزولو في جنوب إفريقيا، وباللغات الصومالية والسواحلية والتغرينية وغيرها في شرق إفريقيا، فضلا عن اعتماد لغات أوروبية مثل الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية والإسبانية بوصفها لغات وسيطة في مناطق متعددة، ولم يكن إنشاء هذه الإذاعات عملاً إعلامياً محضاً، بل ارتبط في كثير من الحالات بتأييد حركات تحرر جديدة أو بدعم ثورات قائمة، كما تداخل هذا النشاط مع مساعدات مصرية أخرى تجاوزت المجال الإعلامي، إذ خُصص البث أحيانا لحركة أو تنظيم بعينه، كما حدث أثناء ثورة كينيا ضد الاستعمار، وكذلك في حالة موزمبيق إذ مُنحت جبهة تحرير موزمبيق فريليمو منبرا إذاعيا خاصا بعد وصول الثورة إلى مرحلة متقدمة تحت قيادة هذا التنظيم [٤٤].

وشملت هذه الإذاعات، إلى جانب معالجتها للموضوعات التي تخص كل إقليم، نقل أخبار الثورات والحركات الوطنية إلى شعوب إفريقيا على امتداد القارة، لا سيما موزمبيق، انطلاقا من تصور كان يرى أن ما يجري في أي بلد إفريقي يمثل جزءا من الثورة الإفريقية الشاملة ضد الاستعمار والتبعية، وكانت طبيعة هذا التناول تعكس صورة لما يدور على أرض مصر من دعم سياسي وإعلامي لقضايا التحرر، إذ لم تُطرح الأحداث بوصفها وقائع محلية معزولة، بل كجزء من مسار تحرري إفريقي واحد، وقد أسهمت هذه الإذاعات،

إلى جانب دورها الإعلامي المباشر، في ترسيخ الإحساس بالانتماء القاري المشترك، عبر التأكيد المستمر على أن إفريقيا وحدة واحدة لا تتجزأ، وأن أي جزء من القارة لم يعد منفصلا عن محيطه، بل أصبح قلبا نابضا وقاعدة لتحرير بقية الأقاليم من السيطرة الاستعمارية (٤٥).

أشار جمال عبد الناصر في مؤتمر القاهرة عام ١٩٦٧ إلى أن مجرد انعقاد القمة الإفريقية لا يعني بالضرورة تجاوز التردد أو التخلي عن أشكال المساومة والتشهير، بل يعكس استعدادًا أوليًا لتحمل مسؤولية التحرك الإيجابي في مرحلة اتسمت بتكاثر أعداء إفريقيا، إذ ركز القادة الأفارقة جهودهم على حصر إمكاناتهم ضمن مواقف دفاعية، وتثبيت مواقعهم في ظل أوضاع من العزلة والفرقة، غير أن تطورات الأوضاع داخل القارة الإفريقية منحت إفريقيا أملًا متجددًا في استعادة زمام المبادرة، وفتحت المجال أمام دور إفريقي أكثر فاعلية في مواجهة التحديات المشتركة (٤٦).

تزامن ذلك مع توسع العمليات العسكرية لحركة فريليمو، واتساع رقعة الكفاح المسلح ضد الوجود الاستعماري البرتغالي، ولم يكن تضخيم حجم هذه العمليات ناتجًا عن الدعاية الثورية بقدر ما ارتبط بضعف السيطرة البرتغالية على مساحات واسعة من الأراضي، ولا سيما في المناطق المحررة وشبه المحررة، ففي تشرين الأول عام ١٩٦٧ نشرت صحيفة "أوكوميتي" الناطقة باسم اللجنة الثورية الموزمبيقية بيانات أكدت أن قوات فريليمو تمكنت من تصفية نحو خمسة آلاف جندي برتغالي، وتدمير أكثر من ثلاثمئة آلية عسكرية، وإسقاط اثنتين وعشرين طائرة، إضافة إلى تخريب عدد كبير من المواقع العسكرية وشبكات الطرق والجسور، وهي عمليات امتدت على مدى ثلاث سنوات متواصلة من الكفاح المسلح، وقد عززت هذه الأرقام تقارير صادرة عن مركز الرئاسة العامة لفريليمو في دار السلام، رغم ما شابها من تشكيك برتغالي ومحاولات التقليل من أثرها (٤٧).

وفي هذا السياق، برز الدور الخارجي الداعم لفريليمو، إذ أظهرت الشهادات أن عددًا من المدربين العسكريين الذين أسهموا في إعداد مقاتلي الجبهة جاءوا من دول اشتراكية صديقة، ولا سيما الصين وكوبا ومصر ، فضلًا عن مدربين من دول شرق أوروبا، كما كشفت لقاءات رسمية عقدها قادة فريليمو، من بينهم زعيم الجبهة موندلاني، في آذار عام ١٩٦٨ أمام معهد العلاقات الدولية ومعهد الملكي للعلاقات الإفريقية، عن أن الجبهة باتت تسيطر فعليًا على ما يقارب خمس مساحة موزمبيق، وهي منطقة يقطنها نحو مليون ونصف نسمة من أصل سبعة ملايين، وهي مساحة تعادل تقريبًا مساحة البرتغال نفسها، ومع ذلك لم يكن في مقدور فريليمو فتح هذه المناطق أمام لجان التفتيش الدولية أو إعادة ضمها إداريًا، إذ بقيت نحو خمسة وثلاثين ألف لاجئ موزمبيقي في تنزانيا تحت رعاية اللجنة العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة (٤٨).

دخل الدور المصري في دعم الثورة الموزمبيقية بعد عام ١٩٦٧ مرحلة أكثر تعقيدا، إذ تزامن مع تصاعد العمليات العسكرية لفريليمو داخل موزمبيق، واتساع رقعة المناطق المحررة، في وقت كانت فيه

مصر تواجه تحديات إقليمية كبرى عقب حرب حزيران ١٩٦٧، ومع ذلك لم تتخل القاهرة عن التزامها بدعم حركات التحرر الإفريقية، وعدت استمرار مساندة فريليمو جزءا من مسؤوليتها التاريخية تجاه القارة وحافظت مصر خلال هذه المرحلة على اعترافها السياسي الكامل بفريليمو ممثلا شرعيا للشعب الموزمبيقي، وواصلت الدفاع عن قضيتها في الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية، معتبرة أن اتساع الكفاح المسلح يفرض مضاعفة الجهد الدبلوماسي لعزل البرتغال دوليا وإبراز طابعها الاستعماري المتعنت [٤٩].

برزت انقسامات حادة بين الأجنحة المختلفة المكونة للجبهة ، ومع ذلك لم يكن بالإمكان إنكار نجاح الجهود التي بُذلت في سبيل توسيع قاعدة التمثيل داخل جبهة فريليمو وتعزيز زعامة موندلاني على مستوى الجبهة، غير أن تلك الجهود واجهت إخفاقًا واضحًا في ترسيخ الوحدة الداخلية بين صفوف الجبهة، وفي نهاية المطاف أدت تلك الخلافات لاغتيال الدكتور إدواردو موندلاني في دار السلام يوم الثالث من شباط عام ١٩٦٩ ، واسهم هذا الاغتيال في تعميق تلك الأزمة، إذ وقع الاغتيال قبل أن تتاح له فرصة كافية للإشراف على استكمال مسار الإصلاحات التنظيمية، وقد توفي موندلاني في الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة صباحًا تقريبًا متأثرًا بانفجار قنبلة وُضعت داخل كتاب، وكان انفجار العبوة ناجمًا عن فتح الطرد الذي احتوى الكتاب، وقد فارق موندلاني الحياة فورًا [٥٠].

أدركت القيادة المصرية أن اغتيال إدواردو موندلاني عام ١٩٦٩ شكل ضربة قاسية لفريليمو، ولذلك حرصت على إظهار تضامن سياسي واضح مع قيادة الحركة الجديدة، ودعمت جهود الحفاظ على وحدة الصف الداخلي ومنع الانقسامات التي كان يمكن أن تقوض مسار الكفاح، وسعت مصر إلى تشجيع فريليمو على تعزيز هياكلها السياسية إلى جانب العمل العسكري، انطلاقا من قناعة بأن النصر لا يتحقق بالسلاح وحده، بل ببناء مؤسسات قادرة على إدارة المناطق المحررة واستقطاب الدعم الشعبي [٥١].

رغم انشغال مصر بتداعيات حرب ١٩٦٧، فإنها واصلت اعتبار إفريقيا الجنوبية جبهة استراتيجية بعيدة المدى، ورأت أن إضعاف الاستعمار البرتغالي يخدم التوازن الدولي ويحد من نفوذ القوى الغربية الداعمة له ، وشهدت هذه المرحلة تكثيفا للتنسيق المصري مع حركات التحرر الأخرى في أنغولا وغينيا بيساو، إدراكا لطبيعة الصراع المشترك مع البرتغال، وقد شجعت القاهرة على تبادل الخبرات بين هذه الحركات وتوحيد خطابها السياسي [٥٢].

مع اقتراب نهاية الستينيات، بدا أن الثورة الموزمبيقية دخلت مرحلة أكثر تنظيما، وقد أسهم الدعم المصري، إلى جانب الدعم الإفريقي والدولي، في تثبيت هذا التحول النوعي، ولم يكن الدور المصري بمعزل عن التحولات الدولية، إذ تزايدت الضغوط على البرتغال مع تصاعد حروب التحرر في مستعمراتها، وقد سعت القاهرة إلى استثمار هذا المناخ الدولي لتعزيز موقف فريليمو [٥٣].

استمرت الاتصالات السياسية بين مصر وقيادة فريليمو حتى عام ١٩٧٠، واتسمت بالثقة المتبادلة، ما مهد لعلاقات إيجابية بعد الاستقلال، وبحلول عام ١٩٧٠، كان الدور المصري قد أسهم في ترسيخ الثورة الموزمبيقية بوصفها حركة تحرر راسخة، قادرة على الاستمرار حتى تحقيق الاستقلال، ما جعل الدعم المصري جزءا لا يتجزأ من تاريخ النضال الموزمبيقي ضد الاستعمار البرتغالي [٥٤].

شهدت مصر في ٢٨ أيلول ١٩٧٠ حدثاً كبيراً شكل تحولاً في سياسة مصر على الصعيدين الداخلي والخارجي ، عندما أصيب عبد الناصر بنوبة قلبيـة ونقل على الفور إلى منزله، وتوفي ناصر بعد عدة ساعات ، وأوقفت كافة محطات الإذاعة والتلفزيون برامجها لتعلن الخبر الصادم ، وجاءت وفاته بمثابة صدمة كبرى للشعب المصري ، وتولى أنور السادات [٥٥] منصب رئيس مصر بعد وفاة عبد الناصر ، والذي كانت له سياسة مختلفة عن سياسة سلفه عبد الناصر [٥٦].

الخاتمة

- أظهرت الدراسة أن الاستعمار البرتغالي في موزمبيق لم يكن مجرد سيطرة إدارية، بل شكل نظامًا استغلاليًا قاسيًا استند إلى القمع العسكري والتمييز الاجتماعي، وهو ما أسهم في خلق بيئة ملائمة لتبلور المقاومة الوطنية وتطورها تدريجيًا حتى وصولها إلى مرحلة الكفاح المنظم.
- بينت الدراسة تطور الحركة الوطنية الموزمبيقية أن تأسيس جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) جاء نتيجة تفاعل عوامل داخلية وخارجية، جمعت بين الوعي السياسي في المنفى وتجارب القمع داخل البلاد، ما منح الحركة طابعًا وطنيًا شاملًا منذ بداياتها.
- أكدت الدراسة أن الدور المصري في دعم فريليمو لم يكن عشوائيًا أو ظرفيًا، بل جاء ضمن رؤية استراتيجية واضحة تبناها النظام المصري في عهد جمال عبد الناصر، ربطت بين دعم حركات التحرر الإفريقية وتعزيز موقع مصر الإقليمي والدولي.
- أسهم الدعم السياسي والدبلوماسي المصري في توفير مظلة شرعية لفريليمو داخل الأطر الإفريقية والدولية، ولا سيما في منظمة الوحدة الإفريقية، الأمر الذي مكن الحركة من تثبيت موقعها بوصفها الممثل الشرعي للشعب الموزمبيقي.
- لعب الدعم العسكري المصري، من خلال التدريب والتأهيل وتبادل الخبرات، دورًا مهمًا في تعزيز قدرات فريليمو التنظيمية والقتالية، وساعدها على الانتقال من مرحلة العمل المحدود إلى إدارة عمليات أكثر اتساعًا وتأثيرًا داخل الأراضي الموزمبيقية.
- كان للإسناد الإعلامي الذي وفرته القاهرة أثر بالغ في تدويل القضية الموزمبيقية، إذ أسهم في نقل معاناة الشعب الموزمبيقي إلى الرأي العام العربي والإفريقي، وربطها بالسياق الأوسع لنضال القارة ضد الاستعمار.

- واجه الدور المصري تحديات وضغوطًا دولية متزايدة، خاصة في ظل تعقيدات الحرب الباردة وتوازناتها، إلا أن مصر واصلت دعمها لفريليمو ضمن حدود الإمكانات المتاحة، مع الحرص على عدم التفريط بثوابت سياستها التحررية.
- شكل اغتيال إدواردو موندلاني محطة مفصلية في مسار الثورة، غير أن الدعم المصري أسهم في احتواء آثار هذه الصدمة، وساعد فريليمو على الحفاظ على وحدتها التنظيمية واستمرارها في الكفاح المسلح.
- أبرزت الدراسة أن السياسة المصرية تجاه موزمبيق جاءت منسجمة مع توجهها العام نحو إفريقيا، إذ سعت القاهرة إلى بناء شبكة علاقات متينة مع حركات التحرر، باعتبارها ركيزة أساسية لنظام إفريقي مستقل عن الهيمنة الاستعمارية.

الهوامش

(١) عبد الحميد زوزو ، تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا واسيا ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ٢٠٠٩ ، ص ١١.

(2) Malyn Newitt, A History of Mozambique, London, Hurst, 1995, PP. 12–15.

(3) Allen Isaacman, Mozambique: The Africanization of a European Institution, Madison, University of Wisconsin Press, 1972, PP. 23–24.

(4) Malyn Newitt, Op. Cit., P. 38.

(5) Malyn Newitt, Op. Cit., P. 71.

(٦) مؤتمر دولي عقد بمدينة برلين الالمانية في ١٥ كانون الأول عام ١٨٨٤ ، واستمرت جلسات المؤتمر لغاية ٢٦ شباط ١٨٨٥ ، شاركت فيه اغلب الامم والدول الاوربية (النمسا والمجر والمانيا البلد المضيف وبلجيكا وايطاليا وهولندا والبرتغال وروسيا وبريطانيا واسبأنيا والسويد والنرويج) ودول اخرى خارج نطاق هذه المجموعة لذلك سمي بالمؤتمر الدولي الاوربي ، اما الدول التي حضرت خارج مجموعة القارة الاوربية هي الدولة العثمانية والولايات المتحدة الامريكية ، وفي الجلسة الأخيرة صدرت قرارات المؤتمر على شكل ميثاق وتضمنت (٣٨) مادة ووقع عليها جميع الحاضرون باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي رفضت التوقيع على الميثاق ، وأهم بنود الميثاق هي حرية التجارة في حوض الكونغو ، وتقاسم النفوذ في المناطق الأفريقية في المستقبل ، للمزيد من التفاصيل ينظر : هربرت فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ترجمة احمد نجيب وهاشم وديع الضبع ، دار المعارف ، القاهرة , ١٩٨٤ ، ص ٦٦٧ ؛ شوقي الجمل , كشف إفريقيا واستعمارها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٤٠٩ .

(7) Leroy Vail and Landeg White, Capitalism and Colonialism in Mozambique, London, Heinemann, 1980, PP. 19–21.

)[8](Allen Isaacman, Op. Cit., PP. 45–46.

)[9](Leroy Vail and Landeg White, Op. Cit., PP. 33–36.

)[10](Malyn Newitt, Op. Cit., PP. 103–104.

)[11](Allen Isaacman, Op. Cit., PP. 61–62.

(١٢) أنطونيو دي أوليفيرا سالازار: رجل دولة برتغالي ، وُلد في ٢٨ نيسان ١٨٨٩ بقرية فيميرو دا بييرا، تلقى تعليمه الجامعي في الاقتصاد والعلوم الاجتماعية بجامعة كويمبرا، شغل منصب وزير المالية عام ١٩٢٨–١٩٣٢، ثم تولى رئاسة مجلس الوزراء ورئاسة الحكومة البرتغالية في المدة ١٩٣٢–١٩٦٨، كما احتفظ بمنصب وزير المالية بالإضافة الى رئاسة الحكومة خلال أعوام ١٩٣٢–١٩٤٠، وأدار السياسة العامة للدولة بسلطة مركزية حتى إبعاده عن الحكم عام ١٩٦٨ بسبب تدهور حالته الصحية، وتوفي في ٢٧ تموز ١٩٧٠ في لشبونة. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Spencer C. Tucker, Cold War A Student Encyclopedia, Volume 1, California, 2008 , PP. 1767 – 1768.

(١٣) ريتشارد جيبسون ، حركات التحرر الافريقية : النضال المعاصر ضد الأقلية ، ترجمة صبري محمد حسن ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٠٧.

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠٧.

)[15](Eduardo Mondlane, The Struggle for Mozambique, Harmondsworth, Penguin, 1969, PP. 23–24.

(١٦) ريتشارد جيبسون ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ .

(١٧) جمال عبد الناصر : سياسي وعسكري مصري، ولد في مدينة الإسكندرية في ١٥ كانون الثاني ١٩١٨، اكمل دراسته الابتدائية والثانوية بالقاهرة ، تلقى تعليمه في مدرسة النحاسين ، اكمل تعليمه في مدرسة حلوان الثانوية، التحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧، شارك في حرب عام ١٩٤٨، شكل تنظيم الضباط الاحرار الذي تمكن من الانقلاب على النظام الملكي في مصر ، اصبح قائدا لثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ التي أطاحت بالملك فاروق ، حولت نظام مصر من ملكية إلى جمهورية ، شغل ناصر منصب نائب رئيس الوزراء في حكومتها الجديدة ، اختير رئيسًا للجمهورية في ٢٥ حزيران ١٩٥٦، توفي في ٢٨ أيلول ١٩٧٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: ب.ج فاتكيوتس، جمال عبد الناصر و جيله، ترجمة: سيد زهران، القاهرة، مؤسسة الاسراء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨؛ عمرو صابح ، جمال عبد الناصر الاضواء والظلال ، القاهرة ، دار الفالوجة للنشر، ٢٠١٩ ؛ بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر: دراسة تاريخية في نشأة وتطور الفكر الناصري، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد/كلية الآداب، ١٩٩٨.

(١٨) حركة عدم الانحياز : تجمع دولي يضم دول كثيرة من الدول النامية، ظهرت إبان الحرب الباردة، وقامت فكرتها على أساس عدم الانحياز لأي من المعسكرين الشرقي والغربي، بزعامة الولايات المتحدة الأميركية، والشرقي بزعامة

الاتحاد السوفياتي، وهدفت إلى إنشاء تيار محايد وغير منحاز مع السياسة الدولية للقوى العظمى في العالم، وتعود فكرتها إلى مؤتمر باندونغ الذي انعقد في إندونيسيا في نيسان ١٩٥٥، لتؤسس الحركةَ عام ١٩٦١ في العاصمة اليوغسلافية بلغراد ٢٩ دولة، وآنذاك دعا الرئيس اليوغسلافي الماريشال جوزيف تيتو الدول النامية إلى اتباع ما عرف وقتها بالطريق الثالث بعيدا عن استقطابات معسكري الحرب الباردة. وانضم زعماء آخرون أبرزهم الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ورئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو إلى رؤية تيتو، ثم انعقدت القمة الأولى للحركة في أيلول ١٩٦١ في بلغراد بحضور ممثلي ٢٥ دولة أسيوية وأفريقية. للمزيد من التفاصيل ينظر : محسن خضر ، ازمة الجنوب وتأثيرها في مستقبل حركة عدم الانحياز، مجلة المعرفة ، السنة التاسعة والثلاثون ، العدد ٤٤٧ ، كانون الأول ، ٢٠٠٠، ص ٥٠ – ٥١ ؛ ناظم رشم معتوق الامارة وعلاء رزاك فاضل النجار ، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من مؤتمر بلغراد لدول عدم الانحياز ١-٦ أيلول ١٩٦١، مجلة دراسات تاريخية، ملحق العدد الحادي والعشرون، كانون الأول ٢٠١٦ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(١٩) محمد فايق ، عبد الناصر والثورة الافريقية ، دار المستقبل العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٥٣.

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٥٣.

(٢١) ريتشارد جيبسون ، المصدر السابق ، ص ٤١١.

(٢٢) الماركسية : مذهب اقتصادي وسياسي واجتماعي ابتدعه كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) يتلخص في إن المجتمعات البشرية ستصبح حتما في مستقبل قريب أو بعيد مجتمعات شيوعية، حيث تكون الثروات والمرافق ملكية مشاعة بين الجميع، فيتناول كل قيمة عملة كاملة، ويجد ما يكفي لإرضاء جميع حاجياتة، الا إن هذه النهاية لن تتحقق إال بفضل الدكتاتورية العمالية، وتقوم الماركسية على أساسين، وهما: المادية الجدلية والمادية التاريخية، وهي تقول بأن المجتمع الرأسمالي يستند إلى استغلال البرجوازية للبروليتاريا. للمزيد من التفاصيل ينظر : صقر الجبالي وأيمن يوسف، قاموس المصطلحات المدنية والسياسية، مركز إعلام حقوق الانسان والديمقراطية ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ١٢٧؛ ياسر العلوي ، معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، المنامة ، ٢٠١٤، ص ٥٥.

(٢٣) كيث روبنز ، تغيير وجه العالم : التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية، ترجمة هبه حاتم، المجموعة العربية للتدريب والنشر ، ٢٠١٧ ، ص ٣٨٠.

(24) Eduardo Mondlane, Op. Cit., P. 68.

(25) A. Clayton, The Wars of French Decolonization, London, Longman, 1994, P. 211.

(٢٦) ريتشارد جيبسون ، المصدر السابق ، ص ٤١٣.

(٢٧) منظمة الوحدة الإفريقية: أُنشأت لتنسيق المواقف السياسية للدول الإفريقية المستقلة وتعزيز التعاون بينها في مواجهة الاستعمار والتمييز العنصري، أُعلنت رسميًا في ٢٥ أيار ١٩٦٣ عقب مؤتمر القمة المنعقد في أديس أبابا ، وضمت عند تأسيسها ٣٢ دولة إفريقية مستقلة، وارتكز ميثاقها على مبادئ احترام سيادة الدول ووحدة أراضيها وعدم التدخل

في الشؤون الداخلية، ودعم حركات التحرر الوطني في القارة. للمزيد من التفاصيل ينظر: نادية المختار ، الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد (٤٤ – ٤٥) ، (كانون الثاني – آذار – حزيران) ١٩٨٢ ، ص ١٣١ .

)[28](Colin Legum, Pan-Africanism, London, Pall Mall Press, 1965, PP. 248-249.

(٢٩) محمد فايق ، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٤٦.

(٣١) حلف شمال الأطلسي : تحالف عسكري تأسس ٤ نيسان ١٩٤٩ وقع وزراء خارجية ١٢ دولة على معاهدة شمال الأطلسي في العاصمة الأميركية واشنطن لإنشاء تحالف عسكري أطلق عليه حلف شمال الأطلسي، ويعبر عنه اختصارا بـ"الناتو" ، وضم عند إنشائه اثنتي عشرة دولة من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، في مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، بهدف إنشاء إطار دفاعي جماعي يقوم على مبدأ أن الاعتداء على أي دولة عضو يُعد اعتداءً على جميع الأعضاء، وذلك في سياق تصاعد التوتر الدولي وبداية الحرب الباردة، وشكل الحلف أحد الأدوات الرئيسة للسياسة الغربية في احتواء النفوذ السوفييتي في أوروبا، وربط الأمن الأوروبي بالأمن الأمريكي، وأسهم في إعادة تشكيل النظام الأمني الدولي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية . للمزيد من التفاصيل ينظر: بيار ميكال ، تاريخ العالم المعاصر ١٩٤٥ – ١٩٩١، ترجمة يوسف ضومط، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٩٣، ص ٩٢ – ٩٦.

)[32](Eduardo Mondlane, Op. Cit., P. 97.

(٣٣) لجنة من المؤرخين المصريين ، جمال عبد الناصر وعصره ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ٢٢.

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٣٦) ريتشارد جيبسون ، المصدر السابق ، ص ٤١٥.

)[37](Eduardo Mondlane, Op. Cit., P. 112.

)[38](Colin Legum, Op. Cit., P. 259.

)[39](Ibid., P. 260.

)[40](Vijay Prashad, The Darker Nations, New York, New Press, 2007, PP. 201.

(٤١) رؤوف عباس حامد وآخرون ، أربعون عاما على ثورة يوليو : دراسة تاريخية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، ١٩٩٢، ص ٢٩١.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩١.

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢.

(٤٤) محمد فايق ، المصدر السابق، ص ٣٦ – ٣٧.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٤١٥.

(٤٦) لجنة من المؤرخين المصريين ، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٤٧) ريتشارد جيبسون ، المصدر السابق ، ص ٤١٦.

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٤١٧.

)49(Eduardo Mondlane, Op. Cit., P. 134.

(٥٠) ريتشارد جيبسون ، المصدر السابق ، ص ٤١٨.

)51(Ibid., P. 158.

)52(Vijay Prashad, Op. Cit., PP. 201–202.

)53(Ibid., P. 213.

)54(Allen Isaacman, Op. Cit., P. 124.

(٥٥) أنور السادات: الرئيس الثالث لجمهورية مصر العربية ، ولد السادات في ٢٥ كانون الاول ١٩١٨ في قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية وتخرج من الأكاديمية العسكرية عام ١٩٣٨ ، انضم إلى حركة الضباط الأحرار التي قامت بالثورة على حكم ملك البلاد وقتها فاروق الأول في عام ١٩٥٢، وتقلد عدة مناصب كبرى في الدولة منذ ذلك الحين مثل منصب وزير دولة في ايلول ١٩٥٤، ورئيسًا لمجلس الأمة من ٢١ تموز ١٩٦٠ إلي ٢٧ ايلول ١٩٦١، ورئيسًا لمجلس للأمة للمدة الثانية من ٢٩آذار ١٩٦٤ إلى ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٨، واختاره جمال عبد الناصر نائبًا للرئيس في ١٩ كانون الاول ١٩٦٩ ، وتولى رئاسة البلاد بعد وفاة الرئيس السابق جمال عبد الناصر ، وفي بداية حكمه نفذ ما يعرف بثورة التصحيح ، وعمل السادات على التحضير لاسترجاع شبه جزيرة سيناء من قبضة (إسرائيل) إثر النكسة في حرب ١٩٦٧ اذ تمكن بإدارته من هزيمة (إسرائيل) بعد ثلاث اعوام من بداية حكمه في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، وحصل السادات عام ١٩٧٨ على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس وزراء (إسرائيل) مناحم بيغن ، إثر توقيع معاهدة السلام في كامب ديفيد ، وهو ما تسبب في ردود فعل معارضة داخل مصر والدول العربية، ما أدى إلى اغتياله في يوم ٦ تشرين الاول ١٩٨١ . للمزيد من التفاصيل ينظر : ساندرا مكي ، الملفات السرية للحكام العرب ، القاهرة ، الدار العالمية للكتب والنشر ، ١٩٩٩ ، ص ٤٥ – ٧٢ .

(٥٦) غالي شكري ، من الأرشيف السري للثقافة المصرية ، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٢٣، ص ٤٨ .

قائمة المصادر

–المصادر العربية

- ب.ج فاتكيوتس، جمال عبد الناصر و جيله، ترجمة: سيد زهران، القاهرة، مؤسسة الاسراء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
- بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر: دراسة تاريخية في نشأة وتطور الفكر الناصري، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد – كلية الآداب، ١٩٩٨.
- بيار ميكال ، تاريخ العالم المعاصر ١٩٤٥ – ١٩٩١، ترجمة يوسف ضومط، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٩٣.
- رؤوف عباس حامد وآخرون ، أربعون عاما على ثورة يوليو : دراسة تاريخية ، مركز الدراسات السياسية
- ريتشارد جيبسون ، حركات التحرر الافريقية : النضال المعاصر ضد الأقلية ، ترجمة صبري محمد حسن ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٢.
- ساندرا مكي ، الملفات السرية للحكام العرب ، القاهرة ، الدار العالمية للكتب والنشر ، ١٩٩٩.
- شوقي الجمل ، كشف إفريقيا واستعمارها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠.
- صقر الجبالي وأيمن يوسف، قاموس المصطلحات المدنية والسياسية، مركز إعلام حقوق الانسان والديمقراطية ، القاهرة ، ٢٠١٤ .
- عبد الحميد زوزو ، تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا واسيا ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ٢٠٠٩ .
- عمرو صابح ، جمال عبد الناصر الاضواء والظلال ، القاهرة ، دار الفالوجة للنشر، ٢٠١٩ .
- غالي شكري ، من الأرشيف السري للثقافة المصرية ، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٢٣.
- كيث روبنز ، تغيير وجه العالم : التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية، ترجمة هبه حاتم، المجموعة العربية للتدريب والنشر ، ٢٠١٧.
- لجنة من المؤرخين المصريين ، جمال عبد الناصر وعصره ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠١٣ .
- محسن خضر ، ازمة الجنوب وتأثيرها في مستقبل حركة عدم الانحياز، مجلة المعرفة ، السنة التاسعة والثلاثون ، العدد ٤٤٧ ، كانون الأول ، ٢٠٠٠.
- محمد فايق ، عبد الناصر والثورة الافريقية ، دار المستقبل العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- نادية المختار ، الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد (٤٤ – ٤٥) ، (كانون الثاني – آذار – حزيران) ١٩٨٢.
- ناظم رشم معتوق الامارة وعلاء رزاك فاضل النجار ، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من مؤتمر بلغراد لدول عدم الانحياز ١–٦ أيلول ١٩٦١، مجلة دراسات تاريخية، ملحق العدد الحادي والعشرون، كانون الأول ٢٠١٦ .

- هربرت فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ترجمة احمد نجيب وهاشم وديع الضبع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ياسر العلوي ، معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، المنامة ، ٢٠١٤.

-المصادر الأجنبية

- A. Clayton, The Wars of French Decolonization, London, Longman, 1994.
- Allen Isaacman, Mozambique: The Africanization of a European Institution, Madison, University of Wisconsin Press, 1972.
- Colin Legum, Pan-Africanism, London, Pall Mall Press, 1965.
- Eduardo Mondlane, The Struggle for Mozambique, Harmondsworth, Penguin, 1969.
- Leroy Vail and Landeg White, Capitalism and Colonialism in Mozambique, London, Heinemann, 1980.
- Malyn Newitt, A History of Mozambique, London, Hurst, 1995.
- Spencer C. Tucker, Cold War A Student Encyclopedia, Volume 1, California, 2008.
- Vijay Prashad, The Darker Nations, New York, New Press, 2007.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

السّياسة الاقتصاديَّة الألمانيَّة في النَّرويج ١٩٤٠–١٩٤٥

German Economic Policy in Norway, 1940–1945

ضياء محمود موسى

PhD Candidate: Dheyaa Mahmood Mosa

جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

University of Baghdad / College of Arts / Department of History

الهاتف: ٠٧٧٠٠٨٩٤٢١٤

البريد الالكتروني:dheamm123@gmail.com

أ. م. د. سحر احمد ناجي

Assistant Professor Dr. Sahar Ahmed Naji

جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

University of Baghdad / College of Arts / Department of History

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

سعت ألمانيا منذ اللحظة الأولى لدخولها النرويج بالسيطرة على الموارد الاقتصادية النرويجية، ومنها خزينة الدولة واحتياطها من الذهب، ولكن كانت الحكومة النرويجية توقعت الأخطار التي تداهمها، فوضعت خطة محكمة من لإخفاء الاحتياطي من الذهب وتهريبه قبل دخول قوات الاحتلال الألمانية للعاصمة النرويجية أوسلو، وتهريبه فيما بعد إلى لندن والولايات المتحدة الأمريكية، وحاولت السلطات الألمانية استغلال الموارد الاقتصادية النرويجية ابشع استغلال، لتمويل قواتها العسكرية المتواجدة في النرويج، ورفد الاقتصاد الألماني بما يحتاجه، فضلا عن بناء شبكة الطرق وسكك الحديد، وبناء تحصينات لقواتها المسلحة، واستغلال مواردها المعدنية لدعم صناعتها الحربية من سفن وطائرات ومعدات عسكرية، وكان جل نفقاتها من البنوك النرويجية، مما اثر سلبا على المواطن النرويجي بارتفاع أسعار السلع والخدمات، وتكفلت النرويج طيلة مدة الاحتلال بنفقات الجيش الألماني، فضلا عن اليد

العاملة الوافدة سواء كانوا اسرى حرب، أو ألمان، وكانت لها اثأر سلبية على الاقتصاد النرويجي.

الكلمات الافتتاحية(الموارد الاقتصادية، الذهب، البنك النرويجي، المعادن، تربوفين)

Abstract:

From the outset of its occupation of Norway, Germany sought to control Norwegian economic resources, particularly the state treasury and gold reserves. Anticipating the threat, the Norwegian government implemented a well-organized plan to conceal and evacuate the gold before the German forces entered Oslo, later transferring it to London and the United States. During the occupation, German authorities extensively exploited Norway's economic resources to finance their military presence and support the German war economy. This included the development of infrastructure, the construction of military fortifications, and the exploitation of mineral resources for war industries. The occupation's financial burdens were largely imposed on Norwegian banks, leading to inflation and rising living costs. Norway also bore the costs of the German army and provided labor, including prisoners of war, resulting in lasting negative impacts on the Norwegian economy.

Keywords:

(Economic resources, Gold, Norwegian Bank, Minerals, Terboven)

أوّلًا: إنقاذ الذَّهب النَّرويجي.

توجهت القوات الألمانيَّة فور دخولها النَّرويج مباشرة إلى البنك المركزي النَّرويجي للسيطرة على خزينة الدولة من الذَّهب، ولم تعثر على السبائك الذهبية، إذ قامت الحكومة النَّرويجية بنقله إلى مكان آخر، في بداية عام ١٩٤٠، فعند قيام ولطبيعة الظروف الدولية، وكإجراء احترازي قامت الحكومة النَّرويجية في وقت سابق بتعبئة الذَّهب بصناديق مطلية باللون الأبيض، ومختومة بشريط حديدي، وتعبئة العملة المعدنية ببراميل، وكانت قيمة الذهب تقدر بـ (٤٢١) مليون كرونة، وترك قسم من الذهب في البنك بقيمة (١٢٠) مليون كرونة، كون القانون النَّرويجي لا يسمح بنقل جميع الخزينة، ونقل بوساطة السُّفن النَّرويجية بأمان إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحاولت الحكومة النَّرويجية نقل العملة الورقية، إلّا أن وتيرة الحرب، وتسارعها منعت ذلك.(Pearson, Robert, 2015, p. 41)

ففي الساعات الأولى من صباح اليوم التّاسع من نيسان من عام ١٩٤٠، وعند تأخر الألمان دخول العاصمة النَّرويجية أوسلو، نبهت الحكومة النَّرويجية بضرورة إنقاذ السبائك الذهبية في البنك المركزي النَّرويجي، وخوفهم من سيطرة الألمان على الأموال لتمويل آلة الحرب الخاصة بهم (Derry &

(Gjelsvik, 1979, P. 58)، وتعاونت القوات المسلحة النَّرويجية، وموظفي البنك لإنقاذ الذهب المتبقي، وتم الاتصال بمدير بنك ليليهامر (Lillehammer)، والتي تبعد نحو (١٨٠) كم شمال أوسلو، وإعلامه بتهيئة المكان، واستعداده لاستلام الذهب، وحمل الذهب بـ(٢٦) شاحنة باتجاه ليليهامر، وغادرت أوّل شاحنة الساعة (٨:١٥) من صباح اليوم التّاسع من نيسان، وغادرت آخر شاحنة محملة بالذهب من البنك الساعة (١:٣٠) مساء اليوم نفسه، ووصلت آخر شاحنة إلى ليليهامر في الساعة (٨:٠٠) مساءً من ذلك اليوم، وحفت عملية النقل مخاطرة عبر طرق وعرة وثلجية، وكان وزن حمولة الأموال (٥٣) طنًا، ووزن الذهب وحده حوالي (٤٩) طن بما يعادل نصف مليار دولار، وكان عدد صناديق الذهب (٨١٨) صندوقًا كبيرًا، و(٦٨٥) صندوقًا صغيرًا، و(٣٩) برميلًا تطابقت أرقامها مع أرقام البنك، ومختومة بالشمع الأحمر(Pearson, Robert, 2015, p. 42).

بقى الذهب في ليليهامر لمدة (١٠) أيام، وعندما اقترب الألمان قررت الحكومة النَّرويجية المتواجدة هناك ضرورة نقل الذهب إلى مكان آمن، وبعيد عن قوات الاحتلال الألمانيّ، فنقل بوساطة شاحنات إلى محطة قطار ليليهامر، والتي تقع شرق النَّرويج إلى ميناء أندالسنيس (Andalsnes)، والذي يقع شمال غرب مدينة ليليهامر على بعد حوالي (٢٦٠) كم في التّاسع عشر من نيسان من عام ١٩٤٠، وأصبح الميناء هدف القوات الجوية الألمانيَّة، ونقلت الوجبة الأولى من الذهب إلى لندن في سفينة بريطانية والبالغ وزنها (١١) طن، أمّا صناديق الذهب والبالغ عددها (١٣٠٣) صندوق وبرميل نقلت بوساطة شاحنات إلى مدينة مولدي (Molde)، والتي تبعد نحو (٥٥ كم) (Udgaard, 1973, p. 23)عن أندالسنيس، ولجأ الملك والحكومة في الوقت نفسه إلى مولدي، مما أدى إلى تعرض المدينة لقصف الطيران الألمانيّ، وغادر الملك وحكومته إلى مدينة ترومسو شمال النَّرويج (The Washington Post, 1940, p. 3) ، إذ جاءت سفينة حربية بريطانية، وشُحن الذهب في ظروف قاسية جدًا، ونقلت الوجبة الثّانية من الذهب البالغ حجمها (٢٧) طن في الثلاثين من نيسان من العام نفسه إلى لندن (Pearson, Robert, 2015, p. 42).

كافح النَّرويجيون بالحفاظ على الذهب المتبقي في مدينة مولدي والبالغ (١٥) طن، وتم نقله في سفينة نرويجية قديمة، فكانت هدفًا سهلًا للغواصات الألمانيَّة، ونقل بعد ذلك بقوارب صيد شمالًا إلى ترومسو، ومنها إلى لندن، وكان النَّرويجيون على تواصل مع السلطات البريطانيَّة، ولم يتم تحميل الذهب إلّا بعد قطع مسافة (٥٠٠) ميل، واستغرقت عملية إنقاذ الذهب ونقله أربعة أشهر، منها شهرين ونصف تحت الاحتلال الألمانيّ، وقطع مسافة تقدر بـ (٦٠٠) ميل بعد وصول آخر وجبة من الذهب إلى لندن

بأمان، وبعدها نقل الذهب إلى الولايات المتحدة وكندا لحفظه، واستعملت الحكومة النَّرويجية تلك الأموال فيما بعد لتمويل المقاومة النَّرويجية الداخليَّة والخارجيَّة (Hauge & Hartmann, 1954, p. 13).

ثانيًا: السَّيطرة على الموارد الاقتصاديَّة.

كانت النَّرويج قبل الحرب جزءًا من اقتصاد دولي مفتوح أمام التجارة العالميَّة لكثير من بلدان العالم، ثم سحبت فجأة إلى منطقة اقتصادية تسيطر عليها ألمانيا تحت الاحتلال، والتي كانت لها كلمة الفصل. وضع الاحتلال الألماني حدًا للاقتصاد النَّرويجي واقتصرت تجارة النَّرويج على المناطق التي سيطر عليها الألمان، والدول الإسكندنافية، وقطعت تجارة النَّرويج مع الدول الغربية، واختفت بريطانيا التي كانت شريك تجاري رئيسي بالنسبة للنرويج، وأمّا ألمانيا التي كانت في المرتبة الثّانية قبل الحرب أصبحت المتحكم في كل مقدرات النّرويج السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، طيلة الحرب (Grimnes, Ole Kristian, 2022, P. 23) .

واجه اقتصاد النَّرويج ذلك البلد الصغير ضغطًا كبيرًا أكثر من أي دولة محتلة أخرى، إذ كان في النَّرويج أكثر من (٣٥٠,٠٠٠) ألف جندي ألماني، أي ما يقارب (١٠%) من سكان النَّرويج، ويحتاج ذلك العدد الكبير من الجنود إلى طعام وثكنات عسكرية تأويهم، ولاسيما في فصل الشّتاء، مما جُير الاقتصاد النَّرويجي بالكامل للوجود العسكري الألماني، والأنشطة العسكرية لتأمين مجهودها الحربي من مواد غذائية، أو معادن استراتيجية وخامات (Klemann, Hein; Kudryashov, Sergei, 2012, p. 210).

وعند دخول القوات الألمانية وجدت متاجر مليئة بالبضائع، والسلع، ونتيجة للطلب المتزايد على تلك البضائع أدى إلى تضائلها من السوق؛ لأنَّ أسعارها كانت أقل مقارنة عما موجود في ألمانيا في الأشهر الأولى من الحرب، وبدت النَّرويج وكأنَّها جنة للمتسوقين بالنسبة للجنود الألمان، إذ اشترى الجنود الألمان البقالة، والمواد التي تم تقنينها في ألمانيا، واستمر الجنود الألمان في الإنفاق بشراء كل ما يمكنهم الحصول عليه بشكل عشوائي، وأرساله إلى عوائلهم في ألمانيا، وتم إفراغ الأسواق النَّرويجية بالكامل، ومع استفادة المنتجون، وأصحاب الأعمال من ارتفاع الطلب، ولكن سبب ذلك استياء واسع النّطاق على معظم الطبقات الاجتماعية الأخرى (Bohn, Robert, 2000, P. 246) ، مما دفع السلطات المحتلة تقنين الخبز، والدهون، والسكر، والقهوة، والكاكاو، والبيض، واللحوم، ومنتجات الألبان، وأصبح من الصعب الحصول على الملابس، والأحذية، والمستلزمات الطبية، والوقود، ومواد البناء، كل تلك الظروف أجبرت النَّرويجيين على المقايضة، أو الشِّراء بأسعار مبالغ فيها إلى حدٍ كبير في السوق السوداء، وعلى الرغم من كل تلك الظروف لكن لم يعانِ النَّرويجيون من المجاعة، ولكن أصبحت وجباتهم الغذائية فقيرة،

وبالتالي أدى إلى سوء تغذية، وارتفاع الأمراض المعدية، ودفعت تلك الأوضاع إلى تفاقم التوترات بين النَّرويجيين والألمان (Hjeltnes, G., 1986, p. 100) .

عارضت سلطات الرايخ، والسلطات النَّرويجية الطريقة التي اتبعها الجيش الألماني في عملية الشراء، والانقضاض على الأسواق، والمنتجين النَّرويجيين دون أي شكل من أشكال التنظيم، ودفعهم الأموال التي تلقُوها من البنك النَّرويجي، وهذا ما سعت إلى تجنبه مفوضية الرايخ، والسلطات النَّرويجية حتى يتمكنا من التحكم في الإنتاج، والسوق، والأسعار، واتفقت مديرية التموين والتقنين النَّرويجية مع مفوضية الرايخ أنْ تحاسب المديرية المخالفين بين الحبس، والغرامة من النَّرويجيين الذين حاولوا كسب المال عن طريق بيع المنتجات مباشرة إلى الألمان، وكما رفضت احتكار السلع، والخدمات، وبيعها في السوق السوداء، والذي يؤثر سلبًا بارتفاع أسعارها، وبالتالي يتضرر السواد الأعظم من عامة الشعب النَّرويجي (Grimnes, Ole Kristian, 2022, P. 23)

سعت سلطات الاحتلال إلى الحصول على المعادن والخامات النَّرويجية المهمة لصناعة الأسلحة، وأصبحت النَّرويج واحدة من أهم الموردين الرئيسيين لألمانيا من البيريت، والكبريت(كبريتيد الحديد)، فضّـلًا عن خامات الحديد الكبيرة، وأوكسيد التيتانيوم، والنحاس، والزنك، والرصاص، وحافظت على صادرات كبريتيد(البيريت) على مستوى عالٍ، وبمعدل (٨٠-٩٠%) من صادرات ما قبل الحرب طيلة مدة الاحتلال، وكانت متفاوتة بين (٦١٦,٠٠٠) طن عام ١٩٤١، و(٤٧٢,٠٠٠) طن عام ١٩٤٤، وانخفضت صادرات خام الحديد بصورة كبيرة من بين الخامات الرئيسة من (١,٢) مليون طن في أواخر الثلاثينيات، إلى (٠,٢٤) مليون طن في عام ١٩٤٤، وكذلك انخفضت معظم صادرات المعادن ماعدا خام الفيروسيليكون، والذي يحتوي على نسب عالية من السيليكون، والحديد، وبعض العناصر مثل الألمنيوم، والكالسيوم الذي يستعمل في صناعة الأسلحة، وصناعة الحديد والصلب (Statistisk Sentralbyrå, 1949, p. 96) .

وضعت سلطة الاحتلال الألماني مصانع التعدين لإنتاج المعادن تحت تصرفها جميعها خدمة لصناعتها العسكرية، وشمل الأمر كذلك الصناعات الكيميائية النَّرويجية القادرة على إنتاج المتفجرات، وصناعة الأسلحة، وأحواض بناء السفن البحرية، ومحطات الطاقة، وبذلت ألمانيا قصارى جهدها لتأمن وسائل الدفع النَّرويجي، واستعمل الألمان طريقتين لتحقيق تلك الغاية: الأولى فرضت على النَّرويجيين دفع مبالغ تكاليف الحرب أي جزية حرب حقيقية بحجة الحفاظ على جيش الاحتلال الألمانيّ، والثّانية نظام التَّطهير المالي أي تحويل الاقتصاد النَّرويجي بالكامل لصالحهم عن طريق استغلال الموارد

الاقتصادية، والاستيلاء على الشّركات، والممتلكات اليهودية (Trial of Major War Criminals, 1948, vol. I, p. 219) .

أهتم الألمان بصورة كبيرة بالمناجم النَّرويجية التي أنتجت خامات مهمة للصناعة الألمانيَّة، ولاسيما صناعة الصهر، وصناعة المعادن التي خُصصت لصناعة الأسلحة العسكرية، وشملت المواد الخام المصدرة إلى ألمانيا العديد من الخامات، والمعادن، والسبائك الحديدية (The Scotsman, 1942, p. 2)، ومن أهم تلك الخامات النحاس، والحديد، والبيريت، والكبريت لصنع حامض الكبريتيك اللازم لصنع المتفجرات (Grimnes, Ole Kristian, 2022, P. 23) ، فضّلًا عن الألمنيوم الذي كان يُستعمل لصناعة الطائرات كونه معدن خفيف(Andersen, Ketil Gjølme, 2005, p. 396)

وسيطر الألمان على أهم منشأة حيوية في النَّرويج، وهي محطة الماء الثقيل في فيمورك (Vemork)، منطقة جبلية تقع في جنوب النَّرويج غرب العاصمة أوسلو على بعد (١٨٠ كم) تابعة لمقاطعة تليمارك، وهي المحطة الوحيدة في العالم آنذاك التي تنتج على نطاق تجاري المادة المعروفة باسم الماء الثقيل (اليورانيوم) لأنَّ الماء الثقيل كان العنصر الرئيسي في جهد ألمانيا السري لإنتاج قنبلة ذرية، وكانت المحطة في بداية الاحتلال تنتج (١٠ كغم) من الماء الثقيل شهريًا، ويحتاج الألمان لكمية من الماء الثقيل تصل إلى خمسة أطنان، أي إنتاج بمعدل (١٠٠ كغم) شهريًا من الماء الثقيل، وتسائل النَّرويجيون لغاية كم من الوقت تريد ألمانيا إنتاج (١٠٠ كغم) في الشهر؟، فلم يكن هناك تاريخ نهائي لحاجتها من الماء الثقيل، وتلقى النَّرويجيون إجابات مراوغة من لدن الألمان، وزار علماء ألمان موقع المحطة مرات عدة من أجل زيادة إنتاجها إلى (١٣٦٤ كغم) سنويًا، وكشفت نوايا الألمان من المخابرات البريطانية، وبالتعاون مع النَّرويجيين، ودمرت في السّابع والعشرين من شباط من عام ١٩٤٣ محطة الماء الثقيل، دون أنْ تحقق ألمانيا حلمها بتخصيب اليورانيوم لإنتاج القنبلة النووية (Petrow, Richard, 1974, pp. 138–142) .

وأصبحت النَّرويج محط اهتمام ألماني كبير، إذ أعلن هتلر في آب من عام ١٩٤١ قائلًا: "**يومًا ما ستكون النَّرويج مركزًا كهربائيًا لشمال أوروبا**"، لما تتمتع به من شلالات وأنهار، وتحقيقًا لتلك الغاية أُنشئت هيأة ألمانية نرويجية في كانون الأوّل من عام ١٩٤١ للإشراف على الطاقة الكهرومائيَّة في محطة تاين للطاقة الكهرومائيَّة، والتي تقع في منطقة أوردال في غرب النَّرويج لإنتاج طاقة قدرها (١٠) ملايين كيلو واط، وكذلك شمل تخطيط المشروع محطات كثيرة لتعزيز صناعة الألمنيوم، ونقل الجزء الأكبر من تلك الطاقة عن طريق الكابلات إلى ألمانيا، وكانت جزء من مشروع ألماني – نرويجي ضخم لإنتاج الطاقة(Claasen, Adam R. A., 2001, p. 141) .

نظرًا لما تمتلكه النَّرويج من معادن هامة في الصناعة الألمانية، ولاسيما المعادن الخفيفة التي تدخل في صناعة الطائرات قرر قائد القوة الجوية هيرمان غورينغ إنشاء معملًا لانتاج المعادن الخفيفة من أجل استعمال الطاقة الكهرومائية من شلالات النَّرويج(The Washington Post,., 1940, p. 3) ، ولزيادة إنتاج الألمنيوم في البلاد إلى (١٨٠) طن في عام ١٩٤٣، والقضاء على نقص الألمنيوم في صناعة الطائرات الألمانية، وبالتالي تمكنها من كسب الحرب ضد الحلفاء، عن طريق استغلال المعدن النَّرويجي، فضـلًا عن نقل خام (البوكسيت) من فرنسا، والمجر، وكرواتيا إلى النَّرويج، وكان برنامج المعادن الخفيفة أكبر مشروع صناعي لألمانيا النازية في أي من البلدان المحتلة لتطوير سلاح الجو الألماني، وتألفت تحالفات من شركات ألمانية، ونرويجية مثل شركة (NorskAluminiumwewke) المختصة بصناعة الألمنيوم، وشركة (Hydro Norsk) الضليعة في إنتاج النيتروجين بواسطة الطاقة الكهرومائية، وبعد أنْ أُنجز المشروع، وتم الاستعداد للإنتاج التجريبي، قامت الطائرات الأمريكية في الرّابع والعشرين من تموز من عام ١٩٤٣ بقصف المصنع، ودمرته بالكامل وخلفت (٥٥) قتيلًا ((Storeide, Nette H., 2014, p. 402) .

إذا كانت مصانع المعادن النَّرويجية جزءًا من الاقتصاد الألماني، فأنَّ الأسماك شكلت نصف وارداتها من النَّرويج بين عامي ١٩٤٣– ١٩٤٤، وكانت الصادرات النَّرويجية من الأسماك غاية في الأهمية بالنسبة لألمانيا لتعويض نقص البروتين من اللحوم، والمنتجات الزراعية الأخرى، التي تضاءلت بصورة كبيرة، وتلقت ألمانيا ما يقارب نسبته مائة في المائة من الأسماك المعلبة من النَّرويج، والتي كانت وجبات غذائية رئيسة للجنود الألمان، وطور الألمان صناعة الأسماك بتجميدها، والاستغناء عن الطرق التقليدية التي كان يتبعها النَّرويجيين طريقة الملح والتجفيف(Grimnes, Ole Kristian, 2022, P.113) .

أصبحت النَّرويج المصدر الرئيسي للأسماك لألمانيا، وعدت المنتجات السمكية أهم منتج تصديري إلى جانب المعادن، والخامات المختلفة، وكلاهما مثل (٣٠–٤٠%) من إجمالي الصادرات، وحددت أسعار معظم الصادرات ماعدا المنتجات السمكية، وطالبت السلطات الألمانية بارتفاع أسعار المنتجات السمكية لتشجيع الصيادين على زيادة مبيعاتهم إلى الجيش الألماني، وتصدير الفائض إلى ألمانيا، وأدى ذلك إلى اختلال في أسعار الأسماك بالنسبة للمواطن النَّرويجي الذي كان يحصل على الأسماك بأسعار أقل مما يدفعه الألمان، وخلق ذلك بدوره صعوبة لمديرية تحديد الأسعار النَّرويجية في السيطرة على الأسعار، وتحفيز الصيادين بأسعار منخفضة(Bohn, Robert, 2000, P. 276) .

على الرغم من أنَّ النَّرويج كانت المصدر الرئيسي للأسماك لألمانيا ألّا أنَّ صيد الأسماك إنخفض في السنوات الأخيرة من الحرب، إذ هبط من (١,٢) مليون طن سنويًا إلى (٠,٨) طن، وعند حساب مبيعات الأسماك غير المسجلة إلى الجيش الألماني، ومن خلال مبيعات السوق السوداء أرتفعت أسعار الأسماك كثيرًا وذلك لارتفاع أسعار الوقود المخصصة لسفن صيد الأسماك، وتوجه الصيادون إلى أعمال البناء والتشييد التي ارتفعت أرباحها، فضلًا عن المخاطرة التي تلقاها الصيادون بسبب الألغام، أو هجمات الحلفاء، فاتجه أرباب السفن إلى تلك الأعمال وأدى بالتالي إلى ارتفاع أسعار الأسماك في الأسواق، وحاجة الألمان إلى خدمات النقل البحري، فجند كثير من قوارب الصيد الكبيرة كسفن شحن للاحتلال سواء طواعية، أو بالإكراه، وبالتي أدى إلى ارتفاع فاحش بأسعار الأسماك بسبب نقص المعروض، وزيادة طلب الجيش الألماني المتواجد في النَّرويج، فضلًا عن الاستهلاك المحلي(Bergverkenes landssammenslutning, 1957, pp. 52–54).

حظرت الحكومة النَّرويجية قبل الحرب العالمية الثّانية أي زيادة في الأسعار، ولا يمكن زيادة مستوى الأرباح الإجمالية المقاسة بالكرونة النَّرويجية الثابتة، ولا بالقيمة النسبية، أو فرض أسعار غير مقبولة، وبعد الاحتلال الألماني تركت مسؤولية تفسير تلك المفاهيم للمحاكم التي تحدد مفهومها القانوني، ومن القرارات التي فرضتها المحكمة العليا في تشرين الأوّل من عام ١٩٤٠ للحد من ارتفاع مستوى الأسعار والتلاعب بها، ومن الأمثلة عن قرارات تلك المحكمة، إذ حُكم على تاجر جملة نرويجي بالسجن لمدة (٤٥) يوم، وغرامة قدرها (٣٠٠٠) كرونة لقيامه ببيع البطاطا للمستهلكين النَّرويجيين فوق الحد الأقصى للسعر لتغطية تكاليفه، وتحقيق ربحًا نسبيًا(Espeli, Harald, 2011, PP. 559–584) .

استعمل الألمان للتعاملات المالية عملة خاصة أطلقوا عليها اسم أوراق مكاتب، أو بنوك (Reichkreditkassenscheine) لدفع ثمن السلع، والخدمات للنَّرويجيين، والتي تتعارض مع العملة النَّرويجية، وافق البنك النَّرويجي بداية على ذلك النظام، وبعد مدة قصيرة رفض البنك التعامل مع عملة مفوضية الرايخ لكونها غير مدعومة اقتصاديًا، وما كان أمام البنك النَّرويجي إلّا وضع الأوراق النقدية النَّرويجية تحت تصرف الألمان، أو فقدان السيطرة على الشؤون المالية للبنك، وبالتالي أبقت سلطات الاحتلال على التعامل بالكرونة النَّرويجية، وربطها بالمارك الألماني بسعر صرف غير عادل (١ مارك = ٠,٦ كرونة) مما جعل الاقتصاد النَّرويجي لصالح ألمانيا(Trial of Major War Criminals, 1948, vol. I, p. 230).

أعطى البنك المركزي النَّرويجي السلطة الألمانية تفويضًا مطلقًا لسحب الأموال لسد نفقات الاحتلال، وتمويل الجيش الألماني، وأنشطة البناء الضخمة في جميع أنحاء البلاد، وطبق البنك

النَّرويجي الاستراتيجية العامة للمجلس الإداري المعين من سلطة الاحتلال، وكان من ضمن تعليمات المجلس إلى الشَّعب النَّرويجي: الحفاظ على الهدوء، والامتناع عن التخريب، وفسح المجال لعجلة الاقتصاد أنْ تدور من أجل تجنب السكان مشقة العيش(Espeli, Harald, 2011, PP. 559) ، وكان موقف البنك المركزي النَّرويجي متكيفًا مع المحتلين، ومتوافقًا مع الاتفاقيات الدولية على وفق إتفاقية لاهاي، واحترام قوانين وأعراف الحرب البرية والبحرية، وعلى البلدان المحتلة أنْ تدفع النفقات مقابل إدارة البلاد، وإعالة قوات الاحتلال(Scherner, Jonas, 2015, PP. 43–46) .

وبدأت القوات العسكرية الألمانية بسحب أموال بكميات كبيرة من البنوك النَّرويجية، ليس فقط لدفع رواتب الجنود وأعاشتهم، وإنَّما من أجل برنامج البناء الألماني لأنَّ القوات المسلحة كانت تملك تفويضًا من هتلر، ولاسيما ما يرتبط ببرنامج التوسع العسكري، وعمليات البناء، والتحصينات العسكرية، إذ بلغت ميزانية النَّرويج أثناء الاحتلال نحو (٧١٤) مليون كرونة، وسحب الألمان من البنك النَّرويجي أكثر من ذلك المبلغ، مما سبب قلقًا وخوفًا كبيرين لدى مديري البنوك، والخبراء الاقتصاديين، ومفوضية الرايخ، من تضخم سريع، وعقدت كثير من الاجتماعات في كل من النَّرويج، وألمانيا، فضلًا عن ممثلين من الجيش الألماني، ووزارة المالية الألمانية، ووزارة الاقتصاد، وبنك الرايخ الألماني، وحاول الخبراء حساب مقدار تكاليف الاحتلال التي يمكن أنْ يتحملها الاقتصاد النَّرويجي، وأقترح (٥٠٠) مليون كرونة سنويًا، ولكن لم تلتزم مفوضية الرايخ بذلك المبلغ، واستمرت بسحب الأموال شهريًا(Grimnes, Ole Kristian, 2022, P.117) .

ثالثًا: تحويل البنيَّة التحتيَّة النَّرويجية لخدمة المجهود الحربيّ الألمانيّ.

سعت السلطات الألمانية بكل الطرق لاستغلال اقتصاد النذَرويج إلى أقصى حد ممكن، وكان من أولى أولويات سلطة الاحتلال توافر ثكنات لإيواء الأعداد الكبيرة من الجنود الألمان، فضلًا عن برنامج البناء تحت الإدارة الألمانية، والعمل في الغالب من الشركات النَّرويجية، والعمال النَّرويجيين، إذ كان هناك نحو (٥٨٠٠٠) عامل نرويجي يعملون لصالح الألمان موزعين (١٥٠٠٠) للجيش، و(٦٠٠٠) للبحرية، و(٢٠,٠٠٠) للقوات الجوية، فضلًا عن (١٧٠٠٠) يعملون في مواقع البناء لمفوضية الرايخ، فكانت مرحلة انتعاش اقتصادي لأصحاب الشركات وقطاع البناء، ولاسيما تجار الأخشاب لتوافر مصادر الأخشاب من الغابات الكثيفة، وكان تجار الأخشاب القطاع الوحيد من بين القطاعات الأخرى التي أنتجت في الاحتلال أكثر بكثير مما كانت عليه قبل سنوات الحرب، فصنعوا آلاف المواقد للمخيمات الجديدة، وازدهرت صناعة الأثاث، وتزويد الثكنات العسكرية باحتياجاتها من تلك الأثاث(Grimnes, Ole Kristian, 2022, P.113) .

إحتاجت السلطات الألمانية أنشاء شبكة طرق، ومواصلات سكك حديدية في مناطق شمال وجنوب النَّرويج، فضلًا عن التحصينات العسكرية على طول الساحل النَّرويجي، والذي لا يتطلب ثكنات فحسب، بل يحتاج إلى كميات هائلة من مواد البناء لمواقع عسكرية كمواقع المدافع، والمخابئ، والخنادق، والأسلاك الشائكة للجيش، والقوات البحرية والجوية، وبناء قواعد للغواصات، ومرافق الموانئ، وأحواض بناء السفن التي استعملها الألمان لبناء السفن وإصلاحها، وإحتاج البرنامج الألماني للبناء، والتشييد إلى التمويل، ومواد بناء، والى عمالة، فتحملت النَّرويج في السنة الأولى من الاحتلال ضغوط اقتصادية كبيرة، وكان الضغط أقوى بعد غارات الحلفاء عام ١٩٤١، وكان لا بُد من زيادة التمويل من ألمانيا؛ كون الاقتصاد النَّرويجي لا يحتمل كل تلك الضغوطات المالية (Beton und Tiefbau Mast Aktiengesellschaft, 1955, p. 117).

كلف هتلر الشركات الألمانية في أيلول من عام ١٩٤١ بمد خط سكة حديد إلى بيتسامو(Petsamo)، وهي منطقة تقع شمال فنلندا بين النَّرويج، والاتحاد السوفيتي سابقًا؛ لربط شمال فنلندا بميناء بيتسامو على بحر بارنتس لنقل المعادن المستخرجة من تلك المنطقة، ولأهمية المنطقة من الناحية العسكرية، إذ تعد منفذًا بحريًا خاليًا من الجليد لاستمرار الإمدادات الألمانية حتى في فصل الشتاء، وبعد فحص المنطقة بالطيران وجدت الشركات الألمانية صعوبة تنفيذ ذلك المشروع؛ كونه من المشاريع طويلة الأمد إلى ما بعد الحرب، ويحتاج ميزانية ضخمة، مما يؤثر سلبًا في استقرار النَّرويج، وبعد أنْ قدمت الشركات وجهات النظر لهتلر أسقط المشروع من حساباته (Andersen, Steen, 2011, p. 210).

جذب تربوفين انتباه هتلر بعد فشل مشروع سكة حديد فنلندا إلى خط يربط كيركينيس(Kirkenes)، وبيتسامو، والتي تبعد عن أوسلو نحو (٢٥٠٠ كم)، وكان جزء من الجهود الألمانية لتعزيز الوصول إلى الموارد الطبيعية، وتأمين طرق إمداد استراتيجية في الشمال، وكان من أكثر المشاريع إثارة في النَّرويج المحتلة؛ لأنَّ شبكة السكك الحديدية النَّرويجية إنتهت على بعد بضعة كيلومترات من تروندهايم، فإنَّ تمديدها إلى بلدة كيركينيس تقطع مسافة أكثر من (١٢٠٠ كم) في منطقة شبه قطبية، وأرض جبلية، ومستنقعات، فكانت فكرة مد سكك الحديد إلى تلك المنطقة من القوات العسكرية(Bohn, Robert, 2000, PP.363-365) .

ومن مزايا ذلك الخط الجمع بين الاعتبارات الاستراتيجية، وهي تسهيل وزيادة حركة القوات الألمانية، واقتصادية للوصول إلى الموارد الطبيعية في شمال أوروبا، وهو ضمن خطة مقترحة سكة حديد من أوسلو إلى مورمانسك، وحتى سانت بطرسبورغ (Andersen, Steen, 2011, p. 207)، واقترح تربوفين

توسيع السكة لتصل إلى نارفيك باستثناء المنطقة الجبلية الوعرة بين نارفيك، ونوردريسه(Nordreisa) من المشروع، ونقل القوات العسكرية والإمدادات في تلك المنطقة من نوردريسه عبر البحر إلى كيركينيس، ووضعت لذلك المشروع مدة زمنية في غضون عامين، واقتنع هتلر في تنفيذه، وأمرهتلر بتوسيع سكة الحديد بمسار أحادي الجانب من فاوسكي (Fauske)، والتي عدت نقطة إنطلاق عبر نارفيك إلى كيركينيس، والتي مثلت نقطة استراتيجية لخامات النيكل المهمة لألمانيا المستخرجة من مناجم كولا الفنلندية، وتولت شركة بناء، وتشغيل السكك الحديدية المحدودة الألمانية، مع شركات أخرى، مهمة تنفيذ المشروع الضخم (The Scotsman, 1942, p. 2) ، وتعهدت مفوضية الرايخ في النَّرويج أنْ توفر جميع الإمكانيات اللازمة لتنفيذ المشروع، وتم إرسال فرقة من (١٦٩) طوبوغرافيًا في الثّاني من أيار من عام ١٩٤٢ للقيام بالمسح الخطي، ورافق الطوبوغرافين مجموعة من المختصين، وأساتذة الجامعات الهندسية والتقنية من فيينا، وبرون، ودانزيج، وتوفرت جميع الإمكانيات اللوجستية من الآت، والمعدات، وقوة العمل، وأرسلت القيادة العسكرية العليا للنرويج نحو (١٠٠,٠٠٠) أسير حرب سوفيتي للعمل في مشاريع البناء الألمانية في النَّرويج

. (Daub Walter, 1942, P. 15)

وقامت الشركات المكلفة ببناء السكك الحديدية بجولة إلى شمال النَّرويج في الأسبوعين الأولين من حزيران من عام ١٩٤٢ لمناقشة المشروع على أرض الواقع حتى تحدد تكلفته، ومدى كمية الدعم اللوجستي لإنجاز ذلك المشروع، إذ كان طول الخط بين فوسكي وكيركينيس نحو (١٢٠٠ كم) بما في ذلك (٩٠ كم) من الأنفاق، وتتطلب حفر الأنفاق وحدها نقل نحو (٣) ملايين متر مكعب من الصخور، ونقل (١٧١,٢٠٠,٠٠٠) متر مكعب من الأخشاب إلى شمال النَّرويج، وأيدي عاملة تقدر بـ(١,٧) مليون، ويكون الخط بأكمله شمال الدائرة القطبية الشمالية، وعُدَّ مشروع سكة حديد فاوسكي إلى كيركينيس مهمة كبيرة، من الصعب تحقيقها في وقت السلم، فكيف إذا كان في وقت الحرب، لذا كانت هناك شكوك في إنجاز ذلك المشروع بنجاح في الوقت المحدد(Bilfinger Archive, 1942, p. 31).

ونقلت آلاف الأطنان من معدات بناء السكك الحديدية إلى الشمال في شباط عام ١٩٤٣، وبعد هزيمة ألمانيا في ستالينغراد في الثّاني من شباط من عام ١٩٤٣ حاولت القيادات العسكرية إقناع هتلر بالتخلي عن المشروع، والتي عدت واحدة من أكبر الاختناقات في اقتصاد البلد المحتل، وقدر مهندسو السكك الحديدية في القوات العسكرية في عام ١٩٤٣ أنَّ بناء السكك قد يستغرق تسع سنوات للوصول إلى نارفيك، ورأى القادة العسكريين أنَّ السكك الحديدية مضيعة للوقت، وتخصيص أموال طائلة لها على حساب مشاريع البنى العسكرية الأخرى في النَّرويج أثر على المجهود الحربي، ولكن هتلر أمر في آذار

من عام ١٩٤٤ بإرسال نحو (٤٠٠٠) عامل ألماني بين مهندس وفني و(١٥٠٠٠) أسير حرب سوفيتي لضمان إنتهاء العمل وبناء السكة في الوقت المحدد، وحسب رأيه فأنَّ وصول السكك الحديدية إلى نارفيك يؤمن وصول ألمانيا إلى خام الحديد السويدي، ويزيد من كمية الشحن، ولكن مشروع السكك الحديدية حتى نهاية الحرب لم يكتمل بناءه، ولم يحقق هتلر ما كان قد خطط له رغم الأموال التي خصصت له على حساب بناء المشاريع العسكرية، والإمكانيات التي بُذلت من أجله سواء أكانت بشرية، أو معدات(Andersen, Steen, 2011, p. 215).

شيدت في المدة من عامي ١٩٤٢- ١٩٤٤ أكثر من (٢٠٠٠) مبنًا عسكريًا، فضّلًا عن بناء المواضع المحصنة لبطاريات الطوربيدات، ومواقع المدافع على طول الساحل النَّرويجي الممتد لمسافة طويلة، ولاسيما في الجزء الجنوبي من البلاد، وكذلك تم صب أكثر من (٥٥٥,٠٠٠) مترًا مكعبًا من الخرسانة حتى نهاية عام ١٩٤٤، وكان تحصين الساحل النَّرويجي أهم مشروع سواء من الناحية المالية، أو من حيث العمالة المستعملة(Andersen, Steen, 2011, p. 216) .

وشملت برامج تحصينات الحرب في النَّرويج بناء الطرق، والأنفاق، والأرصفة البحرية، ومهابط الطائرات، من أجل الوصول إلى المناطق النائية في شمال النَّرويج، وتأمين الحصول على الموارد، ولاسيما خام الحديد السويدي، ولكن بعد منتصف عام ١٩٤٤ حدثت مشكلة نقص الوقود، والتي أجبرت القوات العسكرية على إيقاف توريد الإسمنت إلى مواقع البناء في الثلاثين من أيلول من عام ١٩٤٤ في النَّرويج، الأمر الذي أدى إلى توقف أغلب الأعمال، ومد السكك الحديدية، والطرق الأخرى، وانحصرت الأعمال بالتحصينات العسكرية المحددة (Militärgeschichtliches Forschungsamt, 2015, p. 11) .

كان بناء التحصينات العسكرية سواء على الساحل النَّرويجي، أو في المناطق الداخلية المحتلة، مشابه إلى حدٍ بعيد ببناء السكك الحديدية من ناحية الجدوى الاقتصادية، إذ ثبت أنَّ تلك التحصينات عندما اكتملت أصبحت غير صالحة للاستعمال، أو بحاجة إلى إصلاح؛ بسبب تطور مستجدات الحرب وخبراتها، فضّلًا عن كل جنرال، أو أدميرال، جديد جاء إلى النَّرويج لديه وجهات نظر متباينة تختلف عن سابقه، فإمّا أنْ يقوم بإصلاحها، أو بنائها من جديد(Bohn, Robert, 2000, PP.345)

رابعًا: الآثار الاقتصاديَّة للاحتلال الألمانيّ على النَّرويج.

سعت السلطات الألمانيَّة منذ الأيام الأولى لاحتلال النَّرويج إلى إرساء الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في أسرع وقت ممكن، واستلزم ذلك تعاونًا وثيقًا مع المجلس الإداري المعين في الخامس

عشر من نيسان من عام ١٩٤٠، الذي طالب المجتمع النَّرويجي بضبط النّفس، والمساهمة باستقرار العمل، والنّشاط الاقتصادي، وفي اليوم نفسه أوضح الإعلان لسكان منطقة أوسلو الذي وقعته العديد من النخب المهنيَّة حثت من خلاله الناس على التوقف عن أي نوع من الأعمال التي يمكن اعتبارها تخريبًا، وتدميرًا من قبل القوات الألمانية(Didriksen, J., 1987, p. 164) .

حاول المجلس الإداري الحد من إنتشار البطالة، وإعادة تأسيس اقتصاد فعال بتعاون اقتصادي واسع النطاق مع الألمان، واتخذ صورًا مختلفة من الدعم للقوات الألمانية، فأصدر أوّل قرار اقتصادي مهم في الثّالث والعشرين من نيسان من عام ١٩٤٠، وتضمن تعليمات إلى البنك المركزي النَّرويجي لمنح الجيش الألماني شيكًا على بياض لتمويل قواتهم العسكرية، وبناء المشاريع الاستراتيجية، وبلغت عمليات السحب الألمانية من البنك النَّرويجي حتى أيار من عام ١٩٤٥ مبلغًا إجماليًا قدره (١١٣٤١) مليار كرونة نرويجية، والذي يساوي (٢,٤٨٣,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وحقق التعاون الاقتصادي النَّرويجي مع الألمان نجاحًا كبيرًا (The Scandinavian American, 1945, p. 3)في إنعاش الاقتصاد النَّرويجي، وبحلول نهاية عام ١٩٤٠ كانت البطالة أقل من مستوى أواخر الثلاثينيات، إذ بلغت نسبة البطالة في أواخر الثلاثينيات (٢٠%)، وأشارت التقديرات إلى إنخفاض نسبة البطالة بين عامي ١٩٤١-١٩٤٢ إلى (٥%)، وأدى زيادة الطلب الألماني للسلع، والخدمات النَّرويجية، ولاسيما في مجال التَّشييد والبناء إلى خلق اقتصاد منتعش، والقضاء بنسبة كبيرة على البطالة، وسجل عدد العاملين النَّرويجيين في مشاريع البناء، والتَّشييد في تموز من عام ١٩٤١ بين (١٥٠,٠٠٠)، و(١٧٥,٠٠٠)، والذين مثلوا (١٥%) من القوى العاملة، فكانت ذروة العمل والنشاط من أيلول ١٩٤٠ إلى تشرين الأوّل من عام ١٩٤٤، ماعدا أشهر الشِّتاء قارسة البرودة، التي تنخفض فيها قوة العمل (Grytten, O.H., 1992, p. 272)

ومن المؤشرات على التأثير الاقتصادي للاحتلال قصير الأجل إنخفاض عدد الحاصلين على الإغاثة الاجتماعية (الفقراء) من القطاع العام، ففي عام ١٩٤٠ زادت الإغاثة بشكل كبير إلى ما يقرب من (١٤٠,٠٠٠)، بسبب أضرار الحرب، والجمود الاقتصادي، وانخفض العدد في عام ١٩٤٢ إلى (٦٣٠٠٠) شخص وأسرة، شَهِدَتْ النَّرويج ثقل كبير في نظام تمويل الحرب، إذ اختلف عن البلدان الأخرى التي احتلتها ألمانيا، فضّلًا عن المدفوعات المباشرة كان هناك نظام المقاصةالذي استعملته ألمانيا، وإذا ما قارنا مدفوعات الاحتلال بالتقديرات التقريبية للناتج المحلي الإجمالي، فأنَّ عبء مدفوعات الاحتلال على الاقتصاد النَّرويجي مستقرًا إلى حدٍ ما، ربما حوالي ثلث الناتج المحلي الإجمالي كل عام من الاحتلال، وعكس ذلك العبء المالي الثقيل قوة احتلال مثلت في المتوسط حوالي (١٠%)، أو أكثر من السكان النَّرويجيين، وكان في ذلك الوقت عدد سكان النَّرويج لا يتجاوز الثلاثة ملايين مع بناء

ونشاط عسكري هائل، الذي زاد بعد غارات الحلفاء على النَّرويج عام ١٩٤١ لتحصين الساحل النَّرويجي، والثكنات العسكرية(Kjeldstadli, S., 1959, pp. 31–32) .

أُجبرت تلك الغارات، وأعمال التَّشييد، على جلب أكثر من (١٠٠,٠٠٠) أسير حرب إلى البلاد، فضلًا عن أشكال أُخرى من العمل القسري، والطوعي، مما زاد من القوى العاملة بما يصل إلى أكثر من (١٤٠,٠٠٠) شخص، والتي مارست بدورها ضغوط اقتصادية، وكانت النَّرويج البلد الوحيد من البلدان المحتلة الذي لديه فائض في حسابات المقاصة مع ألمانيا، فكانت ألمانيا تُصدر الفحم، والحبوب، والسلع الحيوية للاقتصاد النَّرويجي، والذي أدى إلى منع حدوث مجاعة في النَّرويج، وعندما إنهارت الصادرات النَّرويجية إلى ألمانيا قامت الأخيرة بأرسال كميات كبيرة من البضائع إلى النَّرويج خارج نظام المقاصة غير المسجلة كواردات، واستعملت في أنشطة بناء القوات العسكرية، وبالتالي شَهِدت النَّرويج زيادة في الواردات من ألمانيا أثناء الاحتلال (Kroener, B.R., Müller, R.-D., & Umbreit, H., 2003, P. 223).

شكلت عمليات السحب للاحتلال من البنك المركزي النَّرويجي تكلفة كبيرة، وبلغت قيمة المصادرات، والاحتياجات الألمانية دون تعويض مناسب من الألمان، ما بين (١,٨ إلى ٢) مليار كرونة نرويجية في الأسعار الحالية، أمّا الأضرار التي لُحقت بالمباني الخاصة، والعامة، والممتلكات التي استولت عليها الجيوش الألمانيَّة، فبلغت (٢,٥) مليار كرونة نرويجية (Stortingsforhandlingene, 1957, p. 24).

فقدت النَّرويج في الحرب نصف أسطولها التجاري، ولاسيما السفن التي كانت خاضعة للسيطرة الألمانية؛ بسبب هجمات الحلفاء، وبلغت خسائر الأسطول النَّرويج نحو (١,٦) مليار كرونة نرويجية، ولم يتم تضمين خسائر الحرب المتعلقة بالأسطول النَّرويجي في التقديرات التي أجرتها هيأة الإحصاء النَّرويجية في عامي (١٩٤٥-١٩٤٦) لأنَّ الأسطول النَّرويجي كان تحت سيطرة الحلفاء لأثبات طلب تعويض ألمانيا للنرويج، وكان العنصر الأكبر والأكثر جدلًا في تلك التقديرات خسائر ما يمسى رأس المال الحقيقي من معدات، ومباني، وأدوات، أسهمت في العملية الإنتاجية، وشملت كل شيء من أضرار الحرب المباشرة، وكذلك انخفاض مخزونات النَّرويج من خامات الموارد الطبيعية (Hodne, F., & Grytten, O.H., 1992, p. 172).

سعت سلطات الاحتلال من أجل تمويل مشاريعها إلى زيادة الضَّرائب، وإصلاح النظام الضَّريبي، على الرغم من أنَّه لم يتم إجراء أي تغيرات هامة على قوانين الضَّرائب أثناء الاحتلال، إلّا أنَّه معدلات الضَّرائب والحصول عليها هي التي شهدت تغيرات جوهريَّة في الاحتلال، فارتفعت معدلات الضَّرائب

بصورة كبيرة، وتمت زيادة ضريبة المبيعات من (٢ إلى ١٠%)، وتضاعفت ضريبة الشَّركات تقريبًا لتقترب من (٥٠%) من صافي الدخل الخاضع للضريبة، وارتفعت معدلات الضريبة التَّصاعدية على الدّخل الشَّخصي الخاضع للضريبة، والتي تراوحت بين (٠,٦%) لثروة خاضعة للضريبة مقدارها (٢٠٠,٠٠٠) كرونة نرويجية و(٣,٦%) من ثروة تزيد عن (٣٠) مليون كرونة نرويجية (Hans Otto, et al., 2016, p. 267) .

وألزمت جميع المواطنين النَّرويجيين البالغين بإبلاغ سلطات الضرائب عن الدخل الإجمالي السنوي للفرد، وأمّا المواطنين النَّرويجيين العاملين في الشركات الألمانيَّة لا يخضعون لضريبة الدخل، فضلًا عن عدم وجود قدرة لدى هيأة الضرائب للكشف عن التهرب الضَّريبي، ولاسيما لموظفي الشَّركات الألمانيَّة في النَّرويج، وتم إعفاء الشَّركات الألمانيَّة العاملة في النَّرويج من الضرائب النَّرويجية أثناء الاحتلال، وحاولت هيأة الضرائب النَّرويجية جعل الشَّركات الألمانيَّة في النَّرويج عرضة للضرائب في حالة الشِّراء فقط بنسبة (١٠%)، وعندما زادت من نشاط عملها في صناعة البناء والتَّشييد لم تؤدي تلك الشَّركات أي دفع ضريبي(Hans Otto, et al., 2016, p. 262) .

الخاتمة:

استغلت النَّرويج اقتصاديًا، فسيطرت على مواردها الطبيعية لدعم مجهودها الحربي، لذا لم تكن النَّرويج هدف ألمانيا الأيديولوجي البحت، وإنَّما لتأمين مواردها، وطرقها البحرية، واستغلالها اقتصاديًا، وصرفت الأموال الطائلة في بناء البنية التحتيَّة النَّرويجية؛ لأغراضها العسكرية والاقتصادية، وتعاملت ألمانيا مع النَّرويج في سياسة اختلفت عن جميع الدول التي احتلتها؛ كون ما تتمتع به النَّرويج من موقع استراتيجي يعطي ألمانيا صلاحية التَّحكم في الطرق البحرية سواء إلى المحيط الأطلسي أو بحر الشمال، لذا سعت ألمانيا إلى إطلاق عملية بناء وتشييد بدأتها بتوسيع رقعة مواصلاتها في النَّرويج إلى أقصى القطب الشمالي، وتحصين الساحل النَّرويجي المترامي الأطراف، وعملت على بناء مخابئ، ومواضع لقواتها الحربيَّة، فضلًا عن إقامة المصانع العسكريَّة لخدمة وتطوير قواتها العسكرية، واستثمار مقومات قيام الصناعة في النَّرويج، ومصادر الطاقة، ولا سيما الطاقة الكهرومائيَّة.

قائمة المصادر:

اولا: الوثائق غير المنشورة

1- Bilfinger Archive, A 2797–1, Report on the line inspection for the railway project: Fauske– Narvik – Kirkenes, 15.6.42, fol,1942.

ثانيا: الوثائق المنشورة

1- Statistisk Sentrabyrå, Statistiske oversikter 1948, Oslo: SSB, 1949.
2- Stortingsforhandlingene (Parliamentary Records, PR), St.meld.nr.55,Oslo, 1957.
3- Trial of Major War Criminals Nuremberg, Germany The United States Government, Vol. I. 1948.

ثالثا: الكتب الاجنبية

1- Andersen Ketil Gjølme, Flaggskip i fremmed eie. Norsk Hydro 1905–1945, Oslo: Pax, 2005.
2- Bergverkenes landssammenslutning, Bergverkenes landssammenslutning gjennom 50 ar 1907–1957, Oslo, 1957.
3- Beton und Tiefbau Mast Aktiengesellschaft. Von einem, der auszog das Bauen zu lernen: 50 Jahre, Berlin:, 1955.
4- Claasen Adam R. A., Hitler's Northern War The Luftwaffe's Ill-Fated Campaign, 1940-1945, by the University Press of Kansas, 2001.
5- Daub Walter. OT-Verträge. Vertragsrecht der Organisation Todt, Stand 30. Juni 1942. Wiesbaden: Schellenberg'sche Buchdruckerei, 1942.
6- Didriksen, J, Industrien under hakekorset. Oslo: Universitetsforlaget, 1987.
7- Grimnes Ole Kristian 'Norway IN The Second World War Politics ، Society ،And Conflict' New York, 2022.
8- Hans Otto and Others, Collaboration in Nazi-Occupied Europe Norway in Context,London,2016.
9- Hauge, Eiliv Odde and Vera Hartmann. Flight from Dakar. Translated by F.H. Lyon.New York: E.P. Dutton, 1954.
10- Hein Klemann and Sergei Kudryashov, Occupied economies. An economic history of Nazi-occupied Europe, 1939–1945, London: Berg, 2012.
11- Hjeltnes, G., Hverdagsliv. Oslo: Aschehoug Forlag, 1986.

12- Hodne, F. and O.H. Grytten. Norsk økonomi 1900-1990. Oslo: Tano, 1992.
13- Jonas Scherner, The Institutional Architecture of Financing German Exploitation: Principles,Conflicts, and Results, in Paying for Hitler's War: The Consequences of Nazi Hegemony for Europe, (New York: Cambridge University Press, 2015.
14- Kjeldstadli, S. Hjemmestyrkene. Hovedtrekkene av den militære motstanden under okkupasjonen. Oslo: Aschehoug, 1959.
15- Kroener, B.R., R.-D. Müller, and H. Umbreit, eds., Germany and the Second World War Volume V/II: Organization and Mobilization in the German Sphere of Power: Wartime Administration, Economy, and Manpower Resources 1942-1944/5, Oxford: Clarendon Press, 2003.
16- Militärgeschichtliches Forschungsamt, Germany and the Second World War, V/II, Oxford: Clarendon Press, 2015.
17- Pearson Robert,Gold Run The Rescue of Norways Gold Bullion From The Nazis,April 1949,Britain,London,2015.
18- Petrow Richard , he Invasion and Occupation of Denmark and NorwayApril 1940 -May 1945. New York 1974.
19- Robert Bohn,Reichskommissariat Norwegen Nationalsozialistische Neuordnung und Kriegswirtschaft, München, 2000.
20- Storeide Nette H., Norske Krigsprofi tører. Nazi-Tysklands velvillige medløpere, Oslo: Gyldendal, 2014.
21- Thomas Kingston Derry, Tore Gjelsvik, Norwegian Resistance, 1940-1945, trans.. London: C. Hurst & Company, 1979.
22- Udgaard Nils Morten, Great Power Politics and Norwegian Foreign Policy: A study of Norway's Foreign Relations November 1940- February 1948 Oslo: Unversitetsforlaget, 1973.

رابعا: البحوث المنشورة

1- Andersen, Steen. Between Imperative and Risk. The Case of Christiani & Nielsen's Market Entry in Norway 1941–1945. Scandinavian Economic History Review 59, no. 1, 2011.
2- Grytten, O.H., Arbeidsledighetens omfang i Norge i mellomkrigstiden, Historisk Tidsskrift .VOl.71,1992.
3- Harald Espeli, Det gavner ingenting a gjøre store vanskeligheter i sma saker. Dette er ikke storesaker. Norges Bank, Administrasjonsrådet og etableringen av okkupasjonskontoen i 1940,Historisk Tidsskrift vol. 190, 2011.

خامسا: الصحف:

1- The Washincton Post,No.23,332,May 3,1940.
2- The Washington Post,No.23,336,May 7,1940.
3- The Scotsman,No.30,858,April 22,1942.
4- The Scotsman,No 31,045.November 26,1942.
5- The Scandinvin American,Volume,1 August,1945.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الصراع العربي – اليوناني في إدارة الكنيسة الارثوذكسية في القدس خلال العهد العثماني (١٥١٧ – ١٩١٧)

The Arab–Greek conflict in the administration of the Orthodox Church in Jerusalem during the Ottoman era 1517–1917

م.م.نيزك سعيد عبد الكريم
M.M. Nyzk Saeed Abdul Karim
مديرية الرصافة الاولى / ث الاعظمية المسائية للبنات
Al–Rusafa First Directorate / Al–Adhamiya Evening Girls' Secondary School
nyzksyd@gmail.com
٠٧٧٠٧٧٤٨٨٢٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يناقش بحث الصراع العربي – اليوناني في أدارة الكنيسة الارثوذكسية في القدس خلال العهد العثماني ١٥١٧ – ١٩١٧الصراعات الداخلية بين العرب الارثوذكس واليونانيين داخل الكنيسة الارثوذكسية نتيجة التغيرات السياسية والاجتماعية, وكانت معظم المناصب العليا في الكنيسة الأرثوذكسية تُشغل من قبل اليونانيين، مما أدى إلى شعور العرب بالتهميش.ومع ظهور القوميات في القرن التاسع عشر، كانت هناك رغبة قوية لدى العرب في تعزيز دورهم داخل الكنيسة واستعادة حقهم في إدارة الكنيسة. لذا شهدت الكنيسة الأرثوذكسية صراعات كبيرة،اذ دعا العرب إلى ضرورة تمثيلهم في المجالس الإدارية. وجرت التظاهرات العربية ضد السيطرة اليونانية وحدثت توترات عنيفة واشتباكات. وتوصل البحث الى مجموعة من النتائج اذ أسهمت هذه الصراعات في تعزيز الهوية الوطنية والقومية العربية، مما أدى إلى تشكيل حركات قومية أكثر تنظيمًا في المنطقة.

الكلمات المفتاحية : العرب الارثوذكس – اليونان – ادارة الكنيسة

Abstract :

This research discusses the Arab-Greek conflict in the administration of the Orthodox Church in Jerusalem during the Ottoman era (1517-1917). Internal conflicts arose between Arab Orthodox and Greeks within the Orthodox Church

as a result of political and social changes. Most of the senior positions in the Orthodox Church were held by Greeks, leading to a feeling of marginalization among Arabs. With the rise of nationalism in the 19th century, there was a strong desire among Arabs to strengthen their role within the Church. Consequently, the Orthodox Church witnessed significant conflicts, as Arabs demanded representation on administrative councils. Arab demonstrations against Greek dominance occurred, resulting in violent tensions and clashes. The research reached a number of conclusions, as these conflicts contributed to strengthening national identity and Arab nationalism, which led to the formation of more organized nationalist movements in the region.
Keywords: Arab Orthodox – Greeks – Church Administration

المقدمة

يعد الصراع العربي – اليوناني داخل الكنيسة الأرثوذكسية أحد أقدم النزاعات الدينية – القومية في المنطقة ، تعود جذوره إلى الحقبة العثمانية واستمر هذا الصراع حتى منتصف القرن العشرين . تمحور الخلاف حول السيطرة على بطريركية القدس وسلطاتها، اذ كانت قيادة الكنسية الارثوذكسية محتكرة من قبل الإكليروس اليوناني، في حين طالب العرب الأرثوذكس باستعادة حقهم في القيادة التي كانوا قد انفردوا بها منذ الالاف السنين وطالبوا ان يكون لهم دور في إدارة شؤون الكنيسة. ثم تصاعدت حدة التوترات مع ظهور الحركات القومية العربية مع بداية القرن العشرين ، مما دفعهم للمطالبة بمحاولات إصلاحية لتغييراوضاعهم , فقوبلت بمقاومة من قبل البطريركية اليونانية والسلطات العثمانية .من هنا جاء اختياري لهذا الموضوع عنوانا لكتابة البحث , لما له اهمية في تصاعد الحركة الوطنية العربية ضد اليونانيين والدولة العثمانية , قسم البحث الى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة , اذ تناول التمهيد جذور الارثوذكس في فلسطين من حيث بدايات تأسيس الكنيسه الارثوذكسيه في فلسطين واماكن تواجدهم واسماء بالعائلات الموجوده في القدس والكنائس والاديرة . اما المبحث الاول فقد تناول موضوعين هما موقف الحكومه العثمانيه من الارثوذكس في فلسطين وكذلك بدايات النفوذ اليوناني في الكنيسة الارثوذكسية , وخصص المبحث الثاني لتناول الصراع بين العرب الارثوذكس واليونانيين داخل الكنيسه الارثوذكسيه . كما احتوى البحث على مجموعة من المصادر التي رفدت البحث بمعلومات هامة.

التمهيد

جذور الارثوذكس في فلسطين

الطائفة الارثوذكسية هي اقدم الطوائف المسيحية في فلسطين وتعود اصولها الى القبائل العربية من الغساسنة والتغالبة , تأسست الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين في القرن الاول الميلادي في عهد القديس (يعقوب بن يوسف الزبدي) , وكان الروم الارثوذكس يشكلون نسبة كبيرة من النصارى الساكنين في

القدس انذاك , وحتى بعد مجيء الاسلام ظل هؤلاء محافظين على مكانتهم ووجودهم في المدينة دون قيد او شرط [١], وكانوا يتمركزون في حارة النصارى التي تقع في القسم الشمالي الغربي من مدينة القدس , وضم هذا القسم ايضا سوقاً كبيراً عرف ب (سوق النصارى) الذي كان يحتوي على عدد كبير من الدكاكين التابعة للعرب الارثوذكس [٢].

الا ان الكنيسة الارثوذكسية حينما احتل الصليبيين مدينة القدس تعرضت الى الاضطهاد وبقيت شؤون الكنيسة دون تنظيم يصيبها الاهمال الى ان تمكن السلطان العثماني محمد الفاتح من احتلال القسطنطينيه عاصمة الصليبيين , اذ وجه عنايته لشؤون الكنيسة الارثوذكسية في القدس , واطلق تسمية (روم ملتي) على اتباعها ومنح البطريرك رتبة الباشوية [٣].

كانت الكنيسة الارثوذكسية تضم اربع بطريركيات في الدولة العثمانية هي : (استانبول – الاسكندريه – انطاكيا – القدس) وكانت كلها تتبع بطريركية القسطنطينية بحكم مركزها في استانبول عاصمة الدولة العثمانية . وكانت بطريركية القدس اصغرهن من حيث الاتباع وكانت تشرف على اسقفيات الروم الارثوذكس في فلسطين وشرق الاردن [٤].

يوجد للارثوذكس العديد من الكنائس والاديرة في مدينة القدس وما حولها منها : (ابينا ابراهيم – دير البنات – دير مار يوحنا – كنيسه ستنا مريم التي تسمى ايضا ب (دير العذراء) – دير مارسابا – دير الروم الذي يعرف ايضا ب دير قسطنطين الذي بناه البطريرك الياس الاول عام ٤٩٤ ويعتبر اليوم المركز الرئيسي لأديار الروم في فلسطين [٥].

اما العائلات الارثوذكسية الموجودة في القدس هي : (الشامي – الغوري – الطرشا – النحاس – السحار – المحشى – فراج – ابو مقحار – برامكه – عصعوصه – عصره – السكاكيني ومنها برز خليل السكاكيني[٦] الذي دافع كثيرا عن حق العرب في ادارة الكنيسه الارثوذكسيه ضد اليونانيين , كذلك عائله خشرم – جوهريه – ابو فرح – ابو صوان – الدبكه – سابيلا – ديمتري – الخوري – الساعاتي – الدنبك –الجرامي – ابو جغم – نسيبه – اطليل – القدسي – ابو زخريا الصايغ – سنيوره –السحار – عكره [٧].

كانت الكنيسة الارثوذكسية منذ نشوءها وحتى اوائل العهد العثماني بطريركية عربية بكل تفاصيلها , اذ كانت جنسيتها عربية وبطركتها ومطارنتها واساقفتها ورهبانها من العرب من اهل البلاد ولغتها العربية بكل تفاصيلهم اليومية باستثناء تلاوة الانجيل والصلوات في الكنائس الارثوذكسيه[٨] .

المبحث الاول

اولا :موقف الحكومة العثمانية من الارثوذكس في فلسطين

في عام ١٥١٦ سيطر السلطان عثمان سليم الاول على بلاد الشام بعد انتصاره في معركة مرج دابق ضد المماليك ودخل القدس في كانون الاول عام ١٥١٧ وقسم بلاد الشام الى ثلاث ولايات هي :

حلب وطرابلس والشام , فخضعت القدس لولاية الشام من حيث الادارة والحكم , وقد التقى السلطان سليم الاول بالبطريرك عطا الله الذي تولى منصب البطريركية عام ١٥١٠ ومنحه السلطان فرمان عرف ب (البراءة السلطانية) الذي اعطاه فيه حق سيادته على المزارات واعطى الحرية التامة للارثوذكسين في اقامة صلواتهم بلا معارضه واجراء المراسيم والاحتفالات الدينية[٩].

سيطرت الطائفة الارثوذكسية على اغلب الاماكن الدينية النصرانية في القدس وما يجاورها من مدن على اثر هذا الفرمان , وامتلك الارثوذكس عددا من المصليات الكبرى داخل الكنيسة الارثوذكسية في القدس وكان الرهبان الارثوذكس يتناوبون على حراسة الكنيسة , وتقوم الكنيسة الارثوذكسية بأختيار البطريرك من أعضاء الطائفة ثم يرفع أسمه الى السلطان العثماني لكي يصادق على تعيينه وبعد ان يتم تعينه يقيم البطريرك في العاصمة العثمانية استانبول لفتره من الزمن ويتولى ادارة الكنيسة في القدس من خلال وكيل ينوب عنه من احد الرهبان[١٠] .

كانت الحكومة العثمانية تعامل الارثوذكس معاملة جيدة وكانت تمنح لهم الالقاب ذات الشرف والفخر لكبار الارثوذكس , فقد ورد في السالنمات العثمانية التابعة لبلاد الشام تسمية بطريرك الروم ب (صاحب الرتبة) وفي بعض السالنمات سمي ب (زين العشيرة) . كما منحتهم الحكومة العثمانية مناصب إدارية مهمه في متصرفية القدس , فعلى سبيل المثال تذكر إحدى السالنمات أن أحد الارثوذكس ويدعى أستربادي أفندي عين عضواً في مجلس إدارة المتصرفية وعضواً في بلدية القدس [١١].

كما شغل العرب الارثوذكس وظائف عدة منها مختار أول ومختار ثاني واعضاء في مجلس الختيارية , الذي كان يمارس دور الوسيط بين الطوائف الارثوذكسية والحكومة العثمانيه. وكان هذا المجلس يقوم بمهام منها , التعريف عن ابناء الطائفة والحفاظ على اموال الايتام , إذ كان للارثوذكس أوقاف كثيرة مخصصه للفقراء منهم وكذلك الاشراف على الانفاق على الكنيسة والعاملين فيها[١٢].

ثانيا : بدايات النفوذ اليوناني في الكنيسه الارثوذكسيه

ظلت ادارة الكنيسة الارثوذكسية في القدس تمنح الى العرب الارثوذكس حتى القرن السادس عشر . وفي عهد السلطان العثماني سليمان القانوني عمد الى تغيير هذا الوضع حينما استدعى البطريرك عطا الله الثاني الى استانبول بعد ان وصلت اليه اخبار عن سوء معاملته للسكان في القدس , وحينما وصل عطا الله الثاني الى استانبول قام السلطان بحبسه ومنع عليه العودة الى القدس وأصدر أمراً بتعيين أحد الرهبان اليونانيين بمنصب بطريرك وهو (جرمانوس) لأدارة الكنيسة الارثوذكسية في القدس وربما يعود سبب ذلك الى محاولة السلطان العثماني الى التقرب من اليونانيين وكسب ودهم [١٣].

يعد جرمانوس هو أول بطريرك يوناني يتولى أدارة الكنيسة الارثوذكسية في القدس , كان يجيد اللغة العربية التي درسها في مصر وظل يشغل هذا المنصب حوالي خمس واربعين سنة . فأصبحت أدارة

الكنيسة تمنح الى اليونانيين الذين يعينون في العاصمة استانبول , وحرم العرب الارثوذكس من تولي هذا المنصب وصاروا ملزمين بالرجوع الى البطريرك اليوناني في كل امورهم [١٤].

المبحث الثاني

الصراع بين العرب الارثوذكس واليونانيين

بدات بوادر الصراع بين اليونانيين والعرب حول أدارة الكنيسة الارثوذكسية حينما قام البطريرك ذوسيثيوس الذي نصب عام ١٦٦٩ بأصدار القانون الاساسي لأخوية كنيسة القبر المقدس[١٥] في القدس , وقد نص هذا القانون على عدم السماح للعرب الارثوذكس في فلسطين وشرق الاردن في تولي منصب العضوية في مجلس الكنيسة وعدم السماح لهم بانتخاب مطران او بطريرك من غير اليونانيين , لذا شعر العرب الارثوذكس هذا القانون عنصري ومجحف بحقهم , اذ منع عليهم الترشيح لعضوية المجلس وحرماهم من تولي المناصب إلادارية في القدس , الا انهم لم يلجأوا الى القيام بعمل فعلي من أجل أجبار بطريركية القدس اليونانية على التراجع عن هذا القانون رغم امتعاضهم من هذا القانون , ويبدو ان ذلك نابعاً من الضعف الذي عانوا منه خلال هذة الفترة وعدم وجود داعم لهم , لاسيما ان الدولة العثمانية كانت في تلك الفترة , تساند وبقوة النفوذ اليوناني داخل الكنسية وتعارض العرب الارثوذكس بكل الامور التي كانوا يقدمونها لها من أجل النظر بتنفيذها , لذا بقي العرب الارثوذكس على هذا الوضع حتى منتصف القرن التاسع عشر دون ان يحدث اي تغيير فيه [١٦].

في عام ١٨٧١ قسمت الحكومة العثمانية فلسطين الى ثلاث متصرفيات او سناجق اثنتان منها هما نابلس وعكا وتضمان شمال فلسطين وتتبعان ولاية بيروت في ديار الشام والثالثة هي متصرفية القدس وتضم جنوبي فلسطين وتشمل يافا وغزه وبئر السبع والخليل وتتبع مباشرةً استانبول . ونظراً لمكانتها الدينية المقدسة وتنافس الدول الاوروبية للحصول على امتيازات فيما يتعلق بالاماكن المقدسة وحماية الرعايا المسيحيين من رعايا الدولة العثمانية خضعت البطريركية الارثوذكسية الاورشليمية لابطريركية القسطنطينية ومن خلالها سيطره الاكليروس اليوناني على جميع البطريركيات الخاضعة لها[١٧] .

وفي عام ١٨٧٥ اصدرت الحكومة العثمانية قانون (البطريركية الرومية الاورشليمية) الذي احتوى على مواد لم تنال رضا العرب الارثوذكس فأزداد تذمر العرب من الدولة العثمانية وهذة المرة خرجوا من صمتهم , فأحتجوا على هذا القانون وأخذوا يمارسون الضغوط علي الدولة العثمانية من أجل ألغاء هذا القانون . و اسسوا في عام ١٨٨٢ جمعية عرفت بأسم (الجمعية الارثوذكسية الوطنية) التي طالبت ان يكون مطران عربي واحد على الاقل بين الاثني عشرة مطراناً يونانياً المقيم بعضهم في الابرشيات والاكثرية في مقر البطريركية . وأن يشترك العرب في أدارة الاديرة والاوقاف والاهتمام بالمدارس الارثوذكسية وانشاء كلية للارثوذكس , الامر الذي دفع الدولة العثمانية الى تعديل هذا القانون من أجل

امتصاص نقمة العرب الارثوذكس فعملت على اضافة مادة جديدة الى القانون نصت على السماح للعرب بالمشاركة في إدارة الكنيسية , واسست (نظاره عليا) برئاسة البطريرك اليوناني واشركت العرب الارثوذكس فيها وكانت مهمه هذه النظاره هو الادارة المشتركة للكنيسة بين اليونانيين والعرب[١٨].

وفي عام ١٨٩١ طالب العرب الأرثوذكس البطريركَ اليوناني جراسموس الذي تولى منصب البطراريكية في العام نفسه , بالالتزام بالتعهّدات العثمانية السابقة , لذا أعلن عن تعهّدَه بتطبيق قانون (النظارة العليا). كما أعلن موافقتَه على السماح لأبناء الرعيّة العرب بدخول سلك الرهبنة وإتاحة الفرصة لهم لبلوغ أعلى درجات الكهنوت ؛ وهذا ما التزم به خلَفَه البطريرك نيقوديموس الذي تولى البطريركية عام ١٨٩٧, وبهذا نجحت الجمعية بتحقيق مطالبها بقبول الدولة العثمانية بالسماح لابناء العرب الارثوذكس بدخول سلك الرهبنة في سائر انحاء فلسطين والاردن[١٩] .

وفي عام ١٩٠٨ سيطر الاتحاديون على الحكم في الدولة العثمانية وصدر الدستور العثماني الذي كان من بنوده تشكيل مجالس مليّة في المناطق العثمانية كافة . وقد تشكلت المجالس وكان اهمها وأكبرها في مدينة القدس , وعمل هذا المجلس التفاوض مع البطريرك اليوناني (دميانوس) والتوصل الى اتفاق بالقبول ببعض المطالب الشرعية لأبناء الارثوذكس العرب من أهمها تأليف (مجلس مختلط) مكون من أبناء الارثوذكس الوطنيين ورجال الدين اليونان [٢٠].

إلا أن كنيسة أخوية القبر المقدس المكونة من المطارنة ورجال الدين اليونان إنقلبت فيما بعد على هذا الإتفاق وتمادت الكيسة بذلك متهمةً البطريرك اليوناني بمحاباة العرب والميل نحوهم , فعملت الكنيسة على عزل البطريرك داميانوس عن منصبه , الا أن العرب الارثوذكس لم يرضوا بذلك الاجراء بحق البطريرك فقاموا بأنقلاب داخل الكنيسة وثاروا ضد اعضاء المجمع المقدس وشهدت مدن فلسطين كافة مظاهرات رفضت تصرفات المجمع المقدس اليوناني، وتألف وفد رفيع المستوى من الشخصيات والزعماء العرب الارثوذكس وتوجه إلى استانبول لمقابلة السلطات الاتحادية هناك مطالباً بعدم عزل البطريرك [٢١].

وقد جاء في سجلات محكمة القدس الشرعية أن وفداً من رؤساء ووجهاء العرب الأرثوذكس من أهالي مدينة القدس قد قدموا دعوى إلى المحكمة الشرعية في المدينة يطالبون فيها بسرعة تنفيذ إقامة مجلس مختلط بالقدس نصفه من المطارنة والكهنة اليونان والنصف الآخر من العرب الارثوذكس يرأسه (غبطة البطريرك)، وظيفته إصلاح المدارس والكنائس والمستشفيات والنظر في جميع احتياجات الملة الارثوذكسية ، ويكون له حق مراقبة الواردات والمصاريف وإعادة انتخاب أعضائه , وتشكيل نظاره (مديرية) في كل بلدة تابعة لبطريركية القدس [٢٢] .

على الرغم من ذلك , الا أن التظاهرات إستمرت , واستولى العرب الأرثوذكس على دار البطريركية المقدسة وإمتدت التظاهرات لجميع المناطق الفلسطينية وتمت السيطرة على جميع الأديرة في

عام ١٩٠٩ من قبل العرب الارثوذكس الثائرين ، كما حصلت إشتباكات عنيفة مع القوى الأمنية العثمانية في بعض المناطق , مما أدى إلى قتل أربعة شبان عرب أرثوذكسيين انذاك ، كما تم إبعاد العديد من زعماء الحركة الوطنية الأرثوذكسية إلى بيروت (مركز الولاية)[٢٣] .

لذا قويت عزيمة العرب الارثوذكس وبرزت النهضة الفكرية في صفوفهم التي اخذت تنمو وتزدهر وكانت هناك عوامل عده ساعدتها على هذا الازدهار منها الاستقلال الداخلي في لبنان والحرية الواسعة في مصر ايام محمد علي باشا وخلفاؤه , وقد هبت هذه النهضة الفكرية الارثوكسية وشاركت ابناء القومية العربية التي كانت تعمل على الانفصال عن الدولة العثمانية وتحقيق الاستقلال التام من خلال تشكيل الجمعيات واصدار الصحف المناهضة للحكم العثماني للبلاد العربية [٢٤] .

على اثر تلك النشاطات والتحركات جرت العديد من التظاهرات والاشتباكات في مدينة القدس بين الحكومة العثمانية والعرب والذين كانوا من ضمنهم العرب الارثوذكس , مما دفع الحكومة العثمانية إلى تشكيل ماعرف ب (المجلس المختلط) من أجل تهدئة الاوضاع في القدس ، وعقد هذا المجلس أول إجتماعاته عام ١٩١٠ وأعيد البطريرك داميانوس إلى منصبه رغماً عن المجمع المقدس اليوناني وإستمر المجلس في اعماله مدة ثلاثة أعوام وأصدرعدة قرارات لم ينفذ أي منها بسبب مماطلة داميانوس في تنفيذ تلك القرارات[٢٥] .

من ناحية اخرى , فقد شهدت تلك الفترة توجه منظم لأبناء طائفة الأرثوذكس في مختلف مناطق فلسطين للمطالبة في إصلاح شوون البطريركية وجاءت هذه المطالب من قبل العرب الأرثوذكس الذين اشتكوا من التهميش وعدم إشراكهم في شؤون الطائفة مع أنهم أصحاب الأرض , وجاءت هذه المطالب المتعددة التي كانت تهدف إلى إشراكهم في كل الشؤون وقرارات الطائفة وعدم احتكار اليونانيين لها ، فشكلت الكنيسة الأرثوذكسية لجنة مختلطة من الرهبان اليونانيين والعرب من أجل رعاية الأمور الدينية والحياتية ولكن مع ذلك بقي القرار بيد اليونانيين[٢٦] .

لكن الدولة العثمانية في عام ١٩١٤ ونتيجة للضعف الذي كانت تعاني منه في تلك الفترة وعدم قدرتها على السيطرة على المدن التابعة لها , فقد صفت الى جانب اليونانيين مرة اخرى وقويت مكانتهم داخل الكنيسة الارثوذكسية في القدس من اجل محاولة السيطرة على الاوضاع في المدينة , اذ أصدر متصرف مدينة القدس العثماني ماجد بك قراراً بأحقية اليونانيين في التصرف والسيادة على جميع القرارات والممتلكات الأرثوذكسية , لذا ضعف موقف العرب الارثوذكس واصبحوا خاضعين للبطريرك اليوناني [٢٧].

الخاتمة

توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات هي :

١- ان الصراع العربي – اليوناني في الكنيسة الأرثوذكسية هو موضوع معقد يعكس التوترات الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت قائمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين .و يعود جزء من جذور هذا الصراع إلى التاريخ الطويل للوجود اليوناني الأرثوذكسي في الأراضي المقدسة، والذي بدأت معه الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين تجذب الانتباه كأحد المراكز الدينية الهامة .

٢- تأسست الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين في العصور المسيحية المبكرة ، وكانت تُعتبر واحدة من أهم المراكز الروحية في العالم المسيحي . وبعد الفتوحات الإسلامية في القرن السابع، خضعت الكنيسة لسلطة الدولة الإسلامية ، لكنها استطاعت الحفاظ على استقلالها النسبي .

٣- وفي عهد السلطان العثماني محمد الفاتح القسطنطينية ، قام بتنظيم شؤون الكنيسة واصبح يتولى إدارة الكنيسة البطريرك، الذي كان من أصل يوناني، وهذا أدى إلى صدامات مع المجتمع العربي المحلي.

٤- مع بداية القرن العشرين، بدأت الحركة القومية العربية تتشكل بشكل أكثر وضوحًا، مما أدى إلى تعبير العرب عن مطالبهم الوطنية والسياسية. وانضم العرب الارثوذكس الى تلك الحركة من اجل المطالبة بحقوقهم والضغط على الدولة العثمانية ليكون لهم مكانة ونفوذ داخل الكنيسة الارثوذكسية.

٥- بدت الكنيسة وكأنها تمثل مصالح اليونانيين بشكل عام ، مما أدى إلى استياء العرب الذين شعروا بأنهم مهمشون في حقوقهم داخل مؤسساتهم الدينية . فأدت ذلك الى حدوث التوترات والانقسامات داخل الكنيسة .

المصادر

الاطاريح

- رنده سعيد انضواني مربيع ,الصراع بين الاكليروس اليوناني وطائفه الروم الارثوذكس في فلسطين خلال النصف الاول من قرن العشرين , رساله ماجستير, جامعه بيرزيت, ١٩٩٩

البحوث والمقالات

- اميل الغوري , تاريخ القضية الارثوذكسية نضال مستمر منذ ٥٠٠ عام , بحث منشور في نشرة كنعان الالكترونية , السنة التاسعة , العدد ٢٠٩٢
- اميل الغوري , تاريخ القضيه الارثوذكسيه , مقال منشور في شبكه المعلومات السوريه الاجتماعيه , تاريخ ٢٠٠٩/١٢/٦.
- جلال برهم , في تاريخ الكنيسه الارثوذكسيه , بحث منشور في مجله الاداب الالكترونيه , لبنان ٢٠١٨ .
- حنان بكير ؛ تاريخ النضال الارثوذكسي في فلسطين ؛ مقال منشور في جريده فلسطيننا ؛ العدد ٨٩ ؛ لبنان بتاريخ ٢٠١٤/٧/٤ .
- عبد الغني سلامه , تعريب :الارثوذكس في فلسطين , مقال منشور في موقع الملتقى فلسطين , بتاريخ ٢٥ كانون ثاني ٢٠٢٣ .
- علي اوسط ابراهيمي , الدايموغرافيه التاريخيه لمدينه القدس وجوارها في القرن السادس عشر, بحث منشور في مجله التراث الادبي , السنه الثانيه , العدد السادس ,ايران ١٩٧٠.
- مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , الطائفة الارثوذكسية في مدينة القدس الشريف و العلاقة الكنيسة بين رعاياها ١٨٧٤ –١٩١٧ , بحث منشور في مجلة هيرودوت , العدد الثامن , فلسطين, ايلول ٢٠١٨ .
- موجز عن تاريخ بطريركيه الروم الارتدوكس ,مقال منشور في جريده السفير , العدد ٢٠١٤/١٢٩٠٢.

الكتب

- المجلس المركزي الارثوذكسي , القضيه الوطنيه الارثوذكسيه في فلسطين والاردن ١٩٤٨ – ١٩٩١ , جمع واعداد وتحرير :جورج طريف الداود زهير غنايم , مطبعه الشباب ,عمان ٢٠٠٣
- المطران ميشيل يتيم والارشمندريت اغناطيوس ديك , تاريخ الكنيسه الشرقيه واهم احداث الكنيسه الغربيه , منشورات المكتبه البوليسيه , الطبعه الرابعه , لبنان ١٩٩٩

- عارف العارف , المفصل في تاريخ القدس, الجزء الاول ,الطبعه الخامسه , مطبعه المعارف, فلسطين ١٩٩٩
- قسم الارشيف والمعلومات ,ارشيف نشرت فلسطين اليوم ,ايار ٢٠١٤ ,مركز الزيتونه للدراسات والاستشارات ,بيروت ٢٠١٨ .
- يوميات خليل السكاكيني الكتاب الاول , تحرير: اكرم مسلم , مركز خليل السكاكين الثقافي , مؤسسه الدراسات المقدسيه , رام الله ٢٠٠٣.

المصادر الاجنبية

- Charbel Nassif ,Others A Pales nian Life (1885 – 1954) , Brill, Netherlands, 2022.
- Nada E.Marmura, The Orthodox community in the holy land and the Jerusalem patriarchate feom 1918 –1948 ,a thesis submitted in partial fulfillment for the requiremnts of the degree of master of arts in the department of history and aecheology , Lebanon , 1967 .

الهوامش:

[١]) قسم الارشيف والمعلومات ,ارشيف نشرت فلسطين اليوم ,ايار ٢٠١٤ ,مركز الزيتونه للدراسات والاستشارات ,بيروت ٢٠١٨ , ص ٣٧ ؛ موجز عن تاريخ بطريركيه الروم الارتدوكس ,مقال منشور في جريده السفير , العدد ٢٠١٤/١٢٩٠٢ ؛ جلال برهم , في تاريخ الكنيسه الارثوذكسيه , بحث منشور في مجله الاداب الالكترونيه , لبنان ٢٠١٨ , ص٢ ؛ حنان بكير ؛ تاريخ النضال الارثوذكسي في فلسطين ؛ مقال منشور في جريده فلسطيننا ؛ العدد ٨٩ ؛ لبنان بتاريخ ٢٠١٤/٧/٤ .

[٢]) علي اوسط ابراهيمي , الدايموغرافيه التاريخيه لمدينه القدس وجوارها في القرن السادس عشر, بحث منشور في مجله التراث الادبي , السنه الثانيه , العدد السادس ,ايران ١٩٧٠ , ص ٢٢ .

[٣]) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , الطائفة الارثوذكسية في مدينة القدس الشريف و العلاقة الكنيسة بين رعاياها ١٨٧٤ –١٩١٧ , بحث منشور في مجلة هيرودوت , العدد الثامن , فلسطين, ايلول ٢٠١٨ , ص ٣٢ .

[٤]) المصدر نفسه , ص ٣٢ .

[٥]) لمعرفه المزيد عن هذه الكنائس والاديره, ينظر :عارف العارف , المفصل في تاريخ القدس, الجزء الاول ,الطبعه الخامسه , مطبعه المعارف, فلسطين ١٩٩٩ , ص٥٢٦– ٥٢٧؛ مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , المصدر السابق , ص ٣٤ .

[٦]) خليل السكاكيني / ولد خليل السكاكيني في القدس عام ١٨٨٥. ودرس في المدرسة الرشيدية في القدس، وتلقى تعليمه الجامعي في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصل على شهادة في الأدب من جامعة كولومبيا.وبعد عودته إلى فلسطين، أسس عدة مدارس، منها المدرسة العليا في القدس. كان السكاكيني يؤمن بأهمية التعليم في تطوير المجتمع الفلسطيني .وأسهم أيضًا في تطوير المناهج الدراسية، كان خليل السكاكيني ناشطًا في الحركة الوطنية الفلسطينية، ودعا إلى الوحدة بين العرب في فلسطين. ينظر : يوميات خليل السكاكيني الكتاب الاول , تحرير: اكرم مسلم , مركز خليل السكاكين الثقافي , مؤسسه الدراسات المقدسيه , رام الله ٢٠٠٣.

[٧]) المجلس المركزي الارثوذكسي , القضيه الوطنيه الارثوذكسيه في فلسطين والاردن ١٩٤٨ – ١٩٩١ , جمع واعداد وتحرير :جورج طريف الداود زهير غنايم , مطبعه الشباب ,عمان ٢٠٠٣ , ص ٢٣– ٢٥.

[٨]) المصدر نفسه , ص١٥ .

[٩]) Charbel Nassif ,Others A Pales nian Life (1885 – 1954) , Brill, Netherlands, 2022, P.17– 19 .

[١٠]) Nada E.Marmura, The Orthodox community in the holy land and the Jerusalem patriarchate feom 1918 –1948 ,a thesis submitted in partial fulfillment for the requiremnts of the degree of master of arts in the department of history and aecheology , Lebanon , 1967, P16 .

[١١]) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , المصدر السابق , ص ٣٥ .

[١٢]) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , المصدر السابق , ص٣٥ .

[١٣]) عبد الغني سلامه , تعريب :الارثوذكس في فلسطين , مقال منشور في موقع الملتقى فلسطين , بتاريخ ٢٥ كانون ثاني ٢٠٢٣ .

[١٤]) اميل الغوري , تاريخ القضية الارثوذكسية , مقال منشور في شبكة المعلومات السورية الاجتماعية, تاريخ ٢٠٠٩/١٢/٦ ؛ عبد الغني سلامه , المصدر السابق.

[١٥]) اخوية القبر المقدس / هي المؤسسه الاكثر اهميه وقوه في البطريركيه الارثوذكسيه رئيسها هو البطريرك نفسه ومهمتها الرئيسيه هي حمايه الاضرحة المقدسه بعد الفتح العربي و تميزت الاخويه بطابع ارثوذكسي محلي قوي ضمن طابعها اليوناني الاساسي وخلال الحكم العثماني تعزز الطابع اليوناني للاخوه وتكوينها بشكل كبير وتولت الاخويه حكم الكنيسه باكملها.

[١٦]) جلال برهم , المصدر السابق , ص٣ .

[١٧]) رنده سعيد انضواني مريبع ,الصراع بين الاكليروس اليوناني وطائفه الروم الارثوذكس في فلسطين خلال النصف الاول من قرن العشرين , رساله ماجستير , جامعه بيرزيت, ١٩٩٩, ص١٣ .

[١٨]) Nada E.Marmura ,Op,cit,p22

[١٩]) جلال برهم , المصدر السابق , ص٣ .

[٢٠]) اميل الغوري , تاريخ القضية الارثوذكسية نضال مستمر منذ ٥٠٠ عام , بحث منشور في نشرة كنعان الالكترونية , السنة التاسعة , العدد ٢٠٩٢ , ص٣ .

[٢١]) اميل الغوري , تاريخ القضية الارثوذكسية نضال مستمر منذ ٥٠٠ عام ,المصدر السابق , ص٥

[٢٢]) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , المصدر السابق , ص٤٦ .

[٢٣]) اميل الغوري , تاريخ القضية الارثوذكسية نضال مستمر منذ ٥٠٠ عام ,المصدر السابق , ص٥.

[٢٤]) المطران ميشيل يتيم والارشمندريت اغناطيوس ديك , تاريخ الكنيسه الشرقيه واهم احداث الكنيسه الغربيه , منشورات المكتبه البوليسيه , الطبعه الرابعه , لبنان ١٩٩٩ , ص ٢٥٦ .

[٢٥]) Nada E.Marmura ,Op,cit,p23 .

[٢٦]) اميل الغوري , تاريخ القضية الارثوذكسية نضال مستمر منذ ٥٠٠ عام , ص٣ .

[٢٧]) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع , المصدر السابق , ص٤٨-٤٩

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

العلاقات السياسية العراقية –اللبنانية ٢٠٠٣–٢٠٠٨
Iraqi-Lebanese Political Relations 2003-2008

م.د علاء رحيم كاظم السنيد
Dr.Alaa Raheem Kadhim Al-Sunaid
وزارة التربية العراقية
مديرية تربية بغداد–الرصافة الثانية
Iraqi Ministry of Education
Baghdad Education Directorate Al-Rusafa 2
alaaraheem792@gmail.com
07703660893

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

تمثلت العلاقات السياسية بين العراق ولبنان للمدة من ٢٠٠٣–٢٠٠٨، بالهدوء والاحترام والتعاون الدبلوماسي والثقافي وكذلك الاقتصادي، ونتج عن تلك العلاقات تبادل دبلوماسي رفيع المستوى بين الدولتين، كما مثلت جانباً مهماً من جوانب العلاقات العربية، لاسيما وأنها جاءت بعد توتر في العلاقات الدبلوماسية في عام ١٩٩٤، على أثر اغتيل المعارض طالب السهيل وكذلك بعد حدث مهم تعرض له العراق الا وهو الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، وكان العراق بحاجة ماسة الى التعاون الدبلوماسي لكي يعكس صورة إيجابية للدول الإقليمي والدولية.

تميزت العلاقات بالود والتفاهم ويرجع ذلك الى طبيعة الدولتين من الناحية السياسية والتكوين الاجتماعي، كما ان هناك مصالح مشتركة جعل من تلك العلاقات ان تستمر، ومنها حاجة لبنان الى العراق على المستوى الاقتصادي، إذ كانت الأخيرة تعاني من وضعها الاقتصادي الهش، بالمقابل كان العراق من الدول الغنية لكنه يحتاج الى علاقات دبلوماسية على الصعيد الإقليمي والدولية، كما تميزت العلاقات بالتضامن الشعبي عندما يواجه أي من الدولتين انعطاف او تعرض لخطر خارجي فنجد وقوف الشعوب الى بعضها ومساندتها للطرف الاخر، كما كان هناك تبادل الوفود وعلى مستوى رؤساء الوزراء والوفود الاقتصادي.

Abstract

Political relations between Iraq and Lebanon from 2003 to 2008 were characterized by calm, mutual respect, and diplomatic, cultural, and economic cooperation. These relations resulted in high-level diplomatic exchanges between the two countries and represented an important aspect of Arab

relations, especially as they followed a period of estrangement and the significant event that befell Iraq: the 2003 US-led invasion. Iraq was in dire need of diplomatic cooperation to project a positive image to regional and international powers .

The relationship was marked by cordiality and understanding, stemming from the political and social structures of both countries. Shared interests also contributed to its continuation, including Lebanon's economic need for Iraq, which was struggling with a fragile economy. Iraq, on the other hand, was a wealthy nation but required strong diplomatic ties at the regional and international levels. Furthermore, the relationship was characterized by popular solidarity when either country faced a turning point or external threat, with the people standing together and supporting one another. There were also regular exchanges of delegations at the prime ministerial and economic levels.

المقدمة

تعد دراسة العلاقات السياسية بين الدول من الدراسات المهمة، كونها تبين طبيعة كل دولة ومميزاتها ونقاط ضعفها، وتوضح مدى نجاحها دبلوماسياً وسياسياً واقتصادياً، وتتطور تلك العلاقات بحسب حاجة كل طرف للأخر، كونها مبنية على مصالح الدول، لاسيما بين الدول التي تتميز بموقع جغرافي مهم، او ذات مكانة اقتصادية عالية.

تناولت الدراسة جانباً مهماً من جوانب العلاقات العربية–العربية، إذ مثلت العلاقات العراقية–اللبنانية إحدى أبرز الخصائص المميزة التي تربط العراق بمحيطه الاقليمي والعربي، كون أنها مرت بأطوار عدة، استطاعت الدولتين من خلالها المحافظة على مستويات عالية من الانسجام والتطور، لاسيما على المستويات السياسية، على الرغم من المتغيرات والاحداث التي عصفت بالدولتين، الا ان تلك العلاقات ظلت مستمرة واحتلت جانباً مهماً من تاريخ العلاقات بينهما.

قسمت الدراسة الى مقدمة وتمهيد وخمس محاور وخاتمة ، تناول المحور الاول (موقف لبنان من الاحتلال الامريكي للعراق)، وتطرق المحور الثاني الى (العلاقات السياسية العراقية – اللبنانية عام ٢٠٠٤)، بينما ركز المحور الثالث على (موقف العراق من اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري عام ٢٠٠٥)، وعالج المحور الرابع (موقف العراق من حرب حزب الله واسرائيل عام ٢٠٠٦)، بينما تطرق المحور الخامس والاخير الى (عودة التمثيل الدبلوماسي وزيارة رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة للعراق عام ٢٠٠٨)، وما نتج من أمور سياسية واقتصادية لكلا الدولتين، وكرست الخاتمة لذكر اهم ما توصلنا اليه بشأن العلاقات السياسية العراقية – اللبنانية ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ .

التمهيد:

مثلت العلاقات العراقية – اللبنانية، إحدى أهم السمات التي ربطت العراق بمحيطه الإقليمي والعربي، وعلى الرغم من أن الدولتين لا تربطهما حدود مشتركة، إلا أن تلك العلاقة اتسمت بالثبات والإيجابية، إذ برزت بيروت من أكثر عواصم المشرق العربي نشاطاً ثقافياً، لاسيما بعد الحرب العالمية الاولى، كما شهدت تلك العلاقة التبادل الثقافي بين الفئات المثقفة في العراق ولبنان، وأخذت تتعدى حدود تبادل الرسائل والكتب لتشمل اللقاءات والاتصالات المباشرة بينهم [١].

حافظ العراق على علاقته بالدول العربية بشكل عام وكانت قائمة على أساس تحقيق أكبر قدر ممكن من التقارب بين جميع الأطراف، إذ مثل العراق على مدى عقود طويلة محوراً أساسياً وفاعلاً في محيطه الإقليمي والعربي على حدٍ سواء، وذلك ما جعله موضع اهتمام دولي، تقاطعت فيه المشاريع الكبرى، وبنيت عليه الرهانات المتفاوتة، والتي تغيرت بتغير السياسات محلياً وإقليماً [٢].

استمرت العلاقات العراقية – اللبنانية بالتطور خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥، فعند قيام حركة مايس عام ١٩٤١ بزعامة **(رشيد عالي الكيلاني)**[٣]، استقبلت تلك الحركة بالتأييد اللبناني الواسع، وعدها الرأي العام البداية الحقيقية لثورة كبرى ستحقق استقلال لبنان من الاستعمار الفرنسي، وشجعت القادة السياسيين في لبنان، لاسيما بعد احتلال فرنسا من قبل الألمان[٤]، وبالمقابل سعت بعض الأوساط السياسية في العراق، ومن خلال جهودها الدبلوماسية لحصول لبنان على استقلالها، كما أعرب العراق عن استعداده لتقديم المساعدة للبنان، إذ جابت شوارع بغداد في أيار ١٩٤٥، تظاهرات سلمية احتجاجاً على سياسة فرنسا التعسفية في لبنان[٥].

وبحلول النصف الثاني من القرن الماضي، أخذت العلاقات العراقية–اللبنانية تسير نحو الأفضل، على الرغم من الأحداث والأزمات التي عصفت بالدولتين، وأدت بالنتيجة إلى تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة، إذ شهد العراق قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، التي انهت النظام الملكي، وأعلنت النظام الجمهوري [٦]، وسارعت الحكومة اللبنانية للاعتراف بالنظام الجديد، اذ أرسل رئيس الحكومة اللبنانية **(صائب سلام** ١٩٦٠–١٩٦١) [٧]، برقيات التهنئة للحكومة العراقية الجديدة [٨].

لم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، بل شهدت لبنان في الربع الأخير من القرن الماضي، الحرب الاهلية، واستمرت من عام ١٩٧٥ لغاية ١٩٩٠، نتيجة السياسة التي رسمها الاستعمار الفرنسي، واسفرت عن مقتل ما يقدر بـ (١٢٠) ألف شخص لبناني، وتضامن العراق مع الشعب اللبناني، وأيد الوساطة السعودية لأنهاء الحرب [٩].

أصيبت العلاقات بين الدولتين بالفتور والضعف، وأحياناً سادها التوتر، على أثر الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨، إذ كان موقف لبنان الرسمي من تلك الحرب ملازماً للموقف السوري المؤيد

لإيران آنذاك، ثم أخذت العلاقات تسير في طريق مغلق، على خلفية اغتيال السياسي العراقي المعارض **(طالب السهيل)**[١٠] في بيروت، على يد المخابرات العراقية في ١٢ نيسان ١٩٩٤، إذ قامت الحكومة اللبنانية بقطع علاقاتها الدبلوماسية ، واستمرت تلك القطيعة طيلة عقد التسعينيات، وحتى الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ وتغيير الحكم[١١].

يتضح مما سبق، أن جذور العلاقات العراقية – اللبنانية ترجع إلى عهود سابقة، وأن الارتباط التاريخي بين بلاد الشام والعراق هو وحدة مميزة لا يمكن فصلها، إذ استمرت تلك العلاقات على خطى ثابتة، وأسس راسخة على الرغم من الانتكاسة التي تعرضت لها والانقطاع السياسي بين الدولتين في ثمانينيات وتسعينيات القرن المنصرم، لتعود من جديد على أثر التطورات التي رافقت الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وبما ينسجم مع التاريخ والمصالح المشتركة بينهما، التي سنتطرق اليها في المحاور القادمة من البحث.

اولاً: موقف لبنان من الاحتلال الأمريكي للعراق

١-الاحتلال الأمريكي للعراق وتغيير النظام السياسي عام ٢٠٠٣ :

يعُد العراق من الدول العربية والإقليمية البارزة والمهمة في منطقة الشرق الأوسط، لما يمتلكه من موقع استراتيجي مهم، فضلاً عن إمكانياته الاقتصادية، لاسيما النفط [١٢]، اذ جاءت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، فرصة جديدة للولايات المتحدة الأمريكية للانتقال إلى استراتيجية أكثر تناسباً مع التفوق الأمريكي العسكري عالمياً، إذ لم يتوان الرئيس الأمريكي جورج ووكر بوش (George W Bush) [١٣]، في تصنيف العراق ضمن محور الشر كما يسمونها [١٤].

كان النفط العراقي السبب الغير معلن للاحتلال الأمريكي، إذ مثل ثاني احتياط عالمي بعد المملكة العربية السعودية، وتحججت بأسباب عدة منها انتهاك العراق لحقوق الانسان، واسلحة الدمار الشامل وغيرها[١٥]، وهكذا بدأت الحرب في ٢٠ اذار ٢٠٠٣، واحكمت الولايات المتحدة الامريكية قبضتها على العراق لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخه، اذ انقطعت العلاقات الدبلوماسية مع معظم الدول العربية، مما جعله يعيش في عزلة عن المجتمع العربي والدولي، ومن ثم أفرجت بعد مدة ليبدأ نمط جديد من العلاقات الإقليمية التي جمعته مع محيطه العربي، ومن بينها لبنان الذي كانت له رؤيا في التعامل مع الوضع الجديد، وانهاء المقاطعة التي دامت عقد من الزمن[١٦].

٢-موقف لبنان من الاحتلال الأمريكي للعراق:

كانت العلاقات العراقية – العربية قد أصابها التدهور والجمود ، منذ دخول القوات العراقية للكويت في عام ١٩٩٠ ، إذ كانت تلك العلاقات مع معظم الدول العربية مترديه ، ولاسيما مع دول مجلس

التعاون الخليجي ومصر ، واستمرت تلك العلاقات على ذلك النحو حتى سقوط النظام العراقي في نيسان عام ٢٠٠٣ [١٧]، حاولت بعض الدول العربية من خلال جامعة الدول العربية منع تلك الحرب ، لما لها من عواقب وخيمة على العراق والمنطقة العربية أجمع، إذ عقد مؤتمر القمة العربية في ٢٨ أذار ٢٠٠٢ ببيروت، واتخذ قرارات عدة، كان من بينها التأكيد على احترام سيادة واستقلال العراق ووحدة أراضيه والدعوة إلى استمرار الحوار بينه وبين المنظمات الدولية، وطلب المجتمعون أيضاً إنهاء الحصار المفروض، ورفع المعاناة عن الشعب العراقي[١٨]، كما أصدرت الجامعة بياناً استنكرت فيه الاحتلال الأمريكي للعراق، وعلى الرغم مما جاء في ذلك البيان ،إلا أن معظم الدول العربية كانت مؤيدة للاحتلال الأمريكي، وساهمت مساهمة فعالة فيما بعد في نجاحه، وأبرز تلك الدول (الكويت وقطر والبحرين والمملكة العربية السعودية والامارات ومصر والأردن) ، وعلى الخلاف منها بدأت بعض الدول معارضتها واستنكارها للاحتلال، ولم تساهم بأي شكل من الأشكال في عملية احتلال العراق مثل (الجزائر وليبيا والسودان وفلسطين وسوريا ولبنان)، إذ كانت الحكومة اللبنانية رافضة تماماً الاحتلال الأمريكي للعراق، ويتضح ذلك من كلمة الرئيس اللبناني **(أميل لحود ١٩٩٨-٢٠٠٧)**[١٩]، في افتتاح القمة العربية والذي أكد فيها رفضه وقال: " **نكرر رفضنا الحرب على العراق أو الكويت أو على أية دولة عربية باعتبارها تهديداً للأمة العربية جمعاء ، وأضاف قبيل تسلم الرئاسة الدورية المقبلة للجامعة العربية للبحرين، أنه يدعو في الوقت نفسه العراق إلى استمرار التعاون مع الأمم المتحدة تلافياً لمنح الذرائع لأي اعتداء عليه** "[٢٠].

وينبغي الإشارة هنا، ان الاحتلال الأمريكي للعراق سوف يؤثر على صعيد التداعيات الإقليمية والداخلية في منطقة الشرق الأوسط ، ويؤدي الى انهيار منظومة النظام العربي الرسمي التي تأسست مع منظمة الجامعة العربية عام (١٩٤٥)، وعلى المستوى الشعبي شهدت بعض الدول العربية احتجاجات وتظاهرات ضد العملية العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية على العراق، ومنها لبنان إذ خرج الاف الطلاب من **(جامعة بيروت العربية)** [٢١]، منددين بالاحتلال الأمريكي، كما احتشد طلاب **(الجامعة الأمريكية)** [٢٢] في الشوارع اللبنانية نصرة للشعب العراقي، وحتى تلاميذ المدارس في مدينة صيدا جنوب لبنان شاركوا في تلك التظاهرات[٢٣].

كان الحدث العراقي بعد الاحتلال الأمريكي، مسيطراً على مواقف ومشاعر اللبنانيين على اختلاف مواقعهم واطيافهم السياسية، إذ عبر الجميع عن دهشته واستغرابه لما جرى مبدياً تخوفه على مستقبل الشعب العراقي ومصير المنطقة العربية في الحقبة المقبلة، إذ أكد الرئيس اللبناني أميل لحود موقف لبنان تجاه تلك الأحداث قائلاً : " **إن موقفنا لم يتغير من العراق ، وهو يدعو لضرورة احترام الشرعية الدولية وقراراتها لأن القوة الأحادية لا توفر ضمانات للدول والشعوب بأن تكون عادلة وتحترم القوانين** " ،

وأعرب لحود عن إيمانه بأن لا خوف على لبنان لأنها دولة مستقرة، ولا سلاح دمار شامل فيه، ولا أصولية أو تطرف ، فالدولة واجهت محاولات الإساءة إلى الاستقرار الأمني وهي مستمرة منذ أحداث الضنية وصولاً إلى الأمس القريب، حيث كشفت شبكة تخريبية كانت تنوي ضرب الاستقرار في البلاد، وشدد على أن أي اعتداء على لبنان إرضاءً لإسرائيل يهدد الاستقرار في المنطقة ، ورأى أيضاً أن تجاوز الأمم المتحدة وتجاهل دورها يعيدنا إلى عقلية القرون الوسطى وشريعة الغاب، داعياً إلى وجوب أن تسهل الولايات المتحدة عودة المنظمة الدولية إلى معالجة الموقف في العراق ، لأن تغييبها ستكون له انعكاسات سلبية على الموقف العالمي من الولايات المتحدة ، وأعرب عن اعتقاده بأنه من المفيد أن تأخذ الدول العربية مما جرى في العراق عبرة وتتعلم من الأخطاء التي وقعت فيها، فتتضامن فيما بينها وتعيد للجامعة العربية دورها وحضورها[٢٤].

وأكد وزير الإعلام اللبناني **(غازي العريضي ٢٠٠٠-٢٠٠٣)**[٢٥] لـ " **الدستور**" : **إن الهدف الأساسي للأمريكيين هو النفط وهم وفروا الحماية لوزارة النفط دون سواها ، ورأى أن إسرائيل هي المستفيدة الأولى من الحرب على العراق واصفاً الإدارة الأمريكية بالإدارة الصهيونية بالكامل، واتهم الأمريكيين ببرمجة عملية النهب والسرقة الحاصلة في العراق معتبراً أنها تدمر ما لم تدمره بالأسلحة، وشبه ما حصل في العراق أنهما كانا حليفين ومارسا الأسلوب نفسه ، وأبدى خشيته من نفس المشروع الذي طبق في لبنان، أي بتنظيم حروب وصراعات داخلية في العراق، معتبراً أن الأرض خصبة ومهيأة بحثاً عن سلطة او نفوذ، وقال : " لقد بدأت لعبة جديدة أخطر هي لعبة أمريكا في المنطقة انطلاقاً من أرض العراق ، لعبة خطيرة جداً تشمل الجميع، وهي لم تنتهِ بسقوط النظام العراقي ، لأن أمريكا – وهذا ما أعلنته مراراً – تريد تغييراً شاملاً في المنطقة...**[٢٦].

وفي السياق ذاته، أعلن وزير الاشغال العامة والنقل اللبناني **(نجيب ميقاتي)**[٢٧]، "**أن الولايات المتحدة تتصرف اليوم بذهنية الإمبراطورية الرومانية ويريدوننا أن نخضع لقوانين أمريكا التي يسعون إلى تنفيذها على حساب الإنسان وسلامته على حساب قدراته ووجوده، أنهم يتجهون بالعالم نحو مجتمع مادي لا عدل فيه ولا قانون وليس استعماراً ، فالاستعمار لا يغير قوانين البلاد التي يدخلها، وأضاف : صحيح أن النظام العراقي سقط ، ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أن العراق سقط والأهم اليوم هو ألا نخضع أو نصاب بالإحباط وأن نتعامل بواقعية وبطريقة عملية مع كل الأمور...**"[٢٨].

ونبه وزير الخارجية اللبناني محمود حمود (٢٠٠٠-٢٠٠٣) من **ان يلجأ (الكيان الصهيوني) إلى استعمال وسيلة " الحرب الوقائية " التي يعتمدها الأمريكيون وخصوصاً أنها الدولة المستفيدة من العدوان على العراق، كما تخوف من أن تفعل الأمر نفسه دول أخرى في العالم الامر الذي يجعل الفوضى والحروب تعم في كل مكان** [٢٩].

حذر **(حزب الله)** [٣٠] من تداعيات ما حصل في العراق واحتمال انعكاساتها على المنطقة برمتها مستبعداً توجيه أي ضربة إلى سوريا أو إيران في الوقت القريب، وربما يتم التحضير لعمل ما بعد خمسة أو ست أشهر تمثل المرحلة الانتقالية التي تحتاجها أمريكا لترتيب وضع العراق وإدارته وبعد أن تهضم " اللقمة " العراقية ولكن قبل ذلك لا تفكر الإدارة الأمريكية في الدخول بمعركة جديدة خاصة مع سوريا لأن المبررات التي سبقت الموضوع العراقي أسهل بكثير وتطلبت كل ذلك الوقت الطويل [٣١].

ثانياً: العلاقات السياسية العراقية – اللبنانية عام ٢٠٠٤:

بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وتشكيل الحكومة، كان لابد من إعادة المؤسسات السياسية للبلاد، على المستوى الداخلي والخارجي، بغض النظر عن تلك الحكومات وصيغة تشكيلها، اذ عملت على إعادة رسم سياسات البلاد، لاسيما السياسة الخارجية، من اجل إعطاء تطمينات للعالم الخارجي عن الوضع في العراق بعد تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية، فعملت وزارة الخارجية العراقية على إعادة السلك الدبلوماسي العراقي والحصول على الاعتراف العربي والإقليمي والدولي بالدولة العراقية الجديدة، لذا نجحت بإعادة مكانة العراق في الجامعة العربية، وكذلك الغاء بعض الديون التي كانت بذمة العراق [٣٢]،

وفي السياق ذاته، ذكرنا موقف الدول المعارضة للاحتلال الامريكي والتي ساندت العراق سياسياً، ومنها لبنان، اذ كان أكثر الدول العربية تعاطفاً مع العراق ليس على أساس المصلحة في ذلك الموقف، وانما على أساس العلاقات العربية والإنسانية، واستضاف أكثر من (٤٠) ألف لاجئ عراقي خلال الاحداث التي مرت بالعراق عام ٢٠٠٤، كما شهدت مدن لبنان تظاهرات داعمة للعراق ضد السياسة الامريكية [٣٣]، واثناء مشاركة العراق في جلسة مجلس وزراء الخارجية العرب في اذار عام ٢٠٠٤، الذي انعقد في القاهرة، اكدت الدول ومنها لبنان على وحدة العراق، واحترام سيادته واستقلاله، والالتزام بمبدأ عدم التدخل في شؤونه الداخلية [٣٤].

وبعد ان بدأت المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٤، لا سيما اتباع السيد **(مقتدى الصدر)** [٣٥] في النجف الاشرف، وما الت اليه الأمور من تطورات، قويت العلاقات الشعبية العراقية اللبنانية، اذ دعم حزب الله اللبناني تلك المقاومة، وحتى أرسل بعض المقاتلين الى العراق للتدريب والمساندة، وفي أيار من العام نفسه، نظم الحزب تظاهرات عمت المناطق اللبنانية التي يتواجدون فيها ضد سياسة الاحتلال الأمريكي، وقتل الأبرياء من الشعب العراقي [٣٦].

يمكن القول، ان العلاقات بين الفصائل المسلحة في العراق وحزب الله علاقات أيديولوجية، بحكم توجهاتهم، وتنظيمهم الديني، وعدوهم المشترك، بالإضافة الى الرابط المشترك الأكبر، وهو الطائفة، اذ ان

جيش المهدي من الطائفة الشيعية وكذلك حزب الله، فكان من الطبيعي ان يصبح هناك تقارب وتعاون ودعم متبادل بين الطرفين.

تجددت العلاقات السياسية اكثر بين العراق ولبنان على اثر زيارة رئيس الوزراء العراقي **(اياد علاوي ٢٠٠٤-٢٠٠٥)** [٣٧] في تموز ٢٠٠٤، وناقش أوضاع العراق والمنطقة، وثارت تلك السياسة حفيظة دمشق التي كانت على خلاف مع العراق، وفي الوقت نفسه، لا تريد للبنان ان تتحرك بحرية بالمنطقة، على الرغم من ذلك، أعربت الحكومتين على تعاونهما المتبادل في مجال إعادة اعمار العراق، وتسهيل دخول وعمل الشركات اللبنانية في العراق [٣٨]، كما ناقش اياد علاوي مع الرئيس اللبناني اميل لحود الواقع الأمني والاستخباراتي الى جانب الاتفاقيات التي كانت قد ابرمت مع العراق قبل عام ٢٠٠٣، وتناول ايضاً موضوع الودائع العراقية في بعض المصارف اللبنانية، والتي يقدر حجمها **(بنصف مليار دولار)**، وطالب العراق لبنان باستردادها، وكذلك أراد ان يكون للبنان سفارة في العراق، وإعادة العلاقات الدبلوماسية [٣٩]، وعدت الزيارة تحولاً ايجابياً من قبل العرب عموماً إزاء الوضع العراقي، والعملية السياسية الفتية، وفي الوقت نفسه، برز الموقف والتحول الإيجابي من خلال ما عبر عنه الرئيس اللبناني اميل لحود خلال استقباله اياد علاوي، اذ اكد دعم لبنان لسيادة العراق ووحدة أراضيه وشعبه، وشدد على دور الشرعية الدولية في رعايتها لعملية السلام والاستقرار من خلال الأمم المتحدة ومناقشة الملف العراقي لإيجاد الحلول العادلة للقضايا العالقة، وابدى استعداد لبنان للمساهمة في مساعدة الحكومة والشعب العراقي للنهوض بالبلاد من جديد [٤٠].

من جانب اخر، عقد الوفد العراقي مع المسؤولين اللبنانيين اجتماعاً شمل الأوضاع السياسية والاقتصادية، وطرح العراق موضوع الاستفادة من الخبرات اللبنانية، من اجل بناء المؤسسات العراقية، واهما المصرفية المالية، وشكلت اللجنة الاستراتيجية العليا العراقية-اللبنانية، وترأسها رئيسي الحكومتين، وتجتمع دورياً في العراق ولبنان لدراسة التباحث بالمشاريع والاتفاقيات، وتطوير العلاقات الثنائية بين الدولتين في المجالات السياسية والمشاريع الاقتصادية الاستراتيجية، ولاسيما مسألة النفط والغاز والاتصالات والصحة والصيرفة، كما شدد اياد علاوي على مسألة نقل الأشخاص والبضائع بينهما وتذليل الصعوبات، وتسهيل منح تأشيرة الدخول لمواطني الدولتين، اراد منه سهولة تنقل رجال الاعمال والمستثمرين، وتم وضع الية مع وزارتي الخارجية والداخلية لمتابعة ذلك الموضوع، واستمرت الزيارة ثلاثة أيام [٤١].

وفي السياق ذاته، اكد رئيس مجلس النواب اللبناني**(نبيه بري ٢٠٠٠-٢٠٠٥)** [٤٢] مساندة بلاده للعراق الذي هو بحاجة الى مد يد العون من جميع العرب، ودعا الى استفادة العراق من عملية الاعمار في لبنان، والتجربة اللبنانية، وان مستقبل العلاقات بين الدولتين مشرق، وان بلاده تتطلع الى إقامة

علاقات سياسية واقتصادية مع العراق البلد الشقيق، ودعم الشعب في تلك المرحلة من اجل استتباب الامن، والاستقرار السياسي، وشدد بري على أهمية الوحدة بين أبناء الشعب العراقي، والتعددية الحزبية، وجاءت زيارة رئيس الوزراء اياد علاوي خلال تلك المرحلة من اجل إعطاء التطمينات للدول العربية والأجنبية التي تتخوف من أوضاع العراق، ومن اجل إعادة السفارات والقنصليات الدبلوماسية [٤٣].

اكدت الحكومة العراقية قبل اجتماع القاهرة في أيلول عام ٢٠٠٤، ان اغلب الدول الأجنبية بدأت ووافقت على عودة سفرائها الى العراق، وان الدول العربية تأخرت في ذلك، وسوف يطرح العراق القضية على اجتماعات الجامعة العربية في القاهرة الذي دعت اليه من اجل مناقشة الأوضاع في العراق ولبنان، وفي الوقت نفسه، فأن العراق أرسل أكثر من أربعين موظفاً لممارسة أعمالهم في السفارات والقنصليات العراقية في الخارج [٤٤].

عقد اجتماع القاهرة على مستوى وزراء الخارجية العرب في ١٤ أيلول ٢٠٠٤، وطالب بإعادة الدول العربية لسفرائها في العراق، لاسيما وانه بذل جهوداً لعدم ترك عذراً لتلك الدول، ومنها تحقيق الامن بشكل نسبي، وكذلك المصالحة الوطنية، وتحجيم النزعة الطائفية، وساند لبنان مطالب العراق في الاجتماع [٤٥]، وخلاله شكلت لجنة ثلاثية لمتابعة الوضع في العراق، وتفعيل مبادرة السلام العربية، وإعادة العلاقات مع الدول العربية [٤٦]، بعد القطيعة على اثر الاحتلال الأمريكي، وتصدر الوضع العراقي مناقشات الاجتماع في القاهرة، اذ كان العراق يريد ان يعيد العلاقات بين الدول المجاورة لا سيما العربية، الا انها كانت تتحجج بسبب الوضع الأمني، وسياسة الحكومة، عكس لبنان الذي لم يغير موقفه من العراق [٤٧].

لابد ان نشير الى ان الموقف العربي بشكل عام يختلف تماماً عن الموقف اللبناني الداعم للعراق، اذ كانت اغلب الدول العربية تتحجج بأعذار واهية، لكنها لا تريد للعراق ان يسترجع عافيته، كونه من الدول الاقتصادية والمهمة في المنطقة، كما لا ننسى، بعد ان اصبح العراق تحت الاحتلال الأمريكي برزت تلك الدول، وهيمنت على المنطقة ومنها السعودية ودول الخليج بصورة عامة، واصبح لها دور في القرارات السياسية، وتخوفها من منافسة العراق إذ استقر أوضاعه الداخلية، وحتى سوريا كانت لا ترغب في ذلك، وارادت اشغال الأمريكيين بالوضع العراقي حتى لا تلتفت اليها، اما لبنان لم تكن تنظر الى العراق على ذلك الاساس بل ان أوضاع العراق السياسية تتشابه الى حد ما مع أوضاع لبنان من ناحية التكوين الاجتماعي والنظام السياسي، وان لبنان لم تكن لها أطماع توسعية او سلطوية، بل كانت تريد مصلحتها الاقتصادية من خلال التعاون وتقوية العلاقات مع العراق.

وفي الشأن ذاته، دعمت لبنان العراق في مؤتمر شرم الشيخ في مصر الذي عقد في تشرين الثاني ٢٠٠٤، وطالبت فيه الدول العربية بتطبيع العلاقات السياسية مع العراق [٤٨]، ومناقشة مستقبله وإعادة

الاعمار ومساندة العملية الانتقالية الجارية وشارك فيه أكثر من (٢٢) وزير خارجية من العرب والدول الإقليمية [٤٩]، وتمخض عنه بيان موحد، دعت فيه الدول العربية المجتمع الدولي الى دعم العملية السياسية ووحدة العراق [٥٠]، والوقوف الى جانبه، وإعادة التمثيل الدبلوماسي من خلال فتح السفارات والقنصليات العربية والدولية [٥١].

ثالثاً: موقف العراق من اغتيال رفيق الحريري عام ٢٠٠٥

شهدت لبنان في الرابع عشر من شباط ٢٠٠٥، دوي انفجار في بيروت، استهدف رئيس الوزراء **(رفيق الحريري)** [٥٢]، عندما كان عائداً من مجلس النواب، وقتل على اثرها مع سبعة اشخاص من مرافقيه، واثر الحدث على الأوضاع السياسية [٥٣]، وفي اليوم التالي شيع الحريري الى ساحة الشهداء، وشارك في ذلك اغلب الطوائف اللبنانية، لما له من اهمية داخل الشعب اللبناني [٥٤]، كما شهدت البلاد اغتيالات أخرى من جميع الطوائف، هدفها اثارة الفتنة بين اللبنانيين، اذ كان الحريري من المساهمين في اعمار لبنان، وإعادة الحياة لها بعد خراب الحرب الاهلية [٥٥]، لكن الانقسام الداخلي والولاءات الخارجية هي التي سمحت ووفرت المناخ المناسب للتدخل الأجنبي وللإعمال الاجرامية، وبالتالي أدت الى اغتيال رفيق الحريري [٥٦].

ادانت الدول العربية عن طريق الجامعة العربية حادثة اغتيال رفيق الحريري، ودعت اللبنانيين الى الوحدة وتفويت الفرصة على أعداء لبنان، وعدم الانجرار وراء مخططات الأعداء [٥٧]، واستنكر العراق والمتمثل برئيس الوزراء اياد علاوي جريمة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في نفس اليوم الذي اغتيل فيه [٥٨]، وبعث ببرقية تعزية ومواساة الى الرئيس اللبناني اميل لحود في ما يلي نصها: " **فخامة الرئيس اميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية المحترم، ببالغ الحزن والاسى تلقينا وشعب العراق فاجعة الشعب الشقيق نبأ اغتيال المغفور له رئيس الوزراء السابق وبطل وفاقه الوطني واحد الاعمدة الفعالة في بناء صرح لبنان الجديد الأستاذ رفيق الحريري، ان هذه الفعلة الجبانة التي اقترفتها ايدي الإرهاب استهدفت فيما استهدفت النيل من وحدة شعبكم النبيل وحريته المضرجة بدماء شهدائه، بعد ان تأججت نيران الفتنة والاحتراب بين صفوفه التي اطفاها الله بجهود الخيرين من أبنائه الذي كان الشهيد احد ابطالها و ذائداً عن حماها وحقوقها، ولئن خسر لبنان احد أبنائه البررة فان لبنان ولود للأحرار والمخلصين لارضه، تغمد الله الشهيد برحمته واسكنه فسيح جناته، وانا لله وانا اليه راجعون**"[٥٩].

في الوقت نفسه، اعتذرت عائلة الحريري عن عدم رغبتها في مشاركة السلطة والجهات الرسمية في التشييع، وفي اليوم التالي أعلن الحداد في لبنان لمدة ثلاثة أيام، وإقامة مأتم وطني بعد موافقة عائلته[٦٠].

يمكن القول، كان لاغتيال رفيق الحريري أثر على الأوضاع في العراق، اذ انه من المساندين للحكومة العراقية وشعبها، ودائماً ما كان يطلب من الدول العربية أعادة فتح سفاراتها في العراق، وحث الشركات والمستثمرين للعمل في العراق من اجل إعادة الاعمار.

وبعد التقارب الذي حصل في العلاقات العراقية –اللبنانية، وكذلك العربية، في منتصف عام ٢٠٠٥، شهدت تلك العلاقات تراجعاً على اثر الهجمات التي قامت بها الجماعات المسلحة، واستهدف السفارات العربية، اذ كان الحدث الأبرز خطف السفير المصري وقتله في تموز من العام نفسه، مما أدى الى ابتعاد لبنان والدول العربية وتخوفها من التدهور الأمني [٦١]، وفي الوقت نفسه، كان هناك صدامات بين بعض الفصائل المسلحة والقوات الامريكية، ولقيت تلك الفصائل الدعم من قبل حزب الله، الذي دعا الى مقاومة المحتل، وشجع على الانتخابات التي عدها وسيلة لمواجهة الاحتلال من خلال تشكيل حكومة قوية تطالب بخروج القوات الاجنبية [٦٢].

رابعاً: موقف العراق من حرب حزب الله وإسرائيل عام ٢٠٠٦:

بدأت إسرائيل تحضر للحرب منذ مدة طويلة، اذ ارادت عزل حزب الله عن سوريا الداعم الرئيس للحزب، من خلال اصدار مجلس الامن قراره المرقم (١٦٨٠) الذي دعا الى ترسيم الحدود بين سوريا ولبنان وبالتالي عزلها[٦٣]، وبعد الاعتداءات المتكررة لإسرائيل على المناطق الجنوبية والحدودية للبنان، قام عناصر من حزب الله بالتسلل الى مواقع الجيش الإسرائيلي الحدودية، وقتل ٨ جنود واسر جنديين [٦٤] في ١٢تموز ٢٠٠٦، وعلى اثرها بدأت الحرب التي عرفت بحرب تموز، اذ شنت إسرائيل هجماتها على المدن الجنوبية، ودمرت البنى التحتية، وقتلت أعداد كبيرة من اللبنانيين [٦٥]، قدر عددهم بـ (١٢٠٠) شهيد، واستخدمت فيها أنواع الأسلحة، واستمرت اكثر من ثلاثة وثلاثين يوماً، ولبنان تحت القصف المدمر، اذ شلت حركتها، ومرافقها الصحية والخدمية في الجنوب[٦٦]، بالمقابل ردت المقاومة اللبنانية المتمثلة بحزب الله بصواريخها التي حصلت عليها من حلفائها ايران وسوريا، وضربت العمق الإسرائيلي [٦٧].

تميز الوقف العربي من خلال الاجتماع في بيروت، واختلف العرب فيما بينهم من الحرب، اذ حملت المملكة العربية السعودية واتباعها حزب الله المسؤولية، وكذلك مصر والأردن التي تبنت مواقف تبرر العدوان الإسرائيلي على لبنان، من خلال لوم حزب الله، وتوزعت المواقف الدولية العربية الى اتجاهات عدة، كان العراق في الاتجاه الأول، الذي يسير مع اغلب الدول، اذ صرح بأن التصعيد جاء في وقت غير مناسب، وقد يجر المنطقة الى حروب كبيرة [٦٨]، كما كان الموقف العراقي متطابق مع قرارات الدول العربية، والتي دعا فيها الى وقف اطلاق النار، واطلاق سراح الاسرى والمحتجزين لدى الطرفين، وانسحاب الجيش الإسرائيلي الى ما وراء الخط الأزرق، وعودة النازحين [٦٩].

سعى العراق الذي يعاني من عدم استقرار الى اتخاذ مبدأ الحياد وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، اذ كان بحاجة الى تعاون الدول العربية والدولية، وإعادة بناء الدولة الجديدة، وعدم التدخل، وبالتالي ربما يسبب للعراق مشاكل هو في غنى عنها، لاسيما وان العراق يقع بين دولتين متناقضين هما السعودية- وايران، ولكل منهما سياسة خاصة، ويريد ان يجر العراق الى جانبه [٧٠]، فضلاً عن ذلك، فأن العراق يقع تحت التأثير الأمريكي ولن يسمح له بالتدخل او مساندة حزب الله على حساب إسرائيل، وفي الوقت نفسه، كان منشغل بالوضع الأمني ومستقبل البلاد، وهو بحاجة الى من يقف معه في محنته وكان ذلك الموقف على المستوى الرسمي [٧١].

اما موقف العراق على المستوى الشعبي، فتضامن مع الشعب اللبناني، وخرجت تظاهرات مؤيدة للمقاومة وحزب الله في العاصمة بغداد، ودعت الحكومة الى مساندة الشعب اللبناني [٧٢]، اذ قاد التيار الصدري تلك التظاهرات بتوجيه من زعيمه مقتدى الصدر، وانتشرت في اغلب المحافظات تأييد للمقاومة اللبنانية ضد إسرائيل، وطالبت الحكومة بموقف رسمي واستنكار العدوان الإسرائيلي، وأعلنت بعض الفصائل استعدادها لإرسال المقاتلين الى لبنان والوقوف الى جانب حزب الله [٧٣].

وفي السياق ذاته، أصدرت المرجعية الدينية العليا للشيعة في النجف الاشرف، والمتمثلة بالسيد علي الحسيني السيستاني بيان حول احداث لبنان، ونص على ما يلي: "**يتعرض لبنان ومنذ عدة أيام لعدوان اسرائيلي متواصل، مستهدفاً شعبه الابي وبناه التحتية على أوسع نطاق، وقد خلف لحد الان مئات الشهداء والجرحى وعشرات الالاف من النازحين والمشردين ودماراً هائلاً في المساكن والطرق والمنشآت المدنية الأخرى، ويحدث كل هذ الظلم الفادح والعالم ممعن في التغاضي عنه... ان العالم مدعو للتحرك بغية المنع من استمرار هذا العدوان السافر، كما ان الامة مدعوة للوقوف الى جانب الشعب اللبناني المظلوم والتضامن معه، والسعي في تأمين الحاجات الإنسانية للمنكوبين من الجرحى والمشردين وغيرهم، وعلى وكلاء المرجعية الدينية في لبنان والمؤمنين عامة القيام بذلك بكل ما اوتوا من إمكانات... حفظ الله لبنان وشعبه العزيز ورحم الله شهداؤه الابرار، ومن على المصابين بالشفاء والعافية**" [٧٤].

خامساً: عودة التمثيل الدبلوماسي بين الدولتين وزيارة فؤاد السنيورة للعراق عام ٢٠٠٨:

طالب العراق خلال مؤتمر القمة العربية الذي عقد في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٧، إعادة التمثيل الدبلوماسي ومساعدته لكي تستقر الأوضاع، والبدء بإعادة الاعمار [٧٥]، وبدأت الولايات المتحدة الامريكية بالضغط على الدول العربية من اجل إعادة علاقاتها، ووجهت انتقاداتها الى تلك الدول [٧٦]، وجاء ذلك على لسان السفير الأمريكي في بغداد ريان كروكر، الذي صرح في نيسان ٢٠٠٨، وانتقد بشدة عدم وجود أي تمثيل دبلوماسي عربي في بغداد، وعدم زيارة أي مسؤول عربي، واكد على دور

العراق المؤسس للجامعة العربية، وان استقرار المنطقة من استقرار العراق، وعلى الدول العربية ارسال ممثليها [٧٧].

شهدت العلاقات العراقية اللبنانية والعربية بصورة عامة تطور ملحوظ في عام ٢٠٠٨، لاسيما بعد تحسن الوضع الامني، والضغط الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية على تلك الدول، بالإضافة الى التدخل الإيراني في العراق، كما دعا رئيس الوزراء العراقي **(نوري المالكي)** [٧٨]، العرب الا يبتعدوا عن العراق، وعلى أثر ذلك بدأت الزيارات ومنها زيارة ملك الأردن، وزيارة **(سعد الحريري)** [٧٩] في اب ٢٠٠٨ [٨٠].

وبعد ان شكلت حكومة جديدة في لبنان برئاسة **(فؤاد السنيورة)** [٨١]، كان العراق او المباركين، وفي اتصال هاتفي أعرب السنيورة عن رغبته في زيارة العراق بأسرع وقت، وتناول الطرفان تعزيز العلاقات بينهما والمصالح المشتركة [٨٢]، فضلاً عن ذلك، اكدت الحكومة العراقية في ١٨ اب ٢٠٠٨ ان رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة سيقوم بزيارة العراق على رأس وفد وزاري كبير [٨٣] من اجل مباحثات سياسية واقتصادية، وإعادة العلاقات الدبلوماسية بعد قطيعة دامت أكثر من عقد من الزمن [٨٤].

وتأسيساً على ذلك، زار رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة العراق في ٢٠ اب ٢٠٠٨، وكان في استقباله رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، وضم الوفد اللبناني وزير الخارجية فوزي صلوخ والمالية محمد شطح، ووزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية إبراهيم شمس الدين، والقائم بالأعمال اللبنانية في بغداد، وعدد من كبار المستشارين والخبراء والاقتصاديين [٨٥].

أكد فؤاد السنيورة على مساندة لبنان للعراق قائلاً: "**ان دعوة العراق للعرب والعرب للعراق هو هدف أساسي نعمل جميعاً لأجله**"، ورحب نوري المالكي بعودة العلاقات مع لبنان، وفتح الباب امام الشركات اللبنانية للاستثمار، وصرح بأن زيارته تهدف الى تجذير العلاقات بين الدولتين، وتعهد فؤاد السنيورة على توطيد العلاقات والتعاون بين جميع الدول العربية، لمواجهة التطورات في المنطقة وتحدياتها، ولابد من التعاون المشترك، وربط المصالح [٨٦].

وذكر ايضاً "**ان الدول العربية مرت بظروف وتحديات في العقود الماضية، ولابد من التعلم من الدروس السابقة والنظر الى المستقبل، وان ندرك انه ليس بإمكان أي بلد منفرد منا ان يواجه هذه المقادير الكبيرة من التحديات الا من خلال التعاون وربط المصالح، والتأكيد على وحدة بُلداننا، والارتفاع فوق التوترات الصغيرة والخلافات في مجتمعاتنا**" [٨٧]

جاءت الزيارة من اجل تمتين العلاقات السياسية والاقتصادية، وإعادة التمثيل الدبلوماسي اللبناني في العراق، بالإضافة الى ذلك، ناقش الطرفان المصالح المشتركة، لاسيما وان العراق غني ويملك ثروات طبيعية، كانت وما زالت لبنان بحاجة اليها، واهمها النفط، فضلاً عن ذلك، سهل دخول الشركات اللبنانية

وأصبحت زيارة فؤاد السنيورة بداية للانفتاح العربي، لا سيما وانه كان بحاجة لتلك المبادرة بعد القطيعة العربية، واكد الطرفان على رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي، وعودة السفير اللبناني للعراق [٨٨].

اتفق العراق ولبنان على تشكيل لجنة عمل في بغداد وبيروت، تعمل على تهيئة الاتفاقيات لتطوير التعاون المشترك في المجالات السياسية والتجارية، ورحب رئيس الوزراء العراقي بذلك وعبر عن رغبته في تطوير العلاقات بشكل واسع مع لبنان [٨٩]، وشكر رئيس الوزراء اللبناني العراق على المساعدات التي قدمت اثناء الحرب مع إسرائيل عام ٢٠٠٦، وناقشت الزيارة أوضاع اللاجئين العراقيين في لبنان، ودعا الدول العربية الى زيارة العراق بعد تحسن الوضع الأمني، ومساندته [٩٠]، واكد على دعم العملية السياسية من اجل انجاحها، والحفاظ على الوحدة الوطنية وتجاوز الازمات، ووعد بأن يكون للبنان نصيب في إعادة اعمار العراق من خلال الشركات الاستثمارية اللبنانية [٩١]، بالمقابل أكد رئيس الوزراء العراقي بأن تكون الأولوية في الاستثمارات للشركات اللبنانية، وبعث برسالة من خلال السنيورة مفادها ان العراق منفتح على جميع الدول العربية دون استثناء، وان الوضع الأمني في تحسن مستمر، بالإضافة الى بداية حركة الاعمار والبناء من اجل النهوض بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي [٩٢].

اعلن رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة في اليوم التالي اطلاق ورشة عمل لمراقبة وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه بين العراق ولبنان خلال المباحثات التي أجريت اثناء زيارته، وشملت الاتفاقات السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية، واكد ان زيارته تهدف الى تعزيز العلاقات الأخوية، وإيجاد سبل تعاون مشترك بين الدولتين، وذكر ان العراق وعدنا بمعاملة تفضيلية، اذ كانت الزيارة فاعلة، ومدروسة جيداً، وشملت العلاقات على مختلف الجوانب، ويتضح ذلك من خلال الوفد اللبناني الذي كان يرافقه وناقش جوانب عدة [٩٣].

من خلال ما تقدم، نلاحظ ان زيارة الوفد اللبناني برئاسة فؤاد السنيورة، لم يكن هدفها بالنسبة للبنان رفع التمثيل الدبلوماسي ومساندة العراق سياسياً بقدر ما كان اقتصادياً، ولا ننسى دولة لبنان ذات الاقتصاد الهش وكان بحاجة الى العراق ونفطه، اذ استغل رئيس الوفد خلال تلك المدة حاجة العراق للدعم والمساندة السياسية، لا سيما وان اغلب الدول العربية كانت بالضد من العملية السياسية الحديثة في العراق، لذا وجد كل طرف ما كان يصبو اليه بالطرف الاخر، وبالتالي حقق للعراق الغاية السياسية وللبنان المصلحة الاقتصادية.

انعكست العلاقات بين الدولتين على الجانب الاجتماعي، لاسيما التعليم، اذ وقعت مذكرات تفاهم بين الجامعات العراقية واللبنانية، ضمن اطار التبادل العلمي والثقافي الذي رسمته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وبالتالي اسهم في زيادة اعداد الطلبة العراقيين في الجامعات اللبنانية، وبلغ عددهم (٧٢٣) طالب وطالبة موزعين على (١٨) جامعة لبنانية ما بين دراسة البكالوريوس (٨١) طالب، والماجستير

(٤٨٤) طالب، والدكتوراه (١٥٨) طالب، ويبدو ان زيادة الاعداد جاء بعد تشكيل الملحقية الثقافية منذ عام ٢٠٠٧، وهدفها الاشراف على الطلبة العراقيين [٩٤]، كما نشطت العلاقات الاجتماعية من خلال زيارة المراقد المقدسة في العراق ولبنان، وعملت على تقارب الشعوب وتبادل الثقافات، إذ كانت السفارة العراقية في بيروت تسهل أمور الزائرين الوافدين للعراق [٩٥].

في ظل تلك التطورات السياسية بين الدولتين، اتصل رئيس الوزراء اللبناني بالرئيس العراقي **(جلال الطالباني)** [٩٦] في تشرين الأول ٢٠٠٨، وابدى فيه تضامن لبنان وشعبه مع الجهود التي تبذلها الحكومة العراقية من اجل الحفاظ على وحدة الدولة والمجتمع بكل اطيافه، لاسيما جاء الاتصال بعد ان غادر عدد كبير من المسيحيين الى لبنان على إثر تدهور الأوضاع الأمنية في البلاد، وطلب السنيورة الحفاظ على امن المسيحيين وتأمين عودتهم الى العراق، وأكد وقف لبنان وشعبه الى جانب العراقيين في محنتهم [٩٧].

الخـاتمـة والاستنتاجات:

ان كل ما جاء في ثنايا البحث عن العلاقات السياسية العراقية اللبنانية (٢٠٠٣-٢٠٠٨) يؤكد لنا الاستنتاجات الاتية:

تعد العلاقات العراقية اللبنانية من اهدأ العلاقات ويمكن وصفها بالمستقرة ولا يشوبها خلاف، وترجع جذورها قديماً، بحكم رابط اللغة، كما لم يكن هناك خلاف جذري يمنع تلك العلاقات ويعود ذلك الى الموقع الجغرافي فلا تربطهم حدود مشتركة ولا عداء إيديولوجي.

اما العلاقات بين الدولتين خلال مدة البحث، فأنها امتازت بالود والتفاهم، ويرجع ذلك الى أسباب عدة منها، ان البيئة في العراق ولبنان متشابهة الى حد ما، فالمجتمع العراقي مكون من عدة طوائف وقوميات وكذلك المجتمع اللبناني، بالإضافة الى نظام الحكم في العراق بعد عام ٢٠٠٣، اذ طبق وفق النظام اللبناني، ويمكن القول ان الولايات المتحدة الامريكية اتخذت في سياستها نفس المنهج الذي اتخذته فرنسا خلال سيطرتها على لبنان، بمعنى نفذت سياسة **(لبننة العراق)** من اجل احكام سيطرتها، فوقع العراق بنفس المشاكل التي حدثت في لبنان، لذا كان التوجه السياسي لكلا الدولتين يسير نحو الاخر، فضلاً عن ذلك لم تقف بالضد من الدول العربية فكانت منفتحة على الجميع ولم تكن تخضع للتحكم الطائفي على عكس الدول العربية المجاورة للعراق.

وفي السياق ذاته، هناك حاجة ملحة للدولتين من اجل ارجاع العلاقات، اذ كان العراق بحاجة الى الاعتراف بنظام الحكم الجديد الذي تشكل بعد الاحتلال، لا سيما وان الدول العربية تضع حوله علامات استفهام، وتعذرت وتحججت بان النظام طائفي او الوضع الأمني غير مستقر، فلم يكن ذلك بالنسبة لدولة لبنان، فضلاً عن حاجة لبنان اقتصادياً للعراق الغني، فكان لا بد من العلاقات ورفع التمثيل الدبلوماسي،

ولا ننسى ان هناك ضغوطات مارستها الولايات المتحدة الامريكية على اغلب الدول العربية لكي ترجع ممثليهم الدبلوماسيين، اذ بعد تصرح السفير الأمريكي في بغداد ريان كروكر وهو يلوم الدول العربية في ابتعادها عن العراق، نجد بعد ثلاثة اشهر توالت الزيارات العربية ومنها زيارة لبنان، التي ارادت إعادة علاقتها ووجد في التصريح الأمريكي سنداً قوياً بالإضافة الى حاجتها للعراق، بالمقابل أراد العراق من خلال علاقته مع لبنان ارسال رسالة الى العالم العربي والدولي، بانه أعاد مكانته السياسية والاقتصادية، وان تلك الرسالة مثلت اعتراف رسمي للنظام الجديد.

اما العلاقات على المستوى الشعبي، احتضنت لبنان اكثر العراقيين الذين غادروا البلاد بعد احداث عام ٢٠٠٣، اذ وجدوا في لبنان والشعب اللبناني حسن الاستقبال والتقدير، وعدم التفرقة، كما ان الجامعات اللبنانية فتحت للطلاب العراقيين، ورحبت بهم، ولم يعاني العراقيون من أي ضغوطات، على عكس الدول الأخرى، بحكم الشعب اللبناني المسالم ويرجع ذلك الى المستوى الثقافي، ونظام الحكم غير المتطرف، كما ساند الشعب اللبناني العراق خلال محنته، ووقف بالضد من سياسة الاحتلال عن طريق الاحتجاجات والتظاهرات، وكما ساند الشعب العراقي لبنان اثناء العدوان الإسرائيلي في حرب تموز ٢٠٠٦، وخرجت تظاهرات عدة وارسلت الحكومة العراقية المساعدات الغذائية والصحية.

قائـمة المصـادر:

اولاً: الوثائق المنشورة:

١- مجلس الامن الدولي، تقرير الأمين العام، الفقرة (٦) من القرار (١٨٣٠)، رقم الملف (S/2008/688).

٢- البيان الرسمي لمكتب سماحة اية الله السيد علي السيستاني، النجف الاشرف، ١٦ تموز ٢٠٠٦.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

١- اودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الامريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦.

٢- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط٢، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣.

٣- زهير كاظم عبود، مخابرات صدام واغتيال شيخ بني تميم طالب السهيل، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤.

٤- شادي خليل أبو عيسى، الولايات غير المتحدة اللبنانية، تقديم: روبير غانم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٥- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

٦- قيس جواد علي الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢ – ١٩٦٥، شركة دار الحوراء للتجارة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٦.

٧- ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ط٢، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨١.

٨- منار عبد المجيد عبد الكريم، الجامعة الامريكية في بيروت وأثرها على الفكر السياسي في العراق الملكي، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، ٢٠١٤.

٩- يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الأيديولوجي والسياسي (١٩٧٨-٢٠٠٨)، ترجمة: نادين نصر الله، ط١، بغداد، ٢٠٠٨.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

١- بوعلاو منى، الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان (١٩٧٨-٢٠٠٦)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد خضير، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١٩.

٢- حسين علي كردي حمود الجبوري، رفيق الحريري ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٤٤-٢٠٠٥، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠١١.

٣- حيدر جواد كاظم الشافعي، نبيه بري ودوره السياسي في لبنان حتى عام ١٩٩٢، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٤.

٤- صفاء فاضل سلمان، المواقف الإقليمية في لبنان للمدة (١٩٩٠-٢٠١١)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٣.

٥- عباس قاسم فرج، حزب الله ودره السياسي في لبنان ١٩٨٩-٢٠٠٠، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٢٠.

٦- عبد الرزاق أحمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (١٩٠٨ – ١٩٣٢)، ط١ ، مكتبة عدنان ، بغداد ، ٢٠١٢.

٧- عدي اسعد خماس، الاحتلال الأمريكي للعراق وأثره على العلاقات العراقية – الأردنية ٢٠٠٣ – ٢٠١٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١١.

٨- فاضل حايف كاظم غربي السلطاني ، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام ٢٠٠٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٤.

٩- فؤاد خلف حسين ، التطورات السياسية في لبنان ١٩٨٩ – ٢٠٠٥ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الانبار ، ٢٠١٨.

١٠- نبيل محمد خليفة العلوي، السيد عبد العزيز الحكيم ودوره السياسي في العراق (١٩٥٠-٢٠٠٩) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧.

رابعاً: البحوث والمقالات:

١- أبو بكر الدسوقي، مؤتمر شرم الشيخ الدولي ومستقبل العراق، "مجلة السياسة الدولية"، العدد (١٥٩)، القاهرة، كانون الثاني ٢٠٠٥.

٢- أحمد سلمان محمد ، العلاقات العراقية العربية الواقع والآفاق ، في مجموعة باحثين ، العراق وعلاقاته الخارجية الواقع والآفاق ، المستنصرية للدراسات العربية والدولية ، بغداد ، ٢٠١٢.

٣- احمد مفلح، النشئ اللبناني والصراع العربي-الإسرائيلي، "مجلة المستقبل العربي"، بيروت، العدد (٣٥٩)، ٢٠٠٩.

٤- انتوني كورد سمان، دروس أولية من الحرب بين إسرائيل وحزب الله، "مجلة المستقبل العربي"، بيروت، العدد (٣٣١)، ٢٠٠٦.

٥- أياد عبد الكريم مجيد وأسراء أحمد جياد، العلاقات العراقية – العربية ١٩٩٠ – ٢٠٠٩ وآفاقها المستقبلية، " المجلة السياسية والدولية "، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، (د.ع)، (د.ت).

٦- ايناس شريم، محور زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات نموذج العراق ولبنان، "مجلة السبط"، بيروت، العدد (٢)، م(٥)، ٢٠١٩.

٧- بشار حسن يوسف وهديل نواف احمد، حزب الله اللبناني والقضايا الإقليمية بعد عام ٢٠٠٣، "مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية"، م١٢، العدد (١٣)، ٢٠١٣.

٨- بشير عبد الفتاح، الموقف العربي من العدوان الإسرائيلي على لبنان، "مجلة السياسة الدولية"، العدد (١٦٦) م٤١، ٢٠٠٦.

٩- خالدة إبراهيم خليل الحبيطي، الازمة السورية-اللبنانية وابعادها الإقليمية والدولية ٢٠٠٥-٢٠٠٦، "مجلة الدراسات الإقليمية"، العدد(٦)، ٢٠٠٧.

١٠- دينا محمد جبر، العراق وواقع النظام الإقليمي العربي (رؤية لآليات التفاعل وإعادة التوازن)، "المجلة السياسية الدولية"، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، (د.ع)، (د.ت).

١١- سامي القيسي، قراءة جديدة في حركة مايس ١٩٤١، " مجلة آفاق عربية "، بغداد، السنة ١١، ١٩٨٦.

١٢- شذى فيصل العبيدي، موقف جامعة الدول العربية من المتغيرات السياسية الجديدة في العراق، " دراسات إقليمية "، بغداد، العدد ٦، السنة ٣، كانون الثانية ٢٠٠٧.

١٣- طلال عتريسي، التداعيات الإقليمية للحرب الإسرائيلية على لبنان، "مجلة الدفاع الوطني اللبناني"، العدد (٥٨)، ٢٠٠٦.
١٤- طه حميد حسين، سبل تعزيز الحضور الدبلوماسي والسياسي العربي في العراق، "المجلة السياسية الدولية"، (د.ع)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، (د.ت).
١٥- عامر كامل احمد، موقف الجامعة العربية من العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٥، "دراسات دولية"، جامعة بغداد، العدد(٤٧)، (د.ت).
١٦- عبد الرؤوف سنو، الحرب الإسرائيلية-اللبنانية ٢٠٠٦ والخلفيات والمواقف والابعاد، "مجلة حوار العرب"، العدد (٢٢)، ٢٠٠٦.
١٧- علي جاسم محمد الفدعوس، موقف المجتمع الدولي من الحرب الإسرائيلية على حزب الله-تموز ٢٠٠٦، "المجلة السياسية الدولية"، (د.ع)، ٢٠٠٦.
١٨- عوني فرسخ، متغيرات الصراع العربي الصهيوني ومستجداته (١٩٤٩-٢٠٠٦)، "مجلة المستقبل العربي"، بيروت، العدد (٤٦٧)، ٢٠١٨.
١٩- فواز موفق ذنون، السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ الواقع وضرورات الإصلاح، "مركز الدراسات الإقليمية"، جامعة الموصل، ٢٠١٨.
٢٠- مصطفى عبد العزيز مرسي، العلاقات العربية-العراقية: تطورات متباينة وتحركات مطلوبة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٠.

خامساً: الصحف:

١- "النهار"، بيروت، العدد (١٦)، تموز ١٩٥٨.
٢- " الدستور " بيروت، (د.ع)، ١٧ نيسان ٢٠٠٣.
٣- "الزمان"، العدد(١٩٠٩)، ٨ايلول ٢٠٠٤.
٤- "الزمان"، العدد(١٩١٤)، ١٤ أيلول ٢٠٠٤.
٥- "الزمان"، العدد(١٩١٥)، ١٥ أيلول ٢٠٠٤.
٦- "الزمان"، العدد (١٩٤٧)، تشرين الثاني ٢٠٠٤.
٧- "الصباح"، العدد (٤١٧)، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٤.
٨- " الشرق الأوسط"، لندن، العدد(١٤٣٨٦)، ١٨ نيسان ٢٠١٨.
٩- "الزمان"، العدد(٢٠٤٤)، ٢٤ شباط ٢٠٠٥.
١٠-"الزمان"، العدد(٢٠٤٥)، ٢٦ شباط ٢٠٠٥.

١١-"المدى"، العدد (٣٢٠)، ١٦ شباط ٢٠٠٥.
١٢-"البينة الجديدة"، العدد (١٣١)، ٧ تموز ٢٠٠٦.
١٣-"الشرق الأوسط "، لندن، العدد (١٤٣٧٩)، ١١ نيسان ٢٠١٨.
١٤-"النهار"، العدد (٠٣١٤)، ١٥ تموز ٢٠٠٨.
١٥-"الاخبار"، العدد (٦٠٤)، ١٩ اب ٢٠٠٨.
١٦-"الزمان"، العدد (٣٠٧٩)، ٢١ اب ٢٠٠٨.
١٧-"المدى"، العدد (١٣٠٢)، ٢١ اب ٢٠٠٨.
١٨-"النهار"، العدد (٠٣٥١)، ٢١ اب ٢٠٠٨.
١٩-"الجريدة"، عمان، العدد (٣٨٩)، ٢١ اب ٢٠٠٨.
٢٠-"الجريدة"، عمان، العدد (٤٣٩) في ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٨.
٢١- " الزمان " ، العدد ٢٠٨٣ ،السنة ٧ ،١٢ نيسان ٢٠٠٥.
٢٢-صحيفة " عالم الثقافة " ، عمان ، ١/١٠/ ٢٠٢٠.

سادساً: المقالات والصحف الالكترونية على شبكة المعلومات (الانترنت)

١- ياسين الحاج صالح، احتلال من باطن نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط، على الموقع الالكتروني، www.mokarabat.com
٢- موقف الدول العربية من غزو العراق ٢٠٠٣.
.http:// YouTube. Com/ watch V=yu4QGomc-w4&feature=share
٣- مستقبل العراق / منتدى الحوار
news.bbc.co.uk/hi/Arabic/talking-point/newsid,BBC Arabic News.
4- aliqtisadi.com
5- Wiki.ar.m.Wikipedia.og.
٦- حسان حلاق، حفل تأسيس جامعة بيروت العربية بعيدها السابع والخمسون، ١٦ تشرين الثاني ٢٠١٦، شبكة الانترنت، (YouTube).
٧- مجاهد منعثر منشد، نسب ال الصدر وتاريخ الأجداد، كتابات في الميزان، كتابات يومية عامة مستقلة،
Wed.archive.org/web/2019.
٨- إذاعة العراق الحر، ٢٧ تموز ٢٠٠٤، http: // www.iraqhurr.org

٩- صحيفة ايلاف الالكترونية، السعودية، الثلاثاء، ٢٧ تموز ٢٠٠٤،

Elaph Publishing Limited

١٠- صحيفة الوطن الالكترونية، عمان، ٢٠٠٤،

Copyright 2004, Al watan@internet Dept.

١١- وكالة الانباء الكويتية (كونا) في ١٤ شباط ٢٠٠٥، www.Kuna.net.Kw

١٢-قناة BBC في ١٧ نيسان ٢٠٠٨.

١٣-فؤاد السنيورة،Wiki.ar.m.Wikipedia.og

١٤- موسوعة برتيانيكا على الانترنت، Saad AL-Hariri، تشرين الأول ٢٠١٧.

١٥- صحيفة ايلاف الالكترونية، ١٨ اب ٢٠٠٨.

١٦- العراق ولبنان شكلا خليتي تعاون واتفقا على تنقية العلاقات العربية.

Lebanese forces Official Websit.

١٧- صحيفة البوابة الالكترونية www.Albawaba.com ، ٢٠ اب ٢٠٠٨.

١٨- قناة الفيحاء الفضائية،https: // YouTube.be/ cpnnf19p3yg ، في ٢١ اب٢٠٠٨.

١٩- السنيورة في بغداد داعياً العرب لزيارتها، صحيفة البيان الالكترونية، ٢١ اب ٢٠٠٨، .www.albayan.ae

٢٠- الملحقية الثقافية في بيروت، http: / www.iqcab.org.

الهوامش:

(١) عبد الرزاق أحمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (١٩٠٨ -١٩٣٢)، ط١ ، مكتبة عدنان ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص ص ٥٢-٦١.

(٢) أياد عبد الكريم مجيد وأسراء أحمد جياد، العلاقات العراقية – العربية ١٩٩٠ – ٢٠٠٩ وآفاقها المستقبلية، " المجلة السياسية والدولية "، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد ، (د.ع)، (د.ت)، ص١٢٧ .

(٣) رشيد عالي الكيلاني : ولد عام ١٨٩٢ في بغداد، ودرس فيها، بعدها دخل مدرسة الحقوق ونال شهادتها عام ١٩١٤ ، شغل مناصب عدة في الدولة ، منها وزير العدلية عام ١٩٢٤ ، ووزير الداخلية عام ١٩٢٥، ورئيس مجلس النواب عام ١٩٢٦ ، وانتخب نائباً في المجلس النيابي لأكثر من دورة انتخابية ، شغل منصب رئيس الديوان الملكي عام ١٩٣٢، كما شكل أربع وزارات ، توفي في بيروت في ٢٨ – اب ١٩٦٥ . للمزيد ينظر: قيس جواد علي الغريري ، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢ – ١٩٦٥ ، شركة دار الحوراء للتجارة والطباعة والنشر ، بغداد ، ٢٠٠٦ .

(٤) سامي القيسي، قراءة جديدة في حركة مايس ١٩٤١ ، " مجلة آفاق عربية "، بغداد، السنة ١١ ، ١٩٨٦ ، ص٩٣ .

(٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٦ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٢٣٠ .

[٦] ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، ط٢ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨١، ص٢٠٥ .

[٧] صائب سلام (١٩٠٥ –٢٠٠٠) : ولد في مدينة بيروت ، والده سليم علي سلام ، أحد نواب مجلس المبعوثان ، شارك في اللجنة القومية التي ترأسها عبد الحميد كرامي بهدف التخلص من الانتدابين الفرنسي والبريطاني ، انتخب نائباً عن مدينة بيروت عام ١٩٤٣ ، وأعيد انتخابه في دورات عدة ، أدى دوراً أساسياً في انتخاب بشارة الخوري رئيساً لمجلس الوزراء للسنوات (١٩٥٢ – ١٩٥٣ –١٩٦٠ –١٩٦١ –١٩٧٠ –١٩٧١)، كما عُرف بمواقفه الوطنية والقومية الجريئة ، وقدم استقالته من الوزارة مع رئيسها عبد الله الباقي احتجاجاً على مناورة الحكم في مواجهة العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ . للمزيد ينظر : فاضل حايف كاظم غربي السلطاني ، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام ٢٠٠٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٤ .

[٨] "النهار" ، بيروت ، العدد ١٦ ، تموز ١٩٥٨ .

[٩] فؤاد خلف حسين ، التطورات السياسية في لبنان ١٩٨٩ – ٢٠٠٥ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الانبار ، ٢٠١٨ ، ص ١١١.

[١٠] طالب السهيل (١٩٣٠ –١٩٩٤) : ولد طالب علي السهيل في بغداد ، وهو الابن الثاني للشيخ علي السهيل من زعماء قبيلة بني تميم أكبر القبائل العربية عدداً ، وأوسعها مضارب في الأرض، نشأ الشيخ طالب السهيل في محيط عشيرته ، وأما والدته فهي السيدة صفية ابنة الشيخ حاتم السلطان ، وهو من شيوخ بني تميم البارزين، دخل الشيخ طالب السياسة العراقية وهو يحمل الجنسية الأردنية، وكان معارض لنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين، وشارك في محاولة اطاحة بصدام حسين في تموز ١٩٩٣، الا انها فشلت . للمزيد ينظر: زهير كاظم عبود ، مخابرات صدام واغتيال شيخ بني تميم طالب السهيل ، ط١ ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٤، صحيفة " الزمان " ، العدد ٢٠٨٣ ،السنة ٧ ،١٢ نيسان ٢٠٠٥.

[١١] زهير كاظم عبود ، المصدر السابق ، ص ص ٦٧ –٨٥ .

[١٢] أحمد سلمان محمد ، العلاقات العراقية العربية الواقع والآفاق ، في مجموعة باحثين ، العراق وعلاقاته الخارجية الواقع والآفاق ، المستنصرية للدراسات العربية والدولية ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص٦١.

[١٣] جورج ووكر بوش : ولد في ٦ تموز ١٩٤٦ ، وهو سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية للمدة من ٢٠٠١ – ٢٠٠٩ ، وكان أيضاً الحاكم السادس والأربعين لولاية تكساس في الفترة (١٩٩٥ – ٢٠٠٠)، تخرج من جامعة (ييل) عام ١٩٦٨ ، وكلية هارفرد للأعمال عام ١٩٧٥، تزوج من لورا ويلش عام ١٩٧٧ ، ورشح لمجلس النواب الأمريكي بعد ذلك بوقت قصير، انتخب رئيساً للولايات المتحدة الامريكية عام ٢٠٠٠. للمزيد ينظر : اودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الامريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم، ط١، دار الحكمة، لندن ، ٢٠٠٦، ص ص ٣٠٦ –٣١١ .

[١٤] ياسين الحاج صالح ، احتلال من باطن نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط ، على الموقع الالكتروني، www.mokarabat.com

[١٥] عدي اسعد خماس، الاحتلال الأمريكي للعراق وأثره على العلاقات العراقية – الأردنية ٢٠٠٣ – ٢٠١٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١١ ، ص٧٨.

[١٦] عدي اسعد خماس، المصدر السابق ، ص٧٩ .

[١٧] أحمد سلمان محمد ، المصدر السابق ، ص٦٢ .

[١٨] شذى فيصل العبيدي، موقف جامعة الدول العربية من المتغيرات السياسية الجديدة في العراق ، " دراسات إقليمية "، بغداد، العدد ٦ ، السنة ٣ ، ٢٠٠٧ ، ص٥ .

[١٩] أميل لحود : ولد في بيروت عام ١٩٣٦ ، وهو رجل عسكري ، دخل المعترك السياسي بعد تسلمه الحكم، شغل وظائف عدة ، إذ عين عام ١٩٧٣ رئيساً للأركان ، وفي عام ١٩٨٠ مرافقاً لقائد الجيش ، ومن ثم مدير الافراد للجيش اللبناني، ورئيساً للفرقة العسكرية عام ١٩٨٣ في وزارة الدفاع ، أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية عام ١٩٩٨ ، وعام ٢٠٠٤ حتى عام ٢٠٠٧ . للمزيد ينظر: شادي خليل أبو عيسى، الولايات غير المتحدة اللبنانية، تقديم: روبير غانم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ص ١٠٣ -١٠٤ .

[٢٠]موقف الدول العربية من غزو العراق ٢٠٠٣.

http: YouTube. Com watch V=yu4QGomc-w4&feature=share.

[٢١] جامعة بيروت العربية: أسست الجامعة عام ١٩٦٠، واسستها جمعية البر والإحسان، ولقبت جامعة العرب، ارتبطت بجامعة الإسكندرية في مصر، ودرس فيها من جميع الدول العربية، وخرجت اعداد كبيرة من السياسيين والمفكرين العرب. للمزيد ينظر: حسان حلاق، حفل تأسيس جامعة بيروت العربية بعيدها السابع والخمسون، ١٦ تشرين الثاني ٢٠١٦، شبكة الانترنت، (YouTube).

[٢٢] الجامعة الامريكية: تعود فكرة تأسيسها الى عام ١٨٦٢، ومؤسسها دانيال بلس، ابتدأ الدوام فيها عام ١٨٦٦، تألفت من قسمين الأول تحضيري وهو مخصص للدراسة الابتدائية،اما الثاني الاستعدادي ومخصص للدراستين المتوسطة والثانوية. للمزيد ينظر: منار عبد المجيد عبد الكريم، الجامعة الامريكية في بيروت وأثرها على الفكر السياسي في العراق الملكي، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، ٢٠١٤، ص٢٣-٧٢.

[٢٣] مستقبل العراق / منتدى الحوار

news.bbc.co.uk/hi/Arabic/talking-point/newsid,BBC Arabic News.

[٢٤] " الدستور " بيروت ، (د.ع)، ١٧ نيسان ٢٠٠٣ .

[٢٥] غازي العريضي : نائب سابق ووزير لبناني ، أسس إذاعة صوت الجبل والتي تتبع لـ (الحزب التقدمي الاشتراكي) عام ١٩٨٤ ، وتولى رئاستها حتى إقفالها عام ١٩٩٤ ، عين مستشاراً لرئيس الحزب وليد جنبلاط عام ١٩٩١، بعدها انتخب نائباً في البرلمان عام (٢٠٠٠) ، واعيد انتخابه عن نفس المقعد بأعوام (٢٠٠٥) و (٢٠٠٩)، عين وزيراً للإعلام في حكومة الرئيس رفيق الحريري . للمزيد ينظر: aliqtisadi.com

[٢٦] الدستور ، المصدر السابق .

[٢٧] نجيب ميقاتي : رئيس وزراء لبنان السابق ، وهو سياسي ووزير في حكومات لبنانية عدة، ورجل أعمال ونائب حالي في مجلس النواب اللبناني منذ عام (٢٠٠٠) حتى (٢٠٠٥) ومن (٢٠٠٩) حتى الآن ، عُين رئيساً للوزراء للمرة الأولى من ١٩ – نيسان ٢٠٠٥ إلى ١٩ – تموز ٢٠٠٥ بعد استقالة الرئيس عمر كرامي على اثر اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري ، وكانت حكومته حكومة مؤقتة تقوم بإدارة الدولة حتى إجراء انتخابات المجلس النيابي وذلك كي تجري الانتخابات بإدارة حيادية . للمزيد ينظر: ar.m.wikipedia.org.

[٢٨] الدستور ، المصدر السابق .

[٢٩] الدستور، المصدر السابق .

[٣٠] حزب الله: هو احدى اشهر المجموعات الإسلامية التي انبثقت من حركة امل في لبنان، بعد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٨٢، واختلف في تفسير رؤى التعاطي مع الاحتلال، اذ انتهجت حركة امل الطرق الدبلوماسية، اما حزب الله اتخذ المقاومة لخروج الاحتلال، وعقد مؤتمره الأول عام ١٩٨٩، ودخل العملية السياسية منذ انتخابات عام ١٩٩٢، وحصل فيها على ١٢ مقعد نيابي، وفي انتخابات عام ١٩٩٦ حصل على ٩ مقاعد، كان له دور بارو في تحرير جنوب لبنان عام ٢٠٠٠، باستثناء مزارع شبعا. للمزيد ينظر: عباس قاسم فرج، حزب الله ودوره السياسي في لبنان ١٩٨٩-٢٠٠٠، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٢٠.

[٣١] الدستور ، المصدر السابق.

[٣٢] فواز موفق ذنون، السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ الواقع وضرورات الإصلاح، "مجلة مركز الدراسات الإقليمية "، جامعة الموصل، ٢٠١٨، ص٧.

[٣٣] منتدى الحوار، مستقبل العراق، المصدر السابق.

[٣٤] عامر كامل احمد، موقف الجامعة العربية من العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٥، "مجلة دراسات دولية"، جامعة بغداد، العدد(٤٧)، (د.ت)، ص٦٢.

[٣٥] مقتدى الصدر: ولد في النجف عام ١٩٧٤، وهو ابن السيد محمد بن محمد صادق الصدر، رجل دين وزعيم التيار الصدري، التحق بالحوزة العلمية عام ١٩٨٨، اشرف على جامعة الصدر الدينية، ومدرسة الامام المهدي، وترأس تحرير مجلة الهدى، واعتقل عام ١٩٩١، لكن اطلق سراحه، غادر العراق عام ٢٠٠٣، الى ايران للدراسة، ولم يمض هناك سوى اشهر، وشكل الجناح المسلح المعروف ب(جيش المهدي)، ودخل المعترك السياسي من خلال دعم التيار الصدري في الحكومة. للمزيد ينظر: مجاهد منعثر منشد، نسب ال الصدر وتاريخ الأجداد، كتابات في الميزان، كتابات يومية عامة مستقلة، Wed.archive.org/web/2019.

[٣٦] يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الأيديولوجي والسياسي (١٩٧٨-٢٠٠٨)، ترجمة: نادين نصر الله، ط١، بغداد، ٢٠٠٨، ص٣٨٨.

[٣٧] اياد علاوي: ولد في بغداد عام ١٩٤٥، درس الطب في جامعة بغداد عام ١٩٧٠، حصل على الماجستير والدكتوراه من لندن عام ١٩٧٩، تعرض الى محاولة اغتيال عام ١٩٧٨، بسبب معارضته لحزب البعث، أسس بالتعاون مع البعثيين القدامى حركة الوفاق الوطني العراقي عام ١٩٩١، شارك في مؤتمرات المعارضة قبل عام ٢٠٠٣، اشترك في مجلس الحكم العراقي عام ٢٠٠٤، اختير رئيساً للحكومة الانتقالية، تزعم القائمة العراقية عام ٢٠٠٥، وخاض انتخابات عام ٢٠١٠. للمزيد ينظر: حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط٢، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣، ص١٠٧-١٠٨.

[٣٨] "الشرق الأوسط "، لندن، العدد (١٤٣٧٩)، ١١ نيسان ٢٠١٨.

[٣٩] إذاعة العراق الحر، ٢٧ تموز ٢٠٠٤، http: // www.iraqhurr.org

[٤٠] صحيفة ايلاف الالكترونية، السعودية، الثلاثاء، ٢٧ تموز ٢٠٠٤، Elaph Publishing Limited

[٤١] صحيفة ايلاف الالكترونية، المصدر السابق.

[٤٢] نبيه بري: ولد في مدينة بنت جبيل في لبنان عام ١٩٣٨، أكمل دراسته في فرنسا، وحصل على شهادة الحقوق من الجامعة اللبنانية، أصبح عضو المجلس الإسلامي الشيعي، ومارس المحاماة، وترأس حركة امل، ومن ثم وزيراً للعدل عام ١٩٨٤، وهو أحد أبرز السياسيين اللبنانيين، انتخب رئيساً لمجلس النواب عام ١٩٩٢. للمزيد ينظر: حيدر جواد كاظم الشافعي، نبيه بري ودوره السياسي في لبنان حتى عام ١٩٩٢، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٤.

[٤٣] صحيفة الوطن الالكترونية، عمان، ٢٠٠٤، Copyright 2004, Al watan@internet Dept.

[٤٤] "الزمان"، العدد(١٩٠٩)، ٨ايلول ٢٠٠٤.

[٤٥] اياد عبد الكريم مجيد واسراء احمد جياد، المصدر السابق، ص١٣٩.

[٤٦] "الزمان"، العدد(١٩١٤)، ١٤ أيلول ٢٠٠٤.

[٤٧] "الزمان"، العدد(١٩١٥)، ١٥ أيلول ٢٠٠٤.

[٤٨] "الزمان"، العدد (١٩٤٧)، تشرين الثاني ٢٠٠٤.

[٤٩] أبو بكر الدسوقي، مؤتمر شرم الشيخ الدولي ومستقبل العراق، "مجلة السياسة الدولية"، العدد (١٥٩)، القاهرة، كانون الثاني ٢٠٠٥، ص١٢٤.

[٥٠] "الصباح"، العدد (٤١٧)، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٤.

[٥١] شذى فيصل العبيدي، المصدر السابق، ص١٣٠.

[٥٢] رفيق الحريري: ولد رفيق بهاء الدين الحريري عام ١٩٤٤، في صيدا، من اسرة فقيرة، سني المذهب، من عائلة ملتزمة دينياً، اكمل دراسته الثانوية عام ١٩٦٤، دخل جامعة بيروت العربية وتخرج باختصاص المحاسبة، سافر الى المملكة العربية السعودية، وعمل مدرس رياضيات، ومحاسب في شركات عدة، حظي باحترام العائلة المالكة، ومنح الجنسية السعودية عام ١٩٧٨، شغل منصب رئاسة الوزراء بين عامي ١٩٩٢–١٩٩٨، ومن عام ٢٠٠٠ حتى اغتياله، للمزيد ينظر: حسين علي كردي حمود الجبوري، رفيق الحريري ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٤٤–٢٠٠٥، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠١١.

[٥٣] فؤاد خلف حسين، المصدر السابق، ص ٣٧٩؛ " الشرق الأوسط"، العدد(١٤٣٨٦)، ١٨ نيسان ٢٠١٨.

[٥٤] صفاء فاضل سلمان، المواقف الإقليمية في لبنان للمدة (١٩٩٠–٢٠١١)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص١٦٣.

[٥٥] "الزمان"، العدد(٢٠٤٤)، ٢٤ شباط ٢٠٠٥.

[٥٦] "الزمان"، العدد(٢٠٤٥)، ٢٦ شباط ٢٠٠٥.

[٥٧] خالدة إبراهيم خليل الحبيطي، الازمة السورية–اللبنانية وابعادها الإقليمية والدولية ٢٠٠٥–٢٠٠٦، "مجلة الدراسات الإقليمية"، العدد(٦)، ٢٠٠٧، ص٧٣.

[٥٨] وكالة الانباء الكويتية (كونا) في ١٤ شباط ٢٠٠٥، www.Kuna.net.Kw.

[٥٩] مقتبس من "المدى"، العدد (٣٢٠)، في ١٦ شباط ٢٠٠٥.

[٦٠] "المدى"، المصدر نفسه.

[٦١] طه حميد حسين، سبل تعزيز الحضور الدبلوماسي والسياسي العربي في العراق، "المجلة السياسية الدولية" (د.ع)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، (د.ت)، ص٢٦.

[٦٢] بشار حسن يوسف وهديل نواف، حزب الله اللبناني والقضايا الإقليمية بعد عام ٢٠٠٣، "مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية"، م١٢، العدد (١٣)، ٢٠١٣، ص٤٧١.

[٦٣] "البينة الجديدة" ، العدد (١٣١)، ٧ تموز ٢٠٠٦.

[٦٤] بوعلاو منى، الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان (١٩٧٨–٢٠٠٦)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد خضير، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١٩، ص١٤٦.

[٦٥] عوني فرسخ، متغيرات الصراع العربي الصهيوني ومستجداته (١٩٤٩–٢٠٠٦)، "مجلة المستقبل العربي"، بيروت، العدد (٤٦٧)، ٢٠١٨، ص٥٠.

[٦٦] احمد مفلح، النشئ اللبناني والصراع العربي–الإسرائيلي، "مجلة المستقبل العربي"، بيروت، العدد (٣٥٩)، ٢٠٠٩، ص٨٧.

[٦٧] انتوني كورد سمان، دروس أولية من الحرب بين إسرائيل وحزب الله، "مجلة المستقبل العربي"، بيروت، العدد (٣٣١)، ٢٠٠٦، ص١٢١.

[٦٨] صفاء فاضل سلمان، المصدر السابق، ص١٨٧.

[٦٩] بشير عبد الفتاح، الموقف العربي من العدوان الإسرائيلي على لبنان، "مجلة السياسة الدولية"، العدد (١٦٦) م٤١، ٢٠٠٦، ص١٣١.

[٧٠] دينا محمد جبر، العراق وواقع النظام الإقليمي العربي(رؤية لآليات التفاعل وإعادة التوازن)،"المجلة السياسية الدولية"، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية،(د.ع)، ص١٣٠.

[٧١] طلال عتريسي، التداعيات الإقليمية للحرب الإسرائيلية على لبنان، "مجلة الدفاع الوطني اللبناني"، العدد (٥٨)، ٢٠٠٦، ص١٢٧.

[٧٢] عبد الرؤوف سنو، الحرب الإسرائيلية–اللبنانية ٢٠٠٦ والخلفيات والمواقف والابعاد، "مجلة حوار العرب"، العدد (٢٢)، ٢٠٠٦، ص١٢٥.

[٧٣] علي جاسم محمد الفدعوس، موقف المجتمع الدولي من الحرب الإسرائيلية على حزب الله–تموز ٢٠٠٦، "المجلة السياسية الدولية"، (د.ع)، ٢٠٠٦، ص١٤٥.

[٧٤] البيان الرسمي لمكتب سماحة اية الله السيد علي السيستاني، النجف الاشرف، ١٦ تموز ٢٠٠٦.

[٧٥] عامر كامل احمد، المصدر السابق، ص٦٤.

[٧٦] طه حميد حسن، المصدر السابق، ص٢٦.

[٧٧] قناة BBC في ١٧ نيسان ٢٠٠٨.

[٧٨] نوري المالكي: ولد عام ١٩٥٠، في قضاء الهندية بمحافظة كربلاء، درس كلية أصول الدين، وحصل على الماجستير من جامعة صلاح الدين، انتمى في السبعينيات الى حزب الدعوة الإسلامية، وهرب من العراق عام ١٩٧٩، حكم عليه غيابياً بالإعدام، وتنقل بين سوريا وإيران، عاد بعد عام ٢٠٠٣، انتخب عضواً في لجنة كتابة الدستور، وأصبح رئيساً للوزراء عام ٢٠٠٥، وعام

٢٠١٠. للمزيد ينظر: نبيل محمد خليفة العلوي، السيد عبد العزيز الحكيم ودوره السياسي في العراق (١٩٥٠-٢٠٠٩) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧، ص١٥٨.

(٧٩) سعد الحريري: ولد عام ١٩٧٠ في جدة بالسعودية، وهو سياسي ورجل اعمال لبناني، وابن رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان الأسبق، امه عراقية الأصل (نضال البستاني)، حصل على الجنسية السعودية عام ١٩٧٨، دخل السياسة بعد اغتيال والده، تولى رئاسة الوزراء للمدة (٢٠١٦-٢٠١٩). للمزيد ينظر: موسوعة برتيانيكا على الانترنت، Saad AL-Hariri، تشرين الأول ٢٠١٧.

(٨٠) مصطفى عبد العزيز مرسي، العلاقات العربية-العراقية: تطورات متباينة وتحركات مطلوبة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٠، ص٥٧.

(٨١) فؤاد السنيورة: ولد عام ١٩٤٣، في صيدا، درس في الجامعة الامريكية في بيروت، شغل مناصب عدة في الحكومات اللبنانية المتعاقبة، فكان وزيراً للمالية للمدة (٢٠٠٠-٢٠٠٤)، وكان مقرب من رفيق الحريري، واحد أبرز الشخصيات في تيار المستقبل، وتولى رئاسة الوزراء للمدة (٢٠٠٥-٢٠٠٩). للمزيد ينظر: ويكيبيديا فؤاد السنيورة،

Wiki.ar.m.Wikipedia.og.

(٨٢) "النهار"، العدد (٠٣١٤)، ١٥ تموز ٢٠٠٨.

(٨٣) صحيفة ايلاف الالكترونية، ١٨ اب ٢٠٠٨.

(٨٤) "الاخبار"، العدد (٦٠٤)، ١٩ اب ٢٠٠٨.

(٨٥) مجلس الامن الدولي، تقرير الأمين العام، الفقرة (٦) من القرار (١٨٣٠)، رقم الملف (S/2008/ 688)، ٢٠٠٨، العراق ولبنان شكلا خليتي تعاون واتفقا على تنقية العلاقات العربية.

Lebanese forces Official Websit.

(٨٦) صحيفة البوابة الالكترونية www.Albawaba.com ، ٢٠ اب ٢٠٠٨.

(٨٧) مقتبس من: "المدى"، العدد (١٣٠٢)، ٢١ اب ٢٠٠٨

(٨٨) "الزمان"، العدد (٣٠٧٩)، ٢١ اب ٢٠٠٨.

(٨٩) قناة الفيحاء الفضائية، https: // YouTube.be/ cpnnf19p3yg ، في ٢١ اب٢٠٠٨.

(٩٠) السنيورة في بغداد داعياً العرب لزيارتها، صحيفة البيان الالكترونية، ٢١ اب ٢٠٠٨، www.albayan.ae.

(٩١) "النهار"، العدد (٠٣٥١) في ٢١ اب ٢٠٠٨.

(٩٢) "الجريدة"، العدد (٣٨٩) في ٢١ اب ٢٠٠٨.

(٩٣) "الزمان"، العدد (٣٠٧٩)، المصدر السابق.

(٩٤) الملحقية الثقافية في بيروت، http: / www.iqcab.org.

(٩٥) ايناس شريم، محور زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات نموذج العراق ولبنان، "مجلة السبط"، بيروت، العدد (٢)، م(٥)، ٢٠١٩، ص٥٩.

(٩٦) جلال الطالباني: ولد عام ١٩٣٣، في مدينة كلكان في العراق، من اسرة دينية، أكمل دراسته الإعدادية في أربيل، وتخرج من كلية الحقوق في بغداد عام ١٩٥٩، أصبح عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي في كردستان (١٩٥٤-١٩٦٤)، وسكرتير عام

للاتحاد الوطني الكردستاني في عام ١٩٧٥، وبعد عام ٢٠٠٣ اختير عضواً في مجلس الحكم الانتقالي (٢٠٠٣-٢٠٠٤)، ومن ثم رئيساً للجمهورية عام ٢٠٠٥، وانتخب مرة أخرى عام ٢٠١٠، توفي في المانيا عام ٢٠١٧عن عمر ناهز الرابعة والثمانين على إثر مرض العضال. للمزيد ينظر: حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص١٧٢.

(٩٧) "الجريدة"، العدد (٤٣٩) في ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٨.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

سياسة الحكومة السوفيتية تجاه الكنيسة الارثوذكسية في الاتحاد السوفيتي (١٩٢٢-١٩٩١) "دراسة تاريخية"

Soviet Government Policy towards the Orthodox Church in the Soviet Union (1922-1991) a Historical Study

م.د. هيلدا رافي خاجيك
helda.r.kh@nahrainuniv.edu.iq
جامعة النهرين/ رئاسة الجامعة
العراق/ بغداد
D. Helda Rafi Khajik
helda.r.kh@nahrainuniv.edu.iq
University of Nahrain/University Presidency
Iraq / Baghdad

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

الاهمية: تكمن أهمية هذه الدراسة بكونها تتناول العلاقة بين السلطة السياسية (الحكومة) والدين (الكنيسة الارثوذكسية) في الاتحاد السوفيتي، والتي تُعد من أهم التجارب التاريخية التي شهدها القرن العشرين، أذ قامت الحكومة السوفيتية بأتباع سياسة اللادين لغرض الحد من تأثير الكنيسة الارثوذكسية في المجتمع السوفيتي، كما أعتبرت بأن الدين عبارة عن ظاهرة تتعارض وبشدة مع الايديولوجية اللينينية – الماركسية، ومن هنا أرتأت الباحثة أهمية تسليط الضوء على السياسات التي اتبعتها الحكومة السوفيتية بمختلف رؤوسائها تجاه الكنيسة الارثوذكسية، وتأثير تلك السياسات على الحياة الدينية داخل الاتحاد السوفيتي.

المشكلة: تتمثل مشكلة الدراسة بالدرجة الاولى بكونها غير مطروقة سابقاً لندرة مصادرها باللغة العربية ، من ناحية اخرى تكمن المشكلة أيضاً في اثارة عدة تساؤلات، أهمها سياسة الحكومة السوفيتية تجاه الكنيسة الارثوذكسية خلال مدة الدراسة؟ وهل كانت تلك السياسة ثابتة ام متغيرة وفق التحولات والاحداث والتغييرات التي شهدها العهد السوفيتي؟

الفرضية: هنا تُكمن الاجابة وهي ان سياسة الحكومة السوفيتية لم تكن ثابتة بل مرت بمراحل عدة تأرجحت بين القمع والشدة احياناً وبين الاحتواء والتوظيف احياناً اخرى، لا سيما خلال فترة الحرب

العالمية الثانية عندما اضطرت الحكومة السوفيتية الى تخفيف قيودها تجاه الكنيسة لغرض دعم الوحدة الوطنية.

المنهجية: استندت الدراسة على منهج العرض لأهم ما اصدرته الحكومات السوفيتية انذاك من قوانين وتشريعات تجاه الكنيسة الارثوذكسية، فضلا عن سياساتها القمعية التي اتبعتها من اجل القضاء على الدين بشكل كامل داخل الاتحاد السوفيتي، وبناءً على ذلك تم تقسيم الموضوع الى عدة محاور لغرض عرضها بصورة مفصلة ابتداءً من فترة حكم لينين ومن ثم ستالين مروراً بفترة الحرب العالمية الثانية وصولاً الى مرحلة البيريسترويكا، كما اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي لعرض الاحداث الماضية من خلال الجمع والتقييم والتحليل لبيان طبيعة العلاقة بين الحكومة والكنيسة وما مرت به البلاد من احداث ومنعطفات سياسية ابان تلك الحقبة.

النتائج: توصلت الدراسة الى نتائج عدة، كان من اهمها ان الحكومة السوفيتية تبنت منذ بداية حكمها، اي منذ وصول البلاشفة الى سدة الحكم بأتباع سياسة عدائية صارمة تجاه الكنيسة الارثوذكسية، وذلك من خلال اصدار عدة قوانين وتشريعات رسمية بهدف اغلاق الكنائس ومصادرة ممتلكاتها الدينية بانواعها، كذلك عمدت الحكومة السوفيتية الى الحد من النشاط الديني، الا ان تلك السياسة لم تستمر خلال مدة الحرب العالمية الثانية، فقد شهدت تحولاً نسبياً (نوعاً ما)، وذلك بعد سماح الحكومة السوفيتية باعادة فتح الكنائس واعطاء مساحة للحريات الدينية وذلك لتعزيز الروح الوطنية، وبرغم ذلك شهدت العلاقة بين الكنيسة والدولة حتى اواخر الثمانينات عدة محاولات من قبل السلطات السوفيتية لتضييق الخناق على الكنيسة تارة وفرض الرقابة تارة اخرى، حتى بدأت اصلاحات البيريسترويكا والانفتاح السياسي التي أدت الى تحسن الوضع الديني داخل البلاد بعد تغيير سياسة الدولة تجاه الكنيسة قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١.

الكلمات المفتاحية: السوفيتية، الكنيسة، الارثوذكسية، الحكومة، الدين.

Abstract

Importance: The importance of this study lies in the fact that it addresses the relationship between political authority (the government) and religion (the Orthodox Church) in the Soviet Union, which is considered one of the most significant historical experiences of the twentieth century, where the Soviet government followed a policy of atheism with the purpose of limiting the influence of the Orthodox Church in Soviet society, it also considered the religion as a phenomenon that strongly contradicts Leninist-Marxist ideology. Hence, the researcher deemed it important to shed light on the policies followed by the Soviet government under its various leaders towards the Orthodox Church and the impact of those policies on religious life in the Soviet Union.

Problem: The primary problem of this study is its lack of prior research due to the scarcity of Arabic-language sources. Furthermore, the study raises several questions, most importantly: What was the Soviet government's policy towards the Orthodox Church during the study period? Was this policy consistent or did it change in response to the transformations, events, and changes that characterized the Soviet era?
Hypothesis: The answer lies in the fact that the Soviet government's policy was not consistent but rather went through several phases, fluctuating between repression and severity at times, and containment and manipulation at others, particularly during World War II when the Soviet government was forced to ease its restrictions on the Church in order to bolster national unity.
Methodology: This study is based on a presentation of the most important laws and legislation issued by the Soviet governments of that era concerning the Orthodox Church, as well as their repressive policies aimed at completely eradicating religion within the Soviet Union. Accordingly, the topic is divided into several sections for detailed presentation, beginning with the Lenin and Stalin eras, continuing through World War II, and culminating in the Perestroika period. The study also employs a historical approach to present past events through collection, evaluation, and analysis to clarify the nature of the relationship between the government and the Church, and the political events and turning points the country experienced during that period.
Results: The study reached several conclusions, the most important of which was that the Soviet government, since the beginning of its rule, that is, since the Bolsheviks came to power, adopted a strict hostile policy towards the Orthodox Church, through issuing several official laws and legislation aimed at closing churches and confiscating their religious properties of all kinds. The Soviet government also sought to limit religious activity. However, this policy did not continue during the period of World War II, as it witnessed a relative (somewhat) shift, after the Soviet government allowed the reopening of churches and gave space for religious freedoms in order to strengthen the national spirit. Despite this, the relationship between the church and the state witnessed several attempts by the Soviet authorities to tighten the noose on the church at times and impose censorship at other times, until the Perestroika reforms and political liberalization began, which led to an improvement in the religious situation within the country after the change in the state policy towards the church before the collapse of the Soviet Union in 1991.
Keywords: Soviet, Church, Orthodoxy, Government, Religion.

تمهيد: الفترة الانفصالية للكنيسة الارثوذكسية (١٩١٧-١٩٢١).

شهدت روسيا عام ١٩١٧ قيام ثورتين، أدت الاولى منها والتي حدثت في شباط الى انهيار نظام الحكم القيصري، ونتيجة لذلك شهدت البلاد نزعات انفصالية هددت ليس فقط وحدة الدولة الروسية، بل وحدة كنيستها الأرثوذكسية أيضاً (Kalkandzhieva, 2015, p. 50)، فبعد سقوط النظام القيصري تم الاستيلاء على الحكم من قبل الحكومة المؤقتة، وكان أول اجراء اتخذته هذه الحكومة في ٢٠ اذار ١٩١٧ هو الغاء جميع القيود المفروضة سابقاً على حقوق وحريات المواطنين الروس من مختلف الاديان والجنسيات، كما اعتمدت في ١٤ تموز قراراً بشأن حرية المعتقد او الدين نصه:" **يضمن لكل مواطن في الدولة حرية المعتقد او الدين، لا تعتمد ممارسة الحقوق المدنية والسياسية على الانتماء الديني، ولا يجوز اضطهاد اي شخص او تقييده بسبب معتقداته** ..." (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 47)، اضطرت الكنيسة على اثر ذلك إلى تكييف أنشطتها مع الظروف الجديدة، ولم يتطلب التغيير اعادة تقييم نمط العلاقة بين الكنيسة والدولة فحسب بل وإعادة تنظيم الكنيسة بشكل عام، وبموجب ذلك كان على المجلس الكنسي الروسي الكبير أن يتولى هذه المهام، فعُقد أول مجمع من نوعه بعد انقطاع دام (٢١٧) عاماً وافتتح المجلس المذكور في ٢٨ أب ١٩١٧، والذي حضره مجموعة من الاساقفة والكهنة الذين صوتوا على عدة مقترحات بناءً على تحليلات شاملة قدمها خبراء الكنيسة (Kalkandzhieva, 2015, p. 50)، وبعد سلسلة من المقترحات نجح المجلس الكنسي في اعتماد قوانين حررت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من وضعها السابق كملحق للدولة، فتخلت عن النموذج البطرسي المتمثل في المجمع الكنسي المعين من قبل الدولة ورؤساء الأبرشيات وأدخلت مبدأ الأساقفة المنتخبين، وبذلك أعاد المجلس الكرامة البطريركية للكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وعلى الرغم من بعض المخاوف من أن هذا الإصلاح سيحول الكنيسة إلى نظام ملكي إلا أنه حظي بتأييد أغلبية رجال الدين، ونظراً لأن روسيا سوف تُحكم بحكومة جديدة فإن البطريركية ضرورية كضمان لاستقلالية الكنيسة، وفي الوقت نفسه قيدت قوانين الحكومة المؤقتة دور البطريرك في إدارة الكنيسة وأدخلت مبدأ فصل السلطات في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وأُسندت السلطة التنفيذية إلى رئاسة الكنيسة العليا وهي هيئة جماعية تتألف من البطريرك والمجمع المقدس والمجلس الأعلى للكنيسة، بينما كانت السلطة التشريعية من اختصاص مجلس الشيوخ الكنسي لعموم روسيا (Kalkandzhieva, 2015, p. 51).

اما الثورة الثانية فهي الثورة البلشفية التي قامت في ٢٥ تشرين الاول ١٩١٧، والتي اسفرت عن وصول فلاديمير لينين واتباعه البلاشفة الى الحكم، وقد عززت هذه الثورة مكانة أنصار البطريركية، ففي ١٠ تشرين الثاني من العام نفسه نظم المجلس الكنسي الكبير لعموم روسيا أول انتخابات بطريركية تم من خلالها اختيار بيلافين تيخون كبيراً للاساقفة، وفي ٤ كانون الأول نُصب بطريركاً لموسكو وسائر

روسيا، في هذه الأثناء شهدت بطريركية موسكو المستعادة حديثاً أولى اثار السياسة البلشفية المعادية للدين، بدأت اولها في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨ باصدار مرسوم يحرم الكنيسة الارثوذكسية من وضعها الديني الطبيعي المتعارف عليه في روسيا، وبضرورة فصل الكنيسة عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة، كما حرم المرسوم الكنيسة الأرثوذكسية من سلسلة حقوق بما في ذلك حق الملكية الخاصة، ومنع التعليم الديني في المدارس الحكومية والخاصة (Petra Ramet, 2005, p. 6)، ونتيجة لذلك طلب المجلس الكنسي الكبير من البطريرك تيخون في ٢٥ كانون الثاني وتوقعاً لمشاكل جديدة ترشيح عدد من الوكلاء لتولي مهامه في حالة مرضه أو وفاته أو اعتقاله، وفي حال حدوث ذلك كان عليهم تولي هذه المهام حسب ترتيبهم (Kalkandzhieva, 2015, p. 52).

أدى استيلاء البلاشفة على السلطة الى تغيير جذري في سياسة الدولة تجاه الكنيسة الارثوذكسية، اذ كان الاساس الايديولوجي لعمل السلطات البلشفية ثم السوفيتية لاحقاً هو النسخة الروسية من الماركسية لا سيما بعد ان اصبح لينين القائد الايديولوجي للدولة الجديدة مؤدياً دوراً مزدوجاً كمنظر يضع توجهات التطوير وممارس يطبقها عملياً، وعليه عرفت هذه السياسة بالماركسية – اللينينية، وبجملته الشهيرة (الدين افيون الشعوب) تجلى موقف لينين من الدين ولم يخفي سياسة حزبه اتجاه ذلك وقد كتب بهذا الخصوص قائلاً: "**يستند برنامجنا كلياً الى النظرة العلمية بل والمادية للعالم، لذا فأن شرح برنامجنا يتضمن بالضرورة شرحاً للجذور التاريخية والاقتصادية الحقيقية للضباب الديني، اذ انه من الضروري ان يتضمن برنامجنا الدعائي دعاية اللادين**"، فأصبحت هذه الافكار أساساً للقانون وعلامة سياسية يجب على الجميع اتباعها (Waldemar Bednaruk, 2023, pp. 49–50)، لم يكتفي لينين بذلك فحسب بل أعلن قائلاً:"**توضع العقارات وجميع الاراضي الصالحة للاستخدام والاديرة والكنائس مع جميع الماشية والقطعان والمباني وكل ما يتعلق بها تحت تصرف لجان الاراضي الجماعية ومجالس المقاطعات لنواب الفلاحين**"، وعدت معارضة الاحكام الواردة هذه جريمة كبرى يعاقب من يخالفها في المحاكم الثورية (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 53)، نتيجة لذلك فقدت الكنيسة الارثوذكسية اساس وجودها المالي وهو الدخل من زراعة او تأجير الاراضي المملوكة، وأعلن ايضاً عن مصادرة جميع ممتلكاتها بما فيها المدارس والمؤسسات التعليمية والمطابع وحجز حساباتها المصرفية، اضف الى ذلك حُرم رجال الدين والجمعيات التابعة للكنيسة من اي اتصال بالنظام التعليمي، كما تم الغاء تدريس الدين في المدارس ونقل المباني المصادرة التابعة للمنظمات والمؤسسات الدينية للاغراض العامة، وتم انشاء هيئة خاصة وهي الادارة الثامنة لمفوضية الشعب للقانون التي كان يشار اليها بدائرة التصفية (الادارة الخامسة) التي تهدف بالمقام الاول الى قطع الروابط بين المجتمع والدين وازالة المؤسسات الدينية، وعليه

تعرضت الكنيسة الى ضربة موجعة مما جعل عملها الطبيعي مستحيلاً (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 45.)

بلغ النشاط التشريعي للحكومة البلشفية في فترة عملها المبكرة ذروته في الدستور الذي اعتمده المؤتمر الخامس للسوفيتات لعموم روسيا في ١٠ تموز ١٩١٨ الذي اكد على ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة، ولقد تضمن ما يلي: "**من أجل ضمان حرية التعبير الحقيقية للكادحين يجب فصل الكنيسة عن الدولة ويمنح حق الدعاية الدينية والمناهضة للدين لكل مواطن**"، على اثر ذلك تم تجريد الكنيسة من كافة صلاحياتها التي كانت ممنوحة لها من قبل الحكومة القيصرية وذلك تمهيداً لاضعافها ومن ثم القضاء عليها كونها تشكل عقبة كبيرة امام تشكيل مجتمع خالي من الدين تدريجياً (Constitution of the Russian Socialist Federated Soviet Republic, Resolution of the 5th All-Russian Congress of Soviet adopted on 10 July 1918, Article Two, Chapter Five, Point # 13,p7.)، فقد نصت المادة (١٣) من الدستور على حرية المعتقد وفصل الجمعيات الدينية عن الدولة والمدرسة ومنح المواطنين الحق في ممارسة الدعاية المعادية للدين، اما المادة (٦٥) فقد نصت انه من بين المحرومين من حق التصويت او حق الترشح هم الرهبان ورجال الدين، ولفصل المجتمع عن المؤسسات الدينية وغرس عادة معاملة السلطة السوفيتية على انها المؤسسة الوحيدة التي كان لها تأثير في البلاد تم اصدار مرسومين يخص الاحوال المدنية، إذ حظر هذان المرسومان فعلياً الزواج الديني وتسجيل الابناء، واعتمدت فيما بعد اللجنة التنفيذية لعموم روسيا مدونة قوانين حول سجلات الاحوال المدنية وقانون الزواج والاسرة والوصاية والتي بموجبها لا يجوز الاحتفاظ بسجلات الاحوال المدنية الا من قبل هيئات تعينها الدولة، فأصبحت هذه المؤسسة لاحقاً تعرف بأسم مكاتب الاحوال المدنية، ولم يفرض القانون اي شروط تذكر على الزوجين فيما يتعلق بأبرام زواجهما او فسخه، إذ كانت هذه الخطوة ضمن مسؤولية الكنيسة الارثوذكسية (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 57.)

أدت تلك القوانين الى ظهور نوع من معاداة الدين بدوافع ايديولوجية وسياسية، فكانت هناك حملة قمع مادية من قبل الدولة على الكنيسة الارثوذكسية تهدف الى تشكيل مجتمع غير ديني في اسرع وقت ممكن ويكون مبني وفق المبادئ الماركسية، ويسعى الى خلق افضل الظروف للانسان الحر (وفق وجهة نظرهم)، لذا كانت مكافحة اي دين احد اسس الدولة النظامية فكان لا بد من محو كل الاديان والطوائف المرتبط بها المؤمنين ابتداءً من الفئة الاكبر وهي الكنيسة الارثوذكسية (Waldemar Bednaruk, 2023, pp. 49-51)، وبسبب تلك الاجراءات التي لم تحظى بتأييد الشعب اندلعت الحرب الاهلية بين الجيش الاحمر (البلشفي) والجيش الابيض (المؤيد للنظام القيصري)، مما دفع البلاد الى حافة الهاوية،

وقد شكل الانقسام السياسي لروسيا الجديدة الى معسكرين متناحرين مشكلة كبيرة بالنسبة لقيادة الكنيسة الارثوذكسية والمتمثلة بالبطريرك تيخون الذي جسد وحدة الكنيسة، فمكانته الرفيعة بين اتباعه فرضت عليه توخي الحذر الشديد في تجنب دعم اي طرف من الجيشين المتحاربين، اذ كانت الحرب الاهلية في نظره بمثابة اضطهاد داخلي ومصدراً للفتنة والانقسام بين الشعب، الا ان هذا الموقف لم يمنعه من التزام الصمت ازاء اضطهاد البلاشفة للكنيسة، فقد وجه في ٢٥ تشرين الاول ١٩١٨ رسالة الى الحكومة استهلها بعبارة: " **كل من يحمل السيف يُقتل بالسيف**"، واختتم البطريرك رسالته بدعوة إلى تغيير جذري وحث على استغلال ذكرى الثورة لوقف إراقة الدماء، ووضع حد لأعمال العنف والدمار (Seide , n.d.).

جاءت تلك الرسالة بنتيجة غير متوقعة من قبل الحكومة البلشفية، ففي ظل تلك الظروف خففت الحكومة من حماستها المعادية للدين (Kalkandzhieva, 2015, p. 54)، وفي المقابل اصدر البطريرك تيخون في ٢٥ أيلول ١٩١٩ مرسوم يمنع فيه جميع رجال الدين من الانخراط بأي شكل من الأشكال في الحرب الأهلية، كما رفض البطريرك مباركة أسلحة الجيش الأبيض عندما طلب منه ذلك، وعلى الرغم من ذلك فقد تم تأسيس ما عرف بالادارة المؤقتة (الإدارة الكنسية العليا) في بعض المناطق ومنها سيبيريا ومناطق جنوب روسيا ومقاطعات الشرق الاقصى التي تم الاستيلاء عليها من قبل الجيش الابيض، وكان مركز هذه الادارة في مدينة نوفوتشركاسك جنوب روسيا، فعرفت تلك المرحلة بالانفصال الكنسي داخل البلاد، اذ اجرت الادارة الكنسية العليا عدة تغييرات او تقسيمات ادارية ومنها انشاء ابرشيات (تنظيم كنسي برئاسة الاسقف يضم مجموعة من الرعايا في منطقة معينة) مستقلة او جديدة في المناطق المحتلة، وبدورها اتخذت الإدارة البطريركية في موسكو أيضاً تدابير لضمان وحدة الكنيسة، ففي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ أصدر البطريرك تيخون بالاشتراك مع المجمع المقدس والمجلس الأعلى للكنيسة المرسوم رقم (٣٦٢) الهادف إلى التغلب على تفكك الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، اذ قدم هذا المرسوم حلولاً مؤقتة للهياكل التي انفصلت عن مقر الكنيسة في موسكو وسمح لها بإنشاء هيئات مؤقتة للحكم الذاتي للكنيسة، وبشكل أكثر تحديداً منح أساقفتهم صلاحية حل المشاكل المحلية بناءً على سلطتهم الخاصة ريثما تعاد العلاقات الطبيعية مع إدارة الكنيسة المركزية، وفي الوقت نفسه نصت المادة (١) من المرسوم على ضمانات للوحدة القانونية للكنيسة الأرثوذكسية الروسية، اما المادة (١٠) نصت على أن جميع الأعمال التي يقوم بها الكهنة خلال فترة عزلتهم يجب أن تصادق عليها إدارة الكنيسة المركزية بعد استقرار الحياة الدينية في البلاد (Kalkandzhieva, 2015, pp. 58–59).

عُدت تلك التغييرات بمثابة خطوة بالغة الخطورة من الناحية السياسية، اذ فسرها البلاشفة على انها تعاون من قبل البطريرك مع القوى المعادية، لذلك رفضوا هذه الخطوة باعتبارها اتحاداً معادياً للثورة لكون

ان المرسوم جاء من قبل البطريرك بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠، وهو تاريخ ذو اهمية خاصة لدى البلاشفة لكونه يتوافق مع اجلاء الجيش الابيض من المناطق التي احتلوها سابقاً، وعليه في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢١ اصدرت الحكومة قوانين جديدة تتعلق بمسألة مصادرة الممتلكات الكنسية وهو مرسوم اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا حول مصادرة الممتلكات المخصصة لاقامة الشعائر الدينية والتي شملت الملابس والكتب واللوحات والايقونات والقرابين النذرية وغيرها من الاشياء التي كانت لها قيمة تاريخية داخل الكنيسة، وكان من المقرر استخدام الاموال المصادرة بهذه الطريقة لتلبية الاحتياجات الفورية للحزب والدولة وكذلك في الاصلاح النقدي المخطط له (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 57)، وفي اب ١٩٢١ اصدرت اللجنة المذكورة اعلاه تعليمات من (١١) نقطة حول كيفية تفسير وتطبيق المادة (١٣) من برنامج الحزب البلشفي والذي تم اعتماده عام ١٩١٩، اذ ميزت تلك التعليمات بين المؤمنين المتعلمين والغير متعلمين، فيمكن قبول اي منهما بالانضمام الى الحزب اذا اثبت اخلاصه لمبادئ الثورة البلشفية وحزبها، من ناحية اخرى اعتبر العمل المناهض للدين عملية تثقيفية، وكان التوجيه متوافقاً بشكل واضح مع الأيديولوجية العامة للسياسة الاقتصادية الجديدة، ففي بداية هذه الفترة كانت أنشطة الحكومة المناهضة للدين موجهة بالدرجة الأولى ضد الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من خلال اتباع استراتيجيتان منفصلتان، تمثلت الأولى في ما يسمى بحملة مقتنيات الكنيسة الثمينة، أما الثانية فقد عرفت بأسم الترويج للانشقاق التجديدي (Petra Ramet, 2005, p. 8).

<u>أولاً: تأسيس الدولة السوفيتية وموقفها من الكنيسة الارثوذكسية (١٩٢٢-١٩٣٠).</u>

شهد مطلع عام ١٩٢٢ ذروة حملة الاضطهاد الديني، ففي ٢٣ شباط من العام المذكور اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا قراراً بشأن مصادرة الممتلكات الكنيسة الارثوذكسية المخصصة للبيع لمساعدة الجياع، وتم اعتماد هذا القرار في ٢٦ شباط من العام نفسه (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 57)، ومن اجل تدمير الكنيسة الأرثوذكسية تم فرض الإقامة الجبرية على البطريرك تيخون اواخر نيسان ١٩٢٢، وفي ٦ ايار من العام نفسه تم اتهامه رسمياً بالتعاون مع قوى الثورة المضادة خلال الحرب الأهلية وتخريب جهود الحكومة لمكافحة المجاعة في منطقة الفولغا، وتم أسناد الدور الرئيسي في خطة تدمير الكنيسة الأرثوذكسية الروسية إلى مجموعة من رجال الدين والعلمانيين الذين عُرفوا باسم التجديديين (وهم مجموعة تأسست عام ١٩٠٥ هدفها العمل على تحديث الكنيسة من خلال مشاركة أكثر فاعلية للكهنة والعلمانيين في إدارة الكنيسة، وتبسيط الطقوس الأرثوذكسية، وتكييف القوانين الكنسية مع ظروف الحياة المعاصرة، الا ان افكارهم هذه لم تلقى القبول من قبل البطريرك تيخون، وبعد مجيء البلاشفة الى سدة الحكم كونوا معهم تحالفاً سرياً ضد البطريرك من اجل القضاء عليه) (Petra Ramet, 2005, p. 9).

في خضم تلك الاحداث زار احد اعضاء التجديديين البطريرك تيخون في ١٢ أيار ١٩٢٢، وطلب منه التخلي عن سلطته والسماح لهم بعقد مجلس كنسي محلي مكلف بإصلاح الكنيسة، وبعد محادثات طويلة لم يتوصل الطرفان الى حل وسيط فأصدر التجديديون بياناً ذكروا فيه بأن البطريرك تيخون غير مؤهل لمواصلة مهامه، وأعلنوا أيضاً عن إنشاء ما يسمى بالكنيسة الحية، وحددت قيادتها خططاً لإصلاحات شاملة بدأتها بطباعة المجلة (الكنيسة الحية) والتي نشر في عددها الأول طلب قادة التجديديين من الحكومة تمثيل رجال الدين والعلمانيين الذين يقرون بمبادئ الثورة البلشفية ويخلصون للسلطة السوفيتية، إلا أن مزاعم التجديديين المُعلنة على نطاق واسع بشأن إدارة الكنيسة كانت مزيفة، هذا ما عبر عنه البطريرك تيخون برسالة كتبها إلى رئيس اللجنة التنفيذية المركزية وضح فيها نوايا جماعة التجديديين، وانه قرر تعيين مطرانين بصفة مديرين مؤقتين للكنيسة الروسية، وفي ١٦ ايار ١٩٢٢ كتب تيخون أيضاً إلى احد هؤلاء المديرين يطلب منه التوجه فوراً إلى موسكو لتولي مهام القائم بأعمال البطريرك، وعندما حاول الاخير تنفيذ هذا الأمر منع من مغادرة مقره بسبب قرار الحكومة انذاك بعدم المغادرة لغرض منع تنفيذ قرار تيخون ولاضعاف ادراته الكنسية، فأستغل التجديديون ذلك الحدث واستولوا على مقر كنيسة موسكو بموافقة الحكومة السوفيتية (Kalkandzhieva, 2015, pp. 60–61)، وفي الوقت نفسه نقلت الحكومة البطريرك تيخون إلى دير دونسكوي في موسكو حيث احتجزته في عزلة تامة، كما اتخذت سلسلة من الإجراءات بهدف تعميق الانقسام في الكنيسة الأرثوذكسية ومنها طرد حوالي (١٠٠) أسقف من أبرشياتهم و(١٠٠٠) كاهن من رعاياهم، وبسبب كل تلك الاجراءات انضم المتبقي من الأساقفة إلى الكنيسة الحية لغرض الاستمرار باداء اعمالهم الدينية رغم مراقبتهم الشديدة من قبل الحكومة، وبعد تلك الاحداث بدأ التجديديون بفرض سيطرتهم الكاملة على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، إلا أن هذا التطور لم يناسب خطط الحكومة السوفيتية، فاثارت الاخيرة انشقاقات داخلية في الكنيسة الحية في خريف عام ١٩٢٢، وفي الوقت نفسه بدأت بأضعاف قبضة التجديديين تدريجياً على البطريرك تيخون، مما دفع الاخير في كانون الاول ١٩٢٢ الى كتابة رسالة حرم فيها التعاون او الانضمام الى الكنيسة الحية بهدف اضعاف نفوذها تدريجياً ومن ثم القضاء عليها (Petra Ramet, 2005, p. 9).

في خضم تلك الاحداث تم الاعلان عن تأسيس الاتحاد السوفيتي للجمهوريات الاشتراكية في ٣٠ كانون الاول ١٩٢٢، وكان من المفترض أن يؤسس كيان سياسي مختلف عن الامبراطورية القيصرية السابقة، ويتبنى ايديولوجية سياسية واقتصادية واجتماعية قادرة على اجراء اصلاحات حقيقية على المدى الطويل، الا ان ذلك لم يتحقق، ففي اول خطوة اتخذها تم اختيار جوزيف ستالين رئيساً للدولة السوفيتية، وقد لعب دوراً محورياً في صياغة السياسات المتعلقة بموضوع الدين خلال عشرينيات القرن العشرين (Dyachenko, 2022, pp. 4–5)، ففي ١١ نيسان ١٩٢٣ تم الاعلان عن محاكمة البطريرك تيخون

ومن ثم تقديمه للاعدام في ٢٣ نيسان، الا ان عملية الاعدام لم تتم بسبب ضغط الرأي العام الدولي الذي دفع الحكومة السوفيتية الى التخلي عن فكرتها هذه، فتم إطلاق سراحه (Petra Ramet, 2005, p. 10)، وفي الوقت نفسه سمحت الحكومة لاعضاء الكنيسة الحية بعقد مجمع ديني عرف بأسم المجلس المحلي الثاني لعموم روسيا للكنيسة الأرثوذكسية، وكان من المتوقع أن يحظى هذا المجلس باعتراف دولي الا ان ذلك لم يحدث بسبب عدم حضور اي رجل دين ممثل عن بقية الدول المستضافة معربين ان سبب عدم مجيئهم هو ان تيخون هو الزعيم القانوني للكنيسة الأرثوذكسية الروسية وليس اعضاء الكنيسة الحية، وان الاخيرة هي اداة بيد الحكومة السوفيتية، وعليه في ٢٧ نيسان ١٩٢٣ وللتعويض عن الهزيمة على الصعيد الديني الدولي أصدرت مفوضيتا العدل والداخلية السوفيتية مرسوماً مشتركا للاعتراف القانوني بالكنيسة الحية، والسماح لاعضائها بعقد مؤتمرات إقليمية ومركزية وانتخاب هيئة تنفيذية (Kalkandzhieva, 2015, p. 64)، وبموافقة السلطات السوفيتية تم استدعاء المجلس المحلي الثاني لعموم روسيا للكنيسة الأرثوذكسية لعقد مؤتمرها خلال المدة ٢٩ نيسان – ٩ ايار ١٩٢٣ في موسكو، وتم في هذا المؤتمر اتهام تيخون بالسلوك المضاد للثورة وعزله من منصبه البطريركي، وفي ١٥ حزيران من العام نفسه عرض اعضاء المجلس على تيخون بأنهم لن يقدموه للمحاكمة إذا اعترف بخطيئته المتمثلة في معاداة النظام السوفيتي، فرضخ البطريرك لذلك وقدم شهادة مكتوبة مليئة بالندم على أنشطته المعادية للنظام، وأعلن أنه لم يعد عدواً للنظام السوفيتي، ووعد بقطع أي علاقات مع القوى المعادية للثورة في الخارج وأنصار النظام القيصري داخل البلاد، اختتم رسالته بإعلان الولاء الشخصي للدولة السوفيتية، وعليه تم أُطلق سراحه في ٢٧ حزيران ١٩٢٣ (Petra Ramet, 2005, p. 10).

على الرغم من قرار اطلاق سراح البطريرك تيخون الا ان السلطات السوفيتية وبالتعاون مع اعضاء الكنيسة الحية استمروا بسياستهم المعادية تجاه الكنيسة، ويرجع السبب في ذلك الى ان العديد من أساقفة الكنيسة الحية ابدوا رغبتهم بالعودة تحت طاعة البطريرك تيخون الا انه رفض ذلك، مما دفعهم في تموز واب ١٩٢٣ الى أعداد خطة جديدة لتشويه سمعته، كما شنت الكنيسة الحية هجمات على الصعيد الدولي من اجل الحصول على الاعتراف الرسمي بها، ففي أيلول عام ١٩٢٣ ارسلت برقية الى البطاركة الأرثوذكس في الشرق الأوسط تعلمهم أن حكومة الكنيسة العليا التجديدية هي الهيئة الحاكمة الشرعية للكنيسة الأرثوذكسية، وفي الوقت نفسه ألقى زعيم التجديديين مسؤولية الفوضى في حياة الكنيسة الروسية على سلوك تيخون الاستبدادي وسياسته قصيرة النظر هادفاً من وراء تلك الخطوة لتوثيق العلاقات بين الكنيسة الحية والدولة السوفيتية (Kalkandzhieva, 2015, p. 67)، الا ان الاخيرة كانت في وضع مضطرب خلال تلك المدة بسبب الاضطرابات التي حدثت صيف عام ١٩٢٣، فوجدت ضرورة تعزيز الصلة بين البروليتاريا والفلاحين بما يخدم السياسة الاقتصادية الجديدة والعمل على حشدهم وتوحيدهم

بدلاً من تفريقهم، كما ادركت الحكومة السوفيتية ان الكنيسة الحية لا تجذب الفلاحين وانه لم يعد من المنطقي ان تلتزم بدعمها للتجديديين، ومن اجل استرضاء العنصر الاساسي في البلاد (الفلاحين)، عمدت الحكومة خلال المدة (١٩٢٣-١٩٢٥)، على اتباع سياسة التسامح الديني مع الكنيسة البطريركية (نوعاً ما) لاجبارها على قبول واطاعة اوامر السلطة، وهذا ما كان في العلن، اما في الخفاء فقد كان الهدف تسلل عناصر خفية من رجال الجهاز الامني السوفيتي (OGPU) الى داخل الكنيسة لاثارة الصراعات الداخلية (Andrej Kotljarchuk, 2017, p. 180)، الا ان اعلان وفاة البطريرك تيخون في ٧ نيسان ١٩٢٥ جعل الحكومة تتراجع عن سياسة التسامح الديني، واستغلت حادث الوفاة بأعلان نشرته صحيفتا برافدا وإزفستيا التابعتان للحكومة عبارة عن وثيقة عرضت على أنها وصية تيخون جاء فيها: "... **ادعو المؤمنين الأرثوذكس ورجال الدين الاعتراف بالحكومة السوفيتية وان اعترافهم هذا لن يضعف إيمانهم، واطلب منكم دعم حكومة العمال والفلاحين لبناء مجتمع تسود فيه الرفاهية... واحذر اولئلك الذين ما زالوا يأملون في استعادة النظام القيصري السابق**" (Petra Ramet, 2005, p. 13).

بعد هذا الاعلان المزيف انتهجت الحكومة السوفيتية سياسة تهدف الى تطوير الدراسات اللادينية وذلك عن طريق انشاء دار نشر حكومية للادبيات المناهضة للدين منتصف عام ١٩٢٥ لغرض تطبيق الافكار `الماركسية – اللينينية على ارض الواقع من حيث تحقيق حالة اللادين لدى جميع المواطنين السوفييت، كما تم انشاء اتحاد عرف بأسم اتحاد المحاربين اللادينيين، تم تنظيمه بشكل متطور للغاية، وبدوره لعب هذا الاتحاد احد اهم الادوار في تنفيذ خطة اللادين في الاتحاد السوفيتي، ورغم انها كانت رسمياً مؤسسة اجتماعية الا انها في واقع الامر كانت تتلقى دعماً سخياً من قبل السلطة، وكانت طريقتها في العمل تتمثل في اشراك الشباب في الانشطة المناهضة للكنيسة بغض النظر عن انتمائهم الطائفي والوطني الرسمي، وقد تم استخدامها ايضاً في اعمال وصفت بالوحشية ضد رجال الدين بالاضافة الى تدمير المباني المقدسة ومعداتها وتخريب اي احتفال ديني يقام او الابلاغ عن اشخاص اخرين بما في ذلك عائلاتهم بسبب انتمائهم الى الكنيسة الارثوذكسية (Waldemar Bednaruk, 2023, pp. 52-52)، ونتيجة لكل ذلك اعلن البطريرك سيرجي (ايفان نيكولايفيتش ستراجورودسكي) الذي تم تنصيبه لبطريركية عموم البلاد بعد وفاة تيخون، ولائه للحكومة السوفيتية عام ١٩٢٧ بقوله:"...**افراحه ونجاحاته هي افراحنا ونجاحاتنا..**"، بهدف حماية الكنيسة الارثوذكسية من حملات الاضطهاد المستمرة والحفاظ على بقائها، الا ان هذا الاعلان لم يلقى الترحيب الواسع من قبل رجال الدين (Petra Ramet, 2005, p. 13).

لم يكتفي ستالين بهذا الاعلان، اذ اعاد العمل بسياسة اضطهاد الكنيسة الارثوذكسية، ففي عام ١٩٢٨ شن حملة جديدة ضدها من خلال اعتقال ونفي رجالها الذين رفضوا التعاون مع الدولة، وكثف من اساليب الدعاية المعادية للدين وقام بتحويل الاماكن المقدسة الى مباني اخرى تابعة للدولة (D.-Cokun, 2008, p. 84)، على اثر ذلك نشرت صحيفة برافدا مقال وصفت الفترة الستالينية بانها واحدة من اروع الفترات في تاريخ الدولة السوفيتية، وقد برز ذلك واضحاً من خلال السياسية الدينية لحكومة ستالين تجاه الكنيسة عندما زادت تعديلات المادة (١٤٢) من القانون الجنائي المتعلق بمخالفات قوانين فصل الكنيسة عن الدولة من شدة العقوبات (Andrson, 2008, p. 25)، الى جانب ذلك حظرت القوانين الجديدة الصادرة عام ١٩٢٩ انضمام رجال الدين إلى المزارع التعاونية أو الجماعية، وحرمتهم من حقوق الضمان الاجتماعي، وقد حدد قانون الجمعيات الدينية الصادر في ٨ نيسان ١٩٢٩ (ظل سارياً حتى تشرين الثاني ١٩٩٠) حقوق المؤمنين في أداء الشعائر الدينية، واعتبار جميع الانشطة الدينية اعمالاً غير قانونية (القيام بنشاط تبشيري، تعليم ديني، انتاج وتوزيع المطبوعات الدينية، تنظيم الأنشطة الجماعية للمؤمنين، جمع الأموال للأغراض الاجتماعية أو الخيرية)، اضافة الى ذلك تم تطبيق أسبوع العمل المكون من خمسة أيام مما يعني أن يوم الأحد لم يعد عطلة رسمية (Petra Ramet, 2005, p. 13).

ثانياً: سياسة الحكومة السوفيتية من الكنيسة الارثوذكسية حتى نهاية حكم ستالين (١٩٣٠-١٩٥٣).

مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين اعتبرت الحكومة السوفيتية بأن المؤمنين هم اعداء لا محالة، وكان قمعهم المهمة الرئيسية للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية والخارجية التي استخدمت اساليب اقناع متنوعة بما فيها الاكراه العنيف او الضغط السياسي (Andrej Kotljarchuk, 2017, p. 175)، هذا بالاضافة الى التحريض والدعاية المناهضة للدين بين الجماهير ليظهر بمظهر جهد عفوي منهم بدلًا من كونه مبادرة حكومية، وقد شجعت المنظمات العامة والتطوعية المحلية (الكومسومول، الشباب الرواد، نوادي العمال، رابطة المناضلين اللادينيين) على القيام بمجموعة واسعة من المبادرات المناهضة للدين ومنها منع الكهنة من زيارة المؤمنين في منازلهم، والإشراف على إنشاء خلايا لرابطة المناضلين اللادينيين في الجيش، كما استؤنفت السخرية العلنية في اماكن عمل المؤمنين والمسيرات المسيئة للدين في الشوارع (Waldemar Bednaruk, 2023, p. 57)، من ناحية اخرى أجبرت الحكومة على أن تكون الدراسة في المدارس غير دينية وضغطت من أجل ادخال مواد مناهضة للدين بشكل صريح وإنشاء أقسام متخصصة لهذا الغرض داخل الجامعات حتى بلغ عددها (٨٤) جامعة بحلول عام ١٩٣١، وبسبب كل تلك الاجراءات بدأت موجة من المقاومة من قبل رجال الدين والفلاحين، الا ان مقاومتهم هذه وجدت رد فعل عنيف من قبل الحكومة التي تبنت خطة مدتها خمس سنوات عام ١٩٣٢، تهدف إلى

القضاء التام على الدين بحلول عام ١٩٣٧ عرفت بأسم (التعليمات الجديدة بشأن تنظيم وتصفية الجمعيات الدينية من قبل اجهزة ادارة الدولة) (Andrej Kotljarchuk, 2017, p. 187)، وقد تضمنت مراحل هذه الخطة ما يلي:

١- (١٩٣٢-١٩٣٣) القضاء على جميع المظاهر الخارجية للدين.

٢- (١٩٣٣-١٩٣٤) تدمير جميع الصور والكتب الدينية الموجودة في البلاد.

٣- (١٩٣٤-١٩٣٥) تعريض جميع السكان لاسيما الشباب لدعاية مكثفة ضد الدين.

٤- (١٩٣٥-١٩٣٦) تدمير أماكن العبادة التي لا تزال مفتوحة.

٥- (١٩٣٦-١٩٣٧) محاولة استئصال ما تبقى من الدين من آخر ملاذاته (Petra Ramet, 2005, p. 16).

اعتمدت المرحلة الاخيرة المذكورة اعلاه على ما جاء بموجب المادة (١٢٤) من دستور الاتحاد السوفيتي الصادر في ٥ كانون الاول ١٩٣٦ والذي تضمن: "**لضمان حرية الضمير للمواطنين كافة نؤكد على مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، والمدرسة عن الكنيسة، ويُعترف لجميع المواطنين بحرية العبادة الدينية وحرية الدعاية المعادية للدين**"، قد يبدو للوهلة الاولى انه نصاً عادلاً ديمقراطياً، فمن يرغب بالعبادة يمكنه ذلك ومن يرفض فهو حر، ولكن في المقابل كان هناك القانون الجنائي، اذ نجد في المادة (٥٨) منه والتي تتألف من (١٤) بنداً ما نصه: "**أن المصلين يُصنفون من الفئة المعادية للثورة البلشفية**"، وهكذا اصبح بمقدور الشرطة السرية اتخاذ اي اجراء تراه مناسباً تجاههم (Bethmann, 1958, p. 14)، على اثر ذلك الحقت الحكومة السوفيتية بحلول عام ١٩٣٩ خسائر فادحة ببطريركية موسكو فتقلصت صلاحياتها وسلطتها بشكل كبير ليس فقط داخل الاتحاد السوفيتي بل وخارجه ايضاً (Kalkandzhieva, 2015, p. 3)

مع بداية الحرب العالمية الثانية في ١ ايلول ١٩٣٩ لم تعد الكنيسة الارثوذكسية كياناً متكاملاً ولم تمثل اي قوة مدنية ولم تحتفظ الا بتأثير قليل جداً على عدد من افراد المؤمنين، ولكن من المفارقات الواجب ذكرها أن هذه الحرب ساهمت نوعاً ما في انقاذ الكنيسة من الفناء (G. Spasov, 1951, p. 17)، فبسبب الحرب بدات علاقة جديدة بين الحكومة السوفيتية والطوائف الدينية بأعتبارها كمؤسسات ذات تأثير مباشر داخل المجتمع السوفيتي (Petra Ramet, 2005, p. 15)، وذلك بعد دخول القوات الالمانية للاتحاد السوفيتي في ٢٢ حزيران ١٩٤١، اذ قامت تلك القوات بفتح الكنائس المغلقة والدعوة الى اقامة الصلوات والشعائر الدينية فيها كما كانت سابقاً لغرض جذب تعاطف الناس اليها والحصول على دعم المنظمات الدينية، الا ان أمالهم هذه باءت بالفشل، اذ قامت تلك المنظمات بتقديم دعمها ومساعدتها للحكومة السوفيتية وقامت ايضا بأنشطة وطنية واسعة النطاق حيث وجهت نداءات

ورسائل الى رعاياها لجمع التبرعات واغاثة المرضى والجرحى، واعقب ذلك اصدار المطران سيرجي القائم باعمال البطريركية بياناً دعا فيه الى الدفاع عن الوطن جاء فيه: "... **في الوقت الذي تدعو فيه الامة جميع ابنائها الى اعمال بطولية، لا يليق بنا نحن رعاة الكنيسة ان ننظر بصمت الى كل ما يحدث حولنا... يجب الدفاع عن وطننا...**" (G. Spasov, 1951, pp. 17- 19).

وعليه وجد ستالين الفرصة سانحة من اجل تعبئة وطنية شاملة، فوجه اول نداء له الى الشعب مستخدماً عبارة (الاخوة والاخوات) وهي عبارة لم تستخدم من قبل في الدعاية ولكنها تحمل دلالات دينية واضحة ومنها ان الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت اصبح حليفاً للولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى وكان عليه ان يظهر لهما ان الوضع الديني في البلاد ليس سيئاً كما كان يعتقد في الغرب (Andrson, 2008, p. 26)، فبعد ثلاثة أشهر من الغزو الالماني وبالتحديد في ايلول ١٩٤١ أغلقت اخر دورية معادية للدين، فأصدرت الكنيسة كتاباً من تأليف المطران سيرجي في اذار ١٩٤٢ بعنوان (الحقيقة عن الاديان في روسيا) وصف فيها اهمية مرسوم فصل الكنيسة عن الدولة بقوله: "... **ان القانون الصادر عن السلطة في كانون الثاني ١٩١٨ بصدد حرية المعتقد يضمن لكل جماعة دينية بما في ذلك كنيستنا حق القيام بعملها الديني وفق مقتضيات ايمانها... لقد كانت الكنيسة في العهد القيصري تخدم الدولة وكانت حرية المعتقد والدين معدومة في روسيا قبل الثورة ... وان المرسوم الجديد يمنحنا الحرية**" (الكسي، الكنيسة الارثوذكسية الروسية بناؤها وضعها نشاطها، ١٩٥٩، الصفحات ٢٢-٢٣).

نتيجة لذلك شهدت الاعوام (١٩٤٣-١٩٤٥) خطوات ملموسة من قبل ستالين الذي استقبل القادة الأرثوذكس في موسكو وبدأ بتقديم سلسلة من التنازلات الرامية إلى تطبيع الحياة المؤسسية للكنائس، ومنها انشاء مجلس شؤون الكنيسة الأرثوذكسية الروسية (CAROC) ومجلس شؤون الطوائف الدينية (CARC)، وإعادة فتح الكنائس والأديرة والمعاهد الدينية التي اغلقت سابقاً، والبدء في طباعة المنشورات الدينية، وفي مقابل هذه التنازلات كان يتوقع من الهيئات الدينية الرئيسية مواصلة جهودها الوطنية، وتشجيع السكان على مقاومة المعتدي بعد الحرب (Petra Ramet, 2005, p. 17)، وهذا بالفعل ما حدث، ففي ٢٠ ايار ١٩٤٤وجه المطران الكسي (جاء خلفاً لسيرجي بعد وفاته) رسالة أوضح فيها بأنه سيقتدي بسلفه البطريرك سيرجي وسيدعو المؤمنين للوقوف الى جانب حكومتهم السوفيتية، وبهذا التصريح اعلن رئيس الكنيسة الجديد موقفه الوطني من الدولة وتصميمه على السير وفق القوانين الكنسية (الكسي، الكنيسة الارثوذكسية الروسية بناؤها وضعها نشاطها، ١٩٥٩، صفحة ١٦)، وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة السوفيتية تخرج من عزلتها المفروضة ذاتيا وتبدأ في لعب دور دولي في السنوات التي أعقبت الحرب مباشرة شجعت الكنيسة الأرثوذكسية على ترسيخ المكاسب الإقليمية السوفيتية في أوروبا

الشرقية من خلال محاولة بسط هيمنتها على مختلف الكنائس الأرثوذكسية هناك لا سيما في رومانيا وبلغاريا وصربيا، وسرعان ما بدأت جميع الطوائف الرئيسية من خلال المتحدثون باسمها بالظهور في المؤتمرات الدولية المخصصة للسلام، حيث كانوا يعلنون في تأييد يبدو أنه مستقل لسياسات الاتحاد السوفيتي باعتبارها (سلمية) في جوهرها، ويغتنمون أي فرصة للرد على الادعاءات بأن المؤمنين كانوا يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية في الاتحاد السوفيتي (Petra Ramet, 2005, p. 17).

بعد انتصار الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية وتوسيع نفوذه غرباً، اصبح خاضعاً للتأثيرات الغربية بما في ذلك التأثيرات الدينية، لا سيما توسع نفوذ الفاتيكان (الكنيسة الغربية) في الاتحاد السوفيتي، لذا قررت الحكومة استخدام الدين الوطني لمواجهة تلك التأثيرات وتوسيع نفوذها من خلال لعب دور المحرك لمؤسسات الكنيسة الارثوذكسية داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه، ولم يعني هذا ان الدولة قد تنازلت او قررت الاندماج مع تلك التأثيرات، بل على العكس من ذلك كانت الماركسية هي الشريك المهيمن والكنيسة الارثوذكسية شريك تابع (Dyachenko, 2022, p. 9)، ففي عام ١٩٤٧ تأسست جمعية نشر المعرفة السياسية والعلمية خلفاً لرابطة المناضلين اللادينيين، وقد كانت هذه الجمعية أوسع نطاقاً من الرابطة السابقة، اذ عدت أهم مؤسسة عاملة في مجال مناهضة الدين، فمن خلالها استعرضت الصحافة السوفيتية عام ١٩٥٠ انجازات حملة الدعاية المعادية للدين المتجددة ودعت الى تكثيفها، وفي السنوات الأخيرة من حكم ستالين استقرت نوعاً ما حياة عدد من المؤمنين مع عدد من الكنائس ولكن بمستوى يشوبه الريبة من قبل الحكومة السوفيتية التي ظلت شديدة الحذر من أي محاولة تقام لاعادة الكنيسة الى ما كانت عليه في السابق، وفي الوقت نفسه عادت كمية الدعاية المعادية للدين إلى التزايد ببطء ولكن بثبات (Petra Ramet, 2005, p. 18).

ثالثاً: سياسة الحكومة السوفيتية تجاه الكنيسة الارثوذكسية (١٩٥٣– ١٩٩١).

أعقب وفاة ستالين عام ١٩٥٣ ثلاثة سنوات مثلت مرحلة انتقالية وصراع على السلطة بين نيكيتا خروتشوف ومنافسه جورجي مالينكوف الذي تولى الحكم لفترة قصيرة (١٩٥٣–١٩٥٥)، وقد اتسمت سياسة الأخير بأستمرار نهج الدولة تجاه الكنيسة الارثوذكسية في عهد ستالين، الا أنه عمد الى تخفيف القيود بعض الشي على الكنيسة واتباعها، ففي مجال السياسة الدينية ظهرت عدة مؤشرات ومنها ما صدر عام ١٩٥٤، اذ تم اصدار قراران للجنة المركزية وصفا بالمتناقضين إلى حد كبير، اذ أشار القرار الاول الصادر في ٧ تموز ١٩٥٤ إلى تزايد أعداد المواطنين الذين يحضرون الصلوات في الكنائس، ودعا وزارة التربية والتعليم ومنظمة الشبيبة (الكومسومول) والنقابات العمالية إلى تكثيف الدعاية المعادية للدين، أما القرار الثاني والذي صدر في ١٠ تشرين الثاني من العام نفسه فقد انتقد التعسف واستخدام التشهير والافتراء ضد المؤمنين، وفي المدة بين هاتين الفترتين جاءت حملة المئة يوم وهي موجة من

النشاط العنيف المناهض للدين الا انها لم تدم طويلاً، فهناك من يذكر بأن الحملة كانت مبادرة من مالينكوف، بينما ذكر اخرون بأن خروتشوف نفسه كان وراء الحملة بل كان هو من أصدر مرسوم ٧ تموز، ومن اجل احكام قبضته على السياسة الدينية بشكل ملحوظ بدأ خروتشوف الذي تولى الحكم خلال المدة (١٩٥٥-١٩٦٤) عن طريق أكاديمية العلوم بنشر كتاب بعنوان (متحف تاريخ الدين واللادين) والذي عن طريقه بدأت الدعاية المعادية للدين في الازدياد بشكل كبير (Petra Ramet, 2005, pp. 19-20).

من ناحية اخرى شهدت الاعوام (١٩٥٩-١٩٦٤) حملة معادية للدين بلغت من الشراسة حداً لم يسبق له مثيل منذ ثلاثينيات القرن العشرين، اذ شكلت صدمة قاسية للمؤمنين الذين كانوا كمعظم المواطنين السوفييت منشغلين للغاية بسياسة التحرر السياسية والاجتماعية التي انتهجها خروتشوف لدرجة أنهم لم يعطوا اهتماماً كبيراً للتطورات السلبية على الصعيد الديني، ومن هذه التطورات هو ما حدث عام ١٩٥٩، اذ أُغلقت الكثير من الكنائس حتى بلغ عدد المتبقي منها (١٧) كنيسة وانخفض عدد رجال الدين من خلال شطب اسمائهم من سجل الكهنة او اجبارهم على التقاعد القسري اوالسجن اوالنفي فانخفض عددهم من (٣٠) الف الى (٦) الاف، كما تم أغلاق عدد من المعاهد اللاهوتية الأرثوذكسية، ومنع الحج وحتى إقامة الصلوات خارج أسوار الكنيسة، ومنع الأطفال دون سن (١٨) عام من حضور الصلوات، كما شهد العام نفسه نشر العديد من المقالات المناهضة للدين في الصحافة السوفيتية لأول مرة وذروة إنتاج الأفلام المناهضة للدين ايضاً، وذلك لغرض الوصول الى اكبر شريحة ممكنة من المؤمنين، اضافة الى ذلك شكل قرار الحكومة في ٩ كانون الثاني ١٩٦٠ والذي حمل عنوان (مهام الدعاية في العصر الحديث) دعوة لا هوادة فيها للإساءة إلى مشاعر المؤمنين، اذ صورتهم على أنهم حمقى وشوهت سمعة رجال الدين بوصفهم مجرمين ومنحرفين ومدمني كحول، وكجزء من عملية تقييد أنشطة المؤمنين مارست الحكومة ضغوطاً لاجبار الكنيسة الأرثوذكسية على تغيير نظامها الأساسي، وهذا ما حدث عام ١٩٦١ عندما تم حرمان الكاهن من السيطرة على مجلس رعيته ليصبح مجرد موظف في الكنيسة مما دفع قيادة الكنيسة إلى إصدار نظام جديد لرعاياها يتضمن مجموعة من القيود على حرية العبادة، ولم تكتفي حكومة خروتشوف بذلك فحسب بل شجعت على تعريض المؤمنون لضغوط معنوية وإدارية متزايدة من خلال المنظمات والنقابات العمالية للقيام بعمل شخصي معهم في أماكن عملهم أو دراستهم، اذ تعرضوا للعديد من الانتقادات في الاجتماعات العامة والى مضايقات إدارية ومنها تخفيض الرواتب ومنع الترقية والطرد والحرمان من التعليم العالي (Petra Ramet, 2005, p. 21).

مثلت حملة خروتشوف المناهضة للدين اخر جهد منسق بذل للقضاء على الدين في الاتحاد السوفيتي، فبعد تولي ليونيد بريجنيف (١٩٦٤-١٩٨٢) الحكم، انتهج سياسة وصفت بالجمود السياسي

فلم يشهد عهده اضطهاداً واسعاً للكنيسة، وفي المقابل عرفت سياسته تجاه الدين بسياسة (فرق تسد) أي منح امتيازات للجماعات الدينية المسجلة والتعامل بقسوة مع الجماعات الغير مسجلة والمعارضة باعتبارها غير قانونية ويجب ملاحقتها قضائياً، فضلاً ذلك اصبحت الكنيسة خاضعة لإشراف مجلس شؤون الاديان واجهزة الامن (KGB) الذي لعب دوراً مهما في مراقبة رجال الدين وتجنيد مخبرين داخل الكنيسة، وفي خضم تلك الاجراءات تزايد الاعتقاد بأن الاضطهاد الشديد لم يؤدي إلا إلى دفع المؤمنين للعمل السري بدلاً من القضاء عليهم تماماً، وتزايدت أيضاً الأدلة على أنه في ظل مناخ الوعي المتزايد بأهمية حقوق الإنسان والذي عززته سياسات خروتشوف التحررية في مختلف المجالات، كانت معاناة المؤمنين تلقى تعاطفاً بين غير المؤمنين من الشعب، وفيما يتعلق بالتشريعات الدينية شهدت فترة بريجنيف تقنيناً وتوضيحاً تدريجياً للقوانين (Andrej Kotljarchuk, 2017, p. 185)، فمع تزايد زخم حركة المعارضة في سبعينيات القرن الماضي طرأت عدة تطورات اثارت قلق السلطات السوفيتية كان في مقدمتها تزايد الروابط الدينية القومية في اجزاء مختلفة من الاتحاد السوفيتي لا سيما في ليتوانيا وجمهوريات اسيا الوسطى وجورجيا واوكرانيا، اما الثاني الذي كان على الحكومة السوفيتية التعامل معه هو التقارب التدريجي بين المعارضة الدينية والعلمانية، اذ دفعت قناعات مسيحية العديد من الافراد الى التعبير عن ارائهم علناً عن قضايا حقوق الانسان، ومن ثم اصبح التعاون بين المعارضين الدينيين والعلمانيين سمة من سمات حركة حقوق الانسان خلال فترة السبعينات (Andrson, 2008, p. 26)، وكان من اهم عوامل هذا التطور هو انشاء اللجنة المسيحية للدفاع عن حقوق المؤمنين المسيحيين عام ١٩٧٦، وعلى الرغم من ان هدفها الاساسي كان الدفاع عن حقوق المؤمنين الا ان اعضائها كانوا على اتصال وتعاون وثيق مع اعضاء جماعات اخرى تشكلت لمراقبة سجل الاتحاد السوفيتي في مجال حقوق الانسان، وعليه ساهمت تلك التطورات في تزايد اعداد الشباب السوفيتي المهتم بشكل متزايد بالامور الدينية مما اضطر الصحف السوفيتية المناهضة للدين الى الاعتراف بأن العديد من العمال الشباب الذين كانوا يوصفون بأنهم الاقل تأثيراً بالمعتقدات الدينية اصبحوا هم الان اكثر المساهمين في جذب او نشر المسيحية الارثوذكسية بين الجماعات اللادينية (Andrson, 2008, p. 27).

تميزت الفترة الممتدة بين أواخر سبعينيات القرن العشرين ومطلع الثمانينيات باهتمام ملحوظ بالكتب والرسائل الروسية القديمة، بما فيها من التراث الديني الارثوذكسي الذي اصبح انذاك جزءاً بارزاً من الحركة الثقافية داخل الاتحاد السوفيتي، فقد برزت على ارض الواقع حركتين قوميتين، كانت الاولى مع النظام السوفيتي، أما الثانية فقد كانت ضده، وقد سعت هاتين الحركتين الى احياء التراث الثقافي الروسي القديم بأعتباره العلاج الوحيد لعقود طويلة من الحكم السوفيتي، كما وجد اصحاب الحركتين ان هناك صلة واضحة بين الحقوق الدينية وحركة حقوق الانسان، لذا فقد ناضلوا من اجل الحقوق القانونية

والاخلاقية لجميع المؤمنين، ومن الجدير بالذكر هنا انه كان للكنيسة الارثوذكسية تأثير على كلتا الحركتين رغبة منها في اعادة النهضة الوطنية الدينية (Kotzer, 2020, p. 33)، وعند مجيء ميخائيل غورباتشوف الى الحكم (١٩٨٥-١٩٩١)، شهدت الأشهر الأولى من توليه المنصب أظهار استقلاليته واستعداده لاتخاذ إجراءات حاسمة لا سيما في إعادة هيكلة قيادة الاتحاد السوفيتي، فبدأ بالتصرف بعد قناعته المطلقة بحاجة البلاد إلى المؤمنين كشركاء في المهمة الجسيمة المتمثلة في إعادة بناء الأسس الأخلاقية للمجتمع السوفيتي (Bourdeaux, 1990, pp. 126- 142)، وعمل على اتخاذ سياسة اصلاح اقتصادية جذرية لاعادة هيكلة الدولة وتوسيع الحريات المدنية عرفت بأسم سياسية البيريسترويكا (اعادة الهيكلة)، فعلى الرغم من ان تلك السياسة ركزت بالدرجة الاساس على الاقتصاد الا انها ادت الى تغييرات مؤثرة في سياسة الدولة تجاه الدين والكنيسة، فقد عمد غورباتشوف من خلالها الى اشراك نواب من مختلف الديانات المسيحية والمسلمة والبوذية من رجال الدين والعلمانيين بهدف ان يصبح الدين عنصراً اساسياً من الايديولوجية الجديدة لخلق نزعة عالمية سوفيتية جديدة او لربط الاتحاد السوفيتي بالنزعة العالمية لحقوق الانسان (Sablin, 2022, p. 1)، فمن الجدير بالذكر ان الاتحاد السوفيتي انذاك كان عبارة عن دولة متعددة الجنسيات شديدة المركزية، فحاول غورباتشوف استغلال ذلك بكسب تأييد النخبة المثقفة للترويج لسياسة الانفتاح (غلاسنوست) والبيريسترويكا، من ناحية اخرى ادت حالة عدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والغموض بشأن المستقبل وزيادة الوعي المتعلق بالدور التاريخي للكنيسة الارثوذكسية الى تجدد الاهتمام الشعبي بالدين بشكل عام وبالكنيسة الارثوذكسية بشكل خاص (Bourdeaux, 1990).

لاقت سياسة البيريسترويكا استجابة ايجابية من قبل رجال الدين والمؤمنين الذين توقعوا ان يُتيح الوضع الجديد حواراً اوسع واعمق بين الدولة الكنيسة، لا سيما وان تلك السياسة اعطت حرية كبيرة للتعبير الديني بهدف انهاء فترة القمع الرسمي لدور العبادة، فأصبحت الكنائس قادرة على اظهار نشاطها ووجودها بشكل علني اكثر من السابق من خلال عقد التجمعات والمؤسسات الدينية، أما بالنسبة لسياسة الغلاسنوست اي الانفتاح والشفافية فقد كانت تهدف الى اعطاء مساحة اكبر للتعبير السياسي والديني وعقد المناقشات العامة بخصوص الدين واعطاء الحرية لابداء الاراء بهذا الخصوص، فأنتعشت على اثر ذلك الانشطة الدينية وبدأ المجتمع السوفيتي ينادي مجدداً وبصورة علنية بالتنوعات الدينية كما كان في السابق (Осипова , 2020, p. 106)، الا ان ما حدث بعد ذلك كان العكس، اذ تفاقمت الاضطرابات الاقتصادية، وبرزت ظواهر غريبة عن الاشتراكية في الحياة العامة، ولإيجاد حل لذلك ولإعادة هيكلة الدولة وشرطها الجوهري وضمان نجاحها، كان لا بد من ايقاظ الناس وجعلهم فاعلين في المشاركة، وضمان شعور كل فرد بأنه سيد بلده أو مشروعه أو مؤسسته (М.С.Горбачев, , 1988,

(pp. 13–24، وهذا ما اشار اليه برنامج الحزب الشيوعي السوفيتي الذي تم اعتماده في المؤتمر السابع والعشرين في شباط ١٩٨٦، والذي اكد على: "... **ضرورة خوض صراع حاسم ضد التحيزات الدينية وغيرها من الاراء والاخلاق الغريبة عن اسلوب الحياة الاشتراكي وضد جميع الظواهر السلبية المرتبطة ببقايا الماضي في الوعي والسلوك**..." (Осипова , 2020, p. 106)، كما اشار الى: "... **ان الطريقة الصحيحة للتغلب على التعصب الديني هي تعزيز العمل والنشاط الاجتماعي وتثقيف الشعب وابتكار طقوس سوفيتية جديدة واعتمادها على نطاق واسع**..." (Bourdeaux, 1990, p. 136).

وعلى الرغم من هذا البرنامج الا ان الانشطة الدينية بقيت خاضعة لرقابة صارمة من قبل الحكومة السوفيتية (Sablin, 2022)، فقد طبقت عدة اجراءات ادارية على الجماعات الدينية الغير مسجلة، فعلى سبيل المثال كلفت فرق عمل تابعة لمنظمة الشبيبة (كومسومول) بتسيير دوريات الشرطة السرية في الشوارع والعمل الوقائي مع المتطرفين الدينيين والدعاة المتعصبين، ومنع اي تجمعات صلاة خاصة للاطفال والشباب بحجة اعياد الميلاد، اما بالنسبة للجماعات الدينية المسجلة فلم تتدخل الدولة في الجوانب القانونية الخاصة بهم واعترفت بحق المنظمات الدينية في مكانة معينة في المجتمع، وكان هدفها من وراء ذلك هو السيطرة الكاملة على حياة الكنيسة واستخدام انشطتها لصالح السياسة الخارجية السوفيتية والحد من انتقادات الرأي العام الغربي لحالة الدين في الاتحاد السوفيتي (Осипова , 2020, pp. 106–108).

من ناحية اخرى اشار غورباتشوف الى الاهمية البالغة للانشطة الانسانية وانشطة حفظ السلام التي تقوم بها المنظمات الدينية في البلاد ودعمها للسياسات الداخلية والخارجية للدولة، كما اشار الى نقاط التقاء بين مواقف الدولة والكنيسة في مجالات حفظ السلام وحماية الاثار الثقافية والارتقاء الاخلاقي بالمجتمع وافراده، وعليه اعلن في تشرين الثاني الثاني ١٩٨٦ تشكيل مجلس الشؤون الدينية لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية مشيراً الى ان الحاجة لانشاء هذه الهيئة تنبع من تعقيد الوضع الديني والتركيبة متعددة الجنسيات للجمهورية وتنوع المنظمات الدينية النشطة وظهور ما يسمى بالطوائف والحركات الجديدة، وكانت مهمة هذا المجلس تنفيذ سياسة الدولة فيما يتعلق بالدين والكنيسة وحماية حقوق المؤمنين والمنظمات الدينية، الى جانب هذا المجلس تم انشاء هيئة استشارية جديدة مشتركة بين الكنائس تحت اشراف لجنة الدولة الاتحادية لشؤون الاديان في الاتحاد السوفيتي مهمتها النظر في اراء المواطنين المؤمنين في جميع القضايا المتعلقة بحياة وعمل المنظمات الدينية (Осипова , 2020, p. 111)، وقد شهد عام ١٩٨٨ قيام السلطات السوفيتية بتطبيع الوضع الديني في البلاد على مختلف المستويات من خلال حل ما يقارب (٣٤٠) حالة نزاع تتعلق بتسجيل الجمعيات الدينية وتسجيل اسماء رجال الدين في سجلات رسمية، والغاء كافة الاجراءات التي كانت تسبب استياء عام من قبل الكنيسة

مثل تقديم جوازات السفر وحظر قرع الاجراس، وتم حل القضايا المتعلقة بتنظيم قبول وتدريب رجال الدين في المدارس اللاهوتية التابعة لبطريركية موسكو وتمت مراجعة تسعيرة الكهرباء المستهلك في دور العبادة (Осипова , 2020, p. 110).

بحلول منتصف عام ١٩٩٠ تم حل مجلس الشؤون الدينية ونقلت صلاحياته في التعامل مع الطوائف الدينية إلى وزارة العدل في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية، كما جرى إعداد إصلاح للتشريعات الدينية التي أقرت الحاجة إلى تحسينها على نطاق واسع من قبل الشخصيات الدينية والعامة والحكومية، كما أقر قانون جديد بضرورة الاعتراف بالمنظمات الدينية ككيانات قانونية لها الحق في المشاركة في الحياة العامة واستخدام وسائل الإعلام، والقيام بأنشطة ثقافية وتعليمية وخيرية ونشرية (Осипова , 2020, p. 112)، ونتيجة لذلك حدثت تغييرات ملموسة في السياسة الدينية للدولة تجاه الكنيسة الارثوذكسية، أدت الى ظهور متغيرات جديدة على المجتمع السوفيتي، ففي ظل تنامي التوجهات نحو التحرر بما في ذلك في المجال الروحي، بدأت بعض الجماعات الدينية التي كانت تصنف سابقا على أنها معادية ومتطرفة بالانخراط بفعالية في المجال القانوني، وبسبب تكيفها مع الظروف الجديدة انجذبت إلى النشاط الاجتماعي وحفزت بذلك العملية الديمقراطية والانفتاح على النشاط الديني للمؤمنين الذين رأوا في ذلك فرصة لتحقيق حريتهم الدينية التي كانت منتهكة سابقا، وأدت ايضاً إلى اضعاف الرقابة الفعلية ثم القانونية لاحقاً ليس فقط على الجمعيات الدينية فحسب بل أيضاً على تنظيم أنشطتها، وهكذا تجلت التغيرات في مجال السياسة الدينية بعملية إعادة النظر في مفهوم مكانة الدين ودوره في المجتمع، والانتقال إلى أشكال وأساليب جديدة للتفاعل مع المؤسسات الدينية، وإصلاح النظام الحكومي لهيئات الشؤون الدينية، وإضفاء الطابع الديمقراطي على التنظيم القانوني لأنشطة المنظمات الدينية، وكان أهم نتائج هذه العملية اعتماد قانون "**حرية الضمير والمنظمات الدينية**" في ١ تشرين الاول ١٩٩٠، الذي يمكن اعتباره أحد النتائج الملموسة القليلة في حقبة الإصلاح قبل سقوط او انهيار الاتحاد السوفيتي (Осипова , 2020, p. 113).

لقد عُد هذا القانون الاول والاخير بشأن حرية الضمير طوال تاريخ الاتحاد السوفيتي، فبموجبه تم استبدال كافة السياسات المتبعة سابقا فيما يخص الدين، جاء في مقدمتها الغاء الحظر عن الانشطة الدينية (Nadezhda Beliakova, 2023, p. 2)، والسماح للمؤسسات الدينية حق امتلاك الممتلكات وفتح المدارس الدينية وانشاء المؤسسات الخيرية واقامة الشعائر الدينية وبناء دور العبادة ونشر الكتب الدينية، كما تم السماح بتعليم الدين بشكل فردي اوجماعي، ولا يمكن حل اي منظمة دينية الا في حالة اصدار حكم قضائي بحقها او رغبة من اعضائها، كما تضمن القانون حقوق المواطنين كافة في تحديد موقفهم من الدين والتعبير عنه، واعتناق اي دين مناسب لهم، واداء الطقوس الدينية بحرية تامة دون اي

عائق، ونص القانون ايضاً حق العدالة الاجاماعية والمساواة وحماية حقوق المواطنين ومصالحهم بغض النظر عن موقفهم الديني، ولا تخضع ممارسة حرية اعتناق الدين او المعتقدات الا للقيود اللازمة لحماية السلامة العامة والنظام والحياة والاخلاق (Protasova A, 2021, p. 74)، وبذلك نستطيع القول لقد مهد هذا التحول لعودة الدين بصورة اوسع مع اقتراب نهاية الحقبة السوفيتية.

الخاتمة

كانت المسيحية الأرثوذكسية هي الدين الرسمي في روسيا ابان العهد القيصري، أما الاديان الاخرى فقد كانت مضطهدة، فلم يكن المواطنون أحراراً في اعتناق أي دين يرغبون فيه، اذ تمتعت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بصفتها الكنيسة المهيمنة بمزايا وامتيازات حرمت منها الديانات الأخرى، اذ كانت الكنيسة تمتلك كم كبير من العقارات والأشياء الثمينة، فقد كانت انذاك بمثابة شركة رأسمالية ضخمة ومالكة للأراضي مستغلة بذلك العمال والفلاحين، كما استخدمت الحكومة القيصرية الكنيسة الأرثوذكسية لاستغلال الشعب من خلال تكليف رجال الدين بمهام الشرطة السرية من خلال الإبلاغ عن معلومات مستقاة من الاعترافات الدينية للكهنة بشأن عدم ولاء بعض المواطنين سياسياً، وهنا يجب ان نوضح ان القمع القومي ارتبط بالاضطهاد الديني للذين لم يلتزموا بتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، وهكذا لم تكن حرية الضمير وحرية الدين موجودة في روسيا القيصرية، ولهذا السبب كان أحد المطالب الأساسية التي طرحها ممثلو الشعب الروسي في النضال ضد الاستبداد القيصري هو المطالبة بحرية الضمير وفصل الكنيسة عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة، وبعد قيام ثورة تشرين الاول ١٩١٧ سعى لينين الى تدمير الكنيسة الارثوذكسية كونها تمثل ركيزة اساسية من ركائز النظام القيصري، فعندما تولى الحكم فصل الكنيسة فوراً عن الدولة واجبرها على دفع ضرائب عقابية، فخسرت الكنيسة على اثر ذلك جميع ممتلكاتها واضطرت الى اغلاق العديد من الكنائس المحلية، واستمر الوضع على هذا الحال حتى بعد مجيء ستالين الى الحكم، اذ كان ينظر الى الدين على انه مؤسسة يمكن توظيفها لخدمة اهداف سياسية محددة لصالح النظام الحاكم.

بعد انتصار البلاشفة في الحرب الاهلية عام ١٩٢١ وتمكنهم من ارساء هيمنتهم المطلقة على معظم اراضي الامبراطورية القيصرية السابقة، نجحوا في تأسيس دولة من طراز فريد مكونة من مجموعة الافراد عرفوا باللادين يهيمنون على احدى اكبر دول العالم، وعلى الرغم من اختلاف افكارهم اختلافاً جذرياً عن افكار ومعتقدات المجتمع الروسي الذي عُرف بالاغلبية الفلاحية المحافظة اجتماعياً وديانتها المسيحية رسمياً، الا ان البلاشفة تمكنوا من فرض سيطرتهم الكاملة عليهم، اذ كان على البلاشفة مواجهة هذا التنوع في الحياة الدينية في جميع انحاء دولتهم محاولين في الوقت نفسه فرض افكارهم على الشعب، وقد

أنعكس تأثير التناقض بين التقاليد الدينية الراسخة والجهود التحديثية الماركسية الى حد كبير على السياسة الدينية السوفيتية طوال فترة ما بعد الثورة البلشفية، فكان لا بد من نبذ المبادئ القديمة لصالح العقيدة الجديدة المستندة الى الماركسية – اللينينية، ووفقاً لهذه النظرة لم تكن الايدولوجية البلشفية خياراً، بل كانت أمراً حتمياً لا نقاش فيه، ومن الجدير بالذكر ان البلاشفة امنوا بالمواطنة الشاملة ورفضوا السلطة الملكية ولم يدعموا الدين ولم يسعوا إلى شرعية الدولة التقليدية، بل سعوا إلى قطيعة ثورية معها، اذ اعتقدوا بأن الهوية العرقية عابرة وستتلاشى في الدولة الجديدة، وسرعان ما أدخلتهم هذه المواقف في صراع مع المدافعين عن قيم المجتمع في العهد القيصري بشكل خاص، وبشكل أوسع مع القيم الأوروبية المحافظة، فاضطر البلاشفة لا سيما بعد الاعلان عن تأسيس الاتحاد السوفيتي الى استخدام العنف على نطاق واسع وغيره من الوسائل لفرض آرائهم على العامة بطريقة تبدو ديمقراطية ظاهرياً، الا انها كانت دكتاتورية قمعية في جوهرها.

توصلت الدراسة الى استنتاج مفاده ان سياسة الحكومة السوفيتية (منذ تأسيسها وحتى انهيارها) تجاه الكنيسة الاثوذكسية لم تكن سياسة ثابتة، بل متغيرة حسب مقتضيات ومتغيرات المراحل التي مرت بها الدولة في العهد السوفيتي، فقد تراوحت بين القمع والشدة في باديء الامر وبين المرونة وتخفيف القيود لاحقاً خلال فترة الازمات لغرض تسخير الكنيسة لخدمة سياسة الدولة وتحسين صورتها على الصعيدين الداخلي والخارجي، كما اظهرت الدراسة أن القمع المستخدم من جانب الدولة اتخذ اشكال متعددة تضمنت اغلاق الكنائس واضطهاد رجال الدين ومصادرة الممتلكات وحظر التعليم الديني في المدارس، اذ كان الهدف الأساسي للسلطة هو محو هوية الكنيسة الارثوذكسية والقضاء عليها نهائياً باعتبارها عقبة في طريق الايديولوجية الشيوعية وسياسة اللا دين، فأدت تلك الاجراءات الى تراجع نشاط الكنيسة وتاثيرها في المجتمع، وعلى الرغم من تلك السياسة العدائية الا ان الكنيسة استطاعت الحفاظ على وجودها والتكيف تدريجياً مع الظروف الجديدة من خلال مواصلة أنشطتها بصورة سرية من جهة واظهار المرونة في الخضوع لقوانين السطات السوفيتية من جهة أخرى.

توضح الدراسة أيضاً ان الحكومة السوفيتية في مرحلة ما حاولت توظيف الدين سياسياً لخدمة مصالحها من خلال رجال الدين كوسيط بين الدولة والشعب، كما اصبحت الكنائس قنوات رسمية لنشر رسائل الدولة لا سيما في المناسبات الوطنية والدينية، ويمكن القول بأن الحكومة السوفيتية لم تتخلى عن موقفها العدائي تجاه الكنيسة ولكنها وظفتها كأداة سياسية مؤقتة عند الحاجة لتعزيز الدعم الشعبي والوحدة الوطنية مع الحفاظ على السيطرة الكاملة عليها، ومع تغير رؤوساء الاتحاد السوفيتي على مر تاريخه الطويل اصبح من الضروري تغيير تلك السياسات العدائية، اذ شهدت ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي منح حرية الدين لكافة مواطني الاتحاد السوفيتي لكسب تأييد ابناء الشعب لا سيما المثقفين

منهم، اذ لعب مجلس الشؤون الدينية دوراً محورياً في تهيئة المجتمع والدولة لحوار بناء مع كافة المؤمنين من اتباع الكنيسة الارثوذكسية، إذ قدم نشاطه للقيادة السوفيتية صورة موضوعية عن الواقع الديني في البلاد، كما أُخذ في الحسبان دور العوامل الخارجية، ويبدو أن ضغوط الدول الأجنبية على الاتحاد السوفيتي بما في ذلك انتقاد السياسات الدينية المتبعة في البلاد قد أثرت بشكل كبير على مكانة الدولة السوفيتية على الساحة الدولية، واجبرتها على اجراء تغييرات جوهرية في المجالات القانونية والاقتصادية والمؤسسية وغيرها من مجالات تنظيم الدولة، بما يتماشى مع الالتزامات الدولية، لذا بذلت المؤسسات الحكومية جهوداً حثيثة لإثبات عدم وجود نزعة عدوانية في السياسة الخارجية، واحترام الحقوق والحريات الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي، بما في ذلك في المجال الديني أمام المجتمع الدولي.

المصادر

James Sherr, K. (2019). The Russian Orthodox Church: Faith, Power and Conquest. Estonia: International Centre for Defence and Security.

Bethmann, E. (1958). The Fate of Muslims Under Soviet Rule. New york: American Friends of the Middle East Inc.

Kalkandzhieva, D. (2015). The Russian Orthodox Church, 1917–1948: From Decline to Resurrection. United Kingdom: Routledge.

Krasheninnikov, F. (2020). he Russian Orthodox Church's Isolation from the People. (C. Fitzpatrick, Trans.) Russia: Free Russian Foundation.

Petra Ramet, S. (2005). Religious policy in the Soviet Union. New York: CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.

Sablin, I. (2022). A Spiritual Perestroika: Religion in the Late Soviet Parliaments 1989–1991. An Article Published at Entangled Religions, 13(8), 1.

Andrej Kotljarchuk, O. (2017). Ethnic and Religious Minorities in Stalin's Soviet Union New Dimensions of Research. Stockholm: Printed by Elanders.

Andrson, J. (2008). Soviet Religious Policy Under Brezhnev and After. Article published in the Religion State & Society Journal, 25.

Bourdeaux, M. (1990). GORBACHEV, GLASNOST & THE GOSPEL. Great Britain: British Library Cataloguing in Publication Data .

Constitution of the Russian Socialist Federated Soviet Republic, Resolution of the 5th All-Russian Congress of Soviet adopted on 10 July 1918, Article Two, Chapter Five, Point # 13,p7. (n.d.). Retrieved from https://www.marxists.org/history/ussr/government/constitution/1918/article2.htm

D.-Cokun, B. (2008). Khrushchev's Policies toward Religion: Repression in a Period of Reform. Karadeniz Ara trmalar.

Dyachenko, A. (2022). From Repression to Appropriation: Soviet Religious Policy and Reform, 1917-1943 (Master of Arts). New York: Hunter College .

G. Spasov. (1951). Freedom of Religion in the USSR. USSR Information Bulletin.

Kotzer, S. (2020). Russian Orthodoxy, Nationalism and the Soviet State during the Gorbachev Years, 1985–1991. New York: Routledge.

Nadezhda Beliakova, V. (2023). Anti-Cult Movement and Religious Freedom for Religious Minorities in the Russian Arctic. Religions(14), 2.

Protasova A. (2021). THE EXPERIENCE OF BUILDING A SECULAR STATE IN THE USSR FROM 1917-1991: A LEGAL ASPECT. Samara National Research University, 18(1), 74.

Seide , G. (n.d.). History of the Russian Orthodox Church Outside Russia from Its Beginning to the Present. Part I. Chapter 1. The Russian Civil War and the Establishment of the Supreme Ecclesiastical Administration (1919-1920). Retrieved from Historical Studies of the Russian Church Abroad: https://www.rocorstudies.org/2020/02/04/history-of-the-russian-orthodox-church-outside-russia-from-its-beginning-to-the-present-part-1/

Waldemar Bednaruk, A. (2023). Soviet Religious Law in 1917–1922: Ideological and Legal Foundations,. Poland: The John Paul II Catholic University of Lublin.

М.С.Горбачев, , М. (1988). ПЕРЕСТРОйКА И НОВОЕ МЫШЛЕНЦК ДЛЯ НАЩJi:Q СТРАНЫ, и для ВСЕГО МИРА,. Москва: Издательство поли;гичеCROЙ: лите~атуры,.

Осипова , В. (2020). Государственно-конфессиональные отношения перестроечного периода: формирование предпо. Сер История, филология. , 19(8).

بطريرك موسكو وسائر روسيا الكسي. (١٩٥٩). *الكنيسة الارثوذكسية الروسية بناؤها وضعها نشاطها*. بطريركية موسكو.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) ١٧٤٧- ١٩٦٤

أ. د. مي فاضل مجيد الربيعي
وزارة التربية – بغداد
d.mai.fadhil@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

مقدمة:

ظلت بلاد الأفغان مجزأه بين أكبر أمبراطوريتين أسيويتين هما المغول والدولة الصفوية لحقبة تزيد على قرنين من الزمان، وفي نهاية القرن الثامن عشر بدأ الضعف يظهر على الأمبراطوريتين المذكورتين، مما ساعد الأفغان على التحرك للتخلص من التبعية المغولية والصفوية، وخلال تلك الحقبة كانت القبائل الأفغانية التي تقطن جبال هندوكوش. تتمتع بنوع من الأستقلال الذاتي بعيداً عن المعارك والحروب التي وقعت في المناطق السهلية، وأدى ذلك إلى تكاثرها، ولم تعد الأرض القليلة في الجبال تساعد على البقاء، فأتجهوا نحو مناطق باكستان الشمالية الغربية ونحو حوض نهر الهلمند، وتنتمي أغلب تلك القبائل إلى البشتون، وبدأت بالبحث عن أستقلاليتها وهويتها الوطنية[١].

يسلط البحث الضوء على تاريخ المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) الذي رافق تأسيس الدولة الأفغانية الحديثة ودوره في أختيار الأمراء الأفغان الذين حكمو أفغانستان، وتركيبة المجتمع الأفغاني والعناصر التي يتكون منها, وتركيبة القبائل الأفغانية ومكانتها الأقتصادية الأجتماعية ودور مجلس (اللويا جيرغا) موقفه في الحياة السياسية في أفغانستان، ومواقفه السياسية من التحديات التي واجهتها أفغانستان ومنها موقفه من الحرب العالمية الأولى، ودور القبائل في أسقاط نظام الحكم في عهد الملك أمان الله خان، و تولي محمد نادر شاة العرش الأفغاني، وموقفهم من قضية البشتونستان ومسألة حق تقرير المصير لقبائل البشتون، إلى صدور دستور عام ١٩٦٤ الذي غير من تركيبة المجلس وعدده إلى أن أصبح هيئة حكومية تابعة للسلطة المركزية في كابل.

تأسيس الدولة الأفغانية الحديثة:-

برز أحد القادة الأفغان من الذين عملوا مع نادر شاه الفارسي (١٧٣٦-١٧٤٧) وهو أحمد خان ابدالي[٢]، وأعلن الثورة ضد الفرس، وكان أكثر الزعماء الأفغان نفوذاً وينتمي إلى قبيلة الأبدالي، وعندما قتل نادر شاه عام ١٧٤٧ كانت مدينة قندهار أحدى الأمارات المهمة لدى الأمبراطورية الصفوية، فأستغل أحمد خان الأبدالي الفرصة وقاد فرقته التي قوامها أربعة الآف جندي من القبائل الغلزية وأنضم

اليه أثنى عشر الف مقاتل من كل من القبيلتين الأبدالية والأزبكية بقيادة نور محمد الغلزي، وأستطاعوا الأستيلاء عليها، وأنضمت اليهم قبائل التي كانت تقطن قندهار وهي الغلزائية والأبدالية والأزبكية والهزاره والبلوش والطاجيك، فباتت المدينة تحت سيطرة الزعماء الأفغان[٣].

بعد أن أستتبت الأمور للقادة الأفغان برزت مهمة أبراز الهوية الوطنية المستقلة للقبائل الأفغانية بعيدة عن سيطرة القوى الأقليمية في المنطقة، وأدرك زعماء القبائل بأن الأخطار التي تواجهها بلادهم ترجع إلى تفرقهم وعدم وحدتهم، لذا يجب عليهم أن يختاروا زعيم لهم يقدمون له الدعم والطاعة من أجل خلق وحده وطنيه تضم مختلف القبائل الأفغانية، فعقد مجلس للقبائل في قرية نور أباد (على بعد ٧٥ ميلاً من مدينة قندهار) في المسجد الكبير لأنتخاب أمير عليهم، وبعد أجتماعات عدة دامت تسع أيام لم يتفق زعماء القبائل على أنتخاب أمير عليهم لأن زعيم كل قبيلة كان يطمح أن يكون هو الأمير، وعلى الرغم من أن والد أحمد خان كان زعيم أمارة أبدالي في هرات الا أن قبيلته كانت أقل عدداً من القبائل الأفغانية الآخرى[٤]، وكان هناك مرشحين الأول هو أحمد خان والثاني هو حجي جمال خان الباركزائي، وكان الثاني يفوق الأول بالعمر وعدد الرجال المسلحين، وهي من العوامل التي تحدد أختيار الزعيم وفقاً للعادات القبلية، هذا فضلاً عن أن أحمد خان كان صغير السن وعدد أفراد قبيلته لا يتجاوز (٥٠٠٠) أفغاني، ولما لم يصل الزعماء القبليين المجتمعين إلى أتفاق على أختيار زعيم عليهم وبعد مناقشات حادة برز أحد علماء الدين هو أحمد خيري قائلاً "ايها السادة أوقفوا هذه المناقشات العقيمة لقد أخترنا بمشيئة الله سبحانه وتعالى أحمد خان للقيام بهذا العبء، التفوا من حوله لتتجنبوا مخاطر جساماً" ، لم يعترض أحد منهم على ذلك نظراً للمكانة الحربية التي كان يتمتع بها أحمد خان والأحترام الذي يكنه الأفغان لعشيرته السادوزائي، فقام الشيخ أحمد صبري بسكب كمية من القمح عليه معلناً أختياره زعيماً لهم، فقدم له زعماء القبائل المجتمعين فروض الطاعة وكان من بينهم الحاج جمال الدين خان زعيم عشيرة الباركزائي، واطلقوا عليه لقب أحمد شاه دوراني، (أي درة الدرر) ، وعد هذا اليوم بمثابه أعلان قيام مملكه أفغانستان عام ١٧٤٧[٥].

أستطاع أحمد شاه أن يثبت أحوال مملكتة داخليا، ثم أستولى على خراسان في العام ذاته، ومد سلطته نحو المشرق مستغلاً الأوضاع القلقة في كل من جارتيه الهند المغولية وفارس القاجارية، فسيطر على منطقة واسعة أمتدت من مشهد إلى كشمير ومن دلهي إلى نهر أمودايا والبحر العربي[٦]. وبهذا يكون قد ارسى أسس الدولة الأفغانية المترامية الأطراف وشعب موحد أسمه الأفغان.

تعرضت هذه المملكة بعد وفاة مؤسسها أحمد شاه إلى التفكك بسبب الصراع على العرش بين عشيرتي السادوزائي التي تقلدت العرش الأفغاني. والباركزائي التي تقلدت الوزارة، فتدخلت قوى أجنبية لمناصرة السادوزائي ضد الباركزائي الأمر الذي كان له أثاره السلبية على البلاد، إذ تمزقت الوحدة الوطنية

وأنحسرت المملكة إلى مقاطعات ثلاث، ودخل الأفغان في حروب خاسرة أدت إلى ضعف الدولة وتقلص مساحتها وأزدياد الأطماع الدول المجاورة بها [٧].

تركيبه القبائل الأفغانية:-

يتميز المجتمع الأفغاني بأنه مجتمع قبلي تقليدي محافظ، يتكون الشعب الأفغاني من مجموعة من العناصر وأهمها:-

١- البشتون:- ويشكل هؤلاء ما يقرب من ٤٢% من مجموع الشعب الأفغاني ويتكلم هؤلاء اللغة البشتونيه التي عدت اللغة الرسمية في البلاد، وأهم القبائل المتحدة من العنصر البشتوني هي (غلزائي) و(العبدلي) و(كاكر) و(دزيري) و(يوسف زائي) و(مهند) و(افريدي) و(ينكش)، وقبيلة العبدلي تتكون من (السادوزائي) و(الباركزائي) و(عليكوزائي) و(علي زائي) و(بامي زائي). وهذه القبائل أستقرت في المناطق الجبلية الشرقية الواقعة بين أفغانستان وباكستان والمعروفة بأسم جبال سليمان (فيما وراء الحدود السياسية لأفغانستان والداخلة حتى الأراضي الباكستانية، والقبائل التي تقطن مناطق جبال سليمان وما يليها جنوباً داخل حدود أفغانستان وتسمى عادة قبائل الباثان وهذه القبائل تتشعب إلى مجموعات عدة من العشائر والبطون وهي (المهند، الوزيري، الشنواري، الأفريدي، الدوراني)، وتقيم قبائل الباثان في جبال وعرة موحشة قليلة الماء ليس فيها سوى مساحات محدودة من الأرض من بطون الوديان تصلح للزراعة في الجنوب، ولهذا أتجهت أنظارهم دائماً للشطر الغربي والمدن الغنية والسهول الزراعية الخصبة وأفراد هذه القبائل شديدة الحرص على التمسك بأستقلالهم الداخلي وأحترفوا مهنه الرعي وعمل بعض أفرادها بالنقل والتجارة.

٢- الطاجيك:- ويرجع أصولهم إلى الجنس القوقازي لغتهم الدارية ويشكل هؤلاء حوالي ٣٢% وأستقر هؤلاء في السهول الزراعية الخصبة غرب أفغانستان في مدينة هرات القريبة من الحدود الأيرانية[٨].

يوجد في أفغانستان سلالات بشرية آخرى يرجع أصولها إلى عناصر تركية ومغولية وتترية دخلت أفغانستان في حقب غزو المغول والأتراك لهذه البلاد، وهذه العناصر استقرت في السهول الشمالية لسلاسل جبال هندوكوش وأقام بعضهم في هضبه بامير، وأنحدر قسم منهم جنوباً وأستقرت في مدينة قندهار وأهم هذه العناصر هي :-

أ- الأوزبك:- وأستقر هؤلاء في شمال أفغانستان قرب نهر جيحون وهم مزارعون ويمتهنون تربية الخيول وغنم الكركول.

ب- التركمان:- وأقام هؤلاء إلى جوار الأوزبك على الضفة الجنوبية لنهر جيجون وزاول هؤلاء مهنة الزراعة وهناك صلات بين الأوزبك والتركمان وبين أبناء عمومتهم من أهل أوزبكستان إذ لا يفصل بين هؤلاء سوى نهر جيحون.

ج- القرغيز:- وهؤلاء سماتهم مغولية وهم يحترفون الرعي وموطنهم هضبة بامير ذات المراعي الجيدة وهي منطقة حدود مشتركة بين أفغانستان وباكستان والصين.

د- القوزاق:- يمتاز القوزاق بسماتهم المغولية الواضحة وهم أبناء عمومه للقوزاق الذين ينتشرون في سهول أسيا الوسطى.

هـ- الهزارة:- ويعود الهزارة في أصولهم إلى جيش جنكيز خان الذي غزا أفغانستان في القرن الثالث عشر الميلادي ومنهم يمتاز بسمات مغولية واضحة, ويتبع هؤلاء المذهب الشيعي ويتكلمون اللغة الفارسية وموطنهم هضاب أفغانستان الوسطى جنوبي سلاسل جبال هندوكوش بين مدينتي كابل وهرات ويحترفون الرعي والزراعة. هذا فضلاً عن وجود أقليات من عناصر أخرى منها الهنود واليهود والعرب [٩].

القبائل الأفغانية منظمة متعددة القبائل , وكل قبيلة مجزئة الى جماعات منفصلة يعيش أفرادها في انغلاق، وقد يملك أعضائها مساحات من الأراضي العامة، والخان هو رئيس القبيلة ولديه مساعدين وقادة وملاك أراضي فضلاً عن جماعات عائلية وكبار السن تربطهم صلة القرابة، وينتخب الخان من قبل أفراد القبيلة، وولائهم يكون للخان والمجتمع ويمثل هؤلاء الخانات نوع من أرستقراطي الأراضي أو ملاك الأراضي وغالباً ما يصبح هؤلاء الخانات أعضاء في مجلس الشيوخ أو مجلس النواب الأفغاني أو المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، وقد تستعين بهم السلطة المركزية للحفاظ على الأمن الداخلي والأستقرار في حالة حدوث تمرد قبلي ضدها. ومجتمع القبيلة هو تجمع ديموغرافي ظاهر في المناطق الجنوبية الشرقية من البلاد ويتكلمون لغة البشتو[١٠].

الا أن النظام القبلي تحول الى نظام أقطاعي في القرن الثامن عشر وأصبح لكل قبيلة بشتونية حدودها الخاصة بها وارضاً تربي بها ماشيتها ومصدراً للحياة ومعسكر للحراسة، مجاور لمصدر المياه وذلك لحمايتها من القبائل المعادية، وفي أواسط القرن الثامن عشر ترسخ هذا النظام وأصبح نظاماً قائماً بحد ذاته ومن الأمور التي ساعدت على ذلك تدني الأجور التي يتقاضاها الفلاحون والعبيد والسكان المتبقون في تلك الأراضي التي أستولت عليها تلك القبائل[١١].

ووفق تقديرات البنك الدولي التي سجلها في تقريره الذي صدر عام ١٩٧٨ أن حوالي ٥٣% من السكان أفغانستان يعملون بالزراعة، و١٨% يزاولون أعمال يدوية،٢٠% من البدو الرحل، والباقون موزعون على قطاعات الخدمات، وهذا يعني أن في أفغانستان أعلى نسبة من البدو الرحل في العالم، ففي فصل الربيع تجد تلك القبائل مستقراً لها في وديان وجبال الهندوكوش بسبب كثرة المراعي, ولهذا نجد ان أقتصاد أفغانستان زراعي يقوم أساساً على أنتاج تلك الوديان الممتدة بمحاذاة سلاسل جبالها الشاهقة[١٢].

المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)

اللوياجيرغا:- مصطلح بشتوني يعني مجلس المصالحة الكبير, وتنسب التسمية إلى قبائل البشتون التي تمثل النسبة الأعلى من الشعب الأفغاني. وهو تقليد قديم في تاريخ أفغانستان يعود جذوره إلى القبائل البشتونية، إذ يجتمع فيه رؤساء القبائل ووجهائها السياسيون والدينيون وسواهم للتشاور في حل مشاكلهم المتعلقة بشؤونهم السياسية والعامة، وكانت الأجتماعات تستمر بالأنعقاد لحين التوصل إلى قرار يتخذونه بالإجماع[١٣].

عرف المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية قبل قرون عدة، وهو مؤسسة شبه برلمانية وقضائية بالعمل والوظيفة، يدار وفق القانون العرفي وقد تألف لأغراض مختلفة من ممثلين من الأسر المكونة للقبيلة، لمناقشة الأمور المهمة كالحرب والسلام ويتخذ قراراته بالأجتماع ووظيفته هي حل النزاعات، وليس فرض العقاب، وقراراته ملزمة لجميع أفراد القبيلة، ويعتمد المجلس القبلي على قانون عرفي لما فسره العلماء والمشايخ أو على الشريعة الأسلامية كما يشرحها رجال الدين (الملالي)[١٤].

حكم القانون البشتوتي المتوازن المجتمع الأفغاني، وهو قانون غير مدون ولكنه مفهوم ومقبول في جميع أرجاء أفغانستان، وهذا القانون هو الأساس في المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) أساسه الشورى والموافقة الجماعية وعندما تواجه القبيلة مشكلة أو أي تهديد لوجودها فإنها تحل في المجلس القبلي، ومن حيث المبدأ فأن لكل فرد حرية الكلام والمشاركة في المجلس، وعند التوصل إلى قرار جماعي يكون ملزماً للجميع[١٥]، وفي هذا تكمن طبيعتها الديمقراطية وعلى الرغم من أنها طريقة تقليدية لحل المشاكل، الا أن هذا المجلس حل جميع مشاكل أفغانستان الكبيرة بواسطة هذا المجلس القبلي وهو أقصر وأضمن طريقة للوصول إلى أتفاق الجميع على الحلول.

وفي الواقع أن لرئيس القبيلة نفوذ على قبيلته أو جماعته وتتخذ جميع القرارات في الاجتماعات العامة أو عن طريق المجلس القبلي, وفي جنوب البلاد كان السكان يفضلون الأجراءات أو قرارات الأقلية، لتسوية المسائل التي تؤثر على القبيلة كلها، فمثلاً زعيم قبيلة الغلزائي لديهم قدرة على السيطرة على أفراد قبيلته، وكان أنتقال الوراثة لزعامة القبيلة ليس مبدأ ثابت، إذ بينما يتم تعيين أشخاص ملائمين للزعامة في ظروف الحرب أو أدارة شؤونهم في أوقات السلم، وفي كثير من الأحيان قد يطالب زعيم القبيلة بحقوقه الوراثية لدعم الوريث أو أختيار أي عضو من عدد من المرشحين المتوفرين في أوقات الخطر, وبهذا يمكن أن يتم أختيار زعيم للقبيلة من خارج عائلة رئيس القبيلة، والواقع أن جميع رؤساء القبائل مثل الدوراني والغزائي والطاجيك يتبعون السنة النبوية والشورى في أتخاذ القرارات، وقبيلة الدوراني هم أصلاً الطبقة الحاكمة في أفغانستان ويتمتعون بأمتيازات عدة منها أمتلاك الأراضي والتعيين كقادة عسكريين وكانوا مفضلين في الوظائف الحكومية[١٦].

أستقرت على طول خط ديوراند الحدودي الذي يبلغ طوله ٥٠٠ ميل حوالي ثلاثين قبيلة كبيرة، وطوال السنين كانت هذه القبائل تقاتل الواحدة ضد الآخرى، وكانوا يلجأون إلى محاربة جيرانهم وهم منقسمون إلى مجموعات تقوم على علاقة القرابة، والنسب نظام رأسي ترى فيه العائلة والعائلة الموسعة والقبيلة المصغرة والقبيلة وعند كل من هذه المستويات نجد حقوقاً والتزامات متبادلة أجتماعية وأقتصادية وسياسية ولكن إذا تعرضت هذه الأنظمة القبيلة لتهديد من قوة خارجية أجنبية فأن هذه القبائل تتجمع وتتحد لمواجهة أخطار الغزو أو الأعتداء(١٧).

دور القبائل الأفغانية في مقاومة الأحتلال البريطاني والحرب الأفغانية – البريطانية الأولى ١٨٣٨- ١٨٤٢

حاولت حكومة الهند البريطانية في شبه القارة الهندية التدخل في الشؤون الداخلية الأفغانية، ومناصره طرف ضد أطراف آخرى بما يتوافق مع مصالحها في المنطقة، وسعت دائماً إلى إيجاد حليف لها لا يشكل مصدر تهديد لها ولسياستها في المنطقة، ومنها محاولتها فرض شجاع الملك بالقوة اميراً على أفغانستان ومناصرته ضد منافسيه على العرش، الأمر الذي أثار شعور الأفغان الوطني والديني فأنتشرت الثورة في جميع أفغانستان فتناست القبائل عصبياتهم وخلافاتهم وأصبح هدفهم الأول هو الأنتقام من عدو بلادهم(١٨).

بدأت الثورة بتمرد قبيلة السادوزائي في زيمندار شمال غربي قندهار في أواخر عام ١٨٤٠، واشتبكوا مع القوات البريطانية المحتلة التي قدمت الحماية لموظفي الضرائب في زيمندار وقضوا عليهم وأستطاع أفراد قبيلة السادوزائي وقف تقدم القوات البريطانية الا أنهم أجبروا على التراجع تحت تأثير نيران مدفعية القوات البريطانية.

وكان مقاتلي السادوزائي في أوائل تموز ١٨٤١ قد تمركزوا في جانب نهر الهلمند بمقاتلين تعدادهم سته الأف رجل مقسمين إلى ستة أقسام على رأس كل واحدة منها أحد علماء الدين يناشد القوات بأسم الله وبأسم الدين الوقوف ضد الأعداء أو الأستشهاد في سبيل الدفاع عن الوطن، واستطاعوا خديعة القوات البريطانية التي أضطرت الى التقهقر، ولم تستطع قوات البريطانية من القضاء على حركة السادوزائي إلى أيلول ١٨٤١ تمكنت من القبض على عدد من زعماء السادوزائي واخماد ثورتهم(١٩).

لم يكن السادوزائي وحدهم مصدر التذمر والثورة من أفغانستان، بل ثارت قبيلة الغلزائي ضد شجاع الملك وحلفائه بسبب حرمانهم من السلطات التي منحهم أياها الأمراء الأفغان السابقين، وكان هؤلاء يملكون قوة قوامها ١٢ الف رجل مؤمنين بعدالة قضيتهم، إلا أنهم لم يستطيعوا المقاومة أمام قوات الأحتلال البريطاني، فأضطر إلى الأنسحاب إلى القلاع الجبلية، أثار ذلك غضب قبيلة الغلزائي وبدأ

يعدون الترتيبات للانتقام من قوات الأحتلال وحاول البريطانيين أمتصاص حقد القبائل عن طريق تقديم الأموال لزعماء الغلزائي مقابل منع أتباعهم من الأغارة على الطرق العامة[٢٠].

ثار الغيلزائي مرة أخرى في ربيع ١٨٤١ عندما بدأت قوات الأحتلال البريطاني أعادة بناء قلعة كالات غيلزائي التي تقع بين كابل وقندهار وأحتلوا قلعة صغيرة كانت لأفراد قبيلة الغيلزائي، فعد ذلك تهديداً لهم وبعد أشتباكات بين الجانبين أستطاعت القوات البريطانية السيطرة على المنطقة في أب ١٨٤١، وكان زعماء قبائل المقاطعات الشرقية في ممر خيبر لا يسمحون لأحد بالمرور في ممراتهم دون دفع الأموال سنوياً لهم، وكان هذا متبعاً في عهد أمراء الأفغان السابقين الا أن هذا الأمتياز سحب منهم، فثاروا ضد قوات الاحتلال وكبدوها خسائر فادحة، الآمر الذي جعل البريطانيين يقدمون الآموال التي طلبها زعماء القبائل نظير هدوئهم[٢١].

دور المجلس الآعلى للقبائل الأفغانية في الحياة السياسية الأفغانية بين عامي ١٨٨٠- ١٩١٩

لم يستمر حال القبائل الأفغانية من الأستقلال والبعد عن السلطة المركزية للحكومة الأفغانية مع ظهور التحديات السياسية والأخطار التي جابهها الأمراء الأفغان من البريطانيين في شبه القارة الهندية أو الإمبراطورية الروسية في شمال البلاد، الأمر الذي أستدعى من السلطة المركزية في كابل محاولة أدخال القبائل الأفغانية ضمن مفاصل الدولة والحكومة ومحاولة السيطرة عليهم، وتجلى ذلك واضحاً أثناء حكم الأمير عبد الرحمن خان (١٨٨٠- ١٩٠١) الذي اعترفت به بريطانيا اميراً على البلاد في تموز ١٨٨٠ وعاهدته الا تطلب أدخال بعثه بريطانية إلى ايه منطقة في بلاده، وبهذا أستقرت الأمور له وأستطاع أعادة الأمن للبلاد وأقامة حكومة مركزية وبسط نفوذه على القبائل الأفغانية عن طريق تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم خضعت لسيطرة أربعة مدن رئيسية هي كابول وقندهار وهرات ومزار الشريف وذلك لأحكام سيطرته على البلاد وجمع الضرائب وتطبيق القوانين والأوامر العسكرية. وركز على دور رجال الدين في مجال التعليم والقانون, ولم يقتصر تأثير (الملا) منحصراً بدوره كرجل دين او كمواطن حكومي فهو عادة مالك أرض كبيرة خاصة به أو كأمين على أرض وقفية وظهر تأثيره واضحاً في القرية لأنه وبسبب تعليمه كان المتعلم الوحيد, وكان يمثل الوسيط بين السكان المحليين والموظفين الحكوميين من الحكومة المركزية في كابل، ويقوم بتقديم النصح في الأمور القانونية ويأتي تأثيره من أنه مالك للأرض ومفسر (للقانون العرفي السائد) وكمحفز سياسي في أوقات الصراع والتوتر التي تهيمن على المجتمع[٢٢].

أعلن الأمير عبد الرحمن خان بأن سلطته مستمدة من الله، وأن معارضته سواء أكانت دينية أو قبيلة تعد خيانه أو الحاد، وشرع الأمير عبد الرحمن خان بإدخال (الملات) في القرى والمدن وجعلهم معتمدين في الدخل والترقيات على الحكومة وبرغم أن الشريعة بقيت أساس القانون الأفغاني ,الا أن سيطرة العلماء على النظام القانوني كسرت ومنح الموظفون المدنيون دوراً مهماً في هذا المجال وقوضت

سلطة رجال الدين من خلال نقل السلطات الدينية للحكومة، كما أنه أسس جيشاً حديثاً قوياً تابع للسلطة الحكومة المركزية، الأمر الذي عزز سلطه الحكومة ولم تعد تعتمد على التعبئة القبلية[٢٣].

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ التوسع الروسي في أواسط أسيا محاولة السيطرة على بعض الأراضي الأفغانية لاسيما أنه لم تكن هناك حدود واضحة المعالم مع أفغانستان، أثارت بذلك مخاوف البريطانيين فعملوا وسيطاً لحل الخلاف الروسي الحدودي للحد من التوسع الروسي في المنطقة والاحتفاظ بأفغانستان دولة حاجزة لكي تمنع التصادم بين بريطانيا وروسيا، ولهذا أصرت بريطانيا إلى ضرورة تحديد الحدود بين روسيا وأفغانستان وعلى هذا الأساس تم الأتفاق بين روسيا وأفغانستان في ١٠أيلول عام ١٨٨٥ على تخطيط الحدود بين الدولتين[٢٤]، في الوقت ذاته أصرت روسيا على وجوب تعيين الحدود الجنوبية لأفغانستان بحيث لا تتخطاها بريطانيا وعلى هذا الأساس أرسلت حكومة الهند البريطانية بعثة برئاسة (مورتيمر ديوراند Mortimer Durand) وزير خارجية حكومة الهند البريطانية لحل الخلاف بين الجانبين حول المناطق التي تسكنها قبائل البشتون ولتحديد الحدود الشرقية والجنوبية مع أفغانستان وصلت البعثة إلى كابل في ٢ تشرين الأول عام ١٨٩٣ وأستمرت بالمفاوضات إلى ١٢ تشرين الثاني ١٨٩٣، أختمت بتوقيع أتفاقية حدودية بين الجانبين لجعل جبال سلمان حداً فاصلاً بين البلدين، وجعل خط الحدود الشرقي والجنوبي يمتد من واخان إلى حدود فارس، وبموجب هذه الاتفاقية تنازل الأمير عبد الرحمن خان عن سيطرته الأسمية عن بلوشستان وعلى قبائل جبال سليمان وعرف الخط الحدودي الذي حدد على خارطة ملحقه بالأتفاقية بخط ديوراند وتعهد الجانبان بعدم التدخل في الأراضي الواقعة وراء الخط ,الا ان هذه الأتفاقية أدت إلى تقسيم قبائل البشتون إلى قسمين وخلقت مشاكل حدودية ظهرت بعد الأنسحاب البريطاني في شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧[٢٥].

بعد أن أستتبت الأمور للأمير عبد الرحمن خان، أدرك أهمية النهوض بالبلاد عن طريق أجراء أصلاحات داخلية لتقوية الوحدة الوطنية مركزاً أهتمامه على تنظيم الجيش وللحاكم والارتقاء بالتعليم وتقرير السلطة المركزية في البلاد، وأستمر بذلك حتى وفاته في أيلول عام ١٩٠١ تاركاً وراءه أمارة مستقرة الحدود مع الهند وروسيا لخليفته الأمير حبيب الله خان (١٩٠١-١٩١٩) [٢٦].

كانت السياسة البريطانية قد مالت إلى عدم أستخدام أسلوب الحرب في تعاملها مع الأفغان وتحولت إلى الطرق السياسية والمالية وكانت تعتقد أن هذا الأسلوب هو الأفضل للأحتفاظ بأفغانستان دوله حاجزة للهند البريطانية[٢٧]، وعقدت أتفاقاً ودياً مع روسيا القيصرية في ٣١ آب ١٩٠٧ لوضع حد لمشاكل التنافس بينهما في التبت وأفغانستان وأيران وقد نصت بنود الوفاق على أعتراف بريطانيا وروسيا بسيادة الصين على أقليم التبت والتعهد بالحفاظ على حكمها الذاتي وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وأعتراف روسيا القيصرية بالوصاية البريطانية على أفغانستان وعدم التعامل مع حكومتها، الا من خلال

الحكومة البريطانية وتقسيم أيران إلى ثلاثة مناطق المنطقة الشمالية خاضعة للأشراف الروسي والمنطقة الجنوبية المجاورة للهند تحت الأشراف البريطاني وأتفق الطرفان على أن تكون المنطقة الوسطى منطقة محايدة بينهم مع فتحها لتصبح منطقة حرة للتجارة والتنافس بين الدولتين، كما تعهدت بريطانيا بأن لا تطالب بأي أمتيازات تتعلق بها أو برعاياها البريطانيين كالأمتيازات الخاصة (أنشاء المصارف وخطوط التلغراف، وشق الطرق، وخطوط السكك الحديدية)، وذلك شمالي خط يمتد من قصر شيرين ماراً بأصفهان وينتهي عند نقطة تقابل الحدود الروسية الأفغانية، والا تمانع بريطانيا في حصول روسيا على أمتيازات تقوي من وضعها ومركزها في هذه المنطقة، أما روسيا فتعهدت الا تطالب بأي أمتيازات تتعلق بها أو برعاياها أو برعايا الدول الأخرى، وذلك جنوبي خط يمتد من الحدود الأفغانية ماراً بجاريف ويزدستان وقرمان وينتهي ببندر عباس هذا فضلاً عن اعتراف روسيا بمصالح بريطانيا في الخليج العربي بينما وعدت بريطانيا روسيا بتسهيل السبل لفتح مضيقي البسفور والدردنيل أمام السفن الحربية الروسية[٢٨].

كان الطرفان البريطاني والروسي قد أتفقا على تقديم نصوص الوفاق قبل وقت قصير من نشرها للأفغان، وفي ١٥ أيلول ١٩٠٧ أحيطت الحكومة الأفغانية علماً ببنود الوفاق، وعندما وصل المندوب البريطاني العاصمة الأفغانية كابل، كان الأمير حبيب الله يقوم بجولة في ربوع البلاد خلال شهر أيلول وعندما وصل اليه خبر الوفاق عن طريق المندوب البريطاني، أعلن أنه لا يستطيع أبداء رأيه قبل العودة إلى العاصمة كابل والتي وصلها في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٧، مدركاً خطورة مواد الوفاق على بلاده والدول المجاورة له لاسيما أيران، فأستدعى فور وصوله شقيقه نصر الله خان ووزرائه وأعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) للتباحث معهم في بنود الوفاق وجرت مناقشات على بنود الوفاق، وأعترض نصر الله خان على بنود الوفاق، وأعلن بعض أعضاء المجلس (اللويا جيرغا) "بأن الأفغان قد خدعوا بوعود البريطانيين ويجب على الشعب الأفغاني أن يقطع صلته كلياً بهم وأنهم أعداؤه الألداء"[٢٩]. وصرح البعض الآخر بأن الوفاق من وجهة نظرهم ضار بكل من أيران وافغانستان، وأن الكلمات التي ترددت عن الحرية والاستقلال في الوفاق خاليه من أي مضمون، فأيران قسمت إلى أقسام عدة دون مراعاة لمعنى الأستقلال الذي ذكره الوفاق وأن هناك أخطاراً كثيرة تنتظر أفغانستان، فالروس أصبحوا يحيطون بمدينة هرات من جهات ثلاث، وهذا من شأنه أن يعرض المدينة لأخطار الزحف الروسي نحوها، كما عارض بعض أعضاء (اللويا جيرغا) منح التجار الروس الأمتيازات التجارية الممنوحة لتجار الهند في أفغانستان، كما أثار الوفاق حقد الأمير الشخصي لأنه ذكر خلال بنود الوفاق بلقب (سعادة الأمير) في حين ذكر الشاة الأيراني بلقب صاحب الجلالة، وهو يعد نفسه في الدرجة اعلى أن لم تكن مساوية للشاه الأيراني في ادنى الأعتبارات[٣٠].

من الواضح أن أعضاء (اللويا جيرغا) أدركو خطورة بنود الوفاق على البلاد وعدوه وثيقة رسمية لاقتسام مناطق النفوذ بين بريطانيا وروسيا، وخطره يكمن من وجهه نظرهم أنه يحمل لأفغانستان نفس مصير الجارة أيران في أقتسام النفوذ.

كان أعلان الوفاق البريطاني- الروسي مقدمة لتشكيل تكتلات دولية بين دول الحلفاء ودول المحور ليتخذ التنافس الدولي على مناطق النفوذ في العالم أسلوباً عسكرياً قاد إلى أندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨ والتي شملت مناطق واسعة من قارة أوربا وأسيا وأفريقيا، واشتركت فيها جارتا أفغانستان الشمالية روسيا والجنوبية والشرقية بريطانيا في شبه القارة الهندية. وعند اندلاع الحرب أدرك الأمير حبيب الله خان حجم الأخطار المحيطة ببلاده فأعلن حياد بلاده رغم محاولات الدولة العثمانية وحليفتها المانيا لجر أفغانستان إلى الحرب عن طريق أعلان الجهاد لأثارة القبائل الأفغانية وعلى الرغم من العرض الذي قدمته الدولة العثمانية وحليفتها المانيا لحكومة الأمير حبيب الله خان، أذ أعلنت عن أستعدادها لتقديم مساعده عسكرية لأفغانستان مقابل الحصول على مساعدة الأفغان في الهجوم على المصالح البريطانية في الهند وتركستان، الأمر الذي دفع الأمير حبيب الله خان إلى أستدعاء أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) للأجتماع ومناقشة الأوضاع الدولية الخطيرة، وأتخاذ قرار بشأن العرض الألماني – العثماني للأشتراك بالحرب، وبعد مناقشات عدة رفض الأعضاء العرض وأعلنوا حياد أفغانستان في ٢٩ كانون الثاني ١٩١٦ وأصدروا بياناً أعلنوا فيه أن أفغانستان لن تحارب البريطانيين، وصرح الأمير حبيب الله خان "بأن الحرب وحش متعطش للدماء لن يسمح له بدخول افغانستان"، والواقع أن الأمير حبيب الله خان برر موقف بلاده على الحياد لأسباب إنسانية، الا أنه كان يخشى على أستقلال بلاده ووحدتها الوطنية وأمتداد ساحة الحرب اليها، وأستغلالها من قبل القوى المتنافسة وقد أيده بذلك أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) بالأجتماع[٣١].

أغتيل الأمير حبيب الله خان في ٢٠ شباط عام ١٩١٩ عندما كان في رحلة صيد في أحدى ضواحي المدينة جلال أياد دون أن يترك ولياً للعهد فنادى أخوة نصر الله خان بنفسه أميراً على البلاد مستنداً إلى تأييد علماء الدين وبعض الشخصيات السياسية البارزة في البلاط، ولكن الأبن الأصغر للأمير حبيب الله أمان الله خان تمكن من السيطرة على السلطة بمعاونة قوات الجيش وأعتقل نصر الله خان ومؤيديه وتقديمهم للمحاكمة وبقي نصر الله خان في سجنه حتى وفاته عام ١٩٢١[٣٢].

المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) في عهد الأمير أمان الله خان:

تولى الأمير أمان الله خان (١٩١٩- ١٩٢٩) الحكم في أفغانستان، وأصدر إعلان إلى مواطنيه دعا فيه إلى أن تكون حكومة بلادة حرة مستقلة تمتلك جميع الحقوق التي تتمتع بها الحكومات المستقلة، ولتحقيق ذلك سعى إلى تحقيق هدفين هما:- تخليص البلاد من التبعية البريطانية والحصول على

أستقلال أفغانستان وتبني سياسة داخلية تحقق أصلاح شامل في نواحي الحياة كافة، وحرص على أخذ قسم الولاء من زعماء القبائل لتقوية الوحدة الوطنية وضمان ولائهم للسلطة المركزية، وأستطاع أن يحقق انتصاراً سياسياً بتوقيع معاهده راولبندي في ٨ آب ١٩١٩ التي تضمنت أعتراف بريطانيا بالاستقلال التام في علاقاتها الخارجية والداخلية[٣٣]، ثم أصدر سلسلة من الأصلاحات السياسية والأقتصادية والأجتماعية للنهوض بالبلاد، وحاول احداث تغيرات دستورية لاستبدال النظام السياسي القديم بنظام دستوري جديد يحقق فيه نوع من الديمقراطية لشعبه ويتخلص فيه من النظم القبلية الموروثه التي لم تعد تتناسب مع اصلاحاته الأقتصادية والأجتماعية، فأصدر في ٩ نيسان عام ١٩٢٣ أول دستور حديث للبلاد، تكون من ٧٣ مادة حدد فيه أن يكون النظام السياسي في أفغانستان ملكي وراثي لأسرته وأبناءه، وحدد واجبات الملك وحقوقه كما حدد واجبات السلطة التنفيذية للملك والوزراء والمجلس الملكي (الدربار) الذي برأسه الملك ويضم في عضويته كبار موظفي الدولة والأعيان الذين يختارهم الملك ويجتمع في كل عام في يوم يحدده الملك ويكون قبل أحتفالات الأستقلال ويقدم فيه كل وزير أو رئيس دائرة منجزات دائرته خلال السنة الماضية، أما السلطة التشرعية التي تمثلت بالبرلمان الذي يتأسس في العاصمة كابل ويضم أعضاء يعينهم الملك وأعضاء منتخبين مدنيين وعسكريين يتساوى فيها عدد المنتخبين والمعنيين، وحددت مهمته بتقديم الأقتراحات للحكومة لتحسين الصناعة والزراعة والثقافة والنظر في القوانين المقترحة للحكومة والمصادقة على الميزانية السنوية والعقود والمعاهدات والأتفاقيات التي تبرمها الحكومة مع الأجانب، كما حدد الدستور السلطة القضائية المتمثلة بالمحاكم وواجباتها على أن تصدر تشريعات خاصة لأنواع المحاكم وتسلسلها الهرمي[٣٤].

ولتنظيم الحياة الأجتماعية والأقتصادية في البلاد، أصدر عدد من القوانين نظم فيها النشاط الزراعي لزيادة موارد الدولة، ثم وسع سلطه الدولة على القبائل التي تسيطر على طرق التجارة، الأمر الذي أفقد القبائل جزءاً من دخلها الذي كان يعتمد على أموال الحماية من تجار القوافل، كما تضررت مصالح كبار ملاكي الأراضي ورجال الدين، إذ أن مواد الدستور سحبت الأمتيازات التي كانوا يتمتعون بها، الأمر الذي دفع بعض زعماء القبائل إلى تحريض السكان المحليين على عدم الطاعة الأوامر الحكومية، وثارت قبيلة المنغال في آذار ١٩٢٤ في منطقة خوست الحدودية (جنوب العاصمة كابل القرية من الحدود الهندية) [٣٥]، تحت ذريعة أن هذه التشريعات منافية للشريعة الأسلامية، وأنقسم رجال الدين البارزين إلى قسمين الأول مؤيد للبرنامج الأصلاحي للأمير والآخر رافض له وحاول هؤلاء أرسال وفود من رجال الدين إلى المدن الآخرى لأقناع القادة القبليين هناك ورجال الدين بالانضمام إلى الثورة ,وأعلنوا التمرد وأختاروا أميراً جديداً للبلاد، وأعلنوا أنه يجب على الأمير أمان الله خان مغادرة الحكم، وخوفاً من أمتداد التمرد إلى مناطق أخرى أوصى المستشارون الدينيون الأمير أمان الله خان بدعوة

المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) للأنعقاد في مدينة باغمان من تموز ١٩٢٤ للنظر في الشكاوى الدينية والاعتراضات على البرنامج الإصلاحي[٣٦].

كان الأمير أمان الله خان يدرك تركيبه المجتمع الأفغاني القبلية وكان يخشى من أن يمتد التمرد إلى مناطق آخرى ويهدد أستقرار الدولة، فدعا أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) للأنعقاد وبعد مناقشات عده أضيفت تعديلات على مواد الدستور من قبل أعضاء المجلس وهي جعل الشعائر الدينية الحنفية رسمية وأعطاء القضاة الدينيين صلاحيات أوسع، وأشترطوا أن تكون العقوبات الجنائية في القضاء مطابقة لما ورد في الشريعة الإسلامية، فيما وافق على بقية مواد الدستور، وأقر جميع الأعضاء أن فرض الضرائب من حق السلطات الحكومية، وأثناء المناقشات أكد الأمير على أن المواد التي أدرجت في دستور هدفها هو وحدة البلاد، وتقليل الأختلافات بين المسلمين والهندوس واليهود، أضطر الأمير إلى أرسال حملة عسكرية إلى خوست، وأستطاعت القضاء على الحركة في كانون الثاني عام ١٩٢٥، وأضطر إلى تعديل والغاء القوانين الخاصة بالقبائل لاسيما في مسألة التجنيد العسكري[٣٧].

حرص الأمير أمان الله خان على توضيح برنامجه الإصلاحي، وأفتتح البرلمان الأفغاني في دورته الأولى في أوائل تشرين الثاني عام ١٩٢٧ والذي ضم ٣١١ عضواً وكان يحضر جلساته بنفسه ويدرب أعضائه على الاستقلال الفكري وأصول الانتخابات والحكم، وكان يفند كل الأقوال المعارضة لبرنامجه بالدلائل الصحيحة[٣٨].

أتخذ الأمير لقب ملك في حزيران ١٩٢٦، ورغبته منه في رفع شأن بلاده بين الأمم المتقدمة، قام برحلة طويلة إلى عدد من دول الشرق الأوسط والدول الأوربية في كانون الأول ١٩٢٧ للأطلاع على التقدم الحضاري في تلك الدول وبناء علاقات سياسية وأقتصادية لدعم برنامجه الإصلاحي الذي يهدف إلى تحديث البلاد وتحويلها من مجتمع قبلي إلى دولة مدنية حديثة تتبع النظم الحديثة في الأدارة، وأستمرت رحلته تسعة أشهر، وبعد عودته إلى بلاده في ٢٠ حزيران عام ١٩٢٨[٣٩]، أعد منهاجاً حكومياً متكاملاً لأدارة الدولة والنهوض بالبلاد فكان لا بد أخذ موافقة أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) على فقرات البرنامج الحكومي الصلاحي، فأستدعى أعضاء المجلس وعقدت الجلسة الأولى في ٢٨ آب ١٩٢٨ قدم فيه الملك تقريراً حول نتائج جولته الأوربية، كما تضمن مقترحات لبرنامجه الإصلاحي ومشاريع القوانين التي أستهدفت المؤسسات والمصالح الأقطاعية والتقاليد القديمة والتي أنتزعت أمتيازات زعماء القبائل[٤٠].

كان الملك أمان الله خان مصراً على تنفيذ برنامجه الأصلاحي فدعا أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) للمرة الثالثة للانعقاد في ١ آيلول ١٩٢٨ في مصيف باغمان، دعا اليه

١٠٠٠ من زعماء القبائل ورجال الدين والوجهاء في المناطق القبلية والريفية والحضرية من مختلف أنحاء البلاد، وأستمر المجلس بالأنعقاد لمدة خمسة أيام، وطلب من كل الوفود أرتداء الملابس الغربية، لكي يظهر أعضاء المجلس بصورة متحضرة، الا أنه وجد فتوراً من الأعضاء في تلبية طلبه، وقدم لهم لائحة برنامجه الإصلاحي الذي تضمن أقامة ملكية دستورية وحكومة برلمانية وأنتخاب مجلس وطني أفغاني، وأبقى على تشكيله المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) الا أنه حاول أبعاده عن الحياة السياسية وتحجيم تأثيره بأن حدد أجتماعات المجلس مرة كل خمس سنوات، خوفاً من معارضته للبرنامج الحكومي الإصلاحي الذي مسَّ الكثير من الأمتيازات التي يتمتع بها أعضاءه، كما جعل التجنيد أجبارياً والتعليم الزامياً للأطفال من سن ٦- ١١ سنة وتأسيس مصرف وطني أفغاني وسك عمله نقدية خاصة بالبلاد، كما أقترح عدداً من القوانين المدينة كإلغاء الحجاب وتحرير المرآة وتحريم تعدد الزوجات ووضع قانون للطلاق[٤١]، وأنتقد الأراء الرجعية لرجال الدين بطريقة ودية وعدهم المسؤولين عن تأخر أفغانستان عن ركب الحضارة[٤٢].

كانت الأجواء التي جرت فيها المناقشات متوترة جداً مما عكس بصورة ما الوضع السياسي والأجتماعي في البلاد، أذ منع أعضاء (اللويا جيرغا) من أنتقاد الحكومة وسمح لهم بتقديم الشكاوي إلى رئيس مجلس الدولة بشير أحمد خان والذي كان يقرر منفرداً ما إذا كانت تلك الشكاوي تستحق مناقشتها في المجلس أم لا، وأتخذت المناقشات طابعاً حاداً وأتهمت الإدارة الحكومية بالفساد والرشوة[٤٣]، وخاطب أحد الأعضاء من ممثلي كابل وهو غلام محي الدين الملك قائلاً "مالم يتم محاكمة واعدام الوزراء المفسدين فأن من المستحيل أجراء أي أصلاح في هذا البلد" كما وطالبوا البرلمان بتحديد مسؤوليته وجعلها مقتصرة على تعيين رئيس الوزراء والذي عليه أن يختار الوزراء، وطالبوا بإلغاء التجنيد الذي كان يمتد لثلاث سنوات، وكذلك طالبوا بأعاده الرتب والألقاب التي كانوا يتمتعون بها، وطالبوا بإلغاء قانون العقوبات المدني الحديث والذي وضع خطوطه العامة وفق المنهج الأوربي السائد، وتمت الموافقة على معظم المقترحات التي وردت في المنهاج الإصلاحي ما عدا المقترحات الخاصة بالمرآة[٤٤].

والواقع أن أعضاء (اللويا جيرغا) لم يكونوا جميعهم مقتنعين بما ورد في لائحة الإصلاح وعدوها تحدي لقوتهم وسلطتهم الاقتصادية والإجتماعية المترسخة منذ قرون، والقسم الآخر لم يكن مقتنعاً بما ورد ولم ينقلوها إلى أفراد قبائلهم وسكان القرى والمناطق التي هم ممثلين لها بصورة أيجابية.

حاول الملك أمان الله خان فرض برنامجه الأصلاحي بالقوة، فشن حملة واسعة ضد علماء الدين المعارضين للتحديث، وبدا بانتقادهم في أحاديثه والسخرية من ملابسهم ولحاهم الطويلة وعمائمهم وسراويلهم، وأتهمهم بالجهل والفساد وقام بطرد برجال الدين الهنود والأفغان من خريجي المدارس الدينية الهندية، واحال زهاء ٣٠ ملا إلى المحاكم بتهمة أثارة التمرد وحكم عليهم بالأعدام، كما أصدر الأوامر

بأعتقال عدد من الزعماء الدينيين البارزين مثل حضرة شوربازار وآخرين بتهمة مقاومة الأصلاحات والتحريض على العصيان(٤٥).

واجهت خطط الملك أمان الله خان في مجال الأصلاح القانوني عقبات وشكلت تهديداً لمصالح رجال الدين الذين رفضوها، ومن جانب آخر أن تلك الأصلاحات كانت بحاجة إلى دعم مادي مناسب ولهذا فقد سعى إلى فرض نظام للضرائب وجعل عملية الجباية بالنقد وليس بالمواد العينية، وهذا الأمر شكل تهديداً لمصالح الموظفين الحكوميين العاملين عليها لأنهم حرموا من فرصة أقتتطاع نسبتهم منها التي عدوها حق عادل لهم، الأمر الذي ولد معارضه على المستوى المحلي، كما سعى الى توسيع التجارة ولكي يتم ذلك كان لابد من السيطرة على طرق التجارة، وكان جباية ما يسمى (أموال الحماية) من تجار القوافل المارة عبر هذه الطرق مصدر دخل مهم لهذه القبائل ولقرون عدة ولهذا فقد تمردت هذه القبائل على السلطة المركزية(٤٦).

دفعت الاعتراضات التي واجهها البرنامج الإصلاحي الملك امان الله خان إلى أتخاذ قراراً بالإسراع في تنفيذ برنامجه الإصلاحي الأمر الذي أفزع القادة القبليين وعلماء الدين المحافظين الذين كانوا تحت قيادة عائلة (المجددي) والتي كان لها مكانة خاصة في أفغانستان وزعمائها الذين ساندوا الملك أمان الله خان في الحرب ضد بريطانيا ١٩١٩، وكوفئ بأراضي واسعة مقابل الدعم الذي قدمه للسلطة المركزية، كما أنه خسر تحالفه مع قبيلة الدوراني فأصبح من أبرز زعماء القبليين المعارضين له، كما ثارت قبيلة الشنواري ضد محاولات الملك أمان الله بالغاء لبس البردة للنساء، وساندهم بذلك عدد من رجال الدين الذين صادقوا على اعلان أن الملك أمان الله خان كافر، وحرضوا المسلمين على الثورة ضده، ولم تستطع الحامية العسكرية في جلال اباد مقاومة الثورة ضده، وخسر الملك امان الله خان كل تحالفاته مع القبائل الآخرى(٤٧)، ولم يستطع الجيش القضاء على التمرد فأمتدت الثورة ضده إلى العاصمة كابل، فأضطر الملك أمان الله خان إلى التنازل عن العرش في ١٤ كانون الثاني عام ١٩٢٩ لأخيه الأكبر عناية الله , وغادر العاصمة إلى قندهار(٤٨). الأمر الذي دل على فشل الملك في تنفيذ برنامجه الإصلاحي وتوسيع السلطة المركزية على القبائل لأن الأفغان لم يكونوا مستعدين لهذا التغيير واستطاعت الزعامات القبلية أن تسقط الملك وتجبره على التخلي عن العرش.

دور المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية في تأسيس المملكة الأفغانية الحديثة:- ١٩٢٩- ١٩٣٣

تركت هزيمة أمان الله خان الحكومة المركزية في كابل ضعيفة ومعتمدة على القادة القبليين، وأدى أنتشار الفوضى والاضطراب إلى ظهور أحد الزعماء الطاجيك ويدعى (باشا سقا) في شمال أفغانستان الذي أستطاع أن يجمع عدداً من الأنصار، وأن يهاجم العاصمة كابل ويستولي على الحكم في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٩، وأستطاع أن يبسط سيطرته على الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد، وحاول

الحصول على تأييد رجال الدين فأطلق سراح (حضره صاحب شور بازار) وجعله شيخ الإسلام، وأعلن برنامجاً حكومياً رجعياً هاجم فيه سياسة أمان الله خان الإصلاحية ووعد الشعب الأفغاني بالعودة إلى العادات والتقاليد القديمة، وأصدر أوامر بإلغاء جميع الإجراءات التي أتخذتها الحكومة السابقة، الا أن ذلك أدى إلى تدهور الوضع الاقتصادي وانقطاع طرق التجارة، وشحة المواد الغذائية ، وأرتفاع أثمانها، فأصاب الاقتصاد الأفغاني الركود[٤٩].

دفعت حالة الفوضى والأرتباك السياسي في البلاد وسيطرة رجال الدين غير المحدودة ، وقلة موارد الدولة ووجود جيش قبلي غير منظم إلى ظهور مقاومة شعبية ضد حكومة باشا سقا، فأستدعى أمان الله خان سفير أفغانستان في فرنسا الجنرال محمد خان الذي وصل إلى بومباي في شباط ١٩٢٩، ثم توجه إلى خوست جنوب أفغانستان وأستطاع أن يشكل تحالف قبلي بين قبائل البشتون، وأعلنت قبائل جنوب وغرب افغانستان دعمها لمحمد نادر خان في اجتماع قبلي عقد في حزيران ١٩٢٩، وأستطاع تشكيل جيش قبلي عهد قيادته إلى أخيه شاه ولي خان، وزحف الجيش نحو العاصمة كابل ودخلها في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٩ والقي القبض على باشا سقا وأعدم مع عدد من اتباعه[٥٠].

بعد أن أستتب الأمر لمحمد نادر خان برزت مسألة أعادة نظام الحكم للبلاد فأستدعى زعماء القبائل ورجال الدين والوجهاء وممثلي الدولة وخطب فيهم في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٩ ، شاكراً الله تعالى على نصرة ورجا القبائل بأن تبقى متحدة لإعادة بناء البلاد وطلب منهم أختيار مرشح للعرش، وفي اليوم التالي ١٦ تشرين الأول عقدأعضاء (اللويا جيرغا) الذين قدموا من مختاف أنحاء البلاد أجتماعا" وبلغ عددهم ٢٨٦ عضواً[٥١]، وكان أنصار أمان الله خان يظنون أن مهمة محمد نادر خان قد أنتهت وأنه سيسلم العرش إلى صاحبه أمان الله خان، ولكن الذي حدث أن أعضاء (اللويا جيرغا) ولاسيما زعماء الجيش القبلي نادو بنادر خان ملكاً على أفغانستان تقديراً لخدماته الجليلة وقدموا له الخضوع التام، والذي قبلها بعد الحاحهم عليه[٥٢]. والواقع أن ذلك الدعم الذي حضي به الملك محمد نادر شاه من قبل زعماء القبائل لتأسيس مملكة أفغانستان الحديثة جعلت قوة القادة القبليين تبرز مرة أخرى وحصلوا على مكاسب عده منها أن الملك أصبح ملزماً بالحصول على مصادقة أعضاء مجلس (اللويا جيرغا) في أي تغيير سياسي أو حكومي ولاسيما في مسألة الضرائب، كما الزمت الملك بإصدار مراسيم بإعفاء بعض القبائل من تطبيق الأوامر والقوانين الحكومية وهذا ما حدث إذ أصدر الملك محمد نادر شاه أمراً بإعفاء أفراد قبيلة الشنواري من الخدمة العسكرية[٥٣]. وبهذا أستطاع هؤلاء الزعماء أسترداد ما حاول الملك السابق تجريدهم من أمتيازاتهم التي توارثوها عبر قرون من الزمان، وتغيير البنية الاجتماعية للبلاد وتجعلهم خاضعين لسلطة الدولة.

حاول الملك محمد نادر شاه النهوض بالبلاد وتطبيق برنامج إصلاحي يتجنب فيه أثارة القبائل ورجال الدين والمتنفذين المحافظين في البلاد، ولضمان عدم معارضتهم لخطواته الإصلاحية نظم (جمعية العلماء) ضمت من ١٥ إلى ٢٠ من رجال الدين وجعلها تابعة لوزارة العدل وعين مشير أغا وزيراً للعدل مهمتها الأشراف على نشاطات المجالس الدينية في الولايات الأفغانية وللنظر في مدى مطابقة القوانين التي تصدرها السلطات الحكومية الجديدة للتقاليد والشريعة الإسلامية، والأشراف على التعليم الديني والدنيوي، كما دعا المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) إلى الانعقاد عام ١٩٣٠ والذي ضم الفاً من زعماء القبائل ورجال الدين والوجهاء من مختلف أنحاء البلاد، ثم القي خطاباً في جلسة الافتتاح أكد فيها "على أن هذا المجلس لشورى المسلمين واحمد الله أني وأياكم مسلمين وأن الاجتماع هو أساس جميع أفعالنا بتوجيه من القرآن الكريم، لقد كنا وما نزال متمسكين بالشورى وسنبقى كذلك في المستقبل وتوجه أفعالنا وفقاً لذلك، وإذا كانت السلطات السابقة لا تسير وفقاً لما يقرره مجلس الشعب، فأن الشعب لم يتخلى عن تلك المؤسسة وحتى اليوم فأن قرار مجلس زعماء القبائل (الجيرغا) يتم الأصغاء له وأوامره تنفذ من قبل الحكومة"[٥٤]. وبهذا يكون الملك محمد نادر شاه قد وعد أعضاء مجلس (اللويا جيرغا) بأنه سوف يعيد لهم أمتيازاتهم السابقة ويستشيرهم في جميع خطوات برنامجه الحكومي.

أما مسألة التجنيد الإلزامي فقد أسندها إلى زعماء القبائل في المناطق القبلية والزم هؤلاء بمد الحكومة بالمقاتلين من القبائل عند الحاجة وجعلهم تحت أشراف وحدات قبليه، الأمر الذي أتاح الفرصة أمام القوى القبلية أمكانية تنظيم أمور القبيلة تحت ظل الإجراءات الحكومية[٥٥]، ثم أتجه إلى تنظيم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق تشريع القوانين تنظم ذلك فأصدر في ٣١ تشرين الأول ١٩٣١ الدستور الأفغاني مقسم إلى ١١٠ مادة، وقد تضمنت المواد من ٢٧ إلى ٧٢ صلاحيات السلطة التشريعية المتمثلة بالبرلمان الأفغاني بمجلسيه الشيوخ والنواب، على أن تكون تشكيلة البرلمان متوافقة مع رغبة الملك محمد نادر شاه ومصادقة المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) الذي تشكل في كابل عام ١٩٣٠، وبهذا فقد الزم السلطة التشريعية بالحصول على موافقة أعضاء (اللويا جيرغا) على القوانين التي تصدر عن السلطة التنفيذية وأن لا تتعارض مع مكانتهم وإمتيازاتهم ونظام الأقطاع الذي ظل سائداً في تلك البلاد، مكافأة لهم على الدعم والمساندة الذي قدموه للملك محمد نادر شاه وحكومته، وبهذا حفظ الدستور الجديد مكانه القوى القبلية الاجتماعية والاقتصادية في البلاد[٥٦].

منح دستور عام ١٩٣١ امتيازات وتنازلات للقبائل الأفغانية بأن لا يتم فرض ضرائب جديدة أو أجراء تغيرات جذرية بدون موافقة ذلك المجلس، كما منحهم حق النقض تجاه التعهدات السياسية الخارجية، الا أنه من جانب آخر جعل موعد أنعقاد المجلس جلسه واحدة كل ثلاث سنوات على الأقل،

ولم يتضمن الدستور على بنود لتعديله ولأعضاء (اللويا جيرغا) الحق في أجراء تعديلات على الدستور[٥٧].

من الواضح أن السمة المميزة للحكومة الأفغانية أن العضوية في البرلمان الأفغاني اقتصرت على الخانات والوجهاء ويمثل هؤلاء المصالح القبلية الدينية والتجارية، ومن خلال هذا التعاون بين البرلمان الأفغاني وجمعية العلماء حاول الملك محمد نادر شاه أن يكون شبكه قانونية وقاعدة للاجتماع تقوم بتوجيه الإصلاحات والتطور في البلاد، إذ منح فرصة لزعماء القبائل أصحاب النفوذ بالتواصل مع أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الأفغاني والبقاء في العاصمة كابل من شهر أيار الى شهر تشرين الأول، وأقامه علاقات مع بعضهم البعض وإجراء المناقشات حول مشاريع القوانين، وبهذا فقد نجح في جذبهم إلى جانب السلطة المركزية، وأشراكهم في سن القوانين المهمة التي تقترحها السلطة المركزية، كما أن وجودهم في العاصمة كابل يجعل طرق القوافل أمنه وأقل خطورة[٥٨].

تعرض الملك محمد نادر شاه الى عملية اغتيال على يد أحد طلبه مدرسه النجاة في كابل أثناء حضوره الحفل الرياضي السنوي للطلبة لدوافع شخصية، وأثار هذا الحادث ردة فعل عنيفة في البلاد، فأصدر رجال الدين فتوى تؤيد أن الملك محمد نادر شاه مات شهيداً، وبدأت وفود القبائل من جميع أنحاء البلاد بالقدوم إلى العاصمة كابل لتقديم العزاء وجرى أجتماع لأعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، ونادوا بالأمير محمد ظاهر شاه ملكاً على البلاد في ٨ تشرين الثاني عام ١٩٣٣ وتلقب بلقب (المتوكل على الله) وأعلن في يوم توليه للعرش أنه سينتهج سياسه والدة نفسها وسيعمل على أستكمال برنامجه الحكومي الإصلاحي، الا أنه كان صغير السن لا يتجاوز التاسعة عشر فتولى أعمامه محمد هاشم خان وشاه محمود خان الهيمنة على الأمور السياسية في البلاد[٥٩].

موقف المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) من الحرب العالمية الثانية:

عشية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ وأحتدام الصراع بين الأطراف المتحاربة باتت الحكومة الأفغانية تحت تأثير محور الحلفاء لاسيما بريطانيا في شبه القارة الهندية والاتحاد السوفيتي في شمال البلاد، فأضطرت إلى الرضوخ لمطالب البريطانيين والسوفيت بإجلاء الرعايا الألمان والإيطاليين عن الأراضي الأفغانية كونهم من دول المحور المعادي، ونظراً لخطورة الموقف الدولي وحرصاً من الحكومة الأفغانية على سلامه أراضيها أن تمسها أضرار الحرب، دعا الملك محمد ظاهر شاه أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) لاجتماع طارئ في القصر الملكي في كابل في ٩ تشرين الثاني ١٩٤١، بأعضائه الالف وهم من زعماء القبائل ورجال الدين والوجهاء من مختلف أنحاء البلاد، كما حضر الإجتماع أعضاء مجلس الشيوخ الأفغاني البالغ عددهم ٤٨ وأعضاء مجلس النواب البالغ عددهم ١٠٦ نائب وكبار موظفي الدولة وكبار ضباط الجيش الأفغاني، فضلاً عن أعضاء مجلس

جمعية العلماء وأعضاء مجلس الوزراء، وكانت الحكومة الأفغانية قد أعدت معاطف من الصوف موحدة وزعت على أعضاء (اللويا جيرغا) قبل يوم واحد من أنعقاد الجلسة ليظهر الجميع في الاجتماع بلباس موحد(٦٠).

أفتتح الملك محمد ظاهر شاه الاجتماع بخطاب ترحيبي ووصف أعضاء (اللويا جيرغا) بوكلاء الأمة الأفغانية، وبين لهم خطورة الوضع الدولي بسبب الحرب العالمية الثانية، وإن على أفغانستان الحذر في سياستها الخارجية القائمة على الصلح والحياد، ورجا الحضور أن يكون قرار (اللويا جيرغا)، داعماً لمواقف الحكومة الأفغانية وباعثاً لخير البلاد، ثم القى رئيس مجلس النواب عبد الأحد خان خطاباً أيد فيه استعداد أعضاء المجلس لاتباع نصائح الحكومة والسير بمقتضاها، عندئذ غادر الملك محمد ظاهر شاه القاعة فترأس الاجتماع عم الملك رئيس الوزراء السردار محمد هاشم خان الجلسة، فألقى وزير الخارجية علي محمد خان خطاباً أوضح فيه موقف الحكومة الأفغانية من الأحداث الدولية وذكر أن الحكومة الأفغانية حرصت على أبعاد البلاد عن مطب الحرب الدموية وحفظ الاستقلال وسلامة البلاد، ولهذا سعت للمحافظة على القوانين الحياد، كما حددت قبول زيارة الأجانب إلى أفغانستان (٦١).

كان هناك عدد من الرعايا الإيطاليين والألمان هم من الخبراء العاملين في مجال الصناعة والاقتصاد في أفغانستان ، وعدت كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي أن وجود هؤلاء مخالفاً لسياسة الحياد، وبعد ضغوط مارستها كل من حكومة الهند البريطانية في شبه القارة الهندية وحكومة الأتحاد السوفيتي لطرد هؤلاء من أفغانستان قررت الحكومة الأفغانية أجلاء هؤلاء الرعايا عن البلاد شرط ضمان سلامتهم عن طريق الهند والعراق ثم الى تركيا ومن هناك إلى بلادهم(٦٢).

أستمر المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية بالأنعقاد لمدة خمسة أيام وجرت مناقشات مطوله في المجلس والقيت الخطب المؤيدة لقرار الحكومة، اذ القى حضرت صاحب فضل عمر خان مجددي وهو من كبار رجال الدين والعلم في أفغانستان كلمة ملخصة "عبر عن ولاء الشعب للحكومة وأستحسان خطتها المثلى في أنتهاج السياسة الرشيده" ثم توالت الخطب من قبل أعضاء المجلس المؤيدة لقرار الحكومة، وفي نهاية الجلسة الثانية التي عقدت في اليوم التالي ١٠ تشرين الثاني ١٩٤١م، أعتلى المنصة صاحب دور المشايخ معلناً بالنيابة عن أعضاء مجلس (اللويا جيرغا)، قرار أعضاء المجلس بالاجتماع والذي نص على:-

((نحن ممثلي أفغانستان بموجب الصلاحية المخولة الينا من قبل موكلينا حضرنا مجلس (اللويا جيرغا) وبعد سماعنا لخطاب وزير الخارجية بشأن الأحوال العالمية وبعد التدقيق والتمحيص وجدنا أن الخطة السياسية لحكومة صاحب الجلالة المتوكل على الله (محمد ظاهر شاه)، كانت تسير لحد الأن وفق رغباتنا بصوره مضبوطة، ولذا فنحن ممثلي المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، تصادق

على أتباع خطه الحياد المطلق في الماضي والمحافظة على أتباعها في المستقبل، وأن أفغانستان ليست مستعدة لأن تلبي أي طلب يأتي بصوره مباشرة أو غير مباشرة يتنافى مع أستقلالنا التام وليس لأي حكومة أجنبية أن تطلب أحتلال كل او جزء من المملكة الأفغانية أو أن تستفاد لبعض الأغراض العسكرية من أرضي مملكتنا، ويحتم على دولتنا أن لا ترتبط مع أيه دولة أجنبية بمعاهدة تحل بسياسة الحياد، ولا تجيز لأي مملكة أجنبية مهما كانت حجتها أن تتداخل في أصغر الحقوق التي من حق أفغانستان أن تمارسها وحدها بموجب نصوص المعاهدات والحقوق الدولية العامة التي تسير عليها الدول المستقلة والتي أفغانستان واحده منها))[٦٣]، وفي اليوم الثالث دعي نصف أعضاء المجلس للسلام والاستئذان من الملك للسفر، وتناولوا معه الطعام، وفي اليوم الرابع غادر النصف الآخر من الأعضاء، وفي اليوم الخامس غادرت الوفود العاصمة كابل بسيارات حكومية إلى مناطق سكناهم[٦٤]. من الواضح أن الحكومة الأفغانية كانت قد استغلت أعضاء (اللويا جيرغا)، للحفاظ على نظام الحكم في البلاد وكان قرارهم مؤيداً لقرار الحكومة الأفغانية بالتزام الحياد من الحرب العالمية الثانية.

موقف المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) من قضيته البشتونستان والعلاقات الأفغانية – الباكستانية:

رحبت الحكومة الأفغانية بانتهاء الحكم البريطاني الاستعماري في شبه القارة الهندية، بعد الانسحاب البريطاني من شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧، وتقسيمها إلى دولتين جديدتين هما الهند وباكستان، والتخلص من الأرث الاستعماري البريطاني الثقيل لسكان الأقسام الشمالية الغربية من الهند البريطانية، وأصبحت مشكلة تقرير المصير لقبائل البشتون نقطة مهمه في السياسة الخارجية الأفغانية، وطالبت بإعطاء هؤلاء فرصة تقرير المصير والى أي دولة يرغبون الأنتماء اليها[٦٥].

كانت قضيه تقرير المصير لقبائل البشتون في القضايا المهمة التي أثارتها الحكومة الأفغانية، ودعمها الشعب الأفغاني لأنها تتعلق بالقبائل البشتونية التي تسكن في الحدود الشمالية الغربية لباكستان، والتي قسمها خط ديوراند الحدودي الذي خطته بريطانيا وفرض على الأمراء الأفغان منذ عام ١٨٩٣م، والتي أدت الى تقسيم قبائل البشتون إلى قسمين، فقدمت الحكومة الأفغانية مذكرة للحكومة البريطانية بداية عام١٩٤٧، أوضحت فيها ضرورة تقرير المصير للقبائل البشتونية في منطقة الحدود بما ينسجم مع التغييرات في الوضع السياسي الجديد، ودعمت الصحافة الأفغانية الإجراءات التي ستتخذها لدعم قبائل البشتون لأقامه دولة بشتونستان منفصلة أو الانضمام إلى افغانستان، وعدت الاتفاقية التي وقعها الأمير عبد الرحمن خان ١٨٩٣، مع حكومة الهند البريطانية قد فقدت قوتها القانونية بعد الأنسحاب البريطاني من شبه القارة الهندية[٦٦].

توترت العلاقات بين البلدين بعد قيام الطائرات الباكستانية في ١٢ حزيران عام ١٩٤٩ الى قصف قرية مكوكاي التي تقع على مسافة ٢,٢٩ كيلومتر داخل الحدود الأفغانية، وأنكرت السلطات الباكستانية الحادث، وعدت الحكومة الأفغانية الحادث تعدياً على سيادة أفغانستان، وأستدعى الأمر دعوة المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، فعقدت جلسة طارئة للمجلس في ٢٦ تموز ١٩٤٩ لمناقشة الأمر مع السلطات الحكومية، وبعد مناقشات أصدر أعضاء المجلس قراراً بإلغاء كافة المعاهدات الدولية التي وقعت بين بريطانيا أفغانستان في الماضي , ولاسيما الأتفاقية التي تشير الى خط ديوراند والى وضع قبائل البشتون، وكان هذا القرار مؤيداً لقبائل البشتون التي سعت الى وحدتها بعد أن قسمها خط ديوراند إلى قسمين بين دولتين متجاورتين[٦٧].

تدهورت العلاقات السياسية بين أفغانستان وباكستان بعد حوادث حدودية عدة وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وقطع الطريق التجاري بين البلدين، فعقد المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) أجتماع آخر في تشرين الثاني ١٩٥٥ وأصدر قراراً عد من أهم الوثائق التاريخية في تاريخ أفغانستان الحديث, إذ ضم مبادئ واضحة تؤكد النهج السياسي الواضح والرغبة في تعزيز أستقلال البلاد وسيادتها، ونص على أن "قبائل البشتون هم أخواننا في العقيدة والقومية طلبو منا دعم حقوقهم في تقرير مصيرهم، لذا فقد توجب على شعب وحكومة أفغانستان توسيع هذا الدعم، ولهذا أوصى أعضاء مجلس (اللويا جيرغا) الحكومة الأفغانية بتقديم الدعم بما ينسجم مع ما ينص عليه الشريعة وتأمين حقوق قبائل البشتون في تقرير مصيرهم بأنفسهم". "وبسبب الإجراءات التي أتخذتها الحكومة الباكستانية والتي تسببت بخسارة لتجارة أفغانستان الإقتصادية، فأن من واجب الحكومة الأفغانية أزاء هذا التهديد الدفاع عن سيادة وأستقلال البلاد وضرورة تقوية البلاد وتسليمها والدفاع عن أهدافها"، وأعلن أعضاء المجلس بأعتبارهم ممثلي لكل الشعب الأفغاني أنهم لا يعدون مناطق قبائل البشتون جزء من الأراضي الباكستانية مالم يرغب شعب البشتون بذلك ويرضى به[٦٨].

حاولت الحكومة الأفغانية الدخول في مفاوضات مع الحكومة الباكستانية لتعديل الوضع السياسي لتلك المنطقة وسكانها، الا أن الجانب الباكستاني رفض التخلي عن تلك المناطق، وفشلت جميع المحاولات التي قامت بها الحكومة الأفغانية، الأمر الذي أدى إلى قطع العلاقات بين البلدين ولمرات عده، مما أدى الى قطع الطريق التجاري المار عبر الأراضي الباكستانية أمام البضائع الأفغانية في ميناء كراتشي، مما أدى إلى تدهور الوضع الاقتصادي في البلاد وارتفاع أسعار السلع الغذائية، فأضطرت الحكومة الأفغانية إلى التخلي عن مطالبها في الدفاع عن حق قبائل البشتون في تقرير مصيرهم[٦٩].

دستور عام ١٩٦٤ ووضع المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا):

دفعت التطورات الأقتصادية المتمثلة بخطط التنمية الخمسية والتحولات الاجتماعية التي تمثلت بنمو المدن وازدياد الوعي الوطني لاتساع قاعدة التعليم، بدأ الشبان الأفغان يطالبون بالحرية السياسية والاقتصادية، ونمت الطبقة الوسطى وطالبت بمن يمثلها ويحمي مصالحها الخاصة، في الوقت الذي ضعفت فيه السلطة الوراثية التي تحرك الرأي العام ولاسيما بين القبائل وبدأت سيطرة رجال الدين بالضعف أيضاً، فكان لابد من أصلاح النظام السياسي في البلاد، ووضع دستور جديد يتلائم مع متطلبات العصر، وأيجاد مؤسسات تدعم النظام الديمقراطي في البلاد، فأصدر الملك محمد ظاهر شاه مرسوماً ملكياً بدعوه أعضاء المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا) الى الأنعقاد في ١ شباط ١٩٦٤، لدراسة مسودة مشروع الدستور الأفغاني الجديد وأتخاذ قرار بشأنه(٧٠).

كانت الحكومة الأفغانية قد شكلت لجنة دستورية سباعية برئاسة وزير العدل شمس الدين مجروح وعضويه سته من الاختصاصين لوضع مسودة مشروع الدستور الأفغاني، ليعرض على هيئة أستشارية مكونه من ٢٨ شخصاً يضمهم امرأتان برئاسة الدكتور عبد الظاهر لدراسة مسودة الدستور وتقديم المقترحات قبل عرضه على أعضاء (اللويا جيرغا)، للموافقة عليه، وقد عقدت اللجنة السباعية أعضاء الهيئة الإستشارية أجتماعات أستمرت لمده شهرين من منتصف آذار الى شهر أيار ١٩٦٤، وبعد موافقة اللجنتين على مسودة مواد الدستور عرض في وسائل الأعلام لتوضيح المواد التي وردت في الدستور ليطلع عليه أبناء الشعب الأفغاني(٧١).

بأنتهاء عمل اللجنتين، أصدر الملك محمد ظاهر شاه مرسوماً في أيار ١٩٦٤، بتشكيل المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، لمناقشة مسودة الدستور الجديد وإقراره وعين يوم الأنتخاب في منتصف آب ١٩٦٤ بأن بتألف من أعضاء تم أنتخابهم عن كل دائرة أنتخابية في البلاد ليكونوا ممثلين عن المحافظات الأفغانية وحددت عدد الدوائر الأنتخابية بـ ١٧٦ دائرة أنتخابية منتشرة في جميع أنحاء أفغانستان، هذا فضلاً عن أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب وأعضاء المحكمة العليا وأعضاء اللجنة الدستورية السباعية وأعضاء الهيئة الأستشارية، وفي ٣٠ آب عين الملك ٢٧ شخص بضمنهم ثلاثة من المتقاعدين ورجال الدين وعدد من الأساتذة والموظفين الحكومين ومدراء المصارف، وفي يوم أفتتاح جلسه المجلس أضاف بتعيين ثلاثة من علماء الدين وأربعة من النساء أثنين منهما مدرسات في مدارس البنات، وموظف في وزارة الخارجية والمدير العمومي للصليب الأحمر الأفغاني، وبهذا بلغ عدد أعضاء مجلس (اللويا جيرغا) ٤٥٢ عضواً يمثلون مختلف شرائح المجتمع الأفغاني(٧٢)، وبهذا فقد نجح الملك بتغيير تشكيلة مجلس (اللويا جيرغا)، وأدخل عليه عناصر متعلمة ومثقفة ومن كبار موظفي الدولة

ولأكثر من نصف العدد وذلك للاستعانة بهم للموافقة على مسودة الدستور وتجنب سطوة زعماء القبائل ورجال الدين. ومعارضتهم للتحديث والأصلاح الأداري للملكة الأفغانية وبما يتناسب مع روح العصر.

أفتتح الملك المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، في ٩ أيلول عام ١٩٦٤، لمناقشة مسودة الدستور في قصر كلخانه الملكي في كابل، وبعد مناقشات أستمرت لأيام عدة صادق المجلس على الدستور في٢٠ ايلول ١٩٦٤، وصدر بيان ختامي أعلن فيه أعضاء مجلس (اللويا جيرغا) تأييدهم للحكومة وسياسة البلد الخارجية القائمة على عدم الأنحياز، وبناء على مواقفة أعضاء المجلس على الدستور صادق الملك محمد ظاهر شاه على الدستور في ١ تشرين الأول عام١٩٦٤، والغاء دستور عام ١٩٣١، وبهذه المناسبة قدم الملك لأعضاء المجلس أوسمة شرف تقديراً لجهودهم(٧٣).

تألف الدستور الأفغاني الجديد من أحد عشر فصلاً مقسمة الى (١٢٨) مادة وخصصت المواد من (٧٨ إلى ٨٤) الى صلاحيات المجلس الأعلى للقبائل الأفغانية (اللويا جيرغا)، حددت المادة ٧٨ أعضاء (اللويا جيرغا)، مقتصرة على أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ ورؤساء مجالس المحافظات، وفي حالة حل البرلمان الأفغاني يحتفظ أعضاءه بصفة العضوية في مجلس (اللويا جيرغا)، لحين أنتخاب برلمان جديد، والملك هو الذي يدعو المجلس للأجتماع ويفتتح جلساته ومناقشاته علنية ويكون برئاسة رئيس مجلس النواب وتتخذ قراراته بأغلبيه آراء الحاضرين(٧٤).

حدد الدستور مهام مجلس (اللويا جيرغا)، ببحث المسائل البالغة الأهمية والتي تمس السياسة العليا للبلاد ومصالحها الحساسة بما يلي:

١- في حاله أعتزال الملك فأن هذا الاعتزال لا يعد نافذاً الا إذا وافق عليه مجلس (اللويا جيرغا).
٢- في حالة وفاة الملك أو أعتزاله وعدم وجود الشخص الذي تتوافر فيه شروط الملك فأن مجلس (اللويا جيرغا) يشترك مع أعضاء الحكومة وأعضاء المحكمة العليا في أختيار الملك الجديد للبلاد.
٣- في حال أستمرار حاله الطوارئ أكثر من ثلاثة أشهر فلا بد من موافقة مجلس (اللويا جيرغا).

كما نصت الماده (١٢١) على أن أي تعديل في الدستور الا بد من موافقة مجلس (اللويا جيرغا) على أجراء هذا التعديل(٧٥).

الملاحظ على مواد الدستور أنها حددت عضوية مجلس (اللويا جيرغا)، بأعضاء مجلسي الشيوخ والنواب والموظفين الحكومين من رؤساء مجالس المحافظات وبهذا قد قلص العدد وأقتصرها على الموظفين الحكومين وأبعد زعماء القبائل ورجال الدين والشخصيات المتنفذة عن المجلس، كما حددت صلاحيات هذا المجلس وبهذا تخلص الملك والحكومة الأفغانية الساعية الى إجراء تحديث للنظم الأدارية في البلاد من ضغط التيار الديني المحافظ، وأقتصرت اجتماعاته على دعوة الملك فقط، وبهذا فأنه حجم من صلاحياته وجعله مؤسسة حكومية تابعة للسلطة المركزية في كابل.

لقد وضع الدستور الجديد أساس لحكومة ملكية برلمانية وسحب صلاحيات زعماء القبائل ورجال الدين التي توارثوها عبر الآباء والأجداد ومن قرون عده وتضاءل تأثيرهم على أفراد القبيلة بعد أن نظم دستور عام ١٩٦٤ الشؤون الإدارية للدولة، و قسمت من الناحية الإدارية الى تسع وعشرين وحدة أداريه سميت بالمحافظة يرأس كل واحدة منها محافظ ثم قسمت إلى وحدات أداريه أصغر يرأس كل منها موظف حكومي يعين من قبل السلطة المركزية في كابل، كما أستحدثت صيغ أدارية لسيطرة الدولة على شؤون المناطق المحلية.

من أستعراض تاريخ مجلس (اللويا جيرغا) نلاحظ أنه وجد منذ تأسيس المملكة الأفغانية وكان سبباً لوجودها وداعماً لجميع الأمراء الذين توالو على الحكم في البلاد، كونهم ممثلي أهم القبائل الأفغانية وغالباً ما كانوا من زعمائها وملاك الأراضي ورجال الدين وتمتعوا بأمتيازات وصلاحيات توارثوها عبر قرون، ولم يحدد دستور عام١٩٢٣، ودستور عام ١٩٣١ صلاحيات ذلك المجلس ولهذا عد هيئة فوق الدستور أختص بمناقشة المسائل المهمة في البلاد التي تخص السياسة الخارجية والداخلية، وكان هذا المجلس حلقة الوصل بين السلطة المركزية في كابل، وسكان المدن والقرى البعيدة ومعبراً عن رأي هؤلاء السكان، وبهذا كانت قرارات الحكومة الأفغانية يصادق عليها الشعب، وعد هذا المجلس الصفة المميزة للنظام الملكي في أفغانستان.

الهوامش:

(١)عبد الله أحمد المير، أفغانستان تاريخ وأحداث، ط١ ، الدوحة، ١٩٨٠، ص١١٩.

(٢) ولد أحمد خان ابدالي في هرات عام ١٧٢٢م، وتوفي والده وهو صغير فتولت والدته تربيته ورعايته هو وأخيه ذي الفقار علي الذي كان يكبره بعامين، وعندما تولى السلطة في هرات محمد خان ابدالي الذي كان خصماً لوالده، اضطرت والدته الى ترك المدينة ولكنها عادت بعد استيلاء نادر شاه على هرات مرة اخرى، وعندما كبر احمد خان التجأ هو وأخوه إلى أمير قندهار وكانا لديه رهينتين، ولما أستولى نادر شاه على مدينة قندهار عام ١٨٢٨، نفى ذي الفقار علي إلى مدينة مازندران بسبب نشاطه السياسي، وترك احمد خان في قندهار ولم يمسه بسوء، فلما بلغ العشرين من العمر أنضم الى جيش نادر شاه ونظراً لشجاعته وكفاءته أستطاع أن يلفت أنظار نادر شاه فرقاه إلى رتبة قائد الفرقة الإبدالية الازبكية. لمزيد من التفاصيل ينظر:-
أحسان حقي، أفغانستان نشأتها وكفاحها، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٤ ، ص٥٣.

(٣) المصدرنفسة ، ص٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

(5) Raja Anwar, The Tragedy of Afghanistan A first- hand Account, Translated From The Urdu by Khalid Hasan, London, New York, 1988, P. 4.

د. محمد حسن العيلة، الحرب الأفغانية البريطانية الاولى ١٨٣٨ - ١٨٤٢ هزيمه بريطانيا العظمى وأنتصار الأفغان، دار الثقافة الدوحة، د.ت، ص١٥.

(٦) عبد الله احمد المير، المصدر السابق، ص ١٢١ .

(٧) د. محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٨.

(٨) حسن محمد جوهر، أفغانستان، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ص٩-١٢.

(٩) المصدر نفسه، ص١٣- ١٨.

(10) Arther V. Huffman, The Administrative and Social structure of Afghan life, Journal of The Royal Central Asian Society, Vol. XXXVIII January 1951, part.1, p.42-43.

(11) Raja Anwar, op. cit, p. 3.

(١٢) فهمي هويدي، حدث في أفغانستان، ط ١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص١٣٢- ١٣٤.

(13) Leon B. poulluad, Reform and Rebeltion in Afghanistan 1919-1929, King Amanullah's Failare to Modernize Tribal Society, cornell University. Press, Ithaca and London, 1973,P.21

(14) Ibid, p.21.

(١٥) رالف هـ.ماجنوس، مشكلة أفغانستان قضايا، خيارات سياسات، ترجمة صليب بطرس، روفائيل مسيحه، مكتبة الوعي العربي، بيروت، ص١٢١.

(16) Arthur v. Huffman, op. cit,p.44.

(١٧) رالف هـ. ماجنوس، المصدر السابق، ص١٤٢ .

(١٨) د. محمد حسن العيله، مصدر سابق، ص١٠٩-١١٠ .

(١٩) المصدر نفسه، ص١١١ .

(٢٠) المصدر نفسه، ص١١٢ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص١١٣ .

(٢٢) د. مي فاضل مجيد الربيعي، أفغانستان في عهد الملك محمد ظاهر شاه، دار الحكمة (لندن)، ٢٠١٧، ص٤١.

(23) Beverley M.Male, Afghanistan, in The Politics of Islamic Reassertion, Edited by Mohammad Ayoob Croom Helm london, 1981 P-120-123

(٢٤) د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص ٤١ - ٤٢.

(25)A collection of treaties, Engagents and Sonads, Relating of India and Neighbouring Countries, compiled by C.U. Aitchison, Vol. 10 Calcutta, Superintndent government printing, India, 1909. Ahreement between his highness Amir Abdur Rahman Khan, Amir of Afghanistan. and its Dependencies on the one part, and Sir Henry Mortimer Durand, Foreign Secreteary to the goverment of India, representing the goverment of India on the other part 1893 .No,clx1, P.P 360-363.

(٢٦) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم، ط٣، القاهرة، ١٩٧٠، ص٥٠٤ .

(٢٧) د. محمد حسن العيله، أواسط أسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٦، ص ٣٠٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٣٠١- ٣٠٤ .

(٢٩) المصدر نفسه ص٣٢١ .

(٣٠) المصدر نفسه، ص٣٢٢.

(31) Loius Dupree, Afghanistan, princoton, 1973,P.414.

(32) Raja Anwar, op. cit, p.17.

(٣٣) جمال هاشم الذويب، سياسة بريطانيا تجاه أفغانستان١٩٠٧- ١٩٢٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث كلية الآداب – جامعة بغداد، شباط ١٩٩٤، ص ١٣٢.

(34)Leon B. poulluada, op. cit, p.277-285.

(35) Loius Dupree, op.cit, p. 449- 450.

(36) Leon B. poulluada, op.cit, p.122 .

(37) Ibid, p.98.

(٣٨) هيئة التحرير، النهضة الشرقية الحديثة في بلاد الأفغان، مجلة المقتطف (مصر)، مجلد ٧١، ج٣، تشرين الأول ١٩٢٧، ص٢٩١.

(39) Leon B. Poulluada, op. cit,p.169

(٤٠) مجلة الدستور (لندن)، العدد ٤٠٧- ٤٠٨، ١٩٨٥/١٢/٢٣. ماذا يفعل الدروس في أفغانستان (٤)، ص ٣٦.

(٤١) د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص٥٦- ٥٨.

(٤٢) فريتز غروبا، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ترجمة فاروق الحريري، ج١، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩، ص٦٣ .

(٤٣) مجلة الدستور، المصدر السابق، ص٣٦ .

(٤٤) فريتز غروبا، المصدر السابق، ص٦٣.

(٤٥) جمال هاشم الذويب، المصدر السابق، ص٢٠٢ .

(46) Beveley M.Male,op. cit , P.124 – 125.

(٤٧) أبو العينين فهمي محمد، أفغانستان بين الأمس واليوم، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٩، ص٧٥ .

(٤٨) فريتز غروبا، المصدر السابق، ص ٦٩ .

(٤٩) المصدر نفسه، ص٦٩ .

(50) Vartan Gregorian, The Emergence of Modren Afghanistan 1880-1946, Stanford, Stanford University Press, Stanford, California, 1969, P.284 – 285.

(٥١) د. مي فاضل مجيد، المصدر السابق، ص ٦٥- ٦٨ .

(٥٢) أحسان حقي، أفغانستان نشأتها وكفاحها، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٤، ص ١٢٤.

(٥٣) د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص٦٥- ٦٨.

(54) Gregorian, op. cit, p. 302.

(55) Male, op.cit, p.127.

(56) Gregorians op. cit, p.301-302.

(57) Ibid, P.306

(58) Arthur V. Huffman, op. cit, p.47.

(٥٩) د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٦٠) ملفات البلاط الملكي ٧٧٣/ ٣١١، المفوضية الملكية العراقية في أفغانستان، تقرير المفوضية المرسل إلى وزارة الخارجية بغداد المرقم ٢/ ٢/ ٣٩٨/ ١٢٥ والمؤرخ في ٩ تشرين الثاني ١٩٤١ و ٢ ص٢.

(٦١) المصدر نفسه، و٢ ص ٥- ٦ .

(٦٢) المصدر نفسه، و٢ ص ٨- ٩ .

(٦٣) المصدر نفسه، و٢ ص ٩.

(٦٤) المصدر نفسه، و٢ ص ٩ .

(٦٥) رالف هـ. ماجنوس، المصدر السابق، ص ٢٦٨ .

(٦٦) د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص ٣٦٩- ٣٧٠ .

(67) Anthony Arnold, Afghanistan The Soviet Invasion inpespective Revised and Enlarged Edition, Hoover Institution press, stanford University, stanford, California, 1985, p.29.

(68) R.T. Akram ovich, out Line History of Afghanistan after The Second World war, Translated From The Russian by C.J. Lambkin, Moscow, 1966, p.109-110.

(٦٩) د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص ٣٧٥- ٤١١ .

(٧٠) مجلة أفغانستان، السنة الثامنة، العدد ٩٦، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٤، ص٥ .

(٧١) المصدر نفسه، ص ٦ .

(72) Louis Dupree, op. cit, p. 567

(٧٣) مجله أفغانستان، المصدر السابق، ص ٦.

(٧٤) أبو العينين فهمي محمد، أفغانستان بين الأمس واليوم، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٩، ص ٣٩٨- ٣٩٩ .

(٧٥) المصدر نفسه، ص٣٩٩.

المصادر:

أولاً: الوثائق المنشورة:-

١. ملفات البلاط الملكي ٣١١/٧٧٣، المفوضية الملكية العراقية في أفغانستان، تقرير المفوضية المرسل إلى وزارة الخارجية بغداد المرقم ٢/٢/ ٣٩٨/ ١٢٥ المؤرخ في ٩ تشرين الثاني ١٩٤١ و ٢ ص ٦- ٩.

ثانياً: الكتب العربية:-

١- أبو العينين فهمي محمد، أفغانستان بين الأمس واليوم، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٦٩.
٢- أحسان حقي، أفغانستان نشأتها وكفاحها، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٤.
٣- أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم، ط٣، القاهرة، ١٩٧٠.
٤- حسن محمد جوهر، أفغانستان، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.
٥- رالف هـ. ماجنوس، مشكلة أفغانستان قضايا، خيارات، سياسات، ترجمة صليب بطرس، رفائيل مسيحه، مكتبة الوعي العربي، بيروت.
٦- عبد الله أحمد المير، أفغانستان تاريخ وأحداث، ط١، الدوحة، ١٩٨٠.
٧- فريتز غروبا، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ترجمة فاروق الحريري، ج١، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩.
٨- فهمي هويدي، حدث في أفغانستان، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٧٩.
٩- د. محمد حسن العيلة، أواسط أسيا الأسلامية بين الأنقضاض الروسي والحذر البريطاني، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٦.
١٠- د. محمد حسن العيله، الحرب الأفغانية- البريطانية الأولى ١٨٣٨- ١٨٤٢، هزيمة بريطانيا العظمى وأنتصار الأفغان، دار الثقافة، الدوحة، د.ت.
١١- د. مي فاضل مجيد الربيعي، أفغانستان في عهد الملك محمد ظاهر شاه، دار الحكمة (لندن)، ٢٠١٧.

الرسائل الجامعية:-

١- جمال هاشم الذويب، سياسة بريطانيا تجاه أفغانستان ١٩٠٧- ١٩٢٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث، كلية الأداب – جامعة بغداد، شباط ١٩٩٤.

الصحف والدوريات:-

١- مجلة أفغانستان، السنة الثامنة، العدد ٩٦، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٤.
٢- مجلة الدستور (لندن)، العدد ٤٠٧- ٤٠٨، ٢٣/ ١٢/ ١٩٨٥، ماذا يفعل الروس في أفغانستان (٤).
٣- هيئة التحرير، النهضة الشرقية الحديثة في بلاد الأفغان، مجلة المقتطف (مصر)، مجلد ٧١، ج٣، تشرين الأول ١٩٢٧.

المصادر الأجنبية:-

1- A collection of treaties, Engagents and Sonads, Relating of India an Neighbouring Countries, compiled by C.U. Aitchison, Vol. 10, Calutta, Superintendent government printing, India, 1909. Ahreement between his highness Amir Abdur Rahman. Khan, Amir of Afghanistan and its Dependencies on the one part, and Sir Henry Mortimer Durand, Foreign Secreteary to the goverment of India, representing 1893. No.CI X 1, p. p. 360-363.

2- Anthony Arnold, Afghanistan The Soviet Invasion in pespective Revised and Enlarged Edition, Hoover Institution press, stanford University, Stanford, California, 1985.

3- Arther V. Huffman, The Administrative and Social structure of Afghan life, Journal of The Royal Central Asian Society, Vol.38, January 1951, part. 1.

4- Beverley M. Male, Afghanistan, in The politics of Islamic Reassertion, Edited by Mohammad Ayoob Croom Helm london, 1981.

5- Leon B. poulland, Reform and Rebeltion in Afghanistan 1919. 1929, King Amanullah's failare to Modernize Tribal Society, cornell University press, Ithaca and london, 1973.

6- Loius Dupree, Afghanistan, princoton, 1973.

7- Raja Anwar, The Tragedy of Afghanistan A first hand Account, Translated. From The Urdu by. khalid Hasan, London Newyork, 1988.

8- R.T. Akramovich, out line History of Afghanistan After The Second World War, Translated From The Russien by C.J. Lambkin, Moscow, 1966.

9- Vartan Gregorian, The Emergence of Modren Afghanistan 1880- 1946, Stanford, stanfor University Press, stanford, California, 1969.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

النشاط الكتابي ضد الشيوعية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣

أ.د.عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي
قسم التاريخ – كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة كربلاء

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة

عد النشاط الكتابي ضد الشيوعية بعد ثوره تموز عام ١٩٥٨ احدى مراحل الصراع السياسي بين القوى الاجتماعية والحزبية في العراق وبخاصه بين الرجال الدين والاحزاب العلمانية بشكل عام لكنها اخذت بشكل خاص مع الشيوعية العراقية بسبب للاعتقاد هناك خطر وجودي يهدد الطرفين. قسم هذا البحث الى مطلبين الاول النشاط الكتابي المتعدد ضد الشيوعية والمطلب الثاني النشاط الكتابي المباشر، وتم اعتماد مصادر ومراجع متعددة اهمها المصادر الكتابية ضد الشيوعية من مؤلفات و مقالات صحفيه ونشرات وفتوى مراجع دين وغير ذلك ساعدت الباحث على فهم طبيعة النشاط الكتابي وتحول افكاره من مرحلة الى اخرى.

المطلب الاول

النشاط الكتابي المتعدد ضد الشيوعية

بدأ النشاط الفكري السياسي على شكل مؤلفات لرجال الدين الشيعة ضد العلمانية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، الذين وقفوا بشكل حازم لمجرد الرفض المساس بالمؤسسة الدينية ولو كان حزباً جماهيرياً. فظهور مشكلة استفزت الحوزة العلمية على من يمتلك السيطرة على (الصحن الحيدري الشريف) الذي كان مفتوحا" لجميع التيارات السياسية لممارسة انشطتها بما فيها العلمانية ، وذلك بعد الإعلان عن نية وفد (مؤتمر الأدباء العرب) في بغداد المجيء الى مدينة النجف تحت رعاية الشيوعيين ، اعترض الإسلاميون السياسيون ظنا" منهم إن هذا الوفد ،برؤيته لهذا التواجد ،سيجزم بأن مدينة النجف غدت مركزا" لتواجد الشيوعية،وإزاء ذلك رفع رجال الدين شكوى موقعة بختم المرجع الديني السيد(محسن الحكيم) والشيخ (محمد جواد آل شيخ راضي) للسلطة في المدينة، وإرسال السيد (محمد مهدي الحكيم) لمقابلة محافظ لواء كربلاء (فؤاد عارف)ومطالبته عدم السماح بتواجد الشيوعيين والقوميين في(الصحن الحيدري الشريف) وكتابة كتيب ديني توعوي بعنوان (الاسلام مبدا)بصفحات (٥٧)عن جمعية الثقافة الاجتماعية بقلم الشيخ (عبد الهادي الفضلي)[١] ووزع مجانا على الوفد العربي الذي زار مرقد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) [٢].

انتشر بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ موجة من الأفكار الجديدة. وهي أفكار دعت إلى تحرير المرأة، ومشاركتها في العمل، وترك التحجب، و ظهور بعض الأفكار عن التحجب بالتأكيد على انها عادة من تراث العصر العباسي[٣] وهو جزء من النشاط العلماني،وفرض المدنية بجرعة كبيرة، فظهر ثمرات هذه الأفكار بعد وفاة الشيوعي (عبد الأمير السكافي) وقدوم فتيات بغداد[للعزاء] سافرات وبدون تحجب في اليوم الثالث من وفاته الى مدينة النجف مركز الحوزة العلمية الشيعية الذي أغاظهم من ذلك التصرف [٤]. وردة فعلهم على هذا الموقف تمثل بإصدار كتابا" بعنوان (العفاف بين السلب والإيجاب) لمؤلفه الشيخ (محمد أمين زين الدين) ومدعوما" من قبل المرجع الديني السيد(محسن الحكيم)[٥].

ووزعت نشرات (جماعة العلماء)[٦] ،ضد العلمانية إلا أن بعض رجال الدين بقوا على خصوصيتهم، فالنشاط السري الذي كان بين السادة (محمد باقر الصدر ومحمد حسين فضل الله و محمد مهدي الحكيم ومحمد هادي السبيتي) اخذ بالنشاط السياسي وعادة ما كانت تقام اجتماعاتهم السرية في سرداب مدرسة القوام[٧] للحفاظ على حياتهم وبخاصة بعد اتخاذ قرار من الشيوعية بقتل المعارضين بحجة حماية الجمهورية [٨] ووصل الامر إلى إطلاق تسمية (بعثي) و (عفلقي) على كل معارض حتى لو كان إسلامياً [٩] وحتى المرجع الديني السيد(محسن الحكيم) مكث بعض الأوقات في بيته، خوفا من الاعتداء عليه[١٠].

وبالمقابل انتشرت المصادر العلمانية التي استفزت مشاعر رجال الدين كما في كتاب (الله في قفص الاتهام) و (اين الله) للمؤلف (مكسيم غوركي)[١١] وكل من اعترض على هذه الكتب ، يحسب رجعيا" من أنصار العهد السابق[١٢] وسمي عام ١٩٥٩ (بالمد الأحمر) كناية عن سطوة الشيوعيين في العراق[١٣]وهو ما أكده المرجع الديني زعيم الحوزة العلمية السيد(محسن الحكيم) بقوله: ((إني أرى الكثير من الناس أصبحوا شيوعيين....))[١٤].

كان (عبد الكريم قاسم) مؤيدا" لهذا المد في سبيل ضرب من عارضه ، بل قام بدعم تنظيم شيوعي جديد يدعى (جماعة العلماء الأحرار) وهو جزء من (سياسة النشاط الشيوعي والحكومي) وكان علماء هذه الجماعة يؤيدون خطوات الحكومة، وتوجهات الشيوعيين[١٥].

تميز عام ١٩٦٠ بالنشاط الكتابي الافتائي فقد اصدر الشيخ(مرتضى إل ياسين)فتوى في ٣ نيسان ١٩٦٠بخصوص الانتماء الى الحزب الشيوعي،وتنص ((الحزب الشيوعي او تقديم الدعم له من اكبر الآثام التي يستنكرها الدين)) ونشرت في مجلة (الفيحاء) وهي اللسان الناطق (للحزب الإسلامي)[١٦] – ذو التوجهات العقيدة السنية في مدينة الحلة – وهو دليل على تكاتف الحركة الإسلامية في العراق ، وفي الوقت نفسه كانت هناك ضغوط علمائية وشعبية كما هو الحال في التجمهر ، أمام بيت السيد(محسن الحكيم) ،والتظاهر لإجباره على إصدار فتوى مكتوبة ضد الشيوعية[١٧] .وأثمر ذلك

النشاط عن إصدار فتوى تحرم الانتماء الكلي العقائدي ،فضلا عن فتوى للشيخ (عبد الكريم الجزائري)[١٨] . ولم يتوان رجال الحوزة العلمية عن استغلال المناسبات الدينية في صراعه ضد العلمانية. ففي مناسبة ولادة الامام الحسين بن علي (عليه السلام) انشد الشيخ (محمد علي اليعقوبي) في ٥ شباط ١٩٦٠قصيدة هاجم بها الشيوعية،ووصفهم بالسيل الجارف والملحدين، اذ قال:

حذار من السيل الذي بلغ الزبى ومن ليل غي طبق الأرض فحامه
طلائعه في الشر وافي نذيرها وتنبئ عن سوء المصير علائمه
يهاجمنا الالحاد من كل وجهة وما العار الا أننا لا نهاجمه
وان عدوت" في مباديه زاحفا" لحرب مبادينا فكيف نسالمه[١٩] .

ووصلت حدة النشاط الى محاولة وضع نص تشريع شرعي فيما يخص الانتماء للشيوعية، تحت عنوان (حكم المرتد!) عن الدين الإسلامي[٢٠] بل وصل الأمر إلى مهاجمة الشيوعية ضمن نص الأدعية الدينية التي كتبت (اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل الشيوعية واتباعها!!...) و ((اللهم ارسل وليك بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ولو كرهت الشيوعية!!!))[٢١] والنص الاصلي لتلك الادعية: ((اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الاسلام واهله وتذل النفاق وأهله)) و((اللهم ارسل وليك بالهدى ودين الحق وأظهره على الدين كله ولو كره الكافرون...)).

استغلت الحوزة العلمية وسيلة (الصحافة) فالسيد(هادي فياض) نشر في مجلة النجف هجوما" على الشيوعية ،وأوضح عيوبها ونقاط ضعفها بالكتابة:((وهي جعل الإنسان شبيه اله تعمل لغيرها بدون استقلال شخصي أو حرية في العمل أو إبداء الرأي))[٢٢]. ووصل أمر النشاط إلى تحريم حضور، وسماع، خطب رجال الدين من (جماعة العلماء الأحرار) وقراءة مؤلفاتهم، فضلا عن الكلمات الجارحة، والكلام الساخر الذي وجه لهم [٢٣].

كان الشيوعيون ردهم عنيف ضد خصومهم واتخذ ردهم شكل حملة اعلامية في جملة من الصحف والمجلات والنشرات المطبوعة [٢٤] وبعضها اخذ طريق غير مباشر في هجومه وكان على شكل قصة ،مثل القصة التي كتبها (عبد المجيد لطفي) الذي دعا فيه الى العمل الجماعي والابتعاد عن الإثراء [٢٥] وبعضها رد على العبارات التي تطلق بحق الشيوعيين مثل ردهم على المصطلح الذي طالما ردده رجال الحوزة العلمية على الشيوعية وافكارها وهو مصطلح "الافكار الوافدة" إذ كتب(نوري جعفر) ((الأفكار الوافدة هو اصطلاح أطلقه عبر التاريخ الفئات الحاكمة على مجموعة من الآراء التي تهدد مصالحها بشكل لا يقبل عندها الشك أو الجدل والتي تبدأ في الانتشار بين صفوف الشعب))[٢٦] وإذا خاف بعض الشيوعيين من رد فعل الحوزة العلمية من كتابة ونشر مقالاتهم، فلا يكتبون أسمائهم، حتى

لو نشر المقال في مدينة بغداد،فمقال (الأدب في النجف) أخفى كاتبه اسمه لأنه هاجم رجال الدين والمجلات الدينية التي كتبو فيها [٢٧] .

المطلب الثاني

النشاط الكتابي المباشر ضد الشيوعية

كانت الحركة الكتابية الدينية عملت على تسطيح مفهوم الشيوعية، وأهدافها[٢٨] بأيجاد نشاط كتابي من المؤلفات، والكتابة الصحفية.ووصل الأمر إلى إيجاد منهج عالج طرق الوصول إلى الإسلام ،ومشكلات المسلمين للتحصين ضد العلمانية وافكارها [٢٩]. فقد شارك الإسلاميين نصيبهم الأكبر في أطروحاتهم الكتابية ضد العلمانية ، فتطرق (طاهر حسن الخطيب) في كتابه (حقائق عن الشيوعية) بذكر كلمات مثل الاتحاد الفدرالي، والنكران للخالق ، ما هي إلا أقاويل المرتبطين بالاستعمار وإلحادهم ونكرانهم للأعراف السماوية مستنداً في قوله إلى المصادر الشيوعية مع أرقام صفحاتها كمصدر (جوزيف ستالين) وكتابه (المادية الديالكتيكية) و (فلاديمير لينين) وكتابه (مهمات منظمات الشباب) و (رازيافا ستوكا) وكتابه (في سبيل الشيوعية نفسها) ، وذكر حتى دور النشر وأماكنها (وهي اقرب الى الدراسة الاكاديمية) وذهب إلى إن هذه المصادر تعمل على إقصاء الدين عن النشاط السياسي ووصفها بالخاطئة، ووصلت مجازفة هذا الكاتب إلى التأكيد بأن الشيوعية إباحية حتى بالمحارم[٣٠].

وفي كتاب (الرفاق تحت المجهر) لمؤلفه السيد (كاظم محمد الطباطبائي) والذي تضمن حملة على العلمانية، ففي أوراقه الأولى أشارة إلى الشيوعية كنظرية في الاتحاد السوفيتي، وأساليبها في القضاء على الأديان الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)واكد إن في الاتحاد السوفيتي مجلة تدعى (ضد الله) ، ليعرج إلى تفسير عبارة (الدين أفيون الشعب) ثم دراسة أساليب الشيوعيين في ضرب العادات والتقاليد بداعي العلمانية . وفي كتابه ملامح توجهات أسلامية عروبيه سياسية ، فقد أشاد (بجامعة الدول العربية) ودعا إلى حمايتها من هجمات الشيوعيين الذين وصفوها بـ(المكيدة البريطانية) وافتخر في كتابه بتناقص الشيوعيين العراقيين، واختتم كتابه بأبيات من الشعر من قصيدة (معشر الإفساد) ومنها:-

أدعاة السلم انتم أم دعاة الفوضوية
صرتمو للشر صنوا" وارتميتم في البلية
تدعون الحق جهرا" والاباطيل خفية
تدعون السلم لكن أي سلم في المنية[٣١].

وفي كتاب (الإسلام والمبدأ الشيوعي) لمؤلفه الشيخ (محمد علي محمد رضا الطبسي) هاجم الشيوعية ، مدعياً أنها رجعية لا تتلاءم وروح العصر[٣٢] . وفي كتاب (فلسفتنا) للسيد(محمد باقر الصدر)الذي يعد كتاباً ممنهجاً ،ودراسة علمية غير إعلامية في النشاط مع الشيوعية في العراق. فهو

المصدر الذي وضع مقارنة بين الإسلام كفلسفة والشيوعية كفلسفة[٣٣] . ودراسة الشيوعية وإخراج عيوبها بعد مناقشتها، وهي مرحلة جديدة في طريق إيقاظ الفكر الفقهي السياسي من سباته[٣٤]. وفي عام ١٩٦٠ صدر كتاب (الشيوعية عدوة الإنسانية) لمؤلفه الشيخ (محمد هادي الاميني) اذ وصفها بالجبروت الذي يعمل على استعباد الناس باستخدام الوسائل المختلفة، فضلا عن التذكير بان هذا المبدأ (الشيوعية) يعمل على تحويل العلاقات بين الناس على وفق العلاقة المادية[٣٥] وقال السيد (محمد الموسوي النوري) إن الشيوعية تهدف إلى ضرب جميع الاديان وتلغيها[٣٦] .

وفي كتاب (الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والأنظمة الاجتماعية) لمؤلفه الشيخ (محمد هادي الاميني) تأكيد على أن الشيوعي العراقي ذو ولاء للاتحاد السوفيتي وأستدل في وجهة نظره ..طلب الانتماء للشيوعية، وفيها :((كن اممياً ودافع عن مبدأ الإخوة بين مختلف الشعوب، ولتكن ثقتك بقوى الحرية والاشتراكية في العالم بقيادة الاتحاد السوفيتي))[٣٧] .

كان اصدار كتاب (وسائل الركاع في اغراء الرعاع) لمؤلفه (جعفر يحيى الحبوبي) من المصادر التي هاجمت احد الشيوعيين وهو (حسن الحاج عباس الركاع) ويبدو لان لقبه بالركاع كان هدفا تسقيطياً ويعد هذا الكتاب مصدرا" أعلامياً لا يخلو الا من السباب، والشتائم، والجزم بان معظم الشيوعيين هم من (حزب تودة) (الحزب الشيوعي الايراني)[٣٨] .

وكتب الشيخ (كاظم الحلفي) (الإسلام ونظرية الانتخاب الطبيعي) ناقش الشيوعية بأسلوب علمي . من خلال تطرقه لـ (نظرية داروين) (نظرية النشوء والارتقاء)فافشل الأسس العلمية التي تقوم عليها هذه النظرية بدليل التطور التاريخي للأرض، والحياة على الأرض، والإنسان ومقارنته مع ذلك التطور، فيثبت إن التطور التاريخي شمل الأرض وأحياءها، وليس القرد وحده، بل ذهب إلى ابعد من ذلك وشرح الأنماط البايلوجية الموجودة في القرد ،ويقارنها بالأنماط الفسلجية الموجودة بالانسان، ثم وضع في نهاية كتابه بلوغراف لخمس وعشرون عالما" أبطلوا نظرية داروين عام ١٩٦٠[٣٩].

لقد كان للمقالات الصحفية ، دورها في النشاط الفكري السياسي مع الشيوعيين، فقد حذر الشيخ (عبد الهادي الفضلي) من الشيوعية ، لانها تعمل على عزل الدين عن الحياة[٤٠] وفي مقال آخر حاول اظهار عيوب الشيوعية ،منها (إلغاء الملكية الفردية الشخصية والعمل على نظام جماعي مركزي)[٤١] .ووصف كاتب اخفى اسمه تحت مسمى (ابو ابراهيم) ، الشيوعية بالاستعمار غير العسكري للبلاد ، فكري، ينخر في كيان المسلمين[٤٢] .

وحذر الشيخ (محمد حسن آل ياسين) في مقال (الإسلام بين الرجعية والتقدمية) من المعلمين الشيوعيين لانهم يروجون لأفكارهم في عقول الطلبة[٤٣] . وفي عام ١٩٦١ نشر السيد (محمد مهدي الحسيني الشيرازي) كتاب (بين الاسلام وداروين) وفيه مقارنة بين شخصيتين (المسلم) و(داروين) فالأول

يعرف دينيه وربه اما الثاني – وهي أشارة الى الشيوعيين – فيسميه بالملحد،والمؤمن بالطبيعة وعبادتها الغير مؤمن برب او دين [٤٤].

وفي كتاب (الإسلام بين الرجعية والتقدمية) لمؤلفه الشيخ (محمد حسن آل ياسين) ذكر فيه ان الشيوعية هي جزء من العلمانية التي تسعى الدول الكبرى الى زرعها في نفوس الجيل الجديد بوساطة المعلمين السياسيين، والمناهج الحديثة، وهي جزء من حملة الاستشراق على الإسلام[45]. وذهب بعض رجال الدين الى مصادر التشريع الشيوعي بغية إسقاطه، فالشيخ (محمد مهدي الآصفي) هاجم (كارل ماركس) وناقش القيم الاخلاقية والاقتصادية وقارنها مع قيم الإسلام[٤٦]. فيما طرح السيد (محمد باقر الصدر) في كتاب ممنهج، بصورة أكاديمية يدعى (اقتصادنا) ،مقارنة بين النظم الاقتصادية التي جاء بها الإسلام، والنظم الاقتصادية الشيوعية، والرأسمالية، في ثلاثة أبواب هي: (الملكية الخاصة والحرية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية)وكل باب يتفرع الى عدة محاور[٤٧] وهذا الكتاب محاولة لردع الأفكار الشيوعية وذلك بإفشال خططها الاقتصادية[٤٨] وهي جزء من بصمات (حزب الدعوة) في الاتجاه الاقتصادي السياسي[٤٩] واستطاع السيد (محمد باقر الصدر) ان يقدم في كتاب (اقتصادنا) (اطروحه للاقتصاد الإسلامي)[٥٠].

نشر السيد (محمد تقي الحكيم) عام ١٩٦٣في مجلة النجف مقالا ، وصف فيه الشيوعيين بالملحدين ، واتهمهم بسفك الدماء بوسائلهم التي استوردوها من الاتحاد السوفيتي[٥١] ،وقبل انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ تصاعدت حدة النشاط مع الشيوعيين لأنهم اسندوا حكم(عبد الكريم قاسم) فُوصفوا (بالفوضويين وأصحاب الدماء والأشقياء)[٥٢].

الخاتمة:

توصلنا من خلال هذا البحث الى جملة من الاستنتاجات هي :-

اولا: ان الصراع السياسي بين القوى السياسية والاجتماعية بعد عام ١٩٥٨ كان منصبا بشكل عام ضد العلمانية ولكن بشكل خاص ضد الشيوعية للقوى الاجتماعية لانها وجدت في الشيوعية خطر وجودي على الثوابت المجتمعية والدينية.

ثانيا: ان الصراع السياسي الكتابي كان في بداية الامر غير مباشر استخدم فيه اسلوب التوريه اشاره الى الشيوعية في العراق ولكن بعد عام ١٩٦٠ خاصه بعد اصدار فتوى تحريم الشيوعية اصبح بشكل مباشر وصل الى حد التأليف والنشر .

ثالثا : الشيوعية في العراق ردت كتابيا وفكريا وعقائديا على النشاط الكتابي ضد النشاط الموجه ضدها ولكن جمهورها كان متأثرا بالشعارات والعبارات الوافده من الخارج على عكس

جمهور القوى المجتمعية التي كانت متعاطفة ومؤمنه بالقوى الدينية بشكل اكبر من الجمهور الشيوعي .

رابعا: من خلال مطالعة المؤلفات المتنوعة الكتابية سواء كانت مراجع او صحف او نشرات فأنها دلت على ثقافه الكاتب ومعرفة مستوى المخاطب فمن جهة هناك وعي سياسي ثقافي ومن جهه اخرى هناك وعي مجتمعي من قبل القراء.

خامسا: ان الصراع في العراق بين مكوناته السياسية هي سمة بارزه في تاريخه الحديث والمعاصر واتخذت اشكال عديده سواء كان بالاقصاء والتهميش او بالغاء الاخر والمجتمع ميدان هذا الصراع الذي تغلغل اليه الفكر المتصارع في ربوع ميدانه واستغله بشكل واسع وكانت نتيجه ذلك صفحات من الاحداث في تاريخ العراق الحديث والمعاصر بعد عام ١٩٦٣.

ملحق ببلوغراف بالنشاط الكتابي الذي كتب ضد الشيوعية [٥٣].

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الاتجاه السياسي	سنة الطبع	المطبعة	المكان
١.	الثورةوالاصلاح الاجتماعي (حول السياسة والتاريخ والاجتماع)	محمد رضا محمد الموسوي	قومي	١٩٥٨	النعمان	النجف الاشرف
٢.	الاسلام والمبدء الشيوعي بين يديك	الشيخ محمد علي رضا الطبسي	اسلامي سياسي	١٩٥٩	النعمان	النجف الاشرف
٣.	الشيوعية تناقض الدين	السيد محمد علي النوري	اسلامي سياسي	١٩٥٩	النعمان	النجف الاشرف
٤.	الشيوعية في نظر الاسلام	الشيخ كاظم الحلفي	اسلامي سياسي	١٩٥٩	النعمان	النجف الاشرف
٥.	حقائق عن الشيوعية	السيد طاهر حسن الخطيب	اسلامي سياسي	١٩٥٩	القضاء	النجف الاشرف
٦.	منشورات جماعة العلماء	جماعة العلماء	اسلامي سياسي	١٩٥٩	النعمان	النجف الاشرف
٧.	الرفاق تحت المجهر (الجزء الاول)	السيد كاظم محمد الطباطبائي	اسلامي سياسي	١٩٥٩	القضاء	النجف الاشرف
٨.	تأييد منشورات جماعة العلماء	مدرسة العلوم الدينية في الناصرية	اسلامي سياسي	١٩٥٩	القضاء	النجف الاشرف
٩.	الشيوعية والدين الاسلامي	السيد صاحب جواد الحكيم	اسلامي سياسي	١٩٥٩	القضاء	النجف الاشرف
١٠.	فلسفتنا	السيد محمد باقر الصدر	اسلامي حركي	١٩٥٩	الآداب	النجف الاشرف

١١.	من مخازي الشيوعية	السيد هادي كمال الدين	اسلامي سياسي	١٩٥٩	القضاء	النجف الاشرف
١٢.	نحن والشيوعية	صبري محمد حسن	قومي	١٩٥٩	القضاء	النجف الاشرف
١٣.	الاسلام ونظرية الانتخاب الطبيعي	الشيخ كاظم الحلفي	اسلامي سياسي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
١٤.	الله في نظر الاسلام والشيوعية	الشيخ كاظم الحلفي	اسلامي سياسي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
١٥.	الاغراء في التضليل الشيوعي	السيد طاهر السيد حسن الخطيب	اسلامي سياسي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
١٦.	بطانة حسن الركاع	رياض حمزة شير علي	قومي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
١٧.	نفاق الرفاق	رياض حمزة شير علي	قومي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
١٨.	الشعوبية	عبد الصاحب الدجيلي	قومي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
١٩.	الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والانظمة الاجتماعية	الشيخ محمد هادي الاميني	اسلامي سياسي	١٩٦٠	النعمان	النجف الاشرف
٢٠.	الشيوعية عدوة الانسانية	الشيخ محمد هادي الاميني	اسلامي سياسي	١٩٦٠	النعمان	النجف الاشرف
٢١.	مناعة المجتمع العربي	الشيخ محمد هادي الاميني	اسلامي سياسي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
٢٢.	الشيوعية مسيرها ومصيرها	الشيخ محمد علي الطبسي	اسلامي سياسي	١٩٦٠	القضاء	النجف الاشرف
٢٣.	الشيوعية تناقض الدين	السيد محمد علي النوري	اسلامي سياسي	١٩٦٠	النعمان	النجف الاشرف
٢٤.	قوميتنا الثائرة	حميد محمد علي المطبعي	قومي	١٩٦٠	النعمان	النجف الاشرف
٢٥.	وسائل الركاع في اقناع الرعاع	جعفر يحيى الحبوبي	قومي	١٩٦٠	مطبعة كريم	النجف الاشرف
٢٦.	اقتصادنا	السيد محمد باقر الصدر	اسلامي حركي	١٩٦١	النعمان	النجف الاشرف
٢٧.	العفاف بين السلب والايجاب (الطبعة الثانية)	الشيخ محمد امين زين الدين	اسلامي سياسي	١٩٦١	الآداب (الطبعة الأولى في ايران)	النجف الاشرف
٢٨.	الاسلام بين الرجعية والتقدم	الشيخ محمد حسن آل ياسين	اسلامي سياسي	١٩٦١	النعمان	النجف الاشرف

٢٩.	بين الاسلام وداورن	السيد محمد المهدي الحسيني الشيرازي	اسلامي سياسي	١٩٦١	الغري الحديثة	النجف الاشرف
٣٠.	الاسلام مبدء وعقيدة	السيد حسين الموسوي	اسلامي سياسي	١٩٦١		النجف الاشرف
٣١.	تصريحات خطيرة	السيد ابو القاسم الخوئي	اسلامي سياسي	١٩٦٢		النجف الاشرف

هوامش البحث:

١) هو عبد الهادي بن الشيخ محسن البصري الاحسائي الفضلي من مواليد ١٩٣٤ درس في مدينة النجف في كلية الفقه وتخرج منها مدرساً وتابع تعليمه على يد السيد(ابو القاسم الخوئي) وحصل على شهادة الدكتوراه من القاهرة، ومارس مهنة التدريس في جامعة عبد العزيز ال سعود في السعودية ،من مؤلفاته (الاسلام مبدأ)و(اسلوب الدعوة الاسلامية) و(الامثال في نهج البلاغة) و(ثورة الامام الحسين) .علي الغروي،مع علماء النجف ،مج٢ (بيروت:دار الثقلين ،١٩٩٩)،ص٥٣٤-٥٣٥.

٢) المصدر نفسه، ص١٢٠-١٢١.

٣) صلاح الخرسان ، ،الإمام محمد باقر الصدر في ذاكرة العراقيين(أضواء على تحرك المرجعية في النجف ١٩٥٨-١٩٩٢)(بغداد: مطبعة الوسام،٢٠٠٤) ص١٢٣-١٢٤.

٤) محمد مهدي الحكيم، التحرك الإسلامي في العراق (مذكرات) (قم: إعداد مركز شهداء آل الحكيم للدراسات التاريخية والسياسية،١٩٨٨) ص٥٧.

٥) المصدر نفسه، ص٥٧- ٥٨.

٦) محمد الحسيني، المصدر السابق، ص٩٨.

٧) صلاح الخرسان ، الأمام السيد محمد باقر الصدر، ص٩٤.

٨) احمد الحسيني، الامام الحكيم السيد محسن الطباطبائي (النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٤)، ص٨٨.

٩) صبري محمد حسن، نحن والشيوعية (النجف: مطبعة القضاء، ١٩٥٩) ص٩٤.

١٠)المصدر نفسه،ص٩٤.

١١)حسن السعيد، نواطير الغرب(بيروت:مؤسسة الوحدة للدراسات والتوثيق،١٩٩٢)، ص٢٣٨.

١٢)طاهر السيد حسن الخطيب، حقائق عن الشيوعية (النجف، مطبعة القضاء ، ١٩٥٩) ص١٣.

١٣)زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم (مذكرات) (ستوكهولم:د.ط،١٩٩٤)، ص٢١٣.

١٤)نقلا عن مؤسسة الدراسات الإسلامية، العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل (بيروت:مؤسسة الفكر الإسلامي ، ١٩٩٩) ، ص٥٥٠.

١٥)محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، ص١٢٨.

١٦)حنا بطاطو ، العراق (الحزب الشيوعي) الكتاب الثاني ،ترجمة عفيف الرزاز (بيروت:مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٩٢) ،ص٢٦٥.

١٧)محمد باقر الحكيم ،مرجعية الأمام الحكيم نظرة تحليلية شاملة (قم : مطبعة عترت،٢٠٠٤) ، ص١٠٢.

١٨)محمد علي رضا الطبسي، الاسلام والمبدأ الشيوعي بين يديك (النجف: مطبعة النعمان ، ١٩٥٩) ص٢٣، ص٣٧.

١٩)جمعية الرابطة الادبية ،لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي عميد الرابطة الادبية في النجف(النجف :مطبعة النعمان ،١٩٦٥)ص٨٦-٨٧.

٢٠)كاظم الحلفي ،الارتداد عن الاسلام ،الاضواء "مجلة" النجف ،ع(١) ٩حزيران ١٩٦٠،ص١٨.

٢١)محمد علي رضا الطبسي، المصدر السابق، ص٢٢-٢٣.

٢٢)مقتبس من هادي فياض، العلماء الأعلام هم المراجع الأعلى كل ما يتعلق بالدين،" النجف" (مجلة) النجف، ع(٢٠) س (٣) ص٥.

٢٣)لواء مرتضى فرج الله، مقابله معه ،٢٩ايار٢٠٠٧.

٢٤)للمزيد من التفاصيل عن الكتابات الشيوعية الإعلامية (نثر او شعرا اوصور كاريكتير) ضد الاسلاميين الحركيين او القوميين) ينظر: الصحف والمجلات (المعارف وبراقع والمصباح) و"البغدادية"(حبزبوزوالفلقة والمثقف وقرندل).

٢٥) في البيت قصة،المعارف"مجلة"النجف ،ع(١)س(١)١٩٥٨،ص٧٠-٧١.

٢٦)الافكار الوافدة،المعارف"مجلة"النجف،ع(٨)(٩)س(١) ،١٩٥٩،ص٦٨-٦٩.

٢٧)مجهول المؤلف،قرندل "مجلة"بغداد،ع(٧) ،س(١٠)١٣شباط١٩٥٨،ص٢٠.

٢٨)للمزيد من التفاصيل ينظر: جواد كاظم المظيو، صوت الديمقراطية (النجف: مطبعة الغري، ١٩٥٩).

٢٩)حسين بركة الشامي،المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة (لندن: مطبعة الصدر، ١٩٩٩) ص٥٧.

٣٠)طاهر حسن الخطيب، حقائق عن الشيوعية (النجف: مطبعة القضاء، ١٩٥٩) ص ٤-١٣، ص٢٠-٢٣.

٣١)كاظم محمد الطباطبائي ،الرفاق تحت المجهر (النجف،مطبعة القضاء ،١٩٥٩)ج١،ص١٩-٢٤.

٣٢)محمد علي محمد رضا الطبسي، المصدر السابق، ص٢٠.

٣٣) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط ٣ (قم: مطبعة الأمير، ١٩٩٤) ص٧-٩.

34) T.M. Aziz , the Role of Muhammad Baqir Al-Sadr in Shi'I Political A Gtivism in Iraq From 1958 To 1980 , Middle East Stud "Journal" U.S.A،NOM(25) 1993. P209.

٣٥) محمد هادي الاميني، الشيوعية عدوة الانسانية (النجف: مطبعة النعمان،١٩٦٠) ص١٧-١٨.

٣٦)محمد الموسوي النوري، الشيوعية تناقض الدين (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٠) ص١٨.

٣٧)مقتبس من محمد هادي الاميني،الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والانظمة الاجتماعية (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٠) ص٢٠.

٣٨)جعفر يحيى الحبوبي، وسائل الركاع في اغراء الرعاع (النجف : مطبعة كريم، ١٩٦٠) ص١٦.

٣٩) كاظم الحلفي ، الاسلام ونظرية الانتخاب الطبيعي (النجف: مطبعة القضاء ، ١٩٦٠) ص٨ - ١١، ص١٦-٢٢ ، ص٤٣-٤٨، ص٦٤.

٤٠)عبد الهادي الفضلي، مع الدعاة المسلمين ، "الاضواء" (مجلة) النجف، ع(١) س (١)، ٩ حزيران ١٩٦٠، ص١٥.

٤١)عبد الهادي ألفضلي ، نظام اسلامي فحسب، المصدر نفسه ، ع(٢) ، ص٤٤.

٤٢)ابو ابراهيم ، الاسلام والاستعمار والماركسية، المصدر نفسه ،ع (٤) ،ص٩٩.
٤٣) محمد حسن ال ياسين ،الاسلام بين الرجعية والتقدمية ،ع(٧) س (١) ٧ ايلول ١٩٦٠، ص١٩١.
٤٤)محمد المهدي الحسيني الشيرازي، بين الإسلام وداورن (النجف: مطبعة الغري الحديثة، ١٩٦١) ص١٨-٢١.
٤٥)محمد حسن آل ياسين، الإسلام بين الرجعية والتقدمية (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦١) ص٣٠.
٤٦)محمد مهدي الآصفي، الاخلاق عند ماركس ، "الاضواء" (مجلة) ع(٤) س (٢) ١٩٦١، ص٥١.
٤٧)للمزيد من التفاصيل ، ينظر: محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، ط ٢ (قم : مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، ٢٠٠٥).
٤٨)عبد الهادي الفضلي، هكذا قرأتهم (شخصيات علمية وأدبية راحلة من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري) (بيروت: دار المرتضى ، ٢٠٠٣) ص٧٧.
49) Hanna Batatu Iraq's Undergroud Shi'a Movements (Characteristics ، causes and Prospects ، Middle East "Jornal" London،NOM(9) VOL(35) Autumn،1981، p578.
50) Chibli Mallat،Religious Militancy An Contemporary Iraq(Muhammad Baqer as_sadr and the sunni _shia ،"THIRD WORLD"(QUATERLY)LONDON NOM[2]VOL[10]APRIL1988. ,p706. .
٥١) محمد تقي الحكيم، قيم ومبادئ وشخصيات، "النجف" (مجلة)النجف الاشرف ، ع(٤) س (٥) كانون الثاني ١٩٦٣،ص٣٧.
٥٢)المصدر نفسه، ص٢٦٩.
٥٣) تم اعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على محمد هادي الاميني، معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف حتى الآن (النجف الاشرف: مطبعة النعمان، ١٩٦٦)؛ نفس المؤلف، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام (ثلاث مجلدات)ط٢(بيروت:د.ط، ١٩٩٢) فهارس مكتبة أمير المؤمنين ومكتبة الروضة الحيدرية (الحاسبة الالكترونية).

مصادر البحث:

اولا: العربية:

- احمد الحسيني، الامام الحكيم السيد محسن الطباطبائي (النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٤)
- جعفر يحيى الحبوبي، وسائل الركاع في اغراء الرعاع (النجف : مطبعة كريم، ١٩٦٠)
- جمعية الرابطة الادبية ،لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي عميد الرابطة الادبية في النجف(النجف :مطبعة النعمان ،١٩٦٥)
- جواد كاظم المظيو، صوت الديمقراطية (النجف: مطبعة الغري، ١٩٥٩.
- حسن السعيد، نواطير الغرب(بيروت:مؤسسة الوحدة للدراسات والتوثيق،١٩٩٢)

- حسين بركة الشامي،المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة (لندن: مطبعة الصدر، ١٩٩٩)
- حنا بطاطو ، العراق (الحزب الشيوعي) الكتاب الثاني ،ترجمة عفيف الرزاز (بيروت:مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٩٢)
- زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم (مذكرات) (ستوكهولم:د.ط،١٩٩٤)
- صبري محمد حسن، نحن والشيوعية (النجف: مطبعة القضاء، ١٩٥٩)
- صلاح الخرسان ، ،الإمام محمد باقر الصدر في ذاكرة العراقيين(أضواء على تحرك المرجعية في النجف ١٩٥٨-١٩٩٢)(بغداد: مطبعة الوسام،٢٠٠٤)
- طاهر السيد حسن الخطيب، حقائق عن الشيوعية (النجف، مطبعة القضاء ، ١٩٥٩)
- طاهر حسن الخطيب، حقائق عن الشيوعية (النجف: مطبعة القضاء، ١٩٥٩)
- عبد الهادي الفضلي، هكذا قرأتهم (شخصيات علمية وأدبية راحلة من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري) (بيروت: دار المرتضى ، ٢٠٠٣)
- علي الغروي،مع علماء النجف ،مج٢ (بيروت:دار الثقلين ،١٩٩٩)
- كاظم الحلفي ، الاسلام ونظرية الانتخاب الطبيعي (النجف: مطبعة القضاء ، ١٩٦٠)
- كاظم محمد الطباطبائي ،الرفاق تحت المجهر (النجف،مطبعة القضاء ،١٩٥٩)ج١.
- محمد المهدي الحسيني الشيرازي، بين الإسلام وداروِن (النجف: مطبعة الغري الحديثة، ١٩٦١)
- محمد الموسوي النوري، الشيوعية تناقض الدين (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٠)
- محمد باقر الحكيم ،مرجعية الأمام الحكيم نظرة تحليلية شاملة (قم : مطبعة عترت،٢٠٠٤)
- محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، ط ٢ (قم : مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، ٢٠٠٥.(
- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط ٣ (قم: مطبعة الأمير، ١٩٩٤)
- محمد حسن آل ياسين، الإسلام بين الرجعية والتقدمية (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦١)
- محمد علي رضا الطبسي، الاسلام والمبدأ الشيوعي بين يديك (النجف: مطبعة النعمان ، ١٩٥٩)
- محمد مهدي الحكيم، التحرك الإسلامي في العراق (مذكرات) (قم: إعداد مركز شهداء آل الحكيم للدراسات التاريخية والسياسية،١٩٨٨)
- محمد هادي الاميني، الشيوعية عدوة الانسانية (النجف: مطبعة النعمان،١٩٦٠)

- محمد هادي الاميني،الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والانظمة الاجتماعية (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٠)
- _____ ، معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف حتى الآن (النجف الاشرف: مطبعة النعمان، ١٩٦٦)
- _____ ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام (ثلاث مجلدات)ط٢(بيروت:د.ط، ١٩٩٢)
- مؤسسة الدراسات الإسلامية، العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل (بيروت:مؤسسة الفكر الإسلامي ، ١٩٩٩)

ثانيا: الدوريات:

١ – العربية

- الافكار الوافدة،المعارف"مجلة"النجف،ع(٨)(٩)س(١) ،١٩٥٩.
- عبد الهادي الفضلي، مع الدعاة المسلمين ، "الاضواء" (مجلة) النجف، ع(١) س (١)، ٩ حزيران ١٩٦٠.
- في البيت قصة،المعارف"مجلة"النجف ،ع(١)س(١)١٩٥٨.
- كاظم الحلفي ،الارتداد عن الاسلام ،الاضواء "مجلة" النجف ،ع(١) ٩حزيران ١٩٦٠.
- مجهول المؤلف،قرندل "مجلة"بغداد،ع(٧) ،س(١٠)١٣شباط١٩٥٨.
- محمد تقي الحكيم، قيم ومبادئ وشخصيات، "النجف" (مجلة)النجف الاشرف ، ع(٤) س (٥) كانون الثاني ١٩٦٣.
- محمد حسن ال ياسين ،الاسلام بين الرجعية والتقدمية ،ع(٧) س (١) ٧ ايلول ١٩٦٠.
- محمد مهدي الآصفي، الاخلاق عند ماركس ، "الاضواء" (مجلة) ع(٤) س (٢) ١٩٦١.
- هادي فياض، العلماء الأعلام هم المراجع الأعلى كل ما يتعلق بالدين،" النجف" (مجلة) النجف، ع(٢٠) س (٣) .

٢- الاجنبية:

- T.M. Aziz ،the Role of Muhammad Baqir Al-Sadr in Shi'I Political A Gtivism in Iraq From 1958 To 1980 ،Middle East Stud "Journal" U.S.A،NOM(25) 1993 .
- Chibli Mallat،Religious Militancy An Contemporary Iraq(Muhammad Baqer as_sadr and the sunni _shia ،"THIRD WORLD"(QUATERLY)LONDON NOM[2]VOL[10]APRIL1988
- Hanna Batatu Iraq's Undergroud Shi'a Movements (Characteristics ، causes and Prospects ،Middle East "Jornal" London،NOM(9) VOL(35) Autumn،1981

ثالثا: الفهارس الرقمية:

- فهارس مكتبة أمير المؤمنين ومكتبة الروضة الحيدرية في مدينة النجف (الحاسبة الالكترونية).

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الوضع السياسي والاقتصادي للمهاجرين الألمان في الولايات المتحدة الامريكية ١٨٨٣ – ١٩٠٠

The political and economic situation of German immigrants in the United States of America 1883–1900

شذى عبدالله علي سيف

Shatha Abdullah Ali Saif

أ. د. كفاح احمد محمد

Kifah Ahmed Mohammed

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

تبحث المقالة في الأوضاع السياسية والاقتصادية للمهاجرين الألمان في الولايات المتحدة الأمريكية خلال المدة (١٨٨٣ – ١٩٠٠)، مبينة دورهم الفاعل في الحياة السياسية، وانخراطهم في الأحزاب الكبرى، ودفاعهم عن مبادئ الإصلاح والحريات المدنية، ولا سيما في مواجهة سياسات الاستيعاب القسري وتصاعد العداء للهجرة. كما تناولت المقالة إسهاماتهم الاقتصادية في الزراعة والصناعة والحرف، وقدرتهم على التدرج الطبقي وبناء مجتمعات مستقرة حافظت على هويتها الثقافية والدينية. وأظهرت النتائج أن المهاجرين الألمان شكلوا قوة سياسية واقتصادية مؤثرة تجاوزت حدود التمثيل العددي وأسهمت في صياغة ملامح المجتمع الأمريكي في نهاية القرن التاسع عشر.

الكلمات المفتاحية (الهجرة الألمانية، الاندماج السياسي، الاندماج الاقتصادي، الولايات المتحدة الامريكية، الأحزاب السياسية)

Abstract

This article examines the political and economic conditions of German immigrants in the United States during the period (1883 – 1900). It highlights their active participation in political life, their engagement with major political parties, and their role in advocating reform and civil liberties, particularly in response to forced Americanization policies and rising anti-immigrant sentiment. The article also analyzes their economic contributions in agriculture, industry, and skilled trades, emphasizing their ability to achieve social mobility and establish stable communities while preserving cultural and religious identities. The findings demonstrate that German immigrants constituted a significant social and economic force whose influence extended beyond numerical presence to shape key aspects of American society at the end of the nineteenth century.

Keywords: (German Immigration, United States of America, Political Integration, Economic Integration, Political Parties)

المقدمة

يتناول هذا البحث الوضعين السياسي والاقتصادي للمهاجرين الألمان في الولايات المتحدة الأمريكية خلال المدة ١٨٨٣ – ١٩٠٠، وهي مدة مفصلية شهدت تصاعد الجدل حول الهجرة، وبروز الحركات القومية الأمريكية، وتحولات عميقة في بنية الاقتصاد الصناعي والزراعي، وتتبع أهمية الموضوع من كون الجالية الألمانية شكلت إحدى أكبر الجماعات المهاجرة وأكثرها تنظيماً وتأثيراً، إذ لم يقتصر حضورها على المجال الديموغرافي، بل امتد إلى الفعل السياسي، والحراك العمالي، وبناء الاقتصاد المحلي، ولا سيما في ولايات الغرب الأوسط. كما يكشف البحث عن تفاعل الألمان مع قضايا الإصلاح السياسي، والحريات المدنية، وسياسات الهجرة، بما يجعل دراستهم مدخلاً لفهم تطور الديمقراطية الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر.

قسم البحث إلى محورين رئيسين، تناول الأول الوضع السياسي للمهاجرين الألمان في الولايات المتحدة الامريكية، من خلال مشاركتهم في الحياة العامة، ومواقفهم من الأحزاب السياسية، ودور شخصيات قيادية بارزة، فضلاً عن تفاعلهم مع القضايا الوطنية الكبرى مثل الإصلاح الإداري، والحريات المدنية، وحادثة هايماركت وتداعياتها. أما المحور الثاني فاختص بدراسة الوضع الاقتصادي، إذ عالج أنماط اندماج الألمان في سوق العمل، ودورهم في الزراعة والصناعة والحرف، وبناء المجتمعات الريفية والحضرية، وتأثير أخلاقيات العمل والتنظيم العائلي في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

أولاً: الوضع السياسي

- **المشاركة السياسية في الحياة العامة**

شهدت الأعوام (١٨٨٣ – ١٩٠٠) مشاركة فاعلة من المهاجرين الألمان في الحياة السياسية الأمريكية، ولاسيما في المناطق التي استقروا فيها بأعداد كبيرة مثل أوهايو، ويسكونسن، إلينوي، ومينيسوتا واتصف الألمان بوعي سياسي مبكر نسبياً مقارنة بباقي الجماعات المهاجرة، إذ حمل كثير منهم خلفية سياسية متأثرة بالثورات الأوربية، ولاسيما ثورة ١٨٤٨، مما جعلهم ميالين إلى دعم الحريات العامة وحرية الصحافة وتوسيع المشاركة السياسية[١].

انخرط المهاجرون الألمان في الأحزاب الكبرى، ولاسيما الحزب الجمهوري في بداياته، وذلك لدعمه توحيد الولايات والحريات الفردية، إلا أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية دفعت العديد منهم لاحقاً إلى تأييد الحزب الديمقراطي، ولاسيما في المناطق الحضرية، كما دعم عدد منهم حزب الشعب[٢] (People's Party) لما رفع من شعارات تمس هموم الطبقة العاملة، مثل إصلاح النظام النقدي وتخفيض الضرائب على صغار المزارعين[٣].

شهدت انتخابات عام ١٨٨٤ تحولاً بارزاً في مواقف شورتز، أحد أبرز الزعماء السياسيين في صفوف الجالية الألمانية الأمريكية، إذ أعلن رفضه البقاء ضمن صفوف الحزب الجمهوري في حال ترشيح شخصية غير إصلاحية، وقد مثل ترشيح جيمس ج. بلين[٤] (James G. Blaine) نقطة فاصلة دفعت شورتز إلى الانسحاب من الحزب وإعلان دعمه العلني للمرشح الديمقراطي غروفر كليفلاند[٥] (Grover Cleveland)، ولم يكن ذلك الموقف معزولاً، بل قاد إلى تعبئة وطنية للإصلاحيين، فقد نظم شورتز في تموز من ذلك العام مؤتمراً وطنياً ضم أكثر من أربعمئة من الجمهوريين المعارضين لبلين، وأكدوا جميعاً رفضهم لترشيحه كونه شخصاً فاقداً للمصداقية السياسية[٦].

انطلق شورتز في حملة انتخابية نشطة مخاطباً الجاليات الألمانية في مدن عدة، لاسيما في ولايتي ويسكونسن وأوهايو، اذ ألقى (٢٢) خطاباً باللغتين الألمانية والإنكليزية، ودعا إلى ضرورة التزام المرشح بالنزاهة والشفافية، وهو ما عده (جوهراً لأخلاق الجمهورية الأمريكية)، وقد أسهم ذلك النشاط في تعبئة الصوت الألماني نحو كليفلاند، ولاسيما في نيويورك، اذ ألقى شورتز خطاباً أمام حشد ألماني كبير، شدد فيه على رفض أي مرشح تحيط به شبهات الفساد[٧].

انعكس دعم شورتز على أداء إدارة كليفلاند في بداية ولايته، إذ شملت الإصلاحات الإدارية توسيع قائمة الوظائف المصنفة لتشمل اثني عشر ألف وظيفة، تعزيزاً لنظام الخدمة المدنية، غير أن استجابة كليفلاند لاحقاً لضغوط حزبية طالبت بمكافآت سياسية عبر التعيينات أضعف من مصداقيته، وأدى إلى تراجع دعم الإصلاحيين، بمن فيهم شورتز والجالية الألمانية التي منحته ثقتها في الانتخابات[٨].

مثل سلوك الناخب الألماني في الولايات المتحدة الامريكية خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر انعكاساً مباشراً لمواقفه من قضايا الإصلاح السياسي ونزاهة الإدارة الحكومية، ففي عام ١٨٨٨، مال معظم الألمان إلى دعم المرشح الجمهوري بنجامين هاريسون[٩] (Benjamin Harrison) نتيجة لخيبة أملهم من أداء كليفلاند، إلا أن ما أعقب الانتخابات من تراجع في الالتزام بقوانين الخدمة المدنية، وتغليب التعيينات الحزبية على أساس الكفاءة، أدى إلى فقدان الثقة مجدداً بالحزب الجمهوري[١٠].

وعند عودة كليفلاند للترشح عام ١٨٩٢، استعاد دعم الجالية الألمانية التي كانت قد ساندته في الانتخابات المحلية في نيويورك خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر، إذ رأوا فيه مرشحاً أقرب إلى النزاهة مقارنة بمنافسه هاريسون، كانت شعبية كليفلاند بين الألمان علامة على التقاء المصالح الإصلاحية مع الاهتمام بالاستقرار الإداري، وهي قضايا لطالما شكلت جوهر التوجه السياسي لدى الجالية الألمانية [١١].

بالمقابل، استمرت شخصية شورتز تؤدي دوراً محورياً في الخطاب السياسي العام، لكنه لم يعد يركز على مصالح الألمان فحسب، بل أصبح يتحدث باسم الإصلاح الوطني الأوسع، ففي انتخابات

الرئاسة الامريكية لعام ١٨٩٦، رفض شورتز مرشح الديمقراطيين وليام جيننغز برايان[١٢] (William Jennings Bryan) بسبب دعوته لسك الفضة غير المحدود، وساند الحزب الجمهوري وليام ماكينلي[١٣] (William McKinley) الداعي إلى معيار الذهب، غير أنه عاد وغير موقفه عام ١٩٠٠ بدعمه لبرايان، ليس بسبب الاقتصاد، بل احتجاجاً على السياسات الإمبريالية للولايات المتحدة الامريكية، وهو ما لم يتجاوب معه الناخبون الألمان تلك المرة[١٤].

اشارت تلك التطورات إلى تراجع تأثير شورتز بعد عام ١٩٠٠، إذ تمكن الجمهوريون من تجنيد قادة ألمان من داخل الحزب، مثل النائب في مجلس النواب الأمريكي ريتشارد بارثولد[١٥] (Richard Bartholdt)، لحشد التأييد الشعبي الألماني، لاسيما في ولايات الغرب الأوسط، كما لم تلق دعوة شورتز لدعم الديمقراطيين أية استجابة ملموسة، ومع ذلك، بقي شورتز أحد أبرز وجوه القيادة السياسية التي أثرت في وعي الجالية الألمانية على مدى أكثر من نصف قرن[١٦].

في ظل ما وصف بأنه أحد أكثر العهود السياسية ركوداً في التاريخ الأمريكي بعد الحرب الأهلية، برز شورتز بوصفه صوتاً مبدئياً نادراً جمع بين النزاهة الفكرية والالتزام بالإصلاح، وقد شكل أُنموذجاً مؤثراً للجالية الألمانية الأمريكية في كيفية التعامل مع العملية السياسية، ورغم ميل غالبية الألمان إلى الحزب الجمهوري، لم يترددوا في التراجع عن ذلك الانتماء متى ما شعروا بانحراف المرشحين أو تراجع القيم التي تبناها الحزب. لقد رسخ شورتز تقليداً سياسياً قوامه الاستقلال الأخلاقي والقدرة على كسر الولاءات الحزبية حين تقتضي المصلحة العامة ذلك. وبذلك المعنى، فإن الإرث السياسي الأبرز الذي خلفه لا يتمثل في مناصبه أو قراراته فحسب، بل في تثبيت مبدأ مفاده أن الصوت الألماني لا يشترى ولا يحتكر، بل يكسب عبر البرامج والمواقف، ولاسيما عند اقتراب موعد الانتخابات.

– المواقف من القضايا العامة

اتخذ الألمان مواقف مميزة من بعض القضايا السياسية والاجتماعية في الولايات المتحدة الامريكية. ففي حين دعم كثيرون منهم فصل الكنيسة عن الدولة، قاوموا بشدة محاولات فرض التعليم العام باللغة الإنكليزية فقط، عادّين إياها تهديداً مباشراً لهويتهم الثقافية واللغوية، وقد أدى ذلك الموقف إلى توترات مع التيارات القومية الأمريكية، ولاسيما مع تنامي الحركة المعروفة بـ"الاستيعاب القسري" (Forced Americanization)[١٧].

أبدى الألمان تحفظاً تجاه بعض السياسات التقييدية التي بدأت تظهر تجاه الهجرة من أوربا الوسطى والشرقية، ولاسيما بعد عام ١٨٨٦، ودافعوا عن سياسات أكثر تسامحاً تجاه المهاجرين الجدد، كما أيد عدد من القادة الألمان – الأمريكيين الحقوق المدنية، وشاركوا في بعض الحملات المناهضة للتمييز العرقي، ولاسيما في ولايات الشمال الصناعي[١٨].

برز الدور السياسي للألمان الأمريكيين في نهاية القرن التاسع عشر بوضوح في ولايات مثل ويسكونسن وإلينوي، إذ توحدت الجالية لمواجهة هيمنة الحزب الجمهوري، اذ حاول فرض تنظيمات على المدارس الطائفية التي كانت تمثل بعداً جوهرياً من هوية المهاجرين، وقد توج ذلك الحراك بانتخاب جون بيتر ألتغيلد[١٩] (John Peter Altgeld) ، حاكماً لإلينوي عام ١٨٨٦ [٢٠] .

مثل انتخابه إنجازاً رمزياً هاماً للجالية، غير أن مسيرته السياسية تدهورت بعد قراراته الجريئة، مثل إصدار العفو عن الناجين من محكومي حادثة هايماركت[٢١] (Haymarket Affair)، وتدخله لصالح عمال مصنع بولمان المضربين، وأسفرت أحداث شغب هايماركت عن موجة من السخط العام تحولت سريعاً إلى حالة هستيرية من العداء تجاه الفوضويين، وقد لاحقت تلك الحملة بالدرجة الأولى الألمان الأمريكيين، إذ إن ثمانية[٢٢] من بين المتهمين العشرة كانوا من أصول ألمانية، من بينهم أوغست سبايز[٢٣] (August Spies)، محرر صحيفة أربايتر تسيتونغ (The Arbeiter Zeitung) التي كانت تصدر في شيكاغو، وأدين سبعة من المتهمين بالإعدام، نفذ الحكم بأربعة منهم في تشرين الثاني عام ١٨٨٧، رغم افتقار المحاكمة لأي دليل يثبت مسؤوليتهم المباشرة عن إلقاء القنبلة[٢٤].

عدت محاكمة سبايز ورفاقه من أبرز صور الانتهاك القضائي في التاريخ الأمريكي، إذ غابت عنها أبسط معايير العدالة، وشهدت تدخلاً سياسياً واضحاً في تشكيل هيئة المحلفين وصياغة الأحكام، وأثناء المحاكمة، عبر سبايز عن قناعته بأن الحكم بالإعدام ما هو إلا وسيلة لقمع الحركة العمالية الناشئة، أما عند تنفيذ الحكم، فأطلق عبارته الخالدة: "**سيأتي وقت يكون فيه صمتنا أقوى من الأصوات التي تسمعونها اليوم**"[٢٥]، وذلك الصمت تحول لاحقاً إلى وعي جماعي بحجم الظلم الواقع، ولاسيما عندما أقدم ألتغيلد، على إصدار عفو عن ثلاثة من المتهمين عام ١٨٩٠، مؤكداً في حيثياته أن المحاكمة كانت غير قانونية، وأن القاضي كان منحازاً، وهيئة المحلفين مختارة بطريقة غير نزيهة، ولم تقدم أدلة كافية على إدانتهم[٢٦].

مثلت تلك الخطوة شجاعة سياسية نادرة، وأعادت عرض قضية الحريات المدنية في صلب النقاش الأمريكي بشأن العدالة، ولاسيما حين يتعلق الأمر بالمهاجرين والمنخرطين في الحراك الاجتماعي.

أصدر ألتغيلد في قراره الشهير الذي تجاوز ثمانية عشر ألف كلمة، إدانة صريحة للأحكام الأصلية الصادرة بحق المتهمين في حادثة هايماركت، مؤكداً أن المحاكمة انطوت على ظلم كبير، وذكر قائلاً: "**ان ذلك الحدث لم يكن في مصلحة الديمقراطية الامريكية**"[٢٧]، ورغم ما اتسم به ذلك القرار من شجاعة قانونية وإنصاف تاريخي، جوبه بحملة انتقادات لاذعة من الصحافة، ومنابر الكنيسة، والدوائر المحافظة، وظل موضع جدل واسع لاعوام، كما أثار موقفه المناهض لاستخدام القوات الفيدرالية في قمع إضراب بولمان[٢٨] (Pullman Strike) عام ١٨٩٤ لاحقاً، سخط الإدارة الفيدرالية، بعد أن أدى التدخل

العسكري إلى سقوط قتلى من العمال، وقد كان لتلك المواقف التقدمية أثرها السياسي، إذ خسر ألتغيلد محاولته لإعادة الترشح لمنصب الحاكم عام ١٨٩٦، لكن إرثه بقي شاهداً على واحدة من أبرز محاولات تحقيق العدالة وإنصاف المهاجرين في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية خلال تلك المدة[٢٩].

وعلى الرغم من ذلك الانهيار السياسي، شكلت تجربة ألتغيلد تعبيراً حياً عن مدى الحضور السياسي الألماني، وقدرته على التأثير في مراكز القرار المحلي خلال المدة المدروسة.

أثرت أحداث هايماركت وتبعاتها بشكل سلبي واضح على أوضاع الألمان الأمريكيين، إذ استغل التيار المعادي للهجرة ذلك الحدث لربط المهاجرين الألمان بالفوضوية والاشتراكية، زاعماً أن تلك "الشرور" قد تسللت إلى الولايات المتحدة الامريكية عن طريقهم، وأنهم يشكلون نواة التحريض السياسي المتطرف، وقد تفاقم ذلك التصور السلبي بعد أن جاء قرار العفو عن المحكومين من قبل حاكم من أصول ألمانية، مما أثار في نظر بعض دعاة الأصالة الأمريكية شبهة "التعاطف القومي" مع المتهمين، وهكذا أصبحت حادثة هايماركت رمزاً مزدوجاً؛ إذ اكدت من جهة قسوة السلطة في وجه الحراك العمالي، وشكلت من جهة أخرى منعطاً في نظرة المجتمع الأمريكي للألمان المهاجرين، الذين وجدوا أنفسهم مضطرين إلى مواجهة خطاب عداء متصاعد يشكك في ولائهم وانتمائهم الوطني[٣٠].

أسهمت ردود الفعل المعادية للمهاجرين بعد حادثة هايماركت في تعميق الخطاب الداعي إلى تقييد الهجرة، إذ تحول ذلك التوجه إلى مطالب سياسية وتشريعية فعلية. ففي عام ١٨٩٦، عبر هنري جورج[٣١] (Henry George)، مؤلف كتاب التقدم والفقر، عن قلقه إزاء ما وصفه بـ"نفايات اوربا" تفد إلى الولايات المتحدة الامريكية من الخارج، وقد لقيت تلك التصريحات صدى واسعاً في الأوساط الفكرية والاجتماعية، إذ بدأ عدد كبير من العاملين في ميادين الخدمة الاجتماعية والاقتصاد ورجال الدين بالمطالبة بوضع قيود على الهجرة، بدعوى حماية البنية الأخلاقية والثقافية للمجتمع الأمريكي، كما انضمت النقابات العمالية المنظمة إلى تلك الدعوات، انطلاقاً من خشيتها من تدفق اليد العاملة الرخيصة، التي ربطت بعضها بالمهاجرين الألمان وغيرهم من القادمين من أوربا الوسطى والشرقية، الأمر الذي زاد من الضغوط على المجتمعات المهاجرة، ولاسيما الألمان، خلال تلك المدة[٣٢].

عاد التيار المعادي للهجرة إلى الازدهار على المستوى الوطني للمرة الأولى منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، إذ اجتاحت البلاد حالة هستيرية واسعة ضد ما وصف حينها بـ"نفايات أوربا"، وفي ذلك السياق، أسست عام ١٨٩٧ "الرابطة الأمريكية للحماية" (American Protective League)، وهي جمعية سرية هدفت إلى مقاومة كل ما عدّته تهديداً للهوية الأمريكية، ثم شهد عام ١٨٩٨ ولادة "رابطة تقييد الهجرة" (Immigration Restriction League)، التي دعت إلى فرض ضوابط صارمة على الهجرة إلى الولايات المتحدة الامريكية وقد جاءت تلك التطورات رداً مباشراً على تزايد الحضور السياسي

والاجتماعي للمهاجرين، ولاسيما الألمان، الذين وضعوا آنذاك في دائرة الشك والريبة، ما انعكس على السياسات العامة والمواقف المجتمعية تجاههم[٣٣].

رغم مشاركتهم السياسية المتزايدة، واجه الألمان تحديات لا يستهان بها، تمثلت في النظرة النمطية السائدة عنهم، واتهامهم بازدواجية الولاء، ولاسيما مع استمرار استخدامهم للغة الألمانية في المدارس والصحف والكنائس، وقد استغلت تلك النقطة من قبل عدد من الساسة الأمريكيين لتشويه سمعة الجالية في الحملات الانتخابية ذات الطابع القومي أو الديني، وبرزت تلك التحديات في بعض الولايات ذات الأغلبية البروتستانتية التي نظرت إلى الكاثوليك الألمان بقلق، ومع ذلك، تمكن القادة الألمان من بناء شبكات ضغط سياسي فعالة على المستويين المحلي والفيدرالي، ونجح عدد منهم في الوصول إلى مناصب انتخابية، مثل عضوية المجالس المحلية أو تمثيل دوائر في الكونغرس[٣٤].

حقق الألمان الأمريكيون قدراً ملحوظاً من النجاح في الساحات السياسية المحلية والإقليمية، إذ انخرطوا في معالجة قضايا ذات طابع قومي وديني، مثل منع الكحول ومعارضة إلغاء التعليم ثنائي اللغة، وقد حظيت قوتهم الانتخابية ونفوذهم السياسي باعتراف واسع النطاق، إذ كثيراً ما امتلأت الفعاليات والمناسبات التي نظمتها الجالية الألمانية بحضور الساسة الذين أثنوا على فضائل الألمان الأمريكيين ودورهم الكبير في بناء المجتمع والأمة، وبذلك الصدد علق هوغو مونستربيرغ[٣٥] (Hugo Münsterberg) عام ١٩٠٠ قائلاً: "**خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من كل حملة رئاسية، يشاد بالناخب الألماني في كل مناسبة بوصفه المواطن المثالي**"[٣٦].

في ضوء ما تقدم، يتضح أن المهاجرين الألمان خلال الاعوام (١٨٨٣ – ١٩٠٠) شكلوا قوة سياسية فاعلة واجهت تحديات متعددة، تراوحت بين حملات التشكيك والتمييز ومحاولات الطمس الثقافي، إلا أنهم استطاعوا الدفاع عن هويتهم اللغوية والدينية وتركوا بصمة واضحة في قضايا الحريات، وحقوق العمال، والتعليم، والهجرة، كما قدموا نماذج مميزة في القيادة السياسية والوعي المدني، ما جعل حضورهم يتجاوز مجرد التمثيل العددي ليعبر عن إسهامات نوعية في تشكيل ملامح الديمقراطية الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر.

ثانياً: الوضع الاقتصادي

اتصف المهاجرون الألمان في الولايات المتحدة الامريكية خلال الأعوام (١٨٨٣ – ١٩٠٠) بمرونة اقتصادية عالية مكنتهم من الاندماج السريع في سوق العمل الأمريك، فقد عملوا في طيف واسع من المهن، تراوحت بين الزراعة، والصناعة، والحرف، والتجارة. في المناطق الريفية، ولاسيما في الغرب الأوسط، استقر العديد من الألمان كمزارعين، واستثمروا في الأراضي الزراعية التي وفرت لهم بأسعار منخفضة نسبياً بموجب قوانين الهجرة وتوزيع الأراضي، مثل قانون المساكن[٣٧].

أما في المدن الكبرى مثل شيكاغو، سينسيناتي، وميلووكي (Milwaukee)، فقد عمل الألمان في الصناعات الثقيلة كصناعة الآلات والحديد، وبرزوا في قطاع المشروبات الكحولية وصناعة المواد الغذائية والحرف اليدوية. أنشأوا مصانع ومخابز ومتاجر صغيرة، وغالباً ما فضلوا الأعمال العائلية التي تعزز الاستقلال الاقتصادي وتحفظ التقاليد الثقافية داخل العائلة [٣٨].

كان تأثير المهاجرين الألمان على الاقتصاد الأمريكي في القرن التاسع عشر عميقاً وواسع النطاق، فبحلول عام ١٨٨٥، كان (٣٧٪) من الألمان يعملون في المهن الحرفية المتقدمة، مثل الجزارة، وصناعة الأثاث، وصناعة السيجار، والتقطير، والميكانيكا، والخياطة، وعلى الرغم من أن النساء الألمانيات كن أقل انخراطاً في سوق العمل مقارنة بغيرهن، شكلن نسبة بارزة في قطاعات الخدمة، مثل المخابز، والعمل المنزلي، والفنادق، والمغاسل، والمقاهي، والخياطة، وفي كثير من الحالات، كانت النساء يعملن في مشاريع يديرها أفراد من العائلة أو أصدقاء مقربون[٣٩].

عمل ربع المهاجرين الألمان المولودين في الخارج في القطاع الزراعي، وأصبحوا يشكلون أكبر مجموعة إثنية في ذلك المجال. ويرى الكاتب ريتشارد أونور[٤٠] (Richard O'Connor) أن الأمريكيين الألمان كانوا جزءاً حيوياً وأساسياً في البنية الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية، وذكر في كتابه: "**لو تم فجأة إقصاء جميع الأفراد من أصل ألماني، فإن آلة الدولة ستنهار في الحال**"[٤١]، كما أشار إلى أن المهاجرين الألمان كانوا من أكثر المجموعات طلباً في سوق العمل الأمريكي أواخر القرن التاسع عشر، وكشف أن أربعة عشر حاكم ولاية أعربوا عن رغبتهم في استقبال المزيد من الألمان، متقدمين بذلك على الإسكندنافيين والإنكليز والأيرلنديين[٤٢].

لم يبق المهاجرون الألمان محصورين ضمن الطبقة العاملة، بل أظهروا قدرة ملحوظة على التدرج الطبقي السريع. فمع نهاية القرن التاسع عشر، بدأت شرائح واسعة من الألمان ترتقي إلى الطبقة الوسطى، من خلال تأسيس الشركات الصغيرة، وامتلاك العقارات، والدخول في مجالات التوزيع والتصدير، ولاسيما في الولايات الصناعية، وكانت أخلاقيات العمل الألمانية، والانضباط، والحرص على الادخار من أهم العوامل التي ساعدتهم على الاستقرار الاقتصادي[٤٣].

لم يقتصر حضور المهاجرين الألمان القادمين من روسيا على المجال الزراعي، بل امتد ليترك أثراً ملموساً في البنية الثقافية والاجتماعية للولايات المتحدة الامريكية التي استقروا فيها، إذ حمل هؤلاء معهم أنماطاً ثقافية ودينية مميزة، انعكست في تأسيس تجمعات متماسكة حافظت على اللغة الألمانية كلغة للتخاطب والتعليم[٤٤]، كما أنشأوا مدارس وكنائس ومؤسسات اجتماعية استلهمت التنظيم القروي الألماني الذي عرفوه في مستوطنات الفولغا والبحر الأسود، واتصفت تلك المجتمعات بروح الانضباط، والتعاون الجماعي، والاهتمام بالتعليم الديني والمهني، وأسهموا في ترسيخ تقاليد الحرف اليدوية، ولاسيما في مجالات الخياطة والنجارة وصناعة الأغذية[٤٥].

وأظهرت تلك التجمعات حرصاً على المحافظة على الطقوس الدينية، سواء في السياق البروتستانتي أو الكاثوليكي، وشكلت الكنيسة مركزاً محورياً للحياة الجماعية، وهو ما ساعد على بقاء الروح الثقافية الألمانية متماسكة رغم عوامل الانصهار الثقافي السائدة. وأسهم وجود الصحف الألمانية والاحتفالات الدينية والاجتماعية التقليدية في تعزيز ذلك الحضور الثقافي، ما جعل من ألمان روسيا نموذجاً لمجتمعات مهاجرة جمعت بين التكيف مع البيئة الأمريكية والحفاظ على الهوية الأصلية(٤٦).

من ناحية أخرى، انتقل جزء كبير من المهاجرون الالمان في تلك المدة الى الولايات الزراعية، وقد أظهرت تلك الفئة من المستوطنين قدرات متشابهة ومتقدمة في مجالات الزراعة، سواء استقروا في بنسلفانيا أو في المستعمرات الشمالية أو الجنوبية، إذ برزوا بجدهم وقدرتهم التنظيمية والتزامهم بالعمل الزراعي المنظم، مما جعلهم أكثر كفاءة في استثمار الأراضي الزراعية وفي الولايات الزراعية مثل أوهايو (Ohio) وويسكونسن (Wisconsin)، اذ واصل الألمان تميزهم في استخدام التقنيات الحديثة، وتكوين مجتمعات ريفية منظمة ومستقرة(٤٧).

بحث المزارع الألماني عن أراضٍ خصبة ذات تربة محروثة أو قابلة للتطوير، وغالباً ما اختار أراضي الغابات الغنية بالرطوبة، ودفع أثماناً مرتفعة مقابلها، مما أدى أحياناً إلى مزاحمة المستوطنين الأمريكيين الأصليين في امتلاك أفضل الأراضي الزراعية، وعرف بأساليبه الصبور والمنهجية في الزراعة، إذ كان يطهر الأرض من الحجارة والجذور بعناية، ويسعى لتحقيق أعلى إنتاج ممكن لكل فدان، كما آمن بدورة المحاصيل الزراعية للحفاظ على خصوبة التربة، وزرع بنظرة مستقبلية، طامحاً إلى استيطان دائم لا مؤقت(٤٨).

بالمقابل، عرف المزارع الأمريكي الأصلي بالتبذير، بينما اتصف الألماني بالاقتصاد والدقة، وكان يوفر حتى في الخشب، مستخدماً مواقد الطهي بدلاً من المواقد الكبيرة، وغذاؤه بسيط ولكن ملابسه متينة ومصممة لتدوم، ومكنه نمط حياته المتقشف من العيش بتكاليف أقل من غيره، ما ساعده على النجاح في بيئة تحتاج إلى الانضباط، كما أولى أهمية كبيرة لرعاية الماشية، فكان يحتفظ بالأبقار والخيول في إسطبلات دافئة خلال الشتاء، ويتجنب تركها تتجول في البرية، وعامل الحيوانات برفق من دون أن يفرط في العمل بها، وكانت مزرعته منظمة في كل تفاصيلها، من الأسوار إلى المباني الزراعية، وأنشأ حظائر الأبقار قبل المنازل، وكان يعرف ببناء حظائر ضخمة من الطراز الألماني، لاسيما في ولايات مثل بنسلفانيا (Pennsylvania) وويسكونسن وأوهايو، وقد أصبحت تلك الأبنية سمة معمارية مميزة في المجتمعات الزراعية التي استقر بها(٤٩).

استخدم المزارعون الألمان قبل توسع شبكة السكك الحديد، عربات قوية تعرف باسم "عربات كونستيغا" (Constiga Carts)، وهي وسيلة نقل شهيرة انتشرت من موهوك (Mohawk) إلى كارولاينا

(Carolina)، وتحولت لاحقاً في الغرب إلى نمط يعرف باسم "عربة البراري"، ويلاحظ أن منازل الفلاحين الألمان بنيت بتصاميم ثابتة ومتماسكة تليق بالإقامة الدائمة، وكان بناؤها غالباً ما يستغرق جيلاً ثانياً لإتمامه، إذ لم يكن الهدف مؤقتاً بل الاستقرار الطويل الأمد، ولاسيما في ولاية ويسكونسن، اذ تبنى بيوت المزارعين من الطابوق الفاتح اللون بتخطيط هندسي منضبط [٥٠].

اعتمد الفلاح الألماني على نفسه في العمل، ساعده في ذلك زوجته وأطفاله، مما جعل العائلة جزءاً رئيساً من دورة الإنتاج الزراعي، وكان ينظر إلى إنجاب الأطفال كأصل اقتصادي، نظراً لدورهم في زيادة الإنتاج، وقد أدى ذلك النمط إلى توسع حجم العائلات داخل المزارع الألمانية، أما الأجراء، فلم يستخدموا إلا في مواسم الحصاد، اذ يستدعي دعماً خارجياً مؤقتاً لتلبية حاجة العمل الموسمية[٥١].

كان الفخر العائلي من سمات الثقافة الاقتصادية الألمانية، إذ حرصت العائلات على إبقاء الأراضي الزراعية ضمن حيازتها من جيل إلى جيل، وقد تجلى ذلك بوضوح في أوساط الطوائف الألمانية المحافظة، مثل طائفة "المينونايت" في مقاطعة لانكستر – بنسلفانيا (Lancaster–Pennsylvania)، وكذلك بين المستوطنين الألمان في ويسكونسن وميزوري (Missouri) وتكساس (Texas)، ولم يتردد الألمان في شراء أراضٍ من المهاجرين من أعراق أخرى، ولاسيما من الأيرلنديين، واحتفظوا بتلك الأراضي ضمن ممتلكاتهم العائلية، مما أثار أحياناً امتعاضاً من السكان المحليين، كما حصل في شمال نيويورك عندما عدت كثافة الحضور الألماني تهديداً خفياً مرتبطاً بنجاحهم الاقتصادي اللافت[٥٢].

اظهرت سمات المزارعين الألمان أن نجاحهم الاقتصادي لم يكن وليد ظرف مؤقت، بل ناتج عن مهارات متجذرة وموروثة، جعلت من الزراعة مهنة متخصصة ضمن ثقافتهم ، وبينما أبدت بعض الجماعات المهاجرة الأخرى نجاحاً محدوداً في المجال الزراعي، لم تتمكن أية مجموعة من تحقيق مستوى الاستمرارية والاستقرار نفسه الذي أحرزه الألمان على مدى قرنين من الزمان، وقد أثبتت الإحصاءات الرسمية – ولاسيما تقرير التعداد الأمريكي لعام ١٩٠٠ – أن المهاجرين الألمان في القرن التاسع عشر قد رسخوا السمعة التاريخية للمزارع الألماني الذي استقر في بنسلفانيا وأوهايو منذ أجيال، فقد بلغ عدد المزارع التي يملكها أشخاص من أصل ألماني في الولايات المتحدة الامريكية (٥٢٢,٢٥٢) مزرعة، وهو عدد يفوق تقريباً ضعف عدد المزارع المملوكة للمهاجرين من بريطانيا خلال المدة نفسها، البالغ (١٨٣,١٥٧) مزرعة، كما يتفوق أيضاً على أعداد المزارع المملوكة للمهاجرين من أيرلندا (١٧٦,٩٦٨) والدول الإسكندنافية (١٧٤,٦٩٤)[٥٣].

وبحسب التقديرات الامريكية الرسمية فإن نسبة ملكية الأراضي والمزارع لدى الألمان عام ١٩٠٠ كانت الأعلى بين المجموعات الأوربية، ليس فقط من حيث العدد، بل من حيث النسبة إلى حجم السكان أنفسهم، وفقاً لبيانات ميدانية من مقاطعة لانكستر – بنسلفانيا، المعروفة بكثافة المهاجرين الألمان، ولاسيما المنحدرون من طوائف بروتستانتية محافظة، وكانت الملكية الزراعية للمهاجرين الألمان في

الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٠٠ تتمثل بـ: عدد العائلات الألمانية الموجودة في الولايات المتحدة الامريكية (١,٩٨٢,٩١٧)، عدد المزارع التي يملكها الألمان (٥٢٢,٢٥٢) منها (٢٢٧,٢٦٦) مزرعة مملوكة بالكامل و(١٥٦,٢٥٣) مزرعة مرهونة أو عليها التزامات، و(١٠,٠٥٤) غير محدد وضعها[٥٤].

قدمت منطقة حزام الغرب الأوسط الأمريكي للوافد الألماني الجديد مناخاً ونباتات كانت مألوفة إلى حد ما في وطنه، مثل الغابات التي كانت شبيهة الى حد كبير في حالتها الطبيعية بما موجود في المانيا، على الرغم من أنها شملت بعض أراضي البراري، وتتوافق حدودها الشمالية والجنوبية بشكل وثيق مع خطوط الحرارة المتساوية التي تتراوح بين خمس عشرة وخمس وثلاثين درجة فهرنهايت لمتوسط درجة الحرارة في فصل الشتاء، وفي الغرب، لم يكن هناك سوى القليل من المستوطنات الألمانية خارج الخط الذي انخفض فيه معدل هطول الأمطار السنوي إلى أقل من خمس وعشرين بوصة[٥٥].

وداخل الولايات الواقعة على حدود تلك الخطوط، تركز الألمان في الأجزاء الأكثر اعتدالاً في جنوب شرقي مينيسوتا (Minnesota) وويسكونسن، وشرقي نبراسكا (Nebraska)، ومع ذلك لا ينبغي المبالغة في التشابه مع الوطن، على الرغم من تطابق متوسط درجات الحرارة السنوية تقريباً، إلا أن المناخ القاري للولايات المتحدة الامريكية كان مختلفاً قليلاً عن المناخ في أوربا. وعلى الرغم من ان بنسلفانيا كانت مقر الاستيطان المبكر للمهاجرين الالمان، ظلت ولاية ويسكونسن ظلت لأكثر من قرن الولاية ذات الكثافة السكانية الألمانية الأكبر، لأسباب عديدة من بينها توافر فرص العمل وانتشار البروتستانتية القريبة من معتقدات البيورتانية، بالمقابل تجنب الألمان الجنوب، باستثناء تكساس (Texas)، وكان تمثيلهم طفيفاً جداً في ولايات نيو إنجلاند (New England)[٥٦].

أظهر المهاجرون الألمان إلى الولايات المتحدة الامريكية خلال الاعوام (١٨٨٣ – ١٩٠٠) كفاءة استثنائية في التكيف الاقتصادي والاجتماعي، إذ اتصفوا بقدرتهم على الاندماج السريع في سوق العمل، مع حفاظهم على أنماط إنتاج ريفية وصناعية مستندة إلى ثقافة تنظيمية دقيقة، سواء في الزراعة أم الحرف أم التجارة. وقد أسهم حضورهم الكثيف في ولايات الغرب الأوسط، ولاسيما في القطاع الزراعي، بترسيخ أُنموذج اقتصادي مستقر اتسم بالادخار والانضباط العائلي والملكية المستدامة. لم تقتصر إسهامات المهاجرين الالمان على الجانب الاقتصادي، بل تركوا بصمة ثقافية ودينية واجتماعية واضحة من خلال بناء المجتمعات الألمانية المتماسكة، التي قاومت الذوبان الثقافي، مع حرصها على التفاعل مع المحيط الأمريكي. وبذلك، مثل الألمان واحدة من أكثر الجاليات فاعلية واستمرارية في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للولايات المتحدة الامريكية خلال اواخر القرن التاسع عشر.

الخاتمة

- كشفت المقالة أن المهاجرين الألمان خلال المدة ١٨٨٣ – ١٩٠٠ مثلوا إحدى أكثر الجاليات وعياً وتنظيماً في المجتمع الأمريكي، وأسهموا بفاعلية في الحياة السياسية المحلية والوطنية.
- أبرزت النتائج أن السلوك السياسي للألمان اتسم بالمرونة والاستقلال، إذ لم يرتبطوا بولاء حزبي ثابت، بل أعادوا تموضعهم تبعاً لمواقف الأحزاب من الإصلاح ونزاهة الإدارة.
- أظهرت المقالة أن حادثة هايماركت شكلت نقطة تحول حاسمة في نظرة المجتمع الأمريكي إلى الألمان، وأسهمت في تصاعد خطاب العداء للهجرة والشك في ولائهم الوطني.
- بينت المقالة أن القادة الألمان – الأمريكيين لعبوا دوراً بارزاً في الدفاع عن الحريات المدنية وحقوق العمال، رغم ما كلفهم ذلك من خسائر سياسية.
- أكدت النتائج أن المهاجرين الألمان حققوا نجاحاً اقتصادياً ملحوظاً بفضل أخلاقيات العمل والانضباط والادخار، ولا سيما في القطاع الزراعي بولايات الغرب الأوسط.
- أظهرت المقالة أن العائلة شكلت نواة النشاط الاقتصادي الألماني، وأسهمت في تحقيق الاستقرار والاستمرارية عبر الأجيال.
- بينت المعطيات أن الألمان لم يندمجوا اقتصادياً فقط، بل أسسوا مجتمعات ثقافية ودينية متماسكة قاومت الذوبان الكامل في المجتمع الأمريكي.
- أوضحت المقالة أن التفوق الاقتصادي للألمان أثار في أحيان كثيرة مشاعر القلق والغيرة لدى بعض الفئات، وأسهم في تغذية الخطاب المعادي للمهاجرين.
- كشفت النتائج أن الجالية الألمانية أسهمت في تطوير النموذج الزراعي الأمريكي من خلال تقنيات العمل المنظم والاستثمار طويل الأمد في الأرض.
- خلصت المقالة إلى أن تجربة المهاجرين الألمان تمثل نموذجاً تاريخياً لفهم العلاقة المعقدة بين الهجرة، والهوية، والديمقراطية، والاندماج الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال أواخر القرن التاسع عشر.

الهوامش

(1) Max Kaase and Klaus Bade, Germany and emigration: A transatlantic approach, in Central European History, Vol. 13, No. 4, 1980, PP. 349 – 350.

(٢) حزب الشعب: حزب سياسي أمريكي ظهر عام ١٨٩١ نتيجة لاتحاد حركات المزارعين والعمال، ولاسيما تحالف المزارعين الجنوبي والغربي، وعبر عن المصالح الاقتصادية للفئات الريفية المهمشة، من خلال الدعوة إلى إصلاحات جذرية كإصدار العملة الفضية، وتأميم السكك الحديد، وفرض ضريبة دخل تصاعدية، وانتخاب الشيوخ

مباشرة، بلغ ذروته في الانتخابات الرئاسية لعام ١٨٩٢، ثم تراجع بعد تحالفه مع الديمقراطيين عام ١٨٩٦، واندثر تدريجياً مطلع القرن العشرين. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Richard Hofstadter, The Age of Reform: From Bryan to F.D.R., New York: Vintage Books, 1955, PP. 63 – 97.

)[3](James Tuck, Politics and Immigration: The Role of German Immigrants in American Party Life, 1850 – 1900, Chicago: University of Illinois Press, 1992, PP. 87 – 90.

(٤) جيمس ج. بلين (١٨٣٠ – ١٨٩٣): سياسي أمريكي بارز في الحزب الجمهوري، ولد في الحادي والثلاثين من كانون الثاني، شغل مناصب عدة منها عضو مجلس النواب، ورئيسه، كما تولى وزارة الخارجية في ثلاث مناسبات، وكان مرشح الحزب الجمهوري للانتخابات الرئاسية عام ١٨٨٤، لكنه خسر أمام غروفر كليفلاند. عرف بآرائه الداعمة للتوسع الأمريكي وبسياساته المرتبطة بالهيمنة الاقتصادية في نصف الكرة الغربي، توفي في السابع والعشرين من كانون الثاني. للمزيد من التفاصيل، انظر:

David Saville Muzzey, James G. Blaine: A Political Idol of Other Days, New York: Dodd, Mead & Company, 1934, PP. 101 – 145.

(٥) غروفر كليفلاند (١٨٣٧ – ١٩٠٨): الرئيس الثاني والعشرون والرابع والعشرون للولايات المتحدة الامريكية، ولد في الثامن عشر من اذار بمقاطعة كالدويل (Caldwell) بولاية نيو جيرسي (New Jersey)، توفي والده مبكراً عام ١٨٥٦ لذلك لم يتمكن كليفلاند من اكمال دراسته بشكل تام، الا انه عمل في مكتب محاماة وبعدها اكمل دراسته ليتخرج عام ١٨٥٩ محامياً متمرساً، انضم بعد ذلك الى الحزب الديمقراطي، شغل منصب حاكم مدينة بوفالو (Buffalo) عام ١٨٨٢ ثم حاكم ولاية نيويورك خلال الاعوام (١٨٨٣ – ١٨٨٥)، عقب ذلك نجح في الانتخابات الرئاسية ليشغل منصب رئيس الولايات المتحدة الامريكية خلال الاعوام (١٨٨٥ – ١٨٨٩)، ثم رشح نفسه مرة اخرى للأنتخابات الرئاسية ليفوز بها مرة اخرى ليصبح الرئيس الرابع والعشرين خلال الاعوام (١٨٩٣ – ١٨٩٧)، وبهذا اصبح كليفلاند الرئيس الوحيد في التاريخ الأمريكي الذي خدم مدتين غير متتاليتين في المنصب، توفي في الرابع والعشرين من حزيران في نيو جيرسي، للمزيد من التفاصيل، انظر: اودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٨٩٧ حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦، ص ١٥٣ – ١٦٠.

)[6](Albert Bernhardt Faust, The German Element in the United States with Special Reference to Its Political, Moral, Social, and Educational Influence, Vol. 2, Houghton Mifflin Company, 1909, PP. 138 – 139.

)[7](Don Heinrich Tolzmann, The German-American Experience, New York, Humanity Books, 1999, P. 273.

)[8](Ibid., P. 274.

(٩) بنجامين هاريسون (١٨٣٣ – ١٩٠١): محامٍ وسياسي امريكي، شغل منصب الرئيس الثالث والعشرون للولايات المتحدة الامريكية، ولد في العشرين من اب في مقاطعة نورث بيند (North Bend) بولاية أوهايو، وهو حفيد الرئيس الامريكي وليام هنري هاريسون (William Henry Harrison)، تلقى هاريسون تعليماً بسيطاً اذ كان يتعلم

في كوخ صغير، ثم التحق بكلية فارمر (Farmers' College) بالقرب من سينسيناتي (Cincinnati) بولاية أوهايو عام ١٨٤٧، وشارك في الحرب الاهلية وتمت ترقيته قائداً للواء الأول من الفرقة الأولى في اتلانتا (Atlanta)، وبعد نهاية الحرب انضم للحزب الجمهوري، ثم انتخب عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي خلال الاعوام (١٨٨١ – ١٨٨٧)، ثم انتخب رئيساً للولايات المتحدة الامريكية خلال الاعوام (١٨٨٩ – ١٨٩٣)، تضمنت السمات المميزة لإدارة هاريسون تشريعات اقتصادية غير مسبوقة، بما في ذلك تعرفة ماكينلي الجمركية، التي فرضت معدلات تجارية وقائية تاريخية، وقانون شيرمان لمكافحة الاحتكار، كما سهل هاريسون إنشاء محميات الغابات الوطنية من خلال تعديل قانون مراجعة الأراضي لعام ١٨٩١، وخلال إدارته، تم قبول ست ولايات غربية في الاتحاد، فضلاً عن ذلك، قام هاريسون بتقوية وتحديث البحرية الأمريكية بشكل كبير وأدار سياسة خارجية نشطة، توفي في الثالث عشر من اذار، للمزيد من التفاصيل، انظر:

Wallace Murat Halstead, Life and Public Services of Hon. Benjamin Harrison, President of the U.S.: With a Concise, Publisher Edgewood Pub. Co., New York, 1906.

)[10](Tolzmann, Op. Cit., P. 274.

)[11](Ibid., P. 274.

(١٢) وليام جيننغز برايان (١٨٦٠ – ١٩٢٥): سياسي امريكي، ولد في التاسع عشر من اذار بمدينة سالم في إلينوي، وانتقل إلى نبراسكا في ثمانينيات القرن التاسع عشر، انتخب نائباً في مجلس النواب خلال الاعوام (١٨٩١ – ١٨٩٥)، وخسر انتخابات مجلس الشيوخ عام ١٨٩٤، في المؤتمر الوطني الديمقراطي لعام ١٨٩٦، ألقى برايان خطابه "صليب الذهب" الذي هاجم قاعدة الذهب والمصالح المالية الشرقية ورشح برايان في المؤتمر الديمقراطي لمنصب الرئيس، مما جعل برايان أصغر مرشح رئاسي للحزب الرئيس في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، لكنه خسر الانتخابات، شغل منصب وزير الخارجية خلال الاعوام (١٩١٣ – ١٩١٥)، توفي في السادس والعشرين من تموز بالسكتة الدماغية ودفن في مقبرة أرلينغتون الوطنية (Arlinton National Cemetery) في العاصمة واشنطن. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Robert W. Cherny, A Righteous Cause: The Life of William Jennings Bryan, Boston: Little, Brown, 1994.

(١٣) وليام ماكينلي (١٨٤٣ – ١٩٠١): الرئيس الخامس والعشرين للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في التاسع والعشرين من كانون الثاني بمقاطعة ترمبول (Trumbull) بولاية أوهايو، نشأ في شمال شرق أوهايو المنطقة الصناعية، لم ينل ماكينلي تعليمه الكافي، وتطوع ماكينلي في تموز عام ١٨٦١ وهو في الثامنة عشر من عمره عند اندلاع الحرب الأهلية، وصل من الجندي البسيط إلى رائد في الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٦٤ من خلال مهمات عسكرية أوكلت إليه من حين لأخر، بعد الحرب درس ماكينلي في كلية الحقوق في ألباني بولاية نيويورك وتخرج فيها عام ١٨٦٧ واستقر في مدينة كانتون (Canton) بولاية أوهايو، بدأ عمله السياسي في الحزب الجمهوري وانتخب عضواً في مجلس النواب الأمريكي عن الحزب الجمهوري ورئيس الجمهوريين من ولاية أوهايو، وخدم فيه أولاً خلال الاعوام (١٨٧٧ – ١٨٨٢)، والثانية خلال الاعوام (١٨٨٥ – ١٨٩١)، وانتخب رئيس مراجعة القوانين بمجلس النواب خلال الاعوام (١٨٨١ – ١٨٨٣). وأيضاً عين رئيس للجنة الطرق والوسائل بمجلس النواب خلال الاعوام (١٨٨٩ – ١٨٩١)، اغتيل في بوفالو (Buffalo) بولاية نيويورك في السادس من أيلول. للمزيد من التفاصيل، انظر: فرح

محمود شاكر، وليام ماكينلي وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية (١٨٤٣ – ١٩٠١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – الجامعة العراقية، ٢٠٢١.

)[14](Tolzmann, Op. Cit., P. 275.

(١٥) ريتشارد بارثولد (١٨٥٥ – ١٩٣٢): سياسي أمريكي من أصل ألماني، ولد في الثاني من تشرين الثاني في ألمانيا وهاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية في شبابه، ثم انتخب نائباً عن ولاية ميزوري (Missouri) في مجلس النواب الأمريكي، وشغل منصبه خلال الاعوام (١٨٩٣ – ١٩١٥). عرف بدفاعه عن مصالح المهاجرين الألمان، وبدعمه لإصلاحات الخدمة المدنية، كما كان من دعاة السلام الدولي ومؤسساً لاتحاد البرلمانيين الدولي، توفي في التاسع عشر من اذار. للمزيد من التفاصيل، انظر:

United States Congress. House Committee on Resources, Historical Information of the Committee on Resources and Its Predecessor Committees 1807 – 2002, Vol. 4, U.S. Government Printing Office, 2002, P. 589.

)[16](Tolzmann, Op. Cit., P. 275.

)[17](Louis Viereck, German Instruction in American Schools, Educational Report 1900 – 1901 of the Commissioner of Education, Washington, D. C., Government Printing, 1902, PP. 648 – 649.

)[18](Kamphoefner, The Westfalians …, Op. Cit., PP. 75 – 76.

(١٩) جون بيتر ألتغيلد (١٨٤٧ – ١٨٩٣): سياسي وقانوني أمريكي من أصل ألماني، ولد في الثلاثين من كانون الأول في مقاطعة نيدرزل (Niederzel) بألمانيا، وهاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية مع أسرته في طفولته. اشتهر بدفاعه عن الحقوق المدنية والإصلاحات التقدمية، وقد تولى منصب حاكم ولاية إلينوي خلال الاعوام (١٨٩٣ – ١٨٩٧)، ليكون أول حاكم أمريكي مولود في ألمانيا يتولى ذلك المنصب في الولاية. عرف ألتغيلد بقراراته الجريئة، أبرزها إصدار العفو عام ١٨٩٣ عن ثلاثة من الناشطين الذين أدينوا في أعقاب حادثة هايماركت، عادّاً أن محاكمتهم مشوبة بظلم وانحياز سياسي. كما وقف إلى جانب عمال مصنع بولمان (Pullman Factory) في إضرابهم عام ١٨٩٤، منتقداً تدخل الحكومة الفيدرالية لقمع الإضراب، ما أثار حملة عنيفة ضده من الأوساط المحافظة والصحافة. رغم خسارته في إعادة الترشح، بقي يعد من أبرز رموز التيار التقدمي في السياسة الأمريكية خلال نهاية القرن التاسع عشر. توفي في الثاني عشر من آذار. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Ray Ginger, Altgeld’s America: The Lincoln Ideal versus Changing Realities, Quadrangle Books, 1965, PP. 183 – 202.

)[20](Tolzmann, Op. Cit., P. 277.

(٢١) حادثة هايماركت: حدثت في مساء الرابع من أيار عام ١٨٨٦ في مدينة شيكاغو بولاية إلينوي، عندما نظم عمال وصناعيون وناشطون يساريون تجمعاً احتجاجياً في ساحة هايماركت للمطالبة بتحسين ظروف العمل، ولاسيما تحديد يوم العمل بثماني ساعات. تحولت المظاهرة إلى مأساة عندما ألقى مجهول قنبلة وسط صفوف الشرطة التي حاولت تفريق الحشود، مما أدى إلى مقتل سبعة من رجال الشرطة وعدد غير محدد من المتظاهرين. أعقبت الحادثة موجة

من الهلع المعادي للفوضويين والاشتراكيين، واعتقل ثمانية نشطاء راديكاليين، حكم على سبعة منهم بالإعدام، وأُعدم أربعة بالفعل عام ١٨٨٧ رغم غياب أدلة قاطعة تربطهم بالحادث. أصبحت الحادثة لاحقاً رمزاً عالمياً للنضال العمالي، وأسهمت في تثبيت الأول من أيار عيداً للعمال في كثير من البلدان. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Paul Avrich, The Haymarket Tragedy, Princeton University Press, 1984, PP. 195 – 215.

(٢٢) وهم كل من: أوغست سبايز (August Spies)، صموئيل فيلدن (Samuel Fielden)، أدولف فيشر (Adolf Fischer)، مايكل شواب (Michael Schwab)، جورج إنغل (George Engel)، لويس لينغ (Louis Laing)، رودولف شناوبلت (Rudolf Schnaubt)، ووليام سيليغر (William Seliger). للمزيد من التفاصيل، انظر:

Faust, Op. Cit., Vol. 2, P. 196.

(٢٣) أوغست سبايز (١٨٥٥ – ١٨٨٧): صحفي وناشط ألماني أمريكي، ولد في العاشر من كانون الأول في ألمانيا، وهاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٧٢، استقر في مدينة شيكاغو، اذ انخرط في النشاط العمالي والسياسي، واشتهر بكونه محرراً لصحيفة العامل (Die Arbeiter-Zeitung)، التي كانت تصدر باللغة الألمانية وتعد من أبرز المنابر الاشتراكية والعمالية في شيكاغو أواخر القرن التاسع عشر، أدى سبايز دوراً بارزاً في التعبئة السياسية الداعية إلى تحسين ظروف العمل، ولاسيما خفض ساعات العمل اليومية إلى ثمان، تعرض للاعتقال عقب أحداث هايماركت عام ١٨٨٦، رغم غياب الأدلة التي تربطه مباشرة بإلقاء القنبلة، أدين بالإعدام في محاكمة وصفت على نطاق واسع بأنها مسيسة وغير عادلة. أعدم في الحادي عشر من تشرين الثاني مع ثلاثة آخرين من المتهمين، وألقى قبل إعدامه خطاباً شهيراً انتقد فيه النظام الطبقي الأمريكي والقضاء. للمزيد من التفاصيل، انظر:

James R. Green, Death in the Haymarket: A Story of Chicago, the First Labor Movement and the Bombing that Divided Gilded Age America, Pantheon Books, 2006, PP. 202 – 210.

(٢٤) كلود جوليان، الحلم والتاريخ او مائتا عام من تاريخ امريكا، ترجمة: نخلة كلاس، دار طلاس للترجمة والبحوث والنشر، دمشق، ١٩٨٩، ص ١٩٠ – ١٩١.

(٢٥) نقلاً عن، كلود جوليان، المصدر السابق، ص ١٩١.

(26) Samuel Yellen, American Labor Struggles, New York, 1936, P. 2.

(٢٧) نقلاً عن، كلود جوليان، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢٨) إضراب بولمان: هو واحد من أبرز الإضرابات العمالية في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، اندلع في ايار عام ١٨٩٤ في مدينة بولمان قرب شيكاغو، التي كانت مملوكة بالكامل لشركة بولمان لصناعة عربات النوم للقطارات، بدأ الإضراب بعد أن قامت الشركة بتخفيض أجور العمال بنسبة تصل إلى (٢٥%) بسبب= =الأزمة الاقتصادية، بينما أبقت على أسعار الإيجارات في منازل العمال ضمن البلدة الصناعية التي كانت تديرها بالكامل، ما أثار استياء واسعاً بين العمال الذين عدّوا السياسات مجحفة وغير إنسانية، انضم إلى الإضراب اتحاد العمال الأمريكيين للسكك الحديد (ARU) بقيادة الناشط العمالي يوجين دبس (Eugene V. Debs)، فأعلن مقاطعة قطارات بولمان، ما تسبب بشلل شبه كامل في حركة القطارات على مستوى البلاد، بما في ذلك القطارات التي تحمل البريد الفيدرالي. ورداً على ذلك، تدخلت الحكومة الفيدرالية بقيادة الرئيس غروفر كليفلاند، وأرسلت قوات اتحادية إلى شيكاغو، بذريعة حماية نقل البريد واستعادة النظام، مما أدى إلى صدامات عنيفة قتل فيها عدد من العمال، انتهى الإضراب في تموز

عام ١٨٩٤ بالقوة، شكل الإضراب نقطة تحول في تاريخ الحركة العمالية الأمريكية، وأسهم في تسليط الضوء على العلاقة المتوترة بين الرأسمال والعمل، كما أدى إلى إصدار قانون نص على جعل عيد العمال (Labor Day) عطلة وطنية رسمية في الولايات المتحدة الامريكية في ايلول من العام نفسه، كخطوة تهدئة رمزية من الحكومة تجاه الطبقة العاملة. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Almont Lindsey, The Pullman Strike: The Story of a Unique Experiment and of a Great Labor Upheaval, Chicago: University of Chicago Press, 1942, P. 215.

)[29](Yellen, Op. Cit., PP. 2 – 3.

)[30](Faust, Op. Cit., Vol. 2, PP. 197 – 198.

(٣١) هنري جورج (١٨٣٩ – ١٨٩٧): اقتصادي ومفكر اجتماعي أمريكي، ولد في الثاني من أيلول في فيلادلفيا، وتلقى تعليمه الأساسي في مدارس المدينة قبل أن يعمل في الصحافة ويكرس جهوده لاحقاً لدراسة مشكلات الفقر والتوزيع غير العادل للثروة. اشتهر بكتابه "التقدم والفقر" (Progress and Poverty) الصادر عام ١٨٧٩، الذي دعا فيه إلى فرض ضريبة واحدة على الأراضي كونها مصدر الثراء الطبيعي، بهدف الحد من التفاوت الاجتماعي وتحقيق العدالة الاقتصادية. خاض الانتخابات لمنصب عمدة نيويورك خلال الاعوام (١٨٨٦ – ١٨٩٧)، لكنه توفي في التاسع والعشرين من تشرين الأول قبل يومين من الانتخابات. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Edward O'Donnell, Henry George and the Crisis of Inequality: Progress and Poverty in the Gilded Age, New York: Columbia University Press, 2015, PP. 23 – 30.

)[32](Tolzmann, Op. Cit., P. 277.

)[33](Ibid., P. 278.

)[34](Frederick C. Luebke, German Immigrants and American Politics: Problems of Leadership, Parties, and Issues, University of Nebraska – Lincoln, 1984, P. 64.

(٣٥) هوغو مونستربيرغ (١٨٦٣ – ١٩١٦): فيلسوف وعالم نفس ألماني، ولد في الاول من حزيران، وهاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية ليصبح أحد أبرز وجوه علم النفس التطبيقي في نهايات القرن التاسع عشر، عرف بأسهاماته في علم النفس الصناعي، وعلاقته الوثيقة بالرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت (Theodore Roosevelt)، كما كان ناشطاً في الدفاع عن صورة الألمان الأمريكيين بوجه حملات التشويه خلال الحملات الانتخابية، توفي في السادس عشر من كانون الاول. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Hale Donald, Hugo Münsterberg: His Life and Work. New York: Thomas Y. Crowell, 1955, PP. 112 – 118.

)[36](Quoted in, Tolzmann, Op. Cit., P. 278.

)[37](La Vern J. Rippley, The German-Americans, Boston: Twayne Publishers, 1976, P. 63.

)[38](Ibid., P. 64.

)[39](Richard O'Connor, The German-Americans: An Informal History, Boston: Little, Brown, 1968, PP. 151 – 154.

(٤٠) ريتشارد أونور (١٩١٥ – ١٩٧٥): مؤرخ وكاتب أمريكي مختص في السير وتاريخ الهجرة في الولايات المتحدة الامريكية، ولد في العاشر من اذار بولاية انديانا (Indiana) في الولايات المتحدة الامريكية، عرف بأسلوبه الروائي التحليلي الذي مزج فيه بين التوثيق التاريخي والعرض الأدبي، وكتب عن الشخصيات البارزة والجماعات المؤثرة في التاريخ الأمريكي، ولاسيما المهاجرون الألمان ودورهم الاقتصادي والاجتماعي في القرن التاسع عشر، توفي بولاية مين في الولايات المتحدة الامريكية. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Frances C. Locher, Contemporary Authors: A Bio – bibliographical Guide to Current Authors and Their Works, Vol. 61, Gale Research Publisher, 1976, P. 401.

)[41](Quoted in, O'Connor, Op. Cit., P. 152.

)[42](Ibid., P. 154.

)[43](Joseph S. Height, Paradise on the Steppe: A Cultural History of the Kutschurgan, Beresan, and Liebental Colonists, 1804 – 1972, North Dakota Historical Society, 1973, P. 162.

)[44](Frank R. Diffenderffer, The German Immigration into Pennsylvania, Vol. 1, Pennsylvania German Society, 1900, PP. 152 – 154.

)[45](Height, Op. Cit., P. 162.

)[46](Height, Op. Cit., PP. 162 – 163.

)[47](Diffenderffer, , Op. Cit., PP. 131 – 135.

)[48](Faust, Op. Cit., Vol. 2, P. 29.

)[49](Diffenderffer, Op. Cit., PP. 135 – 138.

)[50](Faust, Op. Cit., Vol. 2, P. 30.

)[51](Ibid., Vol. 2 , P. 31.

)[52](Diffenderffer, Op. Cit., PP. 137 – 138.

)[53](Faust, Op. Cit., Vol. 2, P. 32.

)[54](Ibid., Vol. 2, P. 32.

)[55](Georg Von Skal, History Of German Immigration In The United States And Of Successful German-Americans And Their Descendants, Jazzybee Verlag Publisher, 2020, P. 75.

)[56](Walter D. Kamphoefner, The Westfalians: From Germany to Missouri, Princeton University Press, 1987, PP. 75 – 76.

قائمة المصادر

اولاً : المصادر العربية

١- فرح محمود شاكر، وليام ماكينلي وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية (١٨٤٣ – ١٩٠١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – الجامعة العراقية، ٢٠٢١.

٢- كلود جوليان، الحلم والتاريخ او مائتا عام من تاريخ امريكا، ترجمة: نخلة كلاس، دار طلاس للترجمة والبحوث والنشر، دمشق، ١٩٨٩.

٣- اودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٨٩٧ حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦.

ثانياً : المصادر الإنكليزية

1- Albert Bernhardt Faust, The German Element in the United States with Special Reference to Its Political, Moral, Social, and Educational Influence, Vol. 2, Houghton Mifflin Company, 1909.
2- Almont Lindsey, The Pullman Strike: The Story of a Unique Experiment and of a Great Labor Upheaval, Chicago: University of Chicago Press, 1942.
3- David Saville Muzzey, James G. Blaine: A Political Idol of Other Days, New York: Dodd, Mead & Company, 1934.
4- Don Heinrich Tolzmann, The German-American Experience, New York, Humanity Books, 1999.
5- Edward O'Donnell, Henry George and the Crisis of Inequality: Progress and Poverty in the Gilded Age, New York: Columbia University Press, 2015.
6- Frances C. Locher, Contemporary Authors: A Bio - bibliographical Guide to Current Authors and Their Works, Vol. 61, Gale Research Publisher, 1976.
7- Frank R. Diffenderffer, The German Immigration into Pennsylvania, Vol. 1, Pennsylvania German Society, 1900.
8- Frederick C. Luebke, German Immigrants and American Politics: Problems of Leadership, Parties, and Issues, University of Nebraska – Lincoln, 1984.
9- Georg Von Skal, History Of German Immigration In The United States And Of Successful German-Americans And Their Descendants, Jazzybee Verlag Publisher, 2020.
10- Hale Donald, Hugo Münsterberg: His Life and Work. New York: Thomas Y. Crowell, 1955.
11- James R. Green, Death in the Haymarket: A Story of Chicago, the First Labor Movement and the Bombing that Divided Gilded Age America, Pantheon Books, 2006.
12- James Tuck, Politics and Immigration: The Role of German Immigrants in American Party Life, 1850 – 1900, Chicago: University of Illinois Press, 1992.
13- Joseph S. Height, Paradise on the Steppe: A Cultural History of the Kutschurgan, Beresan, and Liebental Colonists, 1804 – 1972, North Dakota Historical Society, 1973.
14- La Vern J. Rippley, The German-Americans, Boston: Twayne Publishers, 1976.
15- Louis Viereck, German Instruction in American Schools, Educational Report 1900 – 1901 of the Commissioner of Education, Washington, D. C., Government Printing, 1902.
16- Max Kaase and Klaus Bade, Germany and emigration: A transatlantic approach, in Central European History, Vol. 13, No. 4, 1980.

17- Paul Avrich, The Haymarket Tragedy, Princeton University Press, 1984.
18- Ray Ginger, Altgeld's America: The Lincoln Ideal versus Changing Realities, Quadrangle Books, 1965,
19- Richard Hofstadter, The Age of Reform: From Bryan to F.D.R., New York: Vintage Books, 1955.
20- Richard O'Connor, The German-Americans: An Informal History, Boston: Little, Brown, 1968.
21- Robert W. Cherny, A Righteous Cause: The Life of William Jennings Bryan, Boston: Little, Brown, 1994 .
22- Samuel Yellen, American Labor Struggles, New York, 1936.
23- United States Congress. House Committee on Resources, Historical Information of the Committee on Resources and Its Predecessor Committees 1807 - 2002, Vol. 4, U.S. Government Printing Office, 2002.
24- Wallace Murat Halstead, Life and Public Services of Hon. Benjamin Harrison, President of the U.S.: With a Concise, Publisher Edgewood Pub. Co., New York, 1906 .
25- Walter D. Kamphoefner, The Westfalians: From Germany to Missouri, Princeton University Press, 1987.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

أنشطة قبيلة بني تميم وفعالياتها في مصائد اللؤلؤ وتجارته في قطر والساحل العمُاني (١٨٢٠-١٩١٤)

The activities and events of the Bani Tamim tribe in the pearl fishing and trade in Qatar and the Omani coast (1820-1914)

دلال وليد فليح حسن

dalal walid falih hasan

dalalwalid@uomustansiriyah.edu.iq

أ.د جبار درويش جاسم

Prof. Dr. jabaar darwish jasim

Iraqi_human_rights@yahoo.com

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص :

تهدف الدراسة ، معرفة أنشطة وفعاليات قبيلة بني تميم في قطر والساحل العمُاني لتجارة اللؤلؤ قبل اكتشاف النفط ، وتطرق لاهم اعلامها ، إذ كانت هي مصدراً للمعيشة خلال المدة (١٨٢٠ – ١٩١٤م) وكانت تلك المهنة ذات أهمية اقتصادية ، وأشارت المصادر التاريخية أن تجارة اللؤلؤ شكلت مورداً مالياً مهماً لافراد بني تميم في قطر و الساحل العمُاني كغيرها من القبائل الأخرى ، ، وساهموا من خلالها في انعاش الحياة الاقتصادية في قطر والساحل العمُاني واثرت على الجانب السياسي والواقع الاجتماعي ، واستثمر شيوخ بني تميم عائدات هذه التجارة ، الا ان تطور الاحداث العالمية وتسارعها لا سيما بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م ، أدت الى تدهور تلك التجارة واندثارها .

الكلمات المفتاحية : **(تجارة اللؤلؤ ، بني تميم ، قطر ، الساحل العمُاني).**

Abstract:

The study aims to identify the activities and events of the Bani Tamim tribe in Qatar and the Omani coast in the pearl trade before the discovery of oil, and to address its most prominent figures, as it was a source of livelihood during the period (1820-1914 AD) and that profession was of economic importance. Historical sources indicate that the pearl trade constituted an

important financial resource for the Bani Tamim individuals in Qatar and the Omani coast, like other tribes, and through it they contributed to revitalizing the economic life in Qatar and the Omani coast and affected the political aspect and the social reality. The sheikhs of Bani Tamim invested the proceeds of this trade, but the development of global events and their acceleration, especially after the outbreak of the First World War in 1914 AD, led to the decline and disappearance of that trade.

المقدمة :

تُعد تجارة اللؤلؤ جزءًا لا يتجزأ من التراث التاريخي والثقافي لدول الخليج العربي بما فيها قطروالساحل العمُاني وتعود وجذور هذه التجارة الى بدايات القرون الحديثة وهي دعامة اقتصادية ومحركا جتماعيًا شكل حياة المجتمعات الساحلية لمدة طويلة قبل اكتشاف النفط ، وقبيلة بني تميم، وهي قبيلة عربية عريقة، كأحد الفاعلين في تلك التجارة المزدهرة، آنذاك نظرًا لتواجدها الجغرافي ونشاطها التجاري البحري على امتداد سواحل الخليج العربي .

أذ مارس افراد القبيلة في قطر والساحل العمُاني عملية الصيد والتجارة ، وكانت تجارة اللؤلؤ واحدة من أبرز الأنشطة اقتصاديًا ومعيشياً لافراد تلك القبيلة .

استهدفت الدراسة متابعة نشاط قبيلة بني تميم في تلك التجارة المهمة خلال المدة (١٨٢٠-١٩١٤)، وجاءت فرضية الدراسة من ضوء الأسئلة الآتية :-

-كيف كانت بدايات تجارة اللؤلؤ في قطر والساحل العمُاني ودور بني تميم فيها ؟

-كيف اسهم صيد اللؤلؤ في انتعاش الحياة الاقتصادية في قطر والساحل العماني وما هو دور قبيلة بني تميم في ذلك ؟

-من هم أعلام تجار اللؤلؤ من قبيلة بني تميم ؟ .

-ما حدود تاثير انتاج اللؤلؤ على الحياة الاجتماعية لقبيلة بني تميم في قطر الساحل العمُاني ؟

تطلب منهجية الدراسة تقسيمها على مقدمة ثلاث مباحث ، فقد درس الأول بدايات نشاط تجارة اللؤلؤ وموقف قبيلة بني تميم منها ، تناول الثاني التعريف بأعلام تجارة اللؤلؤ من بني تميم في قطر والساحل العمُاني ، وناقش الثالث إثر تجار اللؤلؤ بني تميم على الواقع الاجتماعي تحديدًا التعليم وخاتمة .

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة في مقدمتها الوثائق الخاصة بارشيف رئاسة الوزراء في استطنبول فضلا عن ذلك الوسائل والاطاريح أيام جانب الأبحاث والدراسات والصحف العربية .

أولا : بدايات نشاط تجارة اللؤلؤ وموقف قبيلة بني تميم منها :

عّد استخراج اللؤلؤ وتجارته ، من المصادر الاقتصادية المهمة في منطقة الخليج العربي لاسيما في قطر والساحل العمُاني ، فهو النشاط الرئيس لاهلها طوال العام ولا سيما الذين كانوا يعيشون على الشواطئ أو في الجزر[١] وأشار القران الكريم الى ذكر اللؤلؤ فيه ومنها قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾ [٢]. وقوله سبحانه تعالى : ﴿"إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) ﴾[٣].

اعتمد الاقتصاد القطري في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين بشكل رئيسي على تجارة اللؤلؤ ، اذ كانت تصدر كميات كبيرة من اللؤلؤ في الوقت الذي كانت تستورد المواد الغذائية والحاجيات الأخرى من بلدان الجوار والدول الأجنبية ، وارتبطت شبه جزيرة قطر بعلاقات تجارية مع (عمان والكويت والقطيف والبحرين) ، فضلاً عن علاقاتها التجارية الجيدة مع (بلاد فارس والهند) ، وقد كان هناك تنوع كبير في المواد التي كانت تتاجر بها مع البلدان الاخرى واعتمدت الصادرات على كميات اللؤلؤ التي يتم الحصول عليها سنوياً من قبل عمال الغوص القطريين الذين بلغ عددهم (٥٣٥٠) عاملاً عام ١٨٩١م هؤلاء يشكلون ما يقارب ربع سكان المشيخة أنذاك ، بلغت قيمة منتوجاتهم من اللؤلؤ بحدود (٢,٥٤٠,٠٠٠) فرنك [٤] ، وكان لقبيلة بني تميم موقع متقدم في هذه التجارة , ومما يؤكد أهمية تلك تجارة بالنسبة لهم قول الشيخ محمد بن ثاني التميمي : "**إننا جميعًا, من أكبرنا إلى أصغرنا عبيد لسيد واحد هو اللؤلؤ**"[٥].

وتعارف الناس على تسمية تجار اللؤلؤ (الطواويش) [٦] وهؤلاء يتعاملون مع البحارة ويمدون سفن الغوص بالأموال على سبيل الاستدانة ويشترط أحد الطواويش على صائدى اللؤلؤ ألا يبا ع المحصول إلا له وهذا يحدث نادرا وهناك بعض الغواصون الذين يملكون تأمين لوازمهم دون الحاجة لأحد [٧] ، وأحيانًا لا ينتظر الطواشون وصول مراكب الغوص إلى البر ، بل يبحرون بأنفسهم إلى مكان استخراج اللؤلؤ مغاصات الخليج لشراء اللؤلؤ من سفن الغوص مباشرة حيث يقومون بزيارة كل سفينة على حدة ويجتمعون بالنواخذة [٨] ، ويلتزم بعض نواخذة الغوص أحيانًا بعرض ما تم جمعه من اللؤلؤ على طواش معين دون غيره، وذلك يرجع إما لكون الطواش هو الذي قد قام بتجهيز رحلة الغوص، حيث يقوم بتزويدهم بكل احتياجاتهم مقابل أن يتم عرض محصول الغوص عليه أولاً، أو أن يكون هناك طواش معين اشتهر بنزاهته ومعرفته وكرمه فلا يقوم بخفض قيمة اللؤلؤ عند عرضه عليه أولاً [٩] .

وكان الطواويش من أبناء قبيلة بني تميم يتمتعون بأفضل سبل العيش والرخاء الذي قل ان تجد له مثيلا بين بحارة السفن العادية في قطر ، ويجلب طواشي بني تميم معهم في بعض الاحيان جواهرياً او صائغًا يتمتع بخبرة واسعة بأنواع اللؤلؤ لتقييم ما يعرض عليه من الانواع الثمينة كالحصبايات والدانات ، وكما يرافق الطواش عادة عدد من أصدقائه الذين كانوا يعينونه في عملية شراء اللؤلؤ وذلك باقناع النواخذة لبيع ما لديهم من لؤلؤ للطواش باسعار منخفضة، أو بتدخلهم في اثناء عملية البيع والشراء وتقليلهم من قيمة اللؤلؤ المعروض حتى يتمكن الطواش من شرائه بثمن منخفض ، وكان طواشو بني تميم يتنقلون بين سفن الغوص بتشالة صغيرة أو قلص (زورقًا صغيرًا) يدار تسييره بالمجاديف حيث يطوف على السفن لمشاهدة ما لديها من لؤلؤ وعرض اسعار الشراء عليهم وعادة ما يأخذ الطواش معه بعض المواد الغذائية والذبائح لتوزيعها على عملائه من النواخذة الذين يتوقع منهم بيعه ما لديهم من لؤلؤ بالسعر الذي يعرضهم، كما يقوم الطواويش باقراض النواخذة والبحارة الذين يتعاملون معه بالأموال على شكل سلف مقدمة لضمان شراء ما يصطادونه من اللؤلؤ في أثناء الموسم وكثيرا ما باع النواخذة محصولهم من اللؤلؤ الى الطواويش بأسعار زهيدة ، وعلموا فيما بعد أن الطواش باع اللؤلؤ في الأسواق القريبة كالبحرين أو الكويت بأثمان مضاعفة لذلك كان بعض النواخذة النابهين يتوجهون بأنفسهم الى البحرين لبيع ما لديهم من لؤلؤ بأسعار مجزية تزيد كثيرا على الأسعار التي كان يعرضها عليهم الطواشين [١٠].

أختلفت مجهودات تجار بني تميم في محصول اللؤلؤ ، فقد ذكرت بعض المصادر ، انها بلغت ما يقارب (٥٠٠) روبية ، في حين ذكر مصدر أخر أن دخل تاجر اللؤلؤ من بني تميم ما بين (١٠٠٠-١٥٠٠) روبية، مع الاخذ بالحسبان الضرائب المفروضة على صيادي اللؤلؤ [١١].

تزايدت أعداد سفن بني تميم العاملة في الغوص على اللؤلؤ، وتطورت تلك السفن بشكل جيد، كما تحسنت نوعية الأدوات المستخدمة للغوص، وهو ما أسهم في بروز هيرات جديدة في شرق مشيخة قطر، كانت على أعماق أكبر ، ويصعب الوصول لها من قبل، كما تزايد عدد الغواصين التميميون في الدوحة، التي أخذت في النمو بشكل سريع، في ظل مشيخة الشيخ محمد بن ثاني المعضادي التميمي ، حيث توافد على الدوحة كل الرافضين لحكم آل خليفة من فروع قبيلة بني تميم (آل بوگّوارة والبوعلي) ، وأخذت الوكرة أيضًا في النمو مع استقرار قبيلة آل بوعينين التميمية ، ولم يرفض محمد بن خليفة ذلك، طالما ظل شيخ الدوحة يدفع الأموال ويعلن تبعيته لآل خليفة، وكان الشيخ محمد بن ثاني التميمي يتصرف بصفته تاجرًا للؤلؤ، يسعى لتهيئة الجو العام لعمليات الغوص في سلام وبصفته تاجرًا يريد أن ينمي تجارته [١٢] .

ثانيًا : أعلام تجارة اللؤلؤ في قبيلة بني تميم في قطر والساحل العمُاني :

كانت تجارة اللؤلؤ في قطر مرتبطة بالاسرة آل ثاني التميمية [١٣] ، إذ كان الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني المعضادي التميمي شيخ قطر، من أكبر تجار اللؤلؤ في الخليج العربي في زمانه ، وكان يشتري اللآلئ من تجار قطر والكويت والبحرين وغيرهم، وملك ثروة طائلة تقدر بحوالي (٣٦) لك روبية، أي ثلاثة ملايين وستمائة روبية يعد هذا مبلغ خيالي في ذلك الوقت [١٤]، ولكن في نهاية عمره البالغ مائة عام تقريباً ، تدهورت تجارته ولم يعد للعائلة الحاكمة في قطر نصيب كبير من تجارة اللؤلؤ[١٥] وكان بعض أبناء الشيخ جاسم التميمي من التجار المعروفين بهذا النوع من التجارة وهم كل من [١٦]:

١-الشيخ عبد الله بن جاسم ال ثاني التميمي ، رصيده نحو مليونين من الروبيات، كان يذهب بنفسه إلى البحر عند الغواصين لشراء اللؤلؤ، وبعد ذلك ساعده أبناه (الشيخ حمد ، والشيخ علي) .

٢- الشيخ ثاني بن جاسم التميمي .

٤-الشيخ محمد بن جاسم التميمي .

٥ - الشيخ خليفة بن جاسم التميمي .

٦ - الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني التميمي الأخ الأصغر للشيخ جاسم كان يساعده في شؤون الحكم، ملك نحو (١٢) لك، أي مليون ومئتا ألف روبية، وهو مبلغ كبير في ذلك الحين. وأبناء الشيخ أحمد الذين كانوا تجار اللؤلؤ أيضاً:

٧- الشيخ علي بن أحمد التميمي ملك نحو مليون روبية.

٨- الشيخ محمد بن أحمد التميمي .

٩-الشيخ عبد الله بن أحمد التميمي .

١٠ - الشيخ ناصر بن أحمد التميمي .

ولم تقتصر تجارة اللؤلؤ فقط على اسرة ال ثاني التميمية ، واشتهر تجار اللؤلؤ فروع أخرى تنتسب لقبيلة بني تميم تواجدوا في مدينة الدوحة هم كل من محمد بن عبد اللطيف المانع التميمي ، وخالد بن محمد الغانم المعاضيد التميمي - طواش، وغواص ، و شاهين بن أحمد العسيري التميمي : طواش وغواص وصالح بن سليمان المانع التميمي ، وأحمد بن علي السليطي التميمي ، و مهنا بن حمد السليطي التميمي ، ناصر بن عبدالله العطية التميمي [١٧] ، وناصر بن شاهين الطوار الكواري التميمي ، عيسى بن ربيعة الكواري التميمي و جاسم بن درويش فخرو التميمي [١٨] الملقب بملك اللؤلؤ الذي كان يملك مجموعات فاخرة لا تقدر بثمن [١٩].

ومن الطواشين تجار اللؤلؤ المعروفين من قبيلة آل بوعينين التميمية والذين زاولوا مهنة تجارة اللؤلؤ : الشيخ جاسم بن محمد بن خلف البوحسين آل بوعينين التميمي الذي يعد من كبار الطواشين

في الوكرة بقطر ومن أشهر ممولي سفن الغوص بها، وسلطان بن سلطان بن راشد الراشد آل بوعينين التميمي ، وناصر بن خلف بن محمد البوحسين آل بوعينين التميمي وهو من أشهر الطواشين في قطر وابنه خلف، وحسن بن صقر بن حسن البوحسين آل بوعينين التميمي ، ويوسف بن سالم السالم المحمد آل بوعينين التميمي وأبناؤه أحمد وسالم ومحمد، وحسن بن أحمد بن يوسف السالم آل بوعينين التميمي وإخوانه علي ويوسف، وراشد بن مبارك بن جمعة العود آل بوعينين التميمي وهو نوخذة ومن كبار الطواشين في الجبيل، وعيد بن جبران بن جبران الجبران آل بوعينين التميمي ومنصور بن راشد بن علي الراشد آل بوعينين ، التميمي ، وجبر بن عبد العزيز بن فضل العلي آل بوعينين التميمي ، ومبارك بن عمهج بن مبارك الحسن آل بوعينين التميمي ، وحسن بن محمد بن منصور المنصور آل بوعينين ، وراشد بن محمد بن راشد الراشد آل بوعينين التميمي ، وجبران بن محمد بن بحر الجبران آل بوعينين وأبناؤه علي وجبران، وأحمد بن مقدم بن سيف المقدم آل بوعينين ، وعلي بن خليفة بن محمد الغنام آل بوعينين التميمي ، وجاسم (الجاسم بن محمد بن سالم السالم آل بوعينين التميمي ، وسالم بن محمد بن أحمد الأحمد آل بوعينين التميمي ، وعلي بن إبراهيم بن خلف الخلف آل بوعينين التميمي ، وعبد الرحمن بن راشد بن علي الراشد آل بوعينين التميمي ، وعبد الله بن محمد بن راشد الراشد آل بوعينين التميمي ، وعبد الله (المؤمن) بن حسن بن فرج المحمد آل بوعينين التميمي ومن ممولي سفن الغوص، وإسماعيل (الإسماعيل بن محمد بن سالم السالم آل بوعينين التميمي وابنه إسماعيل بن إسماعيل، وراشد بن محمد بن راشد العيوني آل بوعينين التميمي وابنه علي [٢٠] .

أما أبرز طواشي تجار اللؤلؤ من بني تميم في المحرق هم كل من [٢١]: (يوسف بن عيسى بن عيد بوحجي [٢٢] وابنه محمد [٢٣]، و محمد بن راشد بن هندي المناعي [٢٤] وابنه صالح ، وعبد الله بن خليفة المناعي [٢٥]وعيسى بن علي المناعي [٢٦] وسالم بن يوسف آل بوعينين واخوانه ، ويوسف بن محمد بن خاطر آل بوعينين ،وفي (حالة السلطة) كان كل من غانم في سلمان السليطي ، ومهنا السليمي ، وفي الحد كل من أحمد بن الشيخ عبد اللطيف المحمود، ،وابراهيم وعبد الحميد ال محمود،ومحمد بن صباح ال بن علي ، وراشد بن خليفة آل بن علي ، في قرية قلالي [٢٧]
:حسين بن علي المناعي ، عبدالله بن عيسى بن علي المناعي [٢٨] ،وعبدالله بن أحمد المناعي[٢٩].

أشتغل في إمارة الشارقة الشيخ علي بن محمد بن علي المحمود التميمي ، وكان له باع طويل فى تجارة اللؤلؤ، وله علاقات طيبة مع شيوخ الإمارات يبتاع منهم اللؤلؤ ويفضلونه على غيره، لا سيما الشيخ راشد بن أحمد المعلا حاكم أم القيوين[٣٠] .

وعلى الرغم من أن الشيخ علي المحمود، لم يكن يمتلك سفنًا خاصة به للبحث عن اللؤلؤ ، الا انه كان يمول العديد من السفن العاملة في تلك الرحلات لأهالي المنطقة شأنه في ذلك شأن الكثيرين

من تجار اللؤلؤ في مشيخة قطروالساحل العمُاني ،وإلى جانب ذلك يشتري ويبيع اللؤلؤ فى البحرين والهند ودبي وكان خبيرا فى تجارة اللؤلؤ، وله دراية بفنونها، ومعرفة أنواعها، ودقيقا فى تقييمها ،كان من عادة المحمود التميمي ، أن يستأجر بيتًا في دبي في كل موسم، ويقيم فيه بهدف الأشراف على معاملاته التجارية [٣١].

ثالثًا : إثر تجار اللؤلؤ بني تميم على الواقع الاجتماعي (التعليم) :

نظراً لأختلاط تجار اللؤلؤ من قبيلة بني تميم مع الكثير من تجار اللؤلؤ العرب والأجانب ، جعلهم يتأثرون بمظاهر ولغات عدة الى جانب ذلك نقل الكثير من عاداتهم وفنونهم وملبسهم وطعامهم ، حتى أنها جلبت بعض أفراد تلك الشعوب إلى سواحل الخليج، وتمكنوا من الاحتكاك والتعامل مع سكانه بغرض المتاجرة والتبادل والتسوق ، كان لقبائل بني تميم دورا في مجال التعليم ايضاً ولقد لعب تجار اللؤلؤ دورًا بارزًا بوضعهم الفئة التي تحتك بتلك الثقافات نتيجة لأسفارهم المتكررة بغرض التجارة، ومنذ ذلك الوقت بدأت تراود تجار اللؤلؤ رغبة جامحة في تنفيذ المشاريع الإصلاحية مثل بانشاء المدارس بدل الكتاتيب ، ونشر التعليم والذي غاب عن الساحل إلى ما قبل عام ١٩٠٥م تقريبًا [٣٢]

وكان الدور الذي أدته بومباي منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وما بعد ذلك في نقل صورة عن الحياة الغربية إلى منطقة الخليج العربي، حيث كانت تعد السوق الرئيسة لتجارة اللؤلؤ، ويلتقي هنالك في كل موسم تجار اللؤلؤ الأغنياء من جميع الإمارات، وقد أصبح لبعض تجار العرب مراكز ثابتة في بومباي، أقيمت فيها المدارس العربية ، وكان لانتشار تلك المدارس في بومباي أثر في إمارات الساحل العماني وتجاره ، وكان أثرها في استجابتهم بدواعي التقدم ، بنيت عده مدارس في الساحل العمُاني [٣٣]، ومن بين تلك المدارس التي تم أنشأها في إمارة الشارقة من قبل تاجر اللؤلؤ الشيخ علي المحمود التميمي مع بعض تجار اللؤلؤ في الشارقة هي مدرسة ابن خليف التي فتحت عام ١٩٠٢م ، وتُعد أول مدرسة في ساحل عمان سارت متشبهة بالمناهج الحديثة ، وفي عام ١٩٠٧م ، بنى المدرسة التيمية المحمودية [٣٤]، فضلا عن ذلك مساعدته للمدرسة الوهيبية التي تأسست عام ١٩١١ م في بلدة الحمرية بين الشارقة وام القيوين[٣٥] ، وأشتهر الشيخ علي المحمود التميمي بتوظيف معظم أمواله خدمة للتعليم في امارات الخليج العربي وكان له الفضل في إقامة العديد من المدارس في امارات الساحل المتصالح[٣٦].

وبذلك يكون الحال مشابهه في قطر حيث ازدادت فيها أعداد الكتاتيب في عهد تاجر اللؤلؤ الشيخ جاسم بن محمد بن آل ثاني التميمي التي كانت تدرس فيها القراءة والكتابة والقرآن الكريم [٣٧] ، ومن بين أهم تلك الكتاتيب: مدرسة الشيخ محمد الجابر التميمي التي تأسست عام ١٩٠٠م وقيل عام ١٨٩٩م، وقد كانت الأولى من نوعها في قطر من حيث تنوع موادها ، إذ إنها كانت تدرس فيها اللغة

العربية والحساب، إضافة إلى علوم القرآن والتفسير والفقه والحديث ، وقد سميت تلك الكتاتيب بالمدارس لأنها كانت أرقى من الكتاتيب علميًا [٣٨] ، شهدت في تلك المرحلة ظهور مدرسة نظامية عرفت باسم (المدرسة الرشدية) التي أنشئت عام ١٨٩٠ م ، الا انها اهملت بعد وفاة الشيخ جاسم التميمي عام ١٩١٣ م وأغلقت [٣٩] بعد تولي الشيخ عبدالله بن جاسم التميمي حكم قطر أولى اهتمامه بالتعليم وبذل جهوداً كبيرة في دعم الكتاتيب ، وبناء المدرسة (الأثرية) وهي أول مدرسة حديثة عرفتها قطر، كما استقدم العلماء والدعاة والقضاة والأدباء إلى بلاده، كالشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع التميمي والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود التميمي وغيرهما ، كما أخذ على عاتقه نشر أعداد كثيرة من كتب العلوم الشرعية القيمة، وتوزيعها على طلبة العلم بالمجان [٤٠] .

ويبدو أن التعليم في قطر وبقية أمارات الساحل العماني في ضوء ما ورد من معلومات المصادر التاريخية بأنة ممول من طبقات التجار والاغنياء ، منهم تجار اللؤلؤ قبيلة بني تميم ، إذ كان لتجارهم الأثر الواضح في بناء المدارس وتطوير مسيرة التعليم في قطر والساحل العماني ، وساهمو في تطور التعليم ومحاولة انعاشه وهكذا كان لهم دور في تطور أوضاع مشيخة قطر والساحل العمُاني السياسية والاقتصادية والاجتماعية على توالي السنين، وفي جميع مجالات الحياة العامة والخاصة بالنسبة لحكام المشيخة وسكانها.

ولم تكن أهمية اللؤلؤ تتعلق بما ذكرنا، بل ينعكس على الجوانب السياسية في العلاقة بين القوى السياسية في الخليج مع السلطات العثمانية في الأحساء لما تلعبه تلك الثروة من دور في النمو الاقتصادي ، إذ أثرت الخلافات بين العثمانيين والشيخ جاسم بن محمد ال ثاني التميمي عام ١٨٨٧م على التجارة في مشيخة قطر [٤١] ، نتيجة للهجوم الذي قام به قطاع الطرق واللصوص من البدو اذ عملوا على نهب (اسواق الدوحة) واموال التجار الايرانيين والجنود البريطانيين واعتدوا عليهم بالضرب بعد ان انسحب الشيخ جاسم بن محمد ال ثاني التميمي قائمقام مشيخة قطر من (الدوحة) ، فاستمرت الفوضى والقلاقل في تلك المدينة قرابة ستة شهور، الامر الذي دفع حكومة الهند البريطانية الى سحب تجارهم من الدوحة [٤٢]، كما ان الصراعات المستمرة بين الشيخ جاسم ال ثاني التميمي مع امارتي ابو ظبي ودبي على ناحيتي الزبارة، والعديد كان لها اثراً سلبياً على التجارة القطرية فقد ادى قتاله ضد هاتين الامارتين عام ١٨٨٩م الى توقف التجارة وخلو الاسواق من المواد الغذائية [٤٣]، فضلا عن ذلك الى الهجمات التي كانت تشنها السفن البريطانية بين الحين والآخر على قطر التي أثرت في التجارة القطرية وكان أبرزها الهجوم الذي شنتة السفن البريطانية على الزبارة عام ١٨٩٢ م وحرق اسواقها وتخريبها [٤٤] .

عرفت تجارة اللؤلؤ بأزدهارها قبل سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ، في منطقة الخليج العربي عامة [٤٥] لكن بعد قيام الحرب وتداعياتها الاقتصادية مثل توقف السفر بين الخليج والهند وكذلك إلى أوروبا ، وما تبع تلك الحرب من حالة الركود الاقتصادي في الأسواق عامة ما أدى إلى الكساد العالمي ولاسيما في قطر والساحل العُماني ؛ لعدم إقبال الناس على شراء اللؤلؤ تحديدًا الطبقات الأرستقراطية وغيرها بعد أن فقدت الكثير من السلطة والثروة والرغبة في التباهي، للانصراف عن اقتناء الكماليات ومنها اللؤلؤ، ومن تلك الطبقات أمراء و (مهراجات) في الهند وهؤلاء يقتنون كميات وافرة منه في زينة الملابس والتيجان والصولجانات ، وأستمر الكساد حتى نهاية الحرب ، لاسيما بعد قيام اليابان بإنتاج اللؤلؤ الصناعي، الذي تميز بألوانه المختلفة ورخص أثمانه ، وكانت لتلك المتغيرات آثارها السلبية على معيشة الأهالي من افراد قبيلة بني تميم حالهم حال كل القبائل الأخرى [٤٦] .

الخاتمة :

يتضح مما سبق ان قبائل بني تميم قد امتهنت الحرف البحرية ومنها مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ وتجارته التي كانت تمثل الركيزة الأساسية للدخل عند بني تميم في قطر والساحل العُماني واعدت هي العمود الفقري للاقتصاد المحلي ، منذ أزمنة بعيدة، وأدى البحر دوراً حيوياً في حياة أهالي منطقة الخليج العربي، ، واستطاعوا التغلب على الصعوبات والأخطار التي واجهتهم، وكانت المواد الغذائية شحيحة لا تسد حاجاتهم اليومية في الماضي ، وبذلك سافر التميميون من أجل التجارة إلى الهند، وعدن والعراق، ونتج عن ذلك جمع ثروات هائلة، وأصبحت مناطقهم سوق تجارية رائجة قصدتها قبائل الجزيرة العربية ، واعتمد أبناء قبيلة بني تميم على البحر اعتماداً كبيراً، وأمنوا حياتهم بالنقل البحري ، وازدهرت الملاحة في قطر ، وكانت مصدر رزقهم الوحيد ، كما امتهنوا مهنة صيد الأسماك، ومهنة الغوص بحثاً عن اللؤلؤ، واشتهر فيها نواخذة، وبحارة على درجة عالية من الخبرة والمعرفة، كما ظهر تجار اللؤلؤ، والطواشين الذين وصلوا الى الهند، وباريس من أجل بيع اللؤلؤ، وأدوا دوراً كبيراً في ذلك بالتالي كان لهذه القبيلة أسهامات واسعة في تنمية النشاط الاقتصادي ولا سيما في تجارة اللؤلؤ .

الهوامش :

(١) نجلاء حسن حامد ، صيد اللؤلؤ : تقاليد تحيا في الذاكرة ، مجلة الفيصل ، السعودية ، مج (١٩) ، العدد (٢١٨) ، ١٩٩٥م ، ص ٨٤.

(٢) سوره الرحمن ، الآية ٢٢.

(٣) سورة الحج، الآية ٢٣.

(٤) عماد كريم عباس الراوي وعلي ناجح محمد ، قطر ١٨٨٧ – ١٩١٣م دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية من خلال الوثائق العثمانية ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد (٢٥) ، العدد (١١) ، ٢٠١٨ م ، ص ٣٠٧ .

(٥) نقلا عن : عبد العزيز محمد المنصور ، التطور السياسي لقطر ، ١٩١٦- ١٩٤٩م ، ج ٢ ، ط ٢، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٤م ، ص ١٨ ؛ سعيد بن محمد الهاشمي ، سياسة الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني الداخلية وأثرها على القوى الخارجية (١٨٧٨ – ١٩١٣م) ، المجلة العلمية ، كلية الآداب، جامعة دمياط ، مج (٣) ، ج (٢) ، ع (٢) ، تموز ٢٠١٤ م ، ص ٣٨١.

(٦) الطواش هو تاجر اللؤلؤ الذي ينطلق نحو مناطق الصيد بعد بداية موسم صيد اللؤلؤ بأسابيع لفحص أنواع اللآلئ ومساومة النواخذة على الأسعار ولا يشترط أن يتواجد الطواش على ظهر السفينة، فهو يتنقل عبر السفن لشراء اللؤلؤ أثناء الموسم. كما أن بعض الطواويش ينتظرون السفن على الشواطئ فور انتهاء الموسم لشراء اللؤلؤ ومن ثم بيعه في الأسواق المحلية خصوصا سوق اللؤلؤ الموجود في البحرين أو العالمية وخصوصا الأسواق الهندية . ينظر : مثنى المصري وعمر عابدين ، سياسات بناء الهوية وإعادة إنتاج التراث الثقافي : حالة ثقافة مجتمع الغوص في دولة قطر ، مجلة تجسير الدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية البينية ، مركز ابن خلدون للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قطر ، مج (٦) ، ع(٢) ، ١٦، آب ٢٠٢٤م ، ص ١٥٧.

(٧) عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد ، الجبيل – ماضيها وحاضرها ،ادارة الشئون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٩٨٣م، ص٣٩

(٨) للمزيد من التفاصيل عن مهمته ومسؤوليات عناصر صناعة الغوص ينظر : صباح مهدي رميض ، مواسم صيد اللؤلؤ في دولة الامارات العربية المتحدة دراسة تاريخية في التراث المحلي ، في كتاب ، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الثقافة والنشر الكردية ، تسلسل رقم ١٣٦ ، ط١، بغداد ، ٢٠١٤ م ، ص١٢٢-١٥٣.

(٩) فضل بن عبد العزيز الراشد آل بوعينين و عادل بن مبارك الراشد آل بوعينين ، خفايا السنين بنسب وتاريخ قبيلة آل بوعينين ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عّمان ، ٢٠٢٠ م ، ص٢٧٥.

(١٠) النهار ، (جريدة) ، الكويت ، العدد (٢٣٣٧) ، ٢١ كانون الاول ٢٠١٤ م .ص٣٢.

(١١) خليل حمود الجابري ، تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي دراسة تاريخية وثائقية ١٩٤٧ -١٩٤٩ ، ط١ ، دار و مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٨م ، ص ١٥ -١٦؛ عقيل حامد حميد التميمي، التطورات السياسية في مشيخة أبو ظبي وعلاقاتها الخارجية ١٩١٤- ١٩٤٥ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م ، ص ٩٦ ؛ أبتسام عبد الامير حسون ، دولة الامارات العربية

المتحدة– دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، ١٩٨٣م ، ص ١١٠.

(١٢) حسام محمد عبد المعطي أحمد ،الدور السياسي لتجارة اللؤلؤ في تأسيس إمارة قطر ١٨٤٨–١٩١٣ ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ،مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين الشمس ، السنة (٥٠) ، العدد (١٠٧) ، ٢٠٢٥ م ، ص ٢٧٨.

(١٣) محمد عليخان بندر عباسي ، صيد اللؤلؤ المناص في أحوال الغوص والقوام ،ترجمه عن الفارسية : د. عيسى آمين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، وزارة الاعلام ، مملكة البحرين، ٢٠٠٨ م ، ص٣٦.

(١٤) علي شبيب المناعي وآخرون، الغوص على اللؤلؤ في قطر: تأصيل وتوثيق ، ج١ ، ط٢ ، المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)،(د. م) ، ٢٠١٤ م ، ص٤٩.

(١٥) محمد عليخان بندر عباسي ، المصدر السابق ، ص٣٦.

(١٦) علي شبيب المناعي وآخرون، المصدر السابق ، ص٤٩–٥٠.

(١٧) ناصر بن عبد الله العطية : ولد في قطر بأواخر الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، كان من كبار الطواويش في زمانه ومن أعيان البلاد وروادها ، ساهم بإنشاء وإحياء منطقة الخريطيات شمال الدوحة في حين أنه لعب دوراً هاماً وبارزاً بالحقل الإجتماعي والثقافي والإقتصادي كان من وجهاء أسرته ومرجعاً أساسياً لهم شارك وقومه بحرب الزبارة وذلك في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي كرمته الحكومة القطرية بإطلاق إسمه على أحد مدارسها الرسمية الكبرى تقديراً لمجهوداته ، توفي بالخريطيات عام ١٩٦٩م عن عمر ناهز ٨٥ عام . ينظر : ابراهيم عبد الكريم كريدية ، ابناء الشرق ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ٢٠٠٧ م ، ص٥٤٩.

(١٨) علي شبيب المناعي وآخرون، المصدر السابق ، ص٥٠–٥١.

(١٩) ناهض عبد الرزاق القيسي ، التجارة والنقود في دولة قطر خلال العصور الأسلامية ، مجلة كلية الآداب ، ع(٨٠) ، كلية الاداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠٧ م ، ص ٤٤٧.

(٢٠) أحمد الشرقاوي ومحمد خليل ، موسوعة أعلام قطر في القرن التاسع عشر ، مركز الراية النشر والإعلام ، القاهرة ، ٢٠١٣ م ، ص ١٠٦ –١٠٨؛ فضل بن عبد العزيز الراشد آل بوعينين و عادل بن مبارك الراشد آل بوعينين ، المصدر السابق ، ص٢٧٥.

(٢١) سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص في البحرين ، مجلة الوثيقة ، مركز الوثائق التاريخية ، البحرين ، السنة (٤) ، العدد (٧) ، تموز ١٩٨٥ م ، ص ١٨١–١٨٢.

(٢٢) يوسف بن عيسى بن عيد بوحجي : ولد عام ١٨٩٢ م بمدينة المحرق ، وهو تاجر عمل في الطواشة وتجارة اللؤلؤ وبيع مستلزمات الغوص كالأخشاب والمواد الغذائية والدهن وتجارة التمور ، تعود أصول اسرته آل بوحجي الى فخذ من آل ماضي من قبيلة تميم، وأنهم هاجروا لأسباب معيشية من نجد قبل قبل اكثر ١٥٠ عامًا بقيادة جدهم عيد بن محمد بوحجي ونزلوا أولاً في منطقة الطرف في الأحساء، بدليل وجود مزارع للنخيل هناك تحمل اسمهم، ثم انتقلوا إلى البحرين زمن حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لها، واستقروا في المحرق التي كانت عاصمة الأخير، وبالتحديد في فريج وحي بن خاطر حيث ولد ابنه عيسى ومن ثم أحفاده عبدالله واحمد وعلي ويوسف وعبد الرحمن وحفيداته الثلاث ، يُعد يوسف بوحجي وابنه محمد من ابرز الطواويش تجار اللؤلؤ المتميزين في مملكة البحرين بفرز وبيع وشراء اللؤلؤ الطبيعي، وفي عموم بلدان الخليج العربي والهند وبالتحديد

في مدينة بومباي المشهورة والمعروفة في أسواق بيع تجارة اللؤلؤ الطبيعي آنذاك ، كان خبيرًا ومُثمنًا لجميع أنواع وأصناف اللؤلؤ الطبيعي، وقد عُيّن من قبل الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين برئاسة لجنة فحص اللؤلؤ منذ تشكيلها في عام ١٩٣٣ م حيث كانت أول لجنة فحص اللؤلؤ ، كانت أبرز إنجازات مساهمته في بناء مدرسة النجاة الأهلية في الزبير العام ١٩٢٢ المساهمة في تأسيس شركة السيارات البرية والمواتر البحرية عام ١٩٢٣م ، التبرع لحفر الآبار الارتوازية عام ١٩٢٥ م ، المطالبة بتأسيس بلدية المحرق عام ١٩٢٧ م ،وتعيينه عضوًا في لجنة أيتام فلسطين عام ١٩٣٩ م لدعم أيتام وأرامل فلسطين ١٩٣٩ تبرعه لصالح فقراء الحد ١٩٤٢ م ، اكتتاب الخليج للطائرات المقاتلة عام ١٩٤٣م ، عضوية لجنة إسعاف منكوبي حريق بوماهر عان ١٩٤٥ م التبرع لأيتام فلسطين ،عام ١٩٤٨م تعيينه عضوا بمجلس بلدية المحرق عام ١٩٥٠ م التبرع لبناء مسجد الجامع الشمالي بالمحرق ١٩٥٢ شارك في لجنة منكوبي حريق القضيبية عام ١٩٥٣م ، ودعم لجنة تسليح الجيش المصري عام ١٩٥٥ م ، ولجنة فحص اللؤلؤ عام ١٩٥٧ م مساعدة المنكوبين في حريق الحد ، ١٩٥٩ وتعيينه عضوًا في لجنة المتضررين من العاصفة عام ١٩٥٩م ،وتوفي عام ١٩٧٩ م ودفن بمقبرة المحرق. ينظر : البلاد ، (جريدة) ، البحرين ، العدد (٤٨٩١) ، الأحد ٦ آذار ٢٠٢٢ ، ص٢٧ ؛ الأيام ، (صحيفة) ، البحرين ، العدد (٩٢٧٩) ، الجمعة ٥ أيلول ٢٠١٤ م .

(٢٣) البلاد ، (جريدة) ، البحرين ، العدد (٤٨٩١) ، الأحد ٦ آذار ٢٠٢٢ م ، ص٢٧.

(٢٤) محمد بن راشد بن هندي المناعي : هو الوجيه البحريني محمد بن راشد بن هندي ، ولد في مدينة المحرق البحرينية عام ١٨٥٠ م ، ينتسب إلى قبيلة المنانعة وكان أجداده قد شاركوا الشيخ أحمد الفاتح في استخلاص الأرخبيل من حكم الشيخ نصر آل مذكور الفارسي عام (١١٩٧هـ – ١٧٨٣م)، له عده مواقف منها إقراض الحكومة لتوسيع فرضة المنامة ١٩١٧ وساهموا في النهضة الشاملة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية التي شهدتها البحرين خلال القرنين ونصف القرن الماضيين ، تلقى ابن هندي اعلومه في حلقات علم العاصمة ثم اتجه للأعمال الحرة فاستهوته تجارة اللؤلؤ وأضحى خلال فترة بسيطة من كبار تجارها ومن أبرز الطواويش المشهورين في البحرين في حين أنه ساهم في عدة مجالس رسمية لعل أهمها المجلس الأعلى للادارة الخيرية للتعليم بالمحرق ، تم تعيينه عضواً في مجلس إدارة التعليم الخيرية عام ١٩٢٠ م ، وساهم في النهضة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد في زمانه في حين أنه تقاعد في آخر أيامه وسلّم راية أعماله ومركزه الاجتماعي إلى ابنه صالح وأحفاده حتى وافته المنية عن عمر ناهز السبعين عام. ينظر : بشار بن يوسف الحادي ، أعيان البحرين في القرن الرابع عشر الهجري في القرن الرابع عشر الهجري ، ج ٥ ، البحرين ، ٢٠١٤ م ، ص ٣٢٥-٣٦٩؛ ابراهيم عبد الكريم كريدية ، المصدر السابق ، ص٤١٣.

(٢٥) هوعبدالله بن خليفة بن درويش بن سالم بن درويش آل بن عجمي المناعي ، ولد في قرية قلالي في سبعينات القرن التاسع عشر الميلادي (مابين عامي ١٨٧٠ – ١٨٧٥ م تقريبًا)، ،نشأ عبدالله في بيت يعمل أغلب أفراد عائلته في صيد اللؤلؤ وتجارته ، فاشتغل في المهنة ذاتها ، ولكن عمله اقتصر على الطواشة في البر ، وشراء اللؤلؤ وبيعه ، ولم يذكر عنه أنه امتلك سفينة يذهب بها إلى هيرات الغوص لشراء اللؤلؤ ، وقيل أنه في شبابه عمل غيص عند أحد نواخذة الغوص ،فقد تزوّج عبد الله من هيا بنت علي بن الشيخ سالم بن درويش) وانجبت له : لولوة وحصة ونورة . ويقال أنه انجب من هيا ولداً اسمه (محمد) توفي طفلاً صغيراً ، وفي غضون سنوات

عمره جمع عبدالله ثروة كبيرة ، جعلته من كبار تجار اللؤلو، أوصى عبدالله قبل وفاته بثلث ثروته وقفاً لعمل الخير ، توفي عام ١٩٢٠ تقريبًا . ينظر : احمد علي المناعي ، البحرين ، تاريخ النشر ، ٢٠١٦ ، ؛ على موقع المنانعة ، https://almannai.net/ ، تاريخ الدخول ، ٢٠٢٥/٦/٤م .

(٢٦) عيسى بن علي المناعي : هو أحد أشهر تجار اللؤلؤ في المحرق بالبحرين ، ولد عام ١٨٦١ م، تزوج في الكويت من (مزنة بنت عبد العزيز) وهي من نجد عنيزة وأحضرها إلى البحرين ، توفي عام ١٩٥٢ م . ينظر : بشار بن يوسف الحادي ، المصدر السابق ، ص ١٩٥.

(٢٧) سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص في البحرين ،المصدر السابق ، ص ١٨١-١٨٢.

(٢٨) عبدالله عيسى بن علي المناعي : أحد الطواويش البارزين المعروفين في البحرين والخليج العربي ، ولد في قرية قلالي عام ١٩١٠ م ، تميز بمعرفته في انواع اللؤلؤ وجودته . كان عضوا في مجلس التجارة والغوص عام ١٩٥٦ولجنة فحص اللؤلؤ عام ١٩٥٧. .ينظر : راشد الزياني ، الغوص والطواشة ،مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر ، المنامة ، ١٩٩٨م ، ص١١٦؛ بشار بن يوسف الحادي ، المصدر السابق ، ص ١٩٥-٢٠٤.

(٢٩) عبدالله بن احمد بن المناعي : هو أحد الطواويش البارزين النشيطين في زمانه ، وعلاوة على كونه طواشا الا انه كان يمارس تجارة اللؤلؤ في البلاد ويواصل ممارستها في الهند بعد انقضاء موسم الغوص في البحرين.ينظر : راشد الزياني ، المصدر السابق ، ص١١٥.

(٣٠) عبد الله علي الطابور ، المحمود صفحات مضيئة في تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ،٢٠٠١م ، ص١٣٤-١٣٥.

(٣١) المصدر نفسه .

(٣٢) حليمة على يحيى النقمى ، تجار اللؤلؤ وتحديث التعليم والثقافة في الإمارات في النصف الأول من القرن العشرين ، مجلة "وقائع "تاريخية" ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، عدد (٣٤) ، ٢٠٢١ م ، ص ٥٥٤-٥٥٥.

(٣٣) عفراء عطا عبد الكريم الريس، بنو ياس ودورهم في ظهور إمارة أبو ظبي ١٧٦١م ١٩١٤م، ط ١ ، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٥م ، ص ١٥١.

(٣٤) عبد الله علي الطابور ، المحمود صفحات مضيئة ، في تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، المصدر السابق ، ص١٤٢-٤٥؛ سلمى صلاح القبطي ، المدرسة الأثرية في قطر (١٩١٦ - ١٩٣٨) ، مراجعة : حسن العبدالله ،وزارة الثقافة (مطابع الوراق) ،الدوحة ، ٢٠٢٢م ، ص٣٤.

(٣٥) عبد الله علي الطابور ، المحمود صفحات مضيئة ، في تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، المصدر السابق ، ص١٤٢

(٣٦) أحمد عبد السلام عزت ، التنمية والحكم المحلي في إمارة دبي للمدة ١٩٩٥ -٢٠١٨ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٢٠ م ، ص٤٢.

(٣٧) يوسف بن إبراهيم العبد الله ، بدايات التعليم في قطر في عهد الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني ، مجلس التعاون لدول الخليج العربية – جمعية التاريخ والآثار ،ع (١١) ، ٢٠٠٦ م ،ص٥٥٠-٥٥٣.

(٣٨) سلمى صلاح القبطي ، المصدر السابق ، ص١٢.

(٣٩) يوسف بن إبراهيم العبد الله ، المصدر السابق ،ص٥٥٠-٥٥٣ ؛ عبد الله بن حسين السادة ، الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني مؤسسة دولة قطر (١٨٢٥ - ١٩١٣) الجانب الثقافي في حياته ، دار سعد الدين، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع ،جدة ، ٢٠٠٩م ، ص٢٤.

(٤٠) الرياض ، (جريدة) ، السعودية ، العدد (١٤٨١٦) ، الجمعة ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٩م ؛ يوسف بن إبراهيم العبد الله ، المصدر السابق ،ص٥٥٠-٥٥٣.

)41(Başbalanlik Osmanli Arşivi , Yıldız Sadaret Hususi Maruzat Evrakı,, 60/12, Tarihi 1892.

(٤٢) عبد العزيز محمد المنصور، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٤٣) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، قطر الحديثة قراءة في وثائق سنوات نشأة إمارة آل ثاني ١٨٤٠ -١٩١٦ ، ط١ ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠١٣م ، ص ٩٦.

)44(BOA , Dahiliye Nezareti Tesri-i Muamelat ve Islahat Komisyonu .42/5-41, Tarihi 1903.

؛ عماد كريم عباس الراوي وعلي ناجح محمد ، المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٤٥) هارولد ديكسون ، عرب الصحراء ، تقديم : علي عفيفي علي غازي ، ترجمة : شهد عمار شامي ، ط١ ، مركز طروس للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠٢٣ م، ص ٥٣٥.

(٤٦) الوسط ، (صحيفة) ، البحرين ، العدد (٣٠٨٦)، الخميس ١٧ شباط ٢٠١١ م ، موزة سلطان الجابر ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في قطر ١٩٣٠-١٩٧٣م ، ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية الدوحة، ٢٠٠٢م ، ص ٢٠؛ عبد القادر بن حمود القحطاني ، حكم الشيخ محمد بن ثاني لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٦-١٨٧٨م ، مجلة أنساق، مج (٦) ، ع (١) ، كلية الاداب والعلوم ، دار نشر بجامعة قطر ، ٢٠٢٢ م، ص١٢٧.

قائمة المصادر:

أولا : القران الكريم

١) سورة الحج، الآية ٢٣.

٢) سوره الرحمن ، الآية ٢٢.

ثانيًا : الأرشيف العثماني وثائق رئاسة الوزراء في إسطنبول (BOA)

1) Başbalanlik Osmanli Arşivi , Yıldız Sadaret Hususi Maruzat Evrakı,, 60/12, Tarihi 1892.
2) Başbalanlik Osmanli Arşivi , Dahiliye Nezareti Tesri-i Muamelat ve Islahat Komisyonu .42/5-41, Tarihi 1903.

ثالثًا : الرسائل والاطاريح الجامعية

١) أبتسام عبد الامير حسون ، دولة الامارات العربية المتحدة– دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، ١٩٨٣م ،
٢) أحمد عبد السلام عزت ، التنمية والحكم المحلي في إمارة دبي للمدة ١٩٩٥ –٢٠١٨ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٢٠ م .
٣) عقيل حامد حميد التميمي، التطورات السياسية في مشيخة أبو ظبي وعلاقاتها الخارجية ١٩١٤–١٩٤٥ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٠م .

رابعًا : الكتب العربية والمعربة

١) ابراهيم عبد الكريم كريدية ، ابناء الشرق ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
٢) أحمد الشرقاوي ومحمد خليل ، موسوعة أعلام قطر في القرن التاسع عشر ، مركز الراية النشر والإعلام ، القاهرة ، ٢٠١٣ م
٣) بشار بن يوسف الحادي ، أعيان البحرين في القرن الرابع عشر الهجري في القرن الرابع عشر الهجري ، ج ٥ ، البحرين ، ٢٠١٤ م .
٤) خليل حمود الجابري ، تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي دراسة تاريخية وثائقية ١٩٤٧ – ١٩٤٩ ، ط١ ، دار و مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٨م .
٥) راشد الزياني ، الغوص والطواشة ،مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر ، المنامة ، البحرين ، ١٩٩٨م
٦) سلمى صلاح القبطي ، المدرسة الأثرية في قطر (١٩١٦ – ١٩٣٨) ، المراجعة : حسن العبدالله ،وزارة الثقافة (مطابع الوراق) ،الدوحة ، ٢٠٢٢م .
٧) صباح مهدي رميض ، مواسم صيد اللؤلؤ في دولة الامارات العربية المتحدة دراسة تاريخية في التراث المحلي ، في كتاب ، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الثقافة والنشر الكردية ، تسلسل رقم ١٣٦ ، ط١، بغداد ، ٢٠١٤ م .
٨) عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد ، الجبيل – ماضيها وحاضرها ،ادارة الشئون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٩٨٣ م

٩) عبد العزيز المنصور ، التطور السياسي لقطر ، ١٩١٦- ١٩٤٩م ، ج ٢ ، ط ٢ ، ذات السلاسل, الكويت ، ١٩٨٤م .
١٠) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، قطر الحديثة قراءة في وثائق سنوات نشأة إمارة آل ثاني ١٨٤٠ -١٩١٦ ، ط١ ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠١٣م .
١١) عبد الله بن حسين السادة ، الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني مؤسسة دولة قطر (١٨٢٥ - (١٩١٣) الجانب الثقافي في حياته ، دار سعد الدين، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع ،جدة ، ٢٠٠٩م .
١٢) عبد الله علي الطابور ، المحمود صفحات مضيئة في تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ،٢٠٠١م
١٣) عفراء عطا عبد الكريم الريس، بنو ياس ودورهم في ظهور إمارة أبو ظبي ١٧٦١م ١٩١٤م، ط ١ ، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٥م .
١٤) علي شبيب المناعي وآخرون، الغوص على اللؤلؤ في قطر: تأصيل وتوثيق ، ج١ ، ط٢ ، المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)،(د. م) ، ٢٠١٤ م
١٥) فضل بن عبد العزيز الراشد آل بوعينين و عادل بن مبارك الراشد آل بوعينين ، خفايا السنين بنسب وتاريخ قبيلة آل بوعينين ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عّمان ، ٢٠٢٠ م .
١٦) محمد عليخان بندر عباسي ، صيد اللؤلؤ المناص في أحوال الغوص والقوام ،ترجمه عن الفارسية : د. عيسى آمين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وزارة الاعلام ، مملكة البحرين، ٢٠٠٨ م .
١٧) موزة سلطان الجابر ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في قطر ١٩٣٠-١٩٧٣م ، ، مركزالوثائق والدراسات الإنسانية الدوحة، ٢٠٠٢م
١٨) هارولد ديكسون ، عرب الصحراء ، تقديم : علي عفيفي علي غازي ، ترجمة : شهد عمار شامي ، ط١ ، مركز طروس للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠٢٣ م.

خامسًا : الدوريات (الصحف والمجلات العلمية)

أ- الصحف

١) الايام ، (صحيفة) ، البحرين ، العدد (٩٢٧٩) ، الجمعة ٥ أيلول ٢٠١٤ م
٢) البلاد ، (جريدة) ، البحرين ، العدد (٤٨٩١) ، الأحد ٦ آذار ٢٠٢٢ م .
٣) الرياض ،(جريدة) ، السعودية ، العدد (١٤٨١٦) ، الجمعة ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٩م .

٤) النهار ، (جريدة) ، الكويت ، العدد (٢٣٣٧) ، ٢١ كانون الأول عام ٢٠١٤ م .
٥) الوسط ، (صحيفة) ، البحرين ، العدد (٣٠٨٦)، الخميس ١٧ شباط ٢٠١١ م .

ب- المجلات العربية

١) حسام محمد عبد المعطي أحمد ،الدور السياسي لتجارة اللؤلؤ في تأسيس إمارة قطر ١٨٤٨-١٩١٣ ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ،مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين الشمس ، السنة (٥٠) ، العدد (١٠٧) ، ٢٠٢٥ م .
٢) حليمة على يحيى النقمى ، تجار اللؤلؤ وتحديث التعليم والثقافة في الإمارات في النصف الأول من القرن العشرين ، مجلة "وقائع "تاريخية" ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، عدد (٣٤) ، ٢٠٢١ م .
٣) سعيد بن محمد الهاشمي ، سياسة الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني الداخلية وأثرها على القوى الخارجية (١٨٧٨ – ١٩١٣م) ،مج (٣) ، ج (٢) ، ع (٢) ، المجلة العلمية كلية الآداب، جامعة دمياط ، تموز ٢٠١٤ .
٤) سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص في البحرين ، مجلة الوثيقة (دورية نصف سنوية) ، رئيس التحرير : الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ، مركز الوثائق التاريخية ، البحرين ، العدد السابع – السنة الرابعة ، تموز ١٩٨٥ م .
٥) عبد القادر بن حمود القحطاني ، حكم الشيخ محمد بن ثاني لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٦-١٨٧٨م ، مجلة أنساق، المجلد السادس، العدد الأول ، كلية الاداب والعلوم ، دار نشر بجامعة قطر ، ٢٠٢٢ م.
٦) عماد كريم عباس الراوي وعلي ناجح محمد ، قطر ١٨٨٧ – ١٩١٣م دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية من خلال الوثائق العثمانية ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد (٢٥) ، العدد (١١) ، ٢٠١٨ م .
٧) مثنى المصري وعمر عابدين ، سياسات بناء الهوية وإعادة إنتاج التراث الثقافي : حالة ثقافة مجتمع الغوص في دولة قطر ، مجلة تجسير الدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية البينية ، مركز ابن خلدون للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قطر مج (٦) ، ع(٢) ، ١٦، آب ٢٠٢٤م
٨) ناهض عبد الرزاق القيسي ، التجارة والنقود في دولة قطر خلال العصور الأسلامية ، مجلة كلية الآداب ، ع (٨٠) ، كلية الاداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠٧ م .

٩) نجلاء حسن حامد ، صيد اللؤلؤ : تقاليد تحيا في الذاكرة ، مجلة الفيصل ، السعودية ، مج (١٩) ، العدد (٢١٨) ، ١٩٩٥م .

١٠) يوسف بن إبراهيم العبد الله ، بدايات التعليم في قطر في عهد الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني ، مجلس التعاون لدول الخليج العربية – جمعية التاريخ والآثار ،ع (١١) ، ٢٠٠٦ م .

سادسًا: شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)

١) احمد علي المناعي ، البحرين ، تاريخ النشر ، ٢٠١٦ ، ؛ على موقع المنانعة ، https://almannai.net/ ، تاريخ الدخول ، ٤/٦/٢٠٢٥م).

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الانعكاسات السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية للثورة الإسلامية الإيرانية على سوريا (١٩٧٩-١٩٨٩)

Reflection -Political,Economic, Cultural, and Intellectual-of the Iranian Islamic Revolution on Syria (1989-1979).

أ.م.د روافد جبار شرهان
PHD, Rawafid Jabbar Sharhan
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ
Al-Mustansiriyah university / College of education / Department of History
Email : dr.rwafed.j.sh@uomustansiriyah.edu.iq
Phone No. : 07740268158

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

يتناول هذا البحث اثر الثورة الإسلامية في ايران عام ١٩٧٩ على مسار العلاقات الايرانية– السورية, مع التركيز على الابعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية خلال أواخر السبعينيات وعقد الثمانينيات. ويظهر ان الثورة شكلت نقطة تحول أساسية أسهمت في إعادة صياغة الدور الإقليمي لسوريا, وارست أسس تحالف استراتيجي طويل الأمد مع ايران . تطرق البحث أيضا الى رصد المواقف السياسية السورية, إضافة الى تطور التعاون الثنائي عبر الاتفاقيات الاقتصادية, والدعم النفطي, والدبلوماسية الثقافية .وتجاوز العلاقات بين البلدين تجاوزت المصالح البراغماتية لتتخذ بعدا أيديولوجيا اسهم في التأثير في الخطاب الداخلي وتعزيز الموقع الإقليمي لسوريا ضمن محور مناهض للنفوذ الغربي والصهيوني .

الكلمات المفتاحية : (ايران – سوريا – الأيديولوجية – الأنشطة – الخميني)

Abstract

This study analyzes the impact of the Iranian Islamic Revolution of 1979 on Iranian- Syrian relations, focusing on political alignment economic cooperation ,and cultural – ideological interaction during the late 1970 and 1980 s .It argues that the revolution constituted a major turning point that reshaped Syria's regional role and contributed to the establishment of along – term strategic alliance between Damascus and Tehran .Adopting ahistorical –analytical approach , the study examines Syrian political positions towards the revolution , the diversity of societal responses within Syria , and the expansion of bilateral

relation through oil agreements ,economics support and cultural diplomacy . the findings indicates that Iranian and Syrian relation
extended beyond pragmatics interties to include an ideological dimension that influenced domestics discourse and regional strategies reinforcing Syria's position within the axis opposing Western and Israeli influence .

Key words: (Iran – Syria – Ideology – Activities – Khomeini)

المقدمة

شكلت الثورة الإسلامية في ايران عام ١٩٧٩ حدثا مفصليا في تاريخ المنطقة, اذ لم تقتصر اثارها على الداخل الإيراني, بل امتد تأثيرها الى محيطها الإقليمي, ولا سيما سوريا, التي تبنت الموقف الداعم للثورة خلافا لمواقف عدد من الدول العربية وقد اسهم هذا الموقف في إرساء أسس تقارب سياسي واستراتيجي بين البلدين, تطور لاحقا ليأخذ ابعاد اقتصادية وثقافية وفكرية .

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسية مفادها : هل أسهمت الثورة الإسلامية الإيرانية في احداث تحول أيديولوجي حقيقي في السياسة السورية ام انها اعادت انتاج تحالف سياسي قائم على المصالح الاستراتيجية المشتركة؟ وتسعى للإجابة عن هذه الإشكالية من خلال تحليل مسار العلاقات الإيرانية – السورية منذ قيام الثورة وحتى نهاية ثمانينات القرن العشرين .

المبحث الأول

العلاقات الإيرانية السورية ١٩٤٦-١٩٧٩

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد استقلال سوريا عام ١٩٤٦, بعدها تم افتتاح القنصلية الإيرانية في دمشق وتحولت القنصلية الى سفارة عام ١٩٤٧ وعين مرتضى مشفق كاظمي[١] كأول سفير لإيران في دمشق[٢] .

كانت العلاقة بين ايران وسوريا قبل انتصارات الثورة الإسلامية على مستوى متدن وشهد مدا وجزرا على الدوام, والسبب يعود في ذلك الى الاختلاف الرئيسي بين نظامي الحكم واهداف ومبادئ البلدين, اذ كانت ايران في زمن الشاه محمد رضا بهلوي[٣] تحظى بدعم أميركي واكبر مساند وشريك اقتصادي لإسرائيل في المنطقة. وكان الشاه من اوائل من اعترف بالكيان الصهيوني, ومارس سياسة منحازة لإسرائيل وأميركا, بل كان احد ادواتها المنفذة الأساسية في المنطقة وفي الصراع العربي الإسرائيلي والحال هذه, فان سوريا كانت ترى في نظام الشاه بانه سلم مصير ايران كدولة مسلمة وكإحدى الدول الأساسية في المنطقة الى الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل [٤] وقد وقفت سوريا في الجهة المعارضة تماما لهذا الموقف الإيراني, ولهذا السبب كان من الطبيعي ان تكون العلاقات بين البلدين ليست ودية .

تدهورت العلاقات بين البلدين في عام ١٩٦٥ بسبب موقف رئيس الوزراء السوري آنذاك بخصوص محافظة خوزستان (او ما يسميها بعرب ستان)[٥] . وقد خفت حدة هذا التدهور الى حد ما بعد المساعدات المالية والدعم الاقتصادي النفطي الذي قدمته الحكومة الإيرانية للعرب في حرب عام ١٩٦٩ مع الكيان الصهيوني وفي هذا السياق قدمت الحكومة الإيرانية آنذاك مساعدات ملحوظة الى اللاجئين في الأراضي السورية, وفي نفس العام دخلت مجموعة من الافراد السفارة الإيرانية في دمشق بشكل غير مشروع والحقوا الضرر بممتلكات السفارة, وقدمت الحكومة السورية وعن طريق ممثلها اعتذارا رسميا الى ايران بهذا الشأن وقد تكررت هذه الحادثة عام ١٩٧١[٦] . استمرت العلاقة بين البلدين بالفتور وعدم الاستقرار, اذ اعتبر النظام البهلوي ان سوريا البعثية وبسبب تحالفها الوثيق مع الاتحاد السوفييتي ودعمها للحركات العربية الراديكالية, تمثل تهديدا إقليميا, وبعد استلام حافظ الأسد [٧] , السلطة بعد الحركة التصحيحية [٨] التي قادها لم يحدث تحسن ملحوظ في العلاقات الثنائية بين البلدين، بل ادانة في تموز ١٩٧٣ المحاولة الانقلابية, المدعومة من ايران ضد جناح حزب البعث الحاكم في العراق آنذاك، ومع ذلك أدت حرب تشرين – أكتوبر – ١٩٧٣ الى فتح قنوات جديدة للتقارب، حيث قدمت طهران دعما لوجستيا وطبيا غير عسكري للدول العربية المشاركة في الحرب، الامر مهد لتطوير العلاقات الدبلوماسية ورفعها الى مستوى السفراء بحلول نهاية ١٩٧٣، ومع انتهاء حرب ١٩٧٣ شهدت العلاقات بين البلدين فترة من الاستقرار النسبي, لكنها لم تصل الى مستوى تحالف استراتيجي, اذ بقيت الخلافات الجوهرية قائمة بسبب تقارب طهران من الولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني فضلا عن موقفها الداعم لاتفاقية الجزائر[٩] الذي انهى دعمها للأكراد العراقيين وهو ما اعتبرته دمشق خطوة لتعزيز موقف بغداد التي كانت على خلاف حاد معها, وخيب حكومة دمشق التي كانت تراهن على انشغال بغداد بالملف الكردي آنذاك ومع ذلك استمر الجانبان بالحفاظ على قنوات دبلوماسية مفتوحة [١٠]. كان امر ترك القنوات الدبلوماسية مفتوحة بادرة لتحسن العلاقات بين البلدين اما الامر الذي زاد من تطورها فيعود الى المساعدات المادية التي قدمتها الحكومة الإيرانية الى سوريا ومن بينها منحها المساعدة بمبلغ (٥٠ مليون دولار) وتسليمها قرضا بمبلغ (١٥٠ مليون دولار), وبطبيعة الحال فان الوضع الاقتصادي قد تحسن كثيرا لإيران على اثر ارتفاع أسعار النفط في تلك الفترة مما ساهم في مساعدتها في سوريا, كان سبب ارتفاع أسعار النفط يعود الى الحظر النفطي الذي فرضه العرب على الكيان الصهيوني, وتم تقديم المساعدة الى سوريا بهذا الاتجاه أيضا, واعتبر تقديم القرض من ايران الى سوريا عاملا كبيرا في تطور العلاقات بين البلدين, وكان الانعطاف الكبير في العلاقات بينهما قبل انتصار الثورة الإسلامية هي الزيارة التي قام بها حافظ الأسد الى ايران عام ١٩٧٦ والتي استغرقت أربعة أيام , وصدر بيان مشترك في ختام هذه

الزيارة وتم التأكيد في هذا البيان على السلام العادل في الشرق الأوسط وانسحاب الكيان الصهيوني من الأراضي المحتلة , وتنفيذ قرارات مجلس الامن فيما يتعلق بالشرق الأوسط وضرورة تطور العلاقات بين البلدين[١١] وكانت اخر التطورات الدبلوماسية تضمن حديثين كان احدهما برقية التهنئة التي بعث بها الشاه الى حافظ الأسد بمناسبة إعادة انتخابه رئيسا للجمهورية [١٢], والثاني هو البيان الذي أصدره الشاه واعرب فيه عن قلقه لاختفاء الامام موسى الصدر[١٣], ومع ذلك استمر الجانبان بالحفاظ على العلاقات الدبلوماسية حتى سقوط النظام البهلوي مطلع عام ١٩٧٩, وقد مثلت الثورة الإسلامية منعطفا حاسما في مسار العلاقات بين البلدين, وكان حافظ الأسد من أوائل القادة العرب الذين بادروا الى تهنئة القيادة الجديدة في طهران معلنا دعمه العلني للثورة[١٤] حيث كان حافظ الأسد ينافس العراق على زعامة العالم العربي, واستخدام التحالف مع طهران لموازنة القوى مع بغداد, وهكذا مثلت العلاقات الإيرانية – السورية منذ منتصف السبعينات محورا استراتيجيا في سياسة الشرق الأوسط وفرت للطرفين أداة لتحقيق مصالحها الإقليمية رغم الضغوط العربية والدولية .

المبحث الثاني

سقوط نظام الشاه واستقبال حافظ الأسد للحدث

ان الروابط والصلات بين ايران وسوريا مترسخة منذ القدم بسبب وجود الطائفة الشيعية بين البلدين , وان الأقلية العلوية الحاكمة في سوريا كانت ومنذ استلامها السلطة تتعامل بشكل إيجابي مع ايران ولبنان , وتحولت سوريا الى قاعدة لأعداد المجاهدين الإيرانيين طيلة فترة وجود الامام الخميني في العراق , وكانت اشرطة التسجيل التي تتضمن احاديث الامام الخميني تستنسخ في سوريا في اغلب الأوقات ومن ثم تنتقل الى بلدان أخرى [١٥] وبعد اختفاء الامام موسى الصدر, طلب الامام الخميني من حافظ الأسد ابداء المساعدة للعثور على زعيم الشيعة في لبنان وقد استثمر حافظ الأسد قضية اختفاء موسى الصدر لصالحه من اجل تعزيز دور سوريا السياسي والقيادي والإقليمي عبر ابراز القضية في المحافل العربية والإسلامية, حيث عقد في دمشق مؤتمر(جبهة الصمود والتصدي) لمناقشة القضية الفلسطينية بحضور رؤساء الدول الإسلامية [١٦] وطرح حافظ الأسد الأفكار التي تضمنتها رسالة الامام الخميني له [١٧] التي طالبه فيها بطرح قضية اختفاء الامام موسى الصدر وان هذا المؤتمر لم يكن مجرد اجتماع رمزي بل كان بمثابة تحرك دبلوماسي يسعى لتحريك الراي العام وتعزيز المشاركة الدولية في المطالبة بإيجاد إجابات عن مصير الصدر, وفتح المجال للنقاش حول القمع السياسي, وحقوق الانسان في ظل الأنظمة المستبدة, هذه الخطوة عززت من التضامن الإسلامي مع القضية ووضعت سوريا في مركز الموقف الداعم للإمام المغيب موسى الصدر[١٨]

كان حافظ الأسد واحدا من القادة القلائل اللذين تواصل معهم الامام الخميني اثناء تسفيره حيث بعث ببرقيات مباشرة لهم يطلب فيها المساعدة للحركة الإسلامية للشعب الإيراني[١٩] لم تكتفي دمشق في مؤتمر (جبهة الصمود والتحدي) من طرح قضية الامام الغائب بل ادانت نظام القذافي لأنه لم يحافظ على حياته خلال زيارته الرسمية لليبيا وسمحت كذلك باستخدام أراضيها لنقل خطابات الامام الخميني ورسائله التي دعت الى كشف مصير الصدر ومحاسبة المتورطين, هذا الموقف منح سوريا موقعا معنويا في بناء جسور الثقة بين حافظ الأسد والامام الخميني [٢٠]

بعد نفي الامام الخميني من العراق في تشرين الأول ١٩٧٨ استثمرت دمشق هذا الحدث لتأكيد موقعها الإقليمي, ففتحت أراضيها امام المعارضة الإيرانية وسمحت باستخدام الاعلام السوري لبث رسائل الامام الخميني وخطاباته الى الداخل الإيراني[٢١] لمواجهة سلوكيات محمد رضا شاه, والتواصل أيضا مع المعارضة الإسلامية داخل ايران التي أوضحت برنامجها في مواجهة الشاه وإعادة الاعتبار لإيران وتاريخها, من خلال رفضها للسياسة الامريكية، واعتبار إسرائيل كيانا مصطنعا مقاما على حساب الفلسطينيين والمسلمين عموما، وفي هذا الاطار استضافت سوريا في مرحلة من المراحل الامام الخميني, وكان الناشطون الإيرانيون المقربون من الامام الخميني يتحركون بجوازات سفر دبلوماسية سوريه للتمويه [٢٢] اشارت مجلة **Monday Morning** اللبنانية ان القيادة السورية اعتبرت دعمها للإمام الخميني امتداد لموقفها المناهض للشاه وسياسته الإقليمية , هذا التقارب المبكر أسس لثقة متبادلة بين حافظ الأسد والقيادة الثورية في ايران [٢٣] شهدت ايران في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي تصاعدا غير مسبوق في حدة المعارضة ضد النظام الشاهنشاهي نتيجة السياسة الاستبدادية وتزايد النفوذ الغربي في ايران, ولد حالة من الغليان الشعبي, ومع اشتداد المظاهرات عام ١٩٧٨ . بدأت ملامح ثورة شاملة تتبلور بقيادة الامام الخميني, في هذه المرحلة كان الموقف السوري مراقبا عن كثب, اذ رأى حافظ الأسد في ضعف نظام الشاه فرصة لإعادة التوازن في المنطقة وتقويض التحالف الإيراني – الصهيوني, لذلك اتخذ الأسد موقفا داعما للمعارضة الإيرانية, وصنع الأساس لتحالف سيستمر بعد انتصار الثورة الإسلامية في ١١/ شباط/ ١٩٧٩[٢٤].

عندما اندلعت الثورة الإسلامية في ايران, كانت سوريا من أوائل الدول التي وقفت الى جانب الامام الخميني, وقدم حافظ الأسد دعما علنيا سياسيا للقيادة الإيرانية الجديدة, أرسلت دمشق برقية تهنئة بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية [٢٥], وأيضا بعثت له مصحفا مذهبا كرمز للتايد في خطوة عكست رغبة الأسد في بناء تحالف يستند الى اعتبارات مذهبية وسياسية ضد نظام الشاه هذا الدعم المبكر مكن دمشق من ان تصبح شريكا محوريا لإيران الجديدة[٢٦]

أحدثت الثورة الإسلامية تحولا جذريا في ميزان القوى في الشرق الأوسط اذ خسرت الولايات المتحدة الأميركية اهم حليف لها في الخليج العربي, وانقطع التنسيق الإيراني – الصهيوني الذي شكل ركيزة للأمن الإقليمي سابقا، هذا التغيير أتاح لحافظ الأسد فرصة لتعزيز موقع سوريا الاستراتيجي من خلال التقارب مع ايران الجديدة لموازنة نفوذ العراق, وتثبيت موقعها في محور الرفض لاتفاقية **(كامب ديفيد – Camp David)** [٢٧] , كما منحها التحالف مع طهران دعما سياسيا وعسكريا في لبنان خاصة بعد اندلاع الحرب الاهلية فيها وتصاعد الصراع مع الكيان الصهيوني [٢٨] حيث وفر الدعم الايراني لاسيما من خلال تأسيس الحرس الثوري في البقاع اللبناني غطاء سياسيا وعسكريا لدمشق في مواجهة خصومها الداخليين والاقليميين هذا التعاون سهل على سوريا ضبط موازين القوى داخل لبنان وعزز قدرتها على مواجهة النفوذ الصهيوني, ما جعل دمشق لاعبا اساسيا في المعادلة اللبنانية – الاقليمية خلال الثمانينات[٢٩] .

موقف الجماهير السورية من الثورة الاسلامية

لم يكن استقبال الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ متجانسا داخل المجتمع السوري, اذ تباينت ردود الافعال للانتماء السياسي والمذهبي والاجتماعي, ففي الوقت الذي رحبت فيه القيادة الرسمية والاعلام الحكومي بالثورة وعدتها انتصارا على الامبريالية, اختلفت درجة الحماس والتحفظ بين البعثيين – رجال الدين– التيارات الاسلامية – النخب التجارية – التنظيمات الفلسطينية والقومية , هذا التنوع في المواقف يعكس الطبيعة المركبة للمجتمع السوري في اواخر السبعينات، ويوضح كيف شكلت الثورة الايرانية فرصة للبعض وتحديا للبعض الاخر[٣٠] .

حصلت ايران على تأييد رسمي وشعبي في اوساط بعض من اعضاء البعث واليسار مع سقوط الشاه فقد قدم الاعلام السوري الثورة الايرانية بوصفها " انتصارا مناهضا للإمبريالية", فوجدت قطاعات بعثية ويسارية في دمشق وحلب فيها سببا للتقارب مع طهران ضد محور القاهرة – تل ابيب – بغداد عدت الثورة فرصة لكسر العزلة بعد كامب ديفيد , فتجاوب جزء من الجمهور مع الخطاب التعبوي المؤيد للإمام الخميني[٣١] , اما موقف رجال الدين من الطائفتين السنية والشيعية فيلاحظ انه لم يكن لديهم راي واضح تجاه الثورة الاسلامية في ايران خاصة وان قضية الولاية العامة للفقيه الفقيه كانت السبب في تردد بعض رجال الدين من كلا الطائفتين على الرغم من ان الولاية العامة للفقيه تعد احدى اسس المذهب الشيعي الا انها لم تكن تحظى بترحيبهم، كان شعار اغلب رجال الدين السوريين هو فصل الدين عن السياسة شعارا جديدا، اعتبر بعض منهم الامام الخميني رجلا سياسيا صرفا ويعتبرونه غير صالح للمرجعية بسبب تدخله في القضايا الدينية والسياسية [٣٢] واذا كان هذا راي قسم من رجال الدين في المجتمع السوري فكيف يكون راي الافراد الذين يتبعونهم او يقلدونهم, وعلى اية على فقد رحبت شرائح سنية

محافظة بسقوط نظام الشاه لتحالفه مع الغرب والكيان الصهيوني, الا انها ظلت حذرة من الطابع الشيعي للثورة وتوظيفها السياسي [٣٣] , في حين رحبت جماعة الاخوان المسلمين في سوريا بسقوط الشاه من منطلق العداء ل "لاستبداد" او ارتباطه بالغرب ,لكنها تنظر الى النموذج الخميني كمرجعية لها ، اذ ظل صراعها موجها ضد السلطة في دمشق [٣٤]. وفيما يخص التنظيمات الفلسطينية وحلفاؤها القوميون داخل سوريا فقد ابدوا تعاطفا كبيرا مع الثورة الاسلامية لشدة خطابها المعادي للكيان الصهيوني, وان هذه البيئة الشعبية – التنظيمية سهلت تسويق التحالف السوري – الايراني بوصفه امتدادا لخيار المقاومة خصوصا بعد عام ١٩٧٩[٣٥] , ابدت اوساط من البرجوازية التجارية في دمشق وحلب تحفظا على الثورة الاسلامية في ايران وخشيت من ارتداداتها على السوق السوري المتعب من تدخلات الدولة [٣٦].

كان المزاج الشعبي السوري مؤيدا سياسيا لسقوط الشاه, ومعاديا للكيان الصهيوني والغرب, لكنه غير متطابق مع فكرة ولاية الفقيه والثورة الاسلامية مذهبيا, فبقيت حدود التأييد محكومة بالاعتبارات الداخلية السورية , يقدم سيل هذا التوازن بين الحماسة الخطابية والاعتبارات الواقعية في الشارع [٣٧] , لم يكن موقف رجال الدين موحدا تجاه الثورة الاسلامية, فقد عبرت شخصيات دينية بارزة مثل الشيخ احمد كفتارو(المفتي العام للجمهورية السورية آنذاك) عن ترحيب حذ, واشاد بدور الامام الخميني في مواجهة الاستبداد والهيمنة الغربية في نفس الوقت، وشدد على خصوصية التجربة السورية ودعا الى اصلاح تدريجي لا يقود الى اضطراب داخلي . اما رجال الدين العلويين والمقربين من النظام فتبنوا موقفا مؤيدا بالكامل معتبرين الثورة الاسلامية نصرا للتيارات الاسلامية المناهضة للغرب , في الجهة المقابلة بقى بعض علماء الدين السنة في حلب وحماة متخوفين من البعد المذهبي للثورة الاسلامية الايرانية, خصوصا مع تصاعد التوتر بين النظام وجماعة الاخوان المسلمين [٣٨] .

وبذلك يمكن القول ان الثورة الاسلامية الايرانية ملئت حدثا مفصليا في الوعي السياسي السوري, اذ وجدت شرائح واسعة حول خطاب مناهض للشاه والغرب, لكنها كشفت في الوقت نفسه عن تباينات عميقة في اولويات كل فئة اجتماعية ودينية, هذا التنوع في المواقف مهد لمرجلة جديدة كان على النظام السوري ان يوظفها سياسيا, وهو ما ظهر في سرعة انخراط دمشق في بناء تحالف استراتيجي مع طهران بعد انتصار الثورة بما انعكس لاحقا على ميزان القوى في المنطقة[٣٩].

المبحث الثالث

تأثير الثورة الاسلامية الايرانية على العلاقات الاقتصادية والثقافية والفكرية بين البلدين

اولا: العلاقات الاقتصادية :

تطورت العلاقات الاقتصادية بين البلدين وشهدت تحركا كبيرا مع بدء الحرب الايرانية –العراقية على الرغم من ضعف امكانيات الاقتصاد السوري [٤٠] ، مثل عام ١٩٨٢ نقطة تحول في العلاقات

الاقتصادية الايرانية- السورية , اذ شهد شهر اذار توقيع سلسلة اتفاقات ثنائية في مجال النفط والتجارة [٤١] خلال زيارة عبد الحليم خدام[٤٢] الى طهران ، وقال محمد غرضي[٤٣] وزير النفط الايراني آنذاك هذا الاتفاق النفطي (ان الجمهورية الايرانية ستقوم وفقا لهذا الاتفاق بتصدير ستة ملايين طن من النفط الخام الى سوريا خلال عام واحد وان من بين هذه الكمية ستكون خمسة ملايين طن تصدر بالدفع النقدي او المقايضة ، اما المليون طن المتبقي يخصص لمساعدة المقاتلين السوريين ضد الكيان الصهيوني)[٤٤] ، وقد صادق مجلس الشورى الاسلامي على هذا الاتفاق واحاله الى الحكومة لغرض التنفيذ [٤٥].توسعت العلاقات الاقتصادية بين سوريا وايران بشكل ملحوظ، حيث وفرت ايران تسهيلات ائتمانية للاستقرار السوري من النفط والمشتقات البترولية , كما تم توقيع عقود استيراد للقمح والسلع الاساسية بأسعار مدعومة , بالمقابل قدمت سوريا للسوق الايراني فرصا للاستثمار في النقل والبنى التحتية مثل مشروع طرق مشتركة وتحسينات الموانئ , مما ساهم في تعزيز التبادل التجاري وتقليل الفجوة الاقتصادية التي كانت قائمة اثناء فترة حكم الشاه محمد رضا بهلوي [٤٦].

عقب اتفاقيات النفط الايرانية – السورية , اغلقت سوريا خط الانابيب النفط العراقي , وبدأت ناقلات النفط الايراني بالوصول الى ميناء بانياس منذ نيسان ١٩٨٢, حصلت دمشق على كميات من النفط الايراني بأسعار تفضيلية , الامر الذي ساعدها على تجاوز خسارة امدادات العراق ورسخ الطابع الاستراتيجي للتحالف الاقتصادي بين البلدين [٤٧]

لم تقتصر المساندة الايرانية لسوريا على امدادات النفط , بل شملت خطوط الائتمان وقروضا ميسرة مكنت دمشق من تمويل وارداتها في ظل انقطاع المساعدات العراقية , وان الاتفاق النفطي الذي تضمن منح (مليون طن) مجانا وتضمن ايضا خصم (٢٥%) على المشتريات الاضافية ، الا ان متأخرات السداد تراكمت لتصل ما بين (١,٧-٢,٣ مليار دولار) بحلول عام ١٩٨٦مما ادى الى انهاء الاتفاق في ايار ١٩٨٦,قبل التواصل لترتيبات جديدة[٤٨]،الى جانب قطاع الطاقة , توسع التعاون ليشمل التبادل التجاري في المواد الغذائية والصناعات الخفيفة وانشاء مشاريع صناعية مشتركة مثل مصانع الادوية ,والاعلاف الحيوانية ,الى جانب استثمارات ايرانية في البنى التحتية السورية كالطرق ,وخطوط الكهرباء ,اسهمت هذه المشاريع في تعزيز الاعتماد المتبادل وجعل الاقتصاد احد ركائز التحالف السياسي بين طهران ودمشق خلال الثمانينات [٤٩]، ان العلاقات الاقتصادية بين البلدين كانت متأثرة باعتبارات سياسية , بالرغم من ان البضائع السورية لم تكن مطابقة للمواصفات في كثير من المجالات او انها كانت ذا نوعية رديئة جدا في مختلف المجالات الا ان العلاقات الاقتصادية لا تخلو من المنفعة خصوصا للجانب السوري , وبطبيعة الحال هذا الامر شجع السوريين في صمودهم وكفاحهم ضد الكيان الصهيوني والوقوف الى جانب ايران ضد العراق في الحرب الدائرة بينهم [٥٠].وبحلول عام ١٩٨٧ دخلت

العلاقات الاقتصادية مرحلة من التوتر الجزئي بين البلدين بسبب الضغوط المالية على سوريا الناتجة من تراكم الديون ومطلوبات استيراد النفط الايراني , حسب تقارير صحفية بلغ الدين السوري لإيران حوالي (٢ مليار دولار) مما اضطر دمشق لإعادة التفاوض حول شروط السداد في العامين ١٩٨٨-١٩٨٩ , حافظت العلاقة على توازنها رغم الازمة و وضغوط سوريا لإيجاد مصادر تمويل بديلة وتحسين شروط الدفع[٥١]

يمكن القول ان الازمة الاقتصادية التي عصفت بسوريا في عامي ١٩٨٧-١٩٨٨مثلت نقطة تحول في مسار العلاقات الايرانية – السورية , وقد اتاح الدعم الايراني لسوريا تجاوز ازمة نقص العملة الصعبة , وتأمين احتياجاتها الاستراتيجية مقابل توثيق التحالف السياسي والعسكري بين البلدين خلال فترة الحرب الايرانية – العراقية , خصوصا بعد تراجع الدعم الخليجي لسوريا , اكدت صحيفة **Washington Post** في تقريرها " ان الازمة الاقتصادية المتفاقمة دفعت سوريا الى الاعتماد وبشكل اكبر على الدعم المالي والنفطي الايراني "[٥٢]

ان هذه المرحلة مثلت تحولا تكتيكيا قصيرا بين البلدين تحول مستقبلا الى تحالف استراتيجي طويل الامد امتد اثره الى التسعينات وما بعدها[٥٣]

ثانيا: التأثير الثقافي بين البلدين

١ – الدبلوماسية الثقافية الايرانية في سوريا

اعتمدت ايران منذ انتصار الثورة الإسلامية على " الدبلوماسية الثقافية " كسلاح داعم لزيادة نفوذ طويل الأمد داخل سوريا – فافتتحت مركزها الثقافي في حي المزة بدمشق عام ١٩٨٣, واطلقت برامج تعليم اللغة الفارسية في اربع جامعات سورية الى جانب تنظيم أسابيع ثقافية وندوات عن الثورة الإسلامية , ودورات في الادب الفارسي , وحلقات نقاش عن الفكر الشيعي المعاصر , هذه المبادرات لم تكن مجرد نشاطات رمزية بل صممت لاستهداف النخب الجامعية وصناع القرار الثقافي في سوريا لغرس مفاهيم الثورة الإسلامية ومبادئها بين الجيل الجديد في تلك المرحلة[٥٤] .

اخذ الأساتذة السوريين يشاركون في مؤتمرات الوحدة الإسلامية التي كانت تقام في ايران، وكان الناشرون السوريين يشاركون في المعرض الدولي للكتاب في طهران ويعرضون الكتب السورية بسهولة, وهذه الفرصة قلما تتحقق لبقية البلدان العربية [٥٥], وفي المقابل خصصت وزارة التربية السورية في منهاجها الدراسي مواضيع تخص التاريخ والجغرافية الإيرانية فذكرت في كتاب التاريخ المعاصر للمرحلة الثانوية استعراض في احد مواضيع تاريخ ايران قبل الثورة وأسباب قيامها في صفحتين اكد فيها على " فساد النظام البهلوي وعلى دور الامام الخميني والثورة الإسلامية في اسقاط نظام الشاه, وإقامة النظام

الجمهوري الإسلامي الذي اخرج ايران من حلف السنتو وانضمامها الى حركة عدم الانحياز عام ١٩٧٩, وبذلك انتهى امر الكيان الصهيوني في ايران"[٥٦] .

٢- السياحة الدينية و التأثير الشعبي

خلال الثمانينات ومع صعوبة وصول الإيرانيين الى المزارات الدينية في العراق بسبب الحرب بين البلدين, تحول الاف الإيرانيين الى سوريا لزيارة مقام السيدة زينب والسيدة رقية " عليهما السلام" وغيرهما من المزارات الشيعية في سوريا, هذا التوافد المنتظم خلق تفاعل ثقافي مباشر بين الزوار الإيرانيين والسكان المحليين, وساهم في ادخال طقوس إيرانية شيعية مثل المواكب المنظمة واللطميات الجماعية الى الفضاء السوري العام[٥٧] .

٣- تعليم اللغة الفارسية والتبادل الاكاديمي

لم يكتف المركز الثقافي الإيراني بالنشاطات العامة, بل تعاون مع جامعات سورية لتدريس اللغة الفارسية كمادة اختيارية, واوفد أساتذة إيرانيين الى دمشق وحلب واللاذقية كما تم ابتعاث طلاب سوريين الى جامعات إيرانية, ما خلق شبكة من الخريجين السوريين المتأثرين بالثقافة الإيرانية والناقلين لأفكارها داخل المجتمع السوري[٥٨]

٤- المعارض الفنية

اقامت طهران في دمشق " أيام الثقافة الإيرانية " تضمنت معارض الخط الفارسي , الحرف اليدوية والتصوير الفوتوغرافي, إضافة الى عروض موسيقية شعبية ومحاضرات عن الفن الإسلامي الإيراني, هذه الفعاليات أظهرت جانبا ناعما للعلاقات وساهمت في خلق تواصل حضاري مباشر بين الفنانين الإيرانيين والجمهور السوري, واستضاف المركز الثقافي الإيراني أيضا حفلات موسيقية قدمت الوانا من التراث الإيراني مثل عزف السانتور (الة وترية اشبه بالقانون) والتار (عود فارسي) والدف (طبلة ايقاعية), إضافة الى فرقة انشاد ثوري أدت أناشيد الثورة والحرب, هذه العروض نقلت الأجواء الثورية الى دمشق[٥٩] .وقد سمح حافظ الأسد بإدخال القوات الإيرانية الى الأراضي السورية وسط حماس الأناشيد للتوجه الى لبنان في اطار عملية الكفاح ضد الكيان الصهيوني, وقد استقبلت القوات الإيرانية استقبالا حارا في عام ١٩٨٢ رغم حربهم مع العراق وردد السوريين شعارات من بينها " خميني سير سير نحن جنودك للتحرير " و " بالدم بالروح نحميكم يا جنود " اللذين كانت تقودهم الفرق الموسيقية العسكرية الإيرانية [٦٠] .اقام المقاتلون الإيرانيين مراسيم " يوم القدس " في نفس العام بمسيرة كبيرة رددوا شعارات باللغتين الفارسية والعربية مع الموسيقى والاناشيد العربية, وفي ختام المراسيم وزعوا صور للإمام الخميني وخطاباته لأبناء الشعب السوري[٦١]

خصص المركز الثقافي الإيراني عروضا أسبوعية للأفلام الوثائقية عن الثورة الإسلامية والحرب الإيرانية – العراقية, إضافة عن أفلام وثائقية تناولت شخصيات دينية بارزة على راسها الامام الخميني وافلام أخرى كانت ذا مضمون اجتماعي وسياسي الهدف منها تشكيل وعي جماهيري داعم لخطاب ايران المقوم من جهة وتعريف السوريين بإنتاجها السينمائي الذي كان مزدهرا بتلك الحقبة ونشر صور لإيران كدولة مقاومة للاستكبار العالمي من جهة ثانية [٦٢] .

من خلال استعراض النشاطات الثقافية بين ايران وسوريا يتبين ان الثقافة كانت احد اهم أدوات توطيد العلاقات الثنائية فقد جمعت بين التعليم (تدريب اللغة الفارسية والتبادل الاكاديمي) والتفاعل الشعبي (السياحة الدينية) والنشاطات العامة (المعارض, الموسيقى, السينما) هذه المبادرات والنشاطات لم تكن سطحية بل شكلت أرضية اجتماعية تمهد لانتقال التأثير الإيراني الى مستويات اعمق , وساهمت في تطوين قاعدة شعبية فكرية تدعم التحالف بين البلدين [٦٣] .

ثالثا : التأثير الفكري بين البلدين

١ – التبادل الطلابي

منذ أوائل الثمانينات بدأت برامج استيعاب طلاب سوريين للدراسة في الجامعات الإيراني(خاصة في قم وطهران) حيث تلقى هؤلاء الطلاب تعليما دينيا وسياسيا يتبنى الفكر الثوري الإيراني, وعاد كثيرا منهم لاحقا ليعملوا في سوريا كأئمة, ومحاضرين في الجامعات مما ساعد على نشر فكر التشيع الإيراني بشكل مؤسسي[٦٤]

٢ – الدور الإعلامي والثقافي

انشئت ايران اذاعات ومحطات تلفزيونية ناطقة باللغة العربية موجهة للجمهور السوري والمنطقة العربية منها إذاعة طهران باللغة العربية وإذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية – القسم العربي , تضمنت برامج دينية وسياسية تروج لفكرة الثورة وتدعم خطابها المقاوم, ساعد هذا الاعلام الثقافي على بناء صورة ذهنية لإيران كحليف استراتيجي لسوريا وكمركز للمقاومة ضد القوى الغربية والكيان الصهيوني[٦٥] ,

٣ – التأثير الفكري عبر الحوزات العلمية

ازداد عدد السوريين الملتحقين بالحوزات العلمية في قم والنجف (عبر ايران) بدعم مباشر من الحكومة الإيرانية, هذه الشبكة الدينية الثقافية لعبت دورا في نقل الفكر الثوري الإيراني الى الداخل السوري – العراقي, خصوصا في أوساط الطائفة الشيعية واسست قاعدة حاضنة لها لعبت دورا في التحالف السياسي لاحقا[٦٦]

٤- احياء المناسبات الدينية

عملت ايران على دعم وتنظيم احياء واسع لمناسبات دينية مثل عاشوراء واربعينية الامام الحسين (عليه السلام) في سوريا بتمويل وتنظيم إيراني مع ادخال طقوس إيرانية مثل اللطميات الجماعية والمواكب الكبيرة , هذه الفعاليات لم تكن مجرد شعائر دينية بل شكلت مساحة للتعبئة السياسية وربط الجماهير السورية بخطاب الثورة الإسلامية الإيرانية [٦٧] .

٥- الكتب والنشرات الأيديولوجية

تمت ترجمة كتب مفكرين إيرانيين مثل علي شريعتي ومرتضى مطهري , التي تناولت مفاهيم الثورة الإسلامية , الهوية الإسلامية , ونقد الاستعمار , هذه الكتب شكلت رافدا فكريا للشباب السوري واسهمت في خلق بيئة فكرية تتبنى رؤيا الثورة الإيرانية [٦٨]

ان بعد الفكر الإيراني كان له اثرا كبيرا على المدى الطويل اذ سمح لإيران بزرع أفكارهم الثورية والدينية والطائفية في عمق المجتمع السوري عبر التعليم الديني والتبادل الطلابي والاعلام واحيانا المناسبات الدينية, هذه الأنشطة الفكرية لم تكن مجرد تواصل معرفي بل ساعدت على تشكيل نخب فكرية ودينية سورية تتبنى نفس الرؤيا الإيرانية مما منح العلاقات بين البلدين بعدا يتجاوز المصالح السياسية والاقتصادية الظرفية [٦٩], ومن هؤلاء المفكرين السوريين الشيخ احمد كفتارو (المفتي السوري), محمد عكام (أستاذ في كلية القانون في جامعة حلب), سليم عبد الباقي (دكتور في القانون وعضو في حزب البعث السوري آنذاك) [٧٠] .

المبحث الرابع

أصداء رحيل الامام الخميني في سوريا

شكل فكر الامام الخميني مرجعية أساسية للمشروع الفكري الإيراني في سوريا طوال فترة الثمانينات, فقد استلهمت خطابات النخب الدينية والسياسية السورية الكثير من مفاهيم الثورة الإسلامية مثل " المستضعفين في مواجهة المستكبرين" و " الولاية العامة للفقيه " [٧١] .

وشكلت حلقات دراسية في بعض الحوزات منها الحوزة العلمية في مقام السيدة زينب في دمشق , وحوزة الامام الحسين في منطقة السيدة زينب والحوزة العلمية في مقام السيدة رقية والمراكز الثقافية السورية بشرح النظرية العامة لولاية الفقيه كما طرحها الامام الخميني وتمت ترجمة كتاب "حكومت إسلامي" "الحكومة الإسلامية" الى العربية وتوزيعه بين الطلاب ورجال الدين [٧٢] كما انعكست خطابات الامام الخميني التي تتحدث عن "مقاومة الاستكبار" على خطابات حافظ الأسد وخطاب الاعلام السوري الذي تبنى نفس المصطلحات في سياق دعمه لمحور المقاومة ورفضه السياسات الأميركية في المنطقة [٧٣]

أذيع خبر وفاة الامام الخميني في ٣/ حزيران/١٩٨٩, تجمع السوريون ومعهم الاف المسلمين من مختلف الجنسيات في اطراف حرم السيدة زينب (عليها السلام) حاملين نعش رمزي لتشييع الامام واقاموا مراسم عزاء هناك , واعلن مجلس الوزراء السوري حداد عام لمدة سبعة أيام معبرا عن مواساته لمسلمي العالم برحيل الامام الخميني[٧٤] .

بعث الرئيس السوري حافظ الأسد ببرقية تعزية تطرق خلالها الى البعد الجهادي لثورة الامام الخميني وقال ان الجمهورية الإسلامية الإيرانية والعالم الإسلامي فقد فقيها كبيرا ومجاهدا عظيما اسقط نظام الشاه وكافح من اجل عظمة الإسلام والدفاع عن فلسطين والوقوف بوجه القوى المعتدية والقمعية [٧٥] .

وقدم حافظ الأسد تعزيه للسفير الإيراني وأعضاء السفارة الإيرانية في دمشق وقال موجها حديثه لهم : " انني اشاطركم الحزن بهذه المناسبة فالإمام الخميني كان امامنا كلنا " [٧٦].

عززت سوريا بعد رحيل الامام الخميني التعاون الديني مع ايران عبر تنظيم مجالس تأبينيه مشتركة شارك فيها علماء دين كبار , وتم اطلاق برامج جديدة لتبادل الزيارات الدينية تكريما لذكراه[٧٧].

ودأبت السفارة الإيرانية والمركز الثقافي الإيراني في دمشق على إقامة فعاليات سنوية في ذكرى وفاة الامام الخميني تضمنت ندوات فكرية ومعارض صور وامسيات ثقافية يحضرها المثقفون ورجال دين سوريين هذه الفعاليات عززت الحضور الرمزي للخميني في الوعي الثقافي والديني السوري [٧٨] .

الخاتمة والاستنتاجات :

يتضح من خلال هذا البحث ان الثورة الإسلامية الإيرانية شكلت نقطة تحول مركزية في مسار العلاقات الإيرانية – السورية , اذ أسهمت في انتقال هذه العلاقة في مستوى التقارب الظرفي الى مستوى التحالف الاستراتيجي ذي الابعاد المتعددة. فقد استفادت سوريا من التحول الجذري في النظام الإيراني لتعزيز موقعها الإقليمي , ولا سيما في ظل التغيرات التي طرأت على ميزان القوى في الشرق الأوسط بعد اتفاقية كامب ديفيد والحرب الإيرانية – العراقية.

كما أظهرت الدراسة ان هذا لتحالف لم يكن محصورا في المجال السياسي او العسكري , بل امتدت الى التعاون الاقتصادي ، ولا سيما في مجال النفط ، والى التفاعل الثقافي والفكري الذي تجسد في الدبلوماسية الثقافية , والتعليم , والأنشطة الدينية والإعلامية . وفي الوقت ذاته , كشفت مواقف المجتمع السوري تجاه الثورة الإيرانية عن حالة من التعدد والاختلافات , عكست البنية المركبة للمجتمع السوري وتباين مرجعياته الدينية والسياسية .

ويستنتج ان الثورة الإسلامية الإيرانية أسهمت في بلورة نمط جديد من العلاقات الإقليمية , قائم على تداخل المصالح السياسية مع الابعاد الأيديولوجية , وان هذا التداخل كان احد العوامل الرئيسة في

استمرارية اتحالف الإيراني – السوري ، وجعله يتجاوز الاعتبارات الانية ليصبح جزء من معادلات القوة في المنطقة .

الهوامش

[١] – مرتضى مشفق كاظمي : ١٩٠٤–١٩٧٨ دبلوماسي وكاتب إيراني ولد في طهران , عمل في وزارة الخارجية وتقلد مناصب عده منها سفير ايران في سوريا بعد رفع القنصلية الى سفارة عام ١٩٤٧ , كما عين في مصر ودول أوروبية, يعد من رواد الرواية الاجتماعية الفارسية , الف رواية Tehran – eMakuf (طهران المخيفة) توفي في باريس عام ١٩٧٨.

[٢] – كروه , بررسي مسائل كشورها , سوريه , مؤسسة مطالعات وبزو هشهاي بارزكاني , ديماه , ١٣٦٢ ص٥٧

[٣] – محمد رضا بهلوي :ولد مع اخته التوأم اشرف في طهران بتاريخ ٢٦ / تشرين الأول /١٩١٩,وكان ابوه في ذلك الوقت ضابطا في الجيش الإيراني ، تلقى تعليمه في مدارس طهران ثم سافر بعد ذلك في ١٦ / كانون الثاني / ١٩٣١ الى لوزان في سويسرا , ليتلقى تعليمه الثانوي ، وبعد اكماله لدراسته عاد الى ايران في ٢٩/شباط / ١٩٣٦والتحق بكلية الضباط في طهران ، بعد تخرجه في حزيران ١٩٣٨ عين مفتشا في الجيش برتبة ملازم ثم جاء تتويجه شاها على ايران في نفس اليوم الذي اجبر فيه والده رضا شاه التنازل عن العرش في ١٦/أيلول/ ١٩٤١ بعد ان أدى اليمين الدستوري امام البرلمان الإيراني ، واستمر في الحكم لغاية ١٩٧٩ وتوفي عام ١٩٨٠في القاهرة , عبد المجيد عبد الحميد العاني ، سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه ايران ١٩٤١–١٩٤٧, ط١, عمان ، ٢٠١١،ص٥٦؛ اسمية جانو، التاج الإيراني ,ط١, بيروت ، ١٩٧٨، ص٢١، محمد وصفي أبو مغلي ، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٣، ص٤١.

[٤]– سركيس أبو زيد , ايران والمشرق العربي , مواجهة ام تعاون ؟ , ط١, بيروت ٢٠١٠ , ص ٦٢ .

[٥]– ابراهيم سعيدي , سوريه در سياست خارجي ايران , تهران , وزارات أمور خارجه , مؤسسة جاب وانتشارات ، ١٣٧٣ , ص١٣٦

[٦] – بهمان , ص١٣٦

[٧] – حافظ الأسد : ١٩٣٠ –٢٠٠٠ رئيس الجمهورية العربية السورية من عام ١٩٧١ حتى وفاته عام ٢٠٠٠ انضم الى حزب البعث في شبابه وتدرج في المناصب العسكرية حتى اصبح وزيرا للدفاع عام ١٩٦٦ قاد الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠ وثبت حكمه عبر بناء نظام رئاسي مركزي وتحالفات داخلية وخارجية متينة ؛

Patrick seale . Al asad : the struggle for the middle east , Berkeley , university of California press , 1990 , 1st edition, pp74.

[٨] – الحركة التصحيحية : انقلاب داخلي قاده وزير الدفاع السوري حافظ الاسد في ١٣/ تشرين الثاني / ١٩٧٠ ضد القيادة البعثية السابقة بقيادة صلاح حديد , اطاح بها واصبح رئيسا للجمهورية , مثلت الحركة نقطة تحول في السياسة السورية , حيث اتجه الاسد نحو الاستقرار الداخلي وسياسات خارجية اكثر براغماتية

Nicolas von dam , the struggle for power in Syria politics and society under asad and the baath party . London .I b –Taurus . 2011 , pp63.

[٩] – اتفاقية الجزائر : اتفاقية وقعت في ٦ / اذار / ١٩٧٥ بين العراق وايران برعاية الرئيس الجزائري هواري بومدين , هدفت الى انهاء الخلاف الحدودي حول شط العرب , و تحديد الحدود وفق خط تالوك ,تضمن الاتفاق تعهد ايران بوقف دعمها للحركة الكردية المسلحة في شمال العراق , مقابل وقف العراق لدعمه للمعارضة الايرانية مما ادى الى انهيار التمرد الكردي خلال اسابيع ، تمثلت الاتفاقية تحولا في موازين القوى الاقليمية واثرت في العلاقات بين دمشق وطهران . عبد الزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الثامن , بغداد , ١٩٨٨ ، ص ١١٢–١١٥.

[10]– Jubin .M. goodazi , Syria and Iran : diplomatic alliance and power politics in the Middle East , I.B. Taurus , London , 2006 , pp17 .

[١١] – ابراهيم سعيدي , بهمان , ص ١٣٦.

[١٢] – مهناز ظهيري نزاد , مناسبات امام خميني با حركتها ومبارزان إسلامي , تهران , مركز انقلاب إسلامي , ١٣٨٢ , ص١٣٢.

[١٣] – الامام موسى الصدر : ولد في قم – ايران عام ١٩٢٨ لعائلة علمائية , وتخرج من الحوزة العلمية في قم والنجف , انتقل الى لبنان عام ١٩٥٩ وتجنس بالجنسية اللبنانية بمرسوم رسمي , فأسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى عام ١٩٦٩ وحركة امل لاحقا , وكان من ابرز دعاة الوحدة الوطنية والإصلاح الاجتماعي اختفى في ليبيا عام ١٩٧٨ في ظروف غامضة اثناء زيارة رسمية وماتزال قضية اختفاءه مثار جدل دولي ، حسان حلاق , الامام موسى الصدر , سيرة ومسيرة ، بيروت , ٢٠٠٣ , ص ٤٨.

[14] – Jubin .M. goodazi , op.cit , p19.

[١٥] – مهناز ظهيري نزاد , همان , ص١٣١.

[١٦] – همان ، ص ١٣٤ .

[١٧] – مضمون الرسالة :" بسم الله الرحمن الرحيم " السلام عليكم : انني قلق ومتأثر لاختفاء سماحة حجة الاسلام السيد موسى الصدر , اطلب منك ان تطرح هذا الموضوع على قادة البلدان التي اجتمعت حول القضية الفلسطينية وان توجه اهتمامهم على هذا الامر , اننا نحن الشعب الايراني نعاني في هذا العصر من نظام يحرق الشعب في نار الدكتاتورية والابادة الجماعية ومصادرة الحريات من خلال حصوله على دعم امريكي ، اننا نطلب من قادة البلدان الاسلامية المساعدة لإنقاذ الشعب الايراني لقد سحق اخوانكم المسلمين تحت اقدام زبانية الشاه ، وان الاحكام العرفية التي اقيمت في اغلب المدن الايرانية المهمة تسببت في ازهاق ارواح الكثير من الايرانيين , وروي عن النبي محمد صل الله عليه واله وسلم انه قال " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ". ان كافة الافراد ومن بينهم قادة البلدان الاسلامية اللذين لديهم القدرة على الدفاع عن شعبنا المظلوم مسؤولون بهذا الخصوص .والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته روح الله الموسوي الخميني صحيفة نور , مجلد ٢ , تهران , ١٣٦٨ , ص١٠ .

[18] – Foud Ajami , The vanished Imam : Musa al-sader and shia of Lebanon , Cornell university , press , 2012 , p26 .

[١٩] – محمد علي امامي , سياست وحكومت در سوريه , تهران : وزارة امور خارجه, ١٣٧٦, ص ٢٣٧.

[20] – Foud Ajam , op cit , p 27 .

[21]– Patrick seale , op. cit , p221

[٢٢] – سركيس أبو زيد , المصدر السابق , ص٦٢.

[٢٣] – نقلا عن:

Patrick seale , op cit , p 221.

[24] – Abbas Milani , The shah , Palgrave Mac Milan , new york ,2011, p393 .

[٢٥] – مضمون برقية التهنئة : كان حافظ الأسد اول قائد عربي يقدم التهاني بمناسبة انتصار الثورة الإسلامية وقال في برقيته : " اننا نتابع جهودكم لوضع ايران في المسار الصحيح , أي الى جانب العرب والإسلام وجنبا الى جنب مع الاخوة المسلمين الذين يخوضون كفاحا مستميتا ضد الاحتلال والعدوان الصهيوني ، اننا نعلن دعمنا التام لنظام الثورة الجديد في ايران , ونتمنى لهذه الثورة النجاح في تحقيق أهدافها لصالح ايران والمجتمع الاسلامي", مجلة اطلاعات هفتكي , شماره ٢٤٣٩/٢٠٧٧ ,تهران , مؤسسة اطلاعات هفتكي ٢٤ / بهمن/ ١٣٥٧ , ص٥٨ .

[26] – Jabin .M Goodarzi , op cit ,p142 .

[٢٧] – اتفاقية كامب ديفد : تم التوقيع على اتفاقيتي كامب ديفيد في ١٧/ أيلول / ١٩٧٨ في منتجع كامب ديفيد بالولايات المتحدة الامريكية , برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر وبحضور المصري أنور السادات ورئيس وزراء الكيان الصهيوني مناحيم بيغن , تناولت الاتفاقية الأولى اطار السلام في الشرق الأوسط وركزت على القضية الفلسطينية , فيما ارست الاتفاقية الثانية الاساس لمعاهدة السلام المصرية – الاسرائيلية التي وضعت لاحقا في في اذار عام ١٩٧٩ , رفضت سوريا الاتفاقيتين وعدتها خروجا عن الاجماع العربي وهو ما دفعها لاحقا الى تعزيز تحالفها مع ايران بعد الثورة الاسلامية لمواجهة تداعيات العزلة السياسية .

William .B. Quandt , camp David : peacemaking and politics , Washington D.c , brooking Institution press , 1986 , p230 .

[28] – Patrick seale , op cit,p.223.

[29] – Augusts Richard Norton , Hezbilah : A short History , Princeton university press . 2007 . p 18 .

[30] – Raymond Hinnebusch , Syria : Revolution from above Rutledge, London , 2001 , p 51 .

[31] – Patrick, Seale , op cit , p 224 .

[٣٢] – مجلة زن روز , شماره هاى ١٠٤٢،٩١١،٨٠٧ تهران , مؤسسة كيهان , شماره ٩١١ , ١٣٦١, ص١٧.

[33]– Raymond Hinnebusch , op,cit , p150 .

[34] – Raphael,Lefevre,Ashes of Hama:The Muslim Brother hood in Syria ,London,2013,p.48.

[35] – Jubin .M.Goodarzi,Op,Cit.P.142.

[36] – Raymond,Hinnebusch,op,cit.p117.

[37] – Patrick ,Seale,op,cit.p224.

[38] – Jubin.M.Goodarzi,op.cit.p47.

[39] – Patrick,Seale,op,cit,p224.

[٤٠] – ابراهيم سعيدي ,همان, ص١٤٢.

[41] – روزنامه كيهان ,١٧/فرودين/١٣٦٢, ص٢.

[42] – عبد الحليم خدام (١٩٣٢–٢٠٢٠),سياسي سوري بارز, شغل مناصب عليا في الدولة السورية منها وزير الخارجية (١٩٧٠–١٩٨٤) ونائب رئيس الجمهورية (١٩٨٤–٢٠٠٥), لعب دورا في رسم السياسة الخارجية السورية خلال الثمانينات , وكان من ابرز مهندسي التقارب السوري– الايراني بعد الثورة الاسلامية , حيث اعتبر التحالف مع ايران وسيلة لموازنة النفوذ العراقي في المنطقة ؛

Shmuel,Bar,Bashar's Syria:The Regime and its Strategeic World View ,Herzliya:Institute for Policy and Strategy ,2006,p.33.

[43] – محمد غرضي (١٩٤١–٢٠٢٣) : سياسي ايراني بارز وعضو في الحرس الثوري الايراني بعد انتصار الثورة الاسلامية , درس الهندسة الكهربائية في جامعة طهران ثم التحق بصفوف الثورة ضد نظام الشاه , عين محافظا لأصفهان بعد الثورة ,ثم شغل منصب وزير النفط الايراني (١٩٨١–١٩٨٥) في حكومة مير حسين موسوي , حيث لعب دورا رئيسيا في ادارة انتاج وتصدير النفط اثناء الحرب الايرانية – العراقية , وضمان تمويل المجهود الحربي, بعد ذلك تولى وزارة البريد والاتصالات (١٩٨٥–١٩٩٧) . عرف بمواقفه المؤيدة لخط الامام الخميني وشارك في صياغة سياسات اقتصادية واعلامية هدفت الى تعزيز الاكتفاء الذاتي لايران خلال الحرب .

Ali M . Ansari , Modern Iran The Pahlavi and after Rutledge , London, 214 ,p.213.

[44] – ابراهيم سعيدي , هامان , ص ١٤٢.

[45] – روزنامه كيهان , ١٧ / فرودين/١٣٦٢/ ص٢ .

[46] – Faisal Larijan , Economic Relation Tehran : Iranian University Publication Foundation , 1995 ,p.1460

[47] – U.S . Library of congers , Syria Country study: Industry Sector Washington D.C, 1987 , p45 .

[48] – Jubin . M .Goodarzi . op . cit , p 189 .

[49] – Faisal Larijan , op,cit. pp149–150

[50] – ابراهيم سعيدي , هامان , ص١٤٤.

[51] – The Washington Post , Syria's Economic crisis seen Straining Links with Iran , 16 July , 1987, pA.10

[52] – Jubin Goodarzi , op, cit . p94 .

[53] – Nadia von Maltzahn , The Case of Iranian cultural diplomacy In Syria : Middle East Journal of culture and communication , vol ,2 , No . 1, Leiden The Netherland (Brill) , 2009 , p34.

[54] – مجلة شاهد , شماره هاي , ٧٢ , ٠١٤٠ تهران : بنياد شهيد انقلاب إسلامي ايران , شماره ١٤٠ , شهريور ماه ١٣٦٦ , ١٧.

[55] –Faisal Larijan ,op,cit. p150.

[٥٦] – طلال عتريس , الإيرانيين في الكتب الدراسية للبلدان العربية , مركز البحوث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط , السنة الثانية , العدد ١ , ١٩٩٧ , ص١٠٦ .

[57] –Nadia von Maltzahn , The Syria – Iran Axis : cultural diplomacy and International Relations in the Middle East :I.B, Taurus , London , 2013 , p150.

[58] – Ibid , p.158 .

[59] – Ibid , p161.

[٦٠] – مجلة اميد انقلاب , شماره هاي ٣٦, ٣٨, تهران : سباه باسداران انقلاب إسلامي , شماره ٣٦ , تير ماه , ١٣٦١ , ص١٧.

[٦١] – مجلة سروش شماره هاى ٧٢ , ١٤٠ تهران : بنياد شهيد انقلاب إسلامي ايران , شماره ١٥٥ , مرداد ماه ١٣٦١ , ص٢٠ .

[62] – Nadia von Maltzahn , The case of Iranian cultural diplomacy in Syria , op.cit pp142-141 .

[63] – Nadia von Maltzahn , The Syria – Iran Axis , op.cit p177 .

[64] – Ibid , pp175-176

[65] – Mahdi Khalaj , The last marja , Sistani and the end of Traditional Religious Authority in Shi'ism . Washington ,D.C : the Washington institute for Near East Policy , 2006 , p 11.

[66] – Dexter Filkines ,The shadow Commander , New york , 30 sep , 2013 , p8.

[67] – Fredric wehrey , Beyond Sunni and shia : The Root of sectarianism in a change in Middle East , oxford university Press , New york , 2018 , p 117 .

[68]– nikki R Keddie , Modern Iran Roots and Results of Revolution , Yale university press , 2006 , p 245.

[69] – Fredric Wehrey , op.cit , p128 .

[٧٠] –مجلة جمهوري إسلامي ١٤/ ماه/ ١٣٧٨ , ص١٣ .

[71] – Ray Takeyh , Guardians of the revolution and the world in the age of the Ayatollahs , oxford university , New york , 2009 , p213.

[72] – Nikki R Keddie , op.cit ,p244

[73] – Ray Takeyh , op.cit ,p200 .

[٧٤] – مجلة اطلاعات , ٢٠/ تير ماه/١٣٦٨ ص٥ .

[٧٥] – همان

[٧٦] – مجلة صف , شماره ٢٣٦, دي ماه ٧٨ , ١٣٦٨, ص٢٤ , مجلة صف شماره ٢٣٦ , ١١٧ , تهران ١٣٦٨ : ارتش جمهوري إسلامي ايران , سازمان عقيدتي سياسي .

[77] – Wilfried Buchta , Who Rules Iran ? The structure of Power in the Islamic Republic , Washington institute for Near East Policy , Washington , D.C , 2000 , pp55-56.

[78] – Ibid p75

قائمة المصادر

اولاً: الكتب العربية والمعربة

١- اسمية جانو، التاج الإيراني ,ط١, بيروت ، ١٩٧٨.

٢- حسان حلاق , الامام موسى الصدر , سيرة ومسيرة ، بيروت , ٢٠٠٣.

٣- سركيس أبو زيد , ايران والمشرق العربي , مواجهة ام تعاون ؟ , ط١, بيروت ٢٠١٠.

٤- طلال عتريس , الإيرانيين في الكتب الدراسية للبلدان العربية , مركز البحوث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط , السنة الثانية , العدد ١ , ١٩٩٧

٥- عبد الزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الثامن , بغداد , ١٩٨٨.

٦- عبد المجيد عبد الحميد العاني ، سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه ايران ١٩٤١-١٩٤٧, ط١, عمان ، ٢٠١١.

٧- محمد وصفي أبو مغلي ، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٣.

٨- **ثانياً: الكتب الفارسية**

١- ابراهيم سعيدي , سوريه در سياست خارجي ايران , تهران , وزارات أمور خارجه , مؤسسة جاب واستشارات ، ١٣٧٣.

٢- محمد علي امامي , سياست وحكومت در سوريه , تهران : وزارة امور خارجه, ١٣٧٦, ص ٢٣٧.

٣- مهناز ظهيري نزاد , مناسبات امام خميني با حركتها ومبارزان إسلامي , تهران , مركز انقلاب إسلامي , ١٣٨٢

٤- كروه , بررسي مسائل كشورها , سوريه , مؤسسة مطالعات وبزو هشهاي بارزكاني , ديماه , ١٣٦٢

المجلات والصحف الفارسية

١- مجلة اطلاعات هفتكي , شماره ٢٠٧٧ ، ٢٤٢٩ '، تهران ، مؤسسة اطلاعات هفتكي , ٢٤ ، بهمن ، ١٣٥٧

٢- مجلة اميد انقلاب , شماره هاي , ٣٦, ٣٨ ، تهران ، سباه باسداران انقلاب اسلامي ، شماره ٣٦، تير ماه ، ١٣٦١

٣- مجلة زن روز , شماره هاي ٨٠٧ ، ٩١١ ، ١٠٤٢ ، تهران ، مؤسسة كيهان ، شماره ٩١١ ، ١٣٦١

٤- مجلة سروش ، شماره هاي ، ٧٢ , ١٤٠ ، تهران ، بنياد شهيد انقلاب اسلامي ايران ، شماره ١٥٥ , مرداد ماه ، ١٣٦١

٥- روزنامه كيهان ، ١٧ فرودين ، ١٣٦٢

٦- مجلة شاهد ، شماره هاي ٧٢ ، ١٤٠ بنياد شهيد انقلاب اسلامي في ايران ، تهران شماره ١٤٠ شهر يور ، ١٣٦٦

٧- مجلة صف شماره ، ٢٣٦ ، دي ماه ١٣٦٨ ارتش جمهوري اسلامي ايران , سازمان عقيدتي سياسي

٨-مجلة صف , شماره ٢٣٦, ١١٧، دي ماه ١٣٦٨ ارتش جمهوري اسلامي سازمان عقيدتي

٩- صحيفة نور ، مجلد ٢ ، تهران ، ١٣٦٨

ثالثاً: الكتب الإنكليزية

1- Abbas Milani , The shah , Palgrave Mac Milan , new york ,2011, p393 .

2- Ali M . Ansari , Modern Iran The Pahlavi and after Rutledge , London,2014

3- Augusts Richard Norton , Hezbilah : A short History , Princeton university press . 2007 . p 18 .

4- Dexter Filkines ,The shadow Commander , New york , 30 sep , 2013.

5- Faisal Larijan , Economic Relation Tehran : Iranian University Publication Foundation , 1995 ,p.1460

6- Fredric wehrey , Beyond Sunni and shia : The Root of sectarianism in a change in Middle East , oxford university Press , New york , 2018

7- Foud Ajami , The vanished Imam : Musa al-sader and shia of Lebanon , Cornell university , press , 2012 , p26 .

8- Jubin .M. goodazi , Syria and Iran : diplomatic alliance and power politics in the Middle East , I.B. Taurus , London , 2006.

9- Mahdi Khalaj , The last marja , Sistani and the end of Traditional Religious Authority in Shi'ism . Washington ,D.C : the Washington institute for Near East Policy , 2006.

10- Nadia von Maltzahn , The Case of Iranian cultural diplomacy In Syria : Middle East Journal of culture and communication , vol ,2 , No . 1, Leiden The Netherland (Brill) , 2009.

11 - Nadia von Maltzahn , The Syria – Iran Axis : cultural diplomacy and International Relations in the Middle East : I.B, Taurus , London , 2013 , p150.

12- Nicolas von dam , the struggle for power in Syria politics and society under asad and the baath party . London .I b –Taurus . 2011,

13- Nikki R Keddie , Modern Iran Roots and Results of Revolution , Yale university press , 2006 , p 245

14- Jubin .M. goodazi , Syria and Iran : diplomatic alliance and power politics in the Middle East , I.B. Taurus , London , 2006.

15- Patrick seale . Al asad : the struggle for the middle east , Berkeley , university of California press , 1990.

16- Raphael ,Lefevre, Ashes of Hama :The Muslim Brother hood in Syria ,London,2013,p.48.

17- Raymond Hinnebusch , Syria : Revolution from above Rutledge, London , 2001

18- Ray Takeyh , Guardians of the revolution and the world in the age of the Ayatollahs , oxford university , New york , 2009 , p213.

19- Shmuel,Bar,Bashar's Syria:The Regime and its Strategeic World View ,Herzliya:Institute for Policy and Strategy ,2006,p.33.

20- William .B. Quandt , camp David : peacemaking and politics , Washington D.c , brooking Institution press , 1986

21- Wilfried Buchta , Who Rules Iran ? The structure of Power in the Islamic Republic , Washington institute for Near East Policy , Washington , D.C , 2000 , pp55-56.

الصحف الأجنبية

1- The Washington Post , Syria's Economic crisis seen Straining Links with Iran , 16 July , 1987, pA.

منشورات مكتبة الكونغرس

1- U.S . Library of congers , Syria Country study: Industry Sector Washington D.C, 1987 , p45 .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الإطاحة بحكومة الرئيس لوزانو دياز في الهندوراس وتداعياتها على الأوضاع الداخلية في البلاد ١٩٥٦-١٩٥٧

The US position on the overthrow of President Lozano Díaz's government in Honduras and its repercussions on the countrys internal situation 1956-1957

د.يوسف ادريس عبدالرزاق فتحي
Dr. Youssef Idris Abdul Razzaq Fathi
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
College of Education for Humanities
Department of History
رقم الموبايل: ٠٧٧٢٢٣٣٥٥٢٦
yosifadressabd@gmail.com

Orcid : 0009-0000-9082-3104

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث:

يسلط البحث الضوء على موقف الولايات المتحدة الأمريكية من انقلاب عام ١٩٥٦ وتداعياته على الأوضاع الداخلية في الهندوراس، وتحليل الأسباب الداخلية التي أدت إلى وقوع الانقلاب واستعراض مجرياته ونتائجه وتداعياته، فضلاً عن تقييم أثره في تطور النظام السياسي في الهندوراس.

تكمن أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على حقبة تاريخية زاخرة بالمتغيرات السياسية الدولية وتعاظم الصراع بين المعسكر الغربي والشرقي، إذ لم يسبق لأحد من الباحثين تقديم دراسة اكاديمية عن الانقلاب العسكري الهندوراسي لعام ١٩٥٦ وتداعياته على البلاد في ظل موقف الولايات المتحدة الأمريكية من المتغيرات الأمنية والعسكرية والاقتصادية في أمريكا الوسطى ومنطقة البحر الكاريبي بشكل عام، والهندوراس بشكل خاص كونها تتوسط جغرافياً هذه المنطقة، وبالتالي فان أي متغير سياسي في البلاد يرافقه فوضى وعدم استقرار من شأنه أن ينتقل إلى دول أمريكا الوسطى وهذا يعرض مصالح

الولايات المتحدة الأمريكية إلى الخطر وهو ما يتعارض مع فلسفتها باعتبار منطقة أمريكا الوسطى مجالاً حيوياً لأمنها القومي.

وهذا يفسر تعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع الانقلاب بواقعية أمنية وسياسية واقتصادية، وتمثل ذلك بعدم معارضتها للانقلاب وقبول الحكومة الجديدة، والتعاون معها ما دامت تحافظ على الاستقرار وتحمي المصالح الأمريكية.

الهدف الرئيسي من البحث هو إعطاء صورة متكاملة للقارئ عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية ودورها في إدارة الازمة الداخلية في الهندوراس بما يتماشى مع مصالحها ويعكس مدى نفوذها بالاعتماد على مجموعة كبيرة من الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة الخارجية الامريكية قدر تعلق الأمر بالمدة قيد الدراسة، باستخدام المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي لفهم الواقع وإعطاء صورة متكاملة للحدث التاريخي.

الكلمات المفتاحية: الهندوراس، الولايات المتحدة الأمريكية، لوزانو دياز، الانقلابات العسكرية، أمريكا الوسطى.

Abstract:

The research highlights the position of the United States of America on the 1956 coup and its repercussions on the internal situation in Honduras, analyzing the internal reasons that led to the occurrence of the coup and reviewing its course, results and repercussions, as well as assessing its impact on the development of the political system in Honduras.

The importance of the research lies in the fact that it sheds light on a historical era full of international political changes and the growing conflict between the Western and Eastern blocs. No researcher has previously presented an academic study on the Honduran military coup of 1956 and its repercussions on the country in light of the United States' position on security, military and economic changes in Central America and the Caribbean region in general, and Honduras in particular, given its geographical location in the middle of this region. Consequently, any political change in the country is accompanied by chaos and instability that could spread to the countries of Central America, and this exposes the interests of the United States to danger, which contradicts its philosophy of considering the Central America region as a vital area for its national security.

This explains the United States' realistic security, political, and economic approach to the coup, which was demonstrated by its lack of opposition to the coup, its acceptance of the new government, and its cooperation with it as long as it maintained stability and protected American interests, The main objective of the research is to give the reader a complete picture of the position of the United States of America and its role in managing the internal crisis in

Honduras in line with its interests and reflecting the extent of its influence, relying on a large set of official documents issued by the US State Department as far as the period under study is concerned, using the descriptive, analytical and historical method to understand the reality and give a complete picture of the historical event.
Keywords: Honduras, United States of America, Lozano Diaz, military coups, Central America.

المقدمة:

شهدت أمريكا اللاتينية خلال القرن العشرين سلسلة من الانقلابات العسكرية ارتبطت بتحولات داخلية عميقة الجذور وتفاعلات دولية معقدة جعلت من المنطقة ساحة صراع مركزية غير مباشرة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وضمن اطار استراتيجية "سياسة الاحتواء" الامريكية دعمت واشنطن نخباً عسكرية ومحافظة خشية تمدد الشيوعية او النفوذ اليساري المؤيد لموسكو، فقد كانت واشنطن تسير وفق قاعدة "الاستقرار الموالي أفضل من ديمقراطية غير مضمونة الاتجاه"، وقد أدت تلك الانقلابات إلى عسكرة الدولة وتدخل الجيش المستمر في رسم شكل النظام السياسي.

جاء لوزانو دياز إلى حكم الهندوراس عقب الاضراب العمالي الذي هز البلاد عام ١٩٥٤، وخشية الولايات المتحدة الأمريكية من انتقال رياح الثورة من غواتيمالا إلى الهندوراس فدعمت دياز، إلا أن الأخير مارس سلطة قمعية فقد امر بحل الأحزاب السياسية وتقييد الحريات، وحاول تنظيم انتخابات رئاسية تضمن بقاؤه بالسلطة عبر صيغ دستورية جديدة، ساعدت هذه التداعيات على تصاعد المعارضة داخل المؤسسة العسكرية للنظام السياسي الحاكم، وقادوا انقلاباً ناجحاً دون مقاومة تذكر في تشرين الأول ١٩٥٦، وتم تشكيل مجلس عسكري ثلاثي والاعلان عن مرحلة انتقالية لحكم البلاد مؤقتاً.

يعد انقلاب الهندوراس عام ١٩٥٦ أحد أبرز الأحداث التي عكست طبيعة العلاقة بين المؤسسة العسكرية والنظام السياسي في البلاد، كما كشفت عن حجم التأثيرات الإقليمية والدولية في توجيه مسار الحكم في أمريكا الوسطى، ومن جهة أخرى فأن الإطاحة بالرئيس المنتخب لوزانو دياز جاء في سياق سياسي اتسم بضعف البنية المؤسسية في الهندوراس وتصاعد التنافس بين القوى السياسية التقليدية، إلى جانب تنامي دور الجيش كفاعل أساسي ورئيسي في المعادلة السياسية، مما مهمد لمرحلة انتقالية اعادت تشكيل النظام السياسي في البلاد وافضت لاحقاً إلى تبني دستور جديد وتنظيم انتخابات عامة في البلاد.

يمثل انقلاب عام ١٩٥٦ في الهندوراس نموذجاً مبكراً لتدخل المؤسسة العسكرية تحت ذريعة تصحيح المسار السياسي وحماية الاستقرار، وهي الذريعة التي تكررت في تجارب أخرى في أمريكا اللاتينية، كما يسلط الضوء على طبيعة التوازنات بين القوى المحلية والضغوط الخارجية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

جاء موقف الولايات المتحدة الأمريكية من التطورات السياسية الداخلية في الهندوراس ضمن إطار الحرب الباردة وسياسة واشنطن تجاه أمريكا اللاتينية بشكل عام، وبالأخص أمريكا الوسطى التي تعتبر مجالاً حيوياً للأمن القومي الأمريكي ومنطقة نفوذ تقليدية خاصة بعد انقلاب غواتيمالا عام ١٩٥٤ وتصاعد المخاوف من التمدد الشيوعي في أمريكا اللاتينية.

قسمت الدراسة إلى مقدمة وخاتمة ومبحثين، تطرقنا في المبحث الأول إلى: **(موقف الولايات المتحدة الأمريكية من التطورات الداخلية في الهندوراس ١٩٥٤-١٩٥٥)**، وفي المبحث الثاني إلى **(موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الانقلاب العسكري الهندوراسي وتداعياته على الأوضاع الداخلية في البلاد ١٩٥٦-١٩٥٧)** ليسلط البحث الضوء على حقبة مهمة من تاريخ الهندوراس في ظل ازمة داخلية وتقاطعات خارجية ومصالح اقتصادية وصراع أيديولوجي في أمريكا الوسطى.

المبحث الأول

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من التطورات الداخلية في الهندوراس ١٩٥٤-١٩٥٥

عانت الهندوراس من أزمة سياسية مع اقتراب نهاية حكم الرئيس خوان مانويل غالفيز Juan Manuel Galvez(١٩٤٩-١٩٥٤)، فقد شهدت البلاد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي لأسباب تتعلق بالتطورات الداخلية واختلاف التيارات الحزبية الطامحة بالسلطة من جهة، وتأثر البلاد بالتطورات الخارجية في عموم أمريكا الوسطى وبالأخص غواتيمالا والازمة السياسية واحتمالية تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لإسقاط النظام فيها خوفاً من توجهها نحو الشيوعية من جهة اخرى، لذلك كان من الطبيعي ان تعاني الهندوراس من تداعيات الاحداث في أمريكا الوسطى سياسياً واقتصادياً، بسبب موقعها الجغرافي الذي يتوسط المنطقة.

حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على تقديم المساعدات الاقتصادية للهندوراس منذ مطلع عام ١٩٥٠ شأنها في ذلك شأن دول أمريكا اللاتينية ويأتي ذلك الدعم ضمن اطار الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي ومكافحة النفوذ الشيوعي في الامريكيتين بشكل عام، وتأكيداً على ذلك فقد ارسلت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا مذكرة بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٥٢ إلى خارجيتها في واشنطن تتعلق بالتوجهات السياسية لدعم سوق العمل والنقابات العمالية في الهندوراس ضمن اطار برامج المساعدات الاقتصادية الخارجية والمتمثل ببرنامج النقطة الرابعة لتشجيع الدول على وضع معايير عمل عادلة وتطوير حركات نقابية عمالية حرة وتحليل سوق العمل ودراسة حركة الهجرة، وقد تم تكليف السفارة الامريكية في تيغوسيغالبا بأنشاء مكتب خاص لتنفيذ برنامج النقطة الرابعة في الهندوراس، واقترحت دعم النقابات العمالية في الهندوراس عن طريق الشركات الأمريكية العاملة هناك مثل شركة الفواكه المتحدة وشركة هندوراس روزاريو للتعدين، وبالتالي تحقيق مكاسب للطرفين خصوصاً وأن الشركات الأمريكية أعلاه تعتبر ركيزة أساسية للاقتصاد الهندوراسي (Documents F.R.U.S, April 24, 1952).

أعتقد مكتب شؤون أمريكا الوسطى التابع لوزارة الخارجية الأمريكية أن أحد أبرز المشاكل الناجمة عن الأزمة الغواتيمالية (١٩٥٢-١٩٥٤) هو تصاعد النفوذ الشيوعي وكشفت المذكرة المؤرخة في ٥ كانون الثاني ١٩٥٤ والتي أرسلها المكتب إلى السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا أنه من الضروري تعزيز اقتصادات دول أمريكا الوسطى ودعم قدرتها السياسية لمواجهة "الدعاية الشيوعية"، واقترح المكتب على السفارة تقديم مشروع يربط الطريق السريع الحالي في تيغوسيغالبا مع الطريق السريع بين الأمريكيتين في جيكارو وغالان على الساحل الغربي، واقترح تقديم مساعدة في انشاء الطريق المقترح من الحدود السلفادورية قرب نويغا اوكوتيبك إلى سانتا روزا دي كوبان غرب الهندوراس، ومن الممكن اقناع السلفادور بتمديد الطريق عبر الحدود ليصل إلى جانب المحيط الهادئ وذلك لإنشاء طريق سريع عبر البرزخ، ويتمثل الهدف الأساسي من ذلك ربط الهندوراس مع دول أمريكا الوسطى بشبكات نقل حديثة تساعد الشركات الامريكية على نقل البضائع، وهذا يعود ايضاً بالفائدة على الاقتصاد الهندوراسي (Documents F.R.U.S, 5 January, 1954).

ومع تصاعد وتيرة الاحداث في غواتيمالا بدأت النقابات العمالية في الهندوراس بتنظيم اضراب شامل في ٥ أيار ١٩٥٤ عندما قرر نحو ١٤ الف عامل وموظف في شركة الفواكه المتحدة الأمريكية الاضراب عن العمل والمطالبة بزيادة الأجور بنسبة ٥٠ % وبالرغم من أن الاضراب كان سلمي ولم يتخلله اعمال عنف وتجمعوا في المناطق الرئيسية لمزارع الموز إلا أن السلطات الهندوراسية أعلنت الاحكام العرفية في أي منطقة أو مزرعة فيها اضراب، في الوقت ذاته كشفت الخارجية الأمريكية بتاريخ ١١ أيار ١٩٥٤ عن ورود تقارير استخباراتية عن تحركات مشبوهة من العناصر الشيوعية فقد وصلت طائرة غواتيمالية إلى قنصليتها في بورتر كورتيس الهندوراسية وتم احتجازها على الفور من قبل القطاعات الأمنية الهندوراسية، وقد بررت السلطات الغواتيمالية ذلك الفعل بأن لديها معلومات تفيد بشن المنفيين الغواتيماليين في الهندوراس هجوماً عليها، وأنها اضطرت للتواصل مع قنصليتها على وجه السرعة، إلا أن السلطات الهندوراسية أغلقت القنصلية وطردت السلك الدبلوماسي العامل فيها ونصحت الخارجية الأمريكية البيت الأبيض بتقديم دعم عسكري لهندوراس Documents F.R.U.S , 11 (May, 1954).

وعلى خلفية الاحداث والاضطرابات العمالية في الهندوراس والتدخل الغواتيمالي امر الرئيس الأمريكي داويت ايزنهاور Dwight Eisenhower وزارة الخارجية في واشنطن ابلاغ الحكومات في الأمريكيتين بالاستعداد للدفاع عن هندوراس في حال طلبت المساعدة بموجب حلف الريو العسكري لعام ١٩٤٧، إلا أن وزير الخارجية فوستر دالاس Foster Dulles ابلغ الرئيس بانه لا يمكن اشعار الدول مالم يحدث

هجوم عسكري فعلي وليس تهديدات، وبالتالي إلزام الأطراف الموقعة على المعاهدة بالتحرك الفوري (Documents F.R.U.S , 17 May, 1954).

بناءً على طلب الرئيس ايزنهاور أبلغت الخارجية الأمريكية سفارات دول أمريكا الوسطى في ٢٣ أيار ١٩٥٤ بالاستعداد لتطبيق بنود حلف الريو الدفاعي "لمكافحة الشيوعية" في المنطقة ومن ضمنها الهندوراس خصوصاً مع ارتفاع الاضطرابات العمالية في البلاد بالتزامن مع الاحداث في غواتيمالا، كما أوصت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا ابلاغ السلطات الهندوراسية بأن السفن الحربية الأمريكية ستجري مناورات غير معلنة قبالة سواحل الهندوراس بسبب الأوضاع الراهنة، ويكون تنسيق هذه القوات بشكل مباشر مع السفارة الامريكية في تيغوسيغالبا (Documents F.R.U.S , 23 May, 1954)، وفي سياق متصل أبلغت الخارجية الأمريكية في ٢٤ أيار ١٩٥٤ السلطات الهندوراسية بأن القطاعات الحربية الامريكية ستصل إلى موانئها في غضون ساعتين لمواجهة العناصر الشيوعية القادمة من غواتيمالا إلى أراضيها وأمرت بنقل الخبر إلى الصحافة الهندوراسية Documents F.R.U.S , 24 (May, 1954).

ولامتصاص الغضب الشعبي واحتواء الإضرابات العمالية امر وزير الخارجية الأمريكية دالاس بتاريخ ٦ حزيران ١٩٥٤ شركة الفواكه المتحدة بزيادة رواتب العمال لإنهاء "الفوضى والاضطرابات" في الهندوراس خوفاً من تحول مسارها من احتجاج إلى ثورة "شيوعية" متأثرة في بالتطورات الداخلية في غواتيمالا وأمريكا الوسطى بكل عام (Documents F.R.U.S , 6 June, 1954)، خصوصاً بعد أن وردت تقارير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٥٤ تفيد بان اضراب الذي تنظمه النقابات العمالية في مزارع الموز مدعوم من قبل العناصر الشيوعية في امريكا الوسطى (Documents F.R.U.S , 30 June, 1954).

ومع تصاعد التوترات الأمنية في أمريكا الوسطى تقدمت الهندوراس بتاريخ ١٦ تموز ١٩٥٤ بطلب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على طائرات (C-47 الامريكية) ضمن اطار برنامج المساعدات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، ومن الجدير بالذكر أن واشطن ابرمت معاهدات سرية مع دول أمريكا الوسطى مطلع عام ١٩٥٤ ضمن استراتيجيتها العسكرية "للدفاع عن منطقة البحر الكاريبي وقت الحرب" مع تصاعد وتيرة الحرب الباردة، وقد حددت رئاسة الأركان المشتركة التابع لوزارة الدفاع الامريكية كل بلد نوع من الوحدات العسكرية الأجنبية وحسب المصالح الأمنية والاقتصادية لواشنطن وقت الحرب، وتنص الوثيقة المؤرخة في ١٦ تموز ١٩٥٤ على أن الخطة العسكرية السرية المبرمة مع الهندوراس تتضمن : "تفعيل كتيبة المشاة للقوات المسلحة الهندوراسية لغرض مساعدة الجيش الأمريكي لحماية قناة بنما والمراكز الرئيسية للاتصالات الجوية في البحر الكاريبي باستثناء الحقوق الإقليمية للدول الأخرى"، بالرغم من ادارك القيادة العسكرية الامريكية ان المساعدة الهندوراسية وقت

الطوارئ هي نظرية ومعنوية فقط، لأنها تدرك تماماً بأنها قوات بالكاد غير قادرة على حماية أمنها الداخلي (Documents F.R.U.S , 16 Jully, 1954).

وفي سياق متصل اوصت وزارة الدفاع الأمريكية في ١ اب ١٩٥٤ البيت الأبيض بتقديم طائرات C-47 إلى الجيش الهندوراسي مع تصاعد التوترات الامنية في منطقة البحر الكاريبي بسبب الحاجة إليها في النقل العسكري لعدم توفر طرق برية ذات كفاءة عالية من العاصمة تيغوسيغالبا إلى باقي المدن، خصوصاً مع اقتراب الانتخابات الرئاسية الهندوراسية والمقرر اجراؤها في ١٠ تشرين الأول ١٩٥٤ (Documents F.R.U.S 10 August, 1954).

كانت التركيبة السياسية والحزبية في الهندوراس قبيل الانتخابات الرئاسية تشير إلى انقسامات وتنافس بين الأحزاب الرئيسية الثلاثة وهي الحزب الليبرالي والحزب القومي والحزب الإصلاحي وكانت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا تعمل على تشكيل حكومة ائتلافية، إذ تشير المذكرة المؤرخة في ٢٤ أيلول ١٩٥٤ والمرسلة من السفارة إلى وزارة الخارجية الأمريكية أن معظم التحليلات والمصادر الحكومية الهندوراسية تعتقد إمكانية حدوث اضطرابات خطيرة تنذر بثورة مسلحة تهيئ الأرضية للعناصر الشيوعية للسيطرة على البلاد على غرار غواتيمالا، وربما يحدث انقلاب عسكري او على اقل تقدير حدوث فوضى سياسية تعصف بالبلاد، وذكرت السفارة أنها تبذل جهوداً كبيرة مع الأحزاب المرشحة للرئاسة من أجل الحفاظ على امن ومصلحة البلاد، وأشارت أنه حسب التقديرات فأن أيً من الأحزاب الثلاثة لن يحصل على الأغلبية المطلقة التي ينص عليها الدستور الهندوراسي، وبالتالي إحالة نتائج الانتخابات إلى الكونغرس والذي يحتاج إلى نصاب مكتمل للتصويت على رئيس البلاد، مؤكدة دعم السفارة الأمريكية لائتلاف يضم الإصلاحيين مع الليبراليين للوصول إلى السلطة بسبب مواقفهم المتشددة من الدعاية الشيوعية (Documents F.R.U.S , 24 September, 1954).

جرت الانتخابات في ١٠ تشرين الأول ١٩٥٤ وحقق الحزب الليبرالي ٤٨% والحزب الوطني ٣١% والحزب الإصلاحي ٢١% وبالتالي لم تتحقق الأغلبية لأي حزب لتشكيل الحكومة بموجب الدستور الهندوراسي لعام ١٩٣٦ وبالتالي انتظار اجتماع الكونغرس الذي سيعقد في ٥ كانون الأول ١٩٥٤ لاختيار رئيس البلاد، وقرار الكونغرس الذي يتكون من ٥٦ عضواً يتم بأغلبية الأصوات، ولتحقيق النصاب القانوني يجب أن يكون ثلثي الأعضاء وعدد ٣٨ عضواً حاضراً وفي حالة الفشل فأن محكمة العدل العليا الهندوراسية ستختار رئيساً للبلاد وربما تتجه الأوضاع إلى الفوضى، وأفادت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا أن هدفها الأساسي هو منع انضمام العناصر الشيوعية إلى الأحزاب الفائزة في الانتخابات (Documents F.R.U.S , 18 November, 1954).

في ظل هذه الظروف ارسلت وزارة الدفاع الأمريكية مذكرة بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٤ إلى وزارة الخارجية تحتوي على معلومات تتعلق باجتماع هيئة الأركان العامة في الجيش حول موضوع الطائرات C-47 وتقديم المساعدات العسكرية إلى الهندوراس بناءً على قرارات اتخذت سابقاً للدفاع عن منطقة البحر الكاريبي، وذكرت أن هيئة الأركان العامة قامت بتطوير مهام دفاعية في أمريكا الوسطى (الهندوراس وكوستاريكا والسلفادور وغواتيمالا ونيكاراغوا وكوبا والدومنيكان) لأسباب سياسية وليس عسكرية، وكان الهدف الأساسي آنذاك هو إيصال رسالة إلى غواتيمالا مفادها أن الحكومات الشيوعية لا يمكنها أن تحصل على الدعم من واشنطن، مؤكدة ان وزارة الدفاع لا تمتلك طائرات فائضة عن حاجتها لدعم الهندوراس ويتطلب ذلك تزويدها من السوق المفتوحة، وتقدر تكلفت الطائرتين مع قطع غيار لمدة عام ما بين ٢٠٠-٣٠٠ الف دولار امريكي، وهذه التكاليف لا يسمح بها صندوق المساعدات العسكرية لصالح دولة معينة لأن ذلك يفتح الباب أمام الدول الأخرى لطلب مساعدات عسكرية مماثلة. (Documents F.R.U.S , 30 October, 1954).

مع فشل الكونغرس الهندوراسي في اختيار رئيساً للبلاد وتفاقم الأزمة الداخلية، قدم مكتب شؤون أمريكا الوسطى مذكرة إلى وزارة الخارجية في واشنطن بتاريخ ٢٢تشرين الثاني ١٩٥٤ حول السياسة التي يجب ان تتبعها واشنطن تجاه الأوضاع الداخلية في الهندوراس، نصح بتقديم مقترح لتشكيل حكومة ائتلافية بمساعد سفراء الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا الوسطى، وفي حال تعذر ذلك فأن السفارة الامريكية تبلغ الرئيس غالفيز بالاستمرار بالمنصب لمدة عام او عامين لتجنيب البلاد الفوضى خصوصاً وانه يتمتع بتأييد شعبي، على أن لا تكون البعثة الدبلوماسية الأمريكية في تيغوسيغالبا ظاهرة في أي ترتيب علني حتى لا يفسر ذلك بأنه تدخل في الشأن الداخلي، واعتقد مكتب شؤون أمريكا الوسطى أن رسم سياسة واضحة وثابتة تجاه الهندوراس في ظل المتغيرات التي يمر بها البلد مستحيلاً، ونصح أن تكون كل المسارات مقبولة للتعامل معها في ضوء الاحداث Documents F.R.U.S , 12 (November, 1954).

في ظل هذه الظروف المعقدة في الوضع الداخلي الهندوراسي تعرض الرئيس غالفيز إلى ازمة قلبية في ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٤ نقل على أثرها إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتلقي العلاج، واستولى نائب الرئيس خوليو لوزانو دياز Julio Lozano Diaz [1]، على السلطة بموجب الدستور وعلق الكونغرس الوطني ووعد بإجراء انتخابات في غضون عامين، وذكرت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا ان جميع أعضاء الكونغرس المنتخبين في تشرين الأول ١٩٥٤ سيشكلون الكونغرس الجديد ويعملون ضمن هيئة استشارية لإعداد دستور جديد في البلاد Documents F.R.U.S , 27 November, (1954)، وأعلنت الخارجية الأمريكية في ٣٠ تشرين الأول أن الحكومة الجديدة التي يقودها لوزانو ستحظى بدعم وتأييد واشنطن (Documents F.R.U.S , 30 November, 1954)، وعبر الأخير

عن شكره للولايات المتحدة الأمريكية ودعمها المستمر لبلاده لتجاوز الأزمة، مؤكداً في برقيته المؤرخة في ٦ كانون الأول ١٩٥٤ أن حكومته تحظى بتأييد الأحزاب الرئيسية في البلاد والفائزة في الانتخابات الرئاسية الأخيرة، وأعطى الضمانات الكاملة لواشنطن بمعاداة الشيوعية وإنقاذ البلاد من الفوضى على حد وصفه، بناءً على ذلك قررت الولايات المتحدة الأمريكية اعادة العلاقات السياسية والدبلوماسية مع هندوراس بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٥٤ والاعتراف بحكومة لوزانو دياز , Documents F.R.U.S (December 6, 1954).

المبحث الثاني

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الانقلاب العسكري الهندوراسي وتداعياته على الأوضاع الداخلية في البلاد ١٩٥٦-١٩٥٧

بدأ لوزانو حكم البلاد عام ١٩٥٥ بتأييد شعبي واسع مع ترحيب الأحزاب السياسية على أمل التخلص من الفوضى والازمة التي تعاني منها البلاد، إلا أن تلك القاعدة الشعبية والحزبية لم يحسن استثمارها لصالح الدولة، وأعلن عن مشروع تنموي اقتصادي يعتمد بالأساس على تمويله من القروض الدولية ورفع الضرائب، ولكن هذه الخطة قوبلت بالرفض من الأحزاب السياسية وعلى رأسهم الحزب الوطني معتبراً أن هذه الخطة ستؤدي إلى استغلال ثروات البلاد لصالح الشركات الأجنبية، من جهة أخرى فأن قانون العمل الذي أصدره لوزانو عام ١٩٥٥ كفل للعمال الحق في تنظيم المظاهرات والاضراب عن العمل، فضلاً عن تقليل ساعات العمل إلا أن فشل تطبيق القانون ساهم باتساع الفجوة بين الحكومة والنقابات العمالية (Leonard, 2012, p.57).

وبسبب الضمانات التي قدمها لوزانو للولايات المتحدة الأمريكية بالوقوف إلى جانبها لمحاربة العناصر الشيوعية في البلاد ، قدم السفير الأمريكي في تيغوسيغالبا وايتنغ ويلاور Whiting Willauer[٢]، طلباً إلى مكتب المساعدات العسكرية والشون الأمنية الدولية التابع لوزارة الخارجية في واشنطن بتاريخ ٣٠ اب ١٩٥٥ يتضمن شراء طائرات عسكرية لصالح الهندوراس وأوصى بتحويل الطلب إلى وزارة الدفاع للموافقة عليه، وتأكيداً على ذلك قدم الرئيس لوزانو بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٥ طلباً رسمياً إلى الولايات المتحدة الأمريكية يعبر عن رغبته في ابرام عقد لشراء المعدات العسكرية للقوات الجوية الهندوراسية وكما مبين في العقد ادناه مع قيمة الأسلحة وعلى النحو التالي: (Documents F.R.U.S , 2 December, 1955).

نوع المعدات العسكرية	قيمة العقد بالدولار الأمريكي
طائرات من طراز F6F-5 15	١٠٥,٠٠٠ دولار

قطع غيار لمدة خمس سنوات	٣٩٠,٠٠٠ دولار
طائرات من طراز 10 F4U-5	١٦٧,٠٠٠
قطع الغيار والمعدات الكاملة	٦٤٠،٠٠٠
طائرات 10T-6-G	٢٧،٠٠٠

من جهته أكد السفير ويلاور للخارجية في واشنطن ان تحديث سلاح الجو الهندوراسي مهم جداً لتحقيق السلام في البلاد خصوصاً في الانتخابات الرئاسية المقرر عقدها عام ١٩٥٦.

أحد ابرز المشاكل التي واجهت السلطة الجديدة في الهندوراس هي مشكلة النزاع الحدودي مع نيكاراغوا والتي تعود الى خمسينيات القرن التاسع عشر حول ترسيم الحدود بين البلدين بعد استقلال دول أمريكا الوسطى عن اسبانيا ، ويرتكز جوهر الخلاف على محورين أساسيين، الأول حول الحدود البرية خاصة في منطقة نهر كوكو حيث اختلف الطرفان في تفسير الخرائط والمعاهدات القديمة، والثاني حول الحدود البحرية والخلاف على ترسيم الجرف القاري والمناطق الاقتصادية في البحر الكاريبي والتي تتمتع بثروة سمكية كبيرة بالإضافة إلى أهميتها الاستراتيجية، وكانت هذه الخلافات مثار جدل بين الدولتين تصل إلى المواجهات المسلحة، حاول الرئيس لوزانو استثمار النزاع الحدودي التاريخي مع نيكاراغوا من أجل تصدير المشاكل الداخلية التي تعاني منها البلاد Documents F.R.U.S ,21 December, (1955).

وذكر مكتب شؤون أمريكا الوسطى التابع لوزارة الخارجية الأمريكية في أيار ١٩٥٥ ان الرئيس لوزانو أصدر قرار بإرسال قوات إلى الشريط الحدودي مع نيكاراغوا بين خليج فونيسكا ومنطقة تيكوكانتي الحدودية، وعلى الفور اتهمت نيكاراغوا والمعارضة الداخلية في الهندوراس الرئيس لوزانو باستخدام هذه القضية لصرف الانتباه عن الأوضاع الداخلية، وأبلغت الخارجية الهندوراسية سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في تيغوسيغالبا إذا لم تلجأ نيكاراغوا إلى محكمة العدل الدولية فأنها ستحيل القضية إلى مجلس الأمن الدولي أو رفعها إلى منظمة الدول الأمريكية لحلها وفق حلف الريو العسكري لعام ١٩٤٧ أو أنها تذهب إلى استخدام القوة لتسوية النزاع (Documents F.R.U.S ,21 December, 1955).

وذكرت السفارة الأمريكية في نيكاراغوا أن الرئيس سوموزا Somoza[٣]، لم يهتم لتصرفات هندوراس كما ان هذه التحركات الهندوراسية لم تحظ بأي اهتمام من الصحافة النيكاراغوية، وأفادت أن محاولة لوزانو تأتي ضمن إطار ارباك الوضع الداخلي واشغال الرأي العام عن الانتخابات للبقاء أطول مدة ممكنة في السلطة ومواجهة المعارضة الداخلية Documents F.R.U.S ,21 December, (1955).

وأفادت الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٢ تموز ١٩٥٦ عن قيام الرئيس لوزانو باعتقال ونفي زعماء الحزب الليبرالي الهندوراسي خارج البلاد وفي مقدمتهم رئيس الحزب رامون فيلدا Ramon Villed[٤]، وتم نفيهم إلى غواتيمالا في اعقاب محاولة الحزب تحشيد الرأي العام للقيام بمظاهرات ضد الحكومة في ٢٥ تموز ١٩٥٦، مؤكدة أن هذا التصرف غير مدروسة وقد تؤدي إلى مواجهة بين الحكومة والمعارضة قبل الانتخابات الرئاسية القادمة في تشرين الأول ١٩٥٦، وفي سياق متصل خرجت مظاهرات حاشدة من قبل طلبة الجامعات والمدارس وحدثت اعمال شغب دون وقوع ضحايا، ويزعم لوزانو انه احتوى الموقف رغم أنه اعترف للسفير ويلاور بأن هذه التطورات من المحتمل أن تمنعه من حضور اجتماع بنما المقرر عقده في أيلول ١٩٥٦ والذي يضم رؤساء الدول الامريكية Documents F.R.U.S , 12 (July 1956).

واشارت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا أن الرئيس السابق تيبور كارياس[٥]، زعم الحزب القومي الهندوراسي له دور قوي في الاحتجاجات الأخيرة التي شهدتها البلاد خصوصاً بعد تحالفه مع الحزب الليبرالي مؤخراً للإطاحة بالرئيس لوزانو إما عن طريق الانتخابات أو استخدام الوسائل الأخرى خصوصاً أذا ما شعروا أن الانتخابات تحت سيطرة لوزانو، مؤكدة أن كارياس لا يزال يحظى بدعم من ضباط الجيش (Documents F.R.U.S , 12 July 1956)، وكان لوزانو يتجه أكثر نحو استخدام القوة للحفاظ على سلطته، وتشير المصادر الخاصة بالسفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا إلى ان هناك مجموعات صغيرة من الحزب الليبرالي والحزب الإصلاحي تدعم لوزانو بدلاً من فيلدا، وبعض القوميين ومع ذلك فأن دعمه الشعبي قليل، مؤكدة أن هذا الصراع داخلي ولا يوجد أي دور للمجموعات الشيوعية الهندوراسية، وبالتالي فأن دعم الرئيس لوزانو في الوقت الحالي مناسب لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وفي سياق متصل اكدت الخارجية الامريكية ان فيلدا يمكنه ان يستثمر نفيه إلى غواتيمالا ليصبح بطلاً قومياً في البلاد أذا ما أحسن استخدام أوراقه بشكل صحيح مع ارتفاع وتيرة المعارضة الداخلية في الهندوراس. (Documents F.R.U.S, 12 July 1956).

في ظل هذه التطورات أصدرت الخارجية الأمريكية في واشنطن تعليمات إلى سفارتها في تيغوسيغالبا حذرت بموجبها السفير ويلاور من أي نشاط يعطي انطباعاً بالتدخل في السياسة الداخلية، وأمرته بتعليق حضوره في البلاد إلى بعد الانتخابات، لأن المؤشرات تؤكد ارتفاع حدة الازمة مع اقتراب الانتخابات، وبالتالي سيكون من الصعب عليه البقاء واجراء مقابلات مع زعماء الأحزاب دون الاتهامات بالتدخل في الشأن السياسي من قبل الطرف الخاسر في الانتخابات، وبررت السفارة الأمريكية سبب غياب ويلاور هو حاجته إلى اجراء فحوصات طبية لمرض التيفوئيد في مستشفيات الولايات المتحدة

الأمريكية ويحتاج للراحة لعدة أسابيع، وبالتالي لا يسمح له بالعودة إلى تيغوسيغالبا إلا بعد الانتخابات الرئاسية (Documents F.R.U.S , 27 September 1956).

مع هذه التناقضات السياسية في الوضع الداخلي الهندوراسي عقدت الانتخابات الرئاسية في ٧ تشرين الأول ١٩٥٦ فاز حزب الاتحاد الوطني أنصار الرئيس لوزانو بجميع المقاعد البرلمانية والبالغ عددها ٥٦ مقعد، ما دفع المعارضة وعلى رأسهم الحزب الليبرالي والحزب الإصلاحي الاعتراض على نتائج الانتخابات وتوجيه الاتهام إلى الرئيس لوزانو بتزوير الانتخابات، رأت المؤسسة العسكرية الهندوراسية أن البلاد مقبلة على فوضى كبيرة بسبب التقاطعات السياسية ونتائج الانتخابات التي تسودها شبهات التزوير، وبدأت على الفور تحركات داخل الجيش للإطاحة بالرئيس لوزانو دياز، وبتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٥٦ بدأ قادة الجيش تنفيذ انقلاب عسكري غير دموي والاعلان عن تأسيس مجلس عسكري مكون من:

الجنرال روكي روديجيز Roque Rodriguez

المقدم هيكتور كاراتشولي Hector Carccioli

الرئد روبرتو جالفيز Roberto Galvez (Documents F.R.U.S ,No.71 1956).

وفي برقية غير مرقمة بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٥٦ من السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا مرسلة إلى وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن اعلن القائم بأعمال السفارة جون سي بول Jon see boul أن الرئيس لوزانو سلم السلطة مباشرة إلى المجلس العسكري، وأفاد بول في ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٦ أن المجلس لديه سيطرة كاملة على البلاد ويتمتع بدعم الأحزاب السياسية الرئيسية، وأضاف بول أن المجلس العسكري وعد في بيان اذاعه عبر الراديو بترك السلطة في اقرب وقت وإعادة الدستور للبلاد وتسليم الحكم للنخبة المدنية، وعلى الفور اوصت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا وزارة الخارجية في واشنطن الاعتراف بالمجلس العسكري (Documents F.R.U.S ,No.71 1956).

لا تكمن أهمية انقلاب هندوراس ١٩٥٦ في كونه انقلاباً عسكرياً فحسب، بل لأنه شكل نقطة انتقال من حكم استبدادي طويل إلى تجربة ديمقراطية قصيرة ولكن مؤثرة، غيرت بنية الدولة والمجتمع حتى وان اجهضت لاحقاً بانقلاب عام ١٩٦٣، كما أن هذه الانقلاب جاء نتيجة انقسامات دخل المؤسسة العسكرية الهندوراسية بين أجيال قديمة موالية لكارياس وضباط شباب متأثرين بالأفكار الإصلاحية، وبالتالي فأن هذا التحول فتح الباب أمام دور سياسي جديد للجيش أقل ارتباطاً بمفهوم المؤسسة العسكرية وشكل النظام السياسي في البلاد.

وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٦ تلقت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا مذكرة من وزير الخارجية الهندوراسي استيبان ميندوزا Esteban Mendoza يعلم فيها الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً بتشكيل حكومة جديدة في الهندوراس، وتنص المذكرة على أن الحكومة الجديدة تحظى بالاحترام والتأييد من

جميع السلطات المدنية والعسكرية، مؤكداً عدم حدوث أي اضطراب داخلي بل على العكس استقبل الشعب التغيير بحماس شديد على حد وصفه، وتنص المذكرة على أن النظام الجديد سوف يفي بجميع الالتزامات الدولية، ورغبته في توطيد العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وقدم ميندوزا الوعود للجانب الأمريكي في استعادة القوانين الدستورية عن طريق اجراء انتخابات حرة ومبكرة. (Documents F.R.U.S , 24 October 1956).

وذكر القائم بأعمال مساعد وزير الخارجية للشؤون الأمريكية روي روبرتوم Roy Rubottom في مذكرته المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ١٩٥٦ والمرسلة إلى الخارجية في واشنطن أن قادة الانقلاب العسكري الهندوراسي مؤيدين للولايات المتحدة الأمريكية ومناهضين للشيوعية على حد وصفه، ويعتقد أن الحكومة الجديدة تحظى بدعم أغلبية السكان، معتبراً أن الانقلاب العسكري كان سبباً في منع اندلاع ثورة عنيفة تهدد الدولة، وذكر أن البيانات التي قدمهما وزير الخارجية ميندوزا صحيحة، كما اوصت السفارة الأمريكية إلى أن اتباع الرئيس لوزانو بذلوا جهوداً كبيرة وناجحة لإقناع الرأي العام الداخلي والخارجي بأن واشنطن تدعم لوزانو، ولهذا السبب ومن أجل تقديم المصالح الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية لابد من الاعتراف الفوري بالمجلس العسكري الهندوراسي وأن أي تأخير غير مبرر، وبناءً على تلك التوصيات أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية اعترافها بالمجلس العسكري في الهندوراس بتاريخ ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٦ (Documents F.R.U.S , 24 October 1956).

عاد السفير ويلاور إلى الهندوراس عقب الانقلاب العسكري لمزاولة عمله على رأس البعثة الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية وكتب مذكرة بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٦ إلى القائم بأعمال وزير الخارجية للشؤون الأمريكيتين هربرت هوفر Herbert Hovver قدم فيها احاطة كاملة عن الأوضاع الداخلية في الهندوراس مؤكداً أنها تمر بمرحلة حرجة وإذا لم يتم السيطرة عليها فأن تداعياتها ستنقل إلى باقي دول أمريكا الوسطى، وحذر من سيناريو غواتيمالا عام ١٩٥٤ أو على الأقل تعم الفوضى في البلاد (Documents F.R.U.S , 30 November 1956).

وذكر السفير ويلاور أنه تقدم بطلب إلى وزارة الخارجية الأمريكية للحصول على قرض بقيمة خمسة مليون دولار بموجب تعديل سمذرز The Smathers Amendment لدفع الاقتصاد الهندوراسي ومساندته، لأن ذلك يساهم في توفير أرضية مناسبة للحكومة الجديدة، وتجاهل ذلك من شأنه ان يساعد على تأسيس دكتاتورية تعمل للتحالف مع السياسيين الذين تم اقصاؤهم ونفيهم خارج البلاد، واعتبر السفير ويلاور أن الولايات المتحدة الأمريكية مدينة للهندوراس بسبب الدور الذي لعبته الأخيرة في الإطاحة بحكومة اربنز في غواتيمالا عام ١٩٥٤، عندما وفروا قاعدة عسكرية لمساعدة كاستيلو ارماس، وجعلها نقطة ارتكاز لعملياتهم في غواتيمالا ولولاها لم يتمكن من الإطاحة بحكومة الرئيس جاكوبو

باربنز، وبالتالي فأن الشعب والرأي العام الهندوراسي يشعرون بالحزن بسبب تجاهل واشنطن لمطالبهم وعدم مساندتهم في ازماتهم (Documents F.R.U.S , 30 November 1956).

ولابد من الإشارة إلى أن المشاكل الاقتصادية الحالية يمكن ارجاعها مباشرة إلى الاضطرابات التي نظمتها النقابات العمالية وهم شيوعيون موالون لغواتيمالا كإجراء مضاد لمنع هجوم كاستيلو ارماس، لذلك لا يمكن دفع مشاكل الهندوراس او تجاهلها على حساب المشاكل الأكثر "دراماتيكة" في غواتيمالا وكوستاريكا ونيكاراغوا على حد وصفه (Documents F.R.U.S , 30 November 1956).

وذكر السفير ويلاور مواقف الهندوراس مع الولايات المتحدة الأمريكية تعبيراً منها على الصداقة بين البلدين، منها تقديم الرئيس لوزانو شيك بقيمة ٢٥ الف دولار لمساعدة المنطقة المنكوبة في ولاية كونيتكت بعد فيضانها عام ١٩٥٥ وكان هذا تقديراً للموقف الأمريكي من فيضان الهندوراس عام ١٩٥٤، كما أن تصويت الهندوراس في الأمم المتحدة على كل القضايا بعد الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة، وهناك قائمة طويلة من الاهمال تجاه الهندوراس كما هو الحال في عقد شراء الطائرات نقداً، ولهذه الأسباب طالب السفير ويلاور وكيل وزير الخارجية لشؤون الامريكيتين هربرت هوفر باتخاذ خطوات سريعة تجاه الحكومة الهندوراسية الجديدة Documents F.R.U.S , 30 November (1956).

قوبلت رسالة ويلاور برد قاسي من مدير مكتب شؤون أمريكا الوسطى جاك نيل Jack Neil، مؤكداً أنه عندما قدمت هندوراس مساعدة مالية عقب فيضانات عام ١٩٥٥ تم تغطية الخبر صحفياً في القنوات الإخبارية عندما قدم السفير الهندوراسي لدى الولايات المتحدة الأمريكية كارلوس ايزاجوري Carlos Izaquire، الشيك للسيد السورث بانكر Ellsworth Bunker رئيس الصليب الأحمر الأمريكي، وفيما ستعلق بعقد شراء الطائرات فأن الهندوراس لم تفي بمتطلبات وزارة الدفاع الأمريكية الفنية والقانونية، ودائماً ما تشكر الولايات المتحدة الامريكية عبر قنواتها الدبلوماسية موقف الهندوراس في الأمم المتحدة، وبالتالي فأن مكتب شؤون أمريكا الوسطى يشعر بالأسف من رسالة السفير ويلاور ويعتبرها غير مبررة (Documents F.R.U.S , 6 December 1956)، وهذا يفسر طبيعة الاختلاف بين صناع القرار في واشنطن تجاه الأوضاع الداخلية في الهندوراس.

من جهته أعلن هوفر وكيل وزارة الخارجية لشؤون الامريكيتين بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩٥٦ أن وزارة الخارجية في واشنطن تدرس المساعدة الاقتصادية لهندوراس بناءً على طلب السفير ويلاور بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٦ مؤكداً متابعة وزارة الخارجية الامريكية الاحداث الداخلية في الهندوراس ببالغ الأهمية (Documents F.R.U.S , 8 December 1956).

حاول المجلس العسكري في الهندوراس تصدير الازمة الداخلية في البلاد إلى الخارج عن طريق توجيه الأنظار إلى المنطقة الحدودية مع نيكاراغوا حيث الشريط الجغرافي والمنطقة الهشة المتنازع عليها

تاريخياً بين البلدين، وإصدار أوامره إلى القطاعات العسكرية لاستعادة منطقة لاموسكتيا الواقعة على طول ساحل البحر الكاريبي من الزاوية الجنوبية الشرقية للهندوراس، وهي منطقة لا تبعد سوى بضعة اميال عن الأراضي التي تسيطر عليها نيكاراغوا، وذكرت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا ان المواقف العنيدة التي تتبناها كلا الحكومتين يصعب التنبؤ بنواياها وفق المعلومات المتوفرة والمعطيات على ارض الواقع (Documents F.R.U.S , 4 March 1957).

على اثر ذلك استدعت الخارجية الأمريكية سفير الهندوراس في واشنطن رامون فيلدا بتاريخ ٤ اذار ١٩٥٧ وقدمت عن طريقه طلب إلى الهندوراس لتوضيح نواياها بشأن التحركات العسكرية على الشريط الحدودي مع نيكاراغوا، ودعتها إلى تسوية قانونية وذكرت انها تمتلك أوراق ضغط اقتصادية على الحكومة الهندوراسية بسبب طلب الأخيرة للحصول على قرض من صندوق سمذرز، وحثت الطرفين على إجراءات التسوية السلمية عن طريق محكمة العدل الدولية Documents F.R.U.S , 4 March (1957)، وفي برقية مؤرخة في ٦ اذار ١٩٥٧ إلى السفارة الامريكية في تيغوسيغالبا ذكرت وزارة الخارجية في واشنطن أن الاحداث الجارية وعدم وجود أي تعهد من الهندوراس بالامتناع عن الاستفزاز لنيكاراغوا والفشل الواضح في كبح أنشطة الدوريات العسكرية في المناطق المتنازع عليها، وصعوبة التوفيق بين الأنشطة العسكرية والازمة المالية التي تعاني مهنا البلاد، وإذا لم تتلقى السفارة الامريكية تأكيدات من المجلس العسكري يتعهد بتهدئة الأوضاع، فأن وزارة الخارجية الأمريكية اوعزت إلى سفارتها في تيغوسغالبا اصدار تعليمات على الفور بلفت انتباه المجلس العسكري إلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية بنزع الشرعية عنه (Documents F.R.U.S , 4 March 1957)، وفي الحقيقة حاولت واشنطن ربط الاعتراف بالمجلس العسكري والمساعدة الاقتصادية من خلال تسوية النزاع الحدودي بين الهندوراس ونيكاراغوا.

وعقب التحذيرات من الخارجية الأمريكية أعلنت الحكومة الهندوراسية بيان عبر لسان وزير الخارجية ميندوزا أكد فيه ان القوات المتواجدة في لاموسكيتا لا تهدف لأي أعمال عدائية مالم يتم مهاجمتها، مؤكداً النوايا السلمية لبلاده مع السيادة الكاملة على المنطقة المعنية Documents (F.R.U.S , 7 March 1957).

شعر الرئيس النيكاراغوي سوموزا بانه لا يستطيع أن يتخذ أي موقف يبدو فيه ضعيفاً، لأنه يخشى ان يكون المنفيون النيكاراغويون متورطين بالنزاع الحدودي، وبالمقابل يشعر المجلس العسكري الهندوراسي ولأسباب سياسية داخلية لا يستطيع التنازل عن أي أراضي هندوراسية، وذكر السفير النيكاراغوي غييرمو إشبيلية ساكا Guillermo sevilla saca في واشنطن أن بلاده تستطيع ان تعتمد على أصدقائها في حالة اندلاع حرب، وعلى الفور اعلن وزير الخارجية الهندوراسي ميندوزا عن شكوكه

من قيام تحالف يجمع (نيكاراغوا-دومينيكا-فنزويلا-السلفادور-كوستاريكا) في طور التكوين، مؤكداً أنه لا يملك أي دليل على وجود هذا التحالف (Documents F.R.U.S , 7 March 1957).

وحددت وزارة الخارجية الأمريكية أهدافها بالعمل على انشاء منطقة عازلة بين الدولتين عن طريق استغلال المساحات الكبيرة من الغابات الوعرة بين القوات العسكرية لكلا الطرفين، واستخدام القنوات الدبلوماسية عن طريق منظمة دول أمريكا الوسطى، وفي حال قيام حرب بين الدولتين فأن تحرك واشنطن سيكون بموجب الاتفاقيات الأمنية والعسكرية لمنظمة الدول الامريكية. (Documents F.R.U.S, 7 March 1957).

ذكر جاك نيل مدير مكتب شؤون أمريكا الوسطى أن الهندوراس ارتكبت خطأ تكتيكاً في نقلها للجنود جواً إلى المناطق الحدودية المتنازع عليها وممارسة الدعاية والتظليل الإعلامي، ولو تم تنفيذ هذا النقل بهدوء إلى لاموسكتيا لما كان هناك أي شكوى، حيث كانت نيكاراغوا تفعل ذلك منذ سنوات على طول نهر كوكو ونهر كروتا، والحقيقة ان هندوراس لم تفعل شيء من شأنه أن يؤثر على الأراضي التي تحتلها نيكاراغوا، وعلى العكس حققت الأخيرة ميزات كبيرة على المستوى المحلي والدولي من كونها الطرف المتضرر من الهندوراس، وأوصى بعدم ربط علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع البلدين على أساس هذا النزاع لطالما لا يوجد أي مصلحة استراتيجية حيوية لواشنطن على المحك، وبالتالي لا يوجد مبرر ان تتعرض سمعة الولايات المتحدة الامريكية للمساس من قبل احد الدولتين Documents (F.R.U.S , 11 March 1957).

ابلغ السفي ويلاور القائم بأعمال وزير الخارجية للشؤون الامريكية روبوتوم ان الحكومة الهندوراسية أرسلت رسالة على منظمة الدول الأمريكية بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٥٧ ادعت فيها ان نيكاراغوا ارتكبت عدواناً ضدها بموجب احكام المادة ١٧ من ميثاق منظمة الدول الأمريكية Documents (F.R.U.S , 29 April 1957)، واجتمع مجلس منظمة الدول الأمريكية في أيار ١٩٥٧ بناءً على مذكرتين الأولى رفعتها هندوراس "تتهم" نيكاراغوا بغزو أراضيها واحتلال مدينة موكورون، والثانية رفعتها نيكارغوا "تتهم" الهندوراس بالاعتداء على أراضيها، وقام المجلس بتشكيل لجنة مشتركة تضم ممثلين عن الارجنتين وبوليفيا والمسكيك وبنما والولايات المتحدة الأمريكية للتحقيق في القضية، وبعد الاجتماع مع قادة الحكومة في تيغوسيغالبا وماناغوا صاغت لجنة التحقيق اتفاق وقف اطلاق النار بتاريخ ٥ أيار ١٩٥٧ وقبله الطرفين، ورأت الخارجية الامريكية في واشنطن ان الوضع في أمريكا الوسطى سيئ للغاية ويحتاج إلى مراجعة فورية مع تقديم مساعدات عسكرية لدولها Documents F.R.U.S, No.81 (1957).

وذكرت السفارة الأمريكية في العاصمة النيكاراغوية ماناغوا بتاريخ ١٠ أيار ١٩٥٧ أن المعلومات التي توصلت إليها لجنة التحقسق لمنظمة الدول الأمريكية مرضية للطرفين، ونمص على

عودة الطرفين إلى الوضع الذي كان قائماً قبل كانون الثاني ١٩٥٧ مع تسريح القوات الاحتياطية والتطوعية وسحب القوات العسكرية إلى مراكزها القديمة مع احالة النزاع إلى محمة العدل الدولية، وذكرت السفارة ان هذه التسوية يمكن أن تنعكس ايجاباً على الأوضاع الداخلية في الهندوراس للتخلص من الحكم العسكري (Documents F.R.U.S , 10 May 1957).

وعلى الصعيد الداخلي رأت بعض الأطراف أن المؤسسة العسكرية الهندوراسية غير راغبة في قبول خطة العودة التدريجية إلى النظام الدستوري التي وضعها عضو المجلس العسكري روبرتو جالفز، وقد استطلع ومساعديه اراء ضباط الجيش للحصول على دعمهم للإطاحة بالجنرال رودريجيز بسبب معارضته للعودة إلى الدستور والتخطيط للهيمنة على السلطة عن طريق إشاعة الفوضى في الانتخابات القادمة، وذكرت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا في ٢٢ نيسان ١٩٥٧ ان محاولة التخلص من الجنرال روديجيز في الوقت الحالي يشكل خطراً على البلاد، من جهة أخرى فأن جالفز يعتقد أن "المؤامرة" التي يقودها روديجيز ووزير الدفاع اوزوالدو لوبيز Oswaldo Lopez[٦]، ووزير الخارجية ميندوز الذي يعتبر العقل المدبر لهذه "المؤامرة" على حد وصفه وبدعم من الحزب الإصلاحي، واعتقدت السفارة ان روبرتو جالفز فقد نفوذه بشكل كبير بين العسكريين ولا يمكن له مجاراة الجنرال روديجيز ووزير الدفاع لوبيز في المستقبل (Documents F.R.U.S , 22 April 1957).

ورأت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا ان ارتفاع الضغط السياسي والعسكري للعودة إلى الحكم الدستوري في الهندوراس قد يؤدي إلى مواجهة مسلحة، خصوصاً مع استمرار الخلافات الأساسية حول آلية العمل السياسي وفك الارتباط بين المؤسسة العسكرية والمؤسسات المدنية فأن انقسام المجلس العسكري يبدو وشيكا، ومن الممكن ان يتجه التحالف التقليدي بين القوميين والليبراليين في السياسة الهندوراسية إلى الانهيار، وربما يتحد أنصار الحكومة المدنية من جميع الأحزاب في تحالف واحد لمعارضة الهيمنة العسكرية (Documents F.R.U.S , 22 April 1957).

ومع تصاعد التوترات الداخلية قاد العقيد ارماندو فيلاسكيز سيراتو Armando Valazquz Serrato في ٢٤ أيار ١٩٥٧ انقلاب مضاد داخل المجلس العسكري الهندوراسي بهدف اسقاطه ومنع تنفيذ الخطة التي يسعها إليها قادة المجلس في إقامة حكومة دكتاتورية والاطاحة بهم، إلا أن هذه المحاولة الانقلابية لم يكتب لها النجاح وتم احباطها مبكراً واعتقال فيلاسكيز وجميع الضباط المتعاونين معه (Documents F.R.U.S , 10 May 1957).

ومن الجدير بالذكر ان هذه الانقلاب يعكس سلسلة من الاضطرابات والفوضى داخل الجيش والهياكل السياسية في الهندوراس ١٩٥٦-١٩٥٧ في سياق صراع أوسع بين القوى العسكرية والاوليغارشية القديمة من أجل السيطرة على الحكم عقب انقلاب عام ١٩٥٦.

كانت أبرز عقبة امام الولايات المتحدة الامريكية هو إيجاد أرضية وبيئة داخلية مناسبة لإجراء الانتخابات الرئاسية في الهندوراس والمقرر اجراؤها في ٢١ أيلول ١٩٥٧ فقد كتب السفير ويلاور مذكرة بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٥٧ أوصى بها وزارة الخارجية في واشنطن ما يأتي:

١. احتمال عودة السلطة السياسية إلى الجنرال كارياس من خلال تحالفه مع ضباط الجيش، وربما تمنح المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قادها العقيد فيلاسكيز ذريعة ومبرر كافي للجيش لاعتقال "المشتبه بهم" وتصفية الحسابات مع كل خصومها المدنيين والعسكريين.
٢. أشار السفير ويلاور إلى أن التناقضات السياسية عميقة الجذور إلى الحد الذي يجعل التوصل إلى تسوية بين الأطراف في إطار المصلحة الوطنية أمر بالغ التعقيد، لأن الدور الذي تلعبه المؤسسة العسكرية الهندوراسية في الصراع السياسي لم يتحدد بالرغم من مراقبة الطبقة السياسية لعمل الرئيس لوبيز.
٣. وبالنظر إلى التركيبة الحزبية والسياسية فيمكن القول إن الحزب الليبرالي يتمتع بدعم شعبي ولكنه يفتقر إلى الدعم العسكري، أما الحزب القومي فيتمتع بدعم عسكري كبير مقارنة بالدعم الشعبي، وهذا الوضع يصب في مصلحة الشيوعيين الذين زادوا من امكانياتهم في ظل حكم المجلس العسكري، ولكنهم لا يمتلكون القدرة على لعب دور حاسم في الشأن الداخلي الهندوراسي (Documents F.R.U.S , 10 June 1957)، وامام هذه التناقضات الداخلية والانقسامات يجعل من الصعب على هندوراس التعامل مع هذه المشكلة في تحقيق حكومة دستورية وديمقراطية، وأوصى السفير ويلاور صناع القرار في البيت الأبيض تجنب التصريحات أو الأفعال التي يمكن تفسيرها على انها تدخل في الشؤون الهندوراسية، مع الحفاظ على اتصال منتظم مع جميع العناصر السياسية (Documents F.R.U.S , 10 June 1957).

وأعرب السفير ويلاور بتاريخ ١١ حزيران ١٩٥٧ عن ارتياحه من توقيع اتفاقية قرض صندوق سمذرز للمساعدات الخارجية الأمريكية بقيمة ٣ مليون دولار لصالح الهندوراس، لأن ذلك يعمل على مساعدتها للتخلص من الازمة الاقتصادية الحالية، واجراء انتخابات حرة ونزيهة للعودة إلى الحكم الدستوري والمدني (Documents F.R.U.S , 11 June 1957).

وبالتزامن مع اقتراب الانتخابات الرئاسية في الهندوراس ذكر مكتب شؤون الامريكيتين التابع لوزارة الخارجية الأمريكية في ٢ اب ١٩٥٧ أن الأنشطة الشيوعية في الهندوراس هي حملة منسقة وليست سلسلة من النجاحات الفردية وهذه الحملة تكتسب زخماً كبيراً ولابد من ايقافها بكل الوسائل خوفاً من اتساعها، واعرب روبوتوم عن قلقه من التقارير التي تتحدث عن الأنشطة الشيوعية على الساحل الشمالي وأجزاء أخرى من الهندوراس، وقال السفير ويلاور أن الزعيم الليبرالي فرانسيسكو بيرموديز لديه علاقات مع زعماء النقابات العمالية وحتى حكومة جالفز السابقة وحكومة لوزانو الحالية بينها عناصر

شيوعية، واعتقد أن الحكومة القادمة يجب أن تتمتع بدعم شعبي لتكون قادرة على التعامل بنجاح مع الشيوعيين (Documents F.R.U.S , 2 August 1957).

فيلدا موراليس مساعدة الولايات المتحدة الامريكية في اجراء انتخابات حرة ونزيهة، ولكن الأخيرة رفضت الطلب بحجة عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وعبر فيلدا عن مخاوفه من انعكاسات اغتيال الرئيس الغواتيمالي كاستيلو ارماس وتولي الجيش للسلطة من شأنه ان يؤثر على الأوضاع الداخلية في الهندوراس والسلفادور (Documents F.R.U.S , 2 August 1957).

وذكر مكتب شؤون أمريكا الوسطى التابع لوزارة الخارجية الأمريكية في ١٧ أيلول ١٩٥٧ أن الأحزاب السياسية الثلاثة (الليبراليين والقوميين والاصلاحيين) المرشحة للانتخابات الرئاسية فشلت في تشكيل قائمة ائتلافية، مؤكداً أن الجيش الهندوراسي يتمتع بسلطة التحكم بالانتخابات الغائها او تجاهلها بالرغم من الموقف الإيجابي الذي يتخذه الجيش من العملية الانتخابية، وفي سياق متصل اشارت السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا إلى أن العامل الخارجي الوحيد الذي ينبغي مراقبته هو العقيد أرماندو فيلاسكيز المنفي في غواتيمالا "الثوري الهندوراسي المهوس بفكرة الوصول للسلطة" على حد وصفها، وتشير السفارة إلى أنه لا يحظى بدعم واسع داخل الهندوراس، وربما يكون له دعم من الدومينيكان ولكنه لا يشكل أي خطر على الانتخابات (Documents F.R.U.S , 17 September 1957).

جرت الانتخابات الرئاسية الهندوراسية في موعدها المحدد في ٢٢ أيلول ١٩٥٧ واسفرت عن فوز الحزب الليبرالي بزعامة فيلدا ب ٣٧ مقعد، وحصل الحزب القومي على ١٨ مقعد، وحصل الحزب الإصلاحي على ٣ مقاعد (Documents F.R.U.S ,No. 87 1957).

واجرى فيلدا محادثة مع السفارة الأمريكية في تيغوسيغالبا بتاريخ ٣ تشرين الأول ١٩٥٧ عرض من خلالها خططه في اختيار دستور جديد للبلاد في غضون أسابيع، وطلب مساعدة اقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية لأن بلاده تعاني من عجز في الميزانية يقدر بنحو ١٤ مليون ليمبيرا هندوراسية وان العجز قابل للارتفاع في المستقبل، وذكر أن بلاده بحاجة إلى انشاء طريق دولي سريع من بويرتو كورتيس على سان لورينزو كإجراء استراتيجي مكمل لقناة بنما، وكذلك حاجة بلاده إلى دعم الولايات المتحدة الأمريكية للنهوض بالواقع التعليمي والصحي، مؤكداً قدرته على إدارة البلاد والنهوض بها مالم يتم اغتياله على حد وصفه في إشارة إلى تدخل الجيش بالسلطة أو قيام محاولة انقلابية ضده (Documents F.R.U.S , 3 October 1957).

ارسلت وزارة الخارجية الأمريكية مذكرة بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٥٧ إلى سفارتها في تيغوسغالبا تطلب منها توضيح احتمالات تقديم المساعدات الاقتصادية إضافية للرئيس فيلدا بدون أي مبالغة في التقديرات، وأشار روبوتوم إلى غابرييل ميخا وزير الاقتصاد الهندوراسي أن سياسات البنك

الدولي للإنشاء والتعمير وبنك التصدير والاستيراد لها شروط في تمويل القروض، وشدد على المسؤولين ممارسة رقابة صارمة على التخطيط المالي وموازنة الدولة، واتخاذ الخطوات اللازمة لتعزيز الاستثمار الأجنبي في البلاد (Documents F.R.U.S , 4 October 1957).

وبعد مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لمرشح الحزب الليبرالي فيلدا موراليس الفائز في الانتخابات الرئاسية الهندوراسية، انتخبت الجمعية التأسيسية فيلدا رئيساً للبلاد وتولى منصبه في ٢١ كانون الأول ١٩٥٧ بموجب دستور وطني جديد دخل حيز التنفيذ في ذلك اليوم ليضع حد للفوضى الداخلية التي عانت منها الهندوراس عقب الانقلاب العسكري وتولي الجيش للسلطة عام ١٩٥٦ وتداعياتها على الأوضاع الداخلية في البلاد (Documents F.R.U.S ,No. 90, 1957).

الخاتمة:

أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث:

١. يعد انقلاب عام ١٩٥٦ علامة فارقة في تاريخ الهندوراس السياسي، لأنه الانقلاب الأول في تاريخ البلاد وشكل منعطف في بنية وشكل النظام السياسي، فقد أصبح الجيش لاعب أساسي في نظام الحكم، وقاد أكثر من انقلاب عسكري طوال الحرب الباردة.
٢. من أبرز تداعيات الإطاحة بحكومة الرئيس لوزانو دياز عام ١٩٥٦ هو محاولة العسكر الاحتفاظ بالسلطة وانشاء دكتاتورية عسكرية تحفظ مصالحهم، ولذلك تمثلت المدة بين عامي ١٩٥٦_١٩٥٧ بصراع بين المؤسسة العسكرية والقوى المدنية والنخبة السياسية، إذ سعى بعض الضباط إلى إعادة نفوذ الجيش إلى النظم القديمة، بينما كان القسم الاخر من الضباط يدعمون المسار الانتخابي والتحول الديمقراطي نحو الحكم المدني وتبنى هذا المسار الضباط الشباب.
٣. أظهرت الوثائق الرسمية التابعة لوزارة الخارجية ووزارة الدفاع الامريكية بين عامي ١٩٥٦-١٩٥٧ أن صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكونوا على دراية كافية بالتطورات الداخلية في الهندوراس، فقد توقعوا حدوث ثورة في البلاد عام ١٩٥٦ بناءً على تقديرات خاطئة.
٤. تبنت الولايات المتحدة الأمريكية سياسية براغماتية تجاه الانقلاب العسكري والتطورات الداخلية الهندوراسية، وتعاملت ضمن إطار استراتيجيتها الأمنية والاقتصادية في أمريكا الوسطى بشكل عام، لذلك انصب تركيزها على منع الفوضى والمحافظة على الاستقرار في بلط يتوسط جغرافية منطقة أمريكا الوسطى والبحر الكاريبي.
٥. لم يكن انقلاب الهندوراس عام ١٩٥٦ موجهاً ضد المصالح الأمنية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت سياسة واشنطن في سياق الحرب الباردة تركز على منع أي نفوذ يساري أو شيوعي في أمريكا الوسطى، وقادة الانقلاب الهندوراسي ١٩٥٦ لم يظهروا أي توجه يساري أو

شيوعي، ومن جهة أخرى فأن كبرى الشركات الامريكية مثل شركة الفواكه المتحدة لم تتعرض مصالحها للخطر، لذلك لم يكن هناك أي معارضة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتعاملت مع الانقلاب والحكومة العسكرية كسلطة أمر واقع.

٦. أظهرت الوثائق الصادرة عن وزارة الخارجية الامريكية وسفارتها في العاصمة الهندوراسية تيغوسيغالبا حرص كبير من صناع القرار في واشنطن بعدم التصريح او الظهور علنا للحديث عن التطورات الداخلية في الهندوراس لتجنب اتهامها بالتدخل المباشر، خصوصاً عقب الموجة الكبيرة من الانتقادات الدولية للتدخل الأمريكي في انقلاب غواتيمالا عام ١٩٥٤.

٧. أظهرت الوثائق الصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية وبالأخص الوثيقة المؤرخة في ٤ اذار ١٩٥٧ والمستخدمة في متن البحث أن واشنطن تعتبر نفسها وصية على الهندوراس، وهي سياسية استعمارية استعلائية مارستها على دول أمريكا الوسطى طوال الحرب الباردة.

٨. يمكن القول إن الانقلاب لم يكن مدعوماً من الولايات المتحدة الأمريكية ولكنه كان انقلاباً مريحاً لها يتماشى مع مصالحها الأمنية والاقتصادية.

٩. ان انقلاب عام ١٩٥٦ في الهندوراس أنهي حكم شبه سلطوي، وأعاد الحياة الدستورية مؤقتاً، لكنه في الوقت نفسه شرعن تدخل الجيش في السياسية وأصبح لاعباً مركزياً في بنية النظام السياسي لعقود لاحقة وفتح الباب أمام دور سياسي دائم للجيش في الهندوراس.

قائمة المصادر:

اولاً: وثائق وزارة الخارجية الأمريكية:

_Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, General Editor: William Z. Slany, United States Government Printing Office, (Washington:1983), The Ambassador in Honduras (Erwin) to the Department of State Documents No. 650, Tegucigalpa, April 24, 1952.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Officer in Charge of Central America and Panama Affairs (Leddy) to the Ambassador in Honduras (Erwin), Documents NO. 715.5 MSP/1–554, Washington, 5 January, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, Memorandum by the Secretary of State to the President, Subject: Unsettled Labor and Political Conditions in Honduras, Documents No. 815.062/5–1254, Washington, 11 May, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, Memorandum by the Secretary of State to the President, Subject: Your question as to mechanism for informing other American Governments and obtaining advance approval of action we might take in case Honduras should call on us for aid under the Rio Treaty against armed intervention by Guatemala, Documents No. 715.00/5–1354, Washington, 17 May, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Ambassador in Honduras (Willauer) to the Department of State, Documents No. 715.001/5–2354, Tegucigalpa, 23 May 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Secretary of State to the Embassy in Honduras, Documents No. 815.062/5–2454, Washington, May 24, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Secretary of State to the Embassy in Honduras, Documents No. 815.062/6–454, Washington, 6 June 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Ambassador in Honduras (Willauer) to Claire L. Chennault, Documents No.556 , Tegucigalpa, June 30, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Assistant Secretary of State for Inter-American Affairs (Holland) to the Ambassador in Honduras (Willauer), Documents No.557, Washington, 16 July, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Deputy Under Secretary of State (Murphy) to the Assistant Secretary of Defense for International Security Affairs (Hensel), Documents No.558, Washington, 10 August, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Ambassador in Honduras (Willauer) to the Department of State, Documents No.559, Tegucigalpa, 24 September, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Assistant Secretary of Defense for International Security Affairs (Hensel) to the Deputy Under Secretary of State (Murphy), Documents No.560, Washington, October 30, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, Memorandum by the Director of the Office of Middle American Affairs (Newbegin) to the Assistant Secretary of State for Inter-American Affairs (Holland), Documents No.561, Washington, 12 November, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, Memorandum by the Deputy Assistant Secretary of State for Inter-American Affairs (Sparks) to the Deputy Under Secretary of State (Murphy), Documents No.562, Washington, 18 November, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952–1954, The American Republics, Volume IV, The Ambassador in Honduras (Willauer) to the Department of State, Documents No.564, Washington, 27 November, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952-1954, The American Republics, Volume IV, The Secretary of State to the Embassy in Honduras, Documents No.565, Washington, 30 November, 1954.

_Documents Foreign Relations of the United States, 1952-1954, The American Republics, Volume IV, The Ambassador in Honduras (Willauer) to the Department of State, , Documents No.566, Tegucigalpa, December 6, 1954.

_Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Documents American Republics central and south America, General Editor: John p. Glennon, United states Government printing office (Washington:1988), Despatch from the Ambassador in Honduras Willauer to the Department of state, Subject: Airplanes and parts Honduran Government Desires to Acquire Through purchase, Documents No 67, Tegucigalpa, 2 December 1955.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Director of the office of middle American Afaris (Newbegin) to the council of the organization of American states (Dreier), Subject: present status of Nicaraguan-Honduran Boundary Dispute, Documents No 68, Washington 21 Decembre 1955.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Assistant secretary of state for inter-American affairs (Holland) to the secretary of state, Subject: Honduras Exiling of liberal leaders increases tension, Documents No 69, Washington 12 July 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the conversation, Subject: Honduras: Delay in Return of Ambassador Willauer, Documents No 70, Washington 27 September 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Editorial Note, Documents No 71, Washington 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Acting Assistant secretary of state for inter-

American affairs (Rubottom) to the secretary of state, Subject: Recognition of new Government of Honduras, Documents No 72, Washington 24 October 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Letter from the Ambassador in Honduras (Willauer) to the Acting secretary of state, Documents No 73, Tegucigalpa 30 November 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Director of the office of middle American Afaris (Neal) to the Acting Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom), Documents No 74, Washington 6 December 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Letter from the under secretary of state (Hoover) to the Ambassador in Honduras (Willauer), Documents No 75, Washington 8 December 1956.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom) to the secretary of state, Subject: Revival of Honduran-Nicaraguan Boundary Dispute, Documents No 76, Washington 4 March 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom) to the secretary of state, Subject: Honduran-Nicaraguan Boundary Dispute, Documents No 77, Washington 7 March 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Director of the office of middle American Afaris (Neal) to the Acting Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom), Documents No 78, Washington 11 March 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Deputy Director of the office of middle American

Afaris (Stewart) to the Acting Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom), Documents No 79, Washington 22 April 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom) to the secretary of state, Subject: Honduran-Nicaraguan Controversy, Documents No 80, Washington 29 April 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Editorial Note, Documents No 81, Washington 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom) to the secretary of state, Subject: Honduran-Nicaraguan Border Dispute, Documents No 82, Washington 10 May 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from the Deputy Director of the office of middle American Afaris (Stewart) to the Acting Assistant secretary of state for inter-American affairs (Rubottom), Subject: Honduran political situation, Documents No 83, Washington 10 June 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum of a Conversation, Department of state, Subject: Honduras political situation-Boundary Dispute-Smathers fund Loan, Documents No 84, Washington 11 June 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum of a Conversation, Department of state, Subject: Honduran Ambassador Farewell call, Documents No 85, Washington 2 August 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum from William A. Wieland of the office of middle American affairs to the Assistant secretary of state for Inter-American affairs (Rubottom), Honduras: General calm on Eve of Elections, Documents No 86, Washington 17 September 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Editorial Note, Documents No 87, Washington 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Memorandum of a Conversation Between the charge in Honduras (pool) and the Honduran Ambassador (Villeda Morales), Documents No 88, Tegucigalpa 3 October 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Telegram from the secretary of state to the Embassy in Honduras, Documents No 89, Washington 4 October 1957.

_Documents Foreign Relations of The United States, 1955-1957 Volume VII, Editorial Note, Documents No 90, Washington 1957.

ثانياً: الكتب الأجنبية:

-Leonard m. Thomas, 2012, Us-Latin Relation vol.1, CQ Press.

ثالثاً: شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الروابط التالية:

https://www.encyclopedia.com/humanities/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/lozano-diaz-julio-1885-1957).

(https://www.britannica.com/biography/Anastasio-Somoza

(https://www.biografiasyvidas.com/biografia/v/villeda.htm

.(https://www.biografiasyvidas.com/biografia/c/carias.htm

https://www.laprensa.hn/honduras/oswaldo-lopez-arellano-fallece-a-los-89-anos-ERLP498297)

الهوامش:

(١) **خوليو لوزانو دياز Julio Lozano Diaz (١٨٨٥-١٩٥٧)**: سياسي هندوراسي ولد عام ١٨٨٥، شغل مناصب سياسية عدة من بينها وزير الخزانة عام ١٩٢٤، ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الزراعة وسفير الهندوراس في الولايات المتحدة الأمريكية، شغل منصب رئيس الهندوراس بين عامي ١٩٥٤-١٩٥٦، اطيح به في انقلاب عسكري بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٥٦، وتم نفيه إلى ميامي الامريكية حتى وفاته عام ١٩٥٧، (شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي: https://www.encyclopedia.com/humanities/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/lozano-diaz-julio-1885-1957).

(٢) **وايتنغ ويلاور Whiting Willauer (١٩٠٦-١٩٦٢)**: دبلوماسي امريكي ولد عام ١٩٠٦ في مدينة نيويورك، تخرج من كلية الحقوق في جامعة هارفارد وعمل محامياً في شعبة الأدلة الجنائية بوزارة العدل الأمريكية، شغل منصب سفير الولايات المتحدة الأمريكية لدى هندوراس بين عامي (١٩٥٤-١٩٥٨)، وسفيراً لدى كوستاريكا بين علمي (١٩٥٨-١٩٦١)، ومن بين المهام الموكلة إليه اثناء عمله سفيراً في الهندوراس التخطيط للإطاحة بحكومة اكوبو اربنز في غواتيمالا عام ١٩٥٤، توفي عام ١٩٦٢، (شبكة المعلومات الدولية الانترنت، مجلة النيويورك تايمز الامريكية على الرابط التالي: https://www.nytimes.com/1962/08/07/archives/whiting-w-willauer-55-dies-envoy-to-costa-rica-195860.html)

(٣) **اناستاسيو سوموزا Anastasio Somoza (١٨٩٦-١٩٥٦)**: عسكري وسياسي نيكاراغوي ولد عام ١٨٩٦ شغل منصب رئيس البلادلفترتين الأول بين عامي (١٩٣٧-١٩٤٧)، والثانية بين عامي (١٩٥٠-١٩٥٧)، اغتيل عام ١٩٥٦ فتتفي بعدة عدة أيام في احد مستشفيات منطقة قناة بنما. (شبكة المعلومات الدولة الانترنت الموسوعة البريطانية على الرابط التالي: https://www.britannica.com/biography/Anastasio-Somoza)

(٤) **رامون فيلدا Ramon Villed (١٩٠٩-١٩٧١)**: سياسي هندوراسي ولد عام ١٩٠٩، حاصل على شهادة الطب من جامعة غواتيمالا، انتخب رئيس للحزب الليبرالي عام ١٩٤٩، قاد اضراباً عام ١٩٥٦ ضد حكومة لوزانو دياز نفي على اثرها إلى كوستاريكا لمعارضته الحكومة، وعقب الانقلاب العسكري في تشرين الأول ١٩٥٦ عاد إلى البلاج وشغل منصب سفير بلاده لدى الولايات المتحدة الأمريكية، اصبح رئيس الهندوراس عام ١٩٥٧، تمت الإطاحة به في انقلاب عسكري عام ١٩٦٣ ونفي إلى نيويورك حتى وفاته بأزمة قلبية عام ١٩٧١، (شبكة المعلومات الدولي الانترنت على الرابط التالي: https://www.biografiasyvidas.com/biografia/v/villeda.htm)

(٥) **تيورسيو كارياس اندينو Tiburcio Carías Andin (١٨٧٦-١٩٦٩)**: عسكري وسياسي هندوراسي ولد عام ١٨٧٦، يعتبر قائد الثورة التحررية في البلاد عام ١٩٢٤ ، شغل منصب رئيس الهندوراس الثامن والثلاثين بين عامي (١٩٣٣-١٩٤٩)، وهو من الضباط القوميين حكم البلاد حكماً دكتاتورياً ربط البلاد مع الولايات المتحدة الأمريكية بشكل كبير وتميزت علاقاته مع واشنطن والشركات الامريكية وبالأخص شركة الفواكه المتحدة، توفي عام ١٩٦٩ ، (شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي: https://www.biografiasyvidas.com/biografia/c/carias.htm).

(٦) **اوزوالدو لوبيز Oswaldo Lopez (١٩٢١-٢٠١٠)**: سياسي هندوراسي ولد عام ١٩٢١، درس في الاكاديمية العسكرية للطيران في الهندوراس وتخرج برتبة ملازم وتدرج حتى وصل إلى رتبة عقيد، تربطه علاقات قوية مع الولايات المتحدة الأمريكية وكان يعمل لصالح شركة الفواكه المتحدة الامريكية لتجارة الموز في الهندوراس، قاد انقلاب عنيف عام ١٩٦٣ تولى على اثره رئاسة البلاد بين عامي (١٩٦٣-١٩٧١)، وتولى رئاسة ثانية بين عامي (١٩٧٢-١٩٧٥)، توفي ٢٠١٠(شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي: https://www.laprensa.hn/honduras/oswaldo-lopez-arellano-fallece-a-los-89-anos-ERLP498297)

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

انقلاب الصخيرات في المغرب ١٩٧١ دراسة في ضوء الموقف العراقي والدول العربية من الانقلاب

The skhirat coup in Morocco in 1970:Astudy in light of the Iraqi and states on the coup

أ.م.د. فضيلة إسماعيل رحيم
A.p:fadhal asmal raheem
الجامعة المستنصرية /كلية التربية
Al-mustansiriya University-college of education
Fadha.1970@uomustansiriyah.edu.iq
٠٧٧١٣٣٣٣٣٥٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

حاولت الدراسة تسلط الضوء على الانقلاب الذي وقع في المغرب عام ١٩٧١ والذي عرف تاريخياً بانقلاب الصخيرات نسبة إلى قصر الصخيرات الملكي الذي وقعت فيه الاحداث والذي خُطط له من قبل الجنرال محمد المدبوح والجنرال امحمد اعبابو والذين كان مصيرهم القتل وفشل حركتهم لكنها افرزت وأسس حقيقة أذ زج بالسجون واعدم العشرات من الذين وردت اسمائهم اثناء التحقيقات والذين كان مصيرهم الاعدام في سجن مولاي اسماعيل الغريب من مدينة الرباط لتطوى صفحة سوداء من تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، فضلاً عن ذلك اثبتت الدراسة عمق العلاقات الاخوية بين المغرب والدول العربية التي أدانت ونددت بالانقلاب واعتبرته عدواناً غير شرعي على سيادة وكرامة المغرب ملكاً وشعباً رغم معارضة بعض الدول التي رأت بالانقلاب مجاملة شرعية للتخلص من الحكم الملكي في المغرب.

الكلمات المفتاحية : انقلاب , نظام ملكي ,قادة جيش, اعتقال ,اضطربات

Abstract:

This study sheds light on the coup that took place in Morocco in 1971, historically known as the Skhirat coup, named after the Skhirat royal palace where the events occurred. It was planned by General Mohamed Medbouh and General M'hamed Ababou, who were killed and their movement failed. However, it revealed a reality, as dozens of those whose names appeared during the investigations were imprisoned and executed. They were executed in Moulay Ismail prison, near Rabat, thus closing a dark chapter in the history of modern and contemporary Morocco. Moreover, the study demonstrated the

depth of fraternal relations between Morocco and the Arab countries that condemned and denounced the coup, considering it an illegitimate aggression against the sovereignty and dignity of Morocco, its king, and its people, despite the opposition of some countries that saw the coup as a legitimate pretext to get rid of the monarchy in Morocco.
Key Words : Coup, monarchy, army leaders, arrest, unrest

المقدمة:

أهتم الباحثين لاسيما العراقيين منهم بتاريخ المغرب الحديث وانجزوا دراسات قيّمة في هذا المجال وكتب الكثير منهم عن انقلاب الصخيرات الذي حدث في المغرب عام ١٩٧١ ودرسوا اسبابه والعوامل التي ادت إلى حدوثه، لكنهم اغفلوا عن دون قصد موقف العراق والدول العربية من ذلك الحدث المهم في تاريخ المغرب والوطن العربي.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة التي تسلط الضوء على تلك المواقف وفق منهج علمي تحليلي وفي ضوء المعطيات والمصادر جاءت الدراسة في مبحثين سلط الضوء في المبحث الاول على أسباب الانقلاب والعوامل الداخلية التي قادت إلى ذلك الحدث من أزمة اقتصادية ضربت المغرب بعد تولي الملك الحسن الثاني عرش المملكة عام ١٩٦١ إلى تفشي الفساد الاداري نتيجة الازمة الاقتصادية وبروز طبقة سياسية استغلت ظروف البلاد وقربها من البلاط فاصبحت طبقة ذات شأن اجتماعي وسياسي.

أما المبحث الثاني فقد كرس لدراسة المواقف العربية ورد فعلها ازاء الاحداث تلك والتي كانت منقسمة بين مؤيد للانقلاب ومعارضاً له، وقد يأتي ذلك الاهتمام باحداث المغرب كونه اغلب الدول العربية قد عانت من تدخل الجيش في السياسة فهي لا تريد اعادة تجربة الانقلابات في ظل وضع دولي متأزم بعض الشيء فضلاً عن أن المغرب دولة عربية مستقلة ومستقرة وان أية حركة عسكرية ربما تقود البلاد إلى عواقب لا تحمد عقباها.

المبحث الاول: أسباب الانقلابات ونتائجه:

أسباب الانقلاب وتداعياته:

منذ تولي الملك (الحسن الثاني)[١] عرش المغرب عام ١٩٦١، كانت الاوضاع الداخلية تسير نحو الاسوأ، لاسيما بعد اعلان حل البرلمان عام ١٩٦٢، وبروز ظاهرة الاستثناءات في الوظائف الحكومية فبرزت على السطح حالة المحسوبية بين المقربين من البلاط الملكي[٢].

وكانت في الوقت ذاته الاحتياطات النقدية ضئيلة جداً والميزانية العامة للدولة تعاني من عجز كبير، على الرغم من قرارات الملك الخاصة بتشجيع الصناعة والتجارة واستلام قرض مالي من فرنسا،

لكن بالرغم ذلك لم يلحظ المواطن المغربي تحسناً ملحوظاً في دخله ونمط معيشته[٣] لذلك انتقد الفساد الاداري في كافة مفاصل الدولة ومنهجية الحكومة[٤].

كان قادة الجيش يرون ان الملك هو سبب الازمات التي تمر بها بلادهم بسبب بذخهِ وقراراته الاقتصادية التي زادت الامور تعقيداً بدلاً من حلها[٥].

بدأت أفكار قادة الجيش تذهب نحو انقلاب عسكري يطيع بالملك وحاشيته على غرار ما حدث في مصر عام ١٩٥٢ وسوريا عام ١٩٥٤ والعراق عام ١٩٥٨ وليبيا عام ١٩٦٩، وكانت تلك الافكار تناقش في نادي الضباط في الرباط[٦].

كان عقلي الفكرة والمديرين للانقلاب الجنرال (محمد المدبوح)[٧] مدير البيت الملكي، والجنرال (محمد عبابو)[٨]مدير مدرسة أهرمومو العسكرية للضباط وضباط الصف، وكان الاخير معجباً بالعقيد (معمر القذافي) قائد الثورة الليبية ومولياً له في الافكار والتطلعات الثورية[٩].

تم الاتفاق على ان يكون الانقلاب يوم ١٠ تموز ١٩٧١ خلال الاحتفالات بالذكرى ٤٢ لميلاد الملك الحسن الثاني عبر مهاجمة القصر الملكي في الصخيرات جنوب العاصمة الرباط[١٠] وقتل الملك واعتقال وزراءه[١١] كان الجزء المهم في خطة الهجوم تقع على عاتق (أمحمد أعبابو) لأنه سيقود ضباط المدرسة الحربية الملكية لتنفيذ الهجوم دون أن يعلم هؤلاء بالخطة وجرت الترتيبات على أنها مناورة عسكرية عادية للاستعراض أمام الملك بالاحتفال[١٢] .

لكن بعض ضباط المدرسة أستغربوا من ملئ بنادقهم بالذخيرة الحية في أجواء لم يسبق لهم أن فعلوه، فالاستعراضات العسكرية تجرى دائماً بأسلحة غير محشوّة بالذخيرة، لكن مدير المدرسة أمرهم بتنفيذ الأوامر ففعلوا. [١٣]

الهجوم على قصر الصخيرات:

بدأ الهجوم يوم ١٠ تموز ١٩٧١ عبر مجموعتان عسكريتان تنتميان للمدرسة الحربية الملكية داهمت القصر الملكي وفتحت النيران على الموجودين في القصر، في هذا الوقت تحت السيطرة على دار الاذاعة والتلفزيون في الرباط لكنهم لم يعلنوا بيان لحين وصول الاوامر من قادة الهجوم[١٤].

وقعت مجزرة كبرى داخل القصر حيث قُتل العديد من المدعوين للاحتفال منهم وزراء وسياسيين وصحفيين ومراسلي وكالات اخبارية ومشاهير، وكان من بين القتلى الجنرال المدبوح[١٥].

الفعل المدبر للانقلاب ولا يعرف هل قتل اثناء اطلاق النار أم أن اوامر صدرت من أعبابو باغتياله. [١٦]

في السياق ذاته ادى مقتل الجنرال (أمحمد أعبابو) إلى حالة من الذعر بين الجنود وحالة من الارباك والفوضى لاسيما بعد ان تدخل جنود الحرس الملكي واخذوا يطلقون النار على المهاجمين[١٧].

وبعد مناوشات بين الجانبان استسلم جزء كبير من الجنود المهاجمين وسلّموا اسلحتهم لقائد الحرس الملكي وانتهى الهجوم[١٨].

على الفور نقل الملك وحاشيته إلى مكان آمن بعيداً عن القصر، واخذ أفراد الحرس يمشطون محيط القصر واستولوا على الاسلحة والذخيرة وأسروا من بقي على قيد الحياة منهم[١٩].

في ١٢ تموز ١٩٧١ أعلنت الاحكام العرفية في كافة انحاء المغرب واغلقت المطارات المدنية والموانئ والحدود وبدأت قوات الامن بشن حملة غير مسبوقة لاعتقال المتورطين بالانقلاب[٢٠].

فضلاً عن ذلك اشارت اصابع الاتهام إلى الحكومة الليبية في التخطيط للانقلاب فداهمت القوات الامنية مقر السفارة الليبية في الرباط واحتجزت الموظفين فيها[٢١].

بدأت في ٣ تموز ١٩٧١ محاكمة قادة الانقلاب في معتقل تازمامات، وهو سجن او معتقل سياسي سري سابق في المملكة المغربية ,يقع في منطقة قروية وعرة في محافظة الرشيدية في الجنوب الشرقي وبعد محاكمات سريعة أمر الملك بإعدام المتورطين في معسكر مولاي اسماعيل قرب مدينة الرباط[٢٢].

المبحث الثاني: الموقف العراقي والعربي من انقلاب الصخيرات ١٩٧١

أدان العراق وعلى لسان وزير خارجيته (عبد الكريم الشيخلي)[٢٣] احداث الانقلاب في المغرب وجاء ذلك في مؤتمر صحفي عقد في بغداد يوم ١٥ تموز ١٩٧١ وقال في المؤتمر: (أن الجمهورية العراقية تدين بشدة الاضطرابات التي تحدثت في المملكة المغربية وأن بلادنا مستعدة لتقديم كل الدعم للأشقاء في المملكة)[٢٤].

فضلاً عن ذلك اهتمت الصحافة العراقية الصادرة في بغداد حينذاك باخبار الانقلاب وتداعياته وكانت تواكب الاحداث اولاً بأول وتنشر يومياً آخر المستجدات على الساحة السياسية في المغرب[٢٥].

وبهدف الاطمئنان على صحة جلالة ملك المغرب زار السفير العراقي لدى المغرب (فاضل سلمان العساف)[٢٦] يوم ٢٠ تموز ١٩٧١ الملك (الحسن الثاني) في مقر إقامته في الرباط، وسأل الملك المغربي عن أخبار اشقائه في العراق والشعب العراقي الشقيق بالمقابل عبر السفير العراقي على تضامن حكومته مع المغرب ملكاً وشعباً وتمنى لجلالتهِ الصحة والسلامة، وفي ختام اللقاء تمنى العاهل المغربي (المزيد من التقدم والازدهار للشعب العراقي وقيادته السياسية وعلى رأسهم الأخ الرئيس أحمد حسن البكر[٢٧]ورفاقهِ) [٢٨].

في السياق ذاته، شارك اعضاء البعثة الدبلوماسية العراقية في الرباط بالاحتفالات التي اقامتها الحكومة المغربية بمناسبة سلامة الملك المغربي، وقد ألقى السفير العراقي (فاضل سلمان العساف) كلمة عبر فيها (عن سعادته واعضاء السفارة جميعاً والشعب العراقي بسلامة جلالة الملك المفدّى وأن الشعب العراقي يقف صفاً واحداً مع اشقائه المغاربة وقيادته الرشيدة) [٢٩].

وقدمت باقات الزهور بأسم الجمهورية العراقية وسجل السفير العراقي كلمة تشريفات القصر الملكي.[٣٠]

وبهدف تعزيز العلاقات الاخوية بين الجمهورية العراقية والمملكة المغربية قدم السفير العراقي هدية رئاسة الجمهورية في ٢ آب ١٩٧١ إلى ديوان القصر الملكي بحضور الوزير الأول (محمد كريم السمراني)[٣١] وعدد كبير من المسؤولين المغاربة[٣٢].

الموقف العربي من الانقلاب

في السياق نفسه ادان الرئيس الجزائري (هواري بومدين)[٣٣] الانقلاب واعلن تضامنه مع اخوانه في المغرب معبراً عن ذلك عدواناً على الشعب المغربي تقف خلفه إرادات أجنبية هدفها النيل من استغلال البلاد واحداث فوضى عارمة في البلاد[٣٤].

وأجرى (بومدين) زيارة رسمية إلى المغرب في ٣ أيلول ١٩٧١ بهدف اعلان تضامنه مع الملك المغربي وقيادته وشعبه، وفي اللقاء الأخوي عبر العاهل المغربي عن عمق سعادته من المواقف الطيبة للشعب الجزائري تجاه اخوته في المغرب وتمنى للشعب الجزائري وقيادته الحكيمة الازدهار والتطور[٣٥].

فضلاً عن ذلك ادانت الخارجية المصرية وعلى لسان وزير خارجيتها (محمود رياض)[٣٦]الاحداث الاخيرة التي حدثت في المغرب والامين العام لجامعة الدول العربية (عبد الخالق حسونة)[٣٧] ودعا إلى عقد قمة طارئة للتباحث في الشأن العربي كي لا تتكرر تلك الحوادث في دول عربية أخرى [٣٨]، فقد ادانت المملكة العربية السعودية الاحداث التي وقعت في المغرب وصرّح الملك (فيصل بن عبد العزيز آل سعود)[٣٩](أن أمن المملكة المغربية هو امتداد لأمن المنطقة كلها فأننا نشجب تلك الظواهر المشينة خصوصاً تدخل الجيش في شؤون الحكم والإدارة)[٤٠].

كما ادانت الخارجية الكويتية تلك الاحداث، وكانت ضمن المناقشات التي اجراها وزير الخارجية الكويتي الشيخ (صباح الاحمد الجابر الصباح)[٤١] مع المسؤولين المغاربة في زيارته للمملكة في ٢٥ آب ١٩٧١ لاسيما اذا علمنا ان الخارجية المغربية لعبت دوراً كبيراً داخل الجامعة العربية بهدف حصول الكويت على الاستقلال وكانت اول دولة عربية تصوت بالموافقة على قرار الجامعة العربية[٤٢].

أما الحكومة التونسية فلم يصدر عنها أية تصريح بسبب فتور العلاقات التونسية–المغربية بسبب احداث (قفصه) [٤٣] الأولى، وذات الموقف اتخذته الحكومة الليبية برئاسة العقيد (معمر القذافي)[٤٤] الذي اشارت إليه يد الاتهام بأن مخابراته تقف خلف الانقلاب، ولكن لم يثبت بالدليل ذلك الاتهام وبقيت مؤشرات ليس إلا [٤٥].

والموقف نفسه اتخذته موريتانيا بسبب العلاقات المتوترة مع المغرب بسبب قضية الصحراء الغربية[٤٦]فضلاً عن ذلك نددت منظمة التحرير الفلسطينية بالانقلاب وعبر رئيسها ياسر عرفات[٤٧]عن

أمله في أن لا تتكرر تلك الاحداث في بلد مستقر وامن كالمغرب الشقيق وان توجه الجهود ضد الصهاينة بدلاً من الاحتراب الداخلي. [٤٨]

أما المملكة الاردنية الهاشمية فلم يكن موقفها واضحاً حينما سأل مراسل قناة البي بي سي B.B.C الاذاعية البريطانية عن موقف الاردن من احداث الصخيرات أجاب رئيس الديوان الملكي (احمد الطراونة)[٤٩] (لا تعليق)[٥٠] بالرغم من ذلك حضر الملك (الحسين بن طلال) ملك الأردن. جنازة بعض ضحايا الانقلاب مما يعني موقف المملكة الأردنية الداعم للمملكة المغربية.

في الوقت نفسه، رفض رئيس الوزراء السوري (عبد الرحمن خليفاوي)[٥١] وادان الاحداث الاخيرة التي شهادتها المغرب وأكد أن الخلافات لابد ان تناقش في اطار الجامعة العربية لمعرفة الأيادي التي تقف خلف الانقلاب من بعض المحسوبين على الجامعة العربية[٥٢].

وادانت لبنان ايضاً الاحداث الرامية في المغرب على لسان (صبري حماده)[٥٣] رئيس مجلس النواب اللبناني الذي عبر عن أسفه لما حدث في المملكة المغربي[٥٤] . كذلك ادانت الحكومة السودانية الانقلاب وعبّرت الخارجية السودانية عن طريق وزير الخارجية (منصور خالد)[٥٥]. كذلك ادانت سلطنة عمان الاحداث الدامية التي شهدتها المغرب وعبر وزير الخارجية العماني (فهد بن محمود ال سعيد)[٥٦] عن تضامن السلطنة مع الاشقاء في المغرب[٥٧].

فضلاً عن ذلك ادان (محمد سياد بري)[٥٨] رئيس جمهورية الصومال الديمقراطية الانقلاب الاخير في المغرب[٥٩]

وكانت آخر دولة عربية ادانت الاحداث هي اليمن وعلى لسان وزير خارجيتها (احمد محمد لقمان)[٦٠] والسبب في ذلك للأوضاع الداخلية التي كانت تمر يها اليمن من تحولات سياسية وانشغال اليمن في تلك الحقبة بترتيب شؤونها الداخلية لاسيما بعد نهاية الحرب الاهلية بين أنصار الملكية والجمهوريين وجهود اعمار ما دمرته الحرب فضلاً عن الخلافات الداخلية بين الاحزاب اليمنية، أدّى ذلك إلى ابتعاد اليمن بعض الشيء عن الشؤون العربية والدولية[٦١].

الخاتمة:

يتضح مما تقدم أن الوضع الاقتصادي وقرارات الملك الحسن الثاني كانت تقف وراء حركة انقلاب الصخيرات فضلاً عن المحسوبية في وظائف الدولة وتقريب جهات سياسية وأبعاد أخرى كل ذلك ادى بالنهاية إلى تلك الاحداث المؤسفة.

لم يكن قادة الجيش عموماً وقادة المدرسة الحربية الملكية خصوصاً وحدهم في التخطيط والتنفيذ فقد تثبتت محاضر التحقيق مع المتهمين بالانقلاب أن جهات خارجية وداخلية كانت تقف خلف الانقلاب

وهذا ما لم تعلن عنه الحكومة المغربية، فكان من بين الانقلابيين وزراء وموظفين في الديوان الملكي واساتذة جامعات وأطباء ومحامين وهذا يدل على التخطيط للانقلاب لم يكن وليد الصدفة بل مخطط حُيك منذ زمن طويل.

فضلاً عن ذلك استغلت الحكومة المغربية الاحداث تلك للتخلص من معارضيها وزج باسماء لا علاقة لها بالأحداث لا من قريب ولا من بعيد وهي محاولة لإزاحة المعارضة من طريق الحكومة المغربية وهذا ما فهمته الاحزاب المعارضة كالحزب الشيوعي المغربي على سبيل المثال لا الحصر وبعض الشخصيات التي غادرت المغرب كي لا يطال لها طائل قانوني وبقيت في الخارج تمارس معارضتها للنظام المغربي.

كما اثبتت الدراسة عمق التلاحم العربي بين الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية رغم وجود خلافات بين المغرب وبعض الدول العربية كليبيا بقيادة العقيد معمر القذافي المتهم نظامه بالتخطيط ومساعدة قادة الأنقلاب وتونس التي لم تؤيد او تندد بالانقلاب بسبب الخلافات بين الحبيب بورقيبة والعاهل المغربي.

الهوامش:

(١) ثاني ملك للمغرب بعد الاستقلال ولد عام ١٩٢٩ وعاش في كنف والده الملك محمد بن يوسف العلوي (محمد الخامس) درس في المدرس المولوية ثم اكمل دراسته في فرنسا، تولى الحكم عام ١٩٦١، وتعرض لمحاولات اغتيال عدة مرات، انتهج سياسة داخلية تهدف إلى الازدهار وتطوير المغرب وسياسة خارجية قائمة على الاعتدال، توفي عام ١٩٩٩. ينظر: محمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر، مصدر سابق، ص٧١.

(٢) عبد العزيز خلوق التمسماني، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر، ط٢،مطبعة اخوان، الرباط، ١٩٩٥، ص١٠٣.

(٣) محمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر ١٩١٢-١٩٩٩ ، ط٢، الرباط، ٢٠٠٠، ص٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٥) العزيز خلوق التمسماني، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٦) محمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر ١٩١٢-١٩٩٩ ، مصدر سابق، ص٧٥.

(٧) جنرال عسكري ولد شمال المغرب عام ١٩٢٧ درس العلوم العسكرية في مدرسة سوموور وعين قائداً للحرس الملكي ومديراً للبيت الملكي شارك بانقلاب الصخيرات عام ١٩٧١ وقتل اثناء الاشتباك. ينظر: محمد لومه، انقلاب الصخيرات: دراسة نقدية شاملة لاحداث تموز ١٩٧١, ص٥٣.

(٨) جنرال عسكري ولد في تازه عام ١٩٣٤ درس في المدرسة العسكرية في مكناس، عين مديراً لمدرسة اهراومو قاد انقلاباً الصخيرات عام ١٩٧١ وقتل فيه. ينظر: محمد لومه، انقلاب الصخيرات، مصدر سابق، ص٥٦.

(٩) محمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر ١٩١٢-١٩٩٩ ، مصدر سابق، ص٧٨.

[١٠]مصطفى العلوي، الصخيرات: المجزرة السياسية، ط٢، الرباط، ١٩٨٥، ص٦١.

[١١] محمد متقي الله، انقلاب الصخيرات كنت هناك. الدار القومية للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص٣٣.

[١٢]مصطفى العلوي، الصخيرات: المجزرة السياسية، مصدر سابق، ص٦٤.

[١٣] محمد متقي الله، انقلاب الصخيرات كنت هناك، مصدر سابق، ص٣٥-٣٦.

[١٤]داهمت قوة صغيرة مؤلفة من أربعة جنود دار الاذاعة والتلفزيون واحتجزت العاملين في الدار داخل احدى الاستوديوهات لحين وصول البيان الرسمي من قائد الانقلاب لينقلا على الشعب المغربي، وبقي الحال على ما هو عليه حتى اليوم الثاني عندما سمع الجنود بنبأ فشل الحركة. :مصطفى العلوي، الصخيرات: المجزرة السياسية، مصدر سابق، ص٦٩.

[١٥] محمد متقي الله، انقلاب الصخيرات كنت هناك، مصدر سابق، ص٣٩.

[١٦] محمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر ١٩١٢-١٩٩٩ ، مصدر سابق، ص٨١.

[١٧]محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الاكاديمي، الرباط ١٩٩٨، ص٩١.

[١٨]مصطفى العلوي، الصخيرات: المجزرة السياسية، مصدر سابق، ص٨٤.

[١٩] محمد متقي الله، انقلاب الصخيرات كنت هناك، مصدر سابق، ص٤٥.

[٢٠]جمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث، ط٣، مركز النشر الجامعي، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص١٩١.

[٢١] مقلاتي عبد الله، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، ط٢، الدار الجامعية، الرباط، ٢٠٠٠، ص٧٧.

[٢٢]شملت الاعدامات الدكتور فاضل بنعيش طبيب الملك واحمد باحنيتي رئيس القضاة والجنرال البشير البوهالي والجنرال محمد الغرباوي والجنرال ادريس النميشي والجنرال عبد الحي ومحمد الزراق وزير السياحة والدكتور عبد المالك فرج والدكتور عبد الرحمن عرفه وابو بكر الصبيحي من التشريفات الملكية والكولونيل المكي المغربي والكولونيل بوعزه ابو حمص والكولونيل الخياري واحمد بن سوده مدير ديوان كاتب الدولة وفاضل بنائي سفير المغرب في السنغال والقبطان بوجمعه والشبوكي عمر وضابط صف حسين علام والحسن حسين وسرحان شيف الزياني فضلاً عن قائمة أخرى ضمت ٦٨ أسماً آخرين من المدنيين والعسكريين وبرتب عالية ومناصب إدارية رفيعة. مصطفى العلوي، الصخيرات: المجزرة السياسية، مصدر سابق، ص٨٦-٨٧.

[٢٣]سياسي عراقي ولد في بغداد عام ١٩٣٥، انهى دراسته الثانوية في الاعدادية المركزية في بغداد ثم التحق بكلية الطب، انمى لصفوف حزب البعث منذ عام ١٩٦١، شارك في احداث ٨ شباط ١٩٦٣ و ١٧ تموز ١٩٦٨ شغل منصب وزير الخارجية من ٣١ تموز ١٩٦٨ حتى ٣٠ ايلول ١٩٧١، بعدها اصبح ممثل العراق الدائم لدى الامم المتحدة، قتل في بغداد في ٦ نيسان ١٩٨٠. ينظر: جاسم الدوري. وزراء خارجية العراق في ضوء ملفاتهم الوظيفية في وزارة الخارجية. وزارة الخارجية العراقية – الدائرة الإدارية – شعبة الاضابير، بغداد، ١٩٩١، ص٦٦.

[٢٤] جريدة الثورة ١٦ تموز, ١٩٧١.

[٢٥] أكرم عبد المحسن داخل، القضايا العربي في الصحافة العراقية: جريدة الثورة انموذجا، ط٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد: ١٩٧٧، ص١١٢.

[٢٦]دبلوماسي وعسكري عراقي ولد في بغداد عام ١٩١٧، تخرج من الكلية العسكرية العراقية وخدم في وحدات الجيش العراقي انتمى لصفوف حزب البعث منذ عام ١٩٦٠ وبعد ١٧ تموز ١٩٦٨ تقلد منصب مدير شرطة بغداد، نقل إلى

وزارة الخارجية بموجب قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١٠٣٤ في ١٩٦٩/٩/٦، نقل بعدها إلى ديوان وزارة الخارجية بدرجة سفير بعدها احيل إلى التقاعد عام ١٩٧٣. ينظر: وزارة الخارجية العراقية، جداول السفراء وخط خدماتهم الدبلوماسية. وزارة الخارجية العراقية – الدائرة الادارية – شعبة الاضابير، بغداد، ١٩٨٤، ص٩٩.

[٢٧]سياسي وعسكري عراقي ولد في تكريت عام ١٩١٤ ودرس في دار المعلمين وعين معلماً في تكريت بعدها دخل الكلية العسكرية وتخرج ضابطاً، شارك بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وحركة ٨ شباط ١٩٦٣ وشكل ثلاث وزارات، تقلد منصب رئيس الجمهورية بعد عام ١٩٦٨، اعتزل السياسة عام ١٩٧٩، توفي عام ١٩٨٢.ينظر: مجموعة مؤلفين. موسوعة ١٧ تموز المجيدة ١٩٦٨، ط٢، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٧٤،ص١٦.

[٢٨] جريدة الثورة ١٦ تموز, ١٩٧١.

[٢٩] المصدر نفسه.

[٣٠] المصدر نفسه.

[٣١]سياسي مغربي ولد في مدينة فاس عام ١٩١٩ درس الاقتصاد في فرنسا وأسس بعد دعوته من الدراسة مؤسسة اقتصادية كبيرة كلف من قبل الملك بتأليف وزارته الاولى في ٦ آب ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٢، وشكل وزارته الثانية عام ١٩٨٣ حتى عام ١٩٨٦ و الثالثة عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٤ بعدها انصرف لادارة شركاته، توفي بالدار البيضاء عام ٢٠١٨. ينظر: مولاي عبد الرحمن الفاسي، موسوعة اعلام المغرب، ج٢. الدار البيضاء، ٢٠٢٠، ص٣٠٢.

[٣٢]ابراهيم بوطالب، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر: دراسات وبحوث. منشورات كلية الآداب – جامعة محمد الخامس، ٢٠١٨، ص٧٧.

[٣٣]سياسي جزائري ولد في الجزائر عام ١٩٣٢ درس في المدرسة القرآنية ثم في مدرسة المابير الثانوية بعدها اكمل دراسته في الازهر بمصر شارك في الثورة الجزائرية ضد الفرنسيين واشرف على تدريب جيش التحرير الجزائري ونائب رئيس المجلس الثوري وبعد الاستقلال قادا انقلاب على حكم احمد بن بله عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٧٨ حيث توفي بالجزائر. ينظر: رابح لونيسي. هواري بومدين نصير المستضعفين، دار المعرفة، الجزائر، ١٩٨٠، ص٦٠٤.

[٣٤]محمد بوعلام، التضامن المغربي الجزائري ١٩٥٦–١٩٧٠، دار العلوم للأبحاث، الرباط، ١٩٨٥، ص٣٦.

[٣٥]محمد بوعلام، التضامن المغربي الجزائري مصدر سابق، ص٣٦.

[٣٦]سياسي مصري ولد عام ١٩٠٧ درس في الكلية الحربية بالقاهرة وتخرج عام ١٩٣٦ وعمل في المخابرات الحربية عام ١٩٤٨ انتمى لتنظيم الضباط الاحرار، وبعد ثورة ١٩٥٢ عمل سفيراً في سوريا بعدها مندوب مصر الدائم لدى الامم المتحدة ثم وزيراً للخارجية عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٧٢ بعدها تقلد منصب الامن العام لجامعة الدول العربية عام ١٩٧٢ بعدها عمل مستشاراً لرئاسة الجمهورية، توفي عام ١٩٩٢. ينظر: عبد الوهاب الكيالي. الموسوعة السياسية، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص٨٢.

[٣٧]سياسي مصري ولد عام ١٨٩٨، درس الاقتصاد في القاهرة بعدها نال شهادتي الماجستير والدكتوراه بالاقتصاد أيضاً منن لندن، شغل مناصب وزارية مرموقة منها محافظاً للإسكندرية عام ١٩٤٢ ووزير للشؤون الاجتماعية عام ١٩٤٩ والتربية والتعليم عام ١٩٥٢ والخارجية عام ١٩٥٢ انتخب اميناً عاماً للجامعة العربية من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧٢ بعدها غادر العمل السياسي حتى وفاته عام ١٩٩٢. ينظر: احمد علي المقني. أمناء عام الجامعة الدول العربية: دراسة تاريخية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٥، ٢٦١.

[٣٨] المصدر نفسه، ص٢٦٤.

[٣٩]ثالث ملك للمملكة العربية السعودية، ولد في الرياض عام ١٩٠٦، مارس العمل السياسي بحياة والده الملك عبد العزيز واخاه الملك سعود، فقام بمهام دبلوماسية وسياسية تولى الحكم عام ١٩٦٤ بعد عزل أخاه غير الشقيق الملك سعود بسبب مرضه، اتخذ مواقف سياسية خطيرة مثل عدم تصدير النفط للدول المساندة للكيان الصهيوني وانهى الحرب في اليمن، اغتيل عام ١٩٧٧. ينظر: نوره صالح الشملان. اضاءات على حياة الملك فيصل، دار الخلود، بيروت، ٢٠١٦.

[٤٠]نوره صالح الشملان. اضاءات على حياة الملك فيصل. دار الخلود، بيروت، ٢٠١٦، ص١٦١.

[٤١]ولد في الكويت عام ١٩٢٩ درس في المدرسة المباركية في الكويت، شغل منصب وزير الخارجية من عام ١٩٦٣ حتى ١٩٩١، ونائب رئيس مجلس الوزراء من عام ١٩٨٢ حتى ١٩٩٠ ثم وزير الخارجية ١٩٩٢ حتى ٢٠٠٣ ثم اميراً للكويت عام٢٠٠٦ وبقي في المنصب حتى وفاته عام ٢٠٢٠. ينظر: احمد فيصل دهمان. عميد الدبلوماسية الكويتية الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح. الكويت، ٢٠٢٣.

[٤٢]فتحي مسعود عبد. السياسة الخارجية الكويتية ١٩٦١-١٩٩١ ، ط٢، القاهرة-مصر، ٢٠٠٠، ص٧٥-٧٦.

[٤٣]مدينة تونسية صغيرة تقع جنوب غرب تونس شهدت عام ١٩٧٠ أحداث عسكرية ضد الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الذي اتهم الرئيس الليبي معمر القذافي وملك المغرب الحسن الثاني بالوقوف خلف تلك الاحداث على الرغم من ان المغرب انكرت علاقتها وصلتها بالأحداث وتكررت الاحداث عام ١٩٨٠ لذلك سميت احداث قفصة الاولى والثانية. ينظر: حلمي الهاني. التطورات السياسية في تونس ١٩٤٥-٢٠٠٠. دار المعرفة، تونس، ٢٠٠٢، ص١٦٥.

[٤٤]عسكري وسياسي ليبي ولد عام ١٩٤٢ في سرت، درست في اكاديمية بنغازي العسكرية، عمل في الجيش الليبي قاد انقلاب عام ١٩٦٩ ضد الملك ادريس السنوسي وأعلن قيام الجماهيرية الليبية، بقي في الحكم حتى الاطاحة به عام ٢٠١١. هاريس جون كراي. ليبيا ما بعد القذافي، ط٢، لندن، ٢٠١٣، ص١٥٥-١٥٦.

[٤٥]هاريس جون كراي. ليبيا ما بعد القذافي، ط٢، لندن، ٢٠١٣، ص١٦٢.

[٤٦]منطقة تقع شمال غرب افريقيا احتلتها اسبانيا عام ١٩٠٤ حتى عام ١٩٧٥ تتنازع عليها من قبل المغرب وموريتانيا ولا زالت هذه القضية إلى يومنا هذا لم تحل بشكل سلمي. ينظر: وجدي علام. (٢٠٠٠). الصحراء الغربية وجبهة البوليساريو، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٥٧.

[٤٧]سياسي فلسطيني ولد في القاهرة ١٩٢٩، درس في جامعة القاهرة كلية الهندسة، انضم إلى مجموعات الفدائيين عام ١٩٤٨ وقاد حركة النضال ضد الصهاينة، تزعم حركة الفتح وسعى للحصول على حقوق الشعب الفلسطيني، تزعم منظمة التحرير الفلسطينية حتى وفاته عام ٢٠٠٤. ينظر: فتحي عدوان. (٢٠١٧). ياسر عرفات الشهيد الثائر. دار الملتقى ، بيروت، ٢٠١٧.

[٤٨]محمود علي المجالي. شخصيات اردنية معاصرة ، ط٢، عمان، ٢٠٠٠، ص٩٦.

[٤٩]سياسي أردني ولد في الكرك عام ١٩٢٠، درس الحقوق في الجامعة السورية، شغل منصب عضو في مجلس الاعيان عام ١٩٦١، ورئيس الديوان الملكي عام ١٩٧٠، وعضو مجلس الاعيان الخامس عشر عام ١٩٨٨، ووكيل وزير المالية ورئيس محكمة الصلح ووزير تربية عام ١٩٨٩، توفي في الأردن عام ١٩٩٨. محمود علي المجالي. شخصيات اردنية معاصرة، ط٢، عمان، ٢٠٠٠، ص٨٨.

[٥٠]عبد الفتاح ياسين الخصاونة. السياسة الاردنية الخارجية ١٩٩٧-١٩٧٣ ، ط٢، مطبعة عارف، عمان، ٢٠٠٣، ص٧٦-٧٦.

[٥١]سياسي سوري ولد في دمشق عام ١٩٣٠ شغل مناصب سيادية عديدة منها منصب عضو قيادة قطرية لحزب البعث ووزير الداخلية عام ١٩٧٠ ورئيس مجلس الوزراء عام ١٩٧١، توفي عام ٢٠٠٩. ينظر: عبد الفتاح الاتاسي. تاريخ سوريا العام ، ط٢، دمشق، ٢٠٢٤، ص٥٤.

[٥٢]عبد الفتاح الاتاسي. تاريخ سوريا العام، مصدر سابق، ص٥٤.

[٥٣]سياسي لبناني ولد عام ١٩٠٢، درس في مدرسة مار يوسف، كان من المؤسسين للمجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، تولى رئاسة مجلس النواب عام ١٩٤٣، و١٩٤٧ و١٩٥٩ و١٩٦٤ و١٩٧١، توفي عام ١٩٧٦. محمد خليل. معجم اعلام الشيعة في لبنان، ط٢، مطبعة بعلبك، بيروت – لبنان، ١٩٨٠، ص١٢١.

[٥٤] المصدر نفسه، ص١٢٧.

[٥٥]سياسي سوداني ولد في أم درمان عام ١٩٣١ درس في كلية غوردون قسم القانون بعدها عمل في الامم المتحدة واليونسكو شغل منصب وزير الشباب في حكومة جعفر النميري، ووزير التعليم والخارجية من عام ١٩٧١ حتى ١٩٧٨ بعدها عاد للعمل في الامم المتحدة حتى وفاته عام ٢٠٢٠. ينظر: بابكر عثمان. الدبلوماسية السودانية في نصف قرن، ط٢، دار النجاة، الخرطوم، ٢٠٢٣، ص٩٥.

[٥٦] سياسي عماني ولد عام ١٩٤٤ درس في الاكاديمية الملكية للفنون في لندن، تسلم مناصب سياسية منها نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير خارجية سلطنة عمان منذ عام ١٩٧١. ينظر: ذو الفقار علي السعيدي. تاريخ عمان الحديث، ط٢، ج٢، مسقط، ٢٠٢٠، ص٨٣.

[٥٧]المصدر نفسه، ص٨٩.

[٥٨]عسكري وسياسي صومالي ولد عام ١٩١٩ درس العلوم العسكرية في إيطاليا، استولى على السلطة عام ١٩٦٩ بعد اغتيال الرئيس عبد الرشيد علي، توفي في مقاديشو عام ١٩٩٥. ينظر: يوسف ديري سوقال. جبهة تحرير غرب الصومال، ط٢، المغرب، ١٩٩٧، ص٧٤-٧٥.

[٥٩] المصدر نفسه، ص٧٩.

[٦٠] سياسي يمني ولد في تعز عام ١٩٠٩، درس الفقه والاقتصاد وتقلد مناصب وزارية مثل مستشار المجلس الجمهوري ورئيس مجلس الوزراء عام ١٩٦٥ ووزير الخارجية عام ١٩٧١ ومستشار عام للمعارف ووزيراً للحكم المحلي، توفي عام ١٩٩٦. ينظر: بول دريش. تاريخ اليمن الحديث، ط٢، ترجمة: محمد الباز، لندن، ٢٠٢١، ص١٥٥.

[٦١]خليل مسعود الأحمر. سياسة اليمن الخارجية بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ، ط٢، دار الوفاق، صنعاء – اليمن ، ١٩٧٥، ص٤٤.

قائمة المصادر

١. ابراهيم بوطالب، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر: دراسات وبحوث. منشورات كلية الآداب – جامعة محمد الخامس، ٢٠١٨.
٢. احمد علي المقني. أمناء عام الجامعة الدول العربية: دراسة تاريخية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٥.
٣. احمد فيصل دهمان. عميد الدبلوماسية الكويتية الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح. الكويت، ٢٠٢٣.
٤. أكرم عبد المحسن داخل، القضايا العربي في الصحافة العراقية: جريدة الثورة انموذجا، ط٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد: ١٩٧٧.
٥. بابكر عثمان. الدبلوماسية السودانية في نصف قرن، ط٢، دار النجاة، الخرطوم، ٢٠٢٣.
٦. بول دريش. تاريخ اليمن الحديث، ط٢، ترجمة: محمد الباز، لندن، ٢٠٢١، ص١٥٥.
٧. جاسم الدوري. وزراء خارجية العراق في ضوء ملفاتهم الوظيفية في وزارة الخارجية. وزارة الخارجية العراقية – الدائرة الإدارية – شعبة الاضابير، بغداد، ١٩٩١.
٨. جمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث، ط٣، مركز النشر الجامعي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.
٩. حلمي الهاني. التطورات السياسية في تونس ١٩٤٥–٢٠٠٠. دار المعرفة، تونس، ٢٠٠٢.
١٠. خليل مسعود الأحمر. سياسة اليمن الخارجية بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ، ط٢، دار الوفاق، صنعاء – اليمن ، ١٩٧٥.
١١. ذو الفقار علي السعيدي. تاريخ عمان الحديث، ط٢، ج٢، مسقط، ٢٠٢٠.
١٢. رابع لونيسي. هواري بومدين نصير المستضعفين، دار المعرفة، الجزائر، ١٩٨٠.
١٣. عبد العزيز خلوق التمسماني، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر، ط٢،مطبعة اخوان، الرباط، ١٩٩٥.

١٤. عبد الفتاح الاتاسي. تاريخ سوريا العام ، ط٢، دمشق، ٢٠٢٤، ص٥٤.

١٥. عبد الفتاح ياسين الخصاونة. السياسة الاردنية الخارجية ١٩٩٧-١٩٧٣ ، ط٢، مطبعة عارف، عمان، ٢٠٠٣.

١٦. عبد الوهاب الكيالي. الموسوعة السياسية، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

١٧. فتحي مسعود عبد. السياسة الخارجية الكويتية ١٩٦١-١٩٩١ ، ط٢، القاهرة-مصر، ٢٠٠٠.

١٨. مجموعة مؤلفين. موسوعة ١٧ تموز المجيدة ١٩٦٨، ط٢، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٧٤.

١٩. محمد بوعلام، التضامن المغربي الجزائري ١٩٥٦-١٩٧٠، دار العلوم للأبحاث، الرباط، ١٩٨٥.

٢٠. محمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر ١٩١٢-١٩٩٩ ، ط٢، الرباط، ٢٠٠٠.

٢١. محمد خليل. معجم اعلام الشيعة في لبنان، ط٢، مطبعة بعلبك، بيروت – لبنان، ١٩٨٠.

٢٢. محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الاكاديمي، الرباط ١٩٩٨.

٢٣. محمد لومه، انقلاب الصخيرات: دراسة نقدية شاملة لاحداث تموز ١٩٧١.

٢٤. محمد متقي الله، انقلاب الصخيرات كنت هناك. الدار القومية للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩.

٢٥. محمود علي المجالي. شخصيات اردنية معاصرة، ط٢، عمان، ٢٠٠٠.

٢٦. مصطفى العلوي، الصخيرات: المجزرة السياسية، ط٢، الرباط، ١٩٨٥.

٢٧. مقلاتي عبد الله، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، ط٢، الدار الجامعية، الرباط، ٢٠٠٠.

٢٨. مولاي عبد الرحمن الفاسي، موسوعة اعلام المغرب، ج٢. الدار البيضاء، ٢٠٢٠.

٢٩. نوره صالح الشملان. اضاءات على حياة الملك فيصل. دار الخلود، بيروت، ٢٠١٦، ص١٦١.
٣٠. هاريس جون كراي. ليبيا ما بعد القذافي، ط٢، لندن، ٢٠١٣.
٣١. وجدي علام. (٢٠٠٠). الصحراء الغربية وجبهة البوليساريو، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٥٧.
٣٢. وزارة الخارجية العراقية، جداول السفراء وخط خدماتهم الدبلوماسية. وزارة الخارجية العراقية – الدائرة الادارية – شعبة الاضابير، بغداد، ١٩٨٤.
٣٣. ياسر عرفات الشهيد الثائر. دار الملتقى ، بيروت، ٢٠١٧.
٣٤. يوسف ديري سوقال. جبهة تحرير غرب الصومال، ط٢، المغرب، ١٩٩٧.

الصحف:

١. جريدة الثورة ١٦ تموز, ١٩٧١.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

اوضاع البرتغال الداخلية واثرها في قيام الانقلاب العسكري (١٩١٠- ١٩٧٤)

م.م. هنادي اسماعيل إبراهيم
hanadi.ismail@uoanbar.edu.iq
07813725373
جامعة الانبار _ كلية التربية للعلوم الإنسانية _ قسم التاريخ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص:

كانت الملكية في البرتغال قوية ولم يكن للشعب البرتغالي اي تمثيل في الحكومة الى ان تمكن الثوريون البرتغاليون من انهائها باغتيال الملك كارلوس الاول (١٨٨٩ – ١٩٠٨) واسقاطها بشكل نهائي عام ١٩١٠ واعلان جمهورية البرتغال الاولى في نفس العام والتي بدأت تخطو خطوات انشاء نظام برلماني واجراء الانتخابات لكن اضطهاد رجال الدين الكاثوليك وانصار الكنيسة احدث انشقاقا في المجتمع البرتغالي وحتى داخل الاحزاب الجمهورية الوطنية مما ولد حالة من الاضطراب السياسي في البلاد دفع الضباط العسكريين لإعلان الحكم العسكري عام ١٩١٥ لذلك بدأت مرحلة عدم الاستقرار السياسي في البرتغال وتحولها من دولة ديمقراطية الى دولة دكتاتورية اسفرت في النهاية لقيام الانقلاب العسكري عام ١٩٧٤ .

الكلمات الدالة: اوروبا، البرتغال، تطورات داخلية ،الانقلاب العسكري.

هدف الدراسة :

وهدفت الدراسة لتسليط الضوء على الاحداث السياسية الداخلية في البرتغال خلال العهد الجمهوري والخلاف الذي حدث بين الفئات السياسية البرتغالية والتي ادت الى قيام عدة اضطرابات ومظاهرات خلال مدة الدراسة.

أهمية الدراسة:

تكمن اهمية الدراسة لمعرفة اوضاع البرتغال خلال قيام الجمهورية الاولى وحدوث الاضطرابات والتي شجعت على ظهور الاحزاب السياسية كعنصر فاعل في البلاد و كان سبباً في ظهور الخلاف السياسي بين العسكريين والمدنيين والذي اثر بشكل مباشر على الوضع الداخلي للبرتغال.

اسئلة الدراسة: حاولت الدراسة الاجابة عن عدة تساؤلات ابرزها:

- كيف كانت الاوضاع السياسية والاجتماعية في البرتغال خلال عهد الجمهورية الاولى؟
- ما اسباب حدوث الصراع السياسي الداخلي؟

- لماذا حاول الرئيس سالازار ايجاد توازن بين القوى السياسية؟
- هل لحركة الاستقلال في المستعمرات الافريقية تأثير على الوضع الداخلي في البرتغال؟

فرضية الدراسة:

حاولت الدراسة الاجابة عن الاسئلة السابقة بالافتراض ان النظام الملكي في البرتغال قد اسهم في تدهور الاوضاع الداخلية في البلاد ما انعكس سلبا على قيام الانقلاب العسكري.

محاور الدراسة: تمت معالجة الدراسة ضمن المباحث الاتية:

المبحث الاول: البرتغال من الجمهورية الى الديكتاتورية (١٩١٠-١٩٣٣)

المبحث الثاني: الدولة الجديدة وحدوث الانقلاب (١٩٣٣-١٩٧٤).

المنهجية: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي القائم على العودة الى المصادر المراجع الاجنبية من اجل الوقوف على الاسباب الحقيقية لأوضاع البرتغال الداخلية واثرها في قيام الانقلاب العسكري.

مشكلة الدراسة: حددت مشكلة الدراسة منذ سقوط النظام الملكي في البرتغال عام ١٩١٠ لمعرفة اسباب السقوط والمشاكل التي واجهها النظام في حين حدد عام ١٩٧٤ بداية حدوث الانقلاب العسكري وتسلم المؤسسة العسكرية ادارة امور البلاد وتدهور اوضاعها وتفاقم المشاكل الداخلية .

Abstract

The monarchy in Portugal was characterized by absolute power, lacking popular representation until Portuguese revolutionaries succeeded in terminating it. This transition began with the assassination of King Carlos I (1889–1908) and culminated in the final overthrow of the monarchy in 1910, marking the proclamation of the **First Portuguese Republic**. Although the Republic aimed to establish a parliamentary system and conduct elections, the persecution of the Catholic clergy and church supporters created a deep schism within Portuguese society and even among national republican parties. This generated a state of political turmoil that prompted military officers to declare military rule in 1915. Consequently, Portugal entered a phase of political instability, shifting from a democratic path toward a dictatorship, which eventually led to the military coup of 1974.

Keywords: Europe, Portugal, Internal Developments, Military Coup.

Objectives Of the Study

The study aims to shed light on the internal political events in Portugal during the Republican era. It examines the conflicts between various Portuguese political factions that led to numerous disturbances and demonstrations during the period under study.

Significance of the Study

The importance of this study lies in understanding the conditions in Portugal during the First Republic and the ensuing unrest. These events encouraged the emergence of political parties as active elements in the country and fueled the political discord between military and civilian sectors, directly impacting Portugal's internal stability.

Study questions

The study is addressed through the following sections:

Section I: Portugal from Republic to Dictatorship (1910–1933).

-Section II: The "Estado Novo" (New State) and the Occurrence of the Coup (1933–1974).

Study Hypothesis

The study operates on the hypothesis that the monarchical system in Portugal contributed to the deterioration of internal conditions, which subsequently reflected negatively on the state of affairs and facilitated the military coup.

Study topics

The study's main themes are as follows:

Section 1: Portugal from Republic to Dictatorship (1910-1933)

Section 2: The New State and the Coup (1933-1974).

Study Methodology

The study adopts the **historical-descriptive methodology**, relying on foreign primary and secondary sources to identify the root causes of Portugal's internal conditions and their impact on the eruption of the military coup.

Study Problem

The research problem is defined by the period following the fall of the monarchy in 1910, seeking to understand the reasons for its collapse and the challenges faced by the subsequent regime. It further investigates the 1974 military coup, marking the military institution's takeover of national governance amidst deteriorating conditions and escalating domestic crises.

المقدمة:

كانت الملكية في البرتغال تسيطر على الوضع الداخلي ولم يكن للشعب اي دور في الحكم مما فسح المجال لظهور الافكار الثورية للتخلص من النظام الملكي واغتيال الملك وابنه في لشبونة ومحاولتهم انشاء حكم جمهوري ديمقراطي يقوم على اساس مشاركة الشعب في الحكم من خلال اجراء الانتخابات لجمعية تأسيسية ووضع دستور للبلاد , لكن هذا الدستور جاء بديمقراطية محدودة واقر قوانين مناهضة للكنيسة الكاثوليكية ولم يكن لدية خطط مدروسة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مما ولد انشقاق كبير داخل المجتمع البرتغالي نتج عنه قيام الانقلاب العسكري عام ١٩٧٤.

المبحث الاول: البرتغال من الجمهورية الى الديكتاتورية (١٩١٠-١٩٣٣):

تمكن الثوريون البرتغاليون الذين ارادوا انهاء الملكية من اغتيال الملك كارلوس الاول (Carlos I) (١٨٨٩ – ١٩٠٨) وابنه الاكبر لويس فيليب في لشبونة عام ١٩٠٨ وتسلم العرش مانويل الثاني (Manuel II) (١٩٠٨ – ١٩١٠) الابن الاصغر للملك كارلوس الاول لكن الثوار اسقطوا النظام الملكي في عام ١٩١٠ واسسوا جمهورية البرتغال الاولى (١٩١٠-١٩٢٦) وخلال (١٦ سنة) للجمهورية الاولى كانت هناك (٤٥ حكومة) تخللها تفجيرات متواصلة واغتيالات وانقلابات وتمردات واعمال شغب وعدم استقرار سياسي في البلاد(١)

كانت اول محاولة للبرتغال في الحكم الجمهوري هي اقامة جمهورية برلمانية واجراء انتخابات للجمعية التأسيسية التي تعهدت بكتابة دستور جديد في عام ١٩١١ (٢) يقوم على ديمقراطية محدودة، اذ كان جزء قليل فقط من الذكور البالغين مؤهلين للتصويت في بلد كانت الاغلبية فيه كاثوليك واقر قوانين مناهضة لرجال الدين واضطهد مؤسسات وانصار الكنيسة واتباعها لذا قامت الجمهورية منذ بدايتها مفككة تفتقد لخطط اصلاحية مهمة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية(٣)

اثارت الجمهورية الاولى انشقاقاً مهماً داخل المجتمع البرتغالي لاسيما بين سكان الريف الملكيين والنقابات والكنيسة وحتى الحزب الجمهوري البرتغالي (Partido Republicano Portugues) ويرمز له (PRP) والذي كان لديه شعبية وطنية لم يبق موحداً فكان عليه ان يتحمل انفصال عناصره الاكثر اعتدالاً الذين شكلوا احزاباً جمهورية محافظة مثل الحزب التطوري (Evolutionist Party) والاتحاد الوطني الجمهوري (Republican National Union) وعلى الرغم من الانقسامات في الحزب الجمهوري البرتغالي فأنه حافظ وبقيادة زعيمة افونسو كوستا (Afonso Costa) على هيمنته على البلاد(٤)

زاد الانقسام في مؤتمر الحزب الجمهوري البرتغالي الذي عقد في تشرين الاول عام ١٩١١ عندما شكل كاماشو (Camacho) الميدا (Almeida) واريستا برانكو (Arest Branco) مع مجاميع من القادة المعتدلين تجمعاً الهدف منه اجتياز برنامج البرلمان وتخفيف تاثير الحكومة الجمهورية الراديكالية وبعد هذا الانقسام اصبح يعرف الحزب الجمهوري البرتغالي باسم الحزب الديمقراطي)(٥) (Partido Democratico) ويرمز له (PD).

ان الاضطراب السياسي في البلاد دفع كبار الضباط العسكريين في كانون الثاني عام ١٩١٥ لاعلان الحكم العسكري بناء على طلب الرئيس مانويل دي ارياغا (Manuel De Arriaga) (١٩١١-١٩١٥) بيد أنه في ايار من نفس العام اعيدت الحكومة المدنية بعد اجراء انتخابات جديدة وفوز الحزب الديمقراطي بقيادة افونسو كوستا الذي كان يخشى من انتصار المانيا في الحرب العالمية

الاولى وهذا يعني فقدان المستعمرات الافريقية البرتغالية في موزمبيق وانغولا فاضطر الى ارسال (٤٠,٠٠٠) رجل للقتال الى جانب الحلفاء في اذار عام ١٩١٦(٦).

ان دخول البرتغالي في الحرب العالمية الاولى زاد من تعقيد المشهد السياسي في البلاد لعدم وجود توافق حول هذا التدخل مما فسح المجال لظهور الجنرال سيودونيو بايس (Sidonio Pais) الذي انتخب رئيسا للجمهورية في نيسان ١٩١٨ وحاول اتخاذ الخطوات لإلغاء الاحزاب السياسية وتغير نمط التمثيل الوطني في البرلمان من خلال انشاء مجلس شعبي وتأسيس حزب واحد واسناد وظيفة التعبئة للقائد العام وحاول استعادة النظام العام مما جعل الجمهورية اكثر قبولاً للملكيين والكاثوليك لكنه لم يستطع تحقيق سياسته، اذ اغتيل في ١٤ كانون الاول عام ١٩١٨ فحدث فراغ سياسي في السلطة واعلنت شمال البرتغال استعادة النظام الملكي في ١٩ كانون الثاني ١٩١٩ بيد ان الحكومة الائتلافية وجهت وحدات الجيش للتصدي للملكيين وتمكنوا من الانتصار وعودة الحزب الجمهوري البرتغالي الى السلطة في اب عام ١٩١٩ وانتخاب انطونيو خوسيه دي الميدا (Antonio Jose de Almeida) رئيساً للبلاد (١٩١٩–١٩٢٣)، اذ سعى بكل سلطته لحل ازمة الحكومة في ايار عام ١٩٢٢ وسمى حكومة ليبرالية لكنها لم تستمر طويلاً مما دفع الشخصيات المحافظة البارزة لإجراء جولة جديدة من الانتخابات في ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٢٢ وخلالها خرج الحزب الجمهوري البرتغالي من المنافسة في الحكومة وازدادت المعارضة الداخلية وفشلت حكومات الحزب الواحد والحكومات الائتلافية واصبح من الواضح ان القوة كانت الوسيلة الوحيدة والمفتوحة امام المعارضة للاستئثار بالسلطة لاسيما وان الديكتاتورية اليمينية المتطرفة اخذت بالظهور في اوروبا واستولت على السلطة في ايطاليا واسبانيا واليونان مما دفع الضباط العسكريين بقيادة الجنرال غوميز دي كوستا (Gomes de Costa) يساندهم رجال الدين والمنظمات الكاثوليكية واعضاء هيئة التدريس والطلاب في جامعة كويمبرا للقيام بانقلاب في ٢٨ ايار عام ١٩٢٦ انهى الحكومة الجمهورية وانشاء حكومة عسكرية(٧) .

ان هذا الانقلاب لم يكن دموياً لانه لم تأت وحدات عسكرية لمساعدة الحكومة، اذ قام رئيس الجمهورية برناردیو ماشادو (Bernardino Machdo) (1925 –1926) بتسلم مقاليد السلطة في البلاد الى خوسيه منديز كابيساداس (Jose Mendes Cabecadas) , واصبح رئيس للبلاد في ايار عام ١٩٢٦ وليس الى الجنرال غوميز دي كوستا زعيم الانقلاب العسكري مما ادى الى الاقتتال الداخلي بين مختلف الفصائل العسكرية دفع هذا كابسياداس لتشكيل حكومة مشتركة مع غوميز في ١ حزيران لكن الاخير لم يقتنع فاطاح بكابسيداس في ١٧ حزيران واصبحت سيادة البلاد له بيد ان هذه السيادة لم تستمر طويلاً، اذ اطيح به في ٩ تموز وتعين الجنرال اوسكار فراجوسو كارمونا (Oscar Fragoso Carmona) رئيساً للحكومة العسكرية ومن ثم انتخب في ٢٥ اذار عام ١٩٢٨ رئيساً للجمهورية واستمر

حتى عام ١٩٣٣ واصبح العقيد خوسي فيسنتي دي فريتاس (Jose Vicente de Freitas) رئيساً للوزراء (٨)

ان عدم الاستقرار المالي في السنوات الاولى من الديكتاتورية العسكرية دفع كارمونا الى تعيين انطونيو اوليفيرا سالازار (Antonio de Oliveira Salazar) وزيراً للمالية في ١٨ نيسان ١٩٢٨ بفضل سمعته كمتخصص في الشؤون المالية قادراً على تلبية احتياجات اصحاب العمل والطبقة الوسطى في البلاد وتقديم ميزانية متوازنة لاستقرار مالي ونقدي من وحل الازمة المالية وفي الوقت نفسه حاول الجنرالات العسكريين من خلال وجودهم في الحكومة حتى عام ١٩٣٠ تجديد الجمهورية بتعزيز السلطة التنفيذية والنظام العام وسلطة الدولة والحرص على عدم تدمير الملامح الاساسية للنظام الديمقراطي (٩)

عندما اصبح سالازار نظر اليه على انه الدعامة المدنية للدكتاتورية العسكرية فقد اخذ على عاتقه بشكل متزايد تحديد مستقبل البلاد السياسي ووضع خططه في خطابين رئيسين احدهما في ٢٨ ايار ١٩٣٠ والاخر في ٣ تموز ١٩٣٠ وتحدث في خطابه الاول عن الحاجة الى دستور جديد من شأنه ان يخلق نظاماً سياسياً استبدادياً قوياً والذي اطلق عليه اسم الدولة الجديدة (Estado Novo) في حين اعلن في خطابه الثاني عن نيته لإقامة مثل هذه الدولة فوافق الجيش على الخطابين وفي ٥ تموز عام ١٩٣٢ وبعد الاستقالة الجماعية للحكومة اصبح سالازار رئيساً للوزراء (١٩٣٢-١٩٦٨) وشهد ذلك العام بداية نظام الدولة الجديدة)(١٠)

المبحث الثاني: الدولة الجديدة وحدوث الانقلاب (١٩٣٣-1974):

اصدر في عام ١٩٣٣ دستور جديد وضعه سالازار والذي اوجد توازناً بين جميع القوى وعزز سلطة الحكومة بمبادئ ديمقراطية وشكل اجماع بين النخب في البلاد لمقاومة التهديدات الخارجية وانشأ شرطة سياسية جديدة وشدد نظام الرقابة مما سمح للنظام بإضفاء الشرعية على نفسه من خلال انتخابات عام ١٩٣٤(١١)

سعى سالازار خلال المدة (١٩٣٦-١٩٤٥) الى تحقيق اهداف اساسية في السياسة الخارجية منها دعم المتمردين الوطنيين للجنرال فرانكو في الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩) وابرام معاهدات الدفاع مع فرانكو المنتصر والتأكيد على ان الاخير لن يدخل الحرب العالمية الثانية الى جانب دول المحور والحفاظ على الحياد البرتغالي في الحرب العالمية الثانية مع الميل ما بعد عام ١٩٤٢ نحو دول الحلفاء بما في ذلك السماح للولايات المتحدة باستخدام القواعد في جزر الازور (Azores Islands) والحفاظ على حماية جزر المحيط الاطلسي البرتغالي وإمبراطوريتها الخارجية في افريقيا واسيا(١٢)

حاول سالازار (١٩٤٥-١٩٥٨) القيام بإجراءات ديمقراطية بما في ذلك العفو عن السجناء السياسيين وتخفيف الرقابة واعتقد الليبراليين انها تمثل تحركات نحو الحكومة الديمقراطية في الانتخابات البرلمانية المقبلة فشكلت المعارضة حركة الوحدة الديمقراطية (Movement of Democratic Unity) ويرمز لها (MDU) والتي ضمت الديمقراطيين مع الفاشيين والشيوعيين وانسحبت من الحكومة قبل اجراء الانتخابات متهمة الحكومة بعزمها على التلاعب بالأصوات (١٣)

حدث في عام ١٩٥٨ تهديد خطير في البلاد عندما قام الجنرال هومبرتو دلغادو (Humberto Delgado) بالترشيح للرئاسة ضد المرشح الرسمي الادميرال اميركو توماس (Americo Tomas) الذي اصبح رئيس للمدة (١٩٥٨- ١٩٧٤) فوجه دلغادو حملته لتعبئة جميع القوى المعارضة ومحاولته التهديد لإخراج سالازار من الحكومة بمجرد فوزه في الانتخابات وهنا ادرك الاخير التهديد الذي يشكله الانتخاب المباشر لرئيس الدولة الجديدة (١٤)

كانت المدة بين اواخر الخمسينات واوائل الستينات من القرن العشرين حاسمة في تاريخ البرتغال، اذ كانت في عام ١٩٥٩ احدى مؤسسي الرابطة الاوربية للتجارة الحرة (European Free Trade Association) ويرمز لها (EFTA) واستجابة لمجموعة البلدان الاوربية لإنشاء المجموعة الاقتصادية الاوربية (European Economic Community) ويرمز لها (EEC) وبدأت في عام ١٩٦١ حركة الاستقلال في انغولا فأرسلت الحكومة البرتغالية القوات المسلحة (١٥) وهكذا بدأت الانتفاضات المناهضة للاستعمار لإضعاف الامبراطورية البرتغالية في افريقيا وبدأت صراعات الحرية في رواندا وظهرت حرب العصابات في غينيا عام ١٩٦٣ وموزمبيق عام ١٩٦٤ (١٦).

وبحلول اواخر ستينات القرن العشرين كانت البرتغال قد اتسمت بسمات بارزة عديدة منها انها اقل البلدان نمواً في اوروبا الغربية، اذ كان لديها الكثير من الفلاحين في الشمال وهبوط العقارات في الجنوب وتركز المراكز الصناعية في لشبونة وعلى طول الساحل الشمالي في منطقة بورتو، كما كانت المستعمرات البرتغالية في افريقيا مصدراً مهماً للمواد الهام الرخيصة واسواق آمنة ومحمية في وقت كانت فيه البرتغال بحاجة الى تنظيم وتحديث صناعتها وتطوير بناء السفن في مدينة ليسناف (Lisnave) ومدينة سيتيناف (Seteneve) بمساعدة راس المال الاجنبي وتم انشاء مصانع حديثة معظمها في حزام لشبونة الصناعي وبذلك استحوذ راس المال الاجنبي على ٥٢% من اجمالي الاستثمارات الصناعية والتحويلية في البرتغال لذا اثبتت هذه الاحداث ان البرتغال غير قادرة على التحديث دون اجراء اصلاح سياسي شامل(١٧)

اصيب سالازار في ايلول عام ١٩٦٨ بجلطة دماغية جعلته ينسحب من السياسة ويتم اختيار مارسيلو كايتانو(Marcello Caetano) كرئيس للوزراء (١٩٦٨-١٩٧٤) خلفاً له

(Robinson,1989) والذي اعلن عن خطة للإصلاح والتجديد تهدف الى تحرر محدود وتنشيط للدولة الجديدة واضفاء الشرعية على بعض حركات المعارضة وزاد من سلطة الجمعية الوطنية (١٨)

اجرى كايتانو انتخابات في تشرين الاول عام ١٩٦٩ في خمس نقابات ودخل اشخاص جدد في الانتخابات، اذ شكلت جبهة انتخابية من الشيوعيين والكاثوليك والمفكرين البارزين اطلق عليهم اسم اللجان الانتخابية الديمقراطية (Democratic Electoral Commissions) ويرمز لها (CDE) وبحلول تشرين الاول عام ١٩٧٠ اصبح هناك (٢٠ نقابة) وقيادات منتخبة مستقلة كونوا اتحاداً يسمى (بين النقابات) لكن لم يكن هناك مجالاً للإصلاحات وقدم كايتانو قانون العقود الجماعية واجرى جولة من المفاوضات حول الاجور لتحسين الوضع الاقتصادي لكنه فشل (١٩)

اندلعت في الاشهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٧٣ موجه من المظاهرات العمالية بتحريض من ٣٣ شركة في منطقة لشبونة ضمن تقريباً (١٧ الف) عامل من اصل (٣٠ الف) في هذه الشركات وكان من المفروض ان اكثر من (١٠ الالاف) عامل من (٢٠٠ شركة) ان تزيد اجورهم لكن لم يحدث ذلك مما ادى الى وقوع اضرابات اخرى خارج لشبونة في مدن (براغا Braga، كوفيلا Covilha، بورتو Porto، ماريانا غراند Marinha Granda) واضراب صناعي كبير شارك فيه مهندسو الصيانة في شركة الطيران مما ادى الى اطلاق النار عليهم واصيب اثنين منهم (٢٠)

تكبد الجيش البرتغالي خسائر كبيرة في الخارج حروب الاستقلال الافريقية لذا وجدت الطبقة الحاكمة صعوبة في تعبئة الجيش للانتصار في المعركة الاستعمارية (Varela,2011)، وفشلت في الاستجابة للمطالب العسكرية، اذ طالبوا بحقوقهم في تكوين الجمعيات وزيادة الرواتب المعاشية والتقاعد وظروف افضل للمحاربين القدامى والمعاقين الامر الذي دفع كايتانو في تموز عام ١٩٧٣ لإصدار قانون ذي الرقم ٧٣/٣٥٣ والذي يهدف الى تعزيز السيطرة على القوات المسلحة من خلال منح امتيازات للضباط المجندين في سجلات الخدمة القصيرة للترقية مما ادى الى استياء واحتجاج ضباط الاكاديميات العسكرية وتدهور العلاقات العسكرية وحاول كايتانو في اب تعديل القانون بإصدار قانون جديد ذي الرقم ٧٣/٤٠٩ لكن الاحتجاجات استمرت ضد القانون واظهرت هذه الحادثة ضعف كايتانو وعدم قدرته على ادخال تغيرات استراتيجية وعسكرية (٢١).

اتخذ الضباط هذا القانون ذريعة لتنظيمهم ولم الشمل واصبحت امكانية حدوث الانقلاب العسكري لإنهاء الدكتاتورية واضحة بشكل تدريجي، اذ اجتمعوا يوم الاحد ٩ ايلول عام ١٩٧٣ وسط اجراءات امنية مشددة (١٣٦ ضابط) في الريف ظاهرياً لحضور حفلة خاصة بالمزرعة وكان هذا الاجتماع الاول لحركة القوات المسلحة (٢٢).

كان الاقتصاد البرتغالي حتى تشرين الاول عام ١٩٧٣ نموذجي حقق نمو اقتصادي سريع خلال ستينيات واول سبعينيات القرن العشرين بزيادة التجارة واستغلال الموارد وتصدير البضائع المصنعة، والجدول ادناه يبين نمو الصادرات والواردات للبرتغال لسنتين (١٩٦٨-١٩٧٣) مقارنة مع اسبانيا واليونان(٢٣),:

السنة	البرتغال	اسبانيا	اليونان
١٩٦٨ الصادرات	٢٤,٢	١٣,٠	٩,٦
١٩٧٣ الصادرات	٢٥,٨	١٤,٣	١٤,٢
١٩٦٨ الواردات	٢٩,٢	١٥,٦	١٨,٢
١٩٧٣ الواردات	٣٣,٢	١٥,٦	٢٥,٢

ان هذا النمو لم يستمر بسبب قيام الازمة الدولية او ما يسمى ازمة النفط في تشرين الاول عام ١٩٧٣ والتي تسببت في انخفاض كبير في الناتج المحلي الاجمالي البرتغالي وانخفض النمو الاقتصادي من ٤,٩٢ بالمائة في عام ١٩٧٣ الى ٢,٩١ بالمائة في عام ١٩٧٤(٢٤).

ان سبب هذا الانخفاض لان كايتانو سمح للولايات المتحدة الامريكية بالتزود بالوقود في رحلات الامداد لـ(اسرائيل) في جزر الازور اثناء حرب تشرين الاول عام ١٩٧٣ وتمت معاقبة البرتغال مباشرة على هذا الاجراء من خلال مقاطعها من النفط وكانت من التأثير الاقتصادي العالمي لارتفاع اسعار النفط بسرعة والركود العالمي الذي تبع ذلك نهاية الحكم البرتغالي في جنوب افريقيا وموزمبيق (٢٥).

ان الانقسامات الداخلية الناجمة عن ضعف الدولة وازمة النفط ونهاية الحكم البرتغالي في بعض المستعمرات في افريقيا والتدهور الاقتصادي فتحت الابواب للهجرة البرتغالية نحو العالم، والجدول ادناه يبين اعداد المهاجرين من البرتغال الى الدول الاخرى (٢٦):

السنة	البرازيل	أمريكا	كندا	المجموع
١٩٧٤-١٩٧٠	٥,٦٤٦	٤٣,٨٣٩	٣٩,٤١٠	٨٨,٨٩٥
	فرنسا	المانيا	بلدان اوربية اخرى	المجموع
	٤١٦,٨٤٨	١٢٣,٩٣٠	١٤,٣٨٠	٥٥٥,١٥٨
	المجموع الكلي			
	٦٤٤,٠٥٣			

كان الحافز الرئيس للثورة في البرتغال في شباط عام ١٩٧٤ عندما نشر انطونيو سبينولا (Antonio Spinola) قائد الجيش البرتغالي الثاني والحاكم العسكري البرتغالي في غويانا-بيساو(١٩٦٨-١٩٧٣) كتاباً بعنوان (البرتغال والمستقبل) وانتقد فيه سياسة الحكومة البرتغالية في افريقيا

وسير الحرب لكن سرعان ما تم حظر هذا الكتاب وهذا دليل على ان النظام لم يعد قادراً على الاعتماد على ولاء الجيش (٢٧).

وعلى اثر كل تلك التطورات السابقة حدث الانقلاب في ٢٥ نيسان عام ١٩٧٤ لتبدا مرحلة جديد من التطورات الداخلية في البرتغال.

الخاتمة:-

١- تحول النظام في البرتغال من ملكي الى جمهوري عام ١٩١٠.

٢- فشل الحكومة الجمهورية منذ البداية في ايجاد حلول للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

٣- اعلان الحكم العسكري في البلاد سبب الانقسامات والاضطراب السياسي .

٤- عدم وجود توافق حول دخول البرتغال الحرب العالمية الاولى زاد من شدة الانقسام السياسي .

٥- عدم الاستقرار المالي في البلاد ادى الى تعين سالازار وزيرا للمالية ثم رئيس للوزراء .

٦- ان ضعف الحكومة البرتغالية كان سببا في حدوث الانقلاب العسكري عام ١٩٧٤ .

الهوامش:

1- Joao M. Tomas dos Anjos, "The First and Second Republic (1910-1974)",26,March,2010,P.1, www.history_of_portugal.blogspot.com
2- Douglas L. Wheeler and Walter C. Opello, Historical Dictionary of Portugal, U.S.A, 2010, P.16.
3- Manuel Baioa, "Paulo Jorge Fernandes and Filipe Ribeiro Manses, The Political history of twentieth century Portugal", E- Journal of Portuguese History, Volume 1, Number 2, 2003, P. 3.
4- omas dos Anjos, Op.Cit, P. 2.
5- Ibid
6- Baioa, Fernandes and Manses, Op.Cit, P. 3.
7- Tomas dos Anjos, Op.Cit, P.P.3-4
8- Baioa, Fernandes and Manses, Op.Cit, P.6.
9- Tomas dos Anjos, Op.Cit, P.5
10- Baioa, Fernandes and Manses, Op.Cit,P.6
11- Wheeler and Opello, OP.Cit, P.18
12- Tomas dos Anjos, Op.Cit, P.P. 3-4.
13- Baioa, Fernandes and Meneses, Op.Cit, P. 7.
14- Antonio Castapinto, Contemporary Portugal: Politics, Society and Culture, New York, 2011, P.P. 193-194.
15- Robinson, Op.Cit, P. 59.
16- Peter Robinson, "Portugal 1974-1975: The Forgotten dream, Socialist history occasional papers", Series No. 9, 1999, P.P. 5-6.
17- Robinson, Workers Councils Portugal, P. 59.
18- Jose Javier Olivas Osuna, "The deep roots of the carnation: Years of military interventionism in Portugal", Portuguese Journal of Social Sciences, Vol. 13, Number 2, Portugal, 2014, P. 223.
19- Robinson, Portugal 1974-1975, P.P. 5-6.
20- Robinson, Workers Councils Portugal, P. 61.
21- Raquel Varela, "The Portuguese Communist Party and the labor movement in the beginning of the carnation Revolution (April- Septem ber 1974)", Twentieth Century Communism, Issue 3, 2011, P. 93.
22- Osuna, Op.Cit, P. 224.
23- Robinson, Portugal 1974-1975, P. 7.
24- Paul Krugman and Jorge Braga de Macedo, "The economic consequences of the April 25th revolution", Center discussion paper, No. 326, Yale University, 1979,P.P. 2-3
25- Raquel Varela, "The PCP in the Portuguese Revolution 1974-1975: Crisis, State and Revolution", International Socialism, Issue. 157, 2018, P. 1.

26- Kenth Maxwell, The transition in Portugal, Working paper, Number 81, The Wilson Center, Washington, 1982, P.2.
27- Klaus F. Zimmermann, European Migration what do we know?, Oxford University, 2005, P. 421.

References

1- Anjos, J, "The First and Second Republic (1910-1974)", 26 March, ,2010 www.history_of_portugal.blogspot.com.
2- . Baioa, Manuel Paulo, Fernandes ,Jorge; Filipe Ribeiro de Meneses, "The Political History of Twentieth-Century Portugal", E-Journal of Portuguese History, Brown University,Volume 1, number 2,2003 .
3- Cooke, Simon The Response of the Labor government to the Revolution of carnation's in Portugal 1974-1976, University College London, 2014.
4- Kenneth ,Maxwell ,The transition in Portugal, Working paper, Number,81 The Wilson Center, Washington.
5- Krugman Paul and Jorge Braga de Macedo "The economic consequences of the April 25th revolution", Center discussion paper, No. 326, Yale University.
6- Osuna , José Javier Olivas, "The deep roots of the carnation: 150 Years of military interventionism in Portugal", Portuguese Journal of Social Sciences, Vol. 13, Number 2, Portugal, 2014.
7- Pinto ,Antonio Costa, Contemporary Portugal: Politics, Society and Culture, New York, 2011.
8- ROBINSON ,PETER, Portugal 1974-1975: The Forgotten dream, Socialist history occasional papers", Series No. 9,
9- Robinson, Peter Forbes. *Workers' Councils In Portugal 1974-1975*. Open University (United Kingdom), 1990.
10- Varela ,Raquel "The Portuguese Communist Party and the labor movement in the beginning of the carnation Revolution (April-September 1974)", Twentieth Century Communism, Issue 3
11- Varela, Raquel "The PCP in the Portuguese Revolution 1974-1975: Crisis, State and Revolution", International Socialism, Issue.157
12- Wheeler, Douglas L., and Opello Jr, Walter C.. *Historical dictionary of Portugal*. Bloomsbury Publishing USA, 2010.
13- Zimmermann ,Klaus F.,European Migration what do we know?, Oxford University, 2005

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

موقف جريدة الكرخ من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق (١٩٣٦- ١٩٣٩)

The position of AL-Karkh Newspaper on the political, Economic, and Social Conditions in Iraq (1936- 1939)

أ.م.د. حيدر عطية كاظم
الجامعة المستنصرية – كلية الآداب
رقم الهاتف: ٠٧٧١٧٤٨٤٥٠٢
haider.attia@uomustansiriyah.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملـــخـــص:-

يتناول هذا البحث حقبةً مهمةً من تاريخ العراق المعاصر خلال المدة (١٩٣٦-١٩٣٩)، وهي مرحلة اتسمت بتقلبات سياسية واقتصادية واجتماعية ملحوظة، الأمر الذي انعكس على طبيعة الخطاب الصحفي آنذاك. وفي هذا السياق، يسلّط البحث الضوء على موقف الصحافة العراقية من تلك التحولات، من خلال دراسة جريدة «الكرخ» بوصفها نموذجًا لصحيفة عُرفت باتجاهها النقدي إزاء مجريات الأحداث. وتكمن أهمية البحث في سعيه إلى الكشف عن توجهات الصحف الصادرة في تلك المدة، وتحليل أنماط تفاعلها مع القضايا التي عاصرتها، من حيث مدى اقترابها من السلطة أو تبنيها مواقف نقدية إزاء أوجه القصور والمشكلات، فضلًا عن دورها في طرح الرؤى والمعالجات. وقد اعتمد البحث على تتبع أعداد جريدة «الكرخ» الصادرة بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩ بوصفها مادةً أساسًا للتحليل والاستنتاج.

وانطلاقًا من طبيعة البحث التاريخي، جاء تنظيمه في مقدمة وأربعة محاور وخاتمة؛ تناول المحور الأول التعريف بجريدة «الكرخ» والظروف التي أحاطت بتأسيسها، فيما خُصص المحور الثاني لدراسة موقفها من الأوضاع السياسية في العراق. أما المحور الثالث فقد عالج موقفها من القضايا الاقتصادية، في حين تناول المحور الرابع موقفها من الأوضاع الاجتماعية. واختُتم البحث بخاتمة تضمنت أبرز الاستنتاجات المتعلقة بأداء الجريدة وتوجهاتها الفكرية خلال مدة الدراسة.

الكلمات المفتاحية:- (جريدة، العراق، السكن، الصحة، الحكومة)

Abstract:-

This study examines a significant period in modern Iraqi history spanning the years (1936–1939), a phase marked by notable political, economic, and social fluctuations that were reflected in the nature of journalistic discourse at the time. Within this context, the research highlights the stance of the Iraqi press

toward these transformations through a case study of *Al-Karkh* newspaper, which was known for its critical approach to unfolding events.
The importance of this study lies in its attempt to uncover the orientations of newspapers published during that period and to analyze patterns of their engagement with contemporary issues, particularly in terms of their proximity to political authority or their adoption of critical positions toward shortcomings and challenges. It also emphasizes the role of the press in presenting perspectives and proposing solutions. The research is primarily based on a systematic examination of *Al-Karkh* newspaper issues published between 1936 and 1939 as the main source for analysis and interpretation.
In line with the nature of historical research, the study is structured into an introduction, four main sections, and a conclusion. The first section introduces *Al-Karkh* newspaper and the circumstances surrounding its establishment. The second section examines its stance toward the political conditions in Iraq. The third addresses its treatment of economic issues, while the fourth analyzes its position on social conditions. The study concludes with a summary of the main findings concerning the newspaper's performance and intellectual orientations during the period under study.
Keywords:- Newspaper, Iraq, Housing, Health, Government

المقدمة:-

مما لا شك فيه، ان الصحافة العراقية منذ نشأتها الأولى عدت ركيزة أساسية من ركائز تاريخ العراق المعاصر، لما زودته بمعلومات غنية ودقيقة، اذ تعد شاهد عيان على مجريات الاحداث في العراق والاقرب لتلك الاحداث. فضلاً عن انها كانت تتناول كل أوضاع العراق المعاصرة بالنقد والتحليل.

لا يغفل على احد، ان المدة الزمنية الممتدة من (١٩٣٦- ١٩٣٩) في العراق، كانت زاهرة بالأحداث المحلية المهمة مثل تبدل الحكومات المستمر، وفي المقدمة منها حكومة الانقلاب عام ١٩٣٦، فضلاً عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة. فلم يكن غريباً والحالة تلك ان تنبري عدة صحف محلية لمعالجة تلك الأوضاع بعد تشخيص أسبابها وطرحها امام الرأي العام، ومن ثم اقتراح الحلول الناجعة لتلك المشكلات.

لأجل ذلك، وقع الاختيار على " موقف جريدة الكرخ من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٩٣٦- ١٩٣٩" عنواناً للبحث بعد الاعتماد بشكل أساسي على الاعداد الأسبوعية للجريدة المذكورة كونها كانت تصدر مرة واحدة في الأسبوع، على الرغم من التعطيل المستمر والمتكرر التي كانت تلاقيه.

اولاً:- تأسيس جريدة الكرخ:

شهد نظام الحكم في العراق خلال مرحلة الانتداب البريطاني (١٩٢٠- ١٩٣٢) تشريع العديد من القوانين التي شجعت على نشاط الصحافة والتي اخذت تعبر عن وجهات نظر متعددة سواء لسياسيين او أحزاب، فضلاً عن انها ايضاً كانت تنتقد الأداء الحكومي والسياسية البريطانية على الرغم من الضغط الذي كان يمارس بين الحين والأخر على الصحف التي كانت تصل حد الاغلاق احياناً.[١]

من جانب اخر عرف عن الملك فيصل الاول [٢] اهتمامه بالصحافة، لاسيما في بداية حكمه اذ كان يتابع ما تنشره الصحف اليومية، وبحكم الظرف السياسي والاقتصادي لبلد حديث النشأة مثل العراق، كان يقدم المعونات المالية لعدد من الصحف[٣] ، غير ان هذا الامر لم يدم طويلاً، بعد ان قرر الملك فيصل الأول منذ عام ١٩٢٦ اتخاذ التدابير لإرشاد الصحف وايقافها عند الحد الذي يتفق والمصلحة العامة.[٤]

في مثل هكذا ظروف صدرت جريدة "الكرخ" التي كانت جريدة سياسية أدبية انتقادية أسبوعية لصحابها الملا عبود الكرخي [٥] صدر العدد الأول [٦] منها في العاشر من كانون الثاني ١٩٢٧[٧] ، ثم ما لبثت ان تعرضت للتعطيل من قبل حكومة في ٢ حزيران ١٩٢٨ بدعوى مخالفتها الخطة المرسومة للصحف الأدبية، لتصدر مكانها بشكل مؤقت جريدة "صدى الكرخ" ولمدة أربعة اشهر، بعد ان تم استئناف صدور جريدة "الكرخ" مرة أخرى بتاريخ الثامن عشر من أيلول ١٩٢٨. [٨]

ثانياً:- موقف جريدة "الكرخ" من الأوضاع السياسية:

أطلت علينا جريدة "الكرخ" في مطلع العام ١٩٣٦ بمقال افتتاحي حول الحرب الإيطالية على الحبشة، اذ استعرضت طرفي النزاع ومن هو الطرف المعتدي، كما حذرت في الوقت نفسه العرب من مغبة عدم التأهب والاستعداد للتصدي لمثل هكذا اخطار محدقة. ليس هذا فحسب بل طالبت "الكرخ" العراق الذي وصفته بأنه المعني بالتفكير بشؤون العرب جميعاً، ان يجمع شتات الامة العربية لتكون امة قوية ومنيعة الحصون. [٩]

من جانب اخر، طالبت "الكرخ" بتحقيق فكرة ضم الكويت الى العراق في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٦، بعد ان كتبت ان فكرة اندماج الكويت بالعراق تلاقي رغبة اكيدة من قبل سكان هذه الامارة الذين لا يروق لهم العيش، ما لم يعودوا الى أحضان العراق، مؤكدة ان جميع المفكرين في الكويت يقومون بتنظيم مذكرات وعرائض وتوقيعها لترفع الى أصحاب القرار السياسي في العراق طلباً منهم في الدخول في ما اسمته ب" الوحدة العراقية"، كون امارتهم تعاني من الافتقار الى المؤسسات العلمية والمنشآت الصحية، وغير ذلك من نواقص الامارة وأسباب تأخرها. [١٠]

رحبت جريدة "الكرخ" بعقد معاهدة الاخوة والتحالف بين العراق والمملكة العربية السعودية[١١] ترحيباً واسعاً عندما نشرت مقالاً افتتاحياً حمل العنوان "آمال الامة العربية تحققها معاهدة الاخوة والتحالف"

وصفت فيها المعاهدة المذكورة بأنها السبيل للتعاون والتكافل الفعلي بين الحكومات التي تجمعها وحدة القومية واللغة والتقاليد. وفي ختام حديثها دعت "الكرخ" الدول العربية المستقلة وفي طليعتها البحث للانضمام الى هذه المعاهدة ذاكرة بالنص: "هذه المعاهدة كفيلة بأشتمال هذا الحلف لكل الناطقين بالضاد اذ ليس من المعقول ان تأبى دولة عربية مستقلة عن الرجوع الى حضيرة القومية العربية التي مهدت السبيل اليها هذه المعاهدة". [١٢]

بالمقابل، أبدت جريدة "الكرخ" رأيها حول قانون التجنيد الالزامي في العراق عام ١٩٣٥[١٣] بعد ان وصفته بالواجب المقدس، لان تطبيق الجندية بطبيعة الحال يوثق ارتباط الفرد بوطنه، على ان يتم تطبيق ذلك على جميع سكان البلد على حد سواء، كما اشارت الى الاستمرار في تجنيد الوجبات من المواليد المستحقة سيؤدي بعد بضعة أعوام الى ان يكون العراق محاطاً بسياجاً من الجند المفتولي السواعد وتكون تربة الوطن امنع من عقاب الجو، عندها سيحسب للعراق حساب بين الأمم. [١٤]

كان موقف جريدة "الكرخ" مؤيد لانقلاب بكر صدقي[١٥] الذي حدث في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، اذ نشرت في عددها الأول بعد الانقلاب المذكور عبارة " القائد العظيم الفريق بكر صدقي قائد القوة الوطنية الإصلاحية الذي اضطر الوزارة الهاشمية على الاستقالة بقوة الجيش الباسل" مستعرضة مساوئ الوزارة الهاشمية الثانية التي وصفت أعضاءها بأنهم أصيبوا بالغرور وحب الذات وترجيح المصالح الخاصة على العامة بإصدارهم احكام جائرة خلفت دماء غزيرة. وعلى متون العمال والفلاحين الذين انهكهم شظف العيش. [١٦]

وفي عددها اللاحق الذي صدر في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٦، أعلنت "الكرخ" انها الان في ظل الوزارة السليمانية[١٧] ، تستطيع ان تعلن عن رأيها بحرية وصراحة دون ان تخش لومة لائم، لاسيما وان رجال الحكم الحاضر يتحلون بالنزاهة والإصلاح الوطني، وبعد ان انجرفت معالم الظلم والجور، معربة عن سعادتها كباقي افراد الشعب العراقي بفرحتها بسقوط الوزارة الهاشمية، كما استبشرت خيراً بمنهاج الوزارة الجديدة التي اذاعها وزير المالية جعفر أبو التمن[١٨] عبر المذياع ذاكرة ما نصه: "علينا ان نفسح المجال لها لتعمل فالفخر لمن رجح الاعمال على الاقوال".[١٩]

لم تكتفِ جريدة "الكرخ" بهذا القدر من التأييد، بل ذكرت ان انقلاب بكر صدقي جاء نتيجة لضغوطات الشعب العراقي الخانقة نتيجة ما اصابته من ضغط وارهاق من جراء الجور والتعسف الذي لحق به، فضلاً عن صعود مجلس نيابي لا يعرف الشعب كيف وصل اعضاءه اليه لان الامة لا تعرف كيفية اجراء الانتخابات، بل لا يعرفون حتى شخصيات النواب الذين اخذوا يتقاضون رواتب على حسابهم باسم تمثيلهم، فظهرت جراء ذلك أزمات سياسية واقتصادية خانقة انتجت الملايين من الفقراء الذين اصبحوا ناقمين على الحكم منتظرين من يخلصهم منه. [٢٠]

وبهذا الصدد نشرت "الكرخ" قصيدة هجاء بحق رئيس الوزراء ياسين الهاشمي[٢١] ذكرت في مطلعها:

أيها الهاشمي الطاغي الكنت عشر سنين باغي
للقصيدة كون صاغي إلك سيف النصح سلت
اشكر الجندي الباسل والجري البارع العامل
زاحك بأربع قنابل صيرك للشام تنهت [٢٢]

كما انتهزت جريدة "الكرخ" الفرصة لتدعو الحكومة الجديدة بضرورة تعديل قانون الانتخابات النيابية بعد ان وصفتها بأنها أساس المصائب في العراق لذلك نادت بلزوم تعديل أساليب النيابة وشروطها وفي المقدمة منها تخفيض المخصصات للنواب ونسبة تمثيلهم للناخبين وعللت ذلك بالقول: "ضخامة هذه المخصصات هي التي دعت الى تهافت الجياع على كرسيها تهافتهم على القطاع ولم نكن اغنى من مصر حقاً التي يقبض هناك نوابها ٢٠ ديناراً شهرياً واذا كنا اغنى من مصر حقاً فلا بأس ان نعطي نوابنا ٣٠ ديناراً اما ٧٥ ديناراً. اللهم ان هذا لفظيع" وبخصوص نسبة التمثيل اقترحت "الكرخ" ان يكون نائب واحد لكل ٤٠ الف او ٥٠ الف نسمة. بدلاً من ٢٠ الف نسمة، لان ذلك بحسب رأي الجريدة يحد من الاسراف بالمال العام. [٢٣]

من جانب اخر، دعت جريدة "الكرخ" الأثرياء والميسورين من أبناء الشعب العراقي للتبرع في سبيل تعزيز سلاح الطيران لدى الجيش، لا سيما وان الدول تتسابق في هذا المضمار، ولكي تشحذ الهمم ذكرت "الكرخ" " ان الشعوب تهب وراء حكوماتها بدافع الشرف والغيرة والشهامة فتندفع بحماس الى معاضدة الحكومة وتعمل وتتبرع تطوعاً وبأرادتها. كما ضربت مثلاً بأثرياء الشعب المصري الذي تبرع احدهم بسبعة الاف دينار لمشروع الطيران المصري". وفي عدد اخر شكرت جريدة "الكرخ" الملك غازي[٢٤] لتبرعه بمبلغ الف دينار لدعم سلاح الطيران في العراق مبينة ان ذلك الفعل يدل على اهتمامه العالي بالمشاريع الوطنية. [٢٥]

باركت جريدة "الكرخ" الانتخابات التي أجريت في عهد الوزارة السليمانية بعد ان نشرت مقالاً افتتاحياً عنونته "النواب وما ينتظره الشعب منهم" اذ ذكرت ان الانتخابات السابقة لم تخرج عن دائرة نوع من أنواع تعيين "الاحباب والانساب والمحاسيب والخلان" مما تسبب في اقتياد النواب بواسطة الحكومة وهذا عكس الغرض الذي تؤتى من اجله المجالس النيابية في الحياة الديمقراطية لذلك طالبت "الكرخ" ان تكون الانتخابات الجديدة فاتحة عهد جديد، لاسيما وانها افرزت وجوه جديدة بالثقة تستطيع ان تؤدي الواجب النيابي وتمثل الشعب خير تمثيل[٢٦]

وفي السياق ذاته، طالبت "الكرخ" بضرورة تشكيل وفود ولجان نيابية تطوف في الولاية العراقية في كل فرصة ليسجلوا ما تحتاجه تلك الالوية من خدمات حتى اذا ما عادوا الى جلسات مجلس النواب يكونوا

مجهزين بالمعلومات الكافية عن كل قانون او مشروع يخص الشعب العراقي. من جانب اخر طالبت جريدة "الكرخ" من النواب متابعة مراحل كل مشروع، وعمل الدوائر الحكومية ومحاسبة المقصرين. لان ذلك من شأنه جلب الاستقرار على العراق ونظام حكمه. [٢٧]

رحبت جريدة "الكرخ" بتشكيل حكومة جميل المدفعي[٢٨] حكومته الرابعة على اثر استقالة الوزارة السليمانية في ١٧ اب ١٩٣٧، عندما نشرت مقالاً بعنوان " امال الامة وامانيها والوزارة المدفعية الرابعة" فقد بينت ان رئيس الوزارة الجديد اخذ على نفسه عهداً بإعادة الطمأنينة الى النفوس فأختار رجالاً أقوياء لتشكيل وزارته ينتظر منهم الشعب العراقي نزولهم الى ميدان العمل الصالح وإنقاذ البلاد من القلق والفتن التي لحقت به بعد حادثة اغتيال بكر صدقي ذاكرة بالنص: "لكل عضو من أعضاء الوزارة تاريخ حافل بجلائل الاعمال وخدمات كبرى من المواقف الحرجة فضلاً عن الميزات العملية والوطنية وقد حق لنا ان نسمي هذه الوزارة بالوزارة المنتظرة. لأنها ضمت رجالاً يقضون المشاكل ويحلون المعضلات على ما يتفق ومصلحة البلاد". [٢٩]

كان من البديهي ان تحل الحكومة الجديدة مجلس النواب وبالفعل صدرت الإرادة الملكية في ٢٦ اب ١٩٣٧[٣٠] لذلك طالبت جريدة "الكرخ" بأن يكون المجلس النيابي الجديد مكون من ممثلين حقيقيين يتم انتخابهم من بين صفوف الشعب وصفوة ابناءه الذين يغارون على مصلحة البلد وان لا يرفعوا أيديهم بالموافقة على أي قانون او مشروع قبل ان يتأكدوا ان في ذلك مصلحة عامة تعود بالنفع على جميع العراقيين[٣١] وما ان نشرت الوزارة المدفعية الرابعة منهاجها الوزاري حتى علقت جريدة الكرخ عليه بالقول "ان الوزارة المدفعية تنتج خطة حكيمة في الحكم بعد ان جاء منهاجها الوزاري شاملاً لكل ما تحتاجه البلاد من اصلاح في مختلف شؤونها السياسية والاقتصادية والداخلية معبراً عما يتمناه العراقيين". [٣٢]

بالمقابل، نعت جريدة "الكرخ" في عدد خاص لها موت الملك غازي اثر حادث سير غامض في ٤ نيسان ١٩٣٩، عندما كتبت "مات الملك ما اقسى القدر وما أمر المصيبة" ذاكرة سجاياه لاسيما اهتمامه البالغ بكافة طبقات الشعب العراقي وفي مقدمتهم الفقراء الذين كانوا يحظون بعطفه. معلقة على الحادث بالنص: "اذا كان قضاء الله عز في شأنه قد نفذ في جلالة الراحل فأن لنا خير العزاء بجلالة شيلة الملك المحبوب فيصل الثاني راجين من الله جل وعلا ان يحد في عمره وان يسعد العراق والعرب جمعاء تحت الراية التي حققت على عهد فيصل الأول وغازي الأول". [٣٣]

اثنت جريدة "الكرخ" على قرار الوزارة السعيدية الرابعة بتحويل دائرة المطبوعات الى مديرية عامة لتوسيع الدعاية والنشر داخل العراق وخارجه لما له من اثر في تحسين سمعة البلاد وتقديمها الى الرأي العام العالمي، بالمقابل أوضحت الجريدة المذكورة ان قانون المطبوعات الحالي لا يتلائم والتوسع في دائرة المطبوعات، لأنه يكبل حرية النشر ويسمح للأشخاص او المؤسسات التي تتعرض للنقد البناء ان

يلجؤون للمسؤولين من رجال الحكم للتشكي من الجهة الناقدة، لأجل ذلك طالبت "الكرخ" بتعديل قانون المطبوعات او الغاءه وسن غير تطلق من خلاله حرية الرأي والتفكير للكتاب ليتخذوا من الصحافة والنشر طريقاً للإصلاح كما هو معمول به في دول قريبة من العراق كمصر وتركيا. (٣٤)

ثالثاً: موقفها من الأوضاع الاقتصادية:

تنبهت جريدة "الكرخ" الى مشكلة اقتصادية مهمة تمس الاقتصاد العراقي وهي التسريب المستمر والبضائع عن طريق الكويت وبسبب استخدام المهربون الأجهزة اللاسلكية، فضلاً عن استخدامهم السلاح ضد شرطة الكمارك، فأن ذلك يعني عبور الكثير من السلع دون خضوعها للتفتيش والرسوم الكمركية، مما يؤدي ذلك الى تكبيد الدولة ضرراً في الموارد، كما ان غمر الأسواق العراقية بالبضائع المهربة يضر بمصلحة الخزينة العراقية والتاجر العراقي. والاهم من ذلك حقاً ان جريدة "الكرخ" استغربت من ان عمليات التهريب لا تأتي من دول الجوار الاخرى في إشارة ضمنية الى احتمالية تعامل الجهات الرسمية الكويتية مع المهربين، لمعرفة ما اسمته اصل البلاء ورأسه. (٣٥)

كما سلطت جريدة "الكرخ" على قضية اقتصادية مهمة والتي تتعلق باحتكار تصدير التمور بأيدي شركة اجنبية تمنحها الحكومة امتياز حق التصرف بالتمور العراقية. اذ وصفت نية الحكومة بأنها "غل يشل الحركة الاقتصادية"، وان ذلك يعني من بين ما يعني التحكم بملك الغير والتصرف بحقوقه. وفي هذا الصدد علقت الجريدة المذكورة بالقول: "ليس من المعقول ان تقدم شركة اجنبية على تحمل مسؤولية كبرى وتتورط بعمل عظيم يحتاج الى مؤسسات ومكاتب حباً بسواد عيون التجار والملاكين ومن له علاقة بالتمور الذين يتمكنون من استغلال مرافقهم وتصدير محاصيلهم بأنفسهم وهم ادرى بشؤونهم واعرف ببواطن الأمور وظواهرها"(٣٦) وتجدر الإشارة ان موقف جريدة "الكرخ" من هذه القضية ونقدها الإجراءات الحكومية، كلفها التعطيل لمدة تجاوزت الشهر. (٣٧)

عرجت جريدة "الكرخ" على افتتاح المصرف الزراعي الصناعي العراقي(٣٨) الذي افتتح في ٢ حزيران ١٩٣٦. اذ ذكرت ان الغاية من انشاء هكذا مصرف كانت من اجل انقاذ الزراع وارباب الصنائع من جور المرابين وتخليصهم من طائلة القروض الاهلية، غير ان ذلك لا يتحقق ابداً وفق وجهة نظر "الكرخ" بعد ان ذكرت ما نصه: "تلاشت تلك الآمال او كادت عندما علم الناس بأن قوام هذا المصرف عبارة عن مال واحد من الاف المرابين وهو عبارة عن مائة وخمسون الف دينار". وعليه طالبت الكرخ من وزير المالية رؤوف البحراني(٣٩) بتوسيع رأس مال المصرف، لكي يسد حاجة الزراع وأصحاب المصانع، ويقضي على التسليف الأهلي الذي ارهق الفلاح العراقي. (٤٠)

اثنت جريدة "الكرخ" على افتتاح مصنع للغزل والنسيج كأول مشاريع الحكومة السليمانية لسد حاجة الجيش والشرطة وطلاب المدارس والمؤسسات الحكومية الأخرى من منسوجات المصنع المذكور، كون

هذا المشروع متصل بالحياة الاقتصادية العامة للشعب العراقي، لاسيما وانه سيبيع منتجاته بسعر الكلفة بعد ان أعلنت الحكومة انها لا تتوخى من تأسيسه تحقيق الأرباح. من جانب اخر دعت "الكرخ" الى افتتاح مشاريع اقتصادية أخرى تعود بالنفع على البلد، أولها مشروع لصناعة الأسلحة والاعتدة فضلاً عن شراء خمسة بواخر تقوم بنقل الحبوب الى الخارج، لتخليص الزراع من تلاعب شركات نقل الحبوب[٤١].

وفي السياق ذاته، رحبت جريدة "الكرخ" بإعلان الحكومة السليمانية القيام بمشروع مصنع الاسمنت الذي وصفته من المشاريع التي تدر الخير على البلد، وانه سيساعد على نهوضه، وتشجيع القائمين على التعمير المضي في أعمالهم. والمهم في الامر من وجهة نظر الجريدة ان الحكومة قررت ان تقوم بالمشروع بنفسها من أموال حكومية خالصة. فضلاً عن بيع الاسمنت بسعر كلفة انتاجه منعاً للاحتكار والتلاعب بأسعار هذه المادة المهمة، وهي بذلك القرار اثبتت انها تلامس الواقع ليتمكن الجميع من شرائها، وعندها تكون قد حققت امرين هامين أولهما انها خدمت عمران البلاد من جهة، ومنعت خروج الأموال الى الخارج لاستيراد الاسمنت من المصانع الأجنبية. [٤٢]

أثارت حالة الشباب الاقتصادية الحرجة في العراق جريدة "الكرخ" التي استغلت مناسبة افتتاح المجلس النيابي الجديد في ٢٣ كانون الأول ١٩٣٧ لتضع امامه الحاجات المستعجلة لدى الشعب العراقي عندما ذكرت ان العراق مليء بالشباب العاطل عن العمل وفيه عمال مرهقون بالمقابل هناك شركات استثمارية اجنبية تمتص دماء أبناء البلد، وفيه ايضاً مشاريع استثمارية كثيرة ممكن ان تدر الخير على أبناء الشعب العراقي لذلك طالبت مجلس النواب ان يشرع القوانين التي من شأنها انعاش حالة الشاب العراقي الاقتصادية. [٤٣]

بالمقابل، رحبت جريدة "الكرخ" كثيراً بافتتاح مطار البصرة المدني في ٢٦ أيار ١٩٣٨، واصفة الحدث بأنه مفخرة من مفاخر العراق في نهضته الحديثة، لاسيما في مجال الاقتصاد لما لهذا المرفق الحيوي من جدوى اقتصادية كبيرة، كما سلطت "الكرخ" الضوء على الرأي العام العالمي لاسيما الصحافة العالمية التي قالت عن هذا المشروع بأنه مشروعاً جباراً، وانه اجمل مطار شيد في المملكة العراقية، وتجدر الإشارة ان جريدة "الكرخ" أبدت استيائها من وجود قطعة كتب عليها ان المطار أسس من قبل الكولونيل السرجون وارد (Joun Ward) مطالبة برفع هذه القطعة على الفور ليثبت عليها اسم الملك غازي. [٤٤]

كما استبشرت جريدة "الكرخ" خيراً، بعد ان علمت موافقة الحكومة على انشاء مصفى للنفط تكون عائدتيه الى العراق بالكامل يكون موقعه في بيجي بالاعتماد على نفط كركوك والقيارة في الموصل، لغرض التصفية عادة هذا المشروع بالمهم الذي طال انتظاره لسنوات عدة، لان من شأنه ان يتيح للحكومة انتاج النفط وتصفيته داخل العراق وهذا يفي ببيع المنتجات النفطية الأخرى بسعر معقول. [٤٥]

من جانب اخر، اثنت جريدة "الكرخ" على نية الحكومة الاشراف على تجارة التمور العراقية وابعاد الشركات الأجنبية عن تصدير التمور بعد ما بينت ان هذه النية يجب ان تتحقق بسبب رغبة الملاكين اولاً لهذا الامر، فضلاً عن ان المضي في هكذا خطوة تعني تحرر جزء مهم من الاقتصاد الوطني. لذلك دعت الحكومة الى تطبيق الاشراف الحكومي لأنه على جانب كبير من الحق والعدل. (٤٦)

تلقت "الكرخ" قرار الحكومة السعيدية الثالثة بتخفيض ٢٠% من رواتب الوزراء و١٠% من رواتب باقي موظفي الدولة التي تبلغ رواتبهم ١٨ ديناراً فما فوق بارتياح بالغ معلقة بالقول: "ان المصلحة العامة فوق جميع الاعتبارات"، لان ذلك التخزين سيوفر للخزينة مبالغ لا بأس بها. ومما زاد من رضا "الكرخ" ان الحكومة فكرت بصغار الموظفين بعد ان استثنتهم من قرار التخفيض كون رواتبهم قليلة ولا تتناسب مع مستوى معيشتهم ذاكرة: " لم نر أي وزارة في الدولة العراقية تقدم فتبدأ بنفسها وتخفض رواتبها. ارادت الوزارة الحاضرة ان تقدم على هذه التضحية في رواتبها ثم تلتفت الى تخفيض كبار الموظفين بعد ان تأكدت لن تخفيض رواتبهم لا يؤثر عليهم بالنظر لضخامتها ومستوى المعيشة في العراق". (٤٧)

رابعاً: موقفها من الأوضاع الاجتماعية:

اهتمت جريدة "الكرخ" اهتماماً ملحوظاً بالمشكلات الاجتماعية في العراق، اذ شكت في عددها الصادر بتاريخ ١١ نيسان ١٩٣٦، أحوال العمال العراقيين الذين يعملون في شركة النفط في الكويت، عندما تعرضوا للطرد الكيفي دون غيرهم من الجنسيات الأخرى، التي بقيت تعمل هناك لا لشيء الا لكون مكون العراقيين في الكويت لا يروق لأميرها، الذي نجح بحسب رأي "الكرخ" ان الإنكليز يخشون على نفوذهم في الكويت من وجود العراقيين فيها، فقد استغربت مثل هكذا تصريح فبعد ان عدته حجة واهية علقت عليه بالقول: "ان العمل في الكويت مباح لجميع الاقوام عدى العراقيين فقد امتلأت الامارة بالهنود وغيرهم وهي تعامل كل هؤلاء بمنتهى العطف والرأفة وتضع امام العراقيين ما استطاعت من العراقيل والصعوبات حتى صاروا يغادرون الكويت وملأ قلوبهم اليأس".(٤٨)

كما رحبت "الكرخ" بقانون حصر المهن بالعراقيين دون غيرهم من الأجانب، وهذا يعني وفق فهم الجريدة حماية العمال العراقيين من شرور البطالة، لذلك طالبت حكومة ياسين الهاشمي الثانية الإسراع بتنفيذ القانون المذكور لما فيه نفعاً عظيماً، مبينة ان هناك اعمال ومهن عادية لا تتطلب وقت طويل لأبعاد العمال الأجانب واستبدالهم بعراقيين، اما فيما يخص أصحاب المتاجر فأوضحت "الكرخ" ان اكبر متجر يستطيع تصفية بضاعته خلال ستة اشهر او اقل من ذلك. محذرة في الوقت نفسه من نية بعض الأجانب تسجيل محلاتهم ومخازنهم بأسماء بعض العراقيين والاتفاق سراً بين الطرفين بأن تكون عائدية المحل الى الأجنبي. (٤٩)

من جانب اخر، انتقدت جريدة "الكرخ" نية مدير الصحة العامة منع الأطباء العاملون في القطاع الحكومي من مزاولة المهنة في العيادات الخاصة، لعدة أسباب. أولها ان عدد الأطباء لا يتناسب مع نسبة السكان وهذا ما يفسر اكتظاظ العيادات الخاصة بالمرضى الى ساعات متأخرة من الليل. بالمقابل، ان الطبيب الذي يتقاضى راتباً لقاء عمل يؤديه الى وقت معين، ليس من المستحسن التأثير على حريته بعد انتهاء الوقت الرسمي لدوامه، لاسيما وانه يقدم خدمات إنسانية جليلة(٥٠).

والاهم من هذا، ان جريدة "الكرخ" حذرت من مرض الملاريا الذي اسمته بالفتاك، لاسيما في فصل الصيف بعد ان شخصت اهم أسبابه وهو انتشار المستنقعات الآسنة بالقرب من الأماكن المزدحمة بالسكان، منتقدة في الوقت نفسه الإجراءات الحكومية لمكافحة الملاريا والتي اقتصرت على ارسال بضعة أطباء لتقديم علاجات وقتية، دون القضاء على مسببات هذا المرض، واعطت "الكرخ" دليلاً على كلامها عندما ذكرت ان كثيراً ممن تعافوا من الملاريا عاودهم المرض مرة أخرى، كون البيئة التي يعيشون فيها مشجعة لبقاء هذا الوباء. لأجل ذلك كله وجهت "الكرخ" كلاماً مهماً للحكومة نصه: "نحن نعتقد ان رعاية الصحة العامة والاهتمام بها اول ما يترتب من الواجبات على الرجال المسؤولين، فليس ثمة ما يمنع بردم المستنقعات وإنقاذ السكان من البلاء المنصب منها على الأرواح البريئة".(٥١)

عرضت جريدة "الكرخ" أوضاع الطبقات الفقيرة في بغداد التي تتخذ من الاكواخ محلاً لسكناهم، اذ استغربت لما تعيشه تلك الطبقات من بؤس وضنك في العيش في ظروف قاسية، والاغرب من ذلك بنظر الجريدة هو اجبار الساكنين من هؤلاء الفقراء بدفع ضريبة ٧٥ فلساً عن كل بيت معلقة بالقول: "كيف يخطر على بال انسان ان يكون أمثال هؤلاء الجياع البائسين خاضعين لنظام ضريبة المساكن وهم لم يسكنوا الا اشباه مقابر". دعت "الكرخ" في نهاية مقالها الى الاهتمام الزائد بأبناء تلك الطبقات الكادحة: لانهم احق الناس بخيرات البلاد كونهم من صميم ابناءها. (٥٢)

وقفت جريدة "الكرخ" بحزم تجاه بعض الشائعات التي أفادت بنية الحكومة باعتقال عدد من اليهود العراقيين بسبب الاحداث التي حدثت في فلسطين عام ١٩٣٦، اذ نشرت مقالاً افتتاحياً حمل عنوان "الوحدة العراقية لا تتصدع" اشارت فيه ان الشعب العراقي على اختلاف مله اثبت في كثير من المواقف والظروف انه على وحدة متينة ونابذ لكا ما من شأنه التفريق. وأضافت ان هذه الحالة الاجتماعية جعلت الجميع يعيش تحت سماء العراق بمنتهى الصفاء والوئام ذاكرة ما نصه: "هيهات ان ينحرف العراقيون على اختلاف مذاهبهم على هذا المبدأ القويم ببعض الاراجيف التي يثيرها ذو الضمائر والنفوس الخبيثة".(٥٣)

اثنت جريدة "الكرخ" كثيراً على نية الحكومة سن نظاماً لتشجيع الشباب على الزواج بدفعها للموظفين الذين يقدمون على الزواج رواتب ستة اشهر، على ان تستقطع منهم على أقساط شهرية لا يزيد القسط

الواحد عن خمس الراتب. بعد ان بينت ان العزوف عن الزواج جعل عدد نفوس العراق يتضاءل ليصل الى خمسة ملايين نسمة. بالمقابل حثت "الكرخ" الحكومة الى جانب سنها النظام المذكور ان تصدر نظاماً اخر او قانون تحدد فيه المهور وفق الشرائع، لكي تحد من الغلو لأهل الزوجة وبذلك تجعل جميع الظروف ملائمة للزواج".(٥٤)

تحدثت جريدة الكرخ عن مشكلة الفيضانات التي تكثر في شهر نيسان من كل عام وعجز الحكومات المتعاقبة طوال اكثر من ١٥ سنة للحد من اثاره سوى اطلاق عبارة مشاريع الري الكبرى في كل منهاج حكومي يوضع بعد تشكيل أي حكومة جديدة. ذكرت انها لم تجد اثراً لهكذا مشاريع، لذلك عرضت "الكرخ" اضرار الفيضانات امام ما اسمته بحكومة الانقلاب على الأوضاع السيئة في البلاد ذاكرة ان الفيضان وعدم وجود خزانات ومشاريع ري كبرى تقلل مياه الري الذي هو مصدر الفتن والقلاقل بين العشائر في الجنوب وعلى الحكومة الإسراع في انقاذ ما يمكن إنقاذه لتخليص الشعب من الفقر واخطار الفيضان. (٥٥)

من جانب اخر، سلطت جريدة "الكرخ" على مشكلة اجتماعية مهمة اسمتها الافة الاجتماعية، الا وهي فوضى الملاهي والمراقص وما يوجد فيه من بائعات الهوى وان اغلب الشباب ابتعد عن الشمس بمبادئ الفضيلة التي هي من واجبات الدين الإسلامي اذ ذكرت: "انصرف الكثير من أبناء الشعب وراء الشهوة واللذة تاركين وراءهم واجباتهم نحو بلادهم وبيوتهم واجسامهم التي لها الحق كل الحق ناسين او متناسين ان الانصراف الى حد التخمة في ملاذ النفس ونداء القلب يؤدي الى الخراب ويؤدي الى الكسل والخمول والأزمات المالية والعائلية ويكون سبباً الى تربية هذا الجيل على أساس فاسد في جو خانق مبوء بالآفات الفتاكة". لأجل ذلك كله طالبت "الكرخ" من الحكومة بالحد من انتشار هكذا مظاهر في سبيل تقدم العراق وجعله معافى عن طريق إيجاد القوة وإيجاد ثقافة ومصانع تزيد من ثروة البلد. (٥٦)

عاودت بعد عام من دعوتها للقضاء على مرض الملاريا في العراق او الحد من اثاره، بمقال نشرته في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧ عنوانه "خطر الملاريا ووجوب تظافر الجهود لمكافحته، مطالبة بتوجيه المستوصفات السيارة الى أماكن انتشار المرض وإنقاذ السكان من ويلاته، من جانب اخر، ذكرت "الكرخ" ان الجهود الحكومية في مجال الصحة ليست كافية لردع خطر الملاريا ما دام هناك جهلاً مطبقاً متفشي بين طبقات الشعب العراقي، يحتاج الى التعليم والإرشاد، وهناك اوبئة داخل الاكل والشرب يحتاج الى شروط النظافة، والاهم من ذلك كله البرك والمستنقعات والجيف التي تحتاج الى الازالة".(٥٧)

عرضت جريدة "الكرخ" مشكلة ارتفاع بدلات الايجار في العاصمة بغداد، في ظل تعنت الملاكين واصرارهم على زيادة أجور السكن زيادة فاحشة مع ارتفاع تكاليف المعيشة الأخرى، اذ بينت ان بدلات الايجار ارتفعت اكثر من ١٠٠% واحياناً ٥٠% ذاكرة ما نصه: "ان ايجارات الدور أصبحت لا تطاق ولا

نغالي اذا ما قلنا ان اجرة سنة تبلغ ثمن الدار نفسه، ان اقل الدور في بغداد تؤجر الان بديناً شهرياً أي ٢٤ ديناراً في السنة". طرحت "الكرخ" بعد هذا العرض حلولاً لتلك المشكلة تكمن في اصدار الحكومة نظاماً او قانوناً ينص على تخفيض أجور السكن، او بيع أراضي في ضواحي مدينة بغداد الى الذين لا يملكون دور سكنية من الموظفين او الاهلين يتم دفع اثمانها بطريقة التقسيط".(٥٨)

وحول الموضوع نفسه، طالبت جريدة "الكرخ" بأنشاء مدن عصرية مزودة بالكهرباء والماء لحل مشكلة السكن المتفاقمة متسألة كيف للحكومة ان ترضى بأن يعيش أبناء الشعب العراقي في الاكواخ التي لا تدخلها الشمس ويشربون من المستنقعات، وهل هذا الوضع يتفق مع استقلال العراق ورفع شأنه بين الأمم الناهضة، لأجل ذلك دعت رئيس الحكومة جميل المدفعي الى ضرورة الالتفات للفرد العراقي والعمل بجد على توفير حياة كريمة مرفهة بعد ان تخصص حكومته جزءاً من ميزانية الدولة السنوية لمثل هكذا مشاريع".(٥٩)

لم تكتف جريدة "الكرخ" بهذا القدر بل نشرت مقالاً بعنوان "صغار الموظفين وأزمة الدور وقلة الرواتب حالة نضعها امام انظار الحكومة، كتبت فيه ان هذه الازمة اذا ما تم التعمق بها تظهر هناك أسباب واسرار خفية لإبقاء السواد الأعظم من الشعب العراقي بلا مأوى او سكن دائم، مستغربة في الوقت نفسه من وقوف من اسمتهم اولي الامر الذين تعاقبوا على حكم العراق موقف المتفرج، لاسيما وان هناك حلول عدة كانت وما تزال امامهم، أولها توزيع الأراضي الشاسعة في ضواحي بغداد، والتي جميعها صالحة للسكن. دعت "الكرخ" بناءاً على هذه المعطيات ان تنتزع هذه الأراضي التي استولت فئة قليلة احتكرتها عن طريق المحسوبية، وإعادة توزيعها على مستحقيها من أبناء الشعب العراقي. (٦٠)

طالبت جريدة "الكرخ" من الحكومة العراقية بارك السعدون الذي وصفته بأنه اثر من اثار الانحطاط الأخلاقي كونه يسمح بالاختلاط والخلوة بين الجنسين ليلاً. وهذا لم يألفه المجتمع العراقي، ولا يستطيع التكيف معه، ولم تستبعد الجريدة المذكورة ان بعض الدول الغربية لها غايات في خلق هكذا مظاهر خادشة للحياء تحت ذريعة التمدن والتحضر، معلقة بهذا الصدد بالقول: "قد يكون لمثل هؤلاء مقاصد في هدم كيان هذا البلد الأمين الأخلاقي ولكن كيف يسوغ لنا ان نرضى بهذا ونحن الذين يجب ان نكون جد حريصين على تراثنا القومي من التلاعب".(٦١)

نشرت جريدة "الكرخ" مقالاً لها في الثامن من كانون الأول ١٩٣٨، حمل العنوان "متى نشعر بلزوم رفع المستوى الصحي في العراق" وجهت فيه كلامها الى الحكومة، مذكرة ان اول هدف للحكومات الرشيدة في العالم هو العمل على رفع المستوى الصحي للبلاد والحيلولة دون انتشار الأوبئة والامراض بين السكان بتعريفهم بواجباتهم الصحية. لذلك اوصت بأن تتخذ الحكومة إجراءات لتثقيف الشعب العراقي والاهتمام البالغ بالوقاية من خلال ردم المستنقعات وتحويلها الى حدائق ومتنزهات ومدن حديثة، فضلاً

عن تحسين مياه الشرب. بالمقابل طالبت "الكرخ" بالاهتمام بصحة الأطفال حديثي الولادة بشكل اكبر ذاكرة حقيقة مؤداها ان ٣٠% من أطفال الشعب العراقي يموتون سنوياً لافتقراهم العناية الطبية. [٦٢]

كما دعت جريدة "الكرخ" الحكومة لاتخاذ تدابير اكثر إزاء مواجهة الامطار وما تسببه من غرق احياء بكاملها خصوصاً في جانب الكرخ، واستغربت قيام الحكومة بهدم بعض الدور السكنية القديمة بحجة انها خطرة وان الامطار الغزيرة ستهدمها مع علمها المسبق بأن اكثر هذه الدور تعود لأناس فقراء ومعدمين قد اخرجتهم منها وتركتهم بلا ملجأ ذاكرة بالنص: "صاروا يتظلمون هم ونسائهم واطفالهم ولم تقتصر المصيبة على اخراجهم من دورهم اذ الانكى منها ان امانة العاصمة كلفتهم بعد ان هدمت دورهم برفع انقاضها الى خارج المحلات لأنها سدت على المارة الطريق والذي يمتنع منهم ستقوم الأمانة الى صرف ما يقتضي من المبالغ لرفعها وتحصيلها منهم بمثابة ديون ممتازة".[٦٣]

الخاتمة:-

بعد هذا كله، نستطيع ان نثبت عدة استنتاجات توصل اليها البحث، أهمها ان جريدة "الكرخ" كانت متابعة جيدة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمدة (١٩٣٦- ١٩٣٩). بمعنى ادق انها اتقنت دورها الرقابي في تشخيص المشكلات والخوض في أسبابها واقتراح الحلول لها. من جانب اخر نجدها تنتقد الأداء الحكومي وتؤشر على مواطن الخلل فيه في مناسبات عدة باعتبارها احدى الصحف الانتقادية، وان كلفها ذلك الامر الى التعطيل احياناً او الإنذار في أحيان أخرى. الامر الذي جعلها تخفف من حدة نقدها لدرجة اننا لمسنا التزلف والتودد الى الحكومات حال تشكيلها. بالمقابل كانت جريدة "الكرخ" في المجمل من الصحف التي لها ميول قومية واضحة وهذا ما ظهر جلياً في مقالاتها الافتتاحية التي هدفت منها للتثقيف لتحقيق الوحدة العربية كضرورة حتمية لمجابهة الاخطار الخارجية. في الوقت نفسه وجدنا لجريدة "الكرخ" رؤى اقتصادية مهمة تتلخص في إقامة مشاريع وطنية وصولاً الى الاستقلال الاقتصادي والتخلص من التبعية للخارج في المجال الاقتصادي. اما على الصعيد الاجتماعي نجحت جريدة "الكرخ" في تسليط الضوء على المشكلات التي يعاني منها الشعب العراقي لاسيما في قطاعي السكن والصحة بوصفهم الهم الأكبر لمعظم فئات الشعب العراقي. داعية الحكومة العراقية لحلها وصولاً الى حياة كريمة.

الهوامش والمصادر :

(١) قيس عبد الحسين الياسري، حرية الصحافة في العراق ١٩٢١- ١٩٣٢، مجلة الاجيال، بغداد، العدد ١، كانون الثاني ١٩٨١، ص١٥٩.

(٢) فيصل الاول: ولد في الطائف عام ١٨٨٣ ونشأ في الحجاز ثم تلقى دراسته في الاستانة حتى عام ١٨٩٨. وقف الى جانب والده بريطانيا خلال الحرب العالمية وشارك في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٨ . تم تعيينه ملكا على سوريا عام ١٩٢٠ غير ان ذلك لم يستمر بسبب رفض فرنسا لذلك . ليتم تنصيبه على عرش العراق في ٢٣ اب ١٩٢١ .

توفي في يوم ٨ايلول ١٩٣٣ . للمزيد ينظر : عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،١٩٩١.

([٣]) غازي دحام فهد المرسومي، البلاد الملكي ودوره في السياسية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٠١.

([٤]) فيان حسن احمد، حرية الصحافة في العراق ١٩٢٢- ١٩٣٣ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص٥٧ .

([٥])الملا عبود الكرخي : ولد في بغداد عام ١٨٦٩ ودرس في الكتاتيب وحلقات الدرس في مساجد بغد والكاظمية وعمل في حقول مختلفة مثل التجارة والنقل والزراعة أ اشتهر بشعره الشعبي الذي كان ينتقد فيه الاوضاع القائمة . وعندما اندلعت ثورة العشرين اخذ ينشد قصائده الوطنية في جامع الحيدرخانة . اسس العديد من الصحف كانت جريدة الكرخ في مقدمتها . توفي في بغداد عام ١٩٤٦. للمزيد من التفاصيل ينظر: مير بصري ، اعلام الادب في العراق الحديث ، الجزء الاول ، دار الحكمة ، لندن ، ١٩٩٤، ص٢٥١-٢٥٢.

([٦]) التبس الامر على زاهدة ابراهيم حين ذكرت ان العدد الاول من جريدة الكرخ صدر في ١٣ اب ١٩٢٧، في حين يؤكد الباحث ان اول عدد لجريدة الكرخ صدر في ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧. للمزيد ينظر: زاهدة ابراهيم، دليل الجرائد والمجلات العراقية ١٨٦٩- ١٩٧٨، الطبعة الثانية، دار النشر والمطبوعات الكويتية، الكويت، ١٩٨٢، ص٢٠٣.

([٧]) "الكرخ"(جريدة)، بغداد، العدد ١، ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧.

([٨]) فائق بطي ، الموسوعة الصحفية العراقية ، دار المدى ،بغداد، ٢٠١٠، ص٩٦.

([٩]) "الكرخ"، العدد ٣٣٦، ٤ كانون الثاني ١٩٣٦.

([١٠]) "الكرخ"، العدد ٣٣٩، ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٦.

([١١]) هي معاهدة عربية وقعها عن الجانب العراقي نوري السعيد وعن الجانب السعودي يوسف ياسين في ٢ نيسان ١٩٣٦، كانت بمثابة معاهدة اخوة عربية وصداقة اسلامية وتحالف بين العراق والمملكة العربية السعودية بنيت اسسها على مبدأ التعاون بين الدولتين وعلى حل الخلافات وفقاً للمبادئ المقررة بين الامم، ضمنت المعاهدة انضمام الممالك العربية متى شاءت. للمزيد ينظر: صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي، العلاقات العراقية السعودية في عهد الملك غازي ١٩٣٣- ١٩٣٩ دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠٢٠، ص٥٩.

([١٢]) "الكرخ"، العدد٣٤٣، ١١ نيسان ١٩٣٦.

([١٣]) هو قانون شرع رسمياً في ١٢ حزيران ١٩٣٥ في عهد حكومة ياسين الهاشمي الثانية، وعلى اثره انتشرت مراكز التجنيد في انحاء البلاد لاستقبال الشباب العراقي وسوقهم الى مراكز التدريب. تضمن القانون تحديد عمر المكلف بالخدمة في الجيش ممن بلغوا التاسعة عشر عاماً. للمزيد من التفاصيل ينظر: ماريا حسن مغتاظ التميمي، التجنيد الالزامي في العراق ١٨٦٩- ١٩٣٥ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والقومية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص٨٠.

([١٤]) "الكرخ"، العدد٣٤٥، ٢٥ نيسان ١٩٣٦.

([١٥]) بكر صدقي : ولد في بغداد عام ١٨٩٠ ودرس في الاعدادية العسكرية ثم انتقل الى الاستانة وتخرج منها ملازم ثانٍ عام ١٩٠٨. انضم الى الجيش العراقي برتبة رئيس في عام ١٩٢١. تخرج من كلية الاركان في كامبرلي بإنكلترا عام ١٩٣٢اكتسب شهرة واسعة في حركة الاثوريين عام ١٩٣٣وفي ٢٩ تشرين الاول عام ١٩٣٦ قام بانقلاب

عسكري في العراق وارغم ياسين الهاشمي على التخلي عن الحكم . اغتيل في الموصل في ١١ اب ١٩٣٧ . للمزيد من التفاصيل ينظر : مير بصري ، اعلام السياسة في العراق الحديث ،الجزء الاول ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٥، ص٢١٥-٢١٦.

([١٦]) "الكرخ"، العدد٣٦٧، ٤ تشرين الثاني ١٩٣٦.

([١٧]) رأت النور في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦واستمر عمرها حتى السابع عشر من اب ١٩٣٧ . للمزيد ينظر : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الرابع ، الطبعة السابعة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٢٢٠.

([١٨]) جعفر ابو التمن: ولد في بغداد عام ١٨٨١ من اسرة تجارية معروفة , يعد من ابرز مؤسسي المدرسة الجعفرية نفي الى جزيرة هنجام واسس الحزب الوطني العراقي عام ١٩٢٢ اصبح وزيرا ونائبا لمرات عدة ابرزها وزير المالية في حكومة حكمت سليمان .توفي عام ١٩٤٥ . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبدالرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٠.

([١٩]) "الكرخ"، العدد٣٦٨، ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٦.

([٢٠]) "الكرخ"، العدد٣٦٩ ، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٦.

([٢١]) ياسين الهاشمي: ولد في بغداد عام ١٨٨٤، انتقل إلى اسطنبول وتخرج في مدرستها العسكرية عام ١٨٩٩، رجع إلى العراق وأصبح وزيراً للمواصلات والأشغال عام ١٩٢٢، شكل وزارته الأولى عام ١٩٢٤، أسس حزب الشعب عام ١٩٢٥، شكّل وزارته الثانية عام ١٩٣٥ وبقي في منصبهِ حتى عام ١٩٣٦، اضطر إلى الاستقالة أثر قيام انقلاب بكر صدقي، توفي في بيروت عام ١٩٣٧. للمزيد من التفصيل ينظر : سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي وأثره في تاريخ العراق المعاصر ١٩٢٢-١٩٣٦، دار دجلة، بغداد، ٢٠١٣.

([٢٢]) "الكرخ"، العدد ٣٧٠، ٢ كانون الاول ١٩٣٦.

([٢٣]) "الكرخ"، العدد٣٧٥، ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧.

([٢٤]) الملك غازي: ولد في مكة عام ١٩١٢ وتعلم فيها قراءة القران والكتابة على يد مشايخها . ارسل عام ١٩٢٤للدراسة في مدرسة هارو في بريطانيا الا انه تركها وفي عام ١٩٢٨ دخل الكلية العسكرية في بغداد وتخرج منها في تموز١٩٣٢ برتبة لازم ثانٍ . توج ملكا على العراق في ٨ ايلول ١٩٣٣ . توفي في حاث سير غامض في ٤ نيسان ١٩٣٩. للمزيد من التفاصيل ينظر : لطفي جعفر فرج ، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣-١٩٣٩، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨٧.

([٢٥]) "الكرخ"، العدد٣٧٨، ١١ شباط ١٩٣٧.

([٢٦]) "الكرخ"، العدد٣٨٠، ٤ اذار ١٩٣٧.

([٢٧]) "الكرخ"، العدد٣٨٩، ٢٠ ايار ١٩٣٧.

([٢٨]) جميل المدفعي:ولد في الموصل عام ١٨٩٠ درس في الاستانة وتخرج من المدرسة الحربية برتبة ضابط في سلاح المدفعية عام ١٩١١ خدم في الجيش العثماني في البلقان بعد انبثاق الحكم الوطني في العراق عينه الملك فيصل الاول متصرفا للواء المنتفك . اصبح رئيسا للوزراء سبع مرات توفي عام ١٩٥٨ . للمزيد من التفاصيل ينظر : طارق يونس عزيز السراج، جميل المدفعي ودوره في السياسة العراقية (١٨٩٠-١٩٥٨) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٩١.

([٢٩]) "الكرخ"، العدد٣٧٩، ٢٧ اب ١٩٣٧.

([٣٠]) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الخامس ، الطبعة السابعة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨، ص١٤.

([٣١]) "الكرخ"، العدد٣٩٨، ٣ ايلول ١٩٣٧.

([٣٢]) "الكرخ"، العدد٤٠٢، ا تشرين الاول ١٩٣٧.

([٣٣]) "الكرخ"، العدد٤٦٤، ١٣ نيسان ١٩٣٩.

([٣٤]) "الكرخ"، العدد٤٧٧، ٢٧ تموز ١٩٣٩.

([٣٥]) "الكرخ"، العدد٣٣٧، ١١ كانون الثاني ١٩٣٦.

([٣٦]) "الكرخ"، العدد٣٣٨، ١٨ كانون الثاني ١٩٣٦.

([٣٧]) "الكرخ"، العدد ٣٤٠، ١٤ اذار ١٩٣٦.

([٣٨]) تأسس المصرف الزراعي الصناعي بموجب القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٣٥ وباشر اعماله فعلياً عام ١٩٣٦ بهدف تحويل الانشطة الزراعية والصناعية اصبح يوسف غنيمة المدير العام له والذي كان رأس ماله ١٥٠ الف دينار عراقياً. للمزيد من التفاصيل ينظر: رؤوف البحراني، السياسة المالية السليمة في عهد الوزارة الهاشمية الثانية، دار ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٨، ص٦٣.

([٣٩])رؤوف البحراني : ولد في بغداد عام ١٨٩٧، تخرج من مدرسة الحقوق عام ١٩٢٣، اتقن لغات شرقية متعددة وله المام باللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية، شغل مناصب عدة في الدولة العراقية بعد ان اصبح احد افراد النخبة السياسية العراقية في العهد الملكي اصبح وزيراً لأكثر من مرة ونائب، توفي في بغداد عام ١٩٦٣. للمزيد ينظر: فؤاد طارق كاظم، رؤوف البحراني ودوره السياسي والفكري في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠١.

([٤٠]) "الكرخ"، العدد٣٥٠، ٨ حزيران ١٩٣٦.

([٤١]) "الكرخ"، العدد ٣٧٣، ٣١ كانون الاول ١٩٣٦.

([٤٢]) "الكرخ"، العدد ٣٨٨، ٦ ايار ١٩٣٧.

([٤٣]) "الكرخ"، العدد ٤١١، ٢٤ كانون الاول ١٩٣٧.

([٤٤]) "الكرخ"، العدد٤٢٢، ١ نيسان ١٩٣٨.

([٤٥]) "الكرخ"، العدد٤٤٧، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨.

([٤٦]) "الكرخ"، العدد٤٥٢، ٢٣كانون الاول ١٩٣٨.

([٤٧]) "الكرخ"، العدد ٤٦٠، ١٦ شباط ١٩٣٩.

([٤٨]) "الكرخ"، العدد٣٤٣ ، ١١ نيسان ١٩٣٦.

([٤٩]) "الكرخ"، العدد ٣٤٤، ١٨ نيسان ١٩٣٦.

([٥٠]) "الكرخ"، العدد ٣٤٦، ٢ ايار ١٩٣٦؛ "الكرخ"، العدد ٣٤٧، ١١ ايار ١٩٣٦.

([٥١]) "الكرخ"، العدد ٣٥٥، ١٣ تموز ١٩٣٦؛ "الكرخ"، العدد ٣٥٦، ٢٠ تموز ١٩٣٦.

([٥٢]) "الكرخ"، العدد ٣٥٨، ٣ اب ١٩٣٦.

([٥٣]) "الكرخ"، العدد ٣٦٥، ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٦.

([٥٤]) "الكرخ"، العدد ٣٨٤، ٨ نيسان ١٩٣٧.

([٥٥]) "الكرخ"، العدد ٣٨٦، ٢٢ نيسان ١٩٣٧.

([٥٦]) "الكرخ"، العدد ٣٨٧، ٢٩ نيسان ١٩٣٧.

([٥٧]) "الكرخ"، العدد ٤٠٧، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧.

([٥٨]) "الكرخ"، العدد ٤١٤، ١٤ كانون الثاني ١٩٣٨.

([٥٩]) "الكرخ"، العدد ٤١٥، ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٨.

([٦٠]) "الكرخ"، العدد ٤١٩، ٤ اذار ١٩٣٨.

([٦١]) "الكرخ"، العدد ٤٣٤، ١٤ تموز ١٩٣٨.

([٦٢]) "الكرخ"، العدد ٤٥٠، ٨ كانون الاول ١٩٣٨.

([٦٣]) "الكرخ"، العدد ٤٥١، ١٦ كانون الاول ١٩٣٨.

المصادر :

اولاً: الصحف:

"الكرخ"(جريدة)، بغداد، العدد ١، ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧.

الكرخ"، العدد ٣٣٦، ٤ كانون الثاني ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد ٣٣٩، ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٤٣، ١١ نيسان ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٤٥، ٢٥ نيسان ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٦٧، ٤ تشرين الثاني ١٩٣٦.

الكرخ"، العدد٣٦٨، ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٦٩ ، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٣٧، ١١ كانون الثاني ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٣٨، ١٨ كانون الثاني ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد ٣٤٠، ١٤ اذار ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد٣٥٠، ٨ حزيران ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد ٣٧٣، ٣١ كانون الاول ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد ٣٤٤، ١٨ نيسان ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد ٣٤٦، ٢ ايار ١٩٣٦.

"الكرخ"، العدد ٣٤٧، ١١ ايار ١٩٣٦.
"الكرخ"، العدد ٣٥٥، ١٣ تموز ١٩٣٦.
"الكرخ"، العدد ٣٥٦، ٢٠ تموز ١٩٣٦.
"الكرخ"، العدد ٣٥٨، ٣ اب ١٩٣٦.
"الكرخ"، العدد ٣٦٥، ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٦.
"الكرخ"، العدد٣٧٨، ١١ شباط ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد٣٨٠، ٤ اذار ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد٣٨٩، ٢٠ ايار ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد٣٧٩، ٢٧ اب ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد٣٩٨، ٣ ايلول ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد٤٠٢، ١ تشرين الاول ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد ٣٨٨، ٦ ايار ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد ٤١١، ٢٤ كانون الاول ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد ٣٨٤، ٨ نيسان ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد ٣٨٦، ٢٢ نيسان ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد ٣٨٧، ٢٩ نيسان ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد ٤٠٧، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧.
"الكرخ"، العدد٤٢٢، ١ نيسان ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد٤٤٧، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد٤٥٢، ٢٣كانون الاول ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤١٤، ١٤ كانون الثاني ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤١٥، ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤١٩، ٤ اذار ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤٣٤، ١٤ تموز ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤٥٠، ٨ كانون الاول ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤٥١، ١٦ كانون الاول ١٩٣٨.
"الكرخ"، العدد ٤٦٠، ١٦ شباط ١٩٣٩.
الكرخ"، العدد٤٦٤، ١٣ نيسان ١٩٣٩.

"الكرخ"، العدد٤٧٧، ٢٧ تموز ١٩٣٩.

ثانياً:- الكتب:

١. رؤوف البحراني، السياسة المالية السليمة في عهد الوزارة الهاشمية الثانية، دار ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٨.
٢. زاهدة ابراهيم، دليل الجرائد والمجلات العراقية ١٨٦٩- ١٩٧٨، الطبعة الثانية، دار النشر والمطبوعات الكويتية، الكويت، ١٩٨٢.
٣. سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي وأثره في تاريخ العراق المعاصر ١٩٢٢-١٩٣٦، دار دجلة، بغداد، ٢٠١٣.
٤. صادق حسن السوداني وعادل تقي عبد البلداوي، العلاقات العراقية السعودية في عهد الملك غازي ١٩٣٣- ١٩٣٩ دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠٢٠.
٥. عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،١٩٩١.
٦. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الرابع ، الطبعة السابعة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨.
٧. _____ ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الخامس ، الطبعة السابعة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨
٨. عبدالرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٠.
٩. غازي دحام فهد المرسومي، البلاد الملكي ودوره في السياسية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢.
١٠. فائق بطي ، الموسوعة الصحفية العراقية ، دار المدى ،بغداد، ٢٠١٠.
١١. لطفي جعفر فرج ، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣-١٩٣٩، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨٧.
١٢. مير بصري ، اعلام الادب في العراق الحديث ، الجزء الاول ، دار الحكمة ، لندن ، ١٩٩٤.
١٣. _____ ، اعلام السياسة في العراق الحديث ،الجزء الاول ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٥.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

١- طارق يونس عزيز السراج، جميل المدفعي ودوره في السياسة العراقية (١٨٩٠-١٩٥٨) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٩١.

٢- فؤاد طارق كاظم، رؤوف البحراني ودوره السياسي والفكري في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠١.

٣- فيان حسن احمد، حرية الصحافة في العراق ١٩٢٢- ١٩٣٣ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٢.

٤- ماريا حسن مغتاظ التميمي، التجنيد الالزامي في العراق ١٨٦٩- ١٩٣٥ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والقومية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥.

رابعا :والبحوث و الدراسات المنشورة :

١- قيس عبد الحسين الياسري، حرية الصحافة في العراق ١٩٢١- ١٩٣٢، مجلة الاجيال، بغداد، العدد ١، كانون الثاني ١٩٨١.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

حركات المعارضة في روسيا القصيرية عام ١٨٢٥ "دراسة تاريخية"

ا.م.د. احمد ناظم عباس
.DR. Ahmed Nazem Abbas
جامعة بغداد/كلية الاداب
ahmed.nadhim@coart.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص :

بدأت الحركات الثورية في روسيا في الربع الاول من القرن التاسع عشر، وكانت جميعها تسير نحو هدف واحد, الا وهو تغيير نظام الحكم, واجراء الاصلاحات الضرورية للبلاد, والنهوض بها لخدمة سائر طبقات الشعب دون استثناء، وتعد حركة الديسمبريين خير مثال على ذلك, حيث انها ساعدت على اجراء تغيير شامل لأفكار الشعب الذي كان خاضعاً لسلطة العبودية لقرون عديدة, ووسعت مجال افقه وجعلته يتطلع للمستقبل بنظرة يملئها التطور والتغيير. قسم البحث الى عدة محاور منها : تناول المحور الاول روسيا تحت حكم الكسندر الاول وكيف استطاع الوصول الى الحكم بعد مشاركته بقتل والده القيصر باول الاول، وما هي السياسة التي استخدمها في حكم روسيا، اما المحور الاخر, فقد شمل التعريف بالديسمبريين, وكيف جائوا وبماذا تأثروا , وكيف استطاعوا ان يؤلفوا حلقة صغيرة سرعان ما تطورت بعد ذلك الى حركة ثورية هدفها التغيير. أما المحور الاخر, فقد تناول الاسباب التي مهدت لقيام حركة الديسمبريين, واهم ما جاء في برنامجها من افكار ودعوات، ومن ثم قيام الحركة وقمعها من قبل القيصر نيقولا الاول, باستخدام اساليب القوة والعنف, والقيام باعمال الاعتقال والنفي وتحديدا الى سيبيريا ، ومن ثم التطرق الى موقف الكنيسة من حركات الديسمبريين وهل كانت مؤيدة ام رافضة لها .

الكلمات المفتاحية:

الديسمبريين، الهوس الديني، نيقولا الاول، الدفوريان , حركات التحرر، ابناء الوطن، نظام القنانة، الاقنان الصناعية، الفكر الليبرالي.

Abstract

Revolutionary movements began in Russia in the first quarter of the nineteenth century, and they were all moving towards one goal, which was to change the system of government, to carry out the necessary reforms for the country, and to advance it to serve the rest of the people without exception, and the Decembrist Revolution is a good example of this, as it is It helped bring about a comprehensive change in the ideas of the people who were subject to

the power of slavery for many centuries, broadened their horizons and made them look to the future with a vision full of development and change.
The research was divided into several axes, including: The first axis dealt with Russia under the rule of Alexander the First and how he managed to reach power after his participation in the killing of his father, Tsar Powell I, and what policy he used to rule Russia, while the other axis included the definition of the Decembrists, how they came and how they were affected. And how they were able to form a small circle that quickly developed into a revolutionary movement aimed at change. As for the other axis, it dealt with the reasons that paved the way for the rise of the Decembrist movement, and the most important ideas and prayers that came in its program, and then the movement and its suppression by Tsar Nicholas I, using methods of force and violence, and the actions of arrest and exile, specifically to Siberia, and then touched upon The church's position on the Decembrists's movements and whether they were in favor or against them

المقدمة :

بدأت الحركات الثورية في روسيا في الربع الاول من القرن التاسع عشر، وكانت جميعها تسير نحو هدف واحد, الا وهو تغيير نظام الحكم, واجراء الاصلاحات الضرورية للبلاد, والنهوض بما يخدم طبقات الشعب دون استثناء، وعلى الرغم من كل ما واجهه الثوار من ظلم واستبداد وقمع لأرائهم الحرة, الا انهم كانوا على يقين بان قضيتهم سوف تحل يوما ما على ايدي الاجيال القادمة, وأنهم سوف يحققون ما كانوا يطمحون من اجله لسنوات عدة، وتعد حركة الديسمبريين خير مثال على ذلك, حيث انها ساعدت على اجراء تغيير شامل لأفكار الشعب الذي كان خاضعاً لسلطة العبودية لقرون عديدة, ووسعت مجال افقه وجعلته يتطلع للمستقبل بنظرة يملئها التطور والتغيير.

اعتمد البحث في كتابته على عدد لا بأس به من المصادر التي ساعدت على رسم الخطة كما هو مطلوب، وذلك لوجود بعض المصادر المدرجة في المكتبات، العامة والالكترونية ايضاً، مما اسهم في اخراج البحث في شكله الحالي.

المحور الاول: روسيا في عهد ألكسندر الاول(١٨٠١-١٨٢٥)

تولى الكسندر الاول عرش روسيا رسميا عام ١٨٠١, بعد مقتل والده باول الاول الكسندر بافلوفيتش المولود عام ١٧٧٧، وهو من احفاد كاترين العظيمة (أمبراطورة روسيا) وهي التي خططت ليتولى حفيدها الكسندر سدة الامبراطورية الروسية خلفاً لها, بدلا من والده الإمبراطور باول الاول, ولكنها لم تعلن خطتها على الملأ، فدبرت مع حفيدها الكسندر مكيدة هدفت الى اغتيال باول الاول, الامر الذي سهل له الوصول الى العرش عام ١٨٠١، عرف عن حكم الكسندر لروسيا بأنه كان استبداديا, فعند جلوسه على عرش الامبراطورية الروسية, قدر له ان يحكمها بطريقة متناغمة ورصينة [١], بدأ للوهلة الاولى متزنا ومؤيداً لاجراء اصلاحات سياسية واجتماعية التي كان الشعب يتطلع اليها، ولكن بنظرة قريبة على واقع حكمه, نجد بأنه كان فوضوياً ومهملاً بصورة كبيرة، وكان ذلك واضحاً لكل من راقب تصرفاته عن كثب، فقد عرفت سياسته بالتذبذب والتناقضات الواضحة[٢].

لقد ورث الكسندر الاول عن عائلته قوة ليس لها حد على شعبه ، فكان يعين الوزراء ويطردهم متى شاء, ويأمر بألقاء القبض والسجن وينفي ويعدم من يريد دون ان يستشير احد من افراد حكومته، وكانت له السلطة الشخصية حتى على اقوى المؤسسات في روسيا انذاك, وهي الكنيسة الروسية القديمة [٣] ويذكر بان شعبه كان يأمل منه ان يوفر له نوعا من الرخاء وان يخفف عن كاهله متاعب المعيشة ويمنحه دستورا ليبراليا، ولكن تطلعات الشعب هذه لم تلقى الاذان الصاغية, اذ ان العبودية استمرت في عهده كونه لم يستطع تذليل مشاكل البلاد واجراء الاصلاحات، بالإضافة الى هذا كانت الشؤون المالية للبلاد غير مستقرة، كما تذكر بعض المصادر بأن الكسندر الاول لم يكن رجعياً هكذا في حداثته, بل على العكس من ذلك، فقد كان يشجع الآراء الحرة ولكنه ما ان عاد من مؤتمر فيينا عام ١٨١٥,هو أكبر المؤتمرات الدولية الذي عقد لوضع شروط معاهدة باريس الاولى التي عقدت في ٣٠ أيار ١٨١٤، موضع التنفيذ, لاسيما وان المعاهدة, قد نصت على اجتماع ساسة أوربا في فيينا العاصمة النمساوية, لتعديل قارة أوربا والعودة لحدودها الطبيعية قبل عام ١٧٩٢، ومن بين المقررات التي تمخضت عن هذا المؤتمر, ان تنال روسيا الاشراف على وارسو المستقلة, وأراضي فلندا من السويد وبساريبا التركية[٤], حتى اخذ بطرد الاحرار من مستشاريه وبدأ يكره كل شيء جديد او ثوري، لذلك نجده قد رمى نفسه بين احضان الحزب الرجعي الروسي الذي كان يعارض ادخال الافكار الاوربية الى بلاده، ولقد نما تخوف القيصر من حركات التمرد حتى اخذ يتشائم من كل شيء فيه معنى التجديد والحرية, وسعى للقضاء عليه بسرعة قبل ان يصبح خطرا على الكيان الاجتماعي، حتى انه سمح لموظفيه بفعل ما يرون فيه لازما للقضاء على الآراء الحرة التي ناصرها الشباب وحاربها الكهلا، وعلى اثر ذلك تم تشديد الرقابة على الصحف لدرجة خنق الجرائد الحرة وطرد اساتذة العلوم الحديثة من الجامعات[٥].

مع ذلك فقد رافق عهد الكسندر الاول بعض المحاولات لتحديث الدولة الروسية مع أحلال النظام البوليسي في البلاد ورغم كل ذلك, بقيت معظم القضايا السياسية والاجتماعية في روسيا دون حل, ويذكر ايضا بأن القيصر الكسندر الاول مر بمراحل من الهوس الديني , اذ كان متأثراً الى درجة كبيرة بالارشمندريت فوشيوس, وهو من رجال الدين ألشديدي التعصب تجاه الاجانب [٦] , حتى وفاته التي وصفت بالغامضة في الاول من كانون الاول ١٨٢٥، اذ انتشرت الشائعات الكثيرة في روسيا مفادها ان القيصر لم يمت ولكنه فر الى سيبيريا، وبهدف وضع حد لمثل هذه الشائعات, قامت السلطات بفتح قبر الكسندر فوجدته خالياً [٧]. وحسب ما ذكرته بعض المصادر, بأن الكسندر قبل وفاته كان قد أعلن عن نيّته أكثر من مرة التخلي عن العرش الى أخاه الدوق قسطنطين الكبير, ولكن هذا قد تخلى بدوره عن منصبه كقيصر لروسيا إلى أخيه نيقولا الاول[٨] , والذي كان اول إجراء له كأمبراطور هو إعدام المشاركين (الديسمبريين) في انتفاضة ٢٦ كانون الاول/ ديسمبر عام ١٨٢٥[٩]

- الديسمبريين:

جماعة من افضل ممثلي الدفوريان (الثوريون الروس) الشباب واكثرهم من الضباط، رأى هؤلاء منذ طفولتهم بأن بلادهم تعيش تحت مساوئ نظام العبودية والاستبداد الذي استشرى في البلاد انذاك، فأمتلأت نفوسهم حقداً ضد كل انواع الظلم والقهر, وأيقنوا انه يستحيل على البلاد ان تنهض دون القضاء على تلك المظالم [١٠].

يذكر ايضا بان الديسمبريين كانوا على مستوى عالٍ من الثقافة والاطلاع , لاسيما على أعمال الكتاب الفرنسيين في القرن الثامن عشر، واطلعوا كذلك على اداب اوربا الغربية الثورية , وادركوا اهمية الثورة البرجوازية الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر, التي وضعت حدا للنظام الاقطاعي في فرنسا، مما كان لها تأثيرا كبيرا على نشر الحركة التحررية في بلدان اوربا، وعلى غرار ذلك فقد اراد الديسمبريون تكوين نموذجهم الثوري التحرري الخاص في بلادهم[١١].

- تأثر الديسمبريين بحركات التحرر في أوربا :

على خلفية الحروب التي خاضتها روسيا في عهد الكسندر الأول وبقيادة القائد باركلي مع نابليون عام ١٨١٢، وكان سبب تلك الحروب الخلاف الذي حدث بين نابليون والكسندر الاول بعد رفض الاخير أغلاق موانئ بلاده في وجه السفن المحايدة، وفرض تعريفة كمركية لصالح واردات المستعمرات الانكليزية التي اضرت بالواردات الفرنسية، وعليه اجتاحت الجيوش الفرنسية عام ١٨١٢ نهر نيمن واستطاعت دخول روسيا ووصلت الى اطراف موسكو , ولكنها وجدتها محترقة بالكامل من قبل الروس انفسهم, فأضطر الجيش الى التراجع لاسيما بعد ان واجهه الطقس البارد والحقت به خسائر كبيرة [١٢], في تلك الاثناء اقدم عدد من الضباط الروس المتعلمين بالسفر إلى أوروبا خلال الحملات العسكرية، اذ تأثروا

هناك تأثيرا كبيرا بالأفكار الليبرالية، هذا بالإضافة الى سياسات التغيير والتقدم التي كانت منتشرة هناك، كل ذلك شجعهم على السعي إلى تغيير الأوتوقراطية في روسيا بعد عودتهم, رغبة منهم في تخليص البلاد مما تعاني من ظلم واستبداد.

ان ظهور الحركات والافكار التحررية في دول اوربا الغربية والذي تمثل بداية في الغاء العبودية في فرنسا والتي توجت بأحداث سنة ١٧٨٩ ثم في بولندا للفترة (١٨١٦-١٨١٩)، وفي انكلترا عندما تم التعبير عن الليبرالية الاقتصادية من قبل أدم سمث، وايضا تم ذلك بطريقة عبرت عن الحرص على البلاد في كل من المانيا وايطاليا، كل ذلك اعطى دافعا قويا نحو السعي لاحتضان تلك الأفكار في الإمبراطورية الروسية، اذ انعكس ذلك بوضوح في الحركة الديسمبرية، وبعد ذلك بفترة وجيزة بدأ كل عضو من الديسمبريين برفض ومعارضة العبودية التي فروضت عليهم , حيث قسموا الى قسمين:القسم الاول: اعتقد بأن تلك الافكار خطراً على الدولة، إذ رأى ان مثل هذه الافكار من الممكن ان تضعف سيطرة الحكومة على مفاصل الدولة، القسم الثاني: رأى ان العبودية هي من اخطر العوامل التي ادت الى تأخر اقتصاد الدولة وتدهور الاوضاع في البلاد [١٣].

مهما يكن من الامر, فأن أراء الديسمبريين قد اجمعت في نهاية المطاف بعد ذلك على رفض نظام العبودية وأي شكل من اشكاله, والتمسك بالأفكار التحررية للنهوض بالواقع المتردي الذي كان المجتمع الروسي يعاني منه[١٤]. فقد بدأ تحويل مظهر البلاد وِفق الصورة الأوروبية في عهد بطرس الأول، ثم أصبح هذا التحول في القرن التالي ضرورة مُلحة بالنسبة للطبقة المسيطرة أي طبقة النبلاء، وفي عام ١٨٢٥, عمم مثقفوا النبلاء هذه الضرورة باتجاه سياسي، فتوصلوا إلى حركة عسكرية تستهدف تخفيف حدة السلطة الفردية، وتأثرت العناصر المتقدمة من النبلاء بدفع البرجوازية الأوروبية المتطورة، فحاولت أن تحل محل الطبقة الثالثة التي لم تكن موجودة، وكانت نية تلك المجموعة على الأقل مزج النظام الليبرالي مع تم طرحه من افكار، ورفع مستوى التفكير لدى العامة لاسيما الطبقة المثقفة أكثر من أي شيء آخر، للنهوض بواقع البلاد والتخلص من طبيعة نظام الحكم السائد، وهذا ما كانت تسعى له حركة الديسمبريين [١٥].

- **المنظمات الديسمبرية السرية:**

تشكلت اول منظمة ديسمبرية سرية عام ١٨١٦, تحت اسم (اتحاد الانقاذ) او (جمعية ابناء الوطن المخلصين والامناء)، كان هدفها الوحيد هو القضاء على الاستعباد, والمطالبة بنظام ملكي دستوري، ومن ابرز اعضاء هاذين التنظيمين هم كل من(نيكيتا مورافيوف وميخائيل مورافيوف وسيرغي تروبيتسكوي والشاعر المعروف كوندراتيه ريلييف والعقيد بافيل بيستيل)، وكان الشاعر الروسي الكبير(الكسندر بوشكين) عضوا في احد التنظيمات السرية الليبرالية, لذي تعرف بمعظم اعضاء التنظيمات البارزين ومن ثم كرس لهم فيما بعد أشعاره. أنشأ الديسمبريين بعد ذلك عام ١٨١٨ منظمة جديدة بدلا من (اتحاد

الانقاذ) وهي (اتحاد الاقبال) كانت تضم حوالي (٢٠٠) شخص، قام اعضاء هذا الاتحاد بنشر الدعاية للأفكار الثورية, وكانوا في خطبهم ومقالتهم الادبية ينتقدون نظام الحكم المطلق, ويفضحون استبداد الاقطاعيين وفساد الموظفين، وفي عام ١٨٢٠ اتخذ هذا الاتحاد (اتحاد الاقبال) قرارا بضرورة اقامة الجمهورية في روسيا [١٦] .

نتيجة لما تقدم , اقلبت الحكومة في البلاد, على إلغاء منظمة اتحاد الاقبال، ولكن استمرت نشاط الديسمبريين وبشكل واسع, لاسيما بعد ايقانهم بان اي انقلاب ثوري لا يمكن ان يتحقق الا بمساعدة الجيش، فوسع الديسمبريون نشاطهم في الفترة الواقعة من (١٨٢٣-١٨٢٥) وأزداد عدد المنتسبين الى المنظمات السرية بشكل كبير، بعد تحريض افراد وضباط الجيش على التمرد والاطاحة بالحكم القيصري، كما انهم طالبوا بتشكيل حكومة مؤقتة, والغاء نظام القنانة, واعتماد دستور للبلاد, وجعل جميع المواطنين يحظون بالمساواة في الحقوق, وإعلان حرية الصحافة, وممارسة المهنة, وتأسيس محكمة المحلفين, والغاء الخدمة العسكرية العامة, وتعيين كبار المسؤولين في الدولة بعد انتخابهم من قبل الشعب [١٧] .

ويمكن تقسيم المنظمات الديسمبرية الى قسمين او جمعيتين, احدهما شمالية واخرى وجنوبية وقدترأس الجمعية الشمالية الشاعر والثوري البارز ريلييف, أما الجمعية الجنوبية كانت برئاسة الكولونيل الثوري بيستل[١٨] .

المبحث الثاني : اساب وعوامل قيام حركة الديسمبريين:

لقد شهدت روسيا خلال تلك الفترة اضطرابات عديدة أدت إلى القيام بنوع من الانقلابات أو ما يعرف بالثورة , من اجل تغير نظام الحكم القيصري أو إنهاءة بشكل تام وبدون رجعة، فكان من بين تلك الأسباب التي ادت الى ذلك ما يلي:

١. العبودية وسلطة الاستبداد: كان لهذا السبب الأثر الكبير على الشعب الروسي خلال تلك الفترة، حيث ان سياسة الدولة البوليسية التي انتهجها الكسندر الاول جعلت العبودية تبلغ مداها في العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر, حتى أنها أصبحت تمثل أكثر المشاكل التي مرت على تاريخ البلاد [١٩] .
٢. العجز المالي في ميزانية الدولة: كانت الأمور المالية غير مستقرة, بسبب السياسة الفوضوية التي اتبعتها الحكومة، اذ كانت روسيا خلال تلك الفترة تعاني من عجز مالي كبير ومتراكم من الديون الخارجية، اذ بلغت الديون حوالي اكثر من (٢٠٠) مليون روبل.
٣. حالة الجيش المتدهورة: كان الجيش الروسي بحالة يرثى لها، فقد شهدت الموسسة العسكرية نوع من التدهور شأنها شأن المؤسسات الحكومية الأخرى, اذ كانت بحاجة ماسة إلى الانتباه والمعالجة السريعة، كما ان تطورات الاحداث الدولية في ذلك الوقت كانت تنذر بجرف روسيا والتدخل في الشؤون الاوربية, وذلك ما حصل فعلا فيما بعد[٢٠] .

٤. اثقال كاهل الفلاحين من خلال الخدمة في الجيش: بأمر من الكسندر الاول انشأ الجنرال اراكتشييف تنظيمات عسكرية فلاحية في القرى، وكان على الفلاحين ان يقضوا الخدمة العسكرية, وان يعملوا بالزراعة في ان واحد، وكان ابناء الفلاحين يبدأون التدريب العسكري منذ السابعة من العمر، وعليه فقد اصبح التدريب العسكري الشاق, والعمل المرهق, والعقوبات القاسية وانتهاك الحرمة الشخصية والحرمان التام من الحقوق, سببا في جعل حياة فلاحي القرى العسكرية جحيما لا يطاق، مما اسهم في زيادة الكراهية للحكم المطلق, لذلك تقبلوا افكار الديسمبرين ضد القيصرية ونظام الاستعباد.

٥. تدهور القطاع الزراعي: لقد كانت روسيا بلدا زراعيا يعتمد اعتماد اساسيا على المنتوجات الزراعية في سد حاجة البلاد من جهة وتصدير الفائض منجهة اخرى , اذ كانت وارداتها تشكل الجزء الاكبر من دخل لدولة ، كن بسبب السياسة التي اتبعها الكسندر الاول ة منذ جلوسه على العرش والتي وصفت بالاستبدادية, جعلت منه يتخذ جملة من الاجراءات, الغرض منها أنهاء امتيازات اصحاب الاراضي, وزيادة الضرائب عليهم, مما اجبر الكثير منهم على ترك الزراعة, والتوجه نحو مجالات اخرى، وقد انعكست تلك الحالة ايضا على الفلاحين, الذين لا يملكون ارضا فأتجهوا بدورهم الى اعمال متنوعة، فضلا عن ذلك, فأن ظهور المدنية الحديثة, ساهمت بشكل كبير في هجرة الفلاحين من الريف الى المدن الحضرية, لامر الذي ادى الى تدهور اليد العاملة في القطاع الزراعي .

٦. ضعف القطاع الصناعي وتأثيره السلبي على الانتاج الزراعي: على الرغم من تطور الصناعة في روسيا خلال القرن الثامن عشر, لكنها كانت بطرق مختلفة عما شهدته الصناعة في دول اوروبا الغربية، ويعود السبب في ذلك الى ارتباط الفلاحين ارتباطا وثيقا بالارض، على خلاف دول اوروبا الغربية التي اعتمدت بصورة اساسية على استخدام العمال من الفلاحين الذين لا يملكون ارضا، فقد كانت روسيا تعتمد في الجزء الاكبر من الايدي العاملة في المجال الصناعي على الفلاحين ومالكي الاراضي ممن تركوا الزراعة وانخراطوا في القطاع الصناعي, حيث اقل خبرة وموهبة وكفائة لاسيما من طبقات البرولتاريا, تلك التي تشكل المصدر الاساس للايدي العاملة في اي مجتمع قائم على العمالة [٢١] فضلا عن ذلك, فان الصناعة في روسيا بدلا من ان تتبع مسارات رأسمالية وتتخلص من انظمة العصور الوسطى الاستبدادية، سعت الى تكييف الصناعة مع المؤسسة القديمة، حيث بدأت الصناعة الروسية بتطوير انواع مشوهة من المصانع شبه الاقطاعية والتي اثبتت عدم كفائتها لسد احتياجات دولة متحضرة، ونتج عن ذلك ظهور فئة من العمال عرفت بـ (الاقنان الصناعية)، وقد كان للموقف الاوروبي دور مهم في تحفيز توسع الصناعة الروسية، ولكن ليس على نطاق واسع، حيث ان الظروف السياسية التي كانت سائدة في روسيا انذاك لم تكن تسمح بأكثر من ذلك[٢٢]

٧. ظهور حركات واحزاب اجتماعية وليبرالية سياسية تنادي بمباديء ومفاهيم التحرر من القيود التي كانت مفروضة في ذلك الوقت، والدعوة الى فتح قنوات اتصال وحوار بين الحكومة والشعب.

- برنامج الديسمبريين:

لقد وضع الديسمبريين منهاجا لحركتهم وبرنامجا للقضاء على الواقع المتردي في روسيا خلال تلك الفترة، وفيما يلي نص البيان الذي وجهه الديسمبريين الى الشعب الروسي والذي تضمن برنامجهم الذي وضع عشية الانتفاضة :

يعلن مجلس السينات (مجلس الشيوخ الحكماء) ما يلي:

١. الغاء الحكم السابق.
٢. تشكيل حكومة مؤقتة حتى يتم انتخاب حكومة دائمة.
٣. حرية النشر والغاء الرقابة.
٤. حرية ممارسة كافة الاديان.
٥. الغاء حق الملكية فيما يخص البشر.
٦. تتساوى كافة الفئات امام القانون, وعليه يتم الغاء المحاكم العسكرية وكافة انواع لجان المحاكمة واحالة كافة القضايا منها الى المحاكم المدنية.
٧. الاعلان عن حق كل مواطن في ممارسة اي نوع من النشاط، ولذا يتمتع الدوفريان والتجار وسكان المدن والفلاحين بحقوق متساوية في دخول الخدمة العسكرية والمدنية وممارسة النشاط الديني ومزاولة التجارة بعد دفع الرسوم المحددة لقاء ممارسة التجارة، كما يحق لهم اقتناء املاك مختلفة مثل الاراضي والبيوت في القرى والمدن، وعقد مختلف المعاملات فيما بينهم والتقاضي امام المحكمة.
٨. الغاء ضريبة النفوس وما يدفع منها.
٩. الغاء الاقتراع العسكري والقرى العسكرية.
١٠. تقصير مدة الخدمة العسكرية للجنود وتحديد هذه المدة بعد اجراء المساواة في الحقوق فيما يتعلق بالخدمة العسكرية لجميع الفئات.
١١. تسريح جميع الجنود دون استثناء من اللذين خدموا في الجيش مدة ١٥ عام.
١٢. تأسيس الادارات في النواحي والاقضية والمحافظات والمقاطعات, وتحديد نظام انتخاب اعضاء هذه الادارات اللذين يجب يحلوا محل المواطنين اللذين قد تم تعيينهم من قبل الحكومة سابقآ.
١٣. علنية المحاكمات وادخال المحلفين في المحاكم الجنائية والمدنية [٢٣] .

وقد نص البيان ايضا على ان تؤلف ادارة من شخصين او ثلاثة تخضع لها كافة هيئات الادارة العليا، وبصورة عامة كل السلطات التنفيذية العليا باستثناء السلطة التشريعية والقضائية، وتكلف الادارة العليا بتنفيذ ما يلي :

١. جعل حقوق كافة الفئات متساوية.

٢. تشكيل الادارات المحلية في النواحي والاقضية والمحافظات والمقاطعات.
٣. تأسيس الحرس الشعبي الداخلي.
٤. جعل جميع الفئات متساوية في الاقتراع العسكري والغاء الجيش الدائم.
تحديد نظام انتخاب المندوبين الى مجلس ممثلي الشعب اللذين عليهم ان يصادقوا على نظام الحكم للمستقبل وعلى قوانين الدولة [٢٤]

- قيام الحركة وقمعها وموقف نيقولا الاول منها :

كان القيصر الكسندر الاول قد توفى في الحادي عشر من كانون الاول من عام ١٨٢٥ , وعلى اثر ذلك قرر النبلاء الثوريون استغلال هذه الفرصة الملائمة, للبدء في تحقيق خطتهم في تغير نظام الحكم قبل ان يتولى شقيقه نيقولا العرش القيصري، وبدورهم حدد هؤلاء الثوار يوم الرابع عشر من كانون الاول عام ١٨٢٥, موعدا للقيام بالانتفاضة وتحديدا في مدينة سان بطرسبرغ [٢٥] .

جاء اختاير الديسمبريين ليوم الرابع عشر موعدا لقيام بالانتفاضة اذ تزامن ذلك مع قيام نيقولا باداء اليمين, ليصبح قيصراً على روسيا [٢٦] , فأستعد الديسمبريين لهذا اليوم بكل شجاعة وعزم, وفي عشية يوم الرابع عشر, توجه أعضاء الجمعية الى ثكنات الجنود لدعوتهم الى رفض أداء اليمين للقيصر الجديد نيقولا، ويذكر أنه في يوم ١٣ كانون الاول, أي قبل يوم قيام الانتفاضة, كان الديسمبريين قد عقدوا جتماع وضعوا فيه الخطة النهائية للقيام بحركتهم ، وانتخب المجتمعين العقيد الامير تروبنسكوي قائداً لحركتهم[٢٧]

بعد ذلك توجه الديسمبريون الى الثكنات العسكرية ودعوا الجنود الى ان يتوجهوا الى بناية مجلس السينات, ويعبروا عن احتجاجهم على أداء اليمين لنيقولا الاول، ويذكر أن الديسمبريون لم يبادروا بأي أعمال تخريبية او هجومية, كالسيطرة على القصر الشتوي, وهو القصر الملكي المخصص لقياصرة روسيا تم انشاءه مابين (١٧٥٤-١٧٦٢) ليكون منزلا للقياصرة في فصل الشتاء ، وبعد مرور السنوات اصبح بمثابة متحفا فنيا يسمى "الهيرميتاخ" [٢٨], فضلا عن ذلك كان بمقدور الديسمبرين الاستيلاء على على المدفعية, بيد انهم اعرضوا عن ذلك, بسبب عدم رغبتهم اشراك الشعب في الانتفاضة [٢٩].

من جانبه حاول نيقولا الاول في ذلك الوقت اقناع المنتفظين على الالقاء السلاح والوصول الى حلول مقنعة، لكنه سرعان ما ارسال اليهم الجنرالات المتروبولين من اجل القضاءعليهم قبل البدء بتحركاتهم, مع ذلك فقد اخفقت جميع محاولاته [٣٠]. وازاء عناد واصرار الثوار الديسمبريين, اقدم نيقولا الاول على حشد قواته حيث قادها بنفسه وطوق ساحة السينات حيث مكان المنتفظين، وامر قواته بفتح انار على المجتمعين لعدة مرات, لكن وجهت قواته نوع من المقاومة، ولما رأى نيقولا هذه المقاومة أمر بأستخدام المدفعية ضد الثوار المنتفضين وقصفهم بقنابلها [٣١] , وتمكن نيقولا من انهاء الانتفاضة, بعد ان وقع العديد من الخسائر بين الديسمبرين, والقي القبض على مايقارب(٦٤٨ عسكريا) و (٦٢

بحارا) حيث تم حبسهم في قلعة بتروبا فلوفسكايا, وسط مدينة بطرسبرغ , كما طالت الاتهمات الديسمبرين , منها اتهامهم بقتل كبار المسؤولين بمن فيهم محافظ بطرسبورغ الجنرال ميلورادوفيتش, والتحريض على الفتنة التي ادت الى سقوط عدد كبير من الضحايا، وتذكر بعض المصادر بأن نيقولا نفسه هو الذي عمل على استجواب قادة الانتقاضة, كما انه أمر بأرسال البعض منهم الى السجن المؤبد والبعض الاخر الى المنفى في سيبيريا، عزل الكثير منهم في مناطق نائية في البلاد ووضعهم تحت الرقابة المشددة [٣٢]. وأمر كذلك بأستخدام العصي في عقاب المتهمين, اذ كان يفعل ذلك بنفسه, لذا سمي بـ (ابو العصي) [٣٣].

– موقف الكنيسة الارثوذكسية الروسية من الحركة :

كان رجال الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا كباقي المنتفعين من طبقات المجتمع الراقي المقربة من الحاشية القيصرية كأصحاب المصارف والمدراء والصناعيين والنبلاء ، وحاشية البلاط وآنساته، والنواب الليبراليون وجنرالات الجيش، والمحامون الراديكاليون، ، وعدد كبير من الأقارب وأبناء الأخوة والأخوات، وكانوا جميعهم يحاولون استغلال مناصبهم وعلاقاتهم بالحاشية القيصرية للسرقة وتكوين الثروات، ويرفضون بكل شكل من الاشكال فكرة التحرر من العبودية, لأنها تتعارض مع مصالحهم الشخصية[٣٤] .

لقد كان لرجال الكنيسة الروسية دورًا ليس بالقليل في مهمة تمجيد القيصر والخضوع له، ولكنه لم يتجاوز دور مجموعة من الموظفين، ولم ترتفع الكنيسة في روسيا أبدًا إلى مستوى القوة المسيطرة التي عرفتها الكنيسة الكاثوليكية في الغرب، واكتفت الكنيسة الروسية بحالة التبعية الروحية للحكام الفرديين، ولم يكن للمطارنة والقساوسة أي سلطة, إلا كتابعين للسلطة المدنية، وكان تبديل البطريرك يتم مع قدوم قيصر جديد إلى العرش، وعندما تم انتقال العاصمة إلى بطرسبرغ أصبح تعلق الكنيسة بالدولة أكثر شدة، وكان عدد كبير من القساوسة والرهبان وغيرهم من رجال الدين يشكلون بمجموعهم جزءًا من البيروقراطية، ويقومون بدور الشرطة الدينية، وبالمقابل فقد كانت الشرطة العامة تحمي احتكار الكنيسة الأرثوذوكسية للشؤون الدينية، وتحافظ على أراضيها، ومواردها [٣٥].

لقد كانت الكنيسة تدعم الحكم القيصري, لكونه حاميا لها ومحافظا على خصوصيتها وهويتها الدينية، وكان بقائها مرهونا ببقاء هذا الحكم، وبالتالي فقد كانت تعارض أي جركة تنوي التخلص من الحكم القيصري, ومن بينها حركة الديسمبريين، وما يبرهن على ذلك, هو عندما جلس نيقولا الاول على العرش الروسي كانت الكنيسة من مؤيديه لأنها كانت تعتبره خير من يرعى مصالح البلاد ويحافظ على أركان الدولة ووحدة البلاد، حيث انه قام بعد ذلك بتوسيع صلاحيات رجال الدين، فأصبح بيدهم ما كانوا يطالبون به مختلف القياصرة الذين سبقوه الا وهو القضاء، فأصبحت الابرشيات وخاصة في الارياف والمدن الصغيرة هي مراكز القضاء، وكان الإقطاع هو المكمل والمساند الرئيسي للكنيسة [٣٦]

الخاتمة:

كانت الامبراطورية الروسية قد خضعت ولقرون عديدة تحت وطأة الحكم القيصري الذي حكم البلاد بقبضة من حديد، وقد عانى الشعب الروسي في تلك الفترة من الظلم والاستبداد والعبودية التي بلغت مداها في عهد القيصر نيقولا الاول, الذي عرف بأنه كان الحاكم الاشد ظلما واستبدادا في روسيا عبر تاريخها الطويل، وقد شهدت جميع قطاعات الامبراطورية الروسية تراجعا كبيرا واهمها القطاع الزراعي الذي كان يعتبر المصدر الاول والرئيس للدخل في الدولة, لأنها كانت تعتبر دولة زراعية بالدرجة الاولى، وكذلك القطاع الصناعي الذي لم يكن بمستوى يسمح بنهوض روسيا كدولة متقدمة ومتحضرة.

وبصورة عامة فقد شهد الاقتصاد الروسي في تلك الفترة العصيبة تدهورا واضحا، وبلغت الديون الخارجية ارقاما مذهلة، وكل ذلك انعكس سلبا على الفرد الروسي الذي الذي انهكته الحالة الاقتصادية بنفس القدر الذي اثقلت به كاهله الحالة الاجتماعية, بسبب سياسة العبودية للدولة التي مارسها القياصرة خلال فترات حكمهم.

ونتيجة لكل تلك الاسباب, كان لا بد من ظهور قوى وطنية تسعى لتحرير البلاد من الحكم القيصري المستبد والنهوض بواقعها المتردي في جميع المجالات وخصوصا عندما رأى الشعب الروسي دول اوروبا الغربية التي تحررت من العبودية وتطورت بشكل كبير في جميع المجالات.

وعلى غرار النموذج الاوربي الغربي الذي تأثرت به روسيا، فقد ظهرت مجموعة من الثوار الذين يحلمون بروسيا متحررة من العبودية وقادرة على القيام بدورها كدولة متقدمة ليس في اوربا فحسب وانما في العالم بأسره، وقد سمى الثوار انفسهم بالديسمبريين نسبة الى حركتهم التي قمعها نيقولا الاول سنة ١٨٢٥، ولكنها برغم ذلك بقيت تعتبر اولى الثورات التي مهدت الطريق للقيام بثورات لاحقة شهدتها روسيا عبر تاريخها، وكانت ثورة الديسمبريين امتدادا لثورات التحرر والتي كانت اخرها ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ التي كانت خاتمة الثورات في روسيا والتي تمكنت من تحقيق ما كانت تطمح اليه ثورة الديسمبريين الا وهو انهاء الحكم القيصري وإقامة حكومة دستورية.

المصادر:

اولا: الكتب العربية

١- الان بالمر، (١٩٩٢): ***موسوعة التاريخ الحديث (١٧٨٩-١٩٤٥)***، ج١، ت.سوسن فيصل السامر، دار المأمون، بغداد.
٢- تروبنسكي، الكسيفكارتوف،(١٩٧٤): ***موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي***، دار التقدم، موسكو.
٣- مجموعة مؤلفين، (٢٠١٠): ***الموسوعة العربية الميسرة***، المجلد الاول، ط١، بيروت.
٤- فيدوسوف يبينانوف،(د.ت): ***تاريخ الاتحاد السوفيتي***، دار التقدم، موسكو.
٥- بيير رنوفان، (١٩٧١)***:تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥-١٩٠٤)***، ط٢، ت.جلال يحيى، مصر.
٦- راغب العلي وأخرون،(٢٠٠٩): ***تاريخ أوربة المعاصر***، ط٦، منشورات جامعة دمشق.
٧- علي حيدر سليمان ،(١٩٩٠): ***تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة***، ط١، دار واسط، بغداد.
٨- هارولد، وجرانت ج تمبرلي، (د.ت): ***أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين(١٧٨٩-١٩٥٠)***،ط٦ المنقحة، ت.بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب.
٩- لينين، (١٩٧٠): ***المؤلفات الكاملة***، دار التقدم، موسكو.
١٠- محمد محمد صالح وآخرون،(١٩٨٥): ***تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر***، بغداد.
١١- ماركس وانجلز،(١٩٦٨): ***المؤلفات الكاملة***، ج٦، دار التقدم، موسكو|.
١٢- هاشم صالح التكريتي، (د. ت)***:تاريخ روسيا ١٧٠٠- ١٩١٤***، بغداد.
١٣- الكسيفوكارتسو، فوتروتيسكي، (١٩٧٤): ***موجز الاتحاد السوفيتي***، موسكو.
١٤- روبرت كونكواست (د.ت): ***أدراك الحقائق عن روسيا***، بيروت.
١٥- علي هادي عباس المهداوي،(٢٠١٤): ***تاريخ أوربا الحديث (١٧٨٩ – ١٨٧٠)***، ط١، بغداد.

الرسائل الجامعية:

على رحمة مزوحي العبودي, التطورات الداخلية في روسيا القيصرية ابان عهد القيصر نيقولا الاول (١٨٢٥-١٨٥٥), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الاداب ,جامعة البصرة , ٢٠١٧.

ثانيا: الكتب الإنكليزية :

1- Lindsey Hughes,(2008) ***The Romanovs Ruling Russia 1613-1917***, USA,

2- Jane Burbank and David L.(1998) Ransel, ***Imperial Russia***, Indian University Press, India.
3- Hector H.Murno.(1900) ***The Rise Of The Russian Empire***, Grant Richards, London.
4- Mark Von Hagen & Jane Burbank,(2007) ***The Russian Empire***, Indian University Press, India.
5- Richard Charques(1974), ***The Twilight of Imperial Russia***, Oxford University Press,USA.
6- Alexander Preobrazhensk.***)1988)The Russian Orthodox Church 10th to 20th Centuries***, Progress Publishers, Moscow.
7- Alexander Preobrazhensky,The Russian Orthodox Church 10th to 20th
8- Centuries,1988, Progress Publishers, Moscow.

مصادر الانترنت

1- http://arabic.rt.com.
2- www.startimes.co.
3- http://www.moqatel.com.

الهوامش:

---

(1) http://arabic.rt.com 26/2/2021.

(٢) مجموعة مؤلفين، (٢٠١٠): **الموسوعة العربية الميسرة**، المجلد الاول، ط١، بيروت. ص٣٩١.

(٣) ألان بالمر، (١٩٩٢): **موسوعة التاريخ الحديث (١٧٨٩-١٩٤٥)**، ج١، ت.سوسن فيصل السامر، دار المأمون، بغداد, ص٣٨.

(٤) راغب العلي وأخرون،(٢٠٠٩): **تاريخ أوربة المعاصر**، ط٦، منشورات جامعة دمشق, ص٨٣-٨٤.

(٥) علي حيدر سليمان،(١٩٩٠): **تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة**، ط١، دار واسط، بغداد, ص٢٩٠,

(٦) ألان بالمر, المصدر السابق , ص٤٠.

(٧) ألان بالمر المصدر السابق , ص٤٠.مجموعة مؤلفين ,المصدر السابق, ص ٣٩١

(٨) Lindsey Hughes,(2008) **The Romanovs Ruling Russia 1613-1917**, USA, P,103

(٩) علـى رحمـة مزوحـي العبـودي,(٢٠١٧), التطـورات الداخليـة فـي روسـيا القيصـرية ابـان عهـد القيصـر نيقـولا الاول (١٨٢٥-١٨٥٥), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الاداب ,جامعة البصرة , ص, ٣٣.

(١٠) على رحمة مزوحي العبودي , ص, ٣٤.

(11) Jane Burbank and David L. Ransel(1998) **Imperial Russia**, Indian University Press, India, ,P 89.

(١٢) راغب العلي وأخرون،المصدر السابق, ص ٧٢.

(١٣) على رحمة مزوحي العبودي , المصدر السالق ,ص, ٥٢.

(14) Hector H.Murno,(1900) **The Rise Of The Russian Empire**, Grant Richards, London, , p 67.

(15)Mark Von Hagen & Jane Burbank, ,(2007**) The Russian Empire**, Indian University Press, India, p ,177.

(16)Mark Von Hagen & Jane Burbank, Op.Cit, p ,178 , على رحمة مزوحي العبودي ,المصدر السابق,ص٤٤.

(١٧) على رحمة مزوحي العبودي ,المصدر السابق, ص٤٦.

(١٨) فيدوسوف يبينانوف،(د.ت)**: تاريخ الاتحاد السوفيتي**، دار التقدم، موسكو، ص٢٩٧؛ علي هادي عباس المهداوي،(٢٠١٤)**: تاريخ أوربا الحديث (١٧٨٩ – ١٨٧٠)**، ط١، بغداد.

(19) Richard Charques, (1974**) The Twilight of Imperial Russia**, Oxford University Press,USA,P 58.

(20)Mark Von Hagen & Jane Burbank, Op.Cit, p 180. Lindsey Hughes,(2008) The Romanovs Ruling Russia 1613-1917, USA,P, 105

(21) Lindsey Hughes,(2008) The Romanovs Ruling Russia 1613-1917, USA,P, 105

(22) Jane Burbank and David L. OP.Cit,p98.

(٢٣) على رحمة مزوحي العبودي ,المصدر السابق, ص٥٢؛ التكريتي، هاشم صالح التكريتي، (د. ت)**: تاريخ روسيا ١٧٠٠– ١٩١٤**، بغداد. ص,٧٧.

(٢٤) على رحمة مزوحي العبودي ,المصدر السابق, ص٥٢؛ http://ejabat.google.com ,4/3/2021

(٢٥) محمد محمد صالح وآخرون،(١٩٨٥)**: تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر**، بغداد, ص١٨٧.

(٢٦) لينين (١٩٧٠)**: المؤلفات الكاملة**، دار التقدم، موسكو. ص ,٢٣٤.

(٢٧) فيدوسوف يبينانوف,المصدر السابق , ص٢٩٧.

(28)http://www.moqatel.com. 4/3/2021.

(٢٩) ماركس وانجلز،(١٩٦٨)**: المؤلفات الكاملة**، ج٦، دار التقدم، موسكو ,ص,٢٤.

(٣٠) ألان بالمر, المصدر السابق , ص٢٣٨.

(٣١) الكسيفكارتوف تروبنسكي،(١٩٧٤)**: موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي**، دار التقدم، موسكو, ص٤٥.

(٣٢) الكسيفكارتوف تروبنسكي,المصدر السابق, ص٤٩.

(٣٣) فيدوسوف يبينانوف,المصدر السابق , ص٣١٢.

(34)Alexander Preobrazhensky)1998),**The Russian Orthodox Church 10th to 20th Centuries**, Progress Publishers, Moscow,p,142.

(٣٥) بيير رنوفان،(١٩٧١)**:تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥–١٩٠٤)**، ط٢، ت.جلال يحيى، مصر, ص٢٩؛ روبرت كونكواست (د.ت)**: أدراك الحقائق عن روسيا**، بيروت.

(36)Alexander Preobrazhensky,Op.Cit,p,14

؛ الكسيفوكارتسو، فوتروتيسكي، (١٩٧٤)**: موجز الاتحاد السوفيتي**، موسكو.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

حزب الرفاه الاسلامي التركي
Turkish Islamist Welfare Party

م.د. نجاة خيرالله كاظم
Najat khairallah kadhim
جامعة بغداد /كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية
University of Baghdad,lbn Rushd College of Education For Human Sciences
Email:Na19jat77@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

لم تنسي العلمانية التركية المعاصرة مجتمعها من جذوره الإسلامية على الرغم من محاولة أتاتورك وأتباعه طمس الهوية الإسلامية لتركيا إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل، إذ سرعان ما تظهر حركات جديدة تطالب بالتمسك بالإسلام وهنا تكمن أهمية الموضوع فإن حزب الرفاه محور دراستنا لم يرتقي الى سلم السلطة إلا بعد المخاض المرير الذي خاضته الأحزاب الإسلامية مع القوى السياسية العلمانية منذ سبعينيات القرن الماضي.

ومن دواعي اختياري للموضوع هو حب الاطلاع والمعرفة عن تفصيلات أعظم حزب إسلامي في تركيا المعاصرة (حزب الرفاه) وكيف وصل الى السلطة ؟ وماهي أهدافه السياسية ؟ وهل لبى طموح المؤيدين له ؟ كل تلك التساؤلات وغيرها حاول الباحث الإجابة عليها في مسودات هذا البحث.

وتضمن البحث مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة إذ تناول التمهيد لمحة عامة عن الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا وبداياتها الحزبية إذ تم تقليص النفوذ الإسلامي في تركيا من قبل أتاتورك ووصل الأمر الى إلغاء النص الذي يؤكد على إن تركيا دولة إسلامية، وبالرغم من ذلك بقى نشاط الإسلاميون سري، وبعد الحرب العالمية الثانية انتقلت تركيا الى مرحلة التعدد الحزبي وزاد النشاط الإسلامي وبعد انقلاب عام ١٩٧١، فسح المجال للحركة الإسلامية بتشكيل أحزاب تمثلها مثل حزب النظام الوطني وبعده حزب السلامة الوطني وعلى أثر تلك الأحزاب تأسس حزب الرفاه (موضوع البحث).

ودرس المبحث الأول البرنامج السياسي لحزب الرفاه وهو البرنامج الذي دخله في معركته الانتخابية مع الأحزاب الأخرى، ومن أبرز ما تم طرحه في ذلك البرنامج هو النظام الاقتصادي الذي عرف بالنظام العادل الذي ينتهج طريق وسط بين الشيوعية والرأسمالية. وناقش المبحث الثاني اعتلاء حزب الرفاه

للسلطة ودوره فيها، فإن الظروف التي مرت بها تركيا في تلك المرحلة ساعدت على اعتلاء الحزب للسلطة وذلك في عام ١٩٩٦، إذ حصد ذلك الحزب نسبه عالية من الأصوات وتحالف مع حزب الطريق المستقيم، ولكن اتهم الحزب فيما بعد بتآمره على النظام العلماني للدولة لذلك تم حل الحزب.

وناقش المبحث الثالث نتائج تسلم الحزب للسلطة وفي مقدمة تلك النتائج هو زيادة رواتب الموظفين ومحاولته تحسين الوضع الاقتصادي في تركيا، وقدم الحزب حلول جزئية للمشكلة الكردية عن طريق تعاون دول الجوار لاحتواء تلك المشكلة، ونجح الحزب في معالجة مشكلة السجون التركية ورفع الحيف عن السجناء. وتكفل المبحث الأخير بدراسة الانتقادات التي وجهت لذلك الحزب ومنها المواقف المتناقضة للحزب قبل وبعد اعتلاء السلطة فإن الحزب غير مواقفه تجاه إسرائيل والاتحاد الأوربي وتقرب منهم والغريب أن الحزب قمع التيار العسكري المتبني الفكر الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: تركيا .حزب الرفاه .حزب

Abstrac

The contemporary Turkish secularism did not completely forget its society's Islamic roots. Despite the attempts by Atatürk and his followers to erase Turkey's Islamic identity, these efforts failed. New movements quickly emerged demanding adherence to Islam. This is where the importance of this study lies, as the Welfare Party, the focus of our research, did not rise to power without the arduous struggle faced by Islamic parties against secular political forces since the 1970s.

The reason I chose this topic is my curiosity and desire to learn more about the details of the greatest Islamic party in contemporary Turkey, the Welfare Party: how it reached power, what its political goals were, and whether it fulfilled the ambitions of its supporters. The researcher attempted to address these and other questions in the drafts of this study.

The research includes an introduction, a preamble, four chapters, and a conclusion. The preamble provides a general overview of the contemporary Islamic movement in Turkey and its early party foundations. The Islamic influence was reduced by Atatürk, to the extent that the law confirming Turkey as an Islamic state was repealed. Despite this, Islamic activity continued in secret. After World War II, Turkey entered the multi-party phase, which increased Islamic political activity. Following the 1971 coup, the stage was set for Islamic parties to form, such as the National Order Party and later the National Salvation Party, which ultimately led to the establishment of the Welfare Party (the subject of this research.

The first chapter studies the political program of the Welfare Party, which it used in its electoral battles with other parties. Among the key points of this program was the economic system, known as the "just system," which followed

a middle path between communism and capitalism. The second chapter discusses the Welfare Party's rise to power and its role therein. The circumstances in Turkey at that time helped the party ascend to power in 1996, after it secured a high percentage of votes and formed an alliance with the Virtue Party. However, the party was later accused of conspiring against the secular system, which led to its dissolution.
The third chapter examines the outcomes of the party's governance. Among the most notable were the increase in public employees' salaries and attempts to improve Turkey's economic situation. The party also offered partial solutions to the Kurdish issue through cooperation with neighboring countries, and succeeded in addressing problems in Turkish prisons, alleviating the injustice faced by prisoners. The final chapter explores criticisms directed at the party, including its contradictory positions before and after coming to power. For example, the party changed its stance toward Israel and the European Union, becoming closer to them, while paradoxically suppressing the military faction that adopted Islamic ideology.
Keywords: Turkey, Welfare Party, Political Party

تمهيد: لمحة عامة عن الحركة الإسلامية في تركيا وبداياتها الحزبية

أولاً: التيار الإسلامي منذ تأسيس الجمهورية التركية.

نجح مصطفى كمال أتاتورك في بناء الدولة العلمانية على أنقاض الدولة العثمانية، التي كانت تستغل الإسلام لتحقيق أهدافها السياسية، ومن ذلك المنطلق أدرك أتاتورك عدم إمكانية تأسيس نظام جديد في تركيا إلا عن طريق إبعاد الإسلام عن السياسة، و نجم عن ذلك بعض الإجراءات التي ضيقت الخناق على أتباع الحركة الإسلامية، فأغلقت التكايا وزوايا الدراويش، وألغيت الطرق الصوفية و قوانين المحاكم الشرعية، التي استبدلت بقوانين مقتبسة من القوانين الغربية(السويسرية، والألمانية، والإيطالية).[١]

ومنحت المرأة حقوقاً مساوية للرجل، ومنعت من ارتداء الحجاب، وكان الدستور يعدل باستمرار،[٢] وعلى الرغم من تلك التعديلات بقى الدستور حتى عام ١٩٢٤ ينص على إن الإسلام الدين الرسمي للدولة، وسرعان ما ألغي ذلك النص عام ١٩٢٨، ولم تكتفي السلطات التركية بذلك ففي عام ١٩٣٢، أصبح المصلون يؤدون صلاتهم باللغة التركية، وليس بالعربية.[٣] ويمكن الاستنتاج مما تقدم إن محاربة الحركة الإسلامية لم تنطلق بشكل فجائي بل حدثت رويداً رويداً.

وظهرت العديد من الأحزاب بعد الحرب العالمية الثانية، التي أكدت في منهاجها على احترام التعاليم الإسلامية، وبرزت الدعوات الى مناقشة القضايا المتعلقة بالتعليم الديني، ونتيجةً لذلك تنامت الحركة

الإسلامية، لاسيما عندما ارتفعت نسبة مؤيديها في انتخابات عام ١٩٤٦، و خلال السنوات ١٩٤٦-١٩٤٨، تأسست مجموعة من المنظمات والجمعيات الإسلامية مثل جمعية الإسلام، وجمعية التطهير، كما عادت الى الظهور بعض الصحف والمجلات الدينية التي منعها الكماليون من الصدور عند توليهم السلطة ومنها سبيل الإرشاد، وسلامت. ونجحت تلك المنظمات والجمعيات والصحف في الدفاع عن قضيتها، لاسيما عندما قررت الحكومة التركية عام ١٩٤٨، تخصيص الأموال للراغبين في أداء فريضة الحج. وفي كانون الثاني عام ١٩٤٩، أقيمت دورات لإعداد الأئمة والخطباء. وتقرر السماح بتعليم الدروس الدينية في المراحل الأولى من الدراسة، والإنفاق على رجال الدين، ورحبت الحكومة في ذلك الوقت بقرار جامعة أنقرة لفتح كلية العلوم الدينية. (٤)

ويمكن القول أن الحركة الإسلامية التركية كانت في تصاعد مستمر، فلن يتنصل الشعب التركي عن جذوره الإسلامية، على الرغم من سيادة الدولة العلمانية ومحاربتها للجانب الديني في تلك المرحلة.

ثانياً: بداية نشاط الأحزاب السياسية الإسلامية في تركيا

كان أول حزب إسلامي، هو حزب السلامة الوطني الذي أسس في كانون الثاني ١٩٧٠ باسم (حزب النظام الوطني) برئاسة نجم الدين اربكان(٥) العضو السابق في حزب العدالة . ولكنه لم يستمر طويلا ، إذ حظر نشاطه بقرار المحكمة الدستورية في الحادي والعشرين من أيار ١٩٧١ بحجة مخالفته لمبدأ العلمانية واستغلال الدين لأغراض سياسية . غير انه استطاع في تشرين الأول ١٩٧٢ من إعادة نشاطه فظهر باسم (حزب السلامة الوطني) او (حزب الانقاذ او الخلاص الوطني). (٦)

وعبرت الطبقة البرجوازية الوسطى عن مصالح هذا الحزب ويمكن اعتبارها قاعدته الاجتماعية، فإن تلك الطبقة التي ضاقت ذرعاً بسياسات حزب العدالة المؤيد للاحتكار والرأسمال الاجنبي ولم تعد قادرة على الاستمرار بتأييده . وهناك رأي اخر يربط بين حزب السلامة الوطني وما يطلق عليهم في تركيا بـ (الاصناف) وهم فئة واسعة من الحرفيين ينتشرون بشكل خاص في مدن الاناضول الصغيرة ، وهذه الفئة تعد الحزب ممثلاً لهم فضلا عن انه يعبر عن مصالح النازحين الى المدن والذين عرفوا كما مر فيما سبق بسكان مدن الصفيح. ولعل من المفيد القول ان طبيعة البنية الدينية للحزب انعكس على قاعدته فقد اكسبت هذه النشأة الدينية تأييداً شعبياً واسعاً في اوساط القرويين الذين ما تزال تؤثر فيهم المسائل الدينية الى حد بعيد . (٧)

وحقق ذلك الحزب نجاحاً كبيراً في انتخابات عام ١٩٧٣، إذ حصل على ٤٨ مقعداً مما دفع نجم الدين اربكان الى العودة الى رئاسة الحزب في الحادي والعشرين من تشرين الاول ١٩٧٣ وحدثت خلافات في صفوف الحزب ادت الى انشقاقه في عام ١٩٧٧ وانسحب النائب عبد الكريم دوكرو من الحزب . مما جعل هذه الخلافات تؤثر في الحزب ففي انتخابات عام ١٩٧٧ حصل على (٢٤) مقعداً

وهي نصف القاعدة التي حصل عليها عام ١٩٧٣. [٨] وفي السادس من أيلول عام ١٩٨٠، أنعقد مهرجان القدس الذي أقامه حزب السلامة الوطني والذي حمل شعار تحرير القدس وشارك فيه حوالي مائة ألف شخص، أكدوا في نداءاتهم على معاداة النظام العلماني، وإقامة دولة إسلامية بدلاً عنه، وذلك الأمر حفز المؤسسة العسكرية للقيام بانقلاب الثاني عشر من أيلول عام ١٩٨٠، ونتيجة لذلك قام قائد الانقلاب كنعان أيفرن بحظر نشاط الأحزاب السياسية ومحاكمة زعمائها دون وجه حق، وفي مقدمة تلك الأحزاب حزب السلامة الوطني. [٩] وتأسس حزب الرفاه (موضوع البحث) على أنقاض ذلك الحزب.

المبحث الأول

البرنامج السياسي لحزب الرفاه

حملت التطلعات الفكرية للبرنامج السياسي لحزب الرفاه آمال عدد كبير من الأتراك في التغيير للنظام السياسي الحاكم في تركيا، فقد أستاء عدد كبير منهم من طبيعة تسلط المؤسسة العسكرية التركية على رقاب الشعب تحت عنوان الحفاظ على علمانية الدولة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى جاء هذا الحزب بمفاهيم جديدة حاول تطبيقها على أرض الواقع، إذ دعا الحزب الى التمسك بالتراث الإسلامي وعدم التنصل عنه، لأنه الأساس التاريخي الذي يستند عليه الأتراك. [١٠]

ونظر الحزب الى الديمقراطية التي تنادي بها الأصوات المحافظة على النظام العلماني بأنها تحمل في طياتها ازدواجية المواقف تجاه المجتمع التركي، وتعير بمكيالين متناقضين فمن ناحية فإنها تسمح لغير المسلمين بحرية أداء الشعائر ولا تسمح للمسلمين كما أسلفنا، ومن ذلك المنطلق حاول الحزب ترسيخ المفاهيم الإسلامية ليس على صعيد المجتمع التركي فحسب بل المجتمع الإسلامي علاوة على ذلك تشكيل منظمة دولية لتوحيد الأمم الإسلامية وهدف تلك المنظمة تنظيم العمل بين الدول المنضوية تحت لواء تلك المنظمة، وإيجاد مخارج للأزمات التي تمر بتلك الدول وبالفعل حاول الحزب تطبيق ذلك بصورة فعلية فعلى سبيل المثال تحرك أربكان ضمن المحيط الإسلامي لتفويت الفرصة على الغرب لاستغلال ذلك فإنه لعب دور كبير في التوسط لحل أزمة الخليج عام ١٩٩٠، عن طريق اشتراكه في مؤتمر أتحاد الجماعات الإسلامية الذي عقد في عمان . [١١]

وأعتمد الحزب في برنامجه السياسي على استقطاب عطف الأكراد فإن الحزب وضح أهمية الاعتراف ببعض الامتيازات لهم، وفي مقدمتها حقهم باستخدام لغتهم والتعايش السلمي مع باقي مكونات الشعب التركي، الى جانب ذلك فهم مسلمون ومن الأولى التعامل معهم على أساس الأخوة الإسلامية، وعدم الانتقاص منهم أو التعامل معهم كمواطنين من الدرجة الثانية، والأكثر من ذلك يجب إعطائهم حقوقهم القومية وتلبية طموحاتهم بشرط أن لا تكون تلك الطموحات مبنية على أساس تمزيق وحدة الأرض التركية، ولذلك حصد الحزب غالبية الأصوات الكردية في المعارك الانتخابية. [١٢]

وهدف الحزب الى أنشاء سوق إسلامية مشتركة وحلف رباعي على غرار حلف شمال الأطلسي بين الدول المسلمة، ويكون ذلك الحلف درع واقي لمليار ونصف من المسلمين، وتحقيق التعاون الاقتصادي بين المسلمين عن طريق السوق المقترحة وتأسيس مؤسسات ضخمة تعيق الاستعمار عن تحقيق أغراضه الدنيئة، فضلاً عن ذلك توحيد العملة النقدية للبلدان الإسلامية لتحريرها من التبعية للدولار الأمريكي الذي لازال يخدم المصالح اليهودية في العالم، علاوة على ذلك تشكيل منظمة للتعاون الثقافي للدول الإسلامية وغرض تلك المنظمة التنسيق بين الجامعات الإسلامية ومعاهدها ومراكز أبحاثها وتأمين التعاون العلمي والتكنولوجي، أي إن الحزب كانت لديه طموحات في توحيد السياسة العالمية الإسلامية، وتركيا هي المؤهلة لقيادة ذلك التحالف ويشفع لها تأريخها وموقعها الجغرافي هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إنها متطورة تكنولوجيا قياساً ببقية الدول الإسلامية. (١٣)

وناقش البرنامج السياسي للحزب معارضة التوجه التركي نحو أوربا والغرب، والابتعاد عن أي نشاط قد يقرب العلاقة مع إسرائيل، وذلك لأن تركيا أن أحسنت استخدام طاقاتها المادية والبشرية، فإنها بذلك تحرر نفسها من قيود العولمة والغرب. وذلك الأمر ينعكس على إعادة أمجادها الماضية ويكون لها شخصية مؤثرة في الدول المتحكمة بالقرارات العالمية. (١٤)

أما فيما يتعلق بالفكر الاقتصادي للحزب فإنه حاول توظيف نظرية جديدة تسمى النظام العادل اقتصاديا، لإدارة الاقتصاد ليس في تركيا فحسب بل في العالم، إذ أراد الحزب عن طريق تلك النظرية القضاء على نظام الاستعباد العالمي الذي يستغل تركيا والعالم من خلال خمسة أمراض وفي مقدمتها الربا، والضرائب، وصك النقود بلا رصيد، والنظام المصرفي الجائر، ونظام القروض، وتلك الأمراض تدفع السوق للارتفاع باستمرار وتزيد من نسبة التضخم وتجعل مقدرات الدول وإنتاجها بيد القوى الرأسمالية. (١٥)

ويكمن الحل في إقامة نظام اقتصادي لا ربا فيه ولا ضرائب ظالمة ولا صكّ نقود بلا رصيد ومنح القروض بصورة عادلة، عند ذلك تنتهي البطالة وتنزل الأسعار وتزداد الصادرات، ومن ركائز النظام الاقتصادي العادل إرساء مفهوم الحق فوق مفهوم القوة ويجمع هذا النظام بين إيجابيات النظام الشيوعي والرأسمالي. فهو مع دور أساسي للدولة في تأمين الخدمات العامة مثل المياه، والطرق، والصحة...كما تنظم الخدمات الأخرى، ويرى هذا النظام ضرورة تثبيت الأسعار من قبل الحكومة، ولكن ذلك يتم وفق قاعدة العرض والطلب في السوق الحرة. أكد الحزب على إن تركيا فيها محفزات لتطبيق هذا النظام الاقتصادي ومنها وفرة مياهها ومعادنها ،الى جانب الغابات، والمراعي، وتنوع أقاليمها، ويمكن تحويل تلك المواد الأولية الى مشاريع منتجة لاسيما في مجال التعدين والسياحة الصناعات الصغيرة والحربية والثقيلة وغير ذلك. (١٦)

المبحث الثاني

اعتلاء حزب الرفاه للسلطة ودوره فيها

عندما قامت المؤسسة العسكرية بحل حزب السلامة الوطني عام ١٩٨٠، هذا لا يعني نهاية المطاف لنشاط الحركة الإسلامية في تركيا، وبالفعل تم تأسيس حزب الرفاه في التاسع عشر من تموز عام ١٩٨٣م كما أسلفنا، وتولى قيادة الحزب أحمد تكدال الذي كان ينسق عمله عن طريق اعتماده على قيادات حزب السلامة الوطني الذين منعوا بصورة قانونية من ممارسة العمل السياسي، ولكن السلطة سمحت لتلك القيادات بالعودة للحياة السياسية من خلال إجراء استفتاء وطني يؤيد عودتهم وتم ذلك الاستفتاء في عام ١٩٨٧، إذ عاد نجم الدين أربكان لزعامة الحزب في تشرين الأول عام ١٩٨٧. [١٧]

ولم يشارك الحزب في الانتخابات النيابية الأولى بعد الانقلاب الذي حدث عام ١٩٨٠، والتي جرت في السادس من تشرين الثاني عام ١٩٨٣، بسبب منعه من قبل قادة الانقلاب إلا أنه مارس دوره السياسي في الانتخابات النيابية والبلدية منذ بداية عام ١٩٨٤ [١٨] وكان يهدف الحزب في دعايته الانتخابية الى تغيير النظام العلماني والابتعاد عن الغرب وتعزيز الروابط مع العالم الإسلامي والعربي، ولم يكن الحزب متشدداً في أطروحاته الفكرية التي ثقف لها في المهرجانات التي أقيمت في تركيا، وحتى البيارق التي رفعها أنصار الحزب كُتِبَ عليها عبارات إسلامية معتدلة،[١٩] وتستند فلسفة الحزب في الحكم الى مبدأ الحق لا القوة وينطلق ذلك المبدأ عن طريق تحقيق العدل بين جميع فئات المجتمع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نظر الحزب الى إن الدولة تتدخل في الشؤون الدينية وتحظر نشاطها تحت مسمى العلمانية وعبر عن ذلك أربكان في مؤتمر الحزب الرابع في تشرين الأول عام ١٩٩٣، إذ لا يسمح للمرأة المحجبة بامتلاك جواز للسفر، والغريب حرية إقامة الشعائر الدينية لغير المسلمين وتحظر على المسلمين في تركيا وهي بلد إسلامي. [٢٠] ومن الشخصيات البارزة في ذلك الحزب رجب طيب أردوجان[٢١] الذي أصبح فيما بعد رئيسًا لفرع الحزب في إسطنبول عام ١٩٨٥م ، وانتشرت فروع حزب الرفاه بسرعة، وبدأت صحوة إسلامية حقيقية في ربوع تركيا. [٢٢]

ولم يدخل الحزب المعترك الانتخابي إلا بالائتلاف مع أحزاب أخرى مثل حزب الحركة القومية والحزب الديمقراطي الإصلاحي عام ١٩٩١، [٢٣] ونتيجةً لذلك تصاعدت شعبية ذلك الحزب حتى وصلت إلى المدن، وأصبحت السيطرة الكاملة لذلك الحزب في أهم مدينتين في تركيا، وهما إسطنبول وأنقرة، وفي عام ١٩٩٤م حقق الحزب مفاجأة كبيرة بفوزه في انتخابات البلدية في عدة مدن، والأعظم من ذلك والأعجب هو فوز أردوجان بمركز رئيس بلدية إسطنبول. [٢٤]

لقد كانت مفاجأة مدوّية أن يصعد إسلامي إلى رئاسة بلدية إسطنبول؛ وذلك يثبت نزاهة الانتخابات في تركيا، وحقق أردوجان في منصبه الجديد إنجازات هائلة؛ ففي أربع اعوام (١٩٩٤م – ١٩٩٨م)

استطاع انتشال المدينة من الإفلاس، وحلَّ مشكلات عديدة مثل انقطاع الكهرباء والمياه، واستطاع تحويل المدينة من مدينة يسود فيها الأنقاض والأوساخ والإهمال إلى واحة خضراء متميزة، وعندما سألوه عن السر وراء هذا النجاح المنقطع النظير، قال في وضوح وشجاعة: "لدينا سلاح أنتم لا تعرفونه، إنه الإيمان، ولدينا الأخلاق الإسلامية، وأسوة رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام".[٢٥] وتلك الروح العالية والإنجازات الباهرة أكسبت أردوجان شعبية كبيرة جدًّا في تركيا، بل إنها كانت من أبلغ الوسائل للدعوة إلى الإسلام.

وحدثت مفاجأة كبرى في عام ١٩٩٥م بفوز حزب الرفاه بأغلب المقاعد في الانتخابات البرلمانية في تركيا (١٥٨ مقعدًا من أصل ٥٥٠ مقعدًا)، ولكن الرئيس العلماني سليمان ديميريل[٢٦] عهد إلى الأحزاب العلمانية بتكوين ائتلاف ضد حزب الرفاه، ومع ذلك شاء الله أن ينهار ذلك الائتلاف ليصعد نجم الدين أربكان إلى منصب رئيس الوزراء في التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٩٦م، ويصبح أول رئيس وزراء إسلامي في تركيا منذ سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م. وأدى ذلك الأمر الى حدوث أزمة كبرى في داخل الجيش التركي، وكان من رأي بعض قادة الجيش أن يتركوا أربكان في منصبه حيث كانوا يتوقعون فشله، وعدم نجاح مشروعه الإسلامي، وبذلك تصل رسالة سلبية إلى الرأي العام في تركيا، لكن حدث ما لم يتوقعوه، ونجح أربكان خلال عام واحد في خفض ديون تركيا من ٣٨ مليار دولار إلى ١٥ مليون دولار، واقترب من حل المشكلة الكردية العويصة، ونجح في إقامة علاقات دبلوماسية قوية على الساحة العالمية، وتقدم الاقتصاد التركي خطوات واسعة، وبات واضحًا تمامًا أن السر في هذا النجاح هو الإسلام!. [٢٧]

وشعر الجيش التركي بالخطر العظيم فأقدم على الخطوة التالية وهي الانقلاب العسكري على حكومة أربكان، ودخلت الدبابات التركية إلى شوارع أنقرة وإسطنبول، وأجبر أربكان على الاستقالة، وتم حل حزب الرفاه، في السادس عشر من كانون الثاني عام ١٩٩٨، ومصادرة أمواله لصالح الدولة، وقُدِّم أربكان إلى المحاكمة العسكرية بتهمٍ كثيرة أهمها انتهاك علمانية الدولة، وصدر القرار بمنعه من مزاولة النشاط السياسي لمدة خمس سنوات، وفي نفس الوقت قُدِّم أردوجان رئيس بلدية إسطنبول إلى المحاكمة بتهمة إثارة الفتنة، وكان من أدلة الحكم ضده أنه قال بعض الأبيات الشعرية في إحدى خُطَبِهِ وفيها "المساجد ثكناتنا، والقباب خوذاتنا، والمآذن حِرابنا، والمؤمنون جنودنا".[٢٨] وصدر القرار بسجن أردوجان عشرة أشهر، ودخل بالفعل السجن لمدة أربعة أشهر، ثم أفرج عنه لحسن السير والسلوك! كما تم منعه من مزاولة النشاط السياسي خمس سنوات هو الآخر. [٢٩]

المبحث الثالث

نتائج تسلم حزب الرفاه للسلطة

أثبتت التجربة المرّة أن النظام العلماني الذي قام في تركيا منذ أكثر من سبعين سنة. لم يعد صالحاً للاستمرار . لقد اختفت الطبقة المتوسطة ، وأصبحت غالبية السكان من الفقراء والمحرومين من لقمة العيش والمسكن والقضايا التي تكفل أو تضمن الجانب الصحي وغير ذلك، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إن الأحزاب على اختلاف ميولها ، ورجالها على اختلاف أسمائهم، ما هم إلا شركاء في الجريمة ، هدفهم الأول الحصول على مغانم أكبر. وذلك هو السبب الرئيسي الذي اندفع من أجله الناس لتأييد حزب الرفاه وعليه : فقد بادر الحزب منذ الأيام الأولى إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات الاقتصادية لانتشال هذا الشعب بالقدر المستطاع من حالة الفقر الذي هو قرين الجريمة والكفر. (٣٠)

وأتخذ الحزب سلسلة من الإجراءات لتخفيف الضغوط الاقتصادية عن كاهل المواطنين إذ رفع أجور موظفي الدولة والمتقاعدين، فقد أصدرت الحكومة قراراً برفع أجور موظفي الدولة والمتقاعدين بنسبة خمسين بالمئة ، واستفاد من هذا القانون حوالي ... (٧,٥) مليون موظف ومتقاعد ، كما تم رفع رواتب الجيش والشرطة بنسبة أعلى من هذه النسبة ، أي إن نصف الشعب التركي قد تحسنت أحوالهم المعيشية على الفور . وفي الوقت نفسه تمّ رفع الحد الأدنى للأجور إلى (١٧) مليون ليرة تركية شهريّاً ، أي ما يعادل أكثر من ٢٠٠ دولار، في حين بعض العمال كانوا يتقاضون أقل من خمسين دولاراً شهريّاً . (٣١)

وأعلن أربكان في مؤتمر صحفي أن صندوق الفقراء الذي كان يُسرق أموال الفقراء، قد أعيد تشكيله وأعطى أرقام الهواتف ليتصل عليها كل محتاج ليأخذ حاجته ، وختم كلامه عن الطبقة الكادحة التي يتبرأ منها الجميع ، وإعادة الأكراد إلى قراهم ، وإذا كانت الأحزاب تعلن في شعاراتها حلولاً للقضية الكردية، إلا أنها ظلت مجرد شعارات للاستهلاك ، بينما أوكلت تلك الأحزاب القضية للجيش ، والجيش لا يعرف غير القتال، وهكذا قتل أكثر من (٣٠) ألفاً من أبناء تركيا أتراكاً وأكراداً واستنزف ثلث الميزانية، وهجرت (٢٤٠٠) قرية من (٢٠) محافظة في شرق تركيا وجنوب شرقها، ونزح أكثر من (٢٧٥) ألف كردي من أراضيهم بعد تهديم بيوتهم والقضاء على ثرواتهم الحيوانية، أما حزب الرفاه فإنه يؤمن بالقضية إيماناً حقيقيّاً؛ فالأكراد يمنحونه أصواتهم منذ تأسيسه. (٣٢)

وحدث تصعيد من قبل الحركة الكردية، لاسيما بعد تأسيس حزب العمال الكردستاني وبداية نشاطه المسلح ضد النظام التركي عام ١٩٨٤، إذ حاول حزب الرفاه ترصين العلاقة مع دول الجوار وتحديداً سوريا والعراق وإيران من أجل عدم تقديم الدعم لذلك الحزب، وفي ذات الوقت أراد الحزب إعطاء بعض الامتيازات للحركة الكردية لإلقاء السلاح ومنها إنشاء إذاعة ومحطة تلفزيونية تتحدث باللغة الكردية وكانت مفاوضات أربكان مع الحركة الكردية يمكن القول عنها ناجحة لكنها لم تنهي المشكلة. (٣٣)

وبعد تسلم حزب الرفاه السلطة مباشرة، انفجرت أزمة كبيرة في سجون تركيا حيث أعلن السجناء اليساريون في مختلف السجون إضراباً عن الطعام، يطالبون بإغلاق سجن إسكي شهير، الذي يسمونه (التابوت)، ونقلهم إلى سجون أخرى، وتحسين ظروف اعتقالهم، وكانت فرصة لانقضاض الصحافة على حزب الرفاه وعلى وزير العدل شوكت كازان، وتمكن كازان بالتعاون مع عدد من الوسطاء من حلّ القضية والاتفاق مع السجناء على إنهاء الإضراب ، ونقل المضربين إلى المستشفيات، وتحسين ظروف المعتقلين، وتحسين أوضاع السجون، وكان بإمكان حزب الرفاه التنصل من هذه القضية؛ فقد ورثها عن سابقيه. (٣٤)

ولم يعرف حلفاء أربكان في حكومته ما كان ينوي فعله، فمنذ اللحظة الأولى أصر على صداقة الغرب والتعاون معه، الى جانب توثيق العلاقات مع دول الجوار والدول الإسلامية، فقام بجولة إلى إيران وباكستان وسنغافورة وماليزيا وإندونيسيا ولتلك الزيارات أكثر من مغزى وأكثر من تفسير، وإن كانت زيارته لإيران أثارت العديد من التفسيرات. لقد وقّع أربكان مع إيران عقداً تزود بموجبه إيران تركيا بالكهرباء والنفط والغاز لمدة عشرين عام، وقيمة العقد (٢٣) مليار دولار. واستقبلت الإدارة الأمريكية ذلك الخبر بكثير من الاستياء، ولم يهتم أربكان بذلك لأن ذلك الاتفاق لا يستهدف السياسة الأمريكية ولا أهدافها. (٣٥)

المبحث الرابع

الانتقادات التي وجهت لحزب الرفاه

رفع حزب الرفاه شعارات مفادها خدمة المجتمع التركي عن طريق فلسفة تتوافق مع الإرث الإسلامي لذلك المجتمع، وكان برنامجه السياسي وغاياته لا تتفق مع التقارب مع أمريكا والغرب بل الالتفات الى المحيط الإسلامي كما أسلفنا، ولكن تبخرت تلك الشعارات عندما وصل ذلك الحزب الى سدة الحكم وخاب آمل عدد كبير من الأتراك في التغيير للواقع السياسي في تركيا. (٣٦)

ورفض الحزب أي تقارب مع إسرائيل، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، فقد عقدت حكومته في منتصف تموز عام ١٩٩٦، بعد اجتماعها مع هيئة أركان الجيش اتفاقاً مع إسرائيل لتعزيز التعاون بين الطرفين، وفي تشرين الأول من ذات العام، قامت حكومة أربكان بشراء التفاح من إسرائيل، ويبدو أن عنوان الصفقة هو شراء تفاح ولكن تلك الصفقة تخفي وراءها اتفاقيات ذات بعد استراتيجي، وأستمر أربكان بتبديل موافقه القديمة، إذ تم تعزيز الاتفاقيات السابقة من خلال اتفاق جديد في كانون الأول عام ١٩٩٦، والذي عرف باتفاق خطة التطبيق ويمكن القول عن ذلك الاتفاق هو اتفاق عسكري إذ قامت الشركات الحربية الإسرائيلية بتحديث وصيانة (٦٠) طائرة تركية من طراز " إف ٤" مقابل (٦٥٠) مليون دولار. (٣٧)

وعارض حزب الرفاه على لسان قائده أربكان فكرة التمديد لبقاء القوات التي عرفت بأسم قوة المطرقة الغربية في تركيا المكلفة بحماية أكراد شمال العراق . وبعد أقل من شهر من تشكيل حكومة الرفاه أيد نواب الرفاه بقاء تلك القوات على الأرض التركية وذلك في تموز عام ١٩٩٦. والى جانب ذلك أراد حزب الرفاه بعد توليه السلطة تعزيز التعاون مع الاتحاد الأوربي لدمج تركيا بذلك الاتحاد. وذلك يبين المواقف المتناقضة لحكومة الرفاه وعدم مصداقيتها. (٣٨)

ووقعت الحكومة التي يمثلها حزب الرفاه في آب عام ١٩٩٦، قراراً يقضي بتسريح (٥٠) ضابطاً (لأسباب أخلاقية ونظامية) نتيجة توجهاتهم الإسلامية! وصدر قرار أخر على غرار ذلك القرار في العاشر من كانون الأول من نفس العام إذ تم تسريح (٦٩) للأسباب ذاتها. (٣٩) ويبدوا أن حزب الرفاه من خلال تلك السلوكيات أراد أن يكسب ثقة المؤسسة العسكرية ويبرهن على ولائه لها .

وهناك من عدّ ذلك السلوك من باب التقية الإسلامية ولكن هذه الفكرة لا صحة لها فعلى الصعيد العالمي فإن قوات الحلف الأطلسي بعد قضائها على الشيوعية أوجدت عدواً بديلاً لها هو الإسلام، وبدأت المشكلة في تصوير الحركات الإسلامية بالحركات الإرهابية . (٤٠)

الخاتمة

جاءت خاتمة البحث بجملةٍ من النتائج:

* تأكد عن طريق البحث إن الشعارات التي كان ينادي بها حزب الرفاه هي مجرد شعارات فارغة من المحتوى ولذلك صعد الحزب على أكتاف الإسلاميين لكنه نقض العهد بهم.
* ظهر من خلال البحث إن حزب الرفاه على الرغم من السلبيات التي قيلت عنه إلا إنه تعامل بصورة جيدة مع الملف الاقتصادي للبلاد وأدى ذلك الى ارتفاع الدخل الاقتصادي للفرد.
* كشف البحث إن الأحزاب السياسية في تركيا أشبه بالدمى تحركها من وراء المسرح السياسي المؤسسة العسكرية التركية وذلك ينطبق على حزب الرفاه.
* تبين من الدراسة إن السياسة تتقاطع مع الدين لآن السياسة فيها المكر والحيلة والدهاء بينما الدين أساسه الصدق والمحبة والتعاون.

الهوامش

١. محمد طه الجاسر، تركية ميدان الصراع الشرق والغرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص١٢٣.
٢. محمد عزة دروزة، تركيا في العهد الجمهوري، بيروت، ١٩٥١، ص٣٢.
٣. مصطفى كمال، تركيا في العهد الجمهوري ،ترجمة: دار بيروت للترجمة، بيروت، ١٩٥١، ج١، ص٣٢.
٤. أنور الجندي، يقَظَة الأسلام في تركيا، دار الأنصار، القاهرة، د.ت، ص٣٠-٣١.
٥. نجم الدين اربكان من مواليد مدينة قونيه عام ١٩٢٦ ، درس الهندسة في المعاهد والجامعات التركية ، ثم اكمل دراسته العليا في المانيا الغربية ، وبقى هناك حتى عام ١٩٦٩ ،إذ رشح نفسه في الانتخابات في السنة المذكورة نفسها بشكل مستقل وحقق نجاحاً ، اصبح نائباً لرئيس الوزراء في الحكومات الائتلافية التي اشترك فيها حزبه (١٩٧٤-١٩٧٥-١٩٧٧) بعد انقلاب ١٩٨٠ اعتقل واحيل الى المحكمة ثم افرج عنه فيما بعد وعاد الى ساحة العمل السياسية في تسعينات القرن الماضي بتأسيسه حزب الرفاه وشارك في انتخابات ١٩٩٥ ، اشترك في ائتلاف حكومي مع تانسوتشيلر زعيمة حزب الطريق الصحيح. للمزيد ينظر: نوال عبد الجبار سلطان طاهر الطائي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا (١٩٦٠-١٩٨٠)، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية جامعة الموصل عام ٢٠٠٢، ص٧١-٧٢.
٦. كريم محمد حمزه، و دهام محمود علي الجبوري، القوى الفاعلة في المجتمع التركي، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٤٢.
٧. الطائي، المصدر السابق، ص٧١؛ محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول قلق الهوية وصراع الخيارات، ط١، رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص٥٧.
٨. الطائي، المصدر السابق، ص٧٣.
٩. رضا هلال، السيف والهلال تركيا من أتاتورك الى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٥١.
١٠. مرغريت حلو، الإسلام والسياسة في تركيا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، مركز الدراسات الأرمينية، بيروت، ١٩٩٥، ص٧٤.
١١. المصدر نفسه، ص٧٥-٧٦.
١٢. محمد العادل، قراءة في أبرز النجاحات والإخفاقات في المسيرة السياسية للحركة الإسلامية في تركيا، الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ٢٠٠٦، ص٣٨٤ .
١٣. محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل الى الحركات الإسلامية في تركيا، ط١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص٧٦-٧٧.

١٤. العادل، المصدر السابق، ص٣٨٦.
١٥. نور الدين، قبعة وعمامة، ص٦٨.
١٦. المصدر نفسه، ص٦٩.
١٧. نور الدين، قبعة وعمامة، ص٥٧-٥٨.
١٨. محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١، بيروت، ١٩٩٨، ص٩١.
١٩. عبد العزيز محمد عوض الله، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد ٢٤، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، المطبعة العمرانية، الجيزة، ٢٠٠٢، ص٨٧-٨٨.
٢٠. يوسف القرضاوي، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس)، ط٣، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١١٤.
٢١. ولد في اسطنبول عام ١٩٥٤ من أصول جورجية من عائلة فقيرة وأكمل دراسته الجامعية في جامعة مرمره أنضم الى الحركة الحزبية الإسلامية نهاية سبعينيات القرن الماضي، وتولى عدّت مناصب منها عام ١٩٩٤ عمده لإسطنبول، وفي عام ٢٠٠٣، أصبح رئيس وزراء تركيا للمزيد من التفصيلات ينظر: الموسوعة الحرة ar. Wikipedia.org
.
٢٢. محمود شاكر، التاريخ المعاصر تركيا، سلسلة التاريخ الإسلامي (١٧)، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص١٨٤.
٢٣. أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٦٦.
٢٤. هلال ، المصدر السابق، ص١٥٨-١٥٩.
٢٥. عبد الله تركماني، الإسلام والحداثة السياسية في التجربة التركية، الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ٢٠٠٦، ص٣٩٩.
٢٦. ولد في تشرين الثاني عام ١٩٢٤، وترعرع وسط عائلة فلاحية فقيرة في جنوب غرب تركيا وتحديد محافظة اسبارطة واكمل دراسته الاولية في اسبارطة ثم التحق بالجامعة التقنية بإسطنبول وتخصص بالهندسة الهيدروليكية، وتقلد منصب رئيس وزراء تركيا سبع مرات للمزيد من التفصيلات ينظر: الموسوعة الحرة ar. Wikipedia.org

٢٧. يوسف إبراهيم الجهماني ، حزب الرفاه الرهان على السلطة، ط١، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٧، ص٣٨.
٢٨. المصدر نفسه، ص٤٠.
٢٩. محمد خيري قيرباش اغلوا، الحركة الإصلاحية السياسية التركية في الميزان، الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ٢٠٠٦، ص٣٦٧-٣٦٨.
٣٠. الجهماني ، المصدر السابق، ص٨٢.
٣١. حلو، المصدر السابق، ص٧٧.
٣٢. اغلوا، المصدر السابق، ص٣٧٠.
٣٣. العادل، المصدر السابق، ص٣٨٥.
٣٤. اغلوا، المصدر السابق، ص٣٦٩.
٣٥. القرضاوي، المصدر السابق، ص١١٥.
٣٦. العادل، المصدر السابق، ص٣٨٠.
٣٧. اغلوا، المصدر السابق، ص٣٧١.
٣٨. المصدر نفسه، ، ص٣٧٢.
٣٩. العادل، المصدر السابق، ص٣٨٢.
٤٠. القرضاوي، المصدر السابق، ص١١٤.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمعربة

* أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.
* أنور الجندي، يقَظَة الإسلام في تركيا، دار الأنصار، القاهرة، د.ت.
* رضا هلال، السيف والهلال تركيا من أتاتورك الى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.
* عبد العزيز محمد عوض الله، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد ٢٤، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، المطبعة العمرانية، الجيزة، ٢٠٠٢.

* كريم محمد حمزه، و دهام محمود علي الجبوري، القوى الفاعلة في المجتمع التركي، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.

* محمد طه الجاسر، تركية ميدان الصراع الشرق والغرب، دمشق، ٢٠٠٢.

* محمد عزة دروزة، تركيا في العهد الجمهوري، بيروت، ١٩٥١.

* محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول قلق الهوية وصراع الخيارات، ط١، رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

* _____، قبعة وعمامة مدخل الى الحركات الإسلامية في تركيا، ط١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٧.

* _____، تركيا الجمهورية الحائرة مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١، بيروت، ١٩٩٨.

* محمود شاكر، التاريخ المعاصر تركيا، سلسلة التاريخ الإسلامي (١٧)، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤.

* مرغريت حلو، الإسلام والسياسة في تركيا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، مركز الدراسات الأرمينية، بيروت، ١٩٩٥.

* مصطفى كمال، تركيا في العهد الجمهوري ترجمة: دار بيروت للترجمة، بيروت، ١٩٥١، ج١.

* يوسف إبراهيم الجهماني ، حزب الرفاه الرهان على السلطة، ط١، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٧.

* يوسف القرضاوي، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس)، ط٣، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

ثانياً: الأطاريح الجامعية

* نوال عبد الجبار سلطان طاهر الطائي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا (١٩٦٠-١٩٨٠)، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية جامعة الموصل عام ٢٠٠٢.

ثالثاً: البحوث والدراسات

* عبد الله تركماني، الإسلام والحداثة السياسية في التجربة التركية، الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ٢٠٠٦.

* محمد خيري قيرباش اغلوا، الحركة الإصلاحية السياسية التركية في الميزان، الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ٢٠٠٦.
* محمد العادل، قراءة في أبرز النجاحات والإخفاقات في المسيرة السياسية للحركة الإسلامية في تركيا، الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ٢٠٠٦.

رابعاً: الأنترنيت
* الموسوعة الحرة

ar. Wikipedia.org

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

روبرت لانسينغ وموقفه من مشكلات الحياد الأمريكي في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٥)

أ . م . د . أسيل عبد الستار حاجم
Dr. Aseel Abdul Sattar Hajem
جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد – قسم التاريخ

Robert Lansing and his stance on the problems of American neutrality in World War I(1914-1915)

aseel.abadalsatar@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

برزت شخصية مستشار وزارة الخارجية الامريكية روبرت لانسينغ في فترة تاريخية حرجة واكبت اندلاع الحرب العالمية الأولى وما تلاها من تحضيرات لرسم خارطة جديدة لعالم ما بعد الحرب . امتاز لانسينغ بانه قانونيُ بارعُ وموظفُ مهنيُ فاقت قدراته في أحيان كثيرة وصفه الوظيفي مستشارا لوزارة الخارجية الامريكية ، لذا كان مقربا من الرئيس الأمريكي ودروو ولسن . سعى لانسينغ الى صياغة الإحجيات القانونية لمشكلات سياسة الحياد الأمريكي سعيا منه الى الحفاظ على ركيزة أساس في استراتيجية الحياد وان أخفى تعاطفه مع دول الوفاق ، الأمر الذي تكشفت عن ملابسات الحرب ، مما احدث شرخا وتباعدا بينه وبين وزير الخارجية الأمريكي برايان . مرت سياسة الحياد الأمريكي بمنعطفات خطير لاسيما مع تبني المانيا لحرب الغواصات الأمر الذي القى بظلاله على مزيد من الخلافات داخل وزارة الخارجية الامريكية ، ذلك الخلاف الذي تفجر في تقديم برايان استقالته واختيار الرئيس الأمريكي ودروو ولسن للمستشار روبرت لانسينغ وزيرا للخارجية الامريكية ، فهو الأقرب له والعارف بصغائر وكبار سياسة الظل الامريكية .

الكلمات المفتاحية: روبرت لانسينغ – الحياد – الولايات المتحدة الامريكية – سياسة

Abstract

Robert Lansing, an advisor to the US State Department, emerged as a prominent figure during a critical historical period coinciding with the outbreak of World War I and the subsequent preparations for redrawing the map of the postwar world. Lansing was a brilliant legal mind and a highly professional civil servant whose abilities often exceeded the scope of his official role as an advisor to the State Department. Consequently, he was close to President

Woodrow Wilson. Lansing sought to formulate the legal framework for American neutrality, striving to maintain a fundamental pillar of the neutrality strategy, even while concealing his sympathies for the Entente Powers. This was revealed by the circumstances of the war, creating a rift between him and Secretary of State Brian. American neutrality policy underwent dangerous turning points, particularly with Germany's adoption of submarine warfare, which exacerbated existing disagreements within the State Department. These disagreements culminated in Brian's resignation and President Woodrow Wilson's selection of Robert Lansing as Secretary of State, given his close relationship with him and his deep understanding of the intricacies of American foreign policy .

المقدمة

أهمية الدراسة : تتعدد الدراسات التاريخية وتتنوع مواضيعها ولم تزل الحرب العالمية الأولى محط اهتمام الباحثين لاسيما تلك الشخصيات التي أثرت في احداثها بحكم توصيفها الوظيفي ورؤاها السياسية . برزت شخصية مستشار وزارة الخارجية الامريكية روبرت لانسينغ أحد المؤثرين بمجريات الحرب لاسيما في تحديد عدد من مهام الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها دولة حياد ، الا أن الحكومة الامريكية وجدت نفسها طرفا في تلك الحرب بسبب العلاقات الشائكة التي كانت تربطها بالدول المتحاربة وما نتج عنها من مشكلات تركزت في الجانب الاقتصادي في كيفية التعاطي مع تلك المشكلات . من هنا جاء دور السيد روبرت لانسينغ في صياغة حلول لمشكلات سياسة الحياد الأمريكي ، وقد نجح في جزء منها وظهر في جزء آخر طرفا غير محايد بسبب تعاطفه الذي كشفت عنه مجريات الحرب .

الاطار التاريخي للدراسة : يبدأ مع توليه منصب مستشار وزارة الخارجية الامريكية عام ١٩١٤ وينتهي باختياره وزيرا للخارجية في اعقاب استقالة برايان في الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩١٥ .

منهج الدراسة : اعتمدت الدراسة منهج البحث التاريخي في التزام التسلسل التاريخي للأحداث مع الحفاظ على وحدة الموضوع وتتبع النهج التحليلي للدراسة من حيث معرفة الدوافع والأسباب وإبراز النتائج .

هيكلية الدراسة : شملت الدراسة مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، درس المبحث الأول " روبرت لانسينغ _ ولادته ونشأته ونشاطه الوظيفي حتى عام ١٩١٤" وأختص المبحث الثاني بـ " روبرت لانسينغ ومشكلات الحياد الأمريكي " ، بينما أنتهى المبحث الثالث بـ " تداعيات حرب الغواصات الألمانية وتعيين روبرت لانسينغ وزيرا للخارجية الامريكية " .

اولاً: روبرت لانسينغ _ ولادته ونشأته ونشاطه الوظيفي حتى عام ١٩١٤

ولد روبرت لانسينغ Robert Lansing في مدينة ووترتاون Watertown شمال ولاية نيويورك NewYourk في السابع عشر من تشرين الأول عام ١٨٦٤ . نشأ في كنف عائلة ارستقراطية عريقة

أمتدت جذورها في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الى مراحل التأسيس والاستقلال ، اذ أنتمى لانسينغ الى عائلة بروتستانتية (مشيخية) هاجرت من هولندا الى المستعمرات الامريكية عام ١٦٤٠ واستقرت في ولاية نيويورك . كان أوائل اسلافه John Ten Eyck Lansing (١٧٥٤ – ١٨٢٩) عضوا في المؤتمر الدستوري عام ١٧٨٧ ، ثم أبنه روبرت جون لانسينغ عضوا في مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك (١٨٣٢ – ١٨٣٥) و (١٨٥٤ – ١٨٥٥) (١) . آما والدته فهي ماريا لاي Maria Lay Dodge دوج ، إبنة القاضي وعضو المجلس التشريعي لولاية نيويورك إدوين دوج Edwin Dodge (١٨٠١ – ١٨٧٧) ، كان لانسينغ الإبن الأكبر لوالديه الى جانب أخيه إدوين Edwin (١٨٦٧ – ١٨٧٠) و أختيه إيما Emma(١٨٧٢ – ١٩٥٦) وكاثرين Kathrin (١٨٧٥ – ١٩٣٣) (٢) .

تخرج لانسينغ من المدرسة الثانوية في مدينة ووترتاون عام ١٨٨٢وعلى خطى اسلافه أختص بدراسة القانون وتخرج في كلية آيمرست Amherst College في مدينة أيمرست بولاية ماساتشوستس عام ١٨٨٦ (٣) ، عمل ثلاثة أعوام بعد تخرجه في مكتب والده المستشار القانوني الشهير في مدينة ووتر تاون جون لانسينغ John Lansing (٤) ، وبعد قبوله في نقابة المحامين في ووترتاون عام ١٨٨٩ أصبح محاميا رسميا مما شجع والده على ضمه الى شركته (٥)، Firm Lansing and " Lansing " التي كان مساهما فيها بنسبة ضئيلة . أنتقل لانسينغ للعمل مديرا لقسم الاستشارات القانونية (١٨٩٠ – ١٩٠٧) في شركة أحد أقربائه وهو المحامي الشهير ووكيل وزير الخارجية السابق ، جون واتسون فوستر John Wastson Foster (١٨٣٦ – ١٩١٧) (٦) ، الذي توطدت علاقته به لاسيما بعد زواجه من اليانور Eleanor الابنة الكبرى لصاحب الشركة عام ١٨٩٠(٧) . أظهر لانسينغ كفاءة قانونية كانت سببا في دعم فوستر له ، الذي أقترح على الحكومة الامريكية تعيننه مستشارا قانونيا في عدد من قضايا التحكيم الدولي ، اذ شارك مع الوفد الأمريكي المفاوض في لندن حول النزاع القانوني لتجارة الفراء و مصائد بحر بيرنغ (١٨٩٢ – ١٨٩٣) (٨) وقضية حدود الاسكا (٩) عام ١٩٠٣ (١٠) . أُختير لانسينغ عام ١٩٠٥ للمشاركة في مفاوضات التحكيم الدولي حول بحيرة موهونك ، والتقى هناك بعدد من المحامين البارزين كان من بينهم جيمس براون سكوت James Brown Scott (١٨٦٦ – ١٩٤٣) واوسكار اس شتراوس Oskar Straus (١٨٧٠ – ١٩٥٤) ونيكولاس موراي باتلر Nicholas Murray Butler، رئيس جامعة كولومبيا (١٩٠٢ – ١٩٤٥) ، الذي أقترح تأسيس جمعية القانون الدولي و آختار أوسكار شتراوس رئيسا لها (١١) . عقدت الجمعية أول جلساتها في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٦ ، و أُختير لانسينغ عضوا في الهيئة التنفيذية للجمعية ، وقد أظهر اهتماما كبيرا بعمل الجمعية ودورها التوعوي ، اذ كان أحد أعضاء هيئة التحرير لـــ " مجلة القانون الدولي " الصادرة عن الجمعية ومشرفا عاما عليها(١٢) . وقد حرص لانسينغ ، الذي حدد

محتوى المجلة ومعايير النشر فيها ، على رفدها بمجموعة من المراجعات المهمة لعدد من المؤلفات القانونية لاسيما ما تضمنه العدد الأول ، الذي نشر مقالا موقعا بأسمه جاء بعنوان " ملاحظات عامة حول مبدأ السيادة للدولة " (١٣) . واصل لانسينغ ، من جهة أخرى ، عمله مستشارا في مفاوضات التحكيم الدولي ، اذ رشحته جمعية القانون الدولي لجولات مختلفة كان ابرزها تلك التي عقدت في لاهاي حول مصائد الأسماك في سواحل الأطلسي (١٩٠٩ – ١٩١٠) (١٤) وترأسه الوفد الأمريكي في مفاوضات الفراء عام ١٩١١ (١٥) .

أنتمى لانسينغ للحزب الديمقراطي عام ١٨٨٦ لكنه لم يؤدي دورا مهما في الحزب ولم يسرف كثيرا باهتماماته السياسية ، بل كان نشاطه بسيطا لا يتجاوز حدود مقاطعة جيفرسون Jeffersone Comnty في نيويورك ، حينما عمل رئيسا للجنة التنفيذية للحزب الديمقراطي في المقاطعة لمدة وجيزة بين عامي (١٨٨٩ و ١٨٩٠) . أحتفظ بعد ذلك بمقعد عضو في اللجنة التنفيذية وترشح عام ١٩٠٢ لمنصب عمدة مدينة ووترتاون لكنه خسر الانتخابات، التي لم يوليها اهتماما كبيرا بسبب انشغاله في العمل القانوني (١٦) . لكن لانسينغ ظل مراقبا جيدا لمسيرة الحزب وأدى دورا مهما في المؤتمر الانتخابي الرئاسي للمرشح الديمقراطي ودروو ولسن Woodrow Wilson (١٨٥٦-١٩٢٤ / ١٩١٣-١٩٢١) . وقد أعرب عن تفاؤله بفوز ولسن برئاسة الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩١٢ ، في اعقاب سنوات طويلة ظل فيها الحزب بعيدا عن البيت الأبيض، لما يتمتع به ولسن من شخصية قوية و عزيمة ثابتة تؤهله للنجاح – فبحسب رأي لانسينغ " أمتلك ولسن شخصية ثيودور روزفلت القوية واصراره دون اندفاعه " (١٧). تبنى الحزب الديمقراطي في ووتر تاون ترشيح روبرت لانسينغ لمنصب مستشار في وزارة الخارجية الامريكية ، بتزكية من عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية نيويورك جيمس أي أو جورمان James A. O Gorman (١٨٦٠ – ١٩٤٣ / ١٩١١ – ١٩١٧) ، والقاضي هنري بورسيل Henry Purcell (١٨٤٤-١٩٣١ / ١٩١٠ – ١٩١٥) ، غير ان لانسينغ لم يحظَ بقبول وزارة الخارجية بسبب كثرة اعداد المتقدمين من مؤيدي الحزب الديمقراطي الى جانب انه لم يملك سيرة سياسية تؤهله لتولي منصب في وزارة الخارجية الامريكية (١٨) .

و بعد مسيرة حافلة بالنجاح في قضايا التحكيم الدولي و أكتسابه شهرة مهنية حازت على ثقة الرئيس الأمريكي ودروو ولسن رُشح لانسينغ مرة ثانية للعمل في وزارة الخارجية في اعقاب استقالة جون باست مور John Basset More (١٩١٣-١٩١٤) في الرابع عشر من اذار عام ١٩١٤(١٩) ، أثر نقده الدائم لسياسة الولايات المتحدة الامريكية في المكسيك (٢٠) ، التي وصفها بـ " الفوضوية " ومناصرتها انقلاب فيكتوريانو ويرتا Victoriano Huerta في شباط عام ١٩١٣ . وطبقا للتقاليد

الدستورية وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على تعيين لانسينغ في السابع والعشرين من اذار عام ١٩١٤ (٢١) .

باشر لانسنك منصبه مستشار وزارة الخارجية في الأول من نيسان عام ١٩١٤ وهو محمل بأفكار مسبقة عن أداء الوزارة الذي وصفه بـ " المرتبك " ، وقد لخص اسباب ذلك بحداثة عمر إدارة الحزب الديمقراطي وافتقار ويليام جيننغز برايان William Jennings Bryan (١٨٦٠ – ١٩٢٥ / ١٩١٣ – ١٩١٥) الى الكفاءة والحماسة في تنظيم عمل الوزارة ، حتى ان تعيين لانسينغ لاقى ترحيبا كبيرا من موظفي الوزارة معتبرين ذلك مؤشرا إيجابيا نحو تطوير وتحسين عمل وزارة الخارجية وبما يتلائم مع التطورات الدولية الراهنة (٢٢) . لم يكن نهج لانسينغ في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية مشروطا بمسيرته المهنية في قضايا التحكيم والقانون الدولي فحسب بل " جاءت نتيجة خبرة تراكمية ورؤية تحليلية واقعية " كما وصفها رئيس الوزراء الإيطالي فيتوريو اولاندو Vittorio Emanuele Orlando (١٨٦٠ – ١٩٥٢ / ١٩١٧–١٩١٩) . لذا كان طبيعيا ان يستند عمله في وزارة الخارجية الى رؤية قانونية متكاملة كانت نتاجا لمعتقدات سياسية أمن بها واعتنقها وسعى الى تطبيقها بما ينسجم مع " مبدأ سيادة الدولة الوطنية " (٢٣) ، ففي مقال آعده لانسينغ نشر في مجلة جميعة العلوم السياسية الامريكية أوائل عام ١٩١٤ طرح مفهوم " قوة القانون " القائم على " مبدأ السيادة " ، موضحا أهمية ذلك في انه يمنح الدولة " الحق " في ممارسة السلطة السياسية التي تعد المصدر الأساس لمنح " حقوق المواطنة " . الا انه في أوقات الحروب والأزمات يفقد القانون قوته وتبرز قوة السيادة للدولة فقط (٢٤) . وضمن الاطار العملي رأى لانسينغ أن الولايات المتحدة الامريكية كانت محظوظة بما فيه الكفاية لان تكون بعيدة عن أي تورط في الصراع الدولي القائم بما قد يخدش قوة " سيادة الدولة الوطنية " (٢٥).

ثانيا – روبرت لانسينغ ومشكلات الحياد الأمريكي

أثر لانسينغ في صياغة سياسة الحياد التي انتهجتها الإدارة الامريكية في السنوات الأولى من الحرب العالمية الأولى بما يتوافق مع مبادئ القانون الدولي وبما ينسجم مع مصالح الامن القومي للولايات المتحدة الامريكية(٢٦) ، أكد لانسينغ ان من مصلحة الولايات المتحدة الامريكية ان تبقى بعيدة عن احداث الحرب واتفق مع الدبلوماسي والمحامي الأمريكي جون واتسون فوستر John W. Foster (١٨٦٣ –١٩١٨) على ان أي محاولة أمريكية للوساطة بين المعسكرين ستفشل لان دول الوفاق بحسب رأيه كانت قوية بما يكفي لتدمير المانيا ، التي لم تهدد السلم العالمي فحسب بل كانت المنافس الاقتصادي الأكبر للولايات المتحدة الامريكية . (٢٧)

أعتمد ولسن وبرايان بشكل كبير على ما كان يقدمه مستشار وزارة الخارجية من نصائح تضمنتها سلسلة من المذكرات السياسية التي حرص في صياغتها على تقديم رؤية لعدد من مشكلات الحياد ، التي

واجهتها الولايات المتحدة الامريكية بدء من خريف عام ١٩١٤ (٢٨) . وقد شملت تلك المشكلات بشكل أساسي قضايا :

١- الحق التجاري للدول المحايدة في ضوء اعلان لندن للتجارة البحرية ابان الحرب

٢- تسليح السفت التجارية

٣- تجارة البضائع المهربة

٤- القروض والائتمانات المالية

٥- آزمة الغواصات الألمانية

١- الحق التجاري للدول المحايدة في ضوء اعلان لندن للتجارة البحرية ابان الحرب

أعلنت الولايات المتحدة الامريكية بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في الثالث من آب عام ١٩١٤ التزامها الثابت بسياسة الحياد واستعدادها للتعامل التجاري مع الدول المتحاربة والمحايدة طبقا لإعلان لندن الصادر في عام ١٩٠٩ (٢٩) ، غير ان بريطانيا سعت الى احكام قبضتها البحرية على جميع موانئ الدول المحايدة واقفالها امام التجارة مع دول الوسط لاسيما المانيا ، منتهكة حقوق الدول المحايدة بما شكل تناقضا صارخا لبنود اعلان لندن ، اذ لا يجوز لأي دول متحاربة ان تأخذ لنفسها الحق في ممارسة العلاقات التجارية المحظورة على الدول المحايدة ، بمعنى ان لا يكون الحصار التجاري مشروعا او مباحا لان تفرضه أي دولة متحاربة على رعايا الدول غير الداخلة في الحرب بما يلحق الضرر بحريتهم التجارية ويجافي تحقيق مبدأ العدالة في الحرب (٣٠). طبقا لذلك كانت مشكلة ضمان حقوق التجارة البحرية للدول المحايدة أول مشكلة مهمة على لانسينغ مواجهتها وتقديم الحلول المناسبة لها . وقد سعى مستشار وزارة الخارجية من جانبه الى إيجاد وسيلة لحماية المصالح التجارية الامريكية مع الحفاظ في الوقت نفسه على علاقة ودية مع بريطانيا ، التي بدأت قوتها البحرية بالسيطرة على جميع السفن التجارية المتجهة الى أوربا (٣١) .

أبلغ السفير الأمريكي لدى بريطانيا والتر هاينز بيج walter hines page (١٨٥٥ – ١٩١٨) في الخامس من آب عام ١٩١٤ رغبة الحكومة البريطانية اجراء تعديل جوهري على قائمة السلع المهربة الصادرة عن اعلان لندن (٣٢) ، بعد ان شعرت ان الحصار التجاري لن يكون مجديا اذا تمكنت المانيا من نقت تجارتها الى موانئ الدول المحايدة (السويد ، الدنمارك ، النرويج وهولندا) الامر الذي انقذ اسطولها التجاري من حملات تفتيش السفن البريطانية. فلم تكن الإجراءات البريطانية لمنع السفن الألمانية كافية لاسيما ان الحكومة الألمانية اتخذت جميع إجراءاتها الاحترازية ضد سفن التفتيش البريطانية من خلال اعتمادها زوارق الطوربيد السريعة والغواصات المسلحة وحقول الألغام تحت الماء بما يحمي السواحل الألمانية , لذا فان أي خطوة للسفن البريطانية تجاه موانئ المانيا وطرق نقلها البحري

كانت تعد بمثابة خطوة انتحارية . فاتجهت بريطانيا الى تضييق وتشديد إجراءات الحصار البحري للسفن التجارية المتحاربة والمحايدة ومصادر شحنها(٣٣) . و في معرض رده على الطلب البريطاني ، طالب وزير الخارجية الأمريكي برايان في السادس من اب عام ١٩١٤ قبول اعلان لندن . وقد أيدت دول الوسط طلب برايان بشرط المعاملة بالمثل ، الا ان دول الوفاق لاسيما بريطانيا رفضت قبول الإعلان مع مطالبتها اجراء تغييرات جوهرية يمكن ان تلحق الضرر بحقوق الدول المحايدة والوسط (٣٤) ، اذ أصدرت الحكومة البريطانية في العشرين من اب بيانا وضحت فيه ان المواد الغذائية والمواد الخام المخصصة للسكان المدنيين لا تعد محظورات حربية طبقا للقانون الدولي ، الا انها أخذت تضيق مبدأ " الرحلة المستمرة principles of constinuous voyage " (٣٥) على المواد المهربة المشروطة بما فيها المنتجات الغذائية وان يجب الاستيلاء على جميع المنتجات المرسلة الى المانيا عبر موانئ الدول المحايدة ، ما عدَّ مخالفة صريحة لمبادئ القانون الدولي وواجه اعتراض الدول المحايدة لاسيما الولايات المتحدة الامريكية (٣٦) .

٢- تسليح السفن التجارية للدول المتحاربة

كان على الولايات المتحدة الامريكية ، بصفتها دولة حياد ، أن تمنع موانئها من العمل كقواعد للعمليات البحرية العسكرية ، غير أنها بدأت توجه مشكلة " تسليح السفن التجارية " التابعة للدول المتحاربة لاسيما بريطانيا ، ففي الثالث عشر من آب عام ١٩١٤ استقبل ميناء نيويورك السفينة التجارية البريطانية " فرانسيسكو " المزودة بمدافع عسكرية ، أدعت بريطانيا انها لأغراض دفاعية ، مما دفع وزارة الخارجية الامريكية الى البحث في الوضع القانوني لحق السفن التجارية في التسلح الدفاعي دون شمولها بوضع السفن الحربية (٣٧) . وقد أكدت السفارة البريطانية في واشنطن على الفور ان الاجراء البريطاني كان ضمن السلوك الدفاعي وقدمت وثائقها التي اثبتت ذلك ، من حيث انها مزودة بمدفعين عيار(٤,٧ بوصة) مثبتين في الخلف من غير ذخيرة . فبدت الحكومة الامريكية بحاجة ماسة لاتخاذ قرار حول تسليح السفن التجارية للدول المتحاربة (٣٨).

تنبه لانسينغ الى خطورة تلك الحادثة فما كان منه الا الاجتماع بمجلس الحياد المشترك للخارجية والبحرية (٣٩) ، لاسيما مع دخول سفن بريطانية أخرى في أواخر عام ١٩١٤ برغم الاحتجاجات الألمانية ، ما اعتبرته استفزازا بريطانيا متعمدا للحياد الأمريكي في تسليح سفن تجارية يجب ان تخضع لقواعد الموانئ المحايدة . لذا كثفت وزارة الخارجية ومجلس الحياد المشترك جهودهم في تحديد الوضع القانوني لتلك السفن ، وقد حذر لانسينغ مجلس الحياد المشترك مبينا : " انها سياسة مؤسفة ستكون لها نتائج وخيمة على المدى البعيد " . وقدم برايان في الثالث عشر من أيلول مذكرة أكد فيها حق السفن التجارية بالتسلح (٤٠) ، لكن ضمن معايير القانون الدولي إذ لابد من التمييز بين الأسلحة الهجومية

والدفاعية (٤١) ، التي يجب ان لا تتجاوز (٤,٧ بوصة) وان تكون مثبتة في الخلف كما عليها ان تستوفي الإجراءات القانونية الأخرى منها ان تسلك طرق التجارة التقليدية وان يكون عليها ركابا مدنيين فقط غير مقاتلين وان تنحصر ادارتها بطاقم مدني . وافق ولسن على مذكرة لانسينغ التي صدرت بشكل تعميم رسمي في التاسع عشر من أيلول عام ١٩١٤ لتنظيم التجارة في الموانئ الامريكية (٤٢) .

وقد أبلغ السفير الأمريكي في برلين جيمس دبليو جيرارد james w. gerard (١٩١٣ – ١٩١٧) لانسينغ في الخامس عشر من تشرين الأول انزعاج الحكومة الألمانية وعدم قناعتها بالتعميم الأمريكي مؤكدا ان المانيا على قناعة تامة بان البريطانيين سيحسنون الاستفادة من التعميم الأمريكي لكن بشكل غير قانوني لتزيد من سياستها الهجومية (٤٣) . موضحا ان الغواصات الألمانية هي مركبات هشة يمكن تدميرها بسهولة بواسطة مدافع السفن البريطانية ولن تكون في وضع يسمح لها بممارسة حقها في زيارة وتفتيش السفن التجارية التي ستكون قادرة على مقاومة تلك الغواصات واطلاق النيران عليها دون سابق انذار بحجة خرقها للطابع السلمي (٤٤) . وبحسب رأي وزارة الخارجية الألمانية انه كان بإمكان الولايات المتحدة الامريكية ان تحل تلك المشكلة باستبعاد جميع السفن المسلحة من موانئها غير ان الحكومة الامريكية مالت الى جانب بريطانيا وامتنعت عن اتخاذ أي رد إزاء الإجراءات البريطانية المستفزة لحالة الحياد (٤٥) . وعلى الرغم من ان لانسينغ انتقد الرد الألماني بشدة الا انه أراد تفنيد حجج المانيا اذ اقترح على برايان الوصول الى تفاهم مع الحكومة البريطانية ينص على ابعاد السفن التجارية البريطانية التي تدخل الموانئ الامريكية عن أي مظهر من مظاهر التسلح بما يفند حجج المانيا واتهامها للحكومة الامريكية بخرق حالة الحياد ، ورغم تأييد برايان لمقترح لانسينغ وأهمية الاستمرار في الضغط على الحكومة البريطانية في ذلك الاتجاه الا انه بدا يائسا من سياسة الحكومة البريطانية (٤٦) .

٣- تجارة الأسلحة والذخائر

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى بدأت الشركات الامريكية الكبرى بالانخراط على نطاق واسع في تصنيع واستيراد وتصدير الأسلحة والذخائر وهو ما كان يعني دعما عسكريا لدول الوفاق ، بسبب ضبط بريطانيا لسياسة الحظر البحري ، الامر الذي أسهم في زيادة التوتر الأمريكي – الألماني ودحض الحكومة الألمانية بمزيد من الأدلة لحياد الولايات المتحدة الامريكية في الحرب لاسيما مع إصرار الولايات المتحدة لحقها في تجارة الأسلحة والذخائر مبينة انه لا يوجد نصا قانونيا يمكن ان يقيد تجارتها للأسلحة(٤٧) .

كان لانسينغ مقتنعا بان تجارة الأسلحة والذخائر تتوافق مع سياسة الحياد للولايات المتحدة الامريكية بل رأى انه من واجب الدولة المحايدة السماح بالتصدير الحر للأسلحة والذخائر ، ففي مذكرة قدمها الى الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته في العاشر والثالث عشر من تشرين الأول عام ١٩١٤ أكد لانسينغ حق

الولايات المتحدة الامريكية في ممارسة التصدير الحر للأسلحة والذخائر مبررا ذلك " بأن الدول التي جهزت ترسانتها العسكرية بما تحتاجه في وقت السلم سوف لن تتضرر من الحظر في زمن الحرب ، في حين ان الدولة التي لم تجهز نفسها بما تحتاجه ستحرم من جميع مصادر الامدادات الخارجية وبالتالي فأن حظر تجارة الأسلحة والذخائر لن يؤدي الا منح الأفضلية للطرف الذي باغت في العدوان مع اتخاذ التدابير اللازمة مسبقا " ، فضلا عن ان لتجارة الأسلحة بعدا اقتصاديا كان كافيا لان يمكن الولايات المتحدة الامريكية من التغلب على اثار الركود الاقتصادي الذي عانته في وقت سابق من عام ١٩١٤(٤٨) .

كان واضحا ان الحكومة الامريكية غير راغبة بفرض حظر على تجارة الأسلحة والذخائر للأطراف المتحاربة ، غير ان ذلك بدا يلقي بظلاله بين الأوساط الامريكية ، أذ أبلغ رئيس لجنة العلاقات الخارجية وعضو مجلس الشيوخ الامريكي ويليام جويل ستون William joel stone (١٩٠٣ – ١٩١٨) لانسينغ " ان انتقادات لاذعة وجهت اليه مع اقتراب انتخابات الكونغرس من أبناء دائرته الانتخابية في سانت لويس والتي تضم اعدادا كبيرة من المواطنين الأمريكيين من أصول المانية (٤٩) . و أردف قائلا : " ومع اقتراب الانتخابات التشريعية نجد من المناسب الدفاع عن حياد الولايات المتحدة الامريكية ، ومن جانب اخر فان استمرار تجارة الأسلحة والذخائر الى دول الحياد سوت تحدث انقساما مجتمعيا لأنه سينال رضى ودعم الأمريكيين المؤيدين لدول الوفاق وان استمرار تلك التجارة سوف يشكل حافزا لازدهار الاقتصاد الأمريكي وهو أمر مهم لنا " (٥٠) .

غير ان لانسينغ لم يقتنع بتلك الحجج وقدم مذكرة للحكومة الامريكية في الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٩١٤ اعلن بها ان الولايات المتحدة الامريكية غير ملزمة بموجب القانون الدولي ولا بموجب أي معاهدة أو قانون ان تلجئ الى منع شركاتها من تصنيع الأسلحة والذخائر وتصديرها الى الدول المتحاربة طبقا لمبادئ تكافؤ الفرص . مؤكدا انه لابد من التمييز بين حقوق وواجبات مواطني الدول المحايدة وبين سياستها ومسؤولياتها الدولية ،فلو كانت تلك التجارة تدخل ضمن الإجراءات الحكومية فهو امر لاشك كان يحدث خرقا لسياسة الحياد ويعد أمر غير قانوني وغير محايد . وما هو جدير بالكر ان استطلاعا للرأي العام الأمريكي أجريَ أواخر عام ١٩١٤ نشرته صحيفة نيويورك تايمز أوائل عام ١٩١٥ أكد ان اغلبية من شملتهم العينة عارضوا حظر تجارة الأسلحة والذخائر للدول المتحاربة (٥١) .

٤- مشكلة القروض و الائتمانات المالية

أرتبط بيع الأسلحة بمشكلة أخرى من مشاكل الحياد الأمريكي لا تقل أهمية عما سبق بل كانت مشكلة رئيسة أربكت سياسة الحياد الأمريكي ، الا وهي مشكلة القروض و الائتمانات المالية المقدمة من المصارف الامريكية للدول المتحاربة لاسيما دول الوفاق ، ففي اجتماع ضم وزير الخارجية الأمريكي

ومستشاره لانسينغ في الخامس عشر من اب عام ١٩١٤ ، ناقشا فيه مسألة تقديم المصارف الامريكية الخاصة لقروض وائتمانات مالية للدول المتحاربة(٥٢)، كان لانسينغ مترددا في ابداء رأيا قاطعا حول توضيح الإشكالية القانونية لتلك المسألة لأسباب سياسية تخفي تعاطفا مع دول الوفاق أذ قال : " أن تقديم قروض وائتمانات مالية مسألة قانونية لا تخدش حالة الحياد الأمريكي "(٥٣) . غير ان برايان أعترض على رأي لانسينغ مشددا على ان تقديم دول الحياد للمال يعد " أسوء أنواع التجارة مع الدول المتحاربة " لما يترتب عليه من دعم ساند لتلك الدول(٥٤) . وبدا لانسينغ مقتنعا برأي برايان فهو الأقرب لمبادئ سياسة الحياد وما يفرض على الولايات المتحدة من التزامات ، فاتفق الرجلان في نهاية الاجتماع على التوصية بوقف تقديم القروض الامريكية للدول المتحاربة ، لاسيما ان فرنسا كانت تنتظر قرضا مقدما لها من شركة جي بي مورغان الامريكية JPMorgan Chase (٥٥) التي كانت تضغط بقوة على وزارة الخارجية للسماح لها بتقديم القرض الى فرنسا (٥٦) .

لكن سياسة حظر القروض ، التي اعتمدتها الإدارة الامريكية لفترة وجيزة بتأثير برايان وقناعته بالتزام اقصى شروط الحياد ، بدأت بالتفكك بعد مدة وجيزة من صياغتها ، اذ تزايدت المشتريات الحربية في أحداث تحول اقتصادي لافت ، ففي الوقت الذي ازدادت فيه به عمليات الشراء من دول الوفاق نفذت لديها السيولة النقدية اللازمة لإتمام تلك العمليات ، لذا كان من الصعب أن يستمر حظر منح القروض ولأمد طويل ، مما شكل تهديدا جديا للمصانع الامريكية المنتجة للمعدات والأسلحة والذخائر الحربية . بدأ يزداد الضغط تبعا لذلك من دول الوفاق والشركات المالية الكبرى في نيويورك نحو تخفيف القيود المفروضة على منح القروض والاعتمادات المالية منذ تشرين الأول عام ١٩١٤(٥٦) .

أستمر برايان في رفضه اجراء أي تعديل لسياسة منح القروض ، مما شكل صدمة لدول الوفاق ومجموعة مورغان المالية مبينا ان السلطة التنفيذية لاسيما وزارة الخارجية لا تحظى بصلاحيات تشريعية من الكونغرس الأمريكي في ميزانية سياسة النقد الأجنبي وتقديم القروض . حاولت روسيا أن تخفف من حرج الولايات المتحدة مطالبة الرئيس الأمريكي ابرام اتفاقية تجارية على أساس تفاهم رسمي يتيح لدول الوفاق جدولة زمنية لتكاليف شراء المعدات والأسلحة وتسديد ما بذمتها من ديون لصالح المؤسسات المالية الامريكية . كما طالبت شركة مورغان لانسينغ بالتدخل لقبول المصارف الامريكية لأذونات قصيرة الاجل من وزارة الخزانة الفرنسية على اعتبار ان ذلك من شانه ان يحفز الصناعة الامريكية على زيادة انتجها وتسويقه مما ينعش الاقتصاد الأمريكي . أتفق نائب رئيس بنك " ناشينونال ستي City National Bank " في نيويورك صاموئيل بيرتس Samuel Berets مع ما ذهبت اليه مورغان مؤكدا انه اذا لم يتم منح الائتمانات قصيرة الأجل فان الاقتصاد الأمريكي سوف يعاني من ازمة اقتصادية حادة (٥٧) ،

محذرا لانسينغ من ان الدول المتحاربة ستلجأ للبحث عن مصادر أخرى للحصول على مشترياتها الحربية وهو ما سيلحق الضرر بالتجارة الخارجية الامريكية (٥٨) .

أتفق لانسينغ مع الحجج التي ساقها المصرفيون الأميركية لذا ناقش مع الرئيس الأمريكي في الثالث والعشرين من آب عام ١٩١٤ الوصول الى حل متفق عليه داخل الحكومة الامريكية ، وقد انتهى الاجتماع بموافقة ولسن على منح قروض قصيرة الأجل بحجة ان تلك القروض وان أُستخدمت لتمويل الحرب لكنها مسألة حيوية لديمومة التجارة الخارجية الامريكية وضمان استمرارها ، لاسيما ان الحرب باتت مجهولة المصير لأي أجل ستستمر . وهنا كان لزاما على الولايات المتحدة الامريكية ان تغتنم الفرص لتحقيق أعلى نسب الاستفادة في رفع الأرباح والعوائد المالية (٥٩) ، موضحا ان هناك فرقا بين طرح السندات الحكومية وبيعها في السوق وبين ترتيب الاجراءات المتبادلة لتسديد الديون التي بذمة تلك الحكومات لصالح الشركات الامريكية بما يسهل التجارة وينظم عملها (٦٠) . كانت الموافقة الامريكية على اصدار الائتمانات المالية وتسهيل التجارة مع دول الوفاق بتدبير وتأثير لانسينغ إشارة واضحة على هزيمة برايان وخطه الملتزم بسياسة الحياد وبروز دور لانسينغ في نهاية سياسة الحظر الأمريكي لمنح القروض المالية(٦١) ، ففي الحادي والثلاثين من آذار عام ١٩١٥ أصدرت وزارة الخارجية الامريكية بيانا شرحت فيه سياستها إزاء مسالة القروض موضحة " لقد تبين للإدارة الامريكية إزاء رفض الروض المالية الممنوحة للدول المتحاربة انه اجرء ليس مقنعا وكان لتلك الحكومات الحق في ابداء اعتراضها على ذلك "(٦٢) .

أثر التراجع الأمريكي في سياسة منح القروض الى تعالي الأصوات المعارضة للأجراء الجديد لاسيما المانيا التي اتهمت الحكومة الامريكية بخروجها عن سياسة الحياد وقد لخص هوغو مونتربيرغ Hugo Münsteberg (١٨٦٣-١٩١٦) أستاذ الفلسفة والفيزياء في جامعة هارفارد ذي الأصول الألمانية (٦٣) ، اتهامات عدم الحياد في رسالة طويلة وجهها الى الرئيس الأمريكي ودروو ولسن ، الذي احالها الى لانسينغ للرد على ما جاء فيها . أعرب المستشار الأمريكي عن استيائه الشديد لرسالة مونتبيرغ ، التي رأى فيها نشاطا دعائيا مواليا لألمانيا ومحاولة للنيل من ولاء الأمريكيين من اصل الماني لبلدهم الولايات المتحدة الامريكية من اجل تحويلهم الى جماعة عرقية باتجاه اجبار الحكومة الامريكية على نهج سياسة مرضية للحكومة الامريكية (٦٤). مؤكدا ان الولايات المتحدة بجميع مؤسساتها ملتزمة بسياسة الحياد ولم يصدر عن الكونغرس الأمريكي ، أي قانون بخرق تلك السياسة و الموقف من الأطراف المتحاربة (٦٥) .

ثالثا- تداعيات حرب الغواصات الألمانية وتعيين روبرت لانسينغ وزيرا للخارجية الامريكية

في أعقاب إعلان الحكومة الألمانية ، في الرابع عشر من شباط عام ١٩١٥ ، تحولها نحو استراتيجية حرب الغواصات البحرية ، في معرض ردها على الحظر البحري الذي أعلنته الحكومة البريطانية في الثالث من تشرين الثاني عام ١٩١٤ ، والذي أنذر بمزيد من إجراءات التضييق في آعالي البحار والممرات المؤدية لها (٦٦)، نشط الخلاف داخل وزارة الخارجية الامريكية إزاء التعاطي مع الاتهامات الألمانية والرد عليها ، ففي الوقت الذي دعا فيه برايان الى التهدئة والتزام سياسة الحياد (٦٧) كان لانسينغ أكثر ميلا نحو دول الوفاق وأكثر تفاعلا مع قضاياها (٦٨)، بعيدا عن سياسة الحياد التي طالما التزم بها وحرض عليها ، ففي اعقاب الإعلان الألماني سلم مستشار وزارة الخارجية الامريكية الرئيس ودروو ولسن ، في السادس من شباط عام ١٩١٥ ، مذكرة نبه فيها الى خطورة الأوضاع القائمة مؤكدا ان الحكومة الألمانية ، وفي ضوء اعلان استراتيجية حرب الغواصات البحرية ، ستتحمل المسؤولية الكاملة عن تعرض السفن الامريكية أو حياة أي مواطن أمريكي للخطر ، ما قد يدفع الى زيادة احتمالات دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب (٦٩)، لذا يجب مطالبة الحكومة الألمانية بالامتثال لقوانين الحرب (٧٠) .

وعلى الرغم من رفض برايان ارسال مثل تلك المذكرة ، تجنبا لإثارة المزيد من التوتر في العلاقات الامريكية الألمانية ، سلمت السفارة الامريكية في برلين في العاشر من شباط عام ١٩١٥ ، المستشار الألماني مذكرة أعدها وصاغها روبرت لانسينغ باتفاق مع الرئيس ولسن وكان ذلك في اجراء واضح لتجاهل برايان وعزله داخل وزارة الخارجية ، كرسالة تحذير الى الحكومة الألمانية ، من التعرض الى سفن الدول المحايدة وانه في حال حدوث أي انتهاك الماني لحقوق الحياد الأمريكي فأن الولايات المتحدة ستكون مضطرة الى تحميل حكومة الإمبراطورية الألمانية مسؤولية الأفعال التي ترتكبها السلطات البحرية وانها ستتخذ خطوات جدية بل ضرورية لحماية الأرواح والممتلكات الامريكية. رفضت الحكومة الألمانية في بيان رسمي التهدئة الامريكية " فلطالما بررت بريطانيا التزامها بسياسة الحظر البحري وانتهاكها القانون الدولي حفاظا على مصالحها الحيوية ، في الوقت الذي أكتفت فيه الدول المحايدة لاسيما الولايات المتحدة الامريكية بالاحتجاجات الشفوية غير الرسمية ، لذا فأن من حق حكومة الإمبراطورية الألمانية أن تمارس الدور نفسه وعلى الدول المحايدة أن تعاطى معها بالطريقة التي تعاملت بها مع الإجراءات البريطانية " (٧١) .

لم يكن من الصعب على لانسينغ إزء الاتهامات الألمانية أن يبرر سلوك الحكومة البريطانية في الخروج عن قواعد ومبادئ القانون الدولي في فرض الحظر البحري مبينا " أن كل دولة مسؤولة عن ضمان سلامتها بما يمنحها الذريعة في تبرير الإجراءات الاستثنائية في زمن الحرب ، حتى وان كان في

ذلك انتهاك للقواعد الأخلاقية والقانونية للحرب " (٧٢) . لقد أسرف لانسينغ في رفع الاتهام عن بريطانيا وتبريره لخروقاتها دون أن يهتم بالضرر الذي لحق دول الوسط لاسيما المانيا التي شلت حركتها التجارية و تصدأت سفنها في الموانئ الألمانية ، حرصا منه على عدم المساس بالعلاقات الامريكية البريطانية وترضية للرأي العام الأمريكي المتعطف مع بريطانيا . بدء لانسينغ يبتعد كثيرا عن مبادئ سياسة الحياد ، كان في طريقه لترتيب دخول الولايات المتحدة الحرب لصالح دول الوفاق وما هي الا مسألة وقت ليس الا . لذا لم يكن غريبا ان تمضي المانيا في تنفيذ استراتيجية حرب الغواصات البحرية رغم التهديد الأمريكي لها (٧٣) ، اذ كانت حادثة نسف السفينة البريطانية " فالابا Falaba " ، قبالة ساحل ايرلندا الجنوبي بزورق طوربيد من الغواصة الألمانية (E-28) في الثامن والعشرين من اذار عام ١٩١٥ أول بوادر تلك الحرب (٧٤) ، التي أشرت تصاعدا ملحوظا في الخطاب والأداء السياسي لكل منهما ، اذ أقترح لانسينغ على الرئيس الأمريكي ودروو ولسن ارسال مذكرة سلمه نسخة منها في الثاني من نيسان ، طالب فيها اتخاذ قرار فوري ضد المانيا ، واصفا نسف السفينة البريطانية وقتل مواطن امريكي انتهاكا صارخا لحقوق مواطني دول الحياد بما هدد سلامة المواطنيين الأمريكيين في أعالي البحار وان الحكومة الامريكية ملزمة بضمان سلامة مواطنيها المسافرين على متن السفن الامريكية او أي سفينة اخرة حتى وان كانت تابعة لدول متحاربة، مما حمل في طياته إشارة ضمنية لتحصين سفن الوفاق واطلاق يدها في تنفيذ الحظر البحري (٧٥) .

من جهته عارض وزير الخارجية الأمريكي بشدة ارسال المذكرة المقترحة من لانسينغ ، اذ شكك برايان بخطأ سلوك أي مواطن يرغب بالسفر على متن سفينة بريطانية وهو يعلم مسبقا بتهديد الغواصات الألمانية مؤكدا ان ذلك المواطن يعد " مذنبا بتهمة الإهمال " . غير ان برايان لم يلق اذنا صاغية من الرئيس الأمريكي ، لاسيما بعد وصول تقرير القنصل الأمريكي العام في إنكلترا روبرت بيت سكينر robert peet skinner (١٨٦٦ – ١٩٦٠) (١٩١٤ – ١٩٢٤) ، الذي اكد ان الجانب الألماني لم يسمح لطاقم ركاب فالابا الا بعشر دقائق لم تكن كافية لمغادرة السفينة. طالبين برلين بتعويض مجزي عن الخسائر في الأرواح ومعاقبة المسؤولين المذنبين .

وبينما أخذت آزمة فالابا تتصاعد بين اطراف الحكومة الامريكية تعرضت السفينة الامريكية كويشنغ Cushing (DD-55)(٧٦) في التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩١٥ لنيران طائرة المانية اعقبها حوادث أخرى وصولا الى حادثة غرق سفينة الركاب البريطانية أر أم أس لوزيتانيا RMS Lusitania ٧٩ في السابع من أيار عام ١٩١٥ ، مما انهى بشكل أساسي أي محاولة للحفاظ على الحياد الامريكب وتهدأة الأجواء الملتهبة بين الولايات المتحدة الامريكية وألمانيا (٧٧).

فتحت حادثة غرق السفينة لوزيتانيا الباب على مصراعيه امام إعادة تقييم السياسة الامريكية إزاء المانيا ، اذ خرجت الحكومة الامريكية بسلسلة مباحثات بين التاسع والعاشر من أيار بين الرئيس الامريكس ومستشار وزارة الخارجية الامريكية روبرت لانسينغ حول آلية الوضع القانوني لحادثة غرق السفينة , وقد أدان لانسينغ في مذكرتين سلمهما الى الرئيس الأمريكي الهجوم الألماني مؤكدا لا يوجد نصا قانونيا يمنع مواطني الدول المحايدة من السفر على متن سفن الدول المتحاربة . كما حث لانسينغ وزير الخارجية الأمريكي جينفز برايان على نهج مسار عمل رسمي وأرسال مذكرة شديدة اللهجة تتضمن الطلب من المانيا تقديم اعتذار رسمي مع دفعها تعويضات مجزية للضحايا الأمريكيين وذويهم وانه لابد من تقديم الضباط الالمان المسؤولين عن الهجوم الى المحاكمة ، مشترطين على الحكومة الألمانية تقديم ضمانا رسمية بسلامة المواطنين الأمريكيين المسافرين في المستقبل على متن السفن المتحاربة غير المسلحة .

أتفق ولسن مع لانسينغ في أهمية ارسال المذكرة وما تتضمن كما رفض من جهة أخرى طلب تقدم به برايان في ان تخفف المذكرة من لهجة التهديد وان تتضمن نبرة ودية اقرب ، غير ان ولسن رفض لك رفضا شديدا قائلا : " يؤسفني ان أقول ان حكمي في هذه المسالة يتفق مع رؤية السيد لانسينغ واعتقد ان نص المذكرة التي اعدها تحتوي على قدر مناسب من مشاعر الصداقة الصادقة " . كما رفض ولسن طلبا اخر لوزير الخارجية في تقييد سفر الأمريكيين على السفن المتحاربة لاسيما البريطانية وان ترسل الحكومة الامريكية مكرة احتجاج مماثلة الى الحكومة البريطانية تندد فيها انتهاك بريطانيا لحقوق الدول المحايدة (٧٩). غير ان برايان في ختام الاجتماع نبه ولسن الى ان ارسال المذكرة التي اعدها لانسينغ سوف تؤدي في نهاية المطاف الى الحرب قائلا : " عندما نرسل المذكرة فأن الخطوة التالية التي ستتخذها المانيا هي الحرب " . لم يكن امام برايان الى ان يقدم استقالته للرئيس الأمريكي في التاسع من حزيران عام ١٩١٥ (٨٠) .

مضت المذكرة التي اعدها مستشار وزير الخارجية الأمريكي في طريقها الى الحكومة الألمانية ، بعد ان حملت توقيع وزير الخارجية برايان مرغما ، في الثامن والعشرين من أيار عام ١٩١٥ ، وقد عكست في طياتها قدرا كبيرا من رؤية لانسينغ في اتهام الحكومة الألمانية لانتهاكها للقوانين الإنسانية والدولية مشددا على تمسك الولايات المتحدة الامريكية بحث موطنيها في السفر الى أعالي البحار وعلى حكومة الإمبراطورية الألمانية ان تتخلى عن الهجمات غير المعلنة على السفن غير المسلحة وان تضمن سلامة مواطني الدول المحايدة (٨١) .

نهجت الحكومة الامريكية بذلك خطا بعيدا عن سياسة الحياد (٨٢) ، مما انعكس بوضوح على الخلاف داخل وزارة الخارجية من جهة وبين لانسينغ وولسن وبرايان من جهة أخرى . فلقد شهد اجتماع مجلس الوزراء الأمريكي ، في الأول من حزيران عام ١٩١٥ ، هجوما لاذعا شنه وزير الخارجية

الأمريكي برايان رافضا الاتهامات الموجهة الى المانيا ، والتي اعتبرها خرقا لسياسة الحياد ، التي عرفت بها الولايات المتحدة الامريكية مؤكدا ، وبحسب ما اطلع عليه من تقارير عسكرية ، أن البريطانيين انتهكوا قواعد الحرب أذ كانت سفينة لوزيتاينا تحمل أسلحة هجومية محظورة مثبتة في مقدمة السفينة , لذا طالب برايان الحكومة الامريكية ان تكون اكثر اتزانا في ميولها السياسية نحو كلا المعسكرين ورأى ان الحل المناسب لازمة العلاقات الامريكية الألمانية هو اصدار قرار يحظر على المواطنين الأمريكيين السفر على متن السفن الحربية او التابعة للدول المتحاربة(٨٣) . رفض لانسينغ طروحات برايان مشيرا الى ان الغواصة الألمانية اغرقت السفينة لوزيتاينا دون تحذير مسبق لطاقمها وركابها طبقا لقواعد الزيارة والتفتيش معتبرا لك عملا غير انساني وغير قانوني (٨٤) .

مثل موقف برايان جزء كبيرا من الرأي العام الأمريكي لاسيما داخل مجتمع المزارعين في الجنوب والغرب الأوسط من ذوي الأصول الألمانية ، اذ دعمت الولاءات العرقية والطبقية سياسة الحياد الأمريكي ودحضت موقف الإدارة الامريكية في تطبيق احادي الجانب للقانون الدولي. كان رفض حالة التماهي الأمريكي مع كتلة الوفاق ضد دول الوسط لاسيما المانيا ، تلك السياسة التي أسس لها الرئيس الأمريكي ودروو ولسن ومستشار وزير الخارجية روبرت لانسينغ ، قد انتشرت بين شرائح واوساط شعبية مختلفة اذ انظمت مجموعة من الاصلاحيات الرائدات والمدافعات عن حق المرأة الامريكية في التصويت الى الرافضين للحرب والمؤيدين بقوة لسياسة الحياد وشكلن حزبا سياسيا عرف بـــ " حزب السلام " للبحث عن حل دبلوماسي للحرب (٨٥) .

ومع نمو ظاهرة الرفض الشعبي لخرق سياسة الحياد ، زادت الانتقادات داخل الكونغرس الأمريكي في اتهام الإدارة الامريكية بخرق حالة الحياد القائمة ، حتى أن رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ وليم جونسن ستون William johnson stone (١٨٤٨ – ١٩١٨) / (١٩٠٣ – ١٩١٨) عن ولاية ميسوري ارسل في استضافة وزير الخارجية برايان للرد على منتقدي السياسة الخارجية الامريكية داخل الكونغرس (٨٦) .

لم يعد بإمكان برايان الاستمرار وزيرا للخارجية الامريكية في إدارة الرئيس ولسن ، اذ وجد نفسه مهمشا في إدارة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية بشكل متزايد لاسيما ان برايان كان كثير الانتقاد لسياسة ولسن في معظم الازمات الراهنة آنذاك وكانت سياسته في المكسيك من أكبر نقاط الخلاف بين الرجلين(٨٧) ، فضلا عن قرب المستشار لانسينغ من الرئيس والذي نجح بحكم معرفته بقضايا القانون الدولي وقضايا السياسة الدولية في إدارة توجهات وزارة الخارجية الامريكية بعيدا عن برايان (٨٨) . لم يكن امام برايان الى ان يقدم استقالته للرئيس الأمريكي في التاسع من حزيران عام ١٩١٥ (٨٩).

كانت استقالة برايان(٩٠) بداية عهد جديد في إدارة السياسة الخارجية الامريكية لاسيما ان الدلائل بدأت تشير الى قرب تولي روبرت لانسينغ الوزارة خلفا لبرايان ، على الرغم من حالة الرفض الرسمي لذلك الاختيار . كان هناك العديد من المقربين من ولسن ، الذين عارضوا ترشيح لانسينغ لتولي وزارة الخارجية ، وكان ويليام جيمس ماكادو William G. McAdoo وزير الخزانة(١٩١٣ – ١٩١٨) (٩١) أول المعترضين ، مبينا " انه سيكون من الخطأ تعيين شخص آخر من نيويورك في منصب وزير الخارجية لاسيما انه شخص غير سياسي ، فلا يمكن ان ينجح في إدارة الوزارة " . كما عارض وزير البحرية جوزيف دانيلز Josephus Daniels (١٩١٣-١٩٢١) تعيين لانسينغ بسبب ميوله الى الحزب الجمهوري، حتى السيدة ولسن (إيدث بولينغ غالت Edith Bolling Galt Wilson) (١٨٧٢-١٩٦١)(٩٢) ما ان سمعت بترشيح لانسينغ أبدت استغرابها ورفضها قائلة : " هذا المستشار ليس أكثر من كونه كاتبا في وزارة الخارجية " (٩٣) ، فاجابها ولسن : " نعم انه ليس رجلا عظيما ". كان لدى ولسن رغم كل الاعتراضات قناعة كبيرة في تعيين المستشار بالمنصب الشاغر ، ففي المقام الأول قدم هذا الرجل دعما كبيرا لسياسة ولسن ، كان يتمتع بقدرات كبيرة في وقت كان فيه ولسن بحاجة الى مستشارين مهرة بدلا من خبراء سياسيين بجانبه والحقيقة ان ولسن كان ينوي ان يقوم مع مستشاريه أدوار هاوس ووليام ماكادو بدور أساس في صنع وإدارة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية . لقد أراد ولسن ان ينصب رجلا في هذا المنصب يكون على النقيض من برايان ، يدعم ارائه بدلا من ان يعارضها ، ورأى في هدوء لانسينغ وانطوائه ضعفا يمكن ان يقلل من قدراته في إدارة الوزارة مما يتيح دورا أكبر لولسن في أن يكون المدير الفعلي لوزارة الخارجية الامريكية (٩٤) .

اتفق المستشار الرئاسي الكولونيل أدوار هاوس مع رؤية ولسن قائلا : " اذا كان لانسينغ مقبولا لديك فيمكنك الإفادة منه لصالحك أكثر من تعيين رجل يتمتع بشخصية أقوى ... هو رجل لا يملك الكثير من الأفكار الخاصة به .. لذلك سوف يكون خاضعا لإرشادك دون نقاش .. لقد قابلته مرة واحدة ولم تبهرني عقليته الا اني آآمل أن تكون قد وجدت فيه ضالتك بما يتوافق مع توجهك " . وأضاف هاوس : " لن يكون لانسينغ مصدر ازعاج في اقحام ارائه الخاصة على السياسة الخارجية الامريكية ليترك القاضايا الحيوية بالكامل في أيدي الرئيس ومستشاريه المقربين " (٩٥) .

من جهة أخرى، أتفق الرأي العام الأمريكي في إختيار لانسينغ فمنذ وقت مبكر بدأت الصحف الامريكية تروج لمستشار وزارة الخارجية ، اذ دعت صحيفة نيويورك وورلد في شباط عام ١٩١٥ أن ولسن يرى في لانسينغ " رئيسا للوزارة " . وأعلنت صحيفة نيويورك تايمز في الثالث عشر من شباط عام ١٩١٥ " ان دبلوماسيتنا في أفضل حالاتها بفضل جهود مستشار وزارة الخارجية الامريكية " . بل ان بعض الصحف بدأت تنشر شائعات في أن برايان لا يمكنه ان يستغني عن لانسينغ حتى أخذت تروج "

طرائف هزلية " تقلل من شأن برايان وأنه " لا يكف عن الاتصال بمنزل السيد لانسينغ " غير ان ذلك كله انما يعبر عن نيتة مبيتة ضد برايان والترويج لاحلال لانسينغ محله طالما يتفق مع رغبات ولسن وتوجهاته السياسية التي بدأت تميل بشكل واضح صوب دول الوفاق وبعيدا عن السيد برايان الذي مخلصا لسياسة الحياد (٩٦) .

رحب لانسينغ بعرض الرئيس الأمريكي الذي جاء بمثابة مفاجأة له وقبل العرض على الفور موضحا ان اختيار ولسن له جاء نتيجة اتفاقهما في الرأي فيما يتصل بقضايا السياسة الدولية ، و أن مهارته وخبرته في القوانين الدولية كانت عاملا كافيا في إختياره لادارة وزارة الخارجية الامريكية لاسيما في ظل تطورات الحرب العالمية الأولى . الا ان لانسينغ وعلى النقيض من رغبة ولسن كان يأمل أن يمارس تأثيره في إدارة السياسة الخارجية وتوجيهها بشكل مستقل بعيدا عن تدخل الرئيس الأمريكي ، بما أحبط توقعاته وولد فجوة بين الرئيس ووزيره فكان مدة استيزاره بداي لصراع بين الرجلين (٩٧) .

عين لانسينغ في الثالث عشر والعشرين من أيار عام ١٩١٥ وزيرا اصيلا للخارجية الامريكية(٩٨) وقد كتب لانسينغ يوم التاسع من حزيران رسالة الى برايان رسالة وداع أكد فيها مشاعره الودية قائلا : " لقد كان من دواعي سروري أن أعمل تحت ادارتك وأن أكون قريبا منك .. سأعتز دائما بذكرى تلك الأيام التي قضيتها تحت ادارتك .. كان هدفي الوحيد أن أكون مفيدا لك وأن أساعد في أنجاح أداراتك لوزارة الخارجية الامريكية " . رغم عبارات لانسينغ الصادقة في وداع برايان الا انها لم تخف مشاعره الطامحة لتولي الوزارة بنفسه (٩٩) .

الاستنتاجات

خلص البحث الى جملة استنتاجات ابرزها :

* يعد روبرت لانسينغ محاميا وقانونيا محترفا اثبت كفأته في الكثير من الملتقيات الدولية لتأكيد حقوق الولايات المتحدة الامريكية في عدد من القضايا الحدودية لاسيما تلك التي اختصت بمصائد اللؤلؤ ومفواضات بحر بيرنغ .
* رغم انه لم يمتلك تاريخا سياسيا حافلا بالاهتمام الا ان اختياره في منصب مستشار في وزارة الخارجية الامريكية كان ايمانا من الرئيس الأمريكي ودروو ولسن بقدراته المهنية ،لاسيما انه نجح في قيادة حملته الانتخابية الرئاسية للعام ١٩١٢ في ولاية نيويورك والترويج له كبطل سلام في أتون حرب قادمة لامحالة .
* كان تعيين لانسينغ مستشارا في وزارة الخارجية الامريكية تعبيرا عن حاجة الحكومة الامريكية اليه في التعامل مع مشكلات الحياد وما يمكن ان ينتج عنها من قضايا شائكة.

* أيد كثير من السياسيين تعيين لانسينغ بصفته محامي وقانوني بارع يمكن ان يساعد برايان في ان تصطبغ وزارة الخارجية الامريكية بصيغة مهنية وسياسية في آن واحد الا قرب لانسينغ من ولسن ابتلع دور برايان وهمشه .
* هل تعاطى لانسينغ بصيغة مهنية مع مشكلات الحياد الأمريكي ؟ لقد خالف لانسينغ التوقعات ، ففي الوقت الذي كان يحاول فيه أن يعزز من الجانب المهني و القانوني في التعاطي مع مشكلات الحياد بدى تعاطفه مع دول الوفاق واضحا بما شكل خدشا للكثير من متبنيات الحياد الأمريكي .
* كشفت مشكلات الحياد الأمريكي عن تضاد واضح داخل الحكومة الامريكية لاسيما داخل وزارة الخارجية الامريكية الامر الذي انتهى باستقالة برايان .
* رغم قناعة لانسينغ بعزل الاقتصاد عن إدارة الدولة الا انه اخضع المشكلات الاقتصادية لسيطرة الحكومة الامريكية املا بتجنب الحرب لاسيما في مراحلها الأولى .
* عمل لانسينغ على أمل التوسط في انهاء الحرب وقد تلاقت رغبته هذه مع رغبة الرئيس ولسن الا انه تمادي المانيا – بحسب رأيه – كان سببا رئيسا في مضي الحرب واستمرارها دون تراجع .

هوامش البحث ومصادره :

1- Glaser , Dvid , Robert lansing : a study in statecraft , library of congress , 2015 , p. 8

- أسماعيل ، مأمون شاكر ، روبرت لانسينغ ونشاطه القانوني والفكري في الولايات المتحدة الامريكية حتى عام ١٩١٤ ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، العدد(٩٦) ، نيسان ٢٠٢٥ ، ص ٥٤٠ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٥٤٠

4- Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality 1914-1917,Da Capo Press New York , 1972 , p. 1

٥-أسماعيل ، مأمون شاكر ، المصدر السابق ، ص ٥٤١

6- Smith, Daniel , op.cit., p. 1

7- Glaser , David ., op.cit., p. 9

٨- برز صراع اقليمي بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا حول تجارة الفراء في قارة أمريكا الشمالية ومصائد بحر بيرنغ وقد أحيل ذلك الصراع الى التحكيم الدولي طبقا لمعاهدة التاسع والعشرين من شباط عام ١٨٩٢ لتحديد الحقوق الدولية في الصيد ومبادئ التجارة الاقليمية ،. لمزيد من التفاصيل ينظر الى مجموعة الوثائق الخاصة بالمباحثات :

Fur seal arbitrations , proceedings of the tribunal of arbitration , convened at Paris under the treaty between the united states of America and great Britain , Washington , February 29 ,1892, government printing office,1895,vol.16.

٩- قضية حدود الاسكا : قضية احتدمت عام ١٩٠٣ بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وجاء استكمالا لسلسة من المشكلات الحدودية بسبب تبعية كندا لبريطانيا كانت هناك حاجة ماسة للبحث عن منفذ على المضائق البحرية . عقدت مباحثات بين الجانبين وكان القرار النهائي لصالح الولايات المتحدة الامريكية على حساب الحقوق الكندية اذ سيطرت على الموانئ الرئيسية للمضائق البحرية ما عدته كندا خيانة بريطانية . ينظر :

Penlington , norman, the alska boundary dispyte : a crtitcal reappraisal, mcgraw – hill Ryerson ,1972.

Scott , James Brown , in memoriam – Robert lansing , American journal of international law, 10- . vol.23 , April ,1929,p.108 -109

11- ibid.,109.

12- Scott , James Brown , The Appointment of Mr. Robert Lansing as Secretary of State , the American Journal of International Law , Cambridge uni. Press, Vol.9 , 9- No, 3 (July, 1915) , p.696

13-ibid., p. 697

١٤- مصائد الأسماك في سواحل الأطلسي (١٩٠٩ – ١٩١٠) : شهدت مناطق مهمة في سواحل المحيط الأطلسي لاسيما نيوفاوندلاند وخليج سانت لورانس اشتباكات بين صيادين أمريكيين وبريطانيين حول صيد الأسماك مما استدعى مباحثات بين الطرفين انتهت بوقف الصيد في عرض البحر وحظر صيد الفقمة ايام هجرتها وان تتولى الولايات المتحدة الامريكية تحديد الضوابط والاشراف على المناطق البحرية .

لمزيد من التفاصيل ينظر

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, with the Annual Message of the President Transmitted to Congress , December 6, 1910.,department of stat , Washington,1910, pp.543-544.

15- Smith, Daniel , op.cit., p. 2

16- hartig,Thomas henry ,Robert lansing: an interruptive biography,ohio state university ,1977,p.56.

17- Glaser , David ., op.cit., p. 9

18- Smith, Daniel , op.cit., p. 3

19- ibid.,p. 2-3; hartig,Thomas henry,op.it.,p.57-58.

٢٠- سياسة الولايات المتحدة الامريكية في المكسيك : جاءت في أعقاب ثورة المكسيك عام ١٩١٣ وتولي هيرتا الحكم ثم الانقلاب عليه عام ١٩١٥ ما منح فرصة التدخل الأمريكي للحفاظ على مصالحها في المكسيك لاسيما مع التمرد العسكري والفوضى الاهلية التي اجتاحت البلاد . لمزيد من التفاصيل ينظر :

Knight, Alan, The Mexican Revolution,vol.2., University of Nebraska Press ,1986;

بالمر ، آلان ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ – ١٩٤٥ ، ترجمة : سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين , ج٢ ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ١٠٠.

٢١- السبع ، جواد رضا ، موقف الولايات المتحدة الامريكية من الحرب الأهلي في المكسيك ١٩١٣-١٩١٥، لاراك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية/ الجزء الثاني من العدد الثامن والعشرين- ٢٠١٨، ص ص١٩١-٢١٧.

22- Smith, Daniel , op.cit., p. 5

٢٣ - لمزيد من التفاصيل ينظر " مأمون ، شاكر إسماعيل ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦٥ – ٥٦٦

24- Smith, Daniel , op.cit., p. 6

25- ibid., p2

26- Smith , Daniel, Robert Lansing and Formulation of American Neutrality Policies 1914-1915, the Mississippi Valley Historical Review Organization of American Historians ,Vol.43 , No.1 (Jun ., 1965), p. 59

27- Smith , Daniel, Robert Lansing and Formulation of..., p. 62

٢٨- لمزيد من التفاصيل ينظر :

may,ernest r., the world war and American isolation 1914-1917, 3ed., printing ,Harvard university press, u.s.a, , 1966

٢٩- – إعلان لندن ١٩٠٩ : هو الإعلان الذي جاء في أعقاب مؤتمر لندن البحري الذي ضم الولايات المتحدة الامريكية روسيا اليابان بريطانيا فرنسا إيطاليا المانيا النمسا والمجر اسبانيا هولندا للمدة بين (الرابع من كانون الأول عام ١٩٠٨- السادس والعشرين من شباط عام١٩٠٩) لوضع قانون متفق عليه بشأن القيود الحربية المفروضة على تجارة الدول المحايدة . صنف إعلان لندن الصادر في أعقاب المؤتمر السلع الى ثلاث فئات : ١- سلع محظورة تماما: شملت المعدات العسكرية المصدرة الى وجهة في أراضي العدو ٢- سلع محظورة مشروطة : شملت الطعام والشراب والملابس والتي يتعامل معها على انها محظورة لو كانت في طريقها الى جهة حكومية او عسكرية تابعة للعدو محاربة ٣- سلع متاحة : هي السلع الأخرى التي لا تدخل ضم الفئتين ١ و ٢ . ورغم الاجماع الذي خرج

بع إعلان لندن الا ان الحكومة البريطانية كانت أول الرفضين لتصديقه وتنفيذه نظرا لأنها تدرك تماما مدى تأثيره عليها في الحرب حتى تم التخلي عنه تماما عام ١٩١٦. لمزيد من التفاصيل ينظر وثائق المؤتمر والاعلان :

The Declaration of London February 26, 1909, A Collection of Official Papers and Documents Relating to the International naval Conference held in London,December, 1908—February, 1909, Edited : Scott, James Brown, New York ,Oxford University Press,1919.

30-freure ,Russell ,memory reality clash : the first world war and the myth of American neutrality , the northern and mariner vol.22, no.2,2012,p.141.

31- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of... , p. 63

32- keen,op.cit.,p.2-3.

33- freure ,russell ,op.cit., p.151

34- Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... , p. 63

٣٥- مبدأ الرحلة المستمرة : يدعو هذا المبدأ إلى إيقاف ومصادرة بضائع السفن المحايدة القادمة من ميناء محايد أو متجهة إليه، إذا تم إعادة شحن تلك البضائع إلى دولة أخرى داخلة في حرب (العدو) في مرحلة ما من الرحلة، يمكن للدولة التي تستند إلى مبدا الرحلة المستمرة أن تدعي أنه، بغض النظر عن فترة الحيازة داخل موانئ الدول المحايدة، ان الرحلة كانت ا موجهة للتجارة مع الدول الداخلة في حرب ضدها والي استصلح على تسمية كل طرف منهم بـ " العدو" .شاع هذا المبدأ في فترة الحرب النابليونية وناقشه مؤتمر لندن البحري وقيده اعلان لندن الصادر عام ١٩٠٩ حتى سمي تلك البضائع بالسلع المهربة " Contraband " . ينظر :

Britanica- continuous voyage

https://www.britannica.com/topic/continuous-voyage

36- freure , russell ,op.cit., p. 153

37- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 65

38- Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... ,p.30

٣٩- مجلس الحياد المشترك للخارجية والبحرية : أسسه مستشار وزارة الخارجية الامريكية روبرت لانسينغ بين وزرة الخارجية الخارجية ووزارة البحرية الامريكية بهف الخروج بإجراءات تنسيق مشترك بين الجانبين حول سياسة الحياد الأمريكي في الحرب . ظل المجلس يعمل بشكل متفاوت بين آونة و أخرى حتى دخول الولايات المتحدة الحرب عام ١٩١٧ .Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... p.30

40-Ibid., p.30

41- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 66

42- Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... ,p.31

43- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 66

44- Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... ,p.31

45- Gerard to the Secretary of State, Berlin, October 14, 1914, in Papers Relating TO THE Foreign Relations of the United States, 1914, Supplement , the World War , .Washington, D.C.: Government Printing Office, 1914, File No. 165.102/167

46- William Jennings Bryan to President Woodrow Wilson, Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, The Lansing Papers, 1914-1920, Vol. I , Washington: Government Printing Office, 1939), December 24, 1914, Document 763.72111 Em 1/1

47- Robert lansing to the secretary of state ,April 17,1915, ,Papers Relating to the Foreign Relations of the United States , The Lansing Papers, 1914-1920 , vol.1,Washington ,p.374-375.

48- ibid.,p.375.

49- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 68

50- Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... ,p.33

51- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 68

٥٢- المشتريات العسكرية : أعتمدت دول الوفاق بشكل رئيس على مشتريات المعدات العسكرية من الولايات المتحدة الامريكية حتى ان بريطانيا وفرنسا شكلوا لجنة تنسيق مشتركة لتنظيم تلك المشتريات عرفت بـ " Anglo-French Financial Co-operation during the War" ، وازدادت فاعلية اللجنة لاسيما بعد دخول الولايات المتحدة الامريكية ورغم ندرة المصادر التي تعالج آقيام واعداد تلك المشتريات الا ان الأرقام التقريبية تشير الى انها بلغت ٥٠٠ مليون دولار امريكي أواخر عام ١٩١٥ ارتفعت بين عامي(١٩١٧-١٩١٨) الى حوالي ٢,٩٢ مليار دولار امريكي . لمزيد من التفاصيل ينظر : Gilbert,J . C. , Anglo-French Financial Co-operation during the War, 1914-1918, The Review of Economic Studies, Volume 7, Issue 3, June 1940, Pages 159-168; the Assistant Secretary of War Director OF Munitions, America's Munitions 1917-1918 Report OF Benedict Crowell, Washington Government Printing OFFICE 1919.

53- Robert Lansing to the president Wilson , Washington , August 10,1914, The Lansing papers, 1914-1920,vol.1, p.131 .

54- bass, Herbert j, American's entary into world war 1 Submarines, Sentiment, Or Security? , Holt, Rinehart and Winston, 1964, p.55

٥٥- شركة جي بي مورغان : هو بنسك استثماري امريكي تأسس عام ١٨٧١ من اتحاد بنك منهاتن وشركة دريكسل مورغان وشركاؤه تخصص بدء في الاستثمار في قطاع سكك الحديد ثم وسع من نشاطه ليشمل صناعة الأسلحة والمعدات الحربية . وكانت الشركة رائدة في إعادة هيكلة خطوط السكك الحديدية الرئيسية وتمويل عمليات الاندماج الصناعي التي أدت إلى تأسيس شركة يو إس ستيل، أول شركة في العالم تتجاوز قيمتها مليار دولار. وبعد وفاة دريكسل في عام ١٨٩٣، أعاد جي بي مورغان تنظيم الشركة، وأعاد تسميتها إلى شركة جي بي مورغان وشركاه في عام ١٨٩٥.

Britannica Money , JPMorgan Chase & Co., https://www.britannica.com/money/JPMorgan-Chase-and-Co?utm_source=chatgpt.com

56- Smith , Daniel, Robert lansing and Formulation of... , p. 69

57 - Smith , Daniel , Robert Lansing and the American Neutrality ... ,p.34

58-- Robert Lansing to the president Wilson , Washington , August 10,1914, , The Lansing papers, 1914-1920, p.131-132 .

59- ibid., p. 132.

60- smith, , Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p.36

61-see: Frederic C. Penfield to the Secretary of State, Vienna, November 11, 1915 , The Lansing Papers 1914-1920 , vol.1 , p.643-644.

62- bass, Herbert j., op.cit. , p.55

63- ibid., ., p.55-56.

64- Britannica , Hugo Münsterberg, https://www.britannica.com/biography/Hugo-Munsterberg

٦٥- ينظر : الشرقاوي ، محمد عبد المنعم ، الولايات المتحدة أرضا وشعبا ودولة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥, ص ٧٠ – ٧١ ; bass, Herbert j., op.cit. , p.55

66- woolsey , lester h., Robert lansing as secretary of state, Current History (1916-1940), Vol. 29, No. 3 (December, 1928) , p. 385 ; freure,Russell, op.cit. , p.159

67- woolsey , lester h.,ibid.,p.159-160.

68- glaser,david , op.cit., ,p.15

69- woolsey , lester h., op.cit. , p. 385

70- smith, Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 73

71- ibid.,p. 76

72- freure,Russell , op.cit. ,p.159

73- smith, Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p.73 - 74

74-see: Preston, Diana , Lusitania: An Epic Tragedy, Berkley Books, 2002.

75- smith, Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 78-79.

٧٦- سميت السفينة يو إس إس كوشينغ (DD-55) تكريمًا لويليام بي. كوشينغ، بطل الحرب الأهلية الأمريكية. بُنيت بواسطة شركة فور ريفر لبناء السفن، ويبلغ طولها ٣٠٥ أقدام، وحمولتها ١٠٥٠ طنًا. كانت مسلحة بأربعة مدافع عيار ٤ بوصات، وثمانية أنابيب طوربيد عيار ٢١ بوصة ، خدمت على طول الساحل الشرقي ومنطقة البحر الكاريبي. شملت خدمتها في الحرب العالمية الأولى عمليات إنقاذ ودوريات في البحر الأيرلندي. وُضعت في الاحتياط، وأُعيد تسميتها إلى DD-55، ثم جرى تفكيكها في عام ١٩٣٦.

ينظر USS CushingDD-55 (Destroyer) : https://www.youtube.com/watch?v=8T_U8pLleOQ

٧٧- لوزيتايانا : بنيت سفينة لوزيتايانا ، المملوكة لشركة كونارد لاين، للتنافس على تجارة نقل الركاب عبر المحيط الأطلسي المربحة للغاية. بدأ بناؤها عام ١٩٠٤، وبعد اكتمال هيكلها وبنيتها ا الرئيسية، أُطلقت لوزيتايانا في السابع من حزيران عام ١٩٠٦ . واكتمل بناء السفينة في العام التالي، لتصبح حينها أكبر سفينة في العالم، حيث بلغ طولها حوالي ٧٨٧ قدمًا (٢٤٠ مترًا) ووزنها حوالي ٣١٥٥٠ طنًا . اشتهرت لوزيتايانا بسرعتها الفائقة. كانت سفينة لوزيتايانا عائدة في مايو ١٩١٥، من نيويورك إلى ليفربول وعلى متنها ١٩٥٩ راكبًا وطاقمًا. دفعت حوادث غرق السفن التجارية قبالة الساحل الجنوبي لأيرلندا وتقارير عن نشاط الغواصات هناك البحرية البريطانية إلى تحذير لوزيتايانا من الاقتراب من المنطقة، والتوصية باتباع تكتيك المراوغة المتمثل في تغيير المسار بشكل متعرج، وتغيير الاتجاه كل بضع دقائق على فترات غير منتظمة لإرباك أي محاولة من قبل الغواصات الألمانية لتحديد مسارها وإطلاق الطوربيدات عليها. اختار قبطان السفينة، ويليام توماس تيرنر، تجاهل تلك التوصيات، مما أدى الى تعرض السفينة للهجوم. أصاب طوربيد السفينة وانفجر في منتصفها من جهة اليمين، وتبعه انفجار أقوى، نجم عن تلف محركات البخار وأنابيب السفينة. غرقت لوزيتايانا في غضون ٢٠ دقيقة، ، وغرق ١١٩٨ شخصًا. أثارت خسارة الباخرة وعدد كبير من ركابها، بمن فيهم ١٢٨ مواطنًا أمريكيًا، موجة من الغضب في الولايات المتحدة، وكان من المتوقع أن يتبع ذلك إعلان حرب، لكن الحكومة الأمريكية تمسكت بسياسة الحياد.

Britannica , Lusitania , https://www.britannica.com/topic/Lusitania-British-ship ; Theodore Roosevelt, Murder on the High Seas ,New York,the Metropolitan Magazine, May 11, 1915 .

78- Keene , Jennifer D., The United States and the First World War , second edition ,Routledge 2022, p.50

79- glaser , david ,op.cit. , p. 15

80- the appointment of mr. Robert lansing , p. 659

81- glaser , david , p. 15

٨٢- صالح ، محمد محمد واخرون ، الدول الكبرى بين الحربين العالميتين ١٩١٤-١٩٤٥, الموصل ، ١٩٨٤ ، ص ٢٢٨.

83- glaser , david , op.cit , p. 15

84- ibid., p. 15-16

85- keene , op.cit , ,p.509

86- smith, Daniel, Robert lansing and Formulation of..., p. 72

87- lodage,henry caboot, the senate and the league of nations , Charles scribners sons , new York-london,1925,p.40-41.

88- ibid. , p. 16

89- Scott , James Brown , The Appointment of Mr. Robert Lansing as Secretary of State , the American Journal of International Law , Cambridge uni. Press, Vol.9 , No, 3 (July, 1915) . , p. 659

٩٠ - استقالة برايان: نشرت صحيفة نيويورك هيرالد خبر الاستقالة بالنص الاتي : " استقال السيد ويليام جينينغز برايان من منصب وزير الخارجية. وبينما لم يُذكر أي سبب رسمي في واشنطن لهذه الخطوة المفاجئة التي أقدم عليها السيد برايان، الا أن الاستقالة كانت ناجمة عن معارضته مذكرة لانسينغ إلى ألمانيا، والتي لم يكن ليؤيدها بصفته أحد قادة تيار "السلام بأي ثمن" في الحزب الديمقراطي. "

Mr. Robert Lansing has succeeded Mr. Bryan. — The New York Herald, European Edition, June 9, 1915.

لمزيد من التفاصيل ينظر : The Resignation of Mr. Bryan as Secretary of State, American Journal of International Law, , Cambridge University Press: 04 May 2017, 659-666.

91-see : Phillips , J. Campbell ,U.S. Department of the treasury, William G. McAdoo 1913-1918 ,1919, home.treasury.gov/about/history/prior-secretaries/william-g-mcadoo-1913-1918

٩٢- السيدة إيدث ولسن : الزوجة الثانية للرئيس وودرو ويلسون. بعد وفاة زوجته الأولى في اب عام ١٩١٤. شغلت منصب السيدة الأولى (١٩١٥-١٩٢١) ،و بعد أن أصيب الرئيس بجلطة دماغية حادة، قامت بإدارة جميع شؤون الدولة مسبقًا، وأدارت فعليًا لسلطة التنفيذية للحكومة لما تبقى من ولاية ويلسون الثانية . ينظر: Edith Bolling Galt Wilson,

National Archives (gov.) , obamawhitehouse.archives.gov/1600/first-ladies/edithwilson

93- glaser , david , op.cit , p. 18-19.

94- ibid., p. 13-14.

95-ibid.,p.19 .

96- ibid.,p.18 – 19.

97- ibid.,p.20 .

98- Doenecke, Justus D. , the appointment of mr. Robert lansing , American Journal of International Law, vol. 9, 3 July 1915, , p. 694,

99- glaser , david , p. 16

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

سياسة الولايات المتحدة الامريكية في عهد الرئيس جون آدمز تجاه السكان الأصليين ١٧٩٧ – ١٨٠٠

United States policy towards Native Americans under President John Adams ١٧٩٧–١٨٠٠

م.م منى فؤاد طه
Mona Fouad Taha
شعبة الموارد البشرية – كلية الآداب
Mona.F@cois.uobaghdad.edu.iq

ا.د كفاح أحمد محمد
قسم التاريخ – كلية الآداب
Kefah Ahmed Mohammed
kefahahmed@coart.uobaghdad.edu

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

يتناول البحث سياسة الولايات المتحدة في عهد الرئيس جون آدمز تجاه السكان الاصليين خلال المدة (١٧٩٧–١٨٠٠)، عبر تحليل ثلاث دوائر أساسية تمثلت في الخطاب السياسي للرئيس، والمعاهدات التي استكملت مسار تنظيم الاراضي، ثم التشريعات التي أنتجها الكونغرس لضبط الحدود والتجارة والصلات الرسمية مع القبائل، ويبين البحث أن إدارة آدمز لم تقدم مشروعا جديدا نوعيا تجاه السكان الاصليين مقارنة بإدارة واشنطن، بل اتسمت سياستها بقدر من الهامشية والغياب النسبي عن السجلات، رغم صدور وعود عامة بالإنصاف والإنسانية في خطاب التنصيب، كما يوضح البحث أن المعاهدات المعقودة مع الموهوك والسنيكا والشيروكي جاءت ضمن سياق تثبيت انتقال الملكية وشرعنة التنازل عن مساحات واسعة مقابل تعويضات مالية خاضعة لإشراف فيدرالي، بما أضفى طابعا مؤسسيا على اختلال ميزان القوة بين الدولة والقبائل، ويكشف البحث أيضا أن قوانين الكونغرس بين (١٧٩٨–١٨٠٠) مثّلت تحولا باتجاه مركزية قانونية أشد، إذ ربطت إدارة الاراضي بالمالية العامة وتسديد الدين، ودمجت سلطة حاكم الاقليم بالإشراف على شؤون السكان الاصليين، وشددت القيود على عبور حدود

القبائل وعلى التجارة بلا ترخيص، مع تأكيد مبدأ منع تملك الافراد لاراضي السكان الاصليين إلا عبر معاهدة رسمية، وبذلك خلصت الدراسة إلى أن عهد آدمز رسخ أدوات السيطرة الإدارية والقانونية ووسع نطاق نفوذ الدولة الاتحادية، رغم غياب مبادرات سياسية معلنة تعترف بحقوق السكان الاصليين على نحو مباشر.

الكلمات المفتاحية : (جون آدمز – سياسة الولايات المتحدة – السكان الأصليين – المعاهدات الأمريكية)

Abstract

This study examines the policy of the United States toward Indigenous Peoples during the presidency of John Adams (1797–1800) by analyzing three interconnected dimensions: the president's political stance, the treaties concluded with several tribes, and the congressional legislation that regulated borders, trade, and federal authority. The study argues that Adams's administration did not introduce a substantially new Indigenous policy compared to the Washington era; instead, it remained largely marginal and limited, despite general promises of fairness and humanity in Adams's inaugural address. The research further shows that treaties with the Mohawk, Seneca, and Cherokee were primarily designed to formalize land cessions and compensation mechanisms under federal supervision, reinforcing an institutional imbalance of power between the federal government and tribal communities. In addition, congressional acts between 1798 and 1800 marked a shift toward stronger legal centralization by regulating frontier order, licensing trade, criminalizing violations within tribal territories, and reaffirming that Indigenous land transfers could only occur through formal treaties. Overall, the study concludes that the Adams presidency consolidated administrative and legal instruments of federal control over Indigenous affairs, even without adopting an explicit rights-based framework for Indigenous Peoples within the early American republic.

Keywords: (John Adams - United States policy - Native Americans - American treaties)

المقدمة

تكتسب دراسة سياسة الولايات المتحدة في عهد الرئيس جون آدمز تجاه السكان الاصليين (١٧٩٧–١٨٠٠) أهمية كبيرة، لأنها تمثل حلقة انتقالية في تاريخ الدولة الفيدرالية الناشئة بين مرحلة التأسيس التي قادها جورج واشنطن ومرحلة التوسع السياسي اللاحقة، كما تكشف طبيعة "الهامشية السياسية" التي طغت على الملف الهندي في خطاب آدمز وممارساته، إذ ظهر اهتمام الإدارة منصبا

على أزمات الداخل والانقسام الحزبي والصراع الخارجي مع فرنسا أكثر من انشغاله بإنتاج مشروع جديد تجاه القبائل، وهو ما جعل تلك المدة تبرز بوصفها زمنا لترسيخ أدوات السيطرة القانونية والمعاهدات الانتقالية بدل تقديم تصور أخلاقي واضح لحقوق السكان الاصليين داخل الدولة الأمريكية.

ينقسم موضوع البحث إلى ثلاثة محاور مترابطة، يتناول المحور الأول انتخاب جون آدمز وموقفه العام من السكان الاصليين ضمن بيئة سياسية اتسمت بتصاعد التحزب بعد اعتزال واشنطن، ويحلل حدود وعود آدمز في خطاب التنصيب وغياب المبادرة التنفيذية في هذا الملف، بينما يعالج المحور الثاني المعاهدات المعقودة بين الولايات المتحدة وبعض القبائل في (١٧٩٧–١٧٩٨) ولا سيما مع الموهوك والسنيكا والشيروكي وما ارتبط بها من ترتيبات التنازل عن الاراضي والتعويضات والحدود، أما المحور الثالث فيتتبع قوانين الكونغرس خلال (١٧٩٨–١٨٠٠) التي أعادت تنظيم العلاقة مع القبائل عبر تشريعات التجارة والحدود ومنع شراء الاراضي إلا بمعاهدات، بما يكشف تطور السياسة الفيدرالية من تسويات جزئية إلى بناء منظومة إدارية وقانونية أكثر تماسكا.

اولاً : انتخاب جون آدمز وموقفه من السكان الأصليين

أبدى جورج واشنطن بحلول عام ١٧٩٦ رغبته في التقاعد في ماونت فيرنون [١] (Mount Vernon) ، بعد ان تقدم به العمر وخدم دورتين متتاليتين في الرئاسة ، ولم يستطع أحد أن يغير رأيه، فقبل أربع سنوات كان واشنطن قد هدد بالتقاعد بسبب الانقسامات الأيديولوجية داخل حكومته وتصاعد التحزب السياسي بين الشعب ، وقد أثناه مستشاروه الأقربون عما رأوه خطوة خطرة، ففي اجتماع مع الرئيس، أبدى جيمس ماديسون تعاطفه مع التضحيات الكبرى التي قدمها واشنطن لكنه شجعه أيضًا على البقاء، ولما استشار واشنطن ألكسندر هاملتون وتوماس جيفرسون بعد ذلك بوقت قصير، وافقا الرأي ، وقد شعر الثلاثة بما شعر به جيفرسون حين كتب: "**إن ثقة الأمة كلها مركزة فيك**" وهكذا وافق واشنطن على الترشح مجددًا، وصوت له المجمع الانتخابي بالإجماع [٢] .

غير ان الصراعات الحزبية في ولايته الثانية أقنعت الرئيس بأن عليه أن يتقاعد، وفي التاسع عشر من أيلول ١٧٩٦ أعلن جورج واشنطن قراره عدم الترشح لولاية أخرى أمام الشعب الأميركي، وقد نُشر "خطاب الوداع" في الصحف في أنحاء البلاد؛ ولم يلقِه خطابًا شفهيًا، وتضمن الخطاب ثلاثة محاور رئيسة وهي الحفاظ على الوحدة الوطنية، وإدانة التحزب، وتجنب التحالفات الدائمة مع الدول الأجنبية[٣].

مهد قرار واشنطن بالتقاعد لأول انتخابات رئاسية حزبية في التاريخ الأميركي، فلم يكلف أحد نفسه تحدي واشنطن عامي ١٧٨٨ و١٧٩٢؛ إذ كان بالنسبة لكثيرين رمز الاستقلال، وفي عام ١٧٩٦ نظر الناس في قائمة طويلة من الرجال ذوي السجل الثوري، منهم صمويل آدامز [٤] (Samuel Adams)

وألكسندر هاملتون وباتريك هنري [٥] (Patrick Henry) وجيمس ماديسون، غير ان جون آدامز وتوماس جيفرسون برزا خيارين رئيسين، فخلال جزء كبير من مسيرتيهما السياسية المبكرة عملا معًا لضمان الاستقلال، وتقاربا في ثمانينيات القرن الثامن عشر حين كان آدامز وزيرًا مفوضاً لدى بريطانيا وجيفرسون وزيرًا مفوضاً لدى فرنسا، لكنهما افترقا في تسعينيات ذلك القرن مع تزايد وضوح خلافاتهما الأيديولوجية، فقد أيد آدامز أجندة الفدراليين [٦] ، بينما قاد جيفرسون المعارضة ضد تقوية الحكومة المركزية، وفي أذهان الأميركيين اكتسب آدامز وجيفرسون شهرتهما كثنائي، ما جعل السباق الانتخابي لعام ١٧٩٦ أكثر ضراوة، وكما كتب جوزف إيليس: "**كان الاختيار بينهما أشبه بالاختيار بين عقل الثورة الأميركية وقلبها**" [٧].

وعلى الرغم من أن جون آدامز وتوماس جيفرسون رغبا في الرئاسة، فإنهما كقادة غير متحيزين بالمعنى السائد آنذاك لم يستطيعا التصريح بذلك علنًا؛ إذ كانت الطموحات السياسية تجعل المرشح أقل أهلية في نظر الجمهور لا أكثر، لذلك اعتزل الرجلان إلى دياريهما وتركًا لأنصارهما مهمة الدعوة لهما، ودعم الفدراليون جون آدامز وتوماس بنكني [٨] (Thomas Pinckney) للرئاسة ، بينما دعم الجمهوريون توماس جيفرسون وآرون بور [٩] (Aaron Burr) للرئاسة ، ومع اقتراب الانتخابات بدا تفوق جيفرسون واضحا على منافسه ، غير ان الظروف الاقتصادية في البلاد أوحت لبعض الناس بأن أجندة الفدراليين حققت نتائج إيجابية [١٠].

عندما أدلى المندوبون بأصواتهم حصل جون آدامز على ٧١ صوتًا انتخابيًا مقابل ٦٨ لتوماس جيفرسون، و٥٩ لتوماس بنكني، و٣٠ لآرون بور، بينما توزعت الأصوات المتبقية على عدد من المرشحين الآخرين، وقد عكست النتائج انقسامًا مناطقيًا أكثر مما عكست انقسامًا حزبيًا، إذ فضل الناخبون في الشمال آدامز، بينما فضل معظم الناخبين في الجنوب جيفرسون [١١] .

أدت النتيجة إلى وضع غير مسبوق ، فدرالي في منصب الرئيس (آدامز) وجمهوري ديمقراطي [١٢] (Democratic–Republican Party) في منصب نائب الرئيس (جيفرسون)، ورأى بعض المراقبين أن تلك النتيجة قد تتيح للرجلين فرصة لتجاوز خلافاتهما السياسية السابقة، بما أنهما تعاونا بنجاح في الماضي، وبالتالي قد يسهمان في إنهاء حالة الانقسام والتحزب التي وسمت سنوات واشنطن، لكن في البداية بدا أن الطرفين مستعدان للتعاون، فقد اعتقد آدامز أن جيفرسون يمكن أن يلعب دورًا أكبر في إدارته مما لعبه في إدارة واشنطن، لكن تلك الآمال سرعان ما تلاشت، إذ سرعان ما ازدادت حدة الانقسام الحزبي، بل إن السنوات التي قضاها آدامز في الرئاسة شهدت تفاقم التحزب السياسي بشكل أكبر من عهد سلفه، ما عمق الهوة بين الفدراليين والجمهوريين الديمقراطيين [١٣] .

تعهد آدامز في خطاب تنصيبه الذي القاه في الرابع من آذار ١٧٩٧ ، بروح "**الإنصاف والإنسانية**" تجاه السكان الأصليين [١٤]، ووعد بـ"**تحسين أوضاعهم بتشجيعهم على أن يكونوا أكثر ودًا لنا، وتشجيع مواطنينا على أن يكونوا أكثر ودًا لهم**" [١٥] ، ولم يزد آدمز اكثر من ذلك ، وهذا ما يؤكد عدم اهتمامه الكبير بقضايا السكان الأصليين على الأقل مقارنة بسلفه جورج واشنطن .

بدا آدامز وكأنه قليل الاهتمام بمشكلات السكان الأصليين أثناء رئاسته، على الرغم من أنه تفاخر لاحقًا بقدرته على الملاحظة الدقيقة، وتبين المصادر ان سياسة الرئيس جون آدامز تجاه السكان الأصليين اتسمت بالهامشية والغياب شبه التام في السجلات التاريخية مقارنة بواشنطن ، إذ لم يقدم آدامز مبادرات واضحة أو تشريعات جوهرية تتعلق بالعلاقة مع القبائل، بل اكتفى بدور محدود انعكس في اهتمامه بالمراقبة أكثر من الانخراط العملي في القضايا الهندية، ووفقًا لفرانسيس بول بروتشا [١٦] (Francis Paul Prucha) ، فإن آدامز لم يُبد خلال رئاسته اهتمامًا ملموسًا بمشكلات السكان الأصليين، الأمر الذي جعل السياسات الفدرالية في عهده تبدو استمرارًا للنهج السابق من دون إضافات نوعية [١٧].

عكست مرحلة جون آدامز استمرار الإشكالية التي واجهتها الولايات المتحدة في إدارة علاقتها بالسكان الأصليين، إذ ارتبطت سياسته بالإرث البريطاني الذي قيد توسع المستعمرين في أراضي السكان الأصليين منذ إعلان ١٧٦٣ وقانون تجارة السكان الأصليين لعام ١٧٧٤، غير ان الإطار الفكري الذي ساهم آدامز في ترسيخه أعاد إنتاج التوجهات الاستعمارية نفسها، مع إعادة صياغتها في إطار قومي جديد يهدف إلى تثبيت شرعية الدولة الفيدرالية الناشئة، فقد ساعد آدامز على تكريس رؤية تُقلص من قيمة التفاعل السياسي المباشر مع القبائل، وتغطي على الأبعاد العميقة لهذا التفاعل الذي اتسم بالتعقيد والتوتر [١٨].

أظهرت السياسة الأمريكية في عهد جون آدامز استمرار توظيف صورة "السكان الأصليين" كرمز للخطر والوحشية في سياق الصراع مع بريطانيا، فقد ربط آدامز بين تحالف بريطانيا مع القبائل الهندية وبين التهديد المباشر للمستعمرات، مستحضراً ذاكرة حرب فيليب الخامس ملك إسبانيا [١٩] (Philip V of Spain) في القرن السابع عشر باعتبارها نموذجاً دعائياً يُستعمل لتعبئة الرأي العام ضد التاج البريطاني، هذا التصوير لم يكن مجرد توصيف للحاضر، بل شكل أيضاً أداة رمزية جعلت من "السكان الأصليين" بديلاً دعائياً للجنود البريطانيين، على الرغم من أن بعضهم كان يقاتل بالفعل في صفوف الجيش القاري [٢٠] .

وهكذا يتضح أن سياسة آدامز لم تبتعد عن الخطاب الدعائي الذي دمج بين الخطر الهندي والتهديد الإمبراطوري البريطاني، الأمر الذي عزز البعد الأيديولوجي في رسم السياسة الأمريكية تجاه السكان الأصليين خلال سنوات الاستقلال المبكرة.

ثانياً : المعاهدت المعقودة مع السكان الأصليين ١٧٩٧ – ١٧٩٨

استأنفت ادراة الرئيس جون آدمز سياسة الرئيس واشنطن بعقد المعاهدات مع السكان الأصليين ، فعقدت الولايات المتحدة الامريكية معاهدة مع قبيلة الموهوك Treaty with the Mohawk وقعت في مدينة ألباني بولاية نيويورك في التاسع والعشرون من آذار ١٧٩٧، ثم أُعلنت رسميا في السابع والعشرون من نيسان ١٧٩٨، قضت المعاهدة، تحت سلطة الولايات المتحدة، بتنازُل أُمة الموهوك عن كل ادعاء بملكية اراضي داخل حدود ولاية نيويورك، وجاءت المعاهدة في سياقٍ أوسع من إعادة ترتيب العلاقات مع اتحاد (الإيروكوا) بعد حرب الاستقلال، وقد أدت الى تثبيت السلم وحددت مبادئ السيادة والحدود بين الولايات المتحدة والأُمم الست، كما تزامنت مع معاهدة السبع أُمم الكندية عام ١٧٩٦ [٢١] لمعالجة تداخُل المطالبات شمال نيويورك [٢٢].

مثل الحكومة الفدرالية المفوض إسحاق سميث [٢٣] (Isaac Smith)، ومثل ولاية نيويورك أبراهام تن بروك [٢٤] ، (Abraham ten Broek) فيما مثل قبيلة الموهوك الكابتن جوزيف برانت (Joseph Brant) والكابتن جون ديزيرونتيون [٢٥] (John Deserontyon)، وشهد على الوثيقة عددٌ من الشخصيات، وحدد صدر النص أن الموهوك المقصودين مقيمون في كندا العليا ضمن دُوَل الملك البريطاني، ما أوضح نطاق التمثيل والولاية القضائية [٢٦] .

نصت بنود التعويض المالي على أن يدفع وكلاء ولاية نيويورك لمندوبي الموهوك، ألف دولار مساعدة فورية لأبناء القبيلة وخمسمئة دولار "**لنفقات حضورهم مدة المعاهدة**"، ومئة دولار "**لنفقات عودتهم**"، ونقل مبلغ الألف دولار "إلى حيث تقيم القبيلة" وأشار النص إلى أن توزيع المبالغ يجري على الأشخاص والعائلات وفق أعراف الموهوك، وتُظهر تلك الصياغة إدراكًا لتكاليف التمثيل والسفر، وربطًا للتعويض بجماعة الموهوك كلها لا بالأفراد الموقعين فقط [٢٧] .

بالمقابل، أقر المندوبون بالنيابة عن قبيلة الموهوك تنازلًا صريحًا ونهائيا "**إلى الأبد**" عن كل حق وعنوان ملكية في أراضي ولاية نيويورك، وأعلن النص ان "**الادعاء قد انقضى كليا**" وخُتمت المعاهدة بأربع نسخ مماثلة في الشكل والتاريخ، واحدة للولايات المتحدة، وأخرى لولاية نيويورك، وثالثة تُسلم لمندوبي الموهوك ، مع ضبط دقيق للأختام والتواقيع والشهود، وهكذا أمنت الوثيقة حجيتها بين الفدرالي وبين الطرف القبلي [٢٨].

تاريخيا، مثلت تلك المعاهدة حلقة مفصلية في انتقال مطالبات الأرض من إطار الموهوك التاريخي داخل نيويورك إلى صيغ معترف بها فدراليا تُنهي تلك المطالبات، مكملةً ما بدأته المعاهدات السابقة من تثبيت السلام والحدود، ونصت المعاهدة التي وقعت بين الولايات المتحدة الامريكية وقبيلة الموهوك على البنود التالية [٢٩] :

البند الأول : تنازل أُمة الموهوك، تحت إشراف الولايات المتحدة، عن جميع حقوقها في أراضي ولاية نيويورك

البند الثاني : عُقدت المعاهدة تحت سلطة الولايات المتحدة مع قبيلة الموهوك من السكان المقيمين في مقاطعة كندا العليا، الواقعة ضمن سيادة ملك بريطانيا العظمى.

البند الثالث : شروط التعويض: اتفق الوكلاء بحضور المفوض الفدرالي وموافقته على تقديم تعويض محدد مقابل التنازل عن مطالبات الموهوك بالأرض، وعلى أن تدفع ولاية نيويورك لمندوبي الموهوك مبالغ من المال ... وقد سلمت تلك المبالغ كاملة بحضور المفوض.

البند الرابع : التنازل عن الأراضي : أعلن المندوبان باسم قبيلة الموهوك تنازلًا صريحًا ونهائيًا عن جميع حقوق الموهوك أو عناوين ملكيتهم في أراضي ولاية نيويورك، وبموجب تلك الصيغة، عُدت جميع الادعاءات السابقة منتهية كليًا، ولم يعد للأُمة أي حق قانوني يُطالب به داخل حدود الولاية [٣٠].

وتظهر الأهمية التاريخية للمعاهدة انها أكدت بان قبيلة الموهوك المقيمة في كندا العليا لم تعد تملك أي مطالبة قانونية داخل ولاية نيويورك، ووضعت بذلك حدًا نهائيًا لنزاع طويل على الأراضي[٣١]، كما كشفت عن دور كل من الحكومة الفدرالية والولاية في صياغة ترتيبات الأراضي مع الشعوب الأصلية، ومهدت الطريق لإعادة تنظيم العلاقة بين الطرفين ضمن إطار قانوني مُعترف به على المستويين المحلي والفدرالي [٣٢] .

وعلى الصعيد ذاته ، وقعت الولايات المتحدة الامريكية وقبيلة السنيكا في أيلول ١٧٩٧ ، أطلق عليها "معاهدة الشجرة الكبيرة" ، اذ انعقدت المفاوضات في موضع بيغ تري على نهر الجينيسي (Genesee River) في ولاية ماساتشوستس بين العشرين من آب والسادس عشر من أيلول ١٧٩٧، وانتهت بتوثيق اتفاق البيع باسم "اتفاق مع السنيكا" مؤرخ في الخامس عشر من أيلول ١٧٩٧ ، وجرى الأمر تحت إشراف الولايات المتحدة وبحضور المفوض الرئاسي جيرميا وادزورث [٣٣] (Jeremiah Wadsworth) ، ما منح الاتفاق صفة الاتساق مع الدستور والأنظمة الفدرالية [٣٤] .

ونص الاتفاق على أن يبيع السنيكا كل حقوقهم في معظم أراضيهم غرب نهر الجينيسي لروبرت موريس [٣٥] (Robert Morris) ، مع استثناء مساحات محجوزة على شكل محميات محددة، مقابل

مبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار يُستثمر في أسهم بنك الولايات المتحدة ويُحفظ باسم رئيس الولايات المتحدة "**لمنفعة الأُمة**" ، وتلك الصيغة حولت الثمن إلى أصل رأسمالي يولد دخلًا سنويًا للسنيكا [٣٦] .

مثل الحكومة الفدرالية المفوض جيرميا وادزورث بتكليف من الرئيس جون آدمز ، ومثل مصالح مالكي الامتيازات وولاية نيويورك وماساتشوستس عددٌ من الوكلاء، من بينهم توماس موريس [٣٧] (Thomas Morris) عن والده روبرت موريس، والجنرال وليام شيبرد [٣٨] (William Shepard) ، ووليليام بايرد [٣٩] (William Byrd II) ، وحضر من زعماء السنيكا على رأسهم الزعيم كورنبلانتر [٤٠] (Cornplanter) وغيره ، كما شاركت بعض النساء التي تمتلك حق المصادقة الاجتماعي داخل القبيلة في تلك المفاوضات [٤١] .

ثبت الاتفاق مبدأ "**البيع مع الاستثناء**" أي انتقال كل المناطق التابعة للقبيلة إلى موريس باستثناء اثنتي عشرة محمية للسنيكا منحت لزعماء قبيلة السنيكا أمثال ساغوياواثا [٤٢] (Saguyawatha) ويانغ كينغ [٤٣] (Young King) ، ووردت أمثلة تفصيلية في النص، مثل: كاناواغس Kanawgas (ميلان مربعان)، وبيغ تري Big Tree (ميلان مربعان)، وتاون لِتِل بِيرد Town Little Bird (ميلان مربعان)، وسكواكي هِل Squawky Hill (ميلان مربعان على نحوٍ مُجزأ)، وغاردو Gardeau بضبط حدودها بنقاط طبيعية واضحة عند منعطفات النهر، إلى جانب تلك المواضع على مجرى الجينيسي، كرس الاتفاق حجز محميات كبرى في غرب نيويورك مثل بافالو كريك Buffalo Creek ، وكاتاراغوس Cattaragus ، وأليغيني Allegheny ، وتونواندا Tonwanda ، وأويل سبرينغ Oil Spring ضمن منظومة محميات السنيكا اللاحقة، وهو ما حافظ على جيوب السكن والصيد وطرق المرور التقليدية مع الاعتراف بحقوق بعيدة المدى في الصيد النهري [٤٤] .

من الناحية القانونية، جاء الاتفاق في سياقٍ مُلتبس فقانون عدم التداخل لعام ١٧٩٠ حظر على الولايات والأفراد عقد تنازلات اراضي مباشرة مع قبائل السكان الأصليين ، لكن نيويورك والوسطاء الخاصين واصلوا تحصيل اراضي عبر معاهدات واتفاقات تحت نظر المفوضين الفدراليين المكلفين بمتابعة تلك القضية من قبل الحكومة الامريكية ، ما منح العملية غطاءً فدراليًا خفف الإشكال القانوني عمليًا [٤٥] .

اشترط النص أن تُستثمر الـ ١٠٠,٠٠٠ دولار في بنك الولايات المتحدة باسم الرئيس الأمريكي جون آدمز لمنفعة قبيلة السنيكا، وهو ترتيبٌ مالي أراده موريس رأس مالًا منتجًا بدل دفعة نقدية واحدة، وتُظهر الوثائق ان روبرت موريس حاول لاحقًا إدراج شرطٍ يعود فيه الأصل لورثته إذا انقرضت قبيلة السنيكا لكن المسؤولين الفدراليين رفضوا ذلك ، وبعد التوقيع، بدأت أعمال المسح ووضع الحدود على الأرض، ففي تشرين الأول ١٧٩٨، أجرى أوغسطس بورتر [٤٦] (Augustus Porter) بتفويض

فدرالي من ممثل الحكومة الفدرالية جوزِف إليكوت [٤٧] (Joseph Ellicott) مسحًا ثبت حدود بافالو كريك عند نحو ٨٣,٥٥٧ فدانًا، وعدل الزاوية الشمالية الغربية بحيث بقي مصب بافالو كريك خارج حدود المحمية، ما عكس تداخُل مصالح المستوطنين الامريكيين الجديدة مع الامتيازات المحلية [٤٨] .

فتحت المعاهدة غرب الجينيسي أمام الاستيطان المنظم ونقلت الملكية قانونيًا إلى موريس ثم إلى شركة هولند لاند [٤٩] (Holland Land Company) ، بينما أبقت للسنيكا شبكة محميات شكلت أساس وجودهم القانوني في غرب نيويورك خلال القرن التاسع عشر، وفي المحصلة نصت المعاهدة على تنازل قبيلة السنيكا عن جميع حقوقها في الأراضي الواسعة الواقعة غرب نهر الجينيسي، وشكلت تلك الأراضي الجزء الأكبر من ممتلكاتهم التقليدية في غرب نيويورك، ومقابل هذا التنازل، خُصص مبلغ كبير للسنيكا يوضع تحت رعاية الحكومة الفدرالية، وقُدر التعويض بمئة ألف دولار تُستثمر في أسهم بنك الولايات المتحدة، وعكست رغبة الحكومة والمستثمرين في ضبط استخدام المال وضمان دخل ثابت طويل الأمد [٥٠] .

وعلى الرغم من التنازل الشامل، احتفظ السنيكا بعدد من المحميات داخل الأراضي المباعة، تضمنت تلك المحميات مناطق مثل بافالو كريك، كاتاراغوس، أليغيني، تونواندا، إضافة إلى مساحات أصغر في مواضع مثل بيغ تري وكاناواغس وغاردو، حُددت حدود تلك المحميات بدقة باستخدام علامات طبيعية كنقاط الانعطاف على النهر أو الأشجار الكبيرة، وأُقر أن يستفيد جميع أفراد القبيلة من عائدات التعويض عبر توزيعها وفق الأعراف الداخلية للسنيكا، وأُكد ان الحكومة الفدرالية مسؤولة عن الإشراف على إدارة الأموال والاستثمار، بما يمنع ضياع رأس المال ويضمن استمرارية الدعم [٥١] .

عُقدت المعاهدة تحت إشراف حكومة الولايات المتحدة لتفادي مخالفة قانون عدم التداخل لعام ١٧٩٠ الذي حظر صفقات الأراضي مع القبائل دون موافقة فدرالية، وأدت المعاهدة إلى فقدان قبيلة السنيكا معظم أراضيهم التاريخية في غرب نيويورك، لكنها ضمنت لهم بقاء بعض المحميات التي استمروا في العيش فيها حتى القرن التاسع عشر، كما وفرت مصدر دخل ثابت عبر الفوائد السنوية، على الرغم من أن قيمة تلك الفوائد تقلصت لاحقًا بسبب التضخم وتغير الظروف الاقتصادية [٥٢] .

تُعد معاهدة الشجرة الكبيرة نقطة تحول في علاقة السنيكا بالدولة الفدرالية، فهي مثال على كيفية دمج مصالح المستثمرين الكبار بالسياسات الحكومية، وفي الوقت نفسه أظهرت قدرة بعض الزعماء والنساء في السنيكا على الحفاظ على محميات محدودة عبر التفاوض، كما أصبحت مرجعًا أساسيًا في نزاعات الأراضي اللاحقة أمام المحاكم الأمريكية.

ثم سعت الولايات المتحدة الى عقد معاهدة مع قبيلة الشيروكي بعد سلسلة توترات حول ترسيم حدود "معاهدة هولستون" لعام ١٧٩١ وتأخر ترسيم تلك الحدود فعليًا حتى أواخر عام ١٧٩٧، وهو ما

أدى إلى تسلل مُستوطنين داخل أرض الشيروكي على غير علم بمسار الخط الصحيح، وتم استبعادهم من مناطق الشيروكي بسلطة الولايات المتحدة، ونصت ديباجة معاهدة عام ١٧٩٨ على تلك الملابسات وجعلت المعاهدة مكملة وجزءًا من المعاهدات السابقة، أطلق عليها تسمية معاهدة تليكو Treaty of Tellico [٥٣].

وقعت المعاهدة قرب حصن تليكو في الثاني من تشرين الاول ١٧٩٨ من قبل توماس بتلر [٥٤] (Thomas Butler) وجورج والتون [٥٥] (George Walton) ، مفوضي الولايات المتحدة، وحوالي تسعة وثلاثين من زعماء ومحاربي قبيلة الشيروكي، وثلاثة عشر شاهدًا آخر، وأكدت المادتان الأولى والثانية السلم والصداقة الى الابد واستمرار نفاذ المعاهدات القائمة ، ما رسخ قاعدة الاستمرارية القانونية بدل إبرام إطار جديد كليًا، وهذا التأكيد أعاد تفعيل بنود الحماية والحدود والآليات الإجرائية المنصوص عليها سابقًا دون إعادة تفاوض شامل [٥٦].

حددت المادة الثالثة ان الحدود تبقى ذاتها اذ لم تُعدل بمعاهدة ١٧٩٨، ثم جاءت المادة الرابعة لتُثبت تنازلًا محددًا من الشيروكي بداية من وايلد كات روك Wildcat Rock قرب حصن تليكو إلى ينابيع ومواضع جبال هاوكِنز والفرع الجنوبي لنهر لِتِل ريفر بناءاً على مقترح وكيل الولايات المتحدة في القبيلة سيلاس دينسمور [٥٧] (Silas Dinsmoor) ، ، مع تعيين مفوضين مشترَكين لرسم الخط وإيداع ثلاثة مخططات رسمية لدى وزارة الحرب الامريكية والحكومة المحلية لولاية تنيسي وقبيلة الشيروكي[٥٨].

نصت المادة السادسة على منح خمسة آلاف دولار على شكل سلعًا وبضائع تُدفع فورًا، وألف دولار سنويًا إضافة إلى المعاش السنوي السابق، مع استمرار ضمان ما تبقى من بلاد الشيروكي إلى الأبد كما في المعاهدات السابقة، وتناولت مواد إضافية بعض الترتيبات مثل السماح مؤقتًا للصيادين الشيروكي بالصيد في الأرض المتنازل عنها ، وتحديد مواعيد تسليم المعاشات مع تموين حكومي للحضور، وتعويض الخيول المسروقة، ومنح وكيل الولايات المتحدة سيلاس دينسمور قطعة أرض مؤقتة داخل بلاد الشيروكي [٥٩].

تُظهر المعاهدات التي عقدتها الولايات المتحدة مع قبائل الموهوك والسنيكا والشيروكي بين عامي ١٧٩٧ و١٧٩٨ مسارًا واضحًا في تطور العلاقة الفدرالية مع السكان الأصليين نحو مزيد من المركزية القانونية والسيطرة الإدارية، فقد سعت الإدارة الامريكية، بعد أن رسخت سلطتها الدستورية، إلى توحيد إطار التعامل مع القبائل ضمن منظومة المعاهدات التي تُشرعن انتقال الأراضي إلى الدولة أو المستثمرين، وتربط التعويض بإشراف فدرالي يضمن الانضباط المالي والسياسي، في الوقت ذاته، كشفت تلك المعاهدات عن استمرار التفاوت في موازين القوة بين الطرفين، إذ تمكنت واشنطن من

تثبيت الحدود، وتنظيم الاستيطان الغربي تحت شعار السلم والصداقة الدائمة، بينما أُجبرت القبائل على التنازل عن مساحات شاسعة مقابل مبالغ رمزية أو ضمانات غير مستقرة.

ثالثاً : قوانين الكوتغرس لتنظيم العلاقات مع السكان الأصليين

بموجب الفصل الثامن والعشرين من قوانين الكونغرس فوض القانون الرئيس الأمريكي في السابع من نيسان ١٧٩٨ بتعيين ثلاثة مفوضين للتسوية الودية مع ولاية جورجيا حول ما اسماها المطالبات المتداخلة غرب نهر تشاتاهوتشي (Chattahoochee River) وشمال خط ٣١° جنوبًا، وما يتصل بعروض التنازل عن اراضي أخرى كانت جورجيا تزعمها خارج اختصاصها المعتاد، وهذا التفويض وضع إطارًا اتحاديًا لحسم إرث فضيحة يازو [٦٠] (Yazoo Land Scandal) وحدود الولاية الغربية، ونص القانون على ان الأراضي المتحقق أنها ملك للولايات المتحدة وتخصص صافي حصيلتها لصندوق الدين العام، ما يربط تسوية الحدود بسياسة مالية اتحادية تُعامل الأراضي أصلًا عامًا لتسديد الدين [٦١].

حدد الفصل نفسه حدود إقليم المسيسيبي الجديد، يبدأ غربًا من نهر المسيسيبي (Mississippi River)، وشمالًا خطا من مصب يازوس، وشرقًا إلى الى نهر تشاتاهوتشي، وجنوبًا الى خط ٣١° شمالًا، وأعطى الرئيس الأمريكي جون آدمز سلطة إنشاء حكومة محلية للإقليم الشمالي الغربي بموجب لائحة الشمال الغربي لعام ١٧٨٧ [٦٢] (Northwest Ordinance)، باستثناء مادتها الأخيرة، وجمع القانون بين منصب حاكم الإقليم ومنصب المشرف على شؤون السكان الأصليين للدائرة الجنوبية، وهو دمج مؤسسي مهم أعطى الحاكم دورًا مباشرًا في إدارة العلاقات مع قبيلة الشوكتو [٦٣] (Choctaw Nation) وغيرها من القبائل المنتشرة في المسيسيبي ، وربط حكم الإقليم بإدارة الشأن القبلي [٦٤].

كفل القانون حقوق سكان الإقليم وفق امتيازات لائحة الشمال الغربي لعام ١٧٨٧، وسمح للكونغرس لاحقًا بتقسيمه إلى منطقتين منفصلتين وهو ما حدث فعليًا عند إنشاء إقليم ألاباما لاحقًا كما خصص ١٠,٠٠٠ دولار لتطبيق أحكام القانون، الذي كان بمثابة قاعدة للتوسع الإداري والسياسي جنوبًا، وتضمن القانون مادة لافتة تُحرم إدخال العبيد إلى الإقليم من خارج حدود الولايات المتحدة، وتُعتق كل من جرى إدخاله خلافًا لذلك، مع غرامات على المخالفين [٦٥].

وخصص الكونغرس في التاسع عشر من شباط ١٧٩٩ مبلغًا لا يتجاوز ٢٥ ألف دولار ليستخدمه الرئيس في عقد ما يراه من معاهدات مع القبائل، مع قيدٍ صريح يمنع فهم الاعتماد بوصفه التزامًا اتحاديًا بألغاء المطالبات لمنفعة ولاية أو فرد داخل حدود الولايات المتحدة، ونص القانون على سقف أجور للمفوضين لا يتعدى ثمانية دولارات يوميًا (عدا نفقات السفر) أثناء خدمة التفاوض، في مسعى لضبط التكاليف ومنع تضخم بدلات اللجان [٦٦].

مول الاعتماد من أي أموال في الخزانة غير مخصصة، ما يمنح وزارة الحرب مرونةً في الصرف على مجالس المعاهدات، وإيفاد المترجمين والرسل، وتأمين اللوازم كالهدايا والتموين والنقل، وظهرت أهميته العملية فورًا في غرب نيويورك والجنوب الشرقي، إذ أتاح للرئيس الأمريكي تمويل مجالس استكمال الحدود وتثبيت المعاشات السنوية دون الوقوع في إحراجٍ قانوني يَظهر وكانه شراء لأرض لصالح ولاية [٦٧].

إثر ذلك خصص الكونغرس في الخامس والعشرون من شباط ١٧٩٩ أموالًا لدفع المعاشات والالتزامات المنصوص عليها في معاهداتٍ محددة بالاسم، مثل المعاهدة التي وقعت من الأمم الست في عام ١٧٩٤)، والاتفاق الموقع مع قبيلة الشيكاساو [٦٨] (Chickasaw Nation) الذي وقع في عام ١٧٩٤، ومعاهدة تليكو مع قبيلة الشيروكي وكانت الوظيفة الرئيسة لهذا القانون انه فصل بين التفاوض على معاهدات جديدة وتنفيذ معاهدات قائمة، فجعل للثاني مورداً ماليًا مستقلًا يحول دون تعثر الدفع بسبب تأخر اعتمادات عامة [٦٩].

وفي الثالث من آذار ١٧٩٩ أقر الكونغرس قانون تنظيم التجارة والمعاملة مع قبائل السكان الأصليين وحفظ السلم على الحدود ، والذي ميز خط حدود قبائل السكان الأصليين بوضوح وفق خطوط مفصلة جغرافيًا من أوهايو إلى ألاباما وجورجيا وصولًا إلى نهر سانت ماريز (St. Marys River) ، لضبط المجال الذي تسري عليه القيود، ووفق هذا القانون تم تجريم عبور الخط لأجل الصيد أو رعي القطعان داخل أراض مُخصصة بالمعاهدات، وفرض جوازات مرور لدخول أراضي القبائل جنوب أوهايو، مع عقوباتٍ على جرائم السلب والقتل داخل أراضي قبائل السكان الأصليين التي تعاهدت مع الولايات المتحدة وفق اتفاقيات سلام سابقة ، بما في ذلك عقوبة الإعدام على جريمة القتل[٧٠].

أعاد القانون ترخيص التجارة داخل بلدات القبائل برخصٍ مُقيدة بضمانات مالية، وسمح للمشرف أو مصدر الرخصة بسحبها ومقاضاة المُخلين بالقانون ، وفرض غرامات ومصادرات على التجارة بلا رخصة أو شراء أدواتٍ أساسية من السكان الأصليين كالأدوات الزراعية والطبخ أو شراء الخيل بلا ترخيص خاص مع التزامٍ بتسجيل مواصفات كل حصان، كما أكد القاعدة المركزية التي نصت على ان لا يحق للأفراد شراء اراضي من قبائل السكان الأصليين ، وان التصرف بالأرض لا يكون إلا بالمعاهدة، مع إمكان لوكلاء الولايات بموافقة مفوضي الولايات المتحدة التفاوض على إطفاء مطالباتٍ داخل حدود ولاياتهم [٧١].

تضمن القانون أيضًا سياسة "**التمدين**" بتسليح القبائل الصديقة بدواب نافعة وأدوات زراعية وتعيين وكلاء مؤقتين يقيمون بين قبائل السكان الأصليين ، بحد إنفاقٍ سنوي لا يتجاوز ١٥,٠٠٠ دولار،

وجعل القانون نفسه نافذًا لثلاث سنوات من الثالث من آذار ١٧٩٩، مع أحكام انتقالية تُواصل الملاحقات بموجب قانون عام ١٧٩٦ المنتهي في اليوم نفسه، قبل أن يُعاد تجميع المنظومة وتوسيعها في قانون أشمل [٧٢].

أقر الكونغرس في السابع عشر من كانون الثاني ١٨٠٠ ، قانوناً جرم "**الحرب الكلامية**" والبعثات التحريضية، كإرسال خُطب أو رسائل إلى أُمة أو قبيلة أو زعيم من القبائل بنية خرق المعاهدات أو القوانين أو تهديد السلم، وفرض عقوباتٍ على من يشن الحروب الحدودية بخطابات أو مراسلات، وقدم هذا القانون ذريعة قانونية لملاحقة الوسطاء غير الرسميين الذين يحاولون تخريب العلاقات بين قبائل السكان الأصليين الصديقة والولايات المتحدة لمصالح شخصية أو لسياسات خارجية [٧٣].

وخول الكونغرس الرئيس في الثالث عشر من أيار ١٨٠٠ تأمين الحِصص الغذائية للقبائل عند الضرورة، مع إمساك حساب مستقل داخل وزارة الحرب لتلك الحصص والنفقات، تعزيزًا للشفافية والرقابة على بند ظل جزءًا من أدوات السلم، وأجاز القانون للرئيس تحمل نفقات زيارات وفود القبائل إلى مقر الحكومة ، مثل نفقات الذهاب والإقامة والعودة، وتقديم هدايا يراها الرئيس لازمة، وعمليا استُخدمت تلك الصلاحيات لتغطية استقبال وفود الزعماء، وترجمة خطبهم، وتنظيم لقاءاتٍ مع كبار المسؤولين [٧٤].

وعلى صعيد آخر ، اردف الكونغرس قانوناً آخر مكمل لقانون التجارة والمعاملة في الثاني والعشرون من نيسان ١٨٠٠ ، لتشديد نظام الترخيص للتجارة داخل أراضي السكان الأصليين، ونظم تفاصيل إصدار الرخص ومدتها وسُبل سحبها ومُعاقبة المخالفين، في استمرارية مباشرة لقانون الثالث من آذار ١٧٩٩ ولكن بأحكامٍ إجرائية أدق، فقد ثبت قواعد مصادرة البضائع المُتاجر بها بلا ترخيص، وأكد على إلزامية الكفالات المالية على التجار المرخصين، وأعطى السلطة للمشرف أو مُصدر الرخصة في إلغاء الرخصة والرجوع على الكفالة عند الإخلال بالشروط [٧٥].

حافظ القانون على مبدأ منع التملك الخاص للأرض داخل أراضي السكان الأصليين إلا عبر معاهدات رسمية ، ووجه نظام ضبط شراء الخيل داخل أماكن السكان الأصليين، مع التزام المُشتري بتقديم وصفٍ تفصيلي لكل حصان خلال ١٥ يومًا من إخراجه إلى المستوطنات، كإجراءٍ مضاد لسرقة المواشي والتجارة غير المشروعة [٧٦].

الخاتمة

- أظهر البحث أن عهد جون آدمز مثل مدة انتقالية في سياسة الولايات المتحدة تجاه السكان الاصليين، إذ لم ينتج تحولا جذريا في جوهر العلاقة، لكنه ساعد على تثبيت نمط التعامل الإداري والقانوني بوصفه أداة رئيسية لإدارة الملف الهندي داخل الدولة الفيدرالية الناشئة .
- بيّنت الدراسة أن خطاب آدمز تضمّن إشارات أخلاقية عامة إلى "الإنصاف والإنسانية"، غير أن هذه الإشارات لم تتحول إلى مبادرات سياسية واضحة، بل بقيت السياسة العملية محكومة بغياب الاهتمام التنفيذي المباشر وباستمرار النهج السابق دون تطوير نوعي .
- كشفت نتائج انتخابات ١٧٩٦ وما تلاها من تصاعد التحزب أن البيئة السياسية الداخلية دفعت الإدارة إلى التركيز على صراعات السلطة والانقسام الحزبي، وهو ما جعل قضايا السكان الاصليين تقع في مرتبة ثانوية ضمن أولويات الحكم خلال هذه المدة .
- برهنت معاهدة الموهوك (١٧٩٧–١٧٩٨) أن مسار التسوية استند إلى إنهاء المطالبات بالملكية داخل حدود الولايات، وتثبيت التنازل النهائي مقابل تعويضات مالية، مع ضبط الوثائق والشهود والنسخ لضمان حجيتها القانونية بين السلطات والقبيلة .
- تُظهر تلك القوانين المتتابعة الصادرة عن الكونغرس بين عامي ١٧٩٨ و١٨٠٠ تحول السياسة الفدرالية الأميركية تجاه السكان الأصليين من مجرد تنظيمٍ للعلاقات الحدودية إلى مشروعٍ إداري وقانوني متكامل هدفه دمج الأراضي والقبائل في الإطار الاتحادي الجديد، فقد ربطت التشريعات بين الأمن والمالية العامة، إذ جعلت من إدارة الأراضي وسيلةً لتسديد الدين الوطني.
- وحدت القوانين الصادرة عن الكونغرس سلطة الإشراف على الأقاليم والسكان الأصليين بيد الحاكم الفدرالي بما يمنح واشنطن سيطرة مباشرة على الحدود الجنوبية والغربية، وقد مثلت تلك القوانين إطارًا لتوسيع سلطة الرئيس في التفاوض، وتنظيم التجارة، ومنع الأفراد من شراء الأراضي، بما رسخ مبدأ السيادة الاتحادية على المعاهدات.
- أكدت معاهدة السنيكا المعروفة بـ "معاهدة الشجرة الكبيرة" أن جوهر العلاقة اتجه نحو إدخال المستثمرين الكبار في ترتيبات الارض عبر غطاء فيدرالي، وربط التعويض المالي بصيغ استثمارية طويلة الأمد.

الهوامش:

(١) ماونت فيرنون: المقر الريفي للرئيس الأمريكي جورج واشنطن، يقع على ضفاف نهر بوتوماك في ولاية فرجينيا، وُلد كمزرعة صغيرة في منتصف القرن السابع عشر حين استقرت فيها عائلة واشنطن، ثم ورثها جورج واشنطن عام ١٧٦١ فحولها إلى منزل رئيسي يعكس مكانته الاجتماعية والسياسية. ضم العقار أراضي زراعية واسعة ومباني خدمية متعددة، وأصبح لاحقاً رمزاً لطبقة المزارعين في الجنوب الأمريكي. بعد الثورة الأمريكية استقبل ماونت فيرنون العديد من الضيوف السياسيين والدبلوماسيين، وبقي مقر إقامة واشنطن حتى وفاته في ١٤ كانون الأول ١٧٩٩، حيث دُفن هناك. تحول المقر في القرن التاسع عشر إلى موقع تذكاري وطني تديره جمعية نساء ماونت فيرنون منذ عام ١٨٥٨. للمزيد من التفاصيل انظر :

Scott E. Casper, Constructing American Lives: Biography and Culture in Nineteenth-Century America, Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1999, PP. 77–80.

(2) Paul Leicester Ford , Thomas Jefferson Writings, Volume 6, New York, G.P. Putnam's Sons, 1899, P. 94.

(3) Joseph J. Ellis, Founding Brothers: The Revolutionary Generation, New York, Vintage Books, 2002, PP. 121 – 123.

(٤) صمويل آدامز: زعيم سياسي أمريكي وأحد أبرز قادة الثورة الأمريكية، وُلد في ٢٧ أيلول ١٧٢٢ بمدينة بوسطن في مستعمرة خليج ماساتشوستس، وتخرج في جامعة هارفارد عام ١٧٤٠ بدراسة الفلسفة والعلوم السياسية. برز كمنظم أساسي لحركة المعارضة ضد السياسة البريطانية، وساهم في تأسيس لجنة المراسلات التي لعبت دوراً محورياً في تنسيق المقاومة بين المستعمرات. شارك في تنظيم احتجاجات "حزب الشاي في بوسطن" عام ١٧٧٣، وانتُخب عضواً في الكونغرس القاري حيث وقع على إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦. شغل منصب حاكم ولاية ماساتشوستس بين ١٧٩٤ و١٧٩٧، وعُرف بدفاعه عن الحقوق الفردية ومبدأ السيادة الشعبية. توفي في ٢ تشرين الأول ١٨٠٣ في بوسطن. للمزيد من التفاصيل انظر :

Mark Puls, Samuel Adams: Father of the American Revolution, New York: Palgrave Macmillan, 2006, PP. 134–139.

(٥) باتريك هنري: خطيب ومحامٍ وسياسي أمريكي بارز، وُلد في ٢٩ أيار ١٧٣٦ في مقاطعة هانوفر بولاية فرجينيا، تلقى تعليماً أساسياً في المنزل ثم اتجه إلى التجارة قبل أن يدرس القانون ويبدأ ممارسة المحاماة عام ١٧٦٠. اكتسب شهرة واسعة بخطابه الناري ضد قانون الطوابع البريطاني عام ١٧٦٥، كما عُرف بخطبته الشهيرة في آذار ١٧٧٥ التي تضمنت عبارته الشهيرة "أعطني الحرية أو أعطني الموت". انتُخب عضواً في مجلس النواب عن فرجينيا، وكان من أوائل المطالبين بالانفصال عن بريطانيا. تولى منصب أول حاكم منتخب لولاية فرجينيا بين عامي ١٧٧٦ و١٧٧٩ ثم عاد إلى المنصب في مدة لاحقة من ١٧٨٤ إلى ١٧٨٦. عُرف بدفاعه عن حقوق الولايات، وانتقد الدستور الفدرالي الجديد قبل إقراره. توفي في ٦ حزيران ١٧٩٩ في مقاطعة كامبل بفرجينيا. للمزيد من التفاصيل انظر :

Jon Kukla, Patrick Henry: Champion of Liberty, New York: Simon & Schuster, 2017, PP. 201–207.

(٦) الحزب الفدرالي الأمريكي: أول الأحزاب السياسية المنظمة في الولايات المتحدة، تأسس عام ١٧٩١ على يد ألكسندر هاملتون وعدد من أنصاره من النخب التجارية والمالية في الشمال الشرقي. ارتكز برنامجه السياسي على دعم الحكومة الفدرالية القوية، وتشجيع الصناعة والتجارة، وتوثيق العلاقات الاقتصادية مع بريطانيا. هيمن الحزب على السياسة الأمريكية في عقد التسعينيات من القرن الثامن عشر، حيث تولى رئاسته جورج واشنطن بصورة غير مباشرة، بينما انتُخب جون آدامز رئيساً باسم الحزب عام ١٧٩٦. عُرف الفدراليون بتشريعهم قوانين الأجانب والتحريض (١٧٩٨) التي أثارت جدلاً واسعاً. تراجع نفوذ الحزب بعد عام ١٨٠٠ مع صعود الجمهوريين–الديمقراطيين بقيادة توماس جيفرسون، وانتهى عملياً بعد حرب ١٨١٢ حين فُسرت معارضة بعض قادته للحرب على أنها نزعة انفصالية. للمزيد من التفاصيل انظر :

Stanley Elkins and Eric McKitrick, The Age of Federalism, New York: Oxford University Press, 1993, PP. 115–120.

(7) Joseph J. Ellis, Op. Cit., PP. 163 – 164.

(٨) توماس بنكني: سياسي ودبلوماسي وعسكري أمريكي، وُلد في ٢٣ تشرين الأول ١٧٥٠ في تشارلستون بولاية كارولاينا الجنوبية، وتلقى تعليمه في أكسفورد قبل أن يعود إلى المستعمرات الأمريكية ويشارك في حرب الاستقلال ضابطاً في الجيش القاري. بعد الحرب تولى منصب حاكم كارولاينا الجنوبية بين عامي ١٧٨٧ و١٧٨٩، ثم عُين وزيراً مفوضاً لدى بريطانيا عام ١٧٩٢، حيث تفاوض على معاهدة سان لورينزو مع إسبانيا عام ١٧٩٥ التي ضمنت حرية الملاحة الأمريكية في نهر المسيسيبي. لعب دوراً بارزاً في السياسة الفدرالية، ورشحه الحزب الفدرالي لمنصب نائب الرئيس عام ١٧٩٦. كما خدم ضابطاً في الجيش الأمريكي خلال حرب ١٨١٢. توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٢٨ في تشارلستون. للمزيد من التفاصيل انظر :

Walter Charlton Hartridge, The Letters of Thomas Pinckney, 1768–1828, Athens: University of Georgia Press, 1974, PP. 88–93.

(٩) آرون بور : سياسي امريكي ولد بور في مدينة نيوارك بولاية نيوجيرسي عام ١٧٥٦ ، وقد درس اللاهوت منذ صغره بناءاً على رغبة ابيه ، ثم درس القانون عندما انتقل الى كنكتكت ، عقب ذلك خدم بور كضابط في الجيش القاري في الحرب الثورية الأمريكية ، وبعد ذلك أصبح محاميًا وسياسيًا ناجحًا ، وتم انتخابه مرتين في في الهيئة التشريعية بولاية نيويورك بين الاعوام (١٧٨٤ – ١٧٨٥ ، ١٧٩٨ – ١٧٩٩) ، وتم اختياره ممثلاً في مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك بين عامي (١٧٩١ – ١٧٩٧) ، ثم انتخابه نائباً للرئيس توماس جيفرسون بين عامي (١٨٠١ – ١٨٠٥) ، وبعد ان تم اتهامه في المؤامرة التي سميت بأسمه عام ١٨٠٦ انتهت مسيرة بور السياسية على الرغم من تبرئته من تلك التهمة ، ليقضي بقية حياته بالعمل في القانون حتى وفاته عام ١٨٣٦ في مدينة نيويورك ، للمزيد من التفاصيل انظر :

Hugh Chisholm , The Encyclopaedia Britannica : A Dictionary of Arts Sciences Literature and General Information , 11thed. , Vol. 6 , London ,1911 ,P. 861.

(10) Gordon S. Wood, Empire of Liberty: A History of the Early Republic 1789–1815, New York, Oxford University Press, 2009, P. 210.

)11(Rossiter Johnson, The Story of the Constitution of the United States, New York, Wessels & Bissell Company, 1905, P. 174.

(١٢) الحزب الجمهوري–الديمقراطي الأمريكي، أحد أول حزبين سياسيين في الولايات المتحدة، تأسس عام ١٧٩٢ بقيادة توماس جيفرسون وجيمس ماديسون، كرد فعل على السياسات المركزية للحزب الفدرالي. استند برنامجه على الدفاع عن حقوق الولايات والالتزام بتفسير ضيق للدستور، وتشجيع الاقتصاد الزراعي على حساب التجاري الصناعي، إضافة إلى دعم فرنسا الثورية في سياستها الخارجية. برز الحزب كقوة سياسية كبرى بعد انتخابات ١٨٠٠ التي أوصلت جيفرسون إلى الرئاسة، فبدأ ما عُرف بـ "عصر الجمهوريين–الديمقراطيين". هيمن الحزب على السياسة الأمريكية في العقدين الأولين من القرن التاسع عشر، عبر رئاسات جيفرسون وماديسون ومونرو، وبلغ ذروة قوته في "عصر المشاعر الطيبة" (١٨١٧–١٨٢٥). انقسم لاحقاً في عشرينيات القرن التاسع عشر إلى فصيلين أسهما في نشوء الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري الوطني. للمزيد من التفاصيل انظر :

Noble E. Cunningham Jr., The Jeffersonian Republicans: The Formation of Party Organization, 1789–1801, Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1957, PP. 56–61.

)13(Henry Stephens Randall, The Life of Thomas Jefferson , Volume 2, New York, Derby & Jackson Books, 1858, PP. 315 – 316.

)14(American State Papers documents, legislative and executive, of the Congress of the United States , Volume 1, Gales and Seaton Publisher, 1832 , P. 39.

)15(William Hickey, The Constitution of the United States of America, with an Alphabetical Analysis , T.K. & P.G. Collins Publisher, 1851, P. 273.

(١٦) فرانسيس بول بروتشا، مؤرخ وأكاديمي أمريكي متخصص في تاريخ سياسة الولايات المتحدة تجاه السكان الأصليين، وُلد في ٤ كانون الثاني ١٩٢١ في رود أيلاند، حصل على شهادة البكالوريوس عام ١٩٤١، ثم التحق بالخدمة العسكرية في الحرب العالمية الثانية. واصل دراسته بعد الحرب في جامعة هارفارد حيث نال الدكتوراه في التاريخ الأمريكي عام ١٩٥٠. التحق بجامعة ماركيت في ميلووكي أستاذاً للتاريخ، وكرس مسيرته العلمية لدراسة علاقة الحكومة الفدرالية بالقبائل الأمريكية الأصلية منذ القرن الثامن عشر. أصدر عدداً من المؤلفات البارزة مثل الأب العظيم The Great Father (١٩٨٤) وكتاب سياسة الأمريكيين الأصليين في السنوات التكوينية American Indian Policy in the Formative Years (١٩٦٢) التي عدت مراجع أساسية في هذا الحقل. تقاعد من التدريس عام ١٩٨٨، وتوفي في ٣٠ تموز ٢٠١٥ في ميلووكي. للمزيد من التفاصيل انظر :

https://www.historians.org/perspectives-article/father-francis-paul-prucha-sj-1921-2015-december-2015/

)17(Francis Paul Prucha, The Great Father: The United States Government and the American Indians , Volume 1, Lincoln Publisher , Nebraska, 1984, P. 118.

)[18](Daniel H. Usner, "A Savage Feast They Made of It": John Adams and the Paradoxical Origins of Federal Indian Policy, Journal of the Early Republic, Vol. 33, No. 4 (Winter 2013), P. 609.

(١٩) فيليب الخامس: ملك إسبانيا وأول ملوك أسرة البوربون فيها، وُلد في ١٩ كانون الأول ١٦٨٣ بفرساي في فرنسا، وهو حفيد الملك لويس الرابع عشر. تلقى تعليماً ملكياً فرنسياً ركز على شؤون السياسة والحكم، ثم اعتلى عرش إسبانيا عام ١٧٠٠ بعد وفاة الملك كارلوس الثاني من أسرة هابسبورغ، ما أدى إلى اندلاع حرب الخلافة الإسبانية (١٧٠١–١٧١٤). انتهت الحرب بتوقيع معاهدة أوترخت ١٧١٣ التي ثبتته ملكاً على إسبانيا مقابل تنازلات إقليمية كبيرة، لتبدأ مرحلة جديدة من النفوذ الفرنسي في شبه الجزيرة الإيبيرية. خلال حكمه (١٧٠٠–١٧٢٤، ثم ١٧٢٤–١٧٤٦) أدخل إصلاحات إدارية وعسكرية عُرفت بـ "الإصلاحات البوربونية" التي هدفت إلى تعزيز سلطة الدولة المركزية. تنازل عن العرش مؤقتاً عام ١٧٢٤ لصالح ابنه لويس الأول، لكنه عاد بعد وفاته ليتابع الحكم حتى رحيله. توفي في ٩ تموز ١٧٤٦ في مدريد. للمزيد من التفاصيل انظر :

Henry Kamen, Philip V of Spain: The King Who Reigned Twice, New Haven: Yale University Press, 2001, PP. 73–78.

)[20](Daniel H. Usner, Op. Cit., P. 614.

(٢١) معاهدة السبع أُمم الكندية: اتفاق أُبرم عام ١٧٩٦ بين السلطات البريطانية في كندا وممثلي اتحاد قبائل السبع أُمم، وهم مجموعة من الجماعات الأصلية ذات الانتماء الإيريكوي والألغونكي، تمركزت على ضفتي نهر سانت لورنس قرب مونتريال. هدفت المعاهدة إلى تثبيت ولاء تلك القبائل للتاج البريطاني بعد الحرب الثورية الأميركية، وتنظيم أوضاعهم القانونية والتجارية، مع الاعتراف بامتيازات خاصة لهم في أراضيهم المحاذية للحدود الجديدة مع الولايات المتحدة. نصت المعاهدة على حقهم في البقاء داخل مستوطناتهم التقليدية، وممارسة الصيد والتجارة بحرية نسبية تحت إشراف الإدارة البريطانية، لكنها في الوقت نفسه أدرجتهم ضمن المنظومة القانونية الاستعمارية، ما مهد لاحقًا لتحويلهم إلى جماعات "خاضعة" بدلاً من كيانات مستقلة. للمزيد من التفاصيل انظر :

Francis, R. Douglas, Origins: Canadian History to Confederation, Toronto, Harcourt Brace, 1996, PP. 214-216.

)[22](United States. Congress Senate, Senate Documents, Otherwise Publ. as Public Documents and Executive Documents, Vol.2, Washington, DC, 1888, P. 529.

(٢٣) إسحاق سميث: ممثل الحكومة الفدرالية الأمريكية في القرن التاسع عشر، وُلد في عام ١٧٥١ في نيويورك، تلقى تعليمه الأولي في مدارس محلية ثم واصل دراسته في مجال القانون والإدارة العامة، وعُين بعدها في عدة مناصب مرتبطة بالعمل الحكومي. مثل السلطة الفدرالية في عدد من المفاوضات والإجراءات الرسمية مع السكان الأصليين، كما تولى مهام إدارية في بعض الولايات الحدودية، وساهم في تطبيق القوانين الفدرالية. توفي في عام ١٨٢٧. للمزيد من التفاصيل انظر :

Richard White, The Middle Ground: Indians, Empires, and Republics in the Great Lakes Region, 1650–1815, Cambridge: Cambridge University Press, 1991, PP. 233–235.

(٢٤) أبراهام تِن بروك: سياسي أمريكي بارز، وُلد في ١٣ أيار ١٧٣٤ بمدينة ألباني في ولاية نيويورك، تلقى تعليمه في مدارس محلية ثم تدرب على شؤون التجارة والإدارة ضمن أسرته التي عُرفت بنفوذها في منطقة ألباني. شغل منصب عضو في الجمعية الاستعمارية لولاية نيويورك بين عامي ١٧٥٩ و١٧٦٨، ثم تولى رئاسة مجلس الشيوخ في الولاية بعد الاستقلال الأمريكي، كما انتُخب رئيساً لمجلس أمناء ألباني. لعب دوراً في تنظيم الميليشيات المحلية خلال الحرب الثورية الأمريكية، ثم تولى منصب عمدة ألباني بين عامي ١٧٧٩ و١٧٨٣. توفي في ٦ كانون الثاني ١٨١٠ في ألباني. للمزيد من التفاصيل انظر :

James R. Case, Abraham Ten Broeck: Gentleman of Albany, 1734–1810, Albany Institute of History and Art, 1958, PP. 41–45.

(٢٥) جون ديزيرونتيون: زعيم محارب من قبيلة الموهوك وأحد أبرز حلفاء التاج البريطاني خلال حرب الاستقلال الأمريكية، وُلد في العقد الثالث من القرن الثامن عشر في وادي الموهوك شمال ولاية نيويورك. شارك إلى جانب البريطانيين في عدة معارك ضد الثوار الأمريكيين، وعُرف بدوره في قيادة مجموعات من المحاربين في الحملات الحدودية. بعد هزيمة البريطانيين عام ١٧٨٣، قاد أتباعه من الموهوك إلى كندا واستقر بهم في منطقة خليج باي كوينتي قرب نهر باي أوف كوينت، حيث حصلوا على أراضٍ منحتها لهم السلطات البريطانية مكافأة على ولائهم. ارتبط اسمه بتأسيس مجتمع الموهوك هناك، وظل شخصية بارزة في الدفاع عن حقوقهم أمام السلطات الاستعمارية. توفي عام ١٨١١ في باي كوينتي. للمزيد من التفاصيل انظر:

James Paxton, Joseph Brant and His World: 1735–1807, Toronto: James Lorimer & Company, 2008, PP. 211–214.

(26) United States, Indian Affairs: Treaties, U.S. Government Printing Office, 1904 , P. 51.

(27) United States. Congress Senate, Senate Documents, Otherwise Executive Documents, Vol.2, Op. Cit., P. 529.

(28) Charles Joseph Kappler, Indian Affairs: Laws and Treaties, U.S. Government Printing Office, 1903 , P. 1086.

(29) United States, Indian Affairs: Treaties, Op. Cit., P. 51.

(30) Kappler, Op. Cit., P. 1086.

(31) United States, Indian Affairs: Treaties, Op. Cit., P. 51.

(32) Kappler, Op. Cit., P. 1086.

(٣٣) جيرميا وادزورث: رجل أعمال وسياسي أمريكي، وُلد في ١٢ تموز ١٧٤٣ في هارتفورد بولاية كونيتيكت، تلقى تعليماً متواضعاً قبل أن يتجه إلى العمل في البحر، ثم دخل عالم التجارة ليصبح أحد أبرز رجال الأعمال في نيو إنغلاند. خلال حرب الاستقلال الأمريكية عُين وكيلاً عاماً لتموين الجيش القاري بين ١٧٧٨ و١٧٧٩، فكان مسؤولاً عن الإمدادات الغذائية واللوجستية للقوات. عُرف بقربه من الجنرال جورج واشنطن ومساعدته في تنظيم الشؤون المالية والعسكرية. بعد الحرب انتُخب عضواً في مجلس النواب القاري عام ١٧٨٨، ثم أصبح ممثلاً لكونيتيكت في مجلس

النواب الأمريكي بين ١٧٨٩ و١٧٩٥. ساهم في تطوير التجارة البحرية والمالية في ولايته، وكان من أثرياء عصره. توفي في ٣٠ نيسان ١٨٠٤ في هارتفورد. للمزيد من التفاصيل انظر :

George S. Brooks, Yankee Traders, Old Coasters and Sea Captains, New York: Coward–McCann, 1939, PP. 201–205.

(34) United States. Bureau of Indian Affairs, Annual Report of the Commissioner of Indian Affairs to the Secretary of the Interior, Washington, DC, 1877, P. 163.

(٣٥) روبرت موريس: رجل دولة وممول أمريكي بارز في الثورة الأمريكية، وُلد في ٢٠ كانون الثاني ١٧٣٤ في ليفربول بإنكلترا، وهاجر إلى مستعمرات أمريكا الشمالية عام ١٧٤٧ ليستقر في فيلادلفيا. تلقى تعليمه الأساسي هناك ثم انخرط في التجارة البحرية، فكون ثروة كبيرة جعلته من أبرز التجار في بنسلفانيا. انتُخب عضواً في المؤتمر القاري، وشارك في التوقيع على إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦، ثم على مواد الاتحاد عام ١٧٧٨ والدستور الأمريكي عام ١٧٨٧. خلال الحرب الثورية تولى منصب "المشرف على المالية" بين ١٧٨١ و١٧٨٤، حيث نظم موارد الدولة وممول الجيش القاري عبر قروض واتفاقيات ائتمان. بعد إقرار الدستور أصبح عضواً في مجلس الشيوخ عن بنسلفانيا (١٧٨٩–١٧٩٥). عُرف بلقب "ممول الثورة الأمريكية"، لكن استثماراته العقارية لاحقاً أوقعته في ديون كبيرة أدت إلى سجنه لفترة قصيرة. توفي في ٨ أيار ١٨٠٦ في فيلادلفيا. للمزيد من التفاصيل انظر :

Charles Rappleye, Robert Morris: Financier of the American Revolution, New York: Simon & Schuster, 2010, PP. 144–150.

(36) United States. Congress Senate, Senate Documents, Otherwise Executive Documents, Vol.2, Op. Cit., P. 529.

(٣٧) توماس موريس: محامٍ وسياسي أمريكي، وُلد في ٣ كانون الثاني ١٧٧٦ في مقاطعة ليتشفيلد بولاية كونيتيكت، وهو نجل الممول الشهير روبرت موريس أحد الآباء المؤسسين. درس القانون ومارسه في أوهايو، حيث أصبح من أوائل المدافعين عن مبادئ الجمهورية الجديدة. انتُخب عضواً في مجلس النواب الأمريكي ممثلاً عن ولاية أوهايو بين عامي ١٨٣٣ و١٨٣٩، واشتهر بمواقفه الصريحة المناهضة للعبودية، إذ كان من أبرز الأصوات الداعية إلى إلغائها داخل الكونغرس. مثل التيار الجمهوري–الديمقراطي في البداية، ثم تقرب من حركات التحرير والإصلاح الاجتماعي في أربعينيات القرن التاسع عشر. عُرف بنزاهته واستقلاليته السياسية رغم الضغوط التي تعرض لها من القوى المؤيدة للعبودية. توفي في ٧ كانون الأول ١٨٤٤ في مدينة سينسيناتي بولاية أوهايو. للمزيد من التفاصيل انظر :

Stanley Harrold, The Abolitionists and the South, 1831–1861, Lexington: University Press of Kentucky, 1995, PP. 92–95.

(٣٨) وليام شيبرد: عسكري وسياسي أمريكي، وُلد في ١ كانون الأول ١٧٣٧ في وستفيلد بولاية ماساتشوستس. التحق بالميليشيا المحلية منذ شبابه وشارك في الحرب الفرنسية والهندية (١٧٥٤–١٧٦٣)، ثم خدم ضابطاً في الجيش القاري خلال الثورة الأمريكية، وارتقى إلى رتبة عميد. شارك في عدة معارك منها معركة بونكر هيل ومعركة لونغ آيلاند وحملة نيوجيرسي، كما تولى قيادة قوات في وادي هدسون. بعد الحرب خدم في ميليشيا ماساتشوستس، واشتهر بدوره في قمع تمرد شايز (١٧٨٦–١٧٨٧) حيث قاد القوات الحكومية ضد المتمردين. انتُخب لاحقاً عضواً في

مجلس النواب الأمريكي ممثلاً لولاية ماساتشوستس بين ١٧٩٧ و١٨٠٢. عُرف باستقامته وولائه للمؤسسات الجمهورية الناشئة. توفي في ١٦ تشرين الثاني ١٨١٧ في مسقط رأسه وستفيلد. للمزيد من التفاصيل انظر :

Leonard L. Richards, Shays's Rebellion: The American Revolution's Final Battle, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2002, PP. 131–135.

(٣٩) ويليام بايرد الثاني: مزارع وكاتب وسياسي من فرجينيا، وُلد في ٢٨ آذار ١٦٧٤ في ويستوفر بفرجينيا، وهو ابن عائلة إنكليزية بارزة استقرت في المستعمرات. تلقى تعليماً متقدماً في إنكلترا حيث درس القانون في ميدل تمبل بلندن، كما انخرط في الأوساط الفكرية والعلمية البريطانية. عاد إلى فرجينيا ليتولى إدارة أملاك أسرته الزراعية الواسعة على نهر جيمس، وأصبح من كبار ملاك العبيد ومزارعي التبغ. انتُخب عضواً في مجلس النواب الاستعماري، ولعب دوراً في الشؤون السياسية والاجتماعية لمستعمرة فرجينيا. عُرف أيضاً بمؤلفاته مثل The History of the Dividing Line الذي تناول فيه مسح الحدود بين فرجينيا وكارولاينا الشمالية، كما كتب يوميات ورسائل تُعد من أهم المصادر عن الحياة في فرجينيا الاستعمارية. توفي في ٢٦ آب ١٧٤٤ في ويستوفر. للمزيد من التفاصيل انظر :

Louis B. Wright, The Prose Works of William Byrd of Westover: Narratives of a Colonial Virginian, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1966, PP. 55–60.

(٤٠) كورنبلانتر: زعيم بارز من قبيلة السنيكا وديبلوماسي قبلي مؤثر في علاقات السكان الأصليين مع الولايات المتحدة، وُلد نحو عام ١٧٥٠ في بنسلفانيا، وهو ابن لتاجر هولندي وامرأة من السنيكا. برز اسمه خلال حرب الاستقلال الأمريكية قائداً محارباً إلى جانب البريطانيين، لكنه بعد الحرب اتجه إلى السلام والمفاوضة. شارك في المفاوضات التي قادت إلى معاهدات مهمة مثل فورت ستانويكس ١٧٨٤ وفيلادلفيا ١٧٩٤، حيث مثل مصالح السنيكا وحاول التوفيق بين الضغوط الأمريكية والحفاظ على أراضي قبيلته. منحته ولاية بنسلفانيا أرضاً على نهر أليغيني مكافأة على مساعيه السلمية، وأصبح شخصية مرجعية في الشؤون القبلية والسياسية حتى أوائل القرن التاسع عشر. توفي عام ١٨٣٦ في محمية كورنبلانتر ببنسلفانيا. للمزيد من التفاصيل انظر :

Anthony F. C. Wallace, The Death and Rebirth of the Seneca, New York: Knopf, 1970, PP. 145–150.

(41) Genesee County Pioneer Association, A History of Its Organization, List of Officers and Members, and the Annual Address, 1878, P. 16.

(٤٢) ساغوياواثا : (المعروف أوروبياً باسم ريد جاكِت)، خطيب وزعيم من قبيلة السنيكا في اتحاد الإيروكوا، وُلد نحو عام ١٧٥٠ في موطن السنيكا غرب نيويورك. اكتسب لقب "السترة الحمراء" لارتدائه سترة حمراء أهداها له ضباط بريطانيون أثناء حرب الاستقلال الأمريكية، حيث عمل مرسالاً ومحرضاً بين محاربي السنيكا. بعد الحرب لمع نجمه كخطيب ودبلوماسي قبلي مدافع عن أراضي قومه واستقلالهم؛ شارك في مفاوضات معاهدة كاناندیغوا (١٧٩٤) مع المبعوث الفدرالي تيموثي بيكرِنغ التي اعترفت ببعض أراضي السنيكا ومنحتهم معونات سنوية، ثم تورط في الجدل حول معاهدة الشجرة الكبيرة (١٧٩٧) التي تنازل فيها السنيكا عن معظم أراضي غرب نيويورك لوكلاء شركة "هولند لاند"، وقد عارض التنازل في البداية قبل أن يوقع تحت ضغط الانقسام الداخلي. دافع عن حق السنيكا في معتقداتهم

ما رسخ صورته كحارس للهوية الروحية. ظل شخصية مرجعية في الشؤون القبلية حتى وفاته في ٢٠ كانون الثاني ١٨٣٠. للمزيد من التفاصيل انظر:

Arthur C. Parker, Red Jacket: Seneca Chief, Buffalo: Buffalo Historical Society, 1919, PP. 45–52.

(٤٣) يونغ كينغ : قائد حربي وزعيم من قبيلة السنيكا في اتحاد الإيروكوا، وُلد قرابة ستينيات القرن الثامن عشر في بلاد السنيكا بغرب نيويورك. برز اسمه محارباً إلى جانب الحلف البريطاني خلال حرب الاستقلال الأميركية، ثم استقر بعد الحرب في بوفالو كريك وأصبح من أبرز المتحدثين في المجالس القبلية. شارك في مفاوضات معاهدة الشجرة الكبيرة (أيلول ١٧٩٧) التي تنازل فيها السنيكا عن معظم أراضي غرب نيويورك، وظل شخصية نافذة في قضايا الأرض والعلاقات مع الولايات المتحدة. أثناء حرب ١٨١٢ قاد محاربي السنيكا حليفاً للأميركيين وأصيب بجراح في معركة تشيباوا Chippawa عام ١٨١٤. عُرف خطيباً مؤثراً، وارتبط اسمه بحملة إصلاح اجتماعي داخل مجتمعه في عشرينيات القرن التاسع عشر. تُوفي نحو عام ١٨٣٥. للمزيد من التفاصيل انظر:

Arthur C. Parker, The Seneca Indians, Buffalo: Buffalo Historical Society, 1922, PP. 271–276; William Ketchum, An Authentic and Comprehensive History of Buffalo, Buffalo: Rockwell, Baker & Hill, 1864, PP. 112–116.

(44) United States. Congress Senate, Senate Documents, Otherwise Executive Documents, Vol.2, Op. Cit., PP. 529 – 530.

(45) United States. Bureau of Indian Affairs, Op. Cit., P. 163.

(٤٦) أوغسطس بورتر: مساح ومستكشف أمريكي، وُلد في ١٨ كانون الثاني ١٧٦٩ في مقاطعة ليتشفيلد بولاية كونيتيكت. تلقى تعليماً في العلوم الأساسية ثم عمل مساحاً في الأراضي الغربية الجديدة بعد الثورة الأمريكية. برز بدوره في أعمال المسح لمناطق أوهايو وبحيرة إيري، كما كان من أوائل الذين رسموا خرائط دقيقة لشلالات نياغرا وضواحيها. عُين مساحاً رسمياً في خدمة الحكومة الفدرالية وشارك في تخطيط الأراضي المفتوحة للاستيطان، وكان له دور مهم في تطوير البنية التحتية للغرب الأمريكي المبكر. انتقل لاحقاً إلى مدينة بلاك روك في نيويورك حيث ساهم في المشاريع التجارية والزراعية. توفي في ١٠ حزيران ١٨٤٩ في نياجارا فولز بولاية نيويورك. للمزيد من التفاصيل انظر :

Orsamus Turner, Pioneer History of the Holland Purchase of Western New York, Buffalo: Jewett, Thomas & Co., 1850, PP. 389–393.

(٤٧) جوزف إليكوت: مساح ومستوطن أمريكي بارز، وُلد في ١ تشرين الثاني ١٧٦٠ في مقاطعة باك بولاية بنسلفانيا، وتلقى تعليماً في الرياضيات والهندسة على يد والده الذي كان بدوره مساحاً. عُين عام ١٧٩٤ من قِبل جورج واشنطن للمشاركة مع شقيقه أندرو إليكوت في مسح حدود مقاطعة كولومبيا (واشنطن العاصمة). اشتهر بدوره الكبير مع شركة "هولاند لاند" في غرب نيويورك، حيث عمل مساحاً عاماً للأراضي الشاسعة التابعة للشركة ابتداءً من عام ١٧٩٧، وأسهم في تأسيس مدينة بافالو ووضع مخططها العمراني. لعب دوراً مهماً في تشجيع الاستيطان الزراعي

والتجاري في المنطقة، كما كان على صلة بالتعاملات مع قبائل الإيروكوا بشأن الأراضي. تقاعد عام ١٨٢١ بسبب تدهور صحته، وتوفي في ١٩ آب ١٨٢٦ في مدينة نيويورك. للمزيد من التفاصيل انظر :

William Chazanof, Joseph Ellicott and the Holland Land Company, Syracuse: Syracuse University Press, 1970, PP. 65–70.

)[48](Genesee County Pioneer Association, A History of Its Organization , Op. Cit., P. 16.

(٤٩) شركة هولند لاند : شركة استثمارية أوروبية أسسها عام ١٧٩٦ عدد من رجال الأعمال الهولنديين بغرض شراء وتطوير أراضٍ شاسعة في الولايات المتحدة، ولا سيما في ولاية نيويورك وغرب بنسلفانيا. اشترت الشركة ما يقارب ٣,٣ مليون فدان من الأراضي من روبرت موريس، أحد الآباء المؤسسين، في صفقة كبرى عُرفت بصفقة أراضي غرب نيويورك. أوكلت الشركة أعمال المسح والإدارة إلى جوزف إليكوت الذي وضع مخطط مدينة بافالو وأسهم في تنظيم عمليات الاستيطان. لعبت الشركة دوراً بارزاً في فتح مناطق الغرب للاستيطان الأمريكي من خلال بيع الأراضي للمزارعين والمستوطنين بأسعار وشروط ميسرة. على الرغم من نجاحها في تشجيع النمو العمراني والزراعي، واجهت صعوبات مالية بحلول ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وانتهى نشاطها تدريجياً. للمزيد من التفاصيل انظر :

William Chazanof, Joseph Ellicott and the Holland Land Company, Syracuse: Syracuse University Press, 1970, PP. 23–28.

)[50](United States. Bureau of Indian Affairs, Op. Cit., P. 163.

)[51](Genesee County Pioneer Association, A History of Its Organization , Op. Cit., P. 16.

)[52](United States. Bureau of Indian Affairs, Op. Cit., P. 164.

)[53](Jeremiah Evarts, Essays on the present crisis in the condition of the American Indians, New York, 1830 , P. 31 .

(٥٤) توماس بتلر: ضابط في الجيش الأمريكي وأحد أفراد عائلة بتلر العسكرية البارزة في بنسلفانيا، وُلد في ٢٨ أيار ١٧٥٠ في مقاطعة كارلايل بولاية بنسلفانيا. خدم في الجيش القاري خلال حرب الاستقلال الأمريكية، وشارك في عدة معارك حاسمة مثل معركة براندیواین ومعركة مونهماوث. بعد الاستقلال واصل الخدمة في الجيش النظامي، وتدرج في المناصب حتى تولى قيادة وحدات مشاة في الحملات ضد قبائل الشووني والميامي في شمال غرب الأراضي الأمريكية خلال تسعينيات القرن الثامن عشر. ارتبط اسمه لاحقاً بأزمة "ذيل الشعر" عندما رفض الامتثال لأمر قص شعره العسكري وفق التعليمات الجديدة، متمسكاً بزي المحارب التقليدي للثوار، ما عرضه لإجراءات تأديبية، توفي في ٧ أيلول ١٨٠٥ أثناء خدمته في أوهايو. للمزيد من التفاصيل انظر :

Walter H. Taylor, The Butler Family in American History, Philadelphia: Historical Society of Pennsylvania, 1937, PP. 92–97.

(٥٥) جورج والتون: سياسي وقاضٍ أمريكي وأحد الموقعين على إعلان الاستقلال، وُلد نحو عام ١٧٤٩ في مقاطعة برينس إدوارد بولاية فرجينيا. نشأ يتيماً وتدرب في مهنة النجارة قبل أن ينتقل إلى جورجيا حيث درس القانون وأصبح محامياً ناجحاً في مدينة سافانا. برز كزعيم في حركة الاستقلال، فانتُخب مندوباً عن جورجيا في المؤتمر القاري الثاني ووقع على إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦. خدم في الجيش الثوري برتبة عقيد في ميليشيا جورجيا، وأُصيب وأُسر في معركة

سافانا عام ١٧٧٨. بعد تبادله عاد إلى الحياة السياسية، فتولى منصب حاكم جورجيا لفترات متقطعة بين ١٧٧٩ و١٧٨٠ ثم بين ١٧٨٩ و١٧٩٠، كما عُين قاضياً في المحكمة العليا للولاية. عُرف بمواقفه المؤيدة للاتحاد الفدرالي. توفي في ٢ شباط ١٨٠٤ في مقاطعة أوغوستا بولاية جورجيا. للمزيد من التفاصيل انظر :

George C. Rogers Jr., George Walton: Signer of the Declaration of Independence, Athens: University of Georgia Press, 1969, PP. 55–60.

)[56](Smithsonian Institution. Bureau of Ethnology, Annual Report of the Bureau of Ethnology to the Secretary of the Smithsonian Institution, Vol. 5, U.S. Government Printing Office, 1887, P. 174.

(٥٧) سيلاس دينسمور: موظف ودبلوماسي أمريكي في شؤون السكان الأصليين، وُلد عام ١٧٦٦ في نيوهامبشير، وتخرج في كلية دارتماوث عام ١٧٨٥ حيث تلقى تدريباً في اللغات والعلوم الإنسانية. عُين عام ١٧٩٤ وكيلاً للولايات المتحدة لدى أمة الشوكتو (Choctaw Nation) في إقليم المسيسيبي، وكان مسؤولاً عن تنفيذ السياسات الفدرالية المتعلقة بالمعاهدات والأراضي. عمل على التوسط في اتفاقيات عدة، ولا سيما معاهدة ١٨٠١ التي فتحت الطريق أمام مشروع "طريق ناتشيز" عبر أراضي الشوكتو. نُقل لاحقاً إلى مناصب أخرى في خدمة الحكومة، بما في ذلك العمل مع وكالة الشيروكي. ارتبط اسمه أيضاً بالنزاعات حول الأراضي والتوترات بين الحكومة القبلية والفدرالية في مطلع القرن التاسع عشر. توفي عام ١٨٤٧ في ولاية كنتاكي. للمزيد من التفاصيل انظر :

Francis Paul Prucha, American Indian Policy in the Formative Years: The Indian Trade and Intercourse Acts, 1790–1834, Cambridge: Harvard University Press, 1962, PP. 122–126.

)[58](Daniel Webster, A Discourse Delivered at Plymouth In Commemoration of the First Settlement of New-England, Wells and Lilly Publisher, 1821, P. 31.

)[59](Jeremiah Evarts, Op. Cit., P. 32 ; Smithsonian Institution. Bureau of Ethnology, Annual Report of the Bureau of Ethnology, Op. Cit., P. 174.

(٦٠) فضيحة يازو: قضية سياسية واقتصادية بارزة في تاريخ ولاية جورجيا أواخر القرن الثامن عشر، تعود أحداثها إلى عام ١٧٩٥ عندما باع المجلس التشريعي لجورجيا نحو ٣٥ مليون فدان من الأراضي العامة الواقعة بين نهري يازو و المسيسيبي (ما يشمل أجزاء من ولايات ألاباما ومسيسيبي الحالية) إلى شركات مضاربة بأسعار زهيدة، وذلك بعد حصول عدد من النواب على رشى مباشرة من المضاربين. أثارت الصفقة غضباً شعبياً واسعاً، وأُحرِقت نسخة من القانون في ساحة عامة بمدينة لويسفيل عاصمة جورجيا آنذاك عام ١٧٩٦. لاحقاً، وبعد جدل طويل، أُلغي البيع بقرار من الكونغرس عام ١٨٠٢ حين تنازلت جورجيا عن أراضيها الغربية للحكومة الفدرالية. مع ذلك بقيت قضايا التعويض محل نزاع حتى حكمت المحكمة العليا في قضية Fletcher v. Peck (١٨١٠) لصالح المستثمرين، مما جعلها من أوائل القضايا التي رسخت مبدأ قدسية العقود في القانون الأمريكي. للمزيد من التفاصيل انظر :

C. Peter Magrath, Yazoo: Law and Politics in the New Republic, The Case of Fletcher v. Peck, Providence: Brown University Press, 1966, PP. 17–23.

)[61](Shosuke Sato, History of the Land Question in the United States, Johns Hopkins University , 1896, P. 39.

(٦٢) لائحة الشمال الغربي: تشريع أصدره الكونغرس القاري الثاني في ١٣ تموز ١٧٨٧ لتنظيم الحكم في إقليم الشمال الغربي الواقع بين نهر أوهايو والبحيرات العظمى ونهر المسيسيبي. وضعت اللائحة الإطار الإداري لتأسيس حكومات محلية انتقالية، ورسمت آلية تحول الإقليم إلى ولايات متساوية الحقوق مع الولايات الأصلية فور بلوغها حداً سكانياً معيناً (٦٠ ألف نسمة). نصت على حماية حرية المعتقد والحقوق المدنية، ومنعت فرض العبودية في الإقليم، فأسست بذلك تقليداً قانونياً مهماً أثر في توسع الولايات المتحدة غرباً. كما تضمنت بنوداً حول العلاقات مع السكان الأصليين، مؤكدة على معاملتهم بالعدالة وحماية أراضيهم ما لم يُنتزع بموجب معاهدة شرعية، وهو بند لم يُحترم فعلياً لاحقاً. شكلت اللائحة نموذجاً للتوسع المنظم، وأرست الأساس لقيام ولايات أوهايو وإنديانا وإلينوي وميشيغان وويسكونسن. للمزيد من التفاصيل انظر :

Peter S. Onuf, Statehood and Union: A History of the Northwest Ordinance, Bloomington: Indiana University Press, 1987, PP. 33–38.

(٦٣) قبيلة الشوكتو: إحدى أكبر قبائل المسكوجي الناطقة باللغات الألجونكية في الجنوب الشرقي من أمريكا الشمالية، تمركزت أراضيها التاريخية في مناطق ما يعرف اليوم بولايات ميسيسيبي وألاباما ولويزيانا. وُصفت الشوكتو في كتابات المستكشفين الفرنسيين منذ القرن السابع عشر بأنهم مزارعون مستقرون يزرعون الذرة والقطن ويطورون شبكة من القرى المستقرة. دخلت القبيلة في تحالفات مع الفرنسيين أوائل القرن الثامن عشر، ثم تعاملت مع البريطانيين والإسبان، قبل أن تصبح طرفاً في سلسلة معاهدات مع الولايات المتحدة بعد ١٧٨٦. مثلت الشوكتو إحدى "القبائل الخمس المتحضرة" بسبب سرعة تبنيهم أنماطاً من الزراعة والتعليم، لكنهم تعرضوا لضغوط مستمرة للتخلي عن أراضيهم. ابتداءً من معاهدة دوكستاند ١٨٢٠ وصولاً إلى معاهدة دانسنغ رابِت كريك ١٨٣٠ أُجبروا على التنازل عن معظم أراضيهم، ما أدى إلى ترحيلهم القسري في ما عُرف بـ درب الدموع نحو الإقليم الهندي. للمزيد من التفاصيل انظر :

Clara Sue Kidwell, The Choctaws in Oklahoma: From Tribe to Nation, 1855–1970, Norman: University of Oklahoma Press, 2007, PP. 3–9.

)[64](Shosuke Sato, Op. Cit., P. 39.

)[65](Shosuke Sato, Op. Cit., PP. 39 – 40.

)[66](John Bioren and W. John Duane, Laws of the United States of America, from the 4th of March, 1789, to the 4th of March, 1815, United States Congress, 1815, P. 125.

)[67](Bioren and Duane, Op. Cit., PP. 125 – 126.

(٦٨) الشيكاساو: أمةٌ من شعوب الجنوب الشرقي تتحدث لغة من عائلة المسكوجي ، تمركز موطنها التاريخي في شمال ميسيسيبي وامتد إلى غرب تينيسي وشمال غرب ألاباما وأطراف كنتاكي، عُرفوا منذ القرن الثامن عشر بمهارتهم القتالية وتحالفهم الوثيق مع البريطانيين في مواجهة النفوذين الفرنسي والإسباني، وخاضوا ما عُرف بحروب الشيكاساو ضد الفرنسيين وحلفائهم من قبائل الوادي السفلي. بعد الاستقلال الأمريكي أبرموا سلسلة معاهدات مع الولايات

المتحدة بدءاً بمعاهدة هوبول (١٧٨٦)، ثم توالت تنازلات الأرض حتى معاهدة بونتوتوك كريك (١٨٣٢) التي مهدت لتهجيرهم القسري غرب المسيسيبي ضمن سياسات الإزالة، انتقلوا بين عامي ١٨٣٧–١٨٣٨ إلى أوكلاهوما حيث تقاسموا الأرض أولاً مع الشوكتو قبل أن يحصلوا على كيانهم السياسي الخاص بموجب اتفاق عام ١٨٥٥. للمزيد من التفاصيل انظر:

James R. Atkinson, Splendid Land, Splendid People: The Chickasaw Indians to Removal, Tuscaloosa: University of Alabama Press, 2004, PP. 3–8 ; Arrell M. Gibson, The Chickasaws, Norman: University of Oklahoma Press, 1971, PP. 211–219.

)[69](Bioren and Duane, Op. Cit., PP. 140 – 141.

)[70](George Hiram Parmele and Henry Philip Farnham, The Lawyers Reports Annotated, Lawyers' Co–operative Publishing Company, 1912, P. 1079.

)[71](Parmele and Farnham, Op. Cit., P. 1079.

)[72](Parmele and Farnham, Op. Cit., PP. 1079– 1080.

)[73](Bioren and Duane, Op. Cit., P. 158.

)[74](Bioren and Duane, Op. Cit., PP. 158–159.

)[75](Parmele and Farnham, Op. Cit., P. 1081.

)[76](Parmele and Farnham, Op. Cit., PP. 1081– 1082.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

فكرة الشعب المختار وأثرها في تأسيس الكيان الصهيوني

The Idea of the Chosen People and Its Impact on the Establishment of the Zionist Entity

م.م. محسن فالح محمد
Mohsin Falih Mohammed
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد
University of Baghdad – College of Islamic Sciences
٠٧٧١١٩٤٣٦٣٧
muhsin.f@cois.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث

يتناول البحث فكرة "الشعب المختار" في الفكر اليهودي، وتأثيرها المباشر وغير المباشر في تأسيس الكيان الصهيوني. يستعرض البحث الجذور التاريخية والدينية لهذه الفكرة، وكيف تطورت عبر العصور، ثم يحلل كيفية توظيفها في الفكر الصهيوني الحديث، واستخدامها كأداة أيديولوجية وسياسية لتبرير إقامة دولة يهودية في فلسطين. كما يناقش البحث الانعكاسات السياسية والاجتماعية لهذه الفكرة في ممارسات الكيان الصهيوني منذ تأسيس كيانهم وحتى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الشعب المختار، الفكر اليهودي ، الصهيونية ، الكيان الصهيوني ، الدولة اليهودية ، فلسطين ، الأيديولوجيا الدينية ، الأيديولوجيا السياسية

Abstract

This academic study examines the concept of the “Chosen People” in Jewish thought and its direct and indirect impact on the establishment of the Zionist entity. The study traces the historical and religious roots of this concept and explores its development across different historical periods. It then analyzes how this concept was appropriated within modern Zionist thought and employed as an ideological and political instrument to justify the establishment of a Jewish state in Palestine. The study further discusses the political and social implications of this concept as reflected in Israeli policies and practices from the founding of the state to the present day.

Keywords: Chosen People, Jewish Thought, Zionism, Zionist Entity, Jewish State, Palestine, Religious Ideology, Political ideology.

المقدمة:

تعد فكرة "الشعب المختار" من المفاهيم المحورية في الديانة اليهودية والفكر اليهودي عبر التاريخ، وقد اكتسبت أهمية استثنائية في العصر الحديث مع ظهور الحركة الصهيونية ونجاحها في إقامة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨. وعلى الرغم من التباين في تفسيرات هذه الفكرة وتطبيقاتها عبر التاريخ اليهودي، إلا أنها شكلت ركيزة أساسية في البناء الأيديولوجي للمشروع الصهيوني، وأصبحت أداة فعالة في حشد الدعم اليهودي والعالمي لهذا المشروع. وفي الحقيقة ان الرؤية الصهيونية في جوهرها رؤية معادية للتاريخ بمعنى انهم يودون اعادة كتابة التاريخ، سواء تاريخ العرب أم تاريخ أعضاء الجماعات اليهودية أم تاريخ أرض فلسطين، وإعادة كتابة التاريخ هذه محاولة من جانبهم لفرض رؤية تاريخية جديدة تسوغ مسألة اغتصابهم لفلسطين لتبرير حق العودة الى فلسطين.

تقوم فكرة "الشعب المختار" على أساس الاعتقاد بأن الله قد اختار اليهود من بين جميع الشعوب ليكونوا شعبه الخاص، وأبرم معهم عهداً خاصاً يتضمن وعداً بأرض محددة (أرض الميعاد) وبركات خاصة مقابل التزامهم بتعاليمه وشرائعه. وقد تجلت هذه الفكرة في النصوص الدينية اليهودية، وخاصة في التوراة، وتطورت عبر العصور مع تطور الفكر الديني والفلسفي اليهودي.

إشكالية هذا البحث تتمحور حول كيفية توظيف فكرة "الشعب المختار" في المشروع الصهيوني، وتحويلها من مفهوم ديني روحي في جوهره إلى أداة سياسية وأيديولوجية لتبرير إقامة دولة يهودية في فلسطين، وما ترتب على ذلك من آثار على الصراع العربي–الصهيوني والسياسات الصهيونية تجاه الفلسطينيين والعرب عموماً. تكمن أهمية هذا البحث في أنه يسلط الضوء على الجذور الفكرية والأيديولوجية للمشروع الصهيوني، ويساعد على فهم أعمق للمنطلقات التي تحكم السياسات وتوجهاتها. كما أنه يقدم تحليلاً نقدياً لكيفية استخدام المفاهيم الدينية في السياق السياسي، وتأثير ذلك على الواقع الاجتماعي والسياسي في المنطقة.

المبحث الأول: الجذور التاريخية والدينية لفكرة "الشعب المختار"

تظهر فكرة "الشعب المختار" بوضوح في العديد من النصوص التوراتية، وتعد من المفاهيم المركزية في العهد القديم. ففي سفر التثنية، ورد: "**لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض**"[١]. وجاء في موضع آخر: "**فالآن إذا سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة**"[٢].

ارتبطت تلك النصوص بين "الاختيار" و"العهد" و"الأرض"، حيث يُنظر إلى اختيار اليهود شعباً خاصاً لله كجزء من عهد متبادل يتضمن التزام اليهود بالشريعة الإلهية، مقابل وعد الله بحمايتهم وإعطائهم أرض كنعان. وقد وُصفت هذه الأرض في التوراة بأنها "**أرض تفيض لبناً وعسلاً**"[٣]. مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن مفهوم "الاختيار" في السياق التوراتي ارتبط بالمسؤولية والالتزام الأخلاقي أكثر من ارتباطه بالتفوق أو الهيمنة، فالاختيار في جوهره كان تكليفاً بنشر التوحيد وقيم العدالة والرحمة، وليس امتيازاً للتسلط على الآخرين[٤].

شهدت فكرة "الشعب المختار" تحولات وتفسيرات متعددة عبر تاريخ الفكر اليهودي، متأثرة بالسياقات التاريخية والاجتماعية المختلفة التي عاش فيها اليهود، ففي فترة الهيكل الثاني (٥١٦ ق.م – ٧٠ م)، تعزز مفهوم "الاختيار" مع تطور الفكر القومي اليهودي في مواجهة الاحتلال الإغريقي ثم الروماني. ومع تدمير الهيكل الثاني عام ٧٠م وبدء الشتات اليهودي، تحول مفهوم "الاختيار" إلى مصدر للتعزية والأمل، اذ فُسر على أنه ضمان لعودة اليهود إلى أرضهم في المستقبل[٥].

تطورت فكرة "الشعب المختار" بشكل كبير في العصور الوسطى من خلال الكتابات الفلسفية والدينية اليهودية، اذ طور فلاسفة يهود مثل سعيد الفيومي Said al-Fayyumi (٨٨٢-٩٤٢م) وموسى بن ميمون Moses ben Maimon (١١٣٥-١٢٠٤م) تفسيرات أكثر عقلانية لفكرة "الاختيار"، مؤكدين أنها لا تعني تفوقاً عرقياً أو بيولوجياً، بل تفوقاً روحياً وأخلاقياً مشروطاً بالالتزام بالتعاليم الدينية[٦]. وفي المقابل، عمق التيار القبالي (العرفاني) في اليهودية مفهوم الاختيار كخصوصية جوهرية للشعب اليهودي، عاداً اليهود يمتلكون روحاً متميزة عن بقية البشر[٧]. وفي عصر التنوير، حاول بعض المفكرين اليهود مثل موسى مندلسونMoses Mendelssohn (١٧٢٩-١٧٨٦)[٨] إعادة تفسير مفهوم "الاختيار" بما يتلاءم مع قيم العقلانية والمساواة، معتبرين أن "الاختيار" يتمثل في الرسالة الأخلاقية التي يحملها اليهود للبشرية، وليس في أي تفوق عرقي أو قومي[٩].

مع ظهور الحركات القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر، بدأت فكرة "الشعب المختار" تأخذ طابعاً قومياً علمانياً، حيث تم توظيفها في سياق بناء الهوية القومية اليهودية، مما مهد الطريق لاستخدامها في الفكر الصهيوني لاحقاً[١٠]. وبالرغم من ان الشعب المختار في العقيدة اليهودية ليس شعباً بالمعنى السياسي الحديث، وإنما جماعة دينية مختارة مادامت أنها متمسكة بعقيدتها، الا ان الصهاينة جعلوا كلمة شعب تعني شعباً بالمعنى الحديث ولا يهم الإيمان بالعقيدة اليهودية من عدمه[١١]. واستغل العلمانيين اليهود ظهور الحركات القومية ونجحوا في تحويل الفكرة الروحية الى فكرة علمانية سياسية لكسب ود الشعوب والحكومات الاوربية التي حدثت فيها الثورات القومية تلك.

ارتبط مفهوم "أرض الميعاد" ارتباطاً وثيقاً بفكرة "الشعب المختار" في الفكر اليهودي، فوفقاً للتوراة، فإن الله قد وعد إبراهيم "حسب زعمهم" وذريته بأرض محددة: **"لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"**[١٢]. وقد تكرر هذا الوعد لإسحاق ويعقوب من بعده. وعلى الرغم من أن حدود "أرض الميعاد" تختلف في النصوص التوراتية المختلفة، إلا أنها تشمل بشكل عام أراضي فلسطين التاريخية وأجزاء من الأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق[١٣] .

في التقليد اليهودي الكلاسيكي، ارتبط الوعد بالأرض بالالتزام بالشريعة، وعد مشروطاً بالسلوك الأخلاقي للشعب اليهودي، كما أن الكثير من التفسيرات اليهودية التقليدية للنصوص المتعلقة بالأرض كانت ذات طابع روحي أكثر منه حرفي، خاصة في فترات الشتات[١٤]. مع ذلك، بقيت فكرة "أرض الميعاد" حاضرة في الوجدان اليهودي عبر العصور، وتجلت في الصلوات والطقوس اليهودية، مثل تكرار عبارة "السنة القادمة في القدس" في نهاية احتفال عيد الفصح، وتوجيه اليهود في صلواتهم نحو القدس[١٥]. وقد شكل هذا التعلق الروحي والوجداني بأرض فلسطين أرضية خصبة لاستثمارها لاحقاً في المشروع الصهيوني.

المبحث الثاني: الفكر الصهيوني الحديث وفكرة "الشعب المختار"

مع ظهور الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، شهد مفهوم "الشعب المختار" تحولاً جذرياً من إطاره الديني التقليدي إلى إطار قومي علماني، على يد مؤسسي الفكر الصهيوني مثل ماكس نورداو Max Nord (١٨٤٩-١٩٢٣) وآحاد هعام Ahad Ha'am (١٨٥٦-١٩٢٧) وثيودور هرتزل Theodor Herzl (١٨٦٠-١٩٠٤)[١٦]. فعلى الرغم من أن معظم الرواد الأوائل للحركة الصهيونية كانوا علمانيين، إلا أنهم استثمروا المفاهيم الدينية اليهودية، وعلى رأسها فكرة "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، وأعادوا صياغتها في إطار قومي حديث، فتحول "الشعب المختار" من مفهوم ديني يرتبط بالالتزام بالشريعة والقيم الأخلاقية، إلى مفهوم قومي يرتبط بالهوية القومية اليهودية وحقها في تقرير المصير[١٧].

عد آحاد هعام، أحد منظري الصهيونية الثقافية، أن "الاختيار" يتجلى في التفوق الروحي والثقافي للشعب اليهودي، وأن مهمة الصهيونية هي إحياء هذا التفوق من خلال إيجاد مركز روحي وثقافي يهودي في فلسطين[١٨]. ورأى في هذا المشروع تحقيقاً لرؤية تاريخية مرتبطة بفكرة الاختيار الإلهي، حيث أن اليهود يجب أن يكونوا نموذجاً أخلاقياً وروحياً للبشرية[١٩]. أما هرتزل، مؤسس الصهيونية السياسية، فرغم علمانيته، استخدم الرموز والمصطلحات الدينية في كتاباته السياسية، واستثمر فكرة "الوعد الإلهي" بأرض فلسطين كأساس "شرعي" للمطالبة بإقامة دولة يهودية فيها، مخاطباً الوجدان اليهودي المتشبع بهذه

المفاهيم[٢٠]. وبهذا التحول، أصبحت فكرة "الشعب المختار" أداة أيديولوجية فعالة في حشد الدعم اليهودي للمشروع الصهيوني، حيث أمكن توظيفها لمخاطبة اليهود المتدينين والعلمانيين على حد سواء.

لم تكتف الحركة الصهيونية بإعادة صياغة فكرة "الشعب المختار" في إطار قومي، بل قامت بتوظيفها سياسياً بشكل مكثف في خطابها الموجه للداخل اليهودي والخارج العالمي على حد سواء[٢١]. ففي خطابها الموجه إلى اليهود، استخدمت الصهيونية فكرة "الاختيار" كوسيلة لإحياء الشعور بالهوية القومية اليهودية المشتركة، وتعميق الولاء للمشروع الصهيوني، وتبرير الهجرة إلى فلسطين. كما استخدمت هذه الفكرة لتجاوز الانقسامات الطائفية والثقافية بين اليهود (الأشكناز والسفارديم والشرقيين)، وتوحيدهم تحت راية الانتماء إلى "الشعب المختار"[٢٢].

استثمرت الصهيونية في خطابها الموجه إلى العالم الغربي، لا سيما الدول المسيحية، التقارب بين المفاهيم اليهودية والمسيحية حول "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، للحصول على دعم هذه الدول. فقد وجدت الصهيونية في الأوساط البروتستانتية الإنجيلية، لا سيما في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، أرضاً خصبة لدعم مشروعها، انطلاقاً من إيمان هذه الأوساط بأن عودة اليهود إلى "أرض الميعاد" هي شرط مسبق لعودة المسيح[٢٣]. كما وظفت الصهيونية فكرة "الشعب المختار" في تبرير سياساتها الاستيطانية والتوسعية، معتبرة أن الحق التاريخي والديني لليهود في فلسطين يعلو على أي حقوق أخرى للسكان الأصليين[٢٤].

تباينت مواقف التيارات الصهيونية المختلفة من فكرة "الشعب المختار" وكيفية توظيفها في المشروع الصهيوني، وفقاً لخلفياتها الفكرية والأيديولوجية. فالصهيونية العمالية، التي هيمنت على الحركة الصهيونية والمؤسسات اليهودية في فلسطين قبل قيام الكيان الصهيوني وفي العقود الأولى بعد تأسيسها، تبنت رؤية علمانية لفكرة "الشعب المختار". وقاد هذا التيار دافيد بن غوريونDavid Ben-Gurion (١٨٨٦-١٩٧٣) و بيرل كاتزنيلسون Berl Katznelson (١٨٨٧-١٩٤٤)، ورغم استخدامهم للرموز والمصطلحات الدينية، فسروا "الاختيار" بمصطلحات اشتراكية، معتبرين أن "اختيار" الشعب اليهودي يتجلى في دوره الريادي ببناء مجتمع اشتراكي نموذجي في فلسطين[٢٥]. أما الصهيونية التنقيحية بزعامة فلاديمير جابوتينسكيVladimir Jabotinsky (١٨٨٠-١٩٤٠)، فقد تبنت رؤية قومية متطرفة لفكرة "الشعب المختار"، مؤكدة على تفوق "الديانة اليهودية" وحقها على (حد زعمه) بارض فلسطين دون تنازل عن أي جزء منها[٢٦].

بخلاف هذين التيارين العلمانيين، تبنت الصهيونية الدينية، التي برزت مع تأسيس حركة "مزراحي" Mizrachi عام ١٩٠٢، تفسيراً دينياً حرفياً لفكرة "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، معتبرة أن إقامة دولة يهودية في فلسطين هي تحقيق للوعد الإلهي وبداية للخلاص[٢٧]. وقد ازداد تأثير هذا التيار

الأخير بشكل كبير بعد حرب ١٩٦٧م واحتلال الكيان الصهيوني للضفة الغربية والقدس الشرقية، وكان من أبرز تجليات ذلك ظهور حركة "غوش إيمونيم" Gush Emunim (كتلة المؤمنين) في عام ١٩٧٤، بقيادة الحاخام تسفى يهودا كوك Zvi Yehuda Kook (١٨٩١-١٩٨٢)، والتي دعت إلى استيطان كامل في فلسطين باعتبار ذلك واجباً دينياً على الشعب اليهودي، وخطوة نحو الخلاص[٢٨]. وقد لعبت هذه الحركة دوراً محورياً في إقامة العديد من المستوطنات في الضفة الغربية، خاصة في المناطق ذات الأهمية الدينية[٢٩].

وعلى الرغم من هذه الاختلافات، إلا أن جميع التيارات الصهيونية، بدرجات متفاوتة، استثمرت فكرة "الشعب المختار" كإطار أيديولوجي لمشروعها السياسي، واستخدمتها في تعبئة اليهود حول هذا المشروع وإضفاء الشرعية عليه.

المبحث الثالث: فكرة "الشعب المختار" ودورها في تأسيس الكيان الصهيوني

لعبت فكرة "الشعب المختار" دوراً محورياً في تبرير الاستيطان اليهودي في فلسطين منذ بدايات المشروع الصهيوني في أواخر القرن التاسع عشر. فقد استند الخطاب الصهيوني إلى مفهوم "الوعد الإلهي" بالأرض، معتبراً أن اليهود، بوصفهم "الشعب المختار"، يملكون حقاً تاريخياً ودينياً في فلسطين يعلو على أي حقوق أخرى للسكان الأصليين[٣٠]. وكان من أبرز تجليات هذا الاستخدام شعار "**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**"، الذي روجته الدعاية الصهيونية، متجاهلة بذلك وجود الشعب الفلسطيني، أو معتبرة وجوده عارضاً وثانوياً مقارنة بـ "الحق التاريخي" للشعب اليهودي[٣١].

ساهمت فكرة "الاختيار" في تشكيل وعي المستوطنين اليهود الأوائل، الذين رأوا في استيطانهم لفلسطين عملاً مقدساً وتحقيقاً للوعد الإلهي. وكان لهذا الوعي أثر كبير في تحفيزهم على مواجهة الصعوبات والتحديات التي واجهتهم في بداية الاستيطان، من ظروف معيشية قاسية ومقاومة من السكان الأصليين[٣٢]. ولم يقتصر تأثير فكرة "الشعب المختار" على اليهود المتدينين، بل امتد إلى المستوطنين العلمانيين أيضاً، الذين تشربوا هذه الفكرة كجزء من تراثهم الثقافي، حتى وإن أعادوا تفسيرها بمصطلحات علمانية[٣٣]. فمثلاً، كان العمال اليهود في حركة "هبوعيل هاتزير" Hapoel Hatzair (العامل الشاب) التي تأسست عام ١٩٠٥، ينظرون إلى عملهم في استصلاح الأراضي الفلسطينية كـ "فداء للأرض المقدسة" وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين[٣٤]. وقد تعمقت هذه الرؤية مع نشوء الصراع مع الفلسطينيين، حيث استُخدمت فكرة "الشعب المختار" و"الوعد الإلهي" لتبرير الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية ومصادرتها، وبناء المستوطنات اليهودية، وطرد السكان الأصليين، باعتبار أن "حق اليهود في الأرض يسمو على أي حقوق أخرى"[٣٥].

لعبت المنظمات الصهيونية دوراً بارزاً في ترويج فكرة "الشعب المختار" وحقه في "أرض الميعاد" على المستوى العالمي، لحشد الدعم للمشروع الصهيوني[٣٦]. فمنذ تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧، عملت على مخاطبة الوجدان اليهودي في جميع أنحاء العالم، مستثمرة فكرة "الاختيار" لتعميق الشعور بالهوية القومية اليهودية المشتركة، وتحفيز اليهود على الهجرة إلى فلسطين، والمساهمة في بناء الدولة اليهودية[٣٧]. كما استهدفت المنظمات الصهيونية الرأي العام العالمي، خاصة في الدول الغربية المسيحية، مستثمرة التقارب بين المفاهيم اليهودية والمسيحية حول "الشعب المختار" و"أرض الميعاد". وقد نجحت في استمالة قطاعات واسعة في الغرب، خاصة المسيحيين الإنجيليين، الذين يؤمنون بأن عودة اليهود إلى "أرض الميعاد" هي شرط مسبق لعودة المسيح[٣٨].

كان للصندوق القومي اليهودي، الذي تأسس عام ١٩٠١، دور خاص في ترويج فكرة "الأرض المقدسة" التي يجب فداؤها وإعادتها إلى "شعب الله المختار". فقد جمع هذا الصندوق تبرعات من يهود العالم لشراء الأراضي في فلسطين وتوطين اليهود فيها، مستخدماً خطاباً دينياً يستند إلى فكرة الوعد الإلهي بالأرض[٣٩]. كما لعبت الوكالة اليهودية، التي تأسست عام ١٩٢٩، دوراً مهماً في تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتوفير الدعم للمستوطنين الجدد، معتمدة في خطابها على فكرة العودة إلى "أرض الآباء" المقدسة التي وُعد بها "الشعب المختار"[٤٠]. وقد استخدمت هذه المنظمات الصهيونية وسائل متعددة في ترويج فكرة "الشعب المختار" عالمياً، من خلال المنشورات والصحف والمؤتمرات والبعثات الدبلوماسية، إضافة إلى استثمار التعاطف العالمي مع اليهود بعد المحرقة النازية، لتقديم المشروع الصهيوني كتعويض تاريخي للشعب اليهودي الذي "اختاره الله" ووعده بأرض فلسطين[٤١].

لم تكن فكرة "الشعب المختار" مؤثرة في الوجدان اليهودي فحسب، بل امتد تأثيرها إلى الدول الاستعمارية، خاصة بريطانيا، التي لعبت دوراً حاسماً في دعم المشروع الصهيوني وتمكينه من تحقيق أهدافه في فلسطين[٤٢]. فقد كان العديد من الساسة البريطانيين، خاصة من البروتستانت المتدينين، متأثرين بالمفاهيم اليهودية والمسيحية حول "الشعب المختار" و"أرض الميعاد". ولعل أبرز مثال على ذلك آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour (١٨٤٨-١٩٣٠)، وزير الخارجية البريطاني الذي أصدر "وعد بلفور" عام ١٩١٧، والذي كان متأثراً بالأفكار المسيحية الصهيونية التي ترى في عودة اليهود إلى فلسطين تحقيقاً للنبوءات التوراتية[٤٣]. كما أن اللورد شافتسبري Shaftesbury (١٨٠١-١٨٨٥)، أحد كبار الساسة البريطانيين في القرن التاسع عشر، دعا إلى توطين اليهود في فلسطين، متأثراً بالفكر البروتستانتي الإنجيلي، وصاغ العبارة الشهيرة **"أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"**، التي تبنتها الحركة الصهيونية لاحقاً[٤٤].

لم يقتصر تأثير فكرة "الشعب المختار" على الساسة البريطانيين، بل امتد إلى العديد من الساسة الأمريكيين، خاصة من المتأثرين بالفكر البروتستانتي الإنجيلي. وقد تجلى هذا التأثير في الدعم الأمريكي المبكر للمشروع الصهيوني، مثل تأييد الرئيس الأمريكي وودرو ويلسونWoodrow Wilson (١٨٥٦-١٩٢٤) لوعد بلفور، وتصويت الولايات المتحدة لصالح قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، والذي أعطى لليهود حقاً في إقامة دولة على جزء من أرض فلسطين، على الرغم من أنهم كانوا أقلية سكانية[٤٥]. وبفضل هذا الدعم الاستعماري، استطاعت الحركة الصهيونية تحقيق هدفها في إقامة دولة يهودية في فلسطين عام ١٩٤٨، متجاوزة بذلك معارضة السكان الأصليين والدول العربية المجاورة[٤٦].

المبحث الرابع: الفكر الديني وتطبيق فكرة "الشعب المختار" في السياسة الصهيونية بعد عام ١٩٤٨

تجلت فكرة "الشعب المختار" بوضوح في النظام السياسي والقانوني للدولة اليهودية منذ تأسيسها عام ١٩٤٨، وحتى يومنا هذا. فقد تأسس الكيان الصهيوني كـ "دولة يهودية"، تعتبر نفسها الممثل السياسي للشعب اليهودي في العالم، وتستند في شرعيتها إلى الحق التاريخي والديني المزعوم لليهود في فلسطين[٤٧].

يتضح تأثير فكرة "الشعب المختار" في العديد من القوانين الصهيونية، وأبرزها "قانون العودة" الصادر عام ١٩٥٠، الذي يعطي لكل يهودي في العالم حق الهجرة إلى فلسطين والحصول على الجنسية بشكل تلقائي، بينما يُحرم الفلسطينيون الذين هجروا من أراضيهم عام ١٩٤٨ من حق العودة إلى ديارهم[٤٨]. وبرزت هذه الفكرة ايضاً في "قانون الأساس للدولة القومية للشعب اليهودي" الذي أقره الكنيست عام ٢٠١٨، والذي يؤكد على أن "حق تقرير المصير في دولة الكيان الصهيوني يقتصر على الشعب اليهودي"، وأن "الاستيطان اليهودي هو قيمة قومية"، مما يعطي شرعية قانونية للتمييز ضد المواطنين العرب في الكيان الصهيوني ولسياسات الاستيطان في الأراضي المحتلة[٤٩]. وعلى المستوى الرمزي، تظهر فكرة "الشعب المختار" في الرموز الوطنية الصهيونية، مثل العلم الذي يحمل نجمة داود، والنشيد الوطني "هاتيكفا"Hatikvah (الأمل) الذي يتحدث عن "نفس اليهودي" و"العين التي تنظر إلى صهيون"، والشعار الرسمي للدولة الذي يصور الشمعدان اليهودي Temple menorah (المينوراه)[٥٠].

أثرت فكرة "الشعب المختار" بشكل عميق في سياسات الكيان الصهيوني تجاه الفلسطينيين، فقد ساهمت هذه الفكرة في تشكيل رؤية استعلائية تنظر إلى الفلسطينيين كـ "آخر" أدنى مرتبة، وتبرر التمييز ضدهم[٥١]. فداخل الكيان الصهيوني، يعاني المواطنون العرب الفلسطينيون (الذين يشكلون نحو ٢٠% من السكان) من تمييز منهجي في مختلف مجالات الحياة، من التعليم والعمل إلى السكن والخدمات العامة[٥٢]. وقد وصفت العديد من منظمات حقوق الإنسان الدولية هذا التمييز بأنه يرقى إلى مستوى الفصل العنصري[٥٣]. أما في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ (الضفة الغربية وقطاع غزة

والقدس الشرقية)، فقد كانت سياسات الصهيوني أكثر قسوة، حيث شملت الاستيلاء على الأراضي، وبناء المستوطنات، وهدم المنازل، وفرض نظام تصاريح معقد يقيد حرية حركة الفلسطينيين(٥٤).

لعبت فكرة "الشعب المختار" دوراً مهماً في تبرير هذه السياسات، من خلال تقديم "الحق التاريخي والديني" لليهود في الأرض كأولوية على حقوق السكان الأصليين، كما ساهمت في تطوير خطاب يحط من قيمة الفلسطينيين ويصورهم كـ "غرباء" أو "متطفلين" على "أرض فلسطين"(٥٥). وشهدت فكرة "الشعب المختار" بروزاً خاصاً في المشروع الاستيطاني الصهيوني في الأراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧، خاصة في الضفة الغربية والقدس الشرقية، اللتان تعتبران جزءاً من "أرض فلسطين التاريخية" في الرؤية الصهيونية(٥٦). فقد أدى احتلال هذه المناطق، التي تشمل مواقع دينية مهمة في التاريخ اليهودي مثل القدس والخليل، إلى إحياء الرؤية الدينية لفكرة "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، وتعزيز دور التيارات الدينية في مجتمع الكيان الصهيوني(٥٧).

تستند الأيديولوجيا الاستيطانية إلى تفسير حرفي للنصوص التوراتية المتعلقة بـ "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، حيث تعتبر أن الله قد منح الأرض للشعب اليهودي، وأن الاستيطان فيها هو تحقيق للوعد الإلهي، وخطوة نحو "الخلاص"(٥٨). وقد أدى هذا الفكر الاستيطاني إلى تغيير جذري في الواقع الديموغرافي والجغرافي للأراضي المحتلة، حيث بلغ عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية والقدس الشرقية نحو ٦٥٠ ألف مستوطن بحلول عام ٢٠٢٠، موزعين على أكثر من ١٣٠ مستوطنة و١٠٠ بؤرة استيطانية(٥٩). وتمثل هذه المستوطنات، التي تعتبر غير قانونية وفقاً للقانون الدولي، عقبة رئيسية أمام تحقيق السلام وإقامة دولة فلسطينية مستقلة. فهي تقطع أوصال الأراضي الفلسطينية، وتسيطر على الموارد الطبيعية، وتقيد حرية حركة الفلسطينيين(٦٠).

تصاعد تأثير التيارات الدينية القومية المتطرفة في المجتمع وسياسة الكيان الصهيوني في العقود الأخيرة، مما أدى إلى تعزيز المشروع الاستيطاني وزيادة التطرف في التعامل مع الفلسطينيين. ومن أبرز تجليات ذلك صعود أحزاب اليمين الديني المتطرف، مثل "البيت اليهودي" و"عوتسما يهوديت" Otzma Yehudit(القوة اليهودية)، وتوليها مناصب وزارية مهمة في الحكومات الصهيونية الأخيرة(٦١).

المبحث الخامس: النقد الفكري والأخلاقي لفكرة "الشعب المختار"

على الرغم من هيمنة التفسير الصهيوني لفكرة "الشعب المختار" في الخطاب اليهودي المعاصر، إلا أن هناك تيارات يهودية متعددة قدمت نقداً عميقاً لهذا التفسير، ورفضت توظيفه في السياق السياسي الصهيوني(٦٢). فمن جهة، رفضت العديد من الجماعات اليهودية الأرثوذكسية المتشددة، مثل حركة "ناطوري كارتا" Neturei Karta (حراس المدينة)، الحركة الصهيونية وقيام الدولة، معتبرة أن إقامة دولة يهودية قبل ظهور المسيح المنتظر هو تمرد على الإرادة الإلهية وترى هذه الجماعات أن "الاختيار" يكون

في الالتزام بالشريعة اليهودية والقيم الأخلاقية، وليس في السيطرة على الأرض أو إقامة كيان سياسي[٦٣]. ومن جهة أخرى، قدمت تيارات يهودية إصلاحية وليبرالية، خاصة في الولايات المتحدة وأوروبا، تفسيرات أكثر أخلاقية وإنسانية لفكرة "الشعب المختار"، معتبرة أنها تعني مسؤولية أخلاقية خاصة، وليست امتيازاً أو تفوقاً على الآخرين. وقد رفضت هذه التيارات سياسات الكيان الصهيوني تجاه الفلسطينيين، معتبرة أنها تتناقض مع القيم الأخلاقية اليهودية[٦٤].

ظهرت في الدولة الصهيونية نفسها أصوات نقدية، من مفكرين وأكاديميين وناشطين يساريين، تنتقد توظيف فكرة "الشعب المختار" في تبرير سياسات الاحتلال والاستيطان والتمييز ضد الفلسطينيين. ومن أبرز هؤلاء المؤرخون إيلان بابي Ilan Pappé (١٩٥٤–حي الى الان) وتوم سيغف Tom Segev (١٩٤٥–حي الى الان) وبيني موريس Benny Morris (١٩٤٨–حي الى الان)، الذين قدموا قراءات نقدية للتاريخ الصهيوني [٦٥]. كما قدم المفكرون والكتاب الفلسطينيون والعرب نقداً عميقاً لفكرة "الشعب المختار" في سياقها الصهيوني، معتبرين أنها شكلت الأساس الأيديولوجي للمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين. فقد رأى إدوارد سعيد (١٩٣٥–٢٠٠٣)، المفكر الفلسطيني البارز، أن الصهيونية استخدمت فكرة "الشعب المختار" لتبرير استعمارها لفلسطين، وأنها تشكل نوعاً من "الاستشراق" الذي ينظر إلى الفلسطينيين كـ "آخر" أدنى مرتبة يمكن تجاهل حقوقه، كما انتقد سعيد استخدام الرواية التوراتية كأساس "تاريخي" للمطالبة بفلسطين، معتبراً أن هذا يعكس عدم احترام لتاريخ السكان الأصليين وحقوقهم[٦٦].

تناول ايضاً نور الدين مصالحة (١٩٥٧–حي الى الان) احد المؤرخين الفلسطينيين في كتاباته، كيف تم توظيف فكرة "أرض الميعاد" في خدمة المشروع الاستعماري الصهيوني، وكيف تم استبعاد السكان الأصليين من الخطاب الصهيوني، أو تصويرهم كـ "عقبة" يجب إزالتها من طريق تحقيق "الوعد الإلهي"[٦٧]. وقدم المفكر المصري عبد الوهاب المسيري (١٩٣٨–٢٠٠٨) في موسوعته "اليهودية والصهيونية" تحليلاً نقدياً معمقاً لفكرة "الشعب المختار" وتوظيفها في الفكر الصهيوني، معتبراً أنها تحولت من مفهوم ديني يرتبط بالمسؤولية الأخلاقية إلى أيديولوجيا علمانية تبرر الاستعمار والهيمنة[٦٨]. كما انتقد العديد من المفكرين العرب الجوانب العنصرية في بعض تفسيرات فكرة "الشعب المختار"، خاصة تلك التي تعتبر اليهود متفوقين بشكل جوهري على غيرهم من البشر، وتبرر على هذا الأساس انتهاك حقوق الآخرين[٦٩].

لم يقتصر النقد لفكرة "الشعب المختار" في سياقها الصهيوني على اليهود والعرب، بل شمل أيضاً مفكرين وباحثين غربيين، قدموا رؤى نقدية متعددة لهذه الفكرة وتوظيفها السياسي، فمن المنظور التاريخي، انتقد مؤرخون غربيون مثل شلومو ساند Shlomo Sand (١٩٤٦–حي الى الان) استخدام الرواية

التوراتية كأساس "تاريخي" للمطالبة بفلسطين، مشير إلى أن الأبحاث الأثرية والتاريخية الحديثة تشكك في دقة العديد من الروايات التوراتية، وأن التاريخ اليهودي في فلسطين كان جزءاً من تاريخ أوسع للمنطقة، شارك فيه شعوب وثقافات متعددة[٧٠]. ومن المنظور القانوني والأخلاقي، انتقد فلاسفة وحقوقيون غربيون مثل نعوم تشومسكي Noam Chomsky (١٩٢٨–حي الى الان) وجوديث بتلر Judith Butler (١٩٥٦–حي الى الان) استخدام فكرة "الشعب المختار" لتبرير انتهاك حقوق الفلسطينيين، معتبرين أن هذا يتناقض مع مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي، التي تؤكد على المساواة في الحقوق لجميع البشر، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو العرقية[٧١].

كما قدم علماء اجتماع وأنثروبولوجيا غربيون تحليلات نقدية لكيفية توظيف فكرة "الشعب المختار" في بناء الهوية القومية اليهودية ، وتأثير ذلك على العلاقات مع "الآخر" الفلسطيني والعربي[٧٢]. وبرز في السنوات الأخيرة اتجاه نقدي جديد في الغرب، يربط بين النقد الأخلاقي للصهيونية وبين حركات التحرر العالمية ومناهضة الاستعمار والعنصرية، معتبراً أن توظيف فكرة "الشعب المختار" في السياق الصهيوني يشكل شكلاً من أشكال "الاستثنائية" التي تتناقض مع قيم المساواة والعدالة[٧٣].

المبحث السادس: مستقبل فكرة "الشعب المختار" في ظل تحولات المشهد السياسي الداخلي والإقليمي والدولي

شهد مجتمع الكيان الصهيوني في العقود الأخيرة تحولات عميقة أثرت على فهم وتوظيف فكرة "الشعب المختار" في الخطاب السياسي والثقافي[٧٤]. فمن جهة، شهد الكيان الصهيوني صعوداً متزايداً للتيارات الدينية القومية المتطرفة، التي تتبنى تفسيراً حرفياً وقومياً لفكرة "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، وتستخدمها في تبرير سياسات الاستيطان والضم وإنكار حقوق الفلسطينيين. وقد انعكس هذا الصعود في زيادة نفوذ هذه التيارات في المشهد السياسي للكيان الصهيوني، وتوليها مناصب وزارية مهمة في الحكومات المتعاقبة الأخيرة[٧٥]. ومن جهة أخرى، شهد الكيان تنامي أصوات نقدية، من مفكرين وأكاديميين وناشطين، تدعو إلى إعادة تفسير فكرة "الشعب المختار" بشكل أكثر أخلاقية وإنسانية، وترفض استخدامها في تبرير سياسات الاحتلال والتمييز[٧٦]. وقد برزت هذه الأصوات بشكل خاص في الأوساط الأكاديمية والثقافية الصهيونية.

شهد الكيان الصهيوني تحولات ديموغرافية وثقافية متعددة، مثل هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي، وتزايد نسبة السكان غير اليهود، وتنامي الاتجاهات العلمانية بين الشباب اليهود، مما أثر على فهم وتوظيف فكرة "الشعب المختار" في المجتمع الصهيوني[٧٧]. وقد أدت هذه التحولات المتناقضة إلى تعميق الانقسامات داخل المجتمع الصهيوني حول الهوية والقيم والعلاقة مع "الآخر" الفلسطيني، مما ينعكس على مستقبل فكرة "الشعب المختار" وتوظيفها في الخطاب السياسي والثقافي الصهيوني[٧٨].

شهد المشهد الإقليمي والدولي في العقود الأخيرة تحولات عميقة أثرت على المشروع الصهيوني وعلى توظيف فكرة "الشعب المختار" في خطابه السياسي. فعلى المستوى الإقليمي، أدت اتفاقيات التطبيع بين الكيان الصهيزني وبعض الدول العربية (مصر، الأردن، الإمارات، البحرين، المغرب، السودان) إلى تحول في البيئة الاستراتيجية للمشروع الصهيوني، وإلى تراجع في مركزية القضية الفلسطينية في السياسة العربية، مما منح الكيان الصهيوني هامشاً أوسع لمواصلة سياساتها الاستيطانية والتوسعية، المستندة إلى فكرة "الحق التاريخي والديني" في الأرض(٧٩). ومن جهة أخرى، شهد المشهد الدولي تحولات متناقضة في الموقف من المشروع الصهيوني. ففي حين تشهد بعض الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، تعزيزاً للدعم السياسي والاقتصادي والعسكري للكيان الصهيوني، وخاصة في ظل صعود التيار المسيحي الصهيوني الذي يؤمن بالتفسير الحرفي للنصوص التوراتية حول "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، فإن هناك تنامياً للمواقف النقدية من سياسات الكيان الصهيوني في أوساط الرأي العام الغربي، خاصة بين الشباب والأوساط التقدمية(٨٠).

كما شهدت الساحة الدولية تصاعداً لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS)على الكيان الصهيوني، التي تستند في خطابها إلى مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي، وترفض الخطاب الصهيوني المستند إلى فكرة "الحق التاريخي والديني" للشعب اليهودي في فلسطين(٨١). وقد أدت هذه التحولات المتناقضة إلى تعميق الجدل الدولي حول شرعية المشروع الصهيوني وسياساته تجاه الفلسطينيين، مما ينعكس على مستقبل فكرة "الشعب المختار" وتوظيفها في الخطاب السياسي الصهيوني(٨٢).

في ضوء التحولات المعقدة في المشهد السياسي للكيان الصهيوني والإقليمي والدولي، يمكن استشراف عدة آفاق مستقبلية للتعامل مع فكرة "الشعب المختار" في سياق الصراع العربي–الصهيوني. السيناريو الأول هو تصاعد التفسير القومي المتطرف لفكرة "الشعب المختار"، مع استمرار صعود التيارات الدينية القومية في الكيان الصهيوني، مما قد يؤدي إلى تعميق سياسات الاستيطان والضم، وإلى تعزيز الرفض الصهيوني لحقوق الفلسطينيين، مستنداً إلى فكرة "الحق التاريخي والديني" المطلق للشعب اليهودي في "أرض فلسطين". وقد يؤدي هذا السيناريو إلى تصاعد الصراع وإلى تقويض فرص التوصل إلى سلام عادل ودائم(٨٣).

السيناريو الثاني هو تحول في التفسير الصهيوني لفكرة "الشعب المختار"، نحو رؤية أكثر أخلاقية وإنسانية، تؤكد على المسؤولية الأخلاقية للشعب اليهودي تجاه الآخرين، وترفض استخدام هذه الفكرة لتبرير انتهاك حقوق الفلسطينيين. وقد يتحقق هذا السيناريو في حال تنامي تأثير الأصوات النقدية في المجتمع الصهيوني، وتصاعد الضغوط الدولية على الكيان الصهيوني لاحترام حقوق الإنسان

والقانون الدولي[٨٤]. اما السيناريو الثالث هو تطوير خطاب جديد يتجاوز الاستقطاب الثنائي بين الرؤية الصهيونية والرؤية المناهضة لها، ويؤسس لرؤية مشتركة تحترم التعددية الثقافية والدينية في المنطقة، وتعترف بالحقوق المتساوية لجميع السكان، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو العرقية، وقد يتحقق هذا السيناريو من خلال حوار فكري وثقافي معمق بين المفكرين والنشطاء من الجانبين، يتجاوز المفاهيم التقليدية للصراع[٨٥].

بغض النظر عن السيناريو الذي قد يتحقق، فإن مستقبل فكرة "الشعب المختار" في سياق الصراع العربي–الصهيوني سيظل مرتبطاً بالتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية في المنطقة والعالم، وبمدى قدرة الأطراف المختلفة على تطوير خطابات ورؤى جديدة تتجاوز الاستقطابات التقليدية، وتؤسس لسلام عادل ودائم يحترم حقوق جميع شعوب المنطقة.

الخاتمة:

استعرض هذا البحث فكرة "الشعب المختار" في الفكر اليهودي، وكيفية توظيفها في المشروع الصهيوني، وتأثيرها في تأسيس الكيان الصهيوني والسياسات الصهيونية اللاحقة، وقد تبين من خلال البحث أن فكرة "الشعب المختار"، التي كانت في الأصل مفهوماً دينياً يرتبط بالمسؤولية الأخلاقية والالتزام بالشريعة، قد خضعت لتحول جذري في الفكر الصهيوني الحديث، حيث تم توظيفها كأداة أيديولوجية وسياسية لتبرير إقامة دولة يهودية في فلسطين، ولحشد الدعم اليهودي والعالمي لهذا المشروع.

كما تبين أن هذه الفكرة قد لعبت دوراً محورياً في تشكيل السياسات الصهيونية تجاه الفلسطينيين، سواء داخل الكيان الصهيوني أو في الأراضي المحتلة، حيث استُخدمت لتبرير التمييز والاستيطان وإنكار حقوق السكان الأصليين، استناداً إلى فكرة "الحق التاريخي والديني" للشعب اليهودي في فلسطين. وقد أشار البحث إلى تنامي النقد الموجه لهذا التوظيف السياسي لفكرة "الشعب المختار"، سواء من داخل المجتمع اليهودي نفسه، أو من الفلسطينيين والعرب، أو من المفكرين والباحثين الغربيين، الذين يرون في هذا التوظيف انتهاكاً للقيم الأخلاقية والقانون الدولي وحقوق الإنسان.

وأخيراً، استشرف البحث آفاقاً مستقبلية متعددة للتعامل مع فكرة "الشعب المختار" في سياق الصراع العربي– الصهيوني، مؤكداً على أهمية تطوير خطابات ورؤى جديدة تتجاوز الاستقطابات التقليدية، وتؤسس لسلام عادل ودائم يحترم حقوق جميع شعوب المنطقة. وإن فهم الجذور الفكرية والأيديولوجية للمشروع الصهيوني، وعلى رأسها فكرة "الشعب المختار"، يشكل خطوة ضرورية نحو فهم أعمق للصراع العربي– الصهيوني، وتطوير استراتيجيات أكثر فعالية للتعامل معه، بما يحقق العدالة والسلام لجميع شعوب المنطقة.

الهوامش:

(١) سفر التثنية ٧: ٦، الكتاب المقدس، العهد القديم.

(٢) سفر الخروج ١٩: ٥-٦، الكتاب المقدس، العهد القديم.

(٣) سفر الخروج ٣: ٨، الكتاب المقدس، العهد القديم.

(٤) سفر التثنية ٧: ٦-٨، الكتاب المقدس، العهد القديم؛ صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ- وسمات- ومصير، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨، ص١٣٤.

(٥) بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١، ص٣٠-٣٣.

(٦) موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، دلالة الحائرين، تحقيق وترجمة: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٠١-٢٠٣.

(٧) رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦، ص٧٥.

(٨) موسى مندلسون: (١٧٢٩-١٧٨٦) رائد حركة التنوير اليهودية، ولد في المانيا وأصيب بمرض في طفولته تسبب في تقوس عموده الفقري، وأثر في أعصابه، درس التوراة والطب والفلسفة واللغات اليونانية والانكليزية والفرنسية. انظر: جاك تنى، الأخطبوط الصهيوني وخيوط المؤامرة لابتلاع فلسطين، تقديم: هشام عوض، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، ص٢٢.

(٩) رشاد عبدالله الشامي، المصدر السابق، ص٣٧.

(10) Alan Hart, Zionism : the real enemy of the Jews, Clarity Press, Atlanta, GA, 2009, pp. 201-204.

(١١)محمود شيت خطاب، العسكرية الاسرائيلية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨، ص٧٢.

(١٢) سفر التكوين ١٥: ١٨، الكتاب المقدس، العهد القديم.

(١٣) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، ترجمة: رضى سلمان، ط٤، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص١١٨-١٢٠.

(١٤)مصطفى محمد المقداد، مائة عام على المشروع الصهيوني "أزمة الفكر ومأزق الدولة"، مؤسسة الاتحاد، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥٥-٥٦.

(١٥)عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، ١٩٨٣، ص١١٠-١١٢.

(١٦) رشاد عبدالله الشامي، المصدر السابق، ص١٥٦-١٥٨.

(١٧) أنيس صايغ، الوصايا العشر للحركة الصهيونية، دار الندى، بيروت، ١٩٩٨، ص١٨.

(١٨) شلومو ساند، اختراع "ارض إسرائيل"، ترجمة: انطوان شلحت وأسعد زغبي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٤، ص٢٢٣-٢٢٤؛ رشاد عبدالله الشامي، المصدر السابق، ص١٥٨.

(١٩)غازي حسين، الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار الى الإمبريالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص٤٠.

(٢٠) ثيودور هيرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة: محمد فاضل، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣٢-٣٤.

(21)Lloyd P. Gartner, History of the Jews in Modern Times, Oxford University Press, New York, 2001, p. 26.

(٢٢) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، المجلد ٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢١٨-٢٢٢.

(٢٣) محمد السماك، الصهيونية المسيحية، ط٤، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٤، ص٥٦-٥٧.

(٢٤) كارين أرمسترونغ، القدس: مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عنانى، دار سطور، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٣٢-٤٣٥.

(٢٥)اسرائيل شاحاك، من الأرشيف الصهيوني وثائق ونصوص جمعها اسرائيل شاحاك، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧٥، ص١٨-٢١.

(٢٦)عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢٧) عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢٨)إسرائيل شاحاك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ٢٠٠١، ص١١٥-١١٦.

(٢٩)عبد الوهاب المسيري، الصهيونية واليهودية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩، ص٦٤.

(٣٠)محمد الغزالي، الاستعمار أحقاد وأطماع، ط٤، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٦٩-١٧٠.

(٣١)عبد الوهاب المسيري، الصهيونية واليهودية، ص٦٠.

(٣٢) رشاد عبدالله الشامي، المصدر السابق، ص٧٤.

(33)Waldemar Piotr Szczerbiński, Rejection of the Jewish Idea of the Chosen People as a Consequence of Theological Egalitarianism in the Thought of Mordecai Kaplan, Uniwersytet im. Adama Mickiewicza w Poznaniu, 2022, p. 90.

(٣٤)عبد الفتاح محمد ماضي، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٢.

(٣٥)غازي حسين، المصدر السابق، ص٢٨.

(٣٦)ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: احمد عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥، ص١٤٨-١٤٩.

(٣٧)علي المحجوبي، جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٠، ص٢٥-٢٦.

(٣٨)عبدالوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٩٣-٩٤.

(٣٩)إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة: أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٧٦-٧٩.

(٤٠)عبد الفتاح محمد ماضي، المصدر السابق، ص١٧٨-١٧٩.

(٤١)عزمي بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٩-٣٢.

(٤٢)خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٦٣-٢٦٥.

(43) Paul Johnson ،A History of the Jews ،harper perennial ،New York ،1988 ،pp. 429-430;

كارين أرمسترونغ، المصدر السابق، ص٤٥٠-٤٥٤.

(٤٤)عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٦، ص١٦٠.

(٤٥)محمد السماك، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧.

(٤٦)فايز صايغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، مطبعة أطلس، القاهرة، (د. ت)، ص٨-٩؛ إيلان بابيه، المصدر السابق، ص٩٣-٩٧؛ علي المحجوبي، المصدر السابق، ص٩٣-٩٦.

(٤٧)جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣٤-١٣٥.

(٤٨)نور الدين مصالحه، طرد الفلسطينيين مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين ١٨٨٢-١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٢، ص١٩٠-١٩٧.

(49)Anis F. Kassim, lSsrael's 2018 Nation-State Law The Zionist Apartheid Manifesto, Institute for Palestine Studies, Washington, 2024, pp. 7-13.

(٥٠)عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج٢، ص١١١.

(٥١)عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، ١٩٨٢، ص٢٣١.

(٥٢)الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب القدس الإحصائي السنوي ٢٠١٢ رقم ١٤، رام الله، ٢٠١٢، ص٤٥-٤٩.

(٥٣)رشاد عبدالله الشامي، المصدر السابق، ص٧٤.

(٥٤)هيومن رايتس ووتش، انفصال وانعدام للمساواة: معاملة إسرائيل التمييزية للفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، نيويورك، ٢٠١٠، ص ٧٦-٨٠.

(٥٥)إيلان بابيه، المصدر السابق، ص١١٤-١١٨.

(٥٦)عبدالله رشيد حلاق، الصهيونية تحكم العالم، مكتبة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ص٥؛ غازي حسين، المصدر السابق، ص٢٢-٢٣.

(٥٧)عبد الوهاب المسيري، الصهيونية واليهودية، ص٦٤.

(٥٨)عبدالله رشيد حلاق، المصدر السابق، ص٥؛ عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج١، ص٢٣١.

(٥٩)مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة (أوتشا)، تقرير عن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية، القدس، ٢٠٢٠، ص ٢٣-٢٧.

(٦٠)محمد يوسف، الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة من وجهة نظر القانون الدولي، دار المشكاة، عمان، ٢٠٢١، ص١٥٥-١٥٦.

(٦١)عزمي بشارة، المصدر السابق، ص٢٧٠-٢٧٥.

(٦٢)نعمان عبدالرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء، كتاب الأمّة، الدوحة، ١٩٩٢، ص١٢١.

(٦٣)عبدالوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية والصهيونية، ص١٥٣-١٥٤.

(٦٤)عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج١، ص١٧١-١٧٢.

(٦٥)إيلان بابيه، المصدر السابق، ص١٨٧-١٩١.

(٦٦) جوديث بتلر، مفترق طرق اليهودية ونقد الصهيونية، ترجمة: نور حريري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٧، ص٥٣-٦٠.

(٦٧)نور الدين مصالحه، المصدر السابق، ص١٩٠-١٩٥.

(٦٨)عبد الوهاب المسيري، إسرائيل.. المستوطن الصهيوني، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢١٢-٢١٦.

(٦٩)نجيب نصار، الصهيونية ملخص تاريخها غايتها وامتدادها حتى سنة ١٩٠٥، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٠-٢١.

(٧٠)إيلان بابيه، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٧.

(٧١)جوديث بتلر، المصدر السابق، ص٣٦-٣٩.

(٧٢)رشاد عبدالله الشامي، المصدر السابق، ص٣٧.

(٧٣)عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية، دار المعاف، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٣.

(٧٤)غازي حسين، المصدر السابق، ص١٩.

(٧٥)عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج١، ص٢٣١.

(٧٦)نجيب نصار، المصدر السابق، ص٢٠-٢١.

(٧٧)أنيس صايغ، المصدر السابق، ص١٨.

(78)Waldemar Piotr Szczerbiński, op. cit, p. 90.

(٧٩)احمد عبد الحكيم اشهاب واخرون، دراسات في التطبيع مع الكيان الصهيوني، تحرير: محسن محمد صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠٢٢، ص ٦٧-٧١.

(٨٠)عبدالوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية والصهيونية، ص٩٣-٩٤؛ محمد السماك، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧.

(٨١) عمر البرغوثي، حركة مقاطعة إسرائيل (BDS)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٩، ٢٠١٤، ص٢٠-٢٨.

(٨٢)غازي حسين، المصدر السابق، ص١٩.

(٨٣)نجيب نصار، المصدر السابق، ص٢٠-٢١.

(٨٤)إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام ، ص١٩-٢٤.

(٨٥)عزمي بشارة، المصدر السابق، ص ٢٦٠-٢٦٢.

قائمة المراجع:

اولا: الاسفار اليهودية:

١. سفر التثنية، الكتاب المقدس، العهد القديم.
٢. سفر الخروج، الكتاب المقدس، العهد القديم.
٣. سفر التكوين، الكتاب المقدس، العهد القديم.

ثانيا: المصادر العربية والمعربة:

١. احمد عبد الحكيم اشهاب واخرون، دراسات في التطبيع مع الكيان الصهيوني، تحرير: محسن محمد صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠٢٢.
٢. إسرائيل شاحاك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ٢٠٠١.
٣. إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، ترجمة: رضى سلمان، ط٤، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٧.
٤. اسرائيل شاحاك، من الأرشيف الصهيوني وثائق ونصوص جمعها اسرائيل شاحاك، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧٥.
٥. أنيس صايغ، الوصايا العشر للحركة الصهيونية، دار الندى، بيروت، ١٩٩٨.
٦. إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة: أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٧.
٧. بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١.
٨. ثيودور هيرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة: محمد فاضل، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٧.
٩. جاك تنى، الأخطبوط الصهيوني وخيوط المؤامرة لابتلاع فلسطين، تقديم: هشام عوض، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).
١٠. جوديث بتلر، مفترق طرق اليهودية ونقد الصهيونية، ترجمة: نور حريري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٧.
١١. خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧٣.
١٢. جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣.
١٣. رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦.
١٤. ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: احمد عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥.
١٥. شلومو ساند، اختراع "ارض إسرائيل"، ترجمة: انطوان شلحت وأسعد زغبي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٤.
١٦. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ- وسمات- ومصير، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨.

١٧. عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية، دار المعاف، القاهرة، ٢٠٠١.
١٨. عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩.
١٩. عبد الوهاب المسيري، إسرائيل.. المستوطن الصهيوني، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.
٢٠. عبد الوهاب المسيري، الصهيونية واليهودية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩.
٢١. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، المجلد ٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.
٢٢. عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، ١٩٨٢.
٢٣. عبد الوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢٤. عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، ١٩٨٣.
٢٥. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.
٢٦. عبدالله رشيد حلاق، الصهيونية تحكم العالم، مكتبة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.
٢٧. عزمي بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥.
٢٨. علي المحجوبي، جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٠.
٢٩. غازي حسين، الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار الى الإمبريالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
٣٠. فايز صايغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، مطبعة أطلس، القاهرة، (د. ت).
٣١. كارين أرمسترونغ، القدس: مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عنانى، دار سطور، القاهرة، ١٩٩٨.
٣٢. محمود شيت خطاب، العسكرية الاسرائيلية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨.
٣٣. محمد يوسف، الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة من وجهة نظر القانون الدولي، دار المشكاة، عمان، ٢٠٢١.
٣٤. محمد السماك، الصهيونية المسيحية، ط٤، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٤.
٣٥. محمد الغزالي، الاستعمار أحقاد وأطماع، ط٤، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥.
٣٦. مصطفى محمد المقداد، مائة عام على المشروع الصهيوني "أزمة الفكر ومأزق الدولة"، مؤسسة الاتحاد، القاهرة، ١٩٩٩.
٣٧. موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، دلالة الحائرين، تحقيق وترجمة: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٧٤.
٣٨. نجيب نصار، الصهيونية ملخص تاريخها غايتها وامتدادها حتى سنة ١٩٠٥م، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢.
٣٩. نعمان عبدالرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء، كتاب الأمّة، الدوحة، ١٩٩٢.

٤٠. نور الدين مصالحه، طرد الفلسطينيين مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين ١٨٨٢-١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٢.

ثالثا: المصادر الاجنبية:

1. Lloyd P. Gartner, History of the Jews in Modern Times, Oxford University Press, New York, 2001.
2. Paul Johnson ،A History of the Jews ،harper perennial ،New York ،1988.
3. Alan Hart, Zionism : the real enemy of the Jews, Clarity Press, Atlanta, GA, 2009.
4. Waldemar Piotr Szczerbiński, Rejection of the Jewish Idea of the Chosen People as a Consequence of Theological Egalitarianism in the Thought of Mordecai Kaplan, Uniwersytet im. Adama Mickiewicza w Poznaniu, 2022.
5. Anis F. Kassim, ISsrael's 2018 Nation-State Law The Zionist Apartheid Manifesto, Institute for Palestine Studies, Washington, 2024.

رابعا: التقارير والدراسات:

١. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب القدس الإحصائي السنوي ٢٠١٢ رقم ١٤، رام الله، ٢٠١٢.
٢. هيومن رايتس ووتش، انفصال وانعدام للمساواة: معاملة إسرائيل التمييزية للفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، نيويورك، ٢٠١٠.
٣. مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة (أوتشا)، تقرير عن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية، القدس، ٢٠٢٠.

خامسا: المجلات والبحوث:

١. عمر البرغوثي، حركة مقاطعة إسرائيل (BDS)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٩، ٢٠١٤.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

قضية الصحراء الغربية في ضوء مقالات صحيفة الاهرام لسنة ١٩٧٥ دراسة تأريخية

The Western Sahara issue in the light of Al-Ahram newspaper articles in 1975 : Historical Study

م.م مروة ابراهيم مصطفى
M.A. Marwa Ibrahim Mustafa
جامعة بغداد /كلية العلوم الاسلامية
University of Baghdad \ College of Islamic Sciences
07718626803
marwa.i@cois.uobaghdad.edu.iq
https://orcid.org/0009-0001-0492-0109

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص :

تعد قضية الصحراء الغربية من اكثر المشاكل تعقيداً التي واجهت المجتمع الدولي بعد حركات التحرر ,اذ اصبحت محل خلاف ونزاع بين عدد من الدول بعد ان كانت محل نزاع مع المستعمر الاسباني فاصبح النزاع بين كل من المغرب وموريتانيا والجزائر والشعب الصحراوي . تناولت صحيفة الاهرام هذا الموضوع بمتابعة اعلامية متواصلة وبيت موقفها الرسمي والشعبي لمصر ,فبوساطة المقالات نجد ان مصر ساندت وروجت بشرعية المطالب المغربية في الصحراء الغربية , و اوضحت إن القضية هي معركة لتصفية الاستعمار الاسباي ,وايدت رأي محكمة العدل الدولية المساند للمغرب ,واعتبرت ان المسيرة الخضراء سياسة جديدة بعيدة عن الحروب , وأن المقالات اوضحت تأييد ودعم مصر لاتفاقية مدريد الثلاثية وأعدتها نهاية الاستعمار الاسباني .

الكلمات المفتاحية : الصحراء الغربية ,المسيرة الخضراء ,المغرب ,اسبانيا ,اتفاقية مدريد .

Abstract:

The question of Western Sahara is regarded as one of the most intricate is sues confronted by the international community in the aftermath of national libe ration movements. It evolved into a subject of dispute and contention among se veral states, after having previously constituted a conflict with the Spanish colo nial power. Consequently, the dispute came to involve Morocco, Mauritania, Al geria, and the Sahrawi people.The newspaper AlAhram addressed this issue thro ugh sustained media coverage, elucidating both its official and popular positions . The articles indicate that Egypt supported and endorsed the legitimacy of Mor

occan claims in Western Sahara, emphasizing that the issue represented a proces s of decolonization from Spanish rule. Furthermore, they affirmed the opinion o f the International Court of Justice as a source of international legitimacy backin g Morocco, and interpreted the Green March as embodying a new, non-military approach to conflict resolution.

The articles also highlighted Egypt's support for the Tripartite Madrid Ag reement, considering it as marking the termination of Spanish colo .
Keywords: Western Sahara , Green March , Morocco, Spain, Madrid Agreemen t.

المقدمة :

تابعت الدراسة موقف الصحافة المصرية من قضية الصحراء الغربية والمشاكل التي خلفها الاستعمار الاسباني للقارة الافريقية ,لاسيما بعد حركات التحرر العربي وتصفية الاستعمار الاوربي للقارة الافريقية ,فكانت الصحراء الغربية هي اخر المستعمرات الاسبانية في القارة , ومحاولة كل من المغرب وموريتانيا ضم الصحراء الغربية , كما حاولت الجزائرحصول الشعب الصحراوي على حق تقرير المصير . قسم البحث مقدمة وخاتمة وثلاث مباحث اذ اوضح المبحث الاول الخلفية التأريخية لمشكلة الصحراء الغربية ,بينما تناول المبحث الثاني أجراءات المغرب السلمية ودعوة الملك الى المسيرة الخضراء و اتفاقية مدريد الثلاثية عام ١٩٧٥وسلط المبحث الثالث الضوء على مقالات جريدة الاهرام بشأن تطورات قضية الصحراء الغربية

اولاً: الخلفية التأريخية لمشكلة الصحراء الغربية

تقع الصحراء الغربية في شمال غرب قارة افريقيا واجه سكانها من مشاكل الفقر على الرغم من غناها بالمعادن المهمه ومنها الفوسفات والغاز الطبيعي والرصاص والحديد فضلاً عن الثروة السمكية[١].

ظلت الصحراء الغربية منطقة متنازع عليها بين الدول الاوربية حتى نجحت اسبانيا في فرض سيطرتها عليها بموجب مقررات مؤتمر برلين ١٨٨٤[٢] واعلان الحماية الاسبانية عليها عام ١٨٨٦ ,وعلى اثر ذلك قسمت الصحراء على اقليمين هما الساقية الحمراء ووادي ذهب على ان تكون العيون هي العاصمة ,كما عرفت الصحراء ايضاً بالصحراء الاسبانية . سعت اسبانيا لتعزيز نفوذها ووجودها في الصحراء الغربية عن طريق عقد عدة معاهدات مع فرنسا في سنوات متعاقبة منها معاهدات ١٩٠٠ ومعاهدة ١٩٠٤ ومعاهدة ١٩١٢[٣].

مع بدء حركات التحرر العربية وحصول كل من المغرب وموريتانيا على استقلالهما في عام ١٩٥٦ ,وانتصار الثورة الجزائرية عام ١٩٦٢ ,كل ذلك كان بداية لنهاية الاستعمار الاسباني في الصحراء الغربية [٤] ,على اثر ذلك بدأت كل من المغرب وموريتانيا بالمطالبة بضم

الصحراء الغربية لهما ,فكان المغرب يطالب بضمها مستنداً الى حجج قانونية وتاريخية ومنها خطاب علال الفاسي [٥] في طنجة في الثامن عشر من حزيران عام ١٩٥٦قائلا " ان الوطنين المعاربة سيواصلون الكفاح حتى يصبح استقلال كل الاراضي المغربية واقعاً ,وتعود طنجة نهائياً الى الوطن ,ويتم تحرير الصحراء التي مازالت تخضع لسيطرة اسبانيا وكل الاراضي الخاضعة لسلطة فرنسا " ,وما اتبع ذلك عندما صرح الملك محمد الخامس [٦] في الخامس والعشرين من شباط/١٩٥٨ عن تمسك المغرب بالصحراء الغربية ,استناداً الى الكثير من مواد الدستور المغربي الذي اكد على توحيد الاراضي المغربية ,وتحفظ الملك توقيع ميثاق منظمة الوحدة الافريقية في ايلول ١٩٦٣[٧].

فيما يتعلق بمسألة خلافات الحدود في الثامن من تشرين الاول /١٩٦٣ والتي عرفت بحرب الرمال [٨] مستغلة المشاكل الداخلية التي تواجهها الجزائر عقب استقلالها ,لكن مالبث ان انحصر الطموح المغربي على الصحراء الغربية بعد تزايد المشاكل الداخلية وتنازلها عن مطالبتها بضم موريتانيا لها ايضا بناء على اعتراف الملك الخامس عام ١٩٦٩بإستقلال موريتانيا وعقد معاهدة الدار البيضاء في عام ١٩٧٠ و تضمنت تخلي المغرب عن مطالبتها بضم موريتانيا [٩]

ثانياً : أجراءات المغرب السلمية ودعوة الملك الى المسيرة الخضراء و اتفاقية مدريد الثلاثية عام ١٩٧٥

كان بداية ظهور ازمة الصحراء الغربية عندما عقدت القمة الثلاثية بين كل من الملك حسن الثاني[١٠] وهواري بومدين [١١] ومختار ولد دادة [١٢] في عام ١٩٧٣ و اكدت على تمسكهم بمدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ,وتمكن الشعب الصحراوي من الحصول على استقلاله بناءاً على قرار الامم المتحدة ,واعلان اسبانيا عن اجراء استفتاء حول تقرير مصير الشعب الصحراوي , اي منحهم الاستقلال الصوري[١٣].

وعارضت كل من المغرب وموريتانيا اجراء الاستفتاء في الصحراء الغربية بالمقابل اعلنت الجزائر تأييدها الكامل لاستقلال الصحراء ,ووفق ذلك قررت المغرب عرض مسألة الصحراء الغربية على محكمة العدل الدولية والتي اقرت عدم وجود اي روابط بين الصحراء الغربية وبين المغرب أو موريتانيا ,وبأثره اعلن الملك الحسن في السادس من تشرين الثاني ١٩٧٥ عن تنظيم المسيرة الخضراء وهدفها الاساسي ضم الصحراء الغربية الى المغرب [١٤].

استعد الملك الحسن الثاني لهذه المسيرة قبل شهرين من التصريح بها ,حتى انه اتخذ الاستعدادات كافة والامور وتأمين المواد الغذائية الكافية للمتطوعين الذين يشاركون في المسيرة وتمت هذه الاستعدات بصورة سرية جداً ولم يفصح عنها الا عندما اعلنها الملك الحسن الثاني, انتقل الملك في الثاني من تشرين الثاني من العام نفسه الى اغادير ليكون قريباً من موقع الحدث,اراد الملك ان تكون مسيرة سلمية ولايقتربون من الجنود الاسبان لانهم لم يعدو طرفا في القضية بل حتى ان الملك طلب من المتطوعين القاء التحية على الاسبان والاستعداد للدفاع عن وحدة اراضيهم في حال تعرض لهم احد غير الاسبان.[١٥]

تولى المسيرة رئيس الوزراء المغربي احمد عصمان [١٦] والرئيس السيد خطري بن سعيد الجماني [١٧] مع تقريباً (٣٥٠) الف من المتطوعين من النساء والرجال متجهين نحو مدينة العيون الصحراوية ,والتي تبعد ٩٠كم عن الحدود المغربية ,فطالبت اسبانيا من مجلس الامن التدخل لايقاف المسيرة وبدأ المفاوضات بين المملكة المغربية واسبانيا لايقاف المسيرة ,وانهاء الوجود الاسباني في الصحراء الغربية . [١٨] بذلك حققت المسيرة الخضراء هدفاً سياسياُ واعلامياً مؤكدة حق المغرب في الصحراء الغربية فتم ايقاف الزحف في التاسع من تشرين الثاني ١٩٧٥ وتم الاتفاق بعقد اتفاقية مدريد الثلاثية وتقسيم الصحراء الغربية بين المملكة المغربية وموريتانيا [١٩]

كانت من نتائج المسيرة الخضراء التي خرجت من المغرب بناءاً على امر الملك حسن الثاني اتفاقية مدريد الثلاثية التي عقدت بين كل من المغرب وموريتانيا من جهة والاسبان من جهة اخرى , و حضر في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ الوزير الاول المغربي الى مدريد برئاسة وفد رسمي مع وفد موريتاني برئاسة وزير الشؤون الخارجية حمدي ولد مكناس [٢٠]وجرت المفاوضات بين كل من المغرب وموريتانيا واسبانيا لاقتسام الصحراء الغربية بين الاطراف الثلاثة استمرت المفاوضات لمدة ثلاثة ايام من ١١-١٤ /تشرين الثاني /١٩٧٥ , وبذلك تكون اسبانيا قد نفت البند(٣٣) مادة من مبادئ الامم المتحدة والقرار (٣٨٥) لمجلس الامن الذي دعا الى عقد اتفاق دولي لصالح المغرب ,كما اقر مجلس الجماعة الممثل عن القبائل المتواجد في الصحراء اتفاقية مدريد وبذلك سيطرة المغرب على اراضيه وعودة سكان الى مناطقهم [٢١] تضمنت الاتفاقية عدة نقاط من اهمها :-

١- انهاء الاستعمار الاسباني للصحراء الغربية وانهاء الوجود العسكري فيها قبل ٢٨/شباط/١٩٧٦ .
٢-قيام اسبانيا بأنشاء ادارة مؤقتة تشارك فيها المغرب وموريتانيا بالتعاون مع الجماعة ادارة ومسؤولية الصحراء .
٣- احترام رأي سكان الصحراء الغربية المتمثل برأي الجماعة .

٤- اخبار الامين العام للامم المتحدة بهذه الوثيقة التي تعد سارية في اليوم الذي تنشر في الجريدة الرسمية الاسبانية .

لم تكتف الاتفاقية بهذه البنود بل تضمنت الجانب الاقتصادي ايضاً ,اذ قسمت ثروة الصحراء الغربية ومنها الفوسفات فحصلت المغرب على ٥١اوموريتانيا ١٤% ,اما اسبانيا فحصلت على ٣٥% من الفوسفات المستخرج , فضلاً عن ذلك تم تقسيم الثروة السمكية ايضا فحصلت المغرب على ٢٥% وموريتانيا على ٢٥% اما اسبانيا فحصلت على نسبة ٥٠% , فضلاً عن احتفاظ اسبانيا بقاعدتين عسكريتين لها في الصحراء مقابل عدم مطالبة المغرب بحقوقه في منطقتي سبته ومليله [٢٢]

تم نشر الاتفاق في الجريدة الاسبانية الرسمية وارسال نسخة منها الى منظمة الامم المتحدة للحفظ في سجلاتها كوثيقة دولية . رفض الشعب الصحراوي موافقة رئيس الجماعة على الاتفاقية بل وحل مجلس الجماعة والانضمام الى جبهة البوليساريو [٢٣] الذين صرحوا ان وجود المجلس غير مبرر بعد خيانة اسبانيا لعهودها للشعب الصحراوي ,نقلت اسبانيا كامل سلطتها الى المغرب وموريتانيا قبل يوم من انتهاء فترة وجودها الرسمي بيناءاً على اتفاقية مدريد في الوقت ذاته اعلنت جبهة التحرير الشعبية للساقية الحمراء ووادي ذهب قيام الجمهورية العربية الصحراوية في السابع عشر من شباط ١٩٧٦, واصبح السيد الولي مصطفى السيد أمين عام جبهة البوليساريو اول رئيس للجمهورية العربية الصحراوية , كما اقر دستور البلاد المؤقت وتشكيل حكومة ومجلس وطني , وبذلك تكون الجمهورية رفضت الاعتراف باتفاقية مدريد الثلاثية [٢٤].

ثالثاً : مقالات جريدة الاهرام بشأن تطورات قضية الصحراء الغربية

ابدت الصحافة المصرية ولاسيما صحيفة الاهرام [25] اهتماما كبيراً لمجريات قضية الصحراء الغربية واشارت الى الدور المصري المساند لمطالب المغرب بضم الصحراء له في الوقت ذاته اكدت على ضرورة الالتزام بالمسار الاممي القانوني لتجنب اصطدامها مع االدول الاخرى ومن بينها الجزائر.

و بيت جريدة الاهرام في عدد لها عنوانا (ارض بلا صاحب) ربما كان السبب الرئيسي وراء تمسك اسبانيا بآخر مستعمراتها الهامة الصحراء الغربية هو الثروات الطبيعية الهائلة التي يزخر بها هذا الاقليم وخاصة مناجم الفوسفات الموجودة بها كما ان البيئة الصحراوية وقلة عدد السكان (١٧٤ الفا)تشكل أغراء إضافيا على أساس ان احتمال قيام مقاومة شعبية لأى وجود اجنبي ليس قويا وان كان سكان الصحراء قد نجحوا في خلق مثل هذه المقاومة المتمثلة في جبهة التحرير والاتحاد ، الحاصلة على تأييد كل من الحكومة المغربية وحزبي الاستقلال والاتحاد الوطني للقوى الشعبية المعارضين وقد أحيلت القضية خلال الدورة الأخيرة للجمعية العامة الى محكمة العدل الدولية وكانت مهمة المحكمة هي الاجابة على سؤالين : هل كانت الصحراء المتنازع عليها وقت ان استعمرتها إسبانيا أرضا بلا صاحب وفى حالة الإجابة

بالنفي ماهي العلاقات القانونية بين هذا الاقليم وكل من المغرب وموريتانيا وقد اعلنت محكمة العدل الدولية اخيرا نتيجة تقصيتاها مؤكدة أن الصحراء المغربية لم تكن ارضا بلا صاحب ، وموضحة الروابط القانونية التي ربطت الصحراء بالمغرب وموريتانيا قبل أن تدخلها إسبانيا فهل ستحسم القضية بهذا الحكم أم أنها ستلقى مصير أرضى عربية أخرى أعلن مختصبوها انهم أعطوا وطنا بلا شعب لشعب بلا وطن(٢٦)

وأوضحت جريدة الاهرام في عددها عنواناً (حشود مغربية في مواجهة حشود جزائرية على حدود الصحراء محكمة العدل الدولية تصدر قراراً اليوم حول مستقبل الصحراء الاسبانية)ذكرت جريدة الاهرام زيادة التوتر بين الجزائر و المغرب بسبب اختلاف وجهات نظر الجانبين بشأن مستقبل الصحراء الاسبانية , وقالت المصادر ان كلتا الدولتين تحشدان ، قواتهما على الحدود المغربية من الصحراء الإسبانية ،وقد بينت الجريدة ان من المقرر ان تتخذ محكمة العدل الدولية قراراً قد يحدد وما اذا كانت الصحراء الاسبانية المتنازع عليها بسبب غناها برواسب الفوسفات كانت تابعة للمغرب حينما احتلتها القوات الاسبانية في القرن الماضي او اعطاء سكان المنطقة حق تقرير المصير كما تطالب به الجزائر. وكانت الصحف المغربية قد شنت هجوماً على الجزائر واتهامها بعقد اتفاق سري مع اسبانيا لتكون دولة مستقلة في الصحراء الإسبانية تحميها الجزائر عسكريا في مقابل حصول الجزائر على حق استخدام شريط ساحلي يطل على المحيط الاطلنطي(٢٧) **وفي عدد اخر كتبت الجريدة عنوانا اخر (اقبال المغاربة على التطوع في مسيرة الصحراء)** ذكرت جريدة الاهرام أن الألاف من الشعب المغربي يصطفون لتسجيل أسماءهم في المسيرة التي قررها الملك الحسن ملك المغرب . في خطابه الذي أذيع في ١٧ تشرين الأول أثر قرار محكمة العدل الدولية بوجود روابط قانونية بين المغرب و اقليم الصحراء الغربية التي تنازعها إسبانيا عليه وأكدت جريدة الاهرام ان الملك الحسن الثاني, صرح في خطابة بانه سيكون الاول في التطوع للاشتراك في المسيرة التي ستضم (٣٥٠٠٠٠ شخص) ولم يحدد بعد تاريخ بده المسيرة التي ستزحف الى الصحراء وقد قالت و أن الشعب المغربي استقبل اقتراح الملك الحسن بحماس لا يوصف وفي مدريد صرحت مصادر إسبانية مطلعة بأن رأى المحكمة الاستشاري يؤيد سياسة إسبانيا الرامية الى اعطاء حق تقرير المصير مقابل الدعاوي الاقليمية بشأن ملكية الصحراء ولم يخرج أي تعليق رسمي اسباني على المسيرة السلمية و التي أمن الملك الحسن من تنظيمها وفي نيويورك أوضح مندوب إسبانيا في الامم المتحدة اليوم أن بلاده ستحيل موضوع الصحراء الى الجمعية العامة اذا اتخذت أي دولة معنية اجراء متفردة لتعزيز مطالبها بشأن الصحراء وكما راجت أنباء في الرباط من اعلان حالة الطوارئ في الجيش المغربي على الحدود الجنوبية المغربية المناخية للصحراء وفي الوحدات العسكرية المتمركزة على الحدود الجزائرية – المغربي (٢٨)

وتابعت الجريدة في مقال اخر جاء بعنوان (مجلس الامن يبحث اليوم مشكلة الصحراء المغربية)وأشارت الجريدة الى اجتماع مجلس الامن بناء على طلب إسبانيا المناقشة الموقف في الصحراء الاسبانية اثر اعلان المغرب اعتزامها بتنظيم مسيرة سلمية الى منطقة الصحراء وقد ذكر جيم دى رئيس مندوب اسبانيا في رسالته الى اولوف ريدبيك رئيس مجلس الأمن لشهر تشرين الاول أن تهديد الغزو المغربي للصحراء الواقعة تحت الإدارة الاسبانية سوف يخلق احتكاكا من شأنه أن يعرض السلام للخطر . وطالب مندوب إسبانيا المجلس بأقناع الحكومة المغربية بوقف المسيرة . أصدرت الجريدة بيانا لوزارة الاعلام في المغرب انتقدت فيه طلب إسبانيا بدعوة المجلس للانعقاد وقالت أن الوصف الاسباني للمسيرة بأنها غزو غير صحيح لأنها مسيرة سلمية . وأضافت الجريدة أن المغرب أراد المحافظة على الروابط التاريخية مع الشعب الاسباني غير أن رفض الحوار حول مشكلة الصحراء وتجاهل قرارات الامم المتحدة لمدة ١٢ عاما هي الاسباب التي أدت إلى الموقف الحالي وقال أن إسبانيا في المسؤلة الوحيدة عنه وقالت المصادر الرسمية في المغرب أن الملك الحسن الثاني ملك المغرب. بعث برسالة إلى هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية أكد فيها عزم المغرب القيام بالمسيرة الا اذا غيرت إسبانيا من موقفها واعترفت بحق المغرب [٢٩]

وفي مقال أخر تحت عنوان "المغرب تتوقع اشتراك دول عربية وأفريقية في المسيرة ".اوضح مسؤولون حكوميون في المغرب أن بلادهم .تتوقع اشتراك وفود كثيرة من الدول الأفريقية والعربية في المسيرة التي سيقوم بها أكثر من ٢٥٠ الف مغربي في الصحراء الاسبانية ، يوم الخامس والعشرون من تشرين الاول وأضافوا أن جابون والأردن قد وعدتا بإرسال وفود ، بينما أعربت عن استعداد منظمة التحرير الفلسطينية لإمداد الجيش المغربي بمساعدات عسكرية وفنية وقال المسؤولون أن عدد الذين تطوعوا للاشتراك في المسيرة بلغ ٣٦١,٩٨٧ مغربيا . كما أعربوا عن أملهم في أن تنتصر المغرب فى معركتها الدبلوماسية والمطالبة السلمية مع اسبانيا في مجلس الأمن الذي انعقد اليوم بناء على طلب أسبانيا للنظر في مستقبل الصحراء ومع ذلك فليس هناك ما يشير إلى أن الملك الحسن سيوقف المسيرة اذا ما طالبه مجلس الأمن بذلك [٣٠]

وتابعت مقالات جريدة الاهرام الشأن الدولي بخصوص قضية الصحراء الغربية ,وبينت أن التحرك نحو الصحراء إسبانيا تعلن الألغام وضعت على حدود المغرب والصحراء مسيرة السلام المغربية في نحو منطقة الصحراء في الوقت يستعد فيه مجلس الامن لاستئناف مناقشة الازمة استجابة لقرار إسبانيا اعلنت صحفها أن حقولا الالغام وضعت على كلا جانبي الحدود المفاصلة بين المغرب والصحراء ،وقد تحرك ٢٠ الف مواطن مغربي في الثاني عشر من تشرين الاول يشكلون الفوج الأول من المسيرة في مئات من سيارات اللورى والاوتوبيسات من مدينة قصر السوق المغربية ليقطعوا مسافة ٢٠٠ ميل في يومين حتى

حدود مدينة الطرفية وهي نقطة التجمع الرئيسية للمسيرة . و اشرف على تحرك الفوج احمد عثمان رئيس وزراء المغرب . وبين كل عشرة لوريات خصصت سيارة تحمل امدادات الاغذية و الخيام و الماء ومعدات الاسعاف الأولية ، وسوف يقضي الفوج الأول الليلة الاولى في مدينة اورزازات وهي في ثلث المسافة الى الطرفية ، وقال المسؤولون في المغرب أن الفوج الاول سيصل الى الطرفية وهي مقر استراحة بتاريخ الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٩٧٥ وتحرس الفوج إعداد أكبر من رجال البوليسيين المزودين بإجهازه الإرسال والسيارات قالوا إنهم أيضًا أن عدد المتطوعين للمسيرة بلغ ٦٤٤ الفا و٢٧٠ متطوعا عند أغلاق مراكز التطوع للمسيرة غير أن عدد الذين سيشتركون في المسيرة سيقتصر على ٣٥٠ الفا ، كما اعلنت الجريدة ان الملك الحسن الثاني ملك المغرب سوف تختار مع السلطات المغربية اكثر المتقدمين لياقة لتحمل المسيرة وكان الملك قد اصدر تعليماته بالإسراع في الاعداد للمسيرة بعد ان طلبت اسبانيا عقد اجتماع عاجل لمجلس الامن لبحث الموقف المتعلق بالصحراء الى جانب أنتظار موقف مجلس الامن الدولي ,وعلى صعيد أخر فأن هذه المسيرة حضيت بتأييد ومناصرة عدد من الدول العربية والافريقية[٣١].

وابرزت جريدة الاهرام في مقال تابع النشاط دبلوماسي المكثف حول مشكلة الصحراء ان اتساع نطاق النشاط الدبلوماسي المكلف الذي يجري حاليا في المغرب واسبانيا وفي مقر الأمم المتحدة في نيويورك بشان مشكلة الصحراء .وقد صرح خوسين سولين رويز (Jose Solis Ruiz) السكرتير العام لحزب الحركة الوطنية الحاكم في إسبانيا ، ومبعوث الحكومة الاسبانية الذي عقد اجتماعين مع الملك الحسن الثاني ملك المغرب لمدة ساعتين وعاد الى مدريد بتاريخ ٢٣ تشرين الاول ، يبدو أن الملك الحسين مستعد للدخول في حوار مع إسبانيا والتفاهم معها حول تسوية كل المشاكل المعلقة وفي الرباط توقع المسئولون في المغرب أنه من الممكن أن تعرض إسبانيا سحب قواتها من الصحراء لتجنب حدوث صدام مع المسيرة المغربية السلمية ونفي المسئولون معرفتهم بأية مقترحات جديدة ربما يكون المبعوث الاسباني قد قدمها للملك الحسن .وكان الملك قد اكد في حديث اذاعه التليفزيون الأمريكي أن المغرب يوافق على ايقاف المسيرة ، بشرط ان تشرع اسبانيا فورا في مفاوضات مباشرة مع المغرب وموريتانيا تحت اشراف الولايات المتحدة واكدت مصادر وزارة الخارجية الاسبانية أن القوات الإسبانية أن نطلق النيران على إفراد المسيرة و ان الحكومة ترغب في التوصل إلى تسوية دبلوماسية [٣٢]

وبين مجلس الأمن موقفه بأنه لا يعترض على أجراء المسيرة دعوة الأطراف المعنية الى الاعتدال والتشاور مع فالدهايماذ وجه مجلس الأمن نداء إلى كافة الاطراف المعنية بمشكلة الصحراء بالتمسك بالاعتدال وضبط النفسي ونص القرار الذي اتخذ بأجماع الآراء ودون اجراء تصويت رسمي على دعوة كورت فالدهايم (Kurt Waldheim) السكرتير العام للأمم المتحدة إلى البدء فورا في اجراء مشاورات مع

الاطراف المعنية وتقديم تقرير في أسرع وقت ممكن الى المجلس حتى يمكنه اتخاذ الاجراءات الملائمة بشأن الموقف الراهن في الصحراء ورحب القرار باى مشاورات مباشرة مع بعض الاطراف المعنية أو جهود الجمعية العامة في هذا الصدد ولم يطالب القرار المغرب يوقف المسيرة السلمية ولم يوضح مشروع القرار ما هي الاطراف المعنية الا ان دوائر مجلس الامن اشارت في تفسيراتها ، الى ان المقصود بالأطراف المعنية المغرب وإسبانيا وموريتانيا وأن الاطراف التي يهمها الأمر يقصد بها الجزائر وقد بدا فالدهايم مشاوراته فور صدور قرار مجلس الامن فدعا الى مكتبه ادريس السلاوي مندوب المغرب في المجلس ورد فالدهايم على اسئلة الصحفيين انه سوف يقرر وفقا لنتائج مشاوراته ما اذا كان من المفيد أن يقوم بزيارة الى الدول المعنية لأجراء مفاوضات مباشرة. ورحب ادريس السلاوى مندوب المغرب بقرار المجلس لأنه رفض إدانة تنظيم المسيرة وقال إن المفاوضات لا يمكن أن تتم الا بين الدول التي تطالب بوحدة أراضيها بمعنى أن تكون المغرب وموريتانيا من جانب وإسبانيا من جانب آخر ، وفيما يتعلق بتطبيق مبدأ التقرير المصير، قال: مندوب المغرب انه لن يكون له الأولوية اذا ادى الى تقسيم الأراضي عربيه واضاف أن استخدام مبدأ تقرير المصير لم يشكل اطلاقا بالنسبة للجمعية العامة أمر السابق على وحدة الاراضي في حين عارض عبد اللطيف مندوب الجزائر التفسير المغربي في المفاوضات وقال أن المفاوضات لابد أن تتم في أطار التوازن في المنطقة . ولعل تجاهل الجزائر في هذا المجال يتعارض مع الوضع الجغرافي كما اوضح مندوب اسبانيا أن القرار يمثل خطوة لابد أن تتلوها خطوات أخرى ويتوقع المراقبون أن يصل الى مدريد خلال الايام القادمة شخصية مغربية كبيرة لاستئناف المحادثات التي بدأها في الرباط في ٢٣ تشرين الاول خوسيه سوليس رويز(Jose Solis Ruiz) المبعوث الاسباني مع الملك الحسن الثاني وفي نفس الوقت ذكرت المصادر المطلعة أن المسيرة السلمية لا تزال مستمرة رغم تصريحات المصادر الحكومية في مدريد بأن إسبانيا والمغرب قد اتفقنا على تخفيف حدة التوتر وخفض سرعة الاستعدادات التحول المسيرة تجاه الصحراء وقالت المصادر أن ٧٠٠ الفا من المتطوعين للمسيرة قد تحركوا بالفعل في ٢٣-٢٤ تشرين الاول من بعض المقاطعات [٣٣]

ونقلت جريدة الاهرام خبرا "المغرب يتخذ الاجراءات لضم الصحراء قبل اتمام المفاوضات مصادر إسبانية : مدريد على وشك الاتفاق والاعتراف بحق المغرب" بدأت الحكومة المغربية في وضع خطط لربط العيون عاصمة الصحراء بالمغرب بواسطة الطيران محلي واخر دولي وتوفير الخدمة البريدية تمهيدا لا علان اتحادها في الوقت الذي مازالت تجرى فيه المفاوضات لحل مشكلة الصحراء بين المغرب واسبانيا من جهة و موريتانيا والجزائر عن طريق كورت فالدهايم سكرتير الامم المتحدة , وصرح أحمد العراني وزير الخارجية المغربية قبيل بدء الجولة الثانية من المحادثات مع الحكومة الاسبانية بأن نهاية المشكلة اصبحت وشيكة جدا . وقد أجرى العراني اسس مفاوضات مع كارلوس ارياس نافارو(Carlos Arias

Navarro) رئيس وزراء اسبانيا وحمدى ولد مكناس وزير خارجية موريتانيا في مدريد، ولم يدل الوزراء الثلاثة بأي تصريح عقب الاجتماع ولكن مصادر إسبانية عليمة صرحت بأن اسبانيا على وشك الوصول الى اتفاقية تعترف فيها بحق المغرب في الصحراء بينما صرحت الجريدة عن مصادر أخرى بأنهم بحثوا مشروعا لتقسيم السلطة الصحراء بين موريتانيا والمغرب, وأضافت الجريدة أن الحكومة الإسبانية حريصة أكثر من غيرها على تفادي أي نزاع حول الصحراء بسبب تدهور صحة الرئيس الاسباني الجنرال فرانكو(Franco) .وكان الفيلق الاجنبي الاسباني قد استولى في التاسع والعشرين من تشرين الاول على العيون وفرض حظر تجول لمواجهة ما وصفته السلطات العسكرية الاسبانية بهجوم من العناصر المتطرفة ضد السكان المقيمين في الصحراء وذكرت مصادر اسبانية ان السلطات الاسبانية تخشى قيام رجال العصابات فرنتي بوليساريو الذين يحاربون من أجل استقلال الصحراء وقالت أن الجزائر تساند هذه العناصر المناهضة المسيرة المغربية والمعروف أن الجزائر تطالب بمنح سكان الصحراء حكماً ذاتيا .كما ذكرت مصادر اسبانية انه سيتم اخلاء الصحراء من المدنيين الإسبان خلال الاسبوعين الأولين من تشرين الاول وهو في الوقت الذي ستصل فيه المسيرة المغربية الى الصحراء .وأن عشرات الآلاف من المتطوعين المغربيين يقفون على حدود الطرفية وهي حدود المغرب والصحراء للاشتراك في المسيرة التي تقرر أن تبدأ خلال ١١ يوما . وتطوع عدد كبير من الاطفال والحوامل الاشتراك في المسيرة بالرغم من تحذيرات السلطات لهم ,و انجبت سيدة طفلة في سيارة نقل كانت تنقل المتطوعين إلى حدود الصحراء وأسمتها مسيرة [٣٤]

وبيت الجريدة أن الانباء حول تطور أزمة الصحراء مصادر إسبانية تنفى التوصل الى اتفاق مع المغرب تضارب الانباء حول تطور أزمة الصحراء فقد أشارت المعلومات الواردة الى الرباط سواء من مدريد أو العيون عاصمة الصحراء الى ان الازمة تقترب سريعا من نهايتها لصالح المغرب وتفيد هذه المعلومات بأن إسبانيا قد وافقت بالفعل على نقل سيادة الصحراء الى المغرب وأنه أمكن التوصل إلى حل بصفة عامة المسألة حقول الفوسفات في الصحراء وهي من اغنى حقول الفوسفات في العالم، بحيث تحصل إسبانيا على تعويضا كبيرا عن الاستثمارات التي قامت بها في هذه الحقول . وذكرت المصادر المطلعة أن السلطات الاسبانية اخلت موقع تاه ، على الحدود لمسافة ٢٥ كيلو مترا جنوبي مدينة الطرفية وأن القوات المغربية احتلت الموقع على الفور ورفعت عليه العلم المغربي .وتقول الوكالة الفرنسية أن كل شيء يشير الى أن المساعي قد نجحت وأن مسألة الصحراء قد حلت في خطوطها العريضة بين المغرب وإسبانيا من جانب والمغرب وموريتانيا من جانب آخر.غير ان وكالت الانباء الجزائرية ذكرت نقلا عن مصادر سياسية في مدريد لم يتم التوصل الى اتفاق بين اسبانيا والمغرب وقالت المصادر نفسها انه على عكس ما تردد من شائعات فان الجانب الاسباني لن يحاول التوصل الى اى حل سوى الحل

الذي تترجاه الامم المتحدة وهو اجراء استفتاء عام يحدد مصير الصحراء . وكانت المصادر المطلعة في مدريد قد صرحت بان إسبانيا اقتربت من الاعتراف بمطالب المغرب وموريتانيا في الصحراء ولان الدولتين اتفقنا على تقسم الصحراء على أن تحصل موريتانيا على منطقة تقع في جنوب الصحراء وقد ذكرت المصادر الإسبانية في مدريد أن مبعوثا جزائريا وصل الى العاصمة الاسبانية الثلاثين من تشرين الاول ١٩٧٥ وانه يحمل معه رسالة خاصة من الرئيس هواري بومدين يؤكد فيها من جديد أن أهالي الصحراء يجب أن يقرروا مصيرهم ومما يذكر ان وزيري خارجية المغرب وموريتانيا موجودان في مدريد منذ الثامن والعشرين تشرين الاول لعام١٩٧٥ .[٣٥]

وأكدت جريدة الاهرام في مقال أخر أن الأمم المتحدة تتولى ادارة الحكم في الصحراء بصفة مؤقتة إسبانيا تتراجع عن اتفاقها مع المغرب وتنضم للجزائر في الدعوة للاستفتاء نقلا عن مصدر موثوق به في الأمم المتحدة أنه تقرر أن تتولى منظمة الامم المتحدة بصفة مؤقتة الاشراف على إدارة الحكم في الصحراء المتنازع عليها بين المغرب واسبانيا حتى يمكن اجراء استفتاء حر لسكان هذه الأراضي البالغ عددهم ٨٠ الف نسمة . و اتخذ القرار خلال المشاورات شبه الرسمية التي جرت حتى ساعة مبكرة بين اعضاء مجلس الامن .وكانت إسبانيا قد طالبت بانعقاد جلسة طارئة لمجلس الامن بسبب تدهور الموقف في مشكلة الصحراء واتخاذ عمل سريع لوقف المسيرة المغربة للصحراء . كما هددت باستخدام قواتها المسلحة إذا استدعى الأمر لوقف تلك المسيرة وقدم جاكوب ماليك (Yakov Malik) المندوب السوفييتي الى الامم المتحدة ورئيس الدورة العالية لمجلس الامن الذي انعقد مرتين في صورة وصلت بأنها و مشاورات غير رسمية ، واشترك فيها مندوبو الدول المعنية مشروع قرار شبه رسمي ناشد ليه كل الاطراف المتنازعة على الصحراء تنادي اي عمل من جانب واحد يمكن أن يزيد من حدة التوتر في المنطقة ، وعهد فيه الى السكرتير العام للأمم المتحدة بتكليف المحادثات الفردية مع الدول المعنية وهي المغرب واسبانيا وموريتانيا والجزائر . كما طالب الجمعية العامة بالتسجيل في دراسة مشكلة الصحراء وتقديم تقرير بذلك إلى المجلس وذكر المراقبون أن لهجة مشروع القرار ,وتبدو وكأنها نداء للمغرب لوقف المسيرة وكان فالدهايم قد ذكر في التقرير الذي تقدم به المجلس الامن أن الجزائر متمسكة بأجراء استفتاء بين سكان الصحراء التقرير مصيرهم وأنها حذرت من القيام بأي عمل من جانب واحد تقوم به المغرب التي سيترتب عليه نتائج خطيرة وصرح الدبلوماسيون المغربيون بان اسبانيا تراجعت عن اتفاقية مع المغرب وموريتانيا بنقل السلطة الصحراء إلى كل منهما بسبب معارضة الجزائر الصلبة . ولكن مصادر اسبانيا اكدت ان الاتفاقية لم تتم ابدا ، وأن إسبانيا قد أتفقت مع الجزائر في اجراء استفتاء لتقرير حق مصير الشعب الصحراء وقد أجل لفالدهايم الزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها الى كوبا يسبب اجتماع مجلس الأمن والمشاورات الخاصة بمشكلة الصحراء ,وفي مدريد صرحت مصادر عليمة بأن تقارير

الرباط اشارت الى أن هناك نية لتأجيل مسيرة المغرب وأن أي تأجيل لها سينال ترحيبا من جانب اسبانيا باعتباره لفتة تقيم برغبة في المصالحة, وقالت أنها ستعطى الفرصة لتجديد الجهود الدبلوماسية وخاصة عن طريق مجلس الامن في ايجاد تسوية سلمية لهذا الموقف المتفجر وكان من المقرر أن تبدأ المسيرة ما بين ٤و٦ من تشرين الثاني ومن ناحية أخرى ذكر مراسلو وكالة الانباء الإسبانية في العيون عاصمة الصحراء ان اجراءات الامن التي شددتها إسبانيا في الصحراء اخيرا خفت، وأن الدبابات الثقيلة التي كانت تقوم بدوريات في الشوارع منذ استيلاء الفيلق الاسباني الاجنبي على المنطقة منذ اسبوع عادت إلى بكتاتها كما رفعت مواقع المدفعية الثقيلة وحلت مكانها عربات مصفحة صغيرة (٣٦)

وفي مقال للجريدة ورد عنوان مشكلة الصحراء تدخل مرحلة حاسمة رئيس وزراء المغرب يطير الى مدريد وفالدهايم يلغي رحلته لكوبا دخلت مشكلة الصحراء مرحلة حاسمة فقد وصل إلى مدريد احمد عثمان رئيس وزراء المغرب لاستئناف المفاوضات مع الحكومة الإسبانية . وفي الوقت ذاته اعلن في الأمم المتحدة الكورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة ان كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة الغى زيارته التي كان من المقرر ان يقوم بها لكوبا لمتابعة تطورات الموقف في الصحراء بينما ترددت أنباء عديدة حول حدوث اشتباكات دامية في الصحراء وقالت وكالة الانباء أن الموقف في الصحراء تفاقم اثر وصول تقارير حول وقوع اشتباكات دامية بين القوات المغربية وسكان الصحراء في الجزء الشمالي الشرقي الذي تنازع عليه كل من المغرب وموريتانيا, وفي الوقت ذاته نفت وزارة الخارجية المغربية انباء اخرى ترددت من ان القوات المسلحة المغربية قد توغلت داخل الصحراء في الاقليم الخاضع للإدارة الاسبانية .على أن وزارة الخارجية المغربية لم تستبعد احتمال ان يكون سكان الصحراء المتمسكون باتحادهم مع الوطن الام المغرب فقد رفعوا العلم المغربي فوق بعض المواقع العسكرية التي انسحب منها الجيش الاسباني, وكانت القوات الاسبانية ,وانسحبت بالفعل من بعض المواقع وتجمعت بالقرب من العيون في محاولة التعافي التصادم المباشر مع المسيرة المغربية . وقد ترددت أنباء الاشتباكات فى الوقت الذي كان الأمير خوان كارلوس رئيس الدولة الاسبانية بالنيابة يزور العيون عاصمة الصحراء ,اذ اكد في خطابه القاه أمام قواته التي تحتل الصحراء والتي بلغ عددها ١٥ الف جندي وان اسبانيا ستحمي حقوق الشعب الصحراوي وانها ستفعل كل ما هو ضرورة للمحافظة على كرامة الجيش الاسباني ومكانته وقد دعا كارلوس فور عودته الى مدريد جميع وزرائه وقادة الجيش الى الاجتماع في اطار المجلس الوطني لتفاقم الأزمة مع المغرب . وقد استغرق الاجتماع أكثر من ٣ ساعات واكدت السلطات العسكرية الإسبانية في العيون أمس أن إسبانيا ستدافع عن الصحراء وانها ستعتبر اى انتهاك لحدودها بواسطة المسيرة المغربية مدعاة الحرب ومن ناحية أخرى أكدت مصادر قريبة من الملك الحسين أن المغرب لن تتراجع يسبب تهديدات اسبانيا والجزائر التي هددت ايضا باستخدام القوة

لمنع المسيرة واضافت أن المسيرة السلمية ستأخذ طريقها إلى الصحراء خلال الايام الثلاثة ، وقد انتقل الملك الحسن مع وزرائه من مراكش إلى اغادير ليكون قريبا من الحدود الصحراوية بينما تجمع بالفعل ٢٥٠ الف متطوع مغربي في مدينة طرفاية عند الحدود استعدادا لبدء المسيرة .وصرح احمد الطبية بن هيما وزير الدولة لشؤون الاعلام المغربي في مؤتمر صحفي عقده في أغادير و اننا قررنا القيام بمسيرة سلمية وهو أمر لا يتنافى مع مبادئ مع الامم المتحدة ، وقال ردا على سؤال حول الاقتراح بان تتولى الامم المتحدة الاشراف على ادارة الحكم في الصحراء بصفة مؤقتة فقال أنه تم الاتفاق على تولي الامم المتحدة في حالة فشل المفاوضات المباشرة مع مدريد واضاف أن هذا لم يحدث حتى الان . وكان مصدر دبلوماسي عليم قد صرح في الامم المتحدة بان كورت فالدهايم قدم اقتراحا بهذا الشأن على أن تبقى الامم المتحدة في المنطقة لمدة تصل الى ٦ أشهر وفي الامم المتحدة بدا فالدهايم سلسلة من المحادثات الدبلوماسية بناء على طلب من مجلس الأمن في محاولة لكسبة . الوقت قبل حدوث تصادم بينهم وبين القوات الاسبانية والجزائرية . وعقد فالدهايم اجتماعا الموسعاً مع كل من مندوب المغرب واسبانيا في الأمم المتحدة. وكذلك مع مندوب تانزانيا وهو رئيس لجنة تصفية الاستعمار في الامم المتحدة ولم يدل بالدفايم باي تصريحات ، ولكنه تردد أنه يدرس فكرة العودة إلى المغرب لأجراء مزيد من المحادثات مع الملك [٣٧]

وجاء في مقال أخر بعنوان "اعلان التأهب بين القوات الاسبانية في الصحراء وصول مبعوث خاص لفالدهايم الى أغادير" وصل الى اغادير اندريه لوفين (Andre Lewin)المبعوث الخاص لفالدهايم ، في محاولة أخيرة من الامم المتحدة للحيلولة دون وقوع اشتباك مسلح بين المغرب وإسبانيا وذلك في ضوء ما رددته الانباء الواردة من مدريد بانه قد تم اعلان حالة التأهب بين القوات المسلحة الاسبانية .وقالت وكالات الانباء أن مبعوث فالدهايم يحمل رسالة الشخصية الى الملك الحسن الثاني ملك المغرب ، وذكر مصدر مطلع في العيون عاصمة الصحراء ، وصدر قرار بحظر التجول في منطقة الصحراء بأسرها ،وقد اتخذ هذا الإجراء قبل الموعد المحدد المسيرة الخضراء، التي تنظمها المغرب بساعات قليلة ، كمحاولة أخيرة لوقفها ,ومن ناحية أخرى أعلن الملك الحسن أن المسيرة ستتم كما هو مقرر لها ، ولكن المفاوضات سوف تستمر في الوقت ذاته . وقد حدث ذلك بينما يجرى احمد عثمان رئيس وزراء المغرب اتصالاته مع المسئولين في الحكومة الاسبانية في مدريد للتوصل إلى اتفاق وكان التوتر قد بلغ درجة عالية مساء أمس بعد المواقف البالغة التشدد التي اتخذتها كل من إسبانيا والجزائر ، وقررت إسبانيا بعد ذلك استئناف الحوار بإيفاد اثنين من المتفاوضين ، أحدها إلى الرباط والثاني الى الجزائر [٣٨] **وتابعت مقالات الجريدة تطورت الصحراء الغربية وجاء مقال بعنوان "الملك الحسن يبحث الغاء مسيرة الصحراء" صرحت** مصادر الحكومة المغربية بأن الملك الحسن الثاني ملك المغرب يبحث موضوع الغاء

المسيرة الخضراء إلى الصحراء والاكتفاء بمسيرة رمزية لا تبعد عن الحدود المغربية وما بعد أن فشلت الجهود في تغيير من الجزائر وإسبانيا وقالت وكالة اليونايتد برس أن الملك الحسن الى كل من مدريد والجزائر عاد بتحذيرات من عدم التزام بقرار الامم المتحدة بشأن حق بـ الصحراء في تقرير مصيره وأن المسيرة سوف تواجه مقاومة مسلحة وقالت الوكالة نقلا عن مصادرة الحكومة المغربية ، أن زعماء أحزاب المعارضة توجهوا الى مدينة طرفان اى انشقاق بين المتطوعين في المسيرة ومن المتوقع أن يلقى الملك خطابا في السادس من تشرين الثاني ١٩٧٥ بتوقيت القاهرة وفي مدريد قال مراسلوا الصحف الاسبانية أن كافة المناقشات السياسية في مدينة والعيون عاصمة الصحراء تدور الان حول تحول خاطرى ولد شبير رئيس مجلس الصحراء الى تأييد الملك الحسن [٣٩]

وجاء عنوان المقال "المسيرة الخضراء تعبر الحدود داخل الصحراء" والذي عبرت المسيرة الخضراء الحدود الى داخل الصحراء بعد أن تحركت من مدينة الطرفاية ويشترك فيها ٣٥٠ الف مغربي يتزعمهم احمد عثمان رئيس وزراء المغرب ووفد من كبار المسئولين المغربيين وقد بدأت المسيرة رغم النداء الذي وجهه مجلس الامن الى الملك الحسن في اللحظات الاخيرة بوقفها ورغم تهديدات اسبانيا بأنها اصدرت اؤمرها الى قواتها المرابطة في الصحراء بأطلاق النار على المشتركين في المسيرة اذا اقتربوا من الحدود العسكرية التي يرابطون عندها على بعد ٢٥ كيلو متر من بداية حدود الصحراء وقد عمل المشتركون في المسيرة التي قسمت الى ٥٠ مجموعة كل منها تقسم ٧ آلاف شخص من الرجال والنساء والاطفال حاملين المصاحف وهم يهتفون مرددين الشعارات الوطنية عندما عبروا الحدود وقالت وكالة الانباء المغربية انهم توقفها بعد العبور و ليصلوا لنا شكرا على أن مكنهم من أن يطأوا أرض الاجداد بعد أكثر من تسعين عاما من افتراقهم عنها وذكر راديو الرباط ان ٤ طائرات إسبانية حلقت فوق المكان الذي تتحرك فيه المسيرة وفي الوقت الذي بدأت فيه المسيرة ،كان الملك الحسن يجرى مشاورات مع عدد من وزرائه في أحد فنادق أغادير حول الجهود الدبلوماسية لتجنب حرب تقف فيها المغرب ضد اسبانيا والجزائر التي تعارض المسيرة . والتي وصفتها على لسان وكالة أنبائها بأنها عملية انتحارية. وفي خطاب الملك الحسن الثاني حذر المشتركين من التصدي للقوات الاسبانية اذا لجأت الى اطلاق النيران لكنه قال اذا اطلق احد عليكم النار، فان الجيش المغربي مستعد للدفاع عنكم ضد جميع اولئك الذين يريدون بكم شرا فان الملك الحسن لم يحدد اتجاه المسيرة وان كان قد صرح من قبل بأنه ينوي ان يتناول الشاي في العيون عاصمة الصحراء قبل نهاية العام الحالي وقالت رويتر، في رسالة من العيون أن القوات الاسبانية التي يقدر عددها بعشرين ألفا تقف على اهبة الاستعداد لصد المشتركين في المسيرة المغربية اذا ما حاولوا التوغل إلى ما وراء منطقة عازلة تقع على مسافة ٢٠ كيلومترا من بداية حدود الصحراء وصرح فيديريكر غوميز دي سالازار (Federico Gomez de Salazar) الحاكم العسكري

للصحراء للمراسلين بانه مهما حدث فاننا سندافع عن اراضينا . وأضاف اذا حاول المغاربة التوغل في خطوط القوات الاسبانية فانهم سيدخلون في حقول الغام وستكون العواقب وخيمة وتفيد تقارير المخابرات العسكرية الإسبانية في العيون بأن المسيرة قد تستغرق أسبوعا لتصل إلى المواقع الاسبانية المتقدمة وحقول الالغام وفي مدريد لم يصدر اى رد فعل رسمي من الحكومة الاسبانية ازاء بدء المسيرة ، لكن متحدثا باسم وزارتي . الخارجية الاسبانية كان قد صرح عقب اعلان الملك الحسن قراره ببدء المسيرة بأن الموقف لم يتغير حيث أن اسبانيا أبلغت الامم المتحدة إنها ستلجأ إلى استخدام القوة اذا اقتضى الأمر لوقف المسيرة وقد وصل اندريه لوفين مبعوث كورت فالدهايم السكرتير العام للمنظمة الدولية الى مدريد ولاجراء محادثات مع المسئولين الاسبان تهدف الى تجنب حدوث مصادمات بين القوات الاسبانية والمشتركين في المسيرة وكان قد أجرى خلال رحلته محادثات بين كل من المغرب والجزائر وموريتانيا وتشير التقارير الواردة إلى الامم المتحدة من مناطق المرور المغربية والاسبانية إلى أن المسيرة قد تتوقف قبل عبور الحدود أي قبل حدوث آية مواجهة بينها وبين القوات الاسبانية ، وصرح فالدهايم مشيرا الى هذه التقارير بقوله اعتقد أنه بوسعنا تجنب حدوث مواجهة مباشرة (٤٠)

واصلت الجريدة في متابعة اخبار مجلس الامن الذي طلب من المغرب وقف المسيرة اسبانيا تعلن حالة التأهب بين ٥٠ الف من قواتها صدر مجلس الامن في ٨/ تشرين الثاني /١٩٧٥ قرارا يطالب المغرب يوقف المسيرة الخضراء وسحب جميع المشتركين فيها ,واستنكر المجلس تنظيم المسيرة وطالب المغرب وجميع الاطراف الأخرى بالتعاون الكامل مع السكرتير العام لتمكينه من القيام بالمهمة التي عهد اليه بها مجلس الامن وقد سلم الوفد الإسباني في الامم المتحدة الى جاكوب ماليك رئيس مجلس الامن نص انذار أرسلته المغرب الى اسبانيا جاء فيه أنه في حالة حدوث صدامات بين المشتركين في المسيرة والقوات الاسبانية لم سيكون من الصعب على القوات الاسبانية أن تمتنع عن التدخل لأنه في هذه الحالة ستكون الحرب قد اعلنت بين البلدين ,وقد ساد العاصمة المغربية صمت كامل بشأن تحركات المسيرة لم تكن الموجة الأولى من أعضاء المسيرة الخضراء الذين يبلغ عددهم ٤٠ الف متطوع وتحركوا من المعسكر الذي قضوا به الليل والذي يقع على بعد خمسة كيلو مترات ,من الخطوط الدفاعية الاسبانية التي زرعت فيها الالغام .وقد ظلت أربع طائرات هليكوبتر اسبانية تحلق فوق المعسكر الذي أقامت فيه الموجة الأولى من المتطوعين لمدة طويلة .وذكرت الجريدة عن المصادر الرسمية في المغرب ان الموجة الثانية من اعضاء المسيرة ستتحرك اليوم ولكن لم تتأكد هذه الانباء. وأعلن في مدريد أن الحكومة الاسبانية وضعت ١٥ ألف جندي اسباني في جزر الكناري في حالة تأهب لاحتمال استخدامهم في الصحراء وعقد مجلس الوزراء الاسباني جلسة عاجلة برئاسة الأمير خوان كارلوس(Juan Carlos) القائم بأعمال رئيس الدولة لبحث المشكلة والتي تتركزفي وقف المسيرة من الاستمرار بدون اصدار امر

للقوات الاسبانية بأطلاق النار ,وكانت القوات الاسبانية ,وانسحبت من الحدود الاصلية للصحراء واقامت خط دفاع ثان على بعد ١٢كيلومترا من الحدود الاصلية للسماح للمغاربة بإقامة مسيرة رمزية فقط .[٤١]

ونقلت الجريدة في مقال أخر بينت فيه (أنباء عن قتال عنيف في الصحراء لوقف تقدم المسيرة المغربية المسيرة تتقدم في اتجاهات متفرقة للالتفاف حول القوات الأسبانية) ذكرت وكالة الانباء الجزائرية نقلا عن بيان اعلنته ان حركة تحرير الصحراء جهة البوليساريو أن قتالا عنيفا نشب في الجزء الشمالي الشرقي من الصحراء المتنازع عليها بين قوات الجبهة والقوات المغربية مما اسفر عن مصرع ٢٥٠ مغربيا تناثرت جثثهم ,حول القرى في المنطقة وتحطيم ٣ طائرات هليكوبتر مغربية ومحاصرة قوة تالف من ٧٠٠ جندى مغربي تدعمها المدفعية غير أن المسؤولين المغربيين في الرباط وصفوا بيان جبهة البوليساريو وهى حركة تطالب باستقلال الصحراء وتساندها الجزائر بانه (سخيف) كما ذكرت وكالة الانباء الجزائرية اليوم أن جبهة البوليساريو استولت على مدينة المقابلة للحدود موريتانيا في اقصى جنوب الصحراء ، واضافت الجريدة أن الجيش الاسباني كان قد غادرها بعد اخلاء المدنيين الاسبان منها ، وقالت أن هذه هي أول مرة يتم تحريرها في الصحراء ، وقد أصبحت اليوم تحت ادارة الصحراء . وقد تم رفع اعلام جبهة البوليساريو، فوق جميع مبانيها وصرح مصدر عسكري مغربي في منطقة الحدود بان القوات المغربية حاصرت مجموعة من رجال حرب العصابات على بعد ٢٩ كيلومترا جنوب (زاج) وهي نقطة عسكرية مغربية قوية عند الحدود وفي العيون عاصمة الصحراء وقف الفيلق الاجنبي الاسباني في حالة تأهب استعدادا لمواجهة الموجات البشرية المتدفقة من الحدود المغربية والتي لديها اوامر بالتوغل جنوبا داخل الصحراء حتى ولو أطلقت النار عليها ,ولكن لم تظهر لهم حتى الآن بوادر الموجة الأولى التي تتكون من ١٠٠ ألف مغربي والتي غادرت الحدود المغربية يوم. وقد عبرت الحدود الموجة ثانية من مائة ألف متطوع، بينما خرجت موجة ثالثة واتجهت شرقا في محاولة للالتفاف حول الفيلق الاسباني وصرح فيديريكو غوميز دي سالازار الحاكم العام الاسباني في العيون بان امر قواته بعدم السماح للمسيرة بالتقدم نحو العيون ، الا انه رفض أن يعلن من الحدود المسموح بها لتوغل المسيرة هذا وقد أمضى أفراد الموجة الأولى ليلتهم في المحميات والمنازل المهجورة التي أخلاها الاسبان على بعد ١١ كيلومترا من الحدود المغربية أي امام خطوط الدفاع الاسبانية الملغمة التي تسد الطريق الى العيون وثم يعلن عن تقدمها بعد ذلك وقد جاء في بيان أصدرته رئاسة أركان حرب القوات الاسبانية في قطاع الصحراء أن عدداً من العربات استمر طوال النهار في دخول منطقة الصحراء قادمة من المغرب ترافقها مجموعات من السائرين على الاقدام واضاف انه طول الليل اقيمت ٣ معسكرات رئيسية أمام خطوط الدفاع الإسبانية ، واخذ قاطنوها في جمع الحطب واشعال النار استعدادا للمبيت . وقال أن نحو الف عربة موجودة الآن في الصحراء، ومازالت القوات الاسبانية تترقب من مواقعها بيقظة وهدوء ومن ناحية أخرى

وصل انطونيو كارو مارتينيز(Antonio Carro Martinez) وزير شئون رئاسة مجلس الوزراء الإسباني الى اغادير لمناقشة احتمال الوصول إلى تسوية عن طريق التفاوض مع المسؤولين المغربين حول المنطقة المتنازع عليها . و اكد الوزير الاسباني أن لديه املا طيبا بشأن المحادثات التي سيجريها مع المسؤولين المغاربة وكانت الوزارة الاسبانية قد اجتمعت لمدة اربع ساعات لمناقشة الموقف كماطار عضو من مجلس الثورة الجزائري الى موريتانيا للتشاور حول تسوية لازمة الصحراء بينما سلم المبعوث الخاص للملك الحسن رسالة الى الرئيس الموريتاني مختار ولد دادة حول المسيرة الخضراء وفي الامم المتحدة اقترحت لجنة تصفية الاستعمار باغلبية الاصوات على مشروع قرار برفض مزاعم المغرب في الصحراء ، ومطالبة الجمعية العامة للامم المتحدة بمساعدة السكان المحليين في تقرير مصيرهم عن طريق استفتاء عام تحت اشراف الأمم المتحدة كما قدم كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة تقريرا إلى مجلس الامن الذي اعلن حاله التأهب بسب أزمة الصحراء ووصف فالدهايم المشكلة بانها خطيرة(٤٢)

وتابعت جريدة الاهرام في مقالاتها تطورات القضية ونشرت هذه المرة أنباء عن تسوية وشيكة لأزمة الصحراء أسبانيا تحشد قوة بحرية صاروخية لمواجهة تطورات الموقف اعلنت وكالة الانباء الاسبانية أن قوة عمل بحرية اسبانية تقف الان على الشاطئ الشمالي الغربي لأفريقيا في حالة استعداد لمساندة القوات الاسبانية في الدفاع عن الصحراء ضد المسيرة السلمية بالصحراء المتنازع عليها، وذلك وسط تكهنات واسعة الانتشار باحتمال الوصول إلى تسوية مع المغرب . وبينت الوكالة أن قوة العمل البحرية التي تقف في لاس بالماس بجزر كناريا تتألف من ١٦ سفينة حربية تحمل قواعد لاطلاق الصواريخ وطائرات هليكوبتر كما تحمل ٢٥٠٠ جندى بينما أكدت فيه مصادر عالمية في العيون أن الفيلق الاجنبي الاسباني قد انسحب الى خط دفاعى جديد بالقرب من الشاطئ ويمتد شمالا إلى مسافة تبعد بضعة أميال من حدود المغرب ,وقد فسر المسؤولون المغربيون بانه استعدادات أسبانية للانسحاب واضافت هذه المصادر ان الوجود الاسباني الفعال ، يغطى الان تلثي الصحراء فقط بما في ذلك العاصمة ومناجم الفوسفات ، وأعلنت الجريدة أن باقي المنطقة تسيطر عليها جبهة تحرير بوليساريو ، التي تطالب باستقلال الصحراء . و صرحت مصادر حكومية أسبانية بأن أسبانيا مستعدة لوضع قواتها في الصحراء (٢٥ ألف جندي) تحت قيادة الامم المتحدة على أن تقوم الهيئة الدولية بادارة المنطقة لمدة ٦ شهور .حتى يقرر سكان الصحراء مصيرهم ,و كما ذكرت المصادر نفسها ان اسبانيا تدرس فكرة الانسحاب من الصحراء وان كان ذلك قد يؤدى الى حرب بين المغرب والجزائر التي تساند جبهة البوليساريو في المطالبة باستقلال الصحراء . و عادت الى مدريد انطونيو كارو مارتينيز وزير الدولة الإسباني بعد أن اجتمع في أغادير بالملك الحسين ورئيس وزراء المغرب ووزير خارجيتها وعدد آخر من كبار الموظفين

بالحكومة المغربية و رافقه في طريق العودة السفير الاسباني في المغرب وسفير المغرب في اسبانيا . ولم يعلن مارتينيز شيئا عن نتائج زيارته ، الا أن التكهنات أشارت إلى احتمال وصوله إلى تسوية مع المغرب ، وهو الأمر الذي تدعمه تصرفات المسيرة المغربية في الصحراء التي توصلت الموجة الأولى منها ١٠٠ ألف متطوع عند الكيلو الـ ١١ من الحدود المغربية حيث واجهت خطوطا دفاعية أسبانية ملغمة ، بينما توقفت الموجة الثانية التي تحركت من معسكر على بعد ١٥ كيلو مترا . ومن ناحية أخرى نفى المسؤولون المغربيون ما تردد عن عبور احدى الوحدات المغربية الحدود بين المغرب والصحراء المتنازع عليها والاشتباك مع رجال و جبهة البوليساريو وتشير التوقعات إلى أن الملك الحسن الذي سيدلي بخطاب هام سيعلن فيه الوصول إلى تسوية الأزمة الصحراء مع أسبانيا .وذكر مصدر قريب من الحكومة المغربية ردا على سؤال حول ما ستعوضه المغرب عن الانسحاب أسبانيا من الصحراء وان المغرب هي صاحبة الحق الأكبر , وأضاف أن الملك الحسن عرض على اسبانيا بالفعل تعويضها من استثماراتها الضخمة في مناجم الفوسفات في الصحراء وقال أيضا أن المغرب مستعدة أيضا لمنح أسبانيا حقوق الصيد في المياه بين الصحراء وجزر كناريا وكذلك حقوق اقامة قواعد عسكرية اسبانية عند الشاطيء .وفي الجزائر أصدر عمال الصحراء الذين يعملون في أوروبا والذين وصلوا إلى الجزائر بينان تحدثوا فيه لا لقد جئنا لندافع عن بلادنا ضد اي تدخل أجنبي وأن المسيرة السلمية المغربية المزعومة ليست في الحقيقة سوى احتلال مقنع لبلادنا كما أكدوا في بيانهم ، أن جميع العمال الصحراويين في أوروبا تحركوا ليكافحوا بكل قواهم وحتى آخر نقطة من دمائهم ضد احتلال بلادهم ,واكد المتحدث باسم عمال الصحراء في أوروبا و أن الممثل الشرعي الوحيد لشعب الصحراء ، هو جبهة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب [٤٣]

نشرت الاهرام موضوعاً تحت عنوان **(المسيرة الخضراء بدأت العودة للمغرب تنفيذا لقرار الحسن)** بدأت المسيرة الفقراء في العودة الى الشمال تجاه الغرب . تنفيذ القرار الملك الحسن أمس بعودتها، واضاف أن المغاربة بداوا في رفع المخيمات التي كانوا قد أقاموها بالقرب من الخطوط الدفاعية الاسبانية واكد المسؤولون المغاربة أن أعضاء المسيرة سيعودون الى الطرفاية ، ولكنهم لن يعودوا الى بيوتهم . واضافو أنهم سيظلون في أماكنهم على الحدود حتى ينتهى الملك الحسن من مفاوضاته مع أسبانيا ومسؤولي الامم المتحدة كما أكدت مصادر القوات الاسبانية في الصحراء بأن رجال جبهة بوليساريو تأهب لحماية الصحراء إلى أن تخرج منها المسيرة المغربية ,ولكن أحد الضباط الاسبان صرح لصحفى هناك بأننا لا ننوى اطلاق رصاصة واحدة اذا ما حاولت المسيرة اقتحام حقول الالغام ولكن في نيتنا الانسحاب الى حدود عسكرية تمكننا من وقف المسيرة . ومن ناحية أخرى صرحت مصادر الصحراء بأن رجال جدد (بوليساريو)المطالبة باستقلال الصحراء اشتبكوا مع القوات المغربية في المناطق التي اخلتها القوات

الاسبانية في الصحراء وأضافت أن القتال تركز في مدينتين شمال شرقي الصحراء بالقرب من الحدود الجزائرية . وقالت المصادر أن تغلغل القوات المغربية في المنطقة يهدف الى اقامة حاجز، بين جبهة بوليساريو و الجزائر التي تساندها . كما تهدف إلى ملء المنطقة بمؤيدي الاتحاد مع المغرب حتى اذا ما اجرى استفتاء لتقرير المصير بين سكان الصحراء تكون نتيجته تأييد الانضمام الى المغرب،وأضاف المصادر و ربما يكون كلا من المغرب وموريتانيا والمسؤولين في والمغرب واكدت مصادر عليمة في اغادير أن أسبانيا والمغرب اتفقتا على تسليم السلطة في الصحراء إلى الأمم المتحدة على أن تشكل الهيئة الدولية لجنة ثلاثية الإدارة الصحراء بصفة مؤقتة وتتضمن كل من المغرب وموريتانيا والمسؤولين في الصحراء .و أعرب مسؤولون بالحكومة الاسبانية عن مخاوفهم من أن تقوم جبهة بوليساريو المطالبة باستقلال الصحراء بأعمال فدائية عقب قرار الملك الحسن بالانسحاب المسيرة السلمية من الصحراء فقد أعلنت مصادر قريبة من الجبهة ان قرار الملك بعودة المسيرة يدل على انه توصل الى اتفاقية سرية مع أسبانيا للاستيلاء على الصحراء ، وأضافت القول أنه اسبانيا تخلت عن وعودها بالدفاع عن الصحراء وقال المسؤولون الحكوميون في أسبانيا وأن الخطر الرئيسي الذي يهدد الأمن في الصحراء هي فعاليات جبهة بوليساريو [٤٤]

وفي الثاني عشر من تشرين الثاني من العام نفسه حدثت اشتباكات بين القوات المغربية وجبهة البوليساريو » داخل الصحراء انسحاب المجموعة الأخيرة من المسيرة الخضراء وتقدم القوات المغربية

صرحت مصادر عسكرية اسبانيا أن القوات المغربية التي تدعمها الدبابات والمدرعات قد تغلغلت بعمق كامل في الجزء الشمالي الشرقي من الصحراء حتى وصلت " إلى تيفاريتي على حدود موريتانيا ، وهي مسافة تزيد على ١٠٠ ميل جنوب الحدود المغربية . وذكرت التقارير أن هذه القوات اشتبكت مع رجال جبهة البوليساريو، التي تطالب باستقلال الصحراء وتساندها الجزائر، ولكنها لم تذكر آية تفاصيل أخرى عن هذه الاشتباكات ومن ناحية أخرى انسحبت اليوم آخر مجموعة من المسيرة المغربية في الصحراء عائدة تجاه المغرب . كما بدأت القوات الاسبانية التي كانت تعترض طريق المسيرة في الانسحاب وصرح القائد العسكري الاعلى المنطقة بأن أسبانيا أخلت الجزء الأكبر من الصحراء ولم يؤكد أنباء المعارك بين القوات المغربية وجبهة البوليساريو المطالبة باستقلال الصحراء في المناطق التي تم اخلائها وقال أنه لا يستطيع التدخل فيما يحدث هناك وقد صرحت مصادر حكومية أسبانية بأن أسبانيا لم تتوصل الى اتفاق مع الملك الحسن، ولكنها أضافت أن أسبانيا كنت ترغب طوال فترة الأزمة أن تصل إلى تسوية عن طريق التفاوض المبينة على أساس رغبتها في الانسحاب من المنطقة في أسرع وقت ممكن ، وأنها الان تستطيع أن تجلس على مائدة المفاوضات دون ضغط مباشر من المسيرة وقالت المصادر أن من بين الاقتراحات المعروضة للحراسة و تسوية ثلاثية بين أسبانيا والمغرب وموريتانيا على ألا تقوم الامم

المتحدة بدور هام للوصول إلى هذه التسوية واضافت هذه المصادر ان اسبانيا ستبحث أيضا من اجل لتحاشي أي صدام مسلح مع الجزائر التي كررت مطالبتها بحق شعب الصحراء في تقرير مصيره .
وأكد المسؤولون المغربيون أن احتلال المسيرة لجزء من الصحراء لمدة ٤ ايام أقنع أسبانيا بأن التفاوض المباشر هو الحل الوحيد . وهو مالم تستطيع الامم المتحدة أن تفعله في ١٠ سنوات وأضاف المسؤولون أن من أهداف قرار الملك الحسن من عودة المسيرة الرغبة في عدم اعطاء الجزائر الفرصة للتدخل الاسبان لمنع ما تسميه بانتهاك حق الشعوب في تقرير المصير وقد ذكر المراقبون أنه على الرغم من أن المغرب في ذات الوضع الذي كانت فيه حين أعلنت المسيرة منذ ٣ أسابيع إلا أن المسؤولين المغربين يؤكدون أن الموقف هناك تفاقم بين المغرب وأسبانية من أجل الوصول إلى تسوية عن طريق التفاوض المباشر , والضافة المراقبون أن المغرب تكثيف في نفس الوقت من أسرارها للوصول الى حل يرضى مطالبها في السيطرة على الصحراء ، وذلك عن طريق الاحتفاظ بالمتطوعين في حالة استعداد لاستئناف المسيرة اذا ما فشلت المفاوضات واشارت التكهنات إلى أن المسيرة التي ضمت ٢٥٠ الف مغربي كانت جزءامن سيناريوتم تدبيره مع الزعماء الاسبان وقال المراقبون أن الجيش المغربي كان على اتصال بالجيش الإسباني خلال المغامرة التي استمرت يومين ، حيث أن قوات الحدود الاسبانية انسحبت نحو ٦ أميل قبل بدء المسيرة لتسمح للمسيرة ولو يلمس أرض الصحراء كما انها كانت مستعدة للانسحاب ١٠ أميال أخرى قبل خطاب الملك ,وأضاف المراقبون أن الملك والمسؤولين المغاربة كان يؤكدون باستمرار الصداقة التقليدية والاخوة بين البلدين . ومن ناحية أخرى أجرى الرئيسان الجزائري هواري بومدين والرئيس الموريتاني مختار ولد دادة سلسلة من المحادثات السياسية في بيشار جنوب غرب الجزائر حول قضية تصفية الاستعمار في الصحراء المتنازع عليها بعد قرار الملك الحسن بانسحاب المسيرة منها وانتقدت الدوائر السياسية الجزائرية بشدة التقارب المفاجئ الذي حدث بين موريتانيا والمغرب والذى تجد في اتفاق سري وقع في عام ١٩٧٤ بين البلدين بشأن تقسيم الصحراء والذي كشف النقاب عنه مؤخرا (٤٥)

أوضحت مقالات الجريدة طبيعة ظروف استئناف المفاوضات حول أزمة الصحراء المسيرة ستعبر الحدود اذا فشلت المفاوضات جددت أسبانيا مفاوضاتها مع المغرب الموريتانيا حول مستقبل الصحراء المتنازع عليها في الوقت الذي لم يقدم فيه أي دليل على تغيير مواقف الدول المعنية .ويرأس الوفد المغربي في المحادثات أحمد عثمان رئيس وزراء المغرب التي كان قد تزعم الموجة الأولى من المسيرة السلمية للصحراء ، بينما يرأس الوفد الموريتاني حمدي مكناس وزير خارجية موريتانيا ، ذكرت مصادر أسبانية أن أسبانيا مازالت تريد تحقيق تسوية تمارس فيها الأمم المتحدة دورا هاما ، ربما في إدارة المنطقة بصفة مؤقتة حتى يقرر سكان الصحراء الأصليين مصيرهم ، بينما تصر المغرب على تولى السلطة في الصحراء وهو نفس الموقف الذي اتخذته منذ بداية الأزمة ، أما موريتانيا التي كانت تطالب باقتسام

الصحراء مع المغرب فلم يعرفه بعد موقفها الجديد عقب اجتماع الرئيس الموريتاني مختار ولد دادة بالرئيس الجزائري هواري بومدين في بيشمار وان كانت الجزائر مازالت مصرة على جنوب الجزائر ، وأشار المراقبون الى أنه لم تصدر أية بيانات حول الاجتماع عدم منح المغرب السيادة على الصحراء لدى وصوله الى مدريد بأن بلاده لها علاقات ممتازة بالجزائر وهي تأمل أن تستمر هذه العلاقات على هذا النمط وأضافت المصادر الاسبانية أنها أقل تفاؤلا من المغرب حول الوصول الى تسوية خلال محادثات ، بينما أعرب المعلقون المغربيون منذ اعتقادهم بأن المغرب ستعلن عودة الصحراء اليها في الاحتفال بالذكرى العشرين الاستقلالها في الاسبوع القادم وقد أعلن أحمد الطيب بنهاية وزير الاعلام المغربي أنه في حالة فشل المحادثات فان المسيرة ستعبر الحدود مرة أخرى وتواجه القوات الاسبانية من جديد ومن ناحية أخرى يتابع كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة اتصالاته بالاطراف المعنية على أساس الاحترام التي تقدمها والتي تتبناه الامم المتحدة بادارة الاقليم بصفة مؤقتة وأن الاستفتاء شعبي وقد علم أنه ليس هناك تشكيل قوة تابعة للامم لوضعها في الصحراء وان القوات الاسبانية تستطيع توفير الأمن باشراف الأمم المتحدة [٤٦]

وبينت جريدة الاهرام في رابع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ في مقال لها عن مستوى تفاؤلها حول مفاوضات الصحراء أنباء عن اتفاق بين أسبانيا والمغرب قال مصدر حكومي اسباني ، ان اسبانيا والمغرب على وشك الوصول إلى حل الازمة الصحراء ستسلم أسبانيا بمقتضاه السلطة على الاقليم الى الطرفين المطالبين بها ، وهما المغرب وموريتانيا وتحدث المصدر ان اسبانيا تريد الانسحاب من الصحراء انسحابا منظما ، وهذاهو الموضوع الذي تجرى بشأنه المحادثات مع المغرب وموريتانيا .وكانت المصادر الدبلوماسية في مدريد قد ذكرت أن الزعماء الاسبان والمغربين والموريتانين اجتمعوا أكثر من تسع ساعات لمناقشة مستقبل الصحراء المتنازع عليها ، وقالت أن المحادثات تسير بصورة ممتازة وفي جو من المودة وقد يصدر بيان مشترك في نهايتها ,وأضافت هذه المصادر أن مدريد متحمسة لمناقشة التفاصيل الخاصة بمناجم الفوسفات التي تدر لها ربحاً قيمته ٢٨٠ مليون دولار سنويا ، وقالت إن وجود الخبراء الاقتصاديين والفنيين، والتجاريين ومساعديهم فنين الوفد الاسباني يؤكد هذه الحقيقة , ومن ناحية أخرى ذكرت صحيفة مغربية أن أسبانيا والمغرب توصلنا بالفعل إلى اتفاق من حيث المبدأ تعترف أسبانيا بمقتضاه بسيادة المغرب على الصحراء,وبينت الصحيفة أنه تم التوصل الى هذا الاتفاق خلال زيارة وزير الدولة الاسباني للملك الحسين في الكادير في الاسبوع الماضي . وأضافت أنه لم يبق سوى تجديد تفاصيل الانسحاب الإسباني من الصحراء وبعض التفاصيل الأخرى , وفي منطقة طرفاية على الحدود المغربية دخلت المسيرة التي عادت من الصحراء في مرحلة انتظار [٤٧]

واشارت الجريدة الى اتفاق حول الصحراء بين المغرب وموريتانيا وأسبانيا توصلت فيه كل من اسبانيا والمغرب وموريتانيا إلى نتائج طيبة حول مشكلة الصحراء بعد محادثات استمرت ثلاثة أيام في مدريد . وصدر بذلك بيان رسمي في العاصمة الاسبانية عقب انتهاء المحادثات . وأوضح البيان الذي صدر بذلك عقب انتهاء المحادثات أن هذه النتائج تتفق مع توصيات مجلس الامن ولم يذكر البيان اي تفاصيل عن نوعية الاتفاق وأذيع أن تفاصيل الاتفاق لن تعلم رسميا الا بعد موافقة البرلمان الاسباني يوم ١٨ أو ١٩ تشرين الثاني الحالي على قانون تصفية الاستعمار في الصحراء وقد اشترك في المحادثات أحمد عثمان رئيس الوزراء المغربي وحمدي ولد مكناسي وزير خارجية موريتانيا وكارلوس ارياس نافارو(Carlos Arias Navarro) رئيس الوزراء الاسباني وذكرت المصادر المطلعة أن الاتفاق الذي توصلت اليه الأطراف الثلاثة ينص على أنهاء الوجود الاسباني في الصحراء في موعد اقصاء الثامن والعشرين من فبراير (١٩٧٦) وسوف تشكل ادارة ثلاثية تقسم بين إسبانيا وموريتانيا والمغرب تتولى تحديد اسلوب التعرف على رأى شعب الصحراء في تقرير مصيره وفور تشكيل اللجنة الادارية في نهاية نوفمبر الحالي ستسحب اسبانية قواتها العسكرية, ولكن أحد المصادر الحكومية الاسبانية ذكر أن الاتفاق بين الدول الثلاث اكد على أن تتسلم المغرب وموريتانيا الصحراء في الوقت المناسب في مقابل أن تحصل اسبانيا على نصيب من فوسفات الصحراء[٤٨]

ونشرت الجريدة في السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ مقال بعنوان (مشروع للامم المتحدة حول مستقبل الصحراء) قدمت لجنة تصفية الاستعمار في الأمم المتحدة مشروعا يقضى بتعيين بعثة من الامم المتحدة تقوم بوضع أسلوب المشاورات الخاصة بمستقبل الصحراء المتنازع عليها ، وهو الأمر الذي يتعارض مع الاتفاقية التي تمت بين اسبانيا والمغرب بشان حصر المحادثات حول مشكلة الصحراء بين الدولتين والجمعية الاقليمية لزعماء القبائل في الصحراء . كما دعا المشروع الى تعاون البعثة مع كل من أسبانيا والمغرب وموريتانيا والجزائر وحركات التحرر في الصحراء وذلك بهدف مساعدة شعب الصحراء على تقرير مصيره [٤٩]

أشارت جريدة الاهرام في مقالها المؤرخ في السابع عشرمن تشرين الثاني ١٩٧٥ أن جبهة « البوليساريو » ترفض اتفاقية الصحراء الثلاثية صرح الوالي سكرتير عام جبه تحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب بوليساريو – بان الاتفاقية الكلام الموقعة بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا تعتبر لاغية وليس لها أي صفة شرعية. وصفها بانها حركة عدوان ولصوصية وقال سكرتير عام الجبهة أن بعض الاطراف المعنية تآمرت مع المستعمر لينهيه شعبنا انتصاره وحقوته منتهكا بذلك قرارات الامم المتحدة التي تعترف بكل وضوح بحق هذا الشعب في تقرير مصيره بسيادة وحرية . كما أكد أن جبهة ، بوليساريو ، هي الممثل الحقيقي لشعب الصحراء وأنها موجودة هنا باعتبارها قوة عسكرية وتنظيما سياسيا وإداريا كل

أراضي الصحراء .وقال سكرتير عام الجبهة أن شعبنا يناشد الامم المتحدة بالحاح أن ترسل على الفور بعثة من المراقبين لتسجيل العدوان المغربي المستمر في صورة غزو عسكرى صريح في شمال شرق بلادنا ومن ناحية أخرى حذرت الجزائر في صحفها من الاثار الاقتصادية الهدامة التي ستترتب على وصول اسبانيا الى اتفاقية ثنائية أو ثلاثية حول مشكلة الصحراء ، وقالت ان اسبانيا التي لها مصالح ضخمة في العالم العربي ستشهد انتكاسة سياستها نحو العرب والتي ظلت لمدة تزيد على ١٠ سنوات .و طار الى نيويورك أحمد العراني وزير خارجية المغرب حيث من المقرر يتحدث أمام اللجنة الرابعة لتصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة . وقد صرح في مطار نو الذي توقف فيه لمدة ساعة في طريقه نيويورك بأنه سيبلغ كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة بالنتائج الايجابية التي أسفرت عنها المفاوضات الثلاثية التي جرت في مدريد الاسبوع الماضي (٥٠)

ونشرت الجريدة في عدد أخر لها في الثامن عشر من تشرين الثاني / ١٩٧٥ انباء عن معارك فى الصحراء بين المغاربة و أفراد من جبهة البوليساريو اكدت وكالة الانباء الجزائرية انه تجرى حاليا معارك عديدة بين رجال جبهة تحرير الصحراء | بوليساريو] وبين القوات المغربية من اجل السيطرة على الصحراء وقالت الوكالة في تحقيق نشرته صحيفة المجاهد الجزائرية أن القوات المغربية قامت بغزو الصحراء ولكن مقاتلي جبهة التحرير يتصدون لهذا الغزو . وقالت الوكالة أن أسيرا مغربيا اسمه عبد الرحمن جمال ، يعمل في حامية تان تان ، على الحدود الجنوبية للمغرب ، وذكر أن القوة التى ينتمى اليها قد عبرت الى الصحراء وواجهت مقاومة من الفدائيين الذين تمكنوا من اسره هو وبعض رفاقه خلال الهجمات التي يشنونها ضدهم اثناء الليل (٥١)

وكتبت الجريدة مقال بتأريخ عشرون من تشرين الثاني / ١٩٧٥ بعنوان (تقسيم الصحراء سيؤدى إلى حرب دموية) حذرت كل من الجزائر وجبهة البوليساريو ، المطالبة باستقلال الصحراء المتنازع عليها من ان اية محاولة التقسيم الصحراء بين المغرب وموريتانيا ستؤدى الى حرب دموية تمتد اثارها الخطيرة في كل انحاء المنطقة .وقد جاء هذا التحذير بعد أن أعلن مندوب أسبانيا في الامم المتحدة قرار اسبانيا بالانسحاب من الصحراء في موعد أقصاه ٢٨ فبراير القادم وتسليم المنطقة للمغرب وموريتانيا. وقال المندوب الاسباني أمام لجنة الوصاية التابعة للامم المتحدة أن اسبانيا ستنسحب بمقتضى الاتفاقية بينها وبين المغرب وموريتانيا وأنه في الوقت نفسه سيتم تعيين حاكمين احدهما من المغرب والثاني من موريتانيا ليشتركا مع الحاكم الاسباني العام في ادارة الصحراء ، على أن ينتهى عمل الحاكم الاسباني العام بعد انتخاب بلاده من الصحراء واعلن عبد اللطيف رحال مندوب الجزائر في الامم المتحدة انه يحذر لجنة الوصاية باسم حكومته من أن يتم الوصول اليه خارج اطار الامم المتحدة وقد رغبتها وخاصة اذا كان هذا الحل سيسمح لأسبانيا أن تبيع وتشترى سيادة الصحراء التي لا تملكها لكل من بالمغرب

وموريتانيا واضاف ان مثل هذا الحل يهدد السلام في المنطقة وقال أن مستقبل الصحراء يجب أن يتقرر من خلال سكانه الاصليين وكما اعلن امين يشير ممثل جبهة البوليساريو التي تساندها الجزائر امام اللجنة ان اسبانيا والمغرب وموريتانيا يحاولون تقسيم سكان المنطقة وكانهم قطيع من الاغنام وقال انه اذا لم يعلن استقلال الصحراء فسوف تتحول المنطقة الى ميدان للمعركة مما سيهدد السلام والامن الدوليين بشكل أو بآخر, وقد استقبل كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة كل من أحمد العراني وزير خارجية المغرب وولد مكناس وزير خارجية موريتانيا وعبد العزيز بوتفليقه وزير خارجية الجزائر لبحث مشكة الصحراء .ومن ناحية أخرى أعلنت مصادر عسكرية في الرباط أن ٣٥ من المتطوعين للمسيرة المغربية تتوالى الى العودة الى ديارهم بعد قرار اسبانيا بالانسحاب من الصحراء . وكان حولي المتطوعين مجتمعين في طرفاية على الحدود المغربية منذ اعلان الملك الحسن انسحاب المسيرة من الصحراء وبقائها على الحدود رهن المحادثات مع أسبانيا ومن المتوقع أن تتم عودة المتطوعين خلال أسبوعين ، بينما ستتوجه مسيرة رمزية إلى العيون عاصمة الصحراء حيث سيعلن الملك في ٣ أذار القادم انتصار المغرب وعودة الصحراء والذكرى الخامسة عشرة لتوليه العرش . [٥٢]

وفي مقال بجريدة الاهرام تحت عنوان (ممدوح سالم يبدأ غداً جولته في شمال افريقيا) جاء فيه ان استقبل الرئيس أنور السادات في واحد وعشرون من تشرين الثاني ١٩٧٥ السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء ، حيث حمله رسائل الى ملوك ورؤساء دول شمال أفريقيا التي سيزورها رئيس الوزراء ، في اطار التحرك السياسي مصر نحو اهداف العمل العربي في المرحلة المقبلة .وكان من المقرر أن يبدأ رئيس الوزراء جولته اليوم ، ولكنه قرر تأجيلها ٢٤ ساعة للقاء رئيس وزراء المغرب إلى أسبانيا للتعزية في وفاة الجنرال فرانكو. وعلى ذلك سيبدا السيد ممدوح سالم جولته غدا بزيارة الجزائر ، ثم تونسي. فالمغرب التي يصل اليها يوم الثلاثاء ، ويزور بعد ذلك ليبيا ثم يعود الى القاهرة وسيقوم رئيس الوزراء خلال جولته بشرح نتائج رحلة الرئيس أنور السادات الى فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، لكل من الرئيس هواري بومدين والرئيس الحبيب بورقيبة وجلالة الملك الحسن والعقيد معمر القذافي. واعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين أن قتالا يدو حاليا في الصحراء بين المغاربة والسكان الوطنيين ,واضاف بومدين في حديثه الصحيفة لومنيتيه الفرنسية أن المغاربة دخلوا الصحراء ووقعت مصادمات مع السكان الصحراوين.[٥٣]

وذكرت الجريدة في مقال أخر بعنوان **(الادارة الثلاثية تتسلم السلطة في الصحراء)**تسلمت الادارة الثلاثية رسميا في السادس والعشرون من تشرين الثاني١٩٧٥ السلطة في الصحراء بناء على الاتفاقية التي وقعتها كل من اسبانيا والمغرب وموريتانيا بعد صدر بيان عن مكتب الحاكم الاسباني للصحراء قال فيه أن ممثلين الموريتانيا والمغرب سينضمان اليه بوصفهما حاكمين مساعدين .وقالت وكالة الانباء

الاسبانية أن الحاكم المغربي وهو أحمد بن سودة ، وصل إلى العيون اليوم ومن المنتظر أن يصل عبد الله ولد شيخ ، الحاكم الموريتاني وكانت الدول الثلاث قد وقعت اتفاقية تقضي بانسحاب أسبانيا من الصحراء قبل الثمن والعشرين من شباط ١٩٧٦ .[٥٤] **(ازمة بين المغرب والجزائر العلاقات تتجه بسرعة نحو القطيعة)** تصاعدت الازمة بين المغرب والجزائر وسط حملة عنيفة يتبادل فيها البلدان اعنف الاتهامات . ويرى المراقبون السياسيون أن عملية التصعيد التي تسير بشكل رسمي وعلى اعلى مستوى قد تجاوزت نقطة اللاعودة وانها تشكل بداية الازمة عنيفة كانت كامنة ، ثم فجرتها مسألة الصحراء ، وأكد هؤلاء دائما الكتابة تكون بلغة الماضي أن مسألة الصحراء التي تحتلها أسبانيا لم تكن سوى الفتيل الذي اشعل الأزمة بينهما وقد أتهمت إذاعة الجزائر في تعليق لها المغرب، بأنه استخدم أساليب قوة وحشية ابان ازمة الصحراء ، وانه يجرى تخدير الشعب المغربي بالخرافات واتهم الراديو الحكومة المغربية بأنها نشأت في تمثيل الشعب ,وقال الراديو أن الملك الحسن ذهب في مؤتمره الصحفي الذي عقده الى جد استخدام تعبير الحرب فيما يتعلق بالعلاقات بين البلدين وأشار التعليق إلى قول الحسم أن الرئيس بومدين يخشى الملكية المغربية .وذكرت الوكالة الفرنسية نقلا من المراقبين في الجزائر أن الأزمة بين المغرب والجزائر تسير حاليا في اتجاه القطيعة ويرجع المراقبون جذور الازمة إلى الاختلاف الايديولوجي بين نظامي الحكم في البلدين الذي فشلت كل الاتصالات ومؤتمرات القمة المشتركة بينهما في ازالته [٥٥])

وفي عنوان اخر نشرته جريدة الاهرام تحت عنوان (بومدين يتهم إسبانيا ...بالخضوع للضغط في قضية الصحراء)اتهم الرئيسي الجزائري في حديث الصحيفة اسبانية الحكومة الاسبانية بأنها تذكرت لالتزاماتها والخضوع للضغوط الداخلية بموافقتها على تسليم الصحراء المغرب وموريتانيا وقد رفض بومدين الاجابة على سؤال فما كان يعتقد أن أزمة الصحراء قد تؤدي إلى صراع مسلح بين الجزائر والمغرب ,و من المقرر أن ينشر هذا الحديث في مجلة كامبيو الاسبانية ولكن الحكومة منعت نشره.[٥٦]

ومن جهة اخرى تناولت جريدة الأهرام في عرضها لمضمون تقرير ممدوح سالم للرئيس عن جولته في دول شمال أفريقيا وإسبانيا عاد إلى القاهرة مساء أمس السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء بتقرير مفصل الرئيس السادات من نتائج جولته التي بدأها بزيارة الجزائر ثم تونس ثم المغرب ثم إسبانيا و ليبيا اذ أمضى ٢٤ ساعة عقد خلالها اجتماعين مع الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس الثورة ورئيس الوزراء الليبي . واستمر الاجتماع الأول الذي عقد الأول ٣ ساعات ، بينما استغرق الاجتماع الثاني الذي عقد بمقر رئيس مكتب العلاقات المصرية في طرابلس قبل عودة رئيس الوزراء إلى القاهرة مدة ساعة وعلم مندوب الاهرام ، أنه قد تعذر مقابلة السيد ممدوح سالم العقيد معمر القذافي بسبب وجود القذافي في الصحراء منذ بضعة أيام ,و التقى السيد ممدوح سالم في طرابلس صباح امس بممثلي القطاعات

المهنية من الخبرات المصرية العاملة في ليبيا اذ شرح لهم السياسة الخارجية المصرية منذ حرب أكتوبر/تشرين الاول وقال ان السياسة التي تتبعها مصر الأن هي امتداد و استثمار الحرب اكتوبر وأهدافها واضحة ومحددة تتمثل في حل القضية الفلسطينية وعودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وإجلاء قوات الاحتلال من كافة الأراضي العربية التي احتلت منذ عام ١٩٦٧ .

ونشرت الجريدة في عدد اخر لها مقال بعنوان (مشروعان متعارضان بمستقبل الصحراء للجزائر وتونس أمام لجنة تصفية الاستعمار) قدمت لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة مشروع قرار يؤيد الاتفاق الثلاثي الذي أبرم في ١٤ نوفمبر الماضي بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا ويقضى بتشكيل ادارة ثلاثية تعد الانسحاب اسبانيا من اقليم الصحراء في شباط القادم .ويؤكد المشروع الذي اشتركت في تقديمه السنغال وزائير حق إمال الصحراء في تقرير المصير .وفي الاجتماع نفسه قدمت الجزائر مشروع قرار آخر يؤكد حق شعب الصحراء في تقرير المصير والاستقلال كما يؤكد مسؤولية الأمم المتحدة في تصفية الاستعمار في الصحراء ويطالب المشروع الجزائري . الجمعية العامة بدعوة اسبانيا الى نقل مسئولياتها ، باعتبارها الدولة التي تدير المنطقة ، الى الامم المتحدة في اول آذار القادم كما طالب المشروع بإقامة ادارة مؤقتة لمدة ستة أشهر تمهيدا لإجراء استفتاء عام تحت اشراف الأمم المتحدة على أن توضع تحت تصرف هذه الادارة قوات تابعة لإسبانيا تحمل ذات الاهداف للامم المتحدة وتحت علمها الامم المتحدة

في العدد ذاته أشارت الجريدة الى تقرير للرئيس عن قضية الصحراء بين المغرب والجزائر اذ قدم السيد مدوح سالم رئيس الوزراء ، تقريرا الى الرئيس أنور السادات على جانب كبير من الأهمية ، بشأن المهمة لتي كلفه بها الرئيس في كل من الرباط الجزائر ، والتي تفصل بقضية الصحراء اهتمام الرئيس بتطويق الخلاف عليها بين لبلدين الشقيقين ,وعلم المندوب أن سفارات المغرب الجزائر وموريتانيا بالقاهرة ، أجرت اتصالات مع حكوماتها بشأن قيام السيد محمود رياض أمين الجامعة العربية بمهمة تصل بقضية الصحراء ، ومن المنتظر أن يصل رد الحكومات خلال اليوم وبعدها يتقرر سفر الامين العام او عدولة عن ذلك (٥٧)

الخاتمة :

بعد متابعة الباحثة لما نشرته جريدة الاهرام القاهرية في مقالات عن قضية الصحراء الكبرى الغربية خرجت بعدة استنتاجات منها الاتية :-

اولاً:- شكل موقع الصحراء الغربية وغناها بالمعادن المهمة سبباً في تصاعد حدة النزاع بين الدول الاقليمية والجوار العربي.

ثانياً:- بعد الانسحاب الاسباني من الصحراء بموجب اتفاقية مدريد عاد صراعاً عربياً -عربياً أطرافه المغرب والجزائر وموريتانيا وجبهة البوليسار ,حتى نجحت الجبهة بتشكيل اول حكومة ومجلس وطني ورفضها الاعتراف باتفاقية مدريد الثلاثية .

ثالثاً:- دعمت مقالات جريدة الاهرام المغرب والمسيرة الخضراء وصورتها كأنه نزاع بين المغرب واسبانياذ لم تعترف في بادئ الامر بحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره .

رابعاً:- طرحت مقالات الجريدة اهمية العمل على الحل السياسي والتوصل الى تسوية سلمية نهائية مقبولة لدى جميع الاطراف بوساطة محكمة العدل الدولية .

خامساً:- حرصت هيئة تحرير جريدة الاهرام القاهرية على ضرورة نقل المقالات والاخبار ,وتحليلاتها لبموضوعية بشأن تطورات قضية الصحراء الغربية . فضلاً عن ذلك أشادت بجهود الملك الحسن الثاني في أتباع الاساليب الدبلوماسية الناعمة في حل هذه القضية المصيرية بالنسبة للمملكة المغربية .

الهوامش :

[1] – صلاح العقاد ,المغرب في بداية العصور الحديثة ,معهد البحوث والدراسات العربية ,القاهرة ,١٩٦٢ ,ص٢٧.

[2] – مؤتمر برلين ١٨٨٤-١٨٨٥ : مؤتمر غرب افريقيا هو عبارة عن اجتماع دبلوماسي استعماري نظم لتقسيم القارة الافريقية ووضع قواعد دولية لاغراض التجارة والملاحة للمزيد ينظر جلال يحيى ,تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر,المكتب الجامعي الحديث ,الاسكندرية ,١٩٩٩,ص٢١٠.

[3] –علال الفاسي ,دفاعا عن وحدة البلاد المغرب ,دار الطباعة المغربية ,طنجة ,١٩٥٩,ص١٦-١٧.

[4] –جمال زكريا وصلاح العقاد ,مسألة الصحراء الاسبانية سابقا,معهد البحوث والدراسات العربية للدراسات الخاصة ,المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم ,١٩٧٦,ص٤٨٠.

[5] –علال الفاسي : ولد في عام ١٩١٠ في فاس من اسرة اشتهرت بالعلم والتقوى درس في المدرسة العربية واكمل دراسته العليا في جامعة القرويين ,وفي عام ١٩٣١ حصل على الشهادة العليا واصبح رئيساً لجمعية سرية اسماها (اتحاد الطلبة) للمزيد ينظر : ياسين سعد محمد علي ,الاحزاب والقوى السياسية وتأثيرها على القرار السياسي في المملكة

المغربية بعد الاستقلال ,رسالة ماجستير ,غير منشورة ,معهد الدراسات السياسية والدولية ,الجامعة المستنصرية ,٢٠٠٠ ,ص٢٢

[٦] – محمد الخامس محمد بن يوسف تولى الحكم سنة ١٩٢٧م وكانت المغرب تحت الحماية الفرنسية، أيد الحركة الوطنية ووقف ضد السلطات الاستعمارية وطالبة باستقلال المغرب الكامل ، نفي سنة ١٩٥٣م إلى كورسيكا ثم جزيرة مدغشقر، عاد للمغرب سنة ١٩٥٥م وأعيد تنصيبه سلطانا، في مارس ١٩٥٧م على المغرب توفي سنة ١٩٦١م ينظر : عبد الوهاب الكيلاني، موسوعة السياسة، المجلد ٦ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان، دون تاريخ، ص ٨١ .

[٧] –علي الشامي ,الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي ,دار الكلمة للنشر ,بيروت ,١٩٨٠, ص ٣٤٩.

[٨] حرب الرمال : هي الحرب التي حدثت بين المغرب والجزائر دامت قراب اسبوعين من ١٩ تشرين الاول الى ٢ تشرين الثاني ١٩٣٢ اطلق عليها حرب الرمال لوقوعها في الصحراء ,اسفرت عن قتلى وجرحى وحمل كل طرف الطرف الثاني المسؤولية :للمزيد ينظر شهيدة حفيان ,مشكلة الحدود بين الجزائر والمغرب ١٩٦٣–٢٠٠٠ ,رسالة ماجستير منشورة ,الجامعة الافريقية ,أدرار ,٢٠١٣,ص١٦

[٩] –اسماعيل معراف ,الصحراء الغربية في الامم المتحدة وحديث عن الشرعية الدولية ,دار هومة للطباعة والنشر ,الجزائر ,٢٠١٠,ص٤٠.

[١٠] – الحسن الثاني :هو النلك السابع عشر من الاسر العلوية الشريفه في المغرب ولد في مدينة الرباط حصل على الثقافة العربية وتعلم على يد العلماء المسلمين المنسقين بالقصر. نال شهادة الدكتوراه في الحقوق من سيد الرباط أصبح قائداً عاماً للجيش ، ومن ثم ١٩٥٧ وليا العهد قبل أن يصبح في عام ١٩٦٠ رئيسا للوزراء ، وفي الوقت نفسه نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً الدفاع. وعندما توفي الملك محمد الخامس نصب ملكاً على المغرب في ٢٦ شباط – فبراير ١٩٦١ واستمر باديه الأمر في قيادة شؤون الدولة في ظل نظام رئاسي فن إطار ملكية دستورية. وعام١٩٦٣ أعلنت السلطات المغربية من اكتشافها و مؤامرة، يسارية نظمها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، مما أعطاها ذريعة وقيام انتفاضة ١٩٦٥ في الدار البيضاء وقمعها بشكل عنيف واعلان حالة الطوارئ وحصر كل السلطات بيدهكما اصدر دستورا عام ١٩٧٠ كما جرت عدة محاولات لاغتياله كل ذلك دفع الملك للمفاوضة مع المعارضة لاسيما بعد بروز مشكلة الصحراء الغربية التي كانت سببا في التفاف الكثير حول الملك محمد الخامس ,وفي عام ١٩٧٩ اعلنت موريتانيا حيادها اتجاه الصحراء الغربية ,فنجح على اثر ذلك الملك الحسن الثاني من ضم الصحراء للمغرب للمزيد ينظر عبد الوهاب الكيلاني ,المصدر السابق ج٢,.ص٥٣٣.

[١١] – هواري بومدين: ولد عام ١٩٣٢ في مدينة قالمة في الجزائر واسمه محمد بوخربة من عائلة فلاحية ، وشارك وهو في عمر ١٣ عام في مظاهرات قالمة ١٩٤٥ ، وعندما بلغ سن العسكرية لم يلتحق في جيش العدو وفر الى خارج البلد الى القاهرة وخلال اقامته في القاهرة اختاره احمد بن بلة من ضمن الاشخاص المتطوعين للمشاركة في حرب التحرير

في الجزائر ، وقاد فرقة نقل الاسلحة من مصر الى الجزائر ، واصبح نائباً للمجاهد بن مهيدي ومنها اطلق عليه هواري بومدين ، وقام بأنقلاب على حكومة احمد بن بلة بعد الاستقلال واصبح رئيساً للجزائر حتى وفاته عام ١٩٧٨ . للمزيد ينظر : سعد بشير العمامرة ، هواري بومدين الرئيس والقائد ١٩٣٢ ١٩٧٨ ، ط ١ ، قصر الكتاب ، البليدة ، ١٩٩٧ ، ص ١٥ – ٢٥.

[١٢] – مختار ولد داده : ولد في ١٩٢٥ سياسي ورئيس الجمهورية الموريتانيا ولد في الجنوب الموريتاني ثم اكمل دراسة وعمل في الصحافة وحصل على الدراسات العليا من فرنسا ,ونضم الى الحزب الموريتاني التقدمي اذ برز كسياسي وطني وعندما حصلت موريتانيا على استقلالها الذاتي كان اول رئيس موريتاني تميزت سياسته بالغموض اتجاه قضية الصحراء الغربية وفي عام ١٩٧٨ اطاح بانقلاب عسكري وفرضت علية الاقامة الجبرية . للمزيد ينظر عبد الوهاب الكيلاني ,المصدر السابق ج٢,.ص٥٣٣.

[١٣] – د.ك.و,ملف الصحراء الغربية ,ملف رقم ٢ ,تقرير السفارة العراقية في الرباط ١٩٧٥/١٢/٢ ,ص١–٢.

[١٤] – حميد فرحان الراوي ,قضية الصحراء الغربية في المنظمات الدولية ,اطروحة دكتوراه ,كلية العلوم السياسية ,جامعة بغداد ,٢٠٠١ , ص٢٣–٤٤.

[١٥]–وزارة الخارجية العراقية ,تقرير سفارة الجمهورية العراقية في الرباط المسيرة السلمية في الصحراء ,المرقم ١٠/٢٩ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٥ ,ص١–٢.

[١٦] –احمد عصمان : ولد عام ١٩٣٠ بمدينة جدهواكمل دراسة فيها حصل على شهادة الدراسات العليا في القانون الخاص والعام ,والتحق بالديوان الملكي عام ١٩٥٥ وتولى عدة مناصب منها وزير الخارجية عام ١٩٥٧ ورئيساً للحكومة لغاية ١٩٧٩ ,للمزيد ينظر عبد الهادي فراري ,الصحراء الغربية قرار الملك والشعب ,مطبعة النجاح الجديدة ,الدار البيضاء ,١٩٩٧,ص٤٥ ,

[١٧] – خطري بن سعيد الجماني : هو رئيس القبائل الصحراوية ورئيس الجماعة التي كانت بمثابة البرلمان للصحراء الغربية المكونه من شيوخ القبائل الصحراوية اذ كان هو المرشح لرئاسة الدولة التي يسعى سكان الصحراء الغربية لأقامتها للمزيد ينظر : عبد الوهاب بن منصور ,ملف الصحراء الغربية , امام مؤتمر القمة العشرين لمنظمة الوحدة الافريقية المنعقدبأديس ابابا يوم الاثنين ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٤ ,المطبعة الملكية ,الرباط,١٩٨٣,ص٤٣

[١٨] – عبد الله ابراهيم ,تأملات في رصيد الحركة الوطنية المغربية ,مجلة المستقبل العربي ,العدد ١٨٦ ,السنة ١٧, مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت ,١٩٩٤,ص٩٠.

[١٩] – طاهر مسعود ,نزاع الصحراء الغربية بين المغرب والبوليساريو ,ط١,دار المختار للطباعة ,دمشق ,١٩٩٨ ,ص٣٩ ؛ مصطفى عبد النبي ,موقف الامم المتحدة من قضية الصحراء الغربية ,رسالة ماجستير منشورة , جامعة الجزائر ,كلية الحقوق ,٢٠٠٢ ,ص١٢.

[٢٠] – حمدي فرحان الراوي ,المغرب والصحراء المغربية جزء لايتجزأ اوراق افريقية ,العدد ٩٥ ,السنة الرابعة ,مركز الدراسات الدولية ,بغداد ,٢٠٠٢ ,ص٥ .

[٢١] –حميد فرحان الراوي , تطور الاحداث في المغرب ومشكلة الصحراء ,اوراق افريقية ,العدد ٧٦,السنة الثالثة ,مركز الدراسات الدولية ,بغداد ,٢٠٠١,ص٢–٣.

[٢٢] – عادل خليل حمادي الدليمي ,مشكلة الصحراء الغربية (محاولة لدراسة نموذج لمشاكل التجزئة في الوطن العربي) ,رسالة ماجستير ,غير منشورة ,كلية القانون والساسة ,جامعة بغداد ,١٩٧٨,ص٩٠–٩١,

[٢٣] – جبهة البوليساريو : تنظيم شعبي لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب أسست في ١٠ آيار ١٩٧٣ بدعم من الجزائر وليبيا وكانت تطالب باستقلال التام للصحراء وتكون دولى تحضى بدعم عسكري وسياسي من قبل الجزائر , واصبحت الممثل الشرعيلشعب الصحراوي ,نفذت عمليات واسعة ضد المواقع العسكرية المغربية ,واستمرت في مقاومتها حتى تمكنت من اعلان الجمهورية في ٢٧شباط ١٩٧٦ للمزيد ينظر ؛ عتيقة نصيب ,العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة ,رسالة ماجستير ,جامعة محمد خضير ,كلية الحقوق والعلوم السياسية ,الجزائر ,٢٠٠١,ص١٢٨

[٢٤] – هادية نصيرة ,قضية الصحراء الغربية ١٩٧٥–٢٠٠م ,رسالة ماجستير ,جامعة الوادي ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,الجزائر ,٢٠١٤,ص ٥٢.

[٢٥] – جريدة الاهرام : صحيفة مصرية تأسست في عام ١٨٧٥ وقد اسسها اللبنانيان (سليم وبشارة نقلا)بمدينة الاسكندرية ثم نقلت عام ١٨٩٨ الى القاهرة ,كانت تصدر اسبوعياً وتمتاز بكونها جريدة اخبارية حتى انها اصبحت من اكبر الصحف المصرية توزيعاً ؛ للمزيد ينظر :عقيل الخفاجي ,صحف ومنظمات : المنظمات الدولية في الصحف العربية ,العربي للنشر والتوزيع ,القاهرة ,٢٠١٦,ص١٤٨.

[٢٦] – الاهرام ,العدد٣٢٤٥٤ ,١٩ تشرين الاول ,١٩٧٥.

[٢٧]– الاهرام ,العدد٣٢٤٥١ ,١٦ تشرين الاول ,١٩٧٥,

[٢٨]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٥٣, ١٨تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٢٩]– الاهرام ,العدد٣٢٤٥٥, ٢٠ تشرين الاول ١٩٧٥.

[٣٠]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٥٦ , ٢١ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٣١] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٥٧ , ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٣٢]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٥٨ ,٢٣,تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٣٣]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٥٩ , ٢٤ تشرين الاول ,١٩٧٥ .

[٣٤] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٦٥ , ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٣٥]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٦٦ ,٣١ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٣٦]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٦٩ , ٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ .

[٣٧]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٠ ,٤ تشرين الثاني ١٩٧٥ .

[٣٨] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧١ , ٥ تشرين الثاني ١٩٧٥.

[٣٩] – الاهرام ,العدد٣٢٤٧٢, ٦ تشرين الثاني ١٩٧٥.

[٤٠] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٣ , ٧ تشرين الثاني ١٩٧٥ .

[٤١]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٤, ٨ تشرين الاول ١٩٧٥.

[٤٢] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٥ , ٩ تشرين الثاني ١٩٧٥.

[٤٣] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٦, ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥.

[٤٤] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٧ ,١١ تشرين الثاني ١٩٧٤.

[٤٥] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٨, ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٥.

[٤٦] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٧٩, ١٣ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٤٧] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٨٠, ١٤ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٤٨] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٨١, ١٥ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٤٩] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٨٢, ١٦ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٠] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٨٣, ١٧ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥١] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٨٤, ١٨ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٢]– الاهرام ,العدد ٣٢٤٨٦, ٢٠ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٣] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٨٨, ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٤] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٩٢, ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٥] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٩٣, ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٦] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٩٥, ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٥ .

[٥٧] – الاهرام ,العدد ٣٢٤٩٦, ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٥ .

المصادر :-

١- إسماعيل معراف، الصحراء الغربية في الأمم المتحدة وحديث عن الشرعية الدولية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١٠.

٢- الأهرام، العدد ٣٢٤٥١، ١٦ تشرين الأول ١٩٧٥.

٣- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٣، ١٨ تشرين الأول ١٩٧٥.

٤- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٤، ١٩ تشرين الأول ١٩٧٥.
٥- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٥، ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٥.
٦- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٦، ٢١ تشرين الأول ١٩٧٥.
٧- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٧، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٥.
٨- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٨، ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٥.
٩- الأهرام، العدد ٣٢٤٥٩، ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٥.
١٠- الأهرام، العدد ٣٢٤٦٥، ٣٠ تشرين الأول ١٩٧٥.
١١- الأهرام، العدد ٣٢٤٦٦، ٣١ تشرين الأول ١٩٧٥.
١٢- الأهرام، العدد ٣٢٤٦٩، ٣ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٣- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٠، ٤ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٤- الأهرام، العدد ٣٢٤٧١، ٥ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٥- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٢، ٦ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٦- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٣، ٧ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٧- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٤، ٨ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٨- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٥، ٩ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٩- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٦، ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥.
٢٠- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٧، ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥.
٢١- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٨، ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٥.
٢٢- الأهرام، العدد ٣٢٤٧٩، ١٣ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٣- الأهرام، العدد ٣٢٤٨٠، ١٤ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٤- الأهرام، العدد ٣٢٤٨١، ١٥ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٥- الأهرام، العدد ٣٢٤٨٢، ١٦ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٦- الأهرام، العدد ٣٢٤٨٣، ١٧ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٧- الأهرام، العدد ٣٢٤٨٤، ١٨ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٨- الأهرام، العدد ٣٢٤٨٦، ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٥.
٢٩- الأهرام، العدد ٣٢٤٨٨، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٥.
٣٠- الأهرام، العدد ٣٢٤٩٢، ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٥.
٣١- الأهرام، العدد ٣٢٤٩٣، ٢٧ تشرين الأول ١٩٧٥.

٣٢- الأهرام، العدد ٣٢٤٩٥، ٢٩ تشرين الأول ١٩٧٥.
٣٣- الأهرام، العدد ٣٢٤٩٦، ٣٠ تشرين الأول ١٩٧٥.
٣٤- جلال يحيى، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.
٣٥- جمال زكريا وصلاح العقاد، مسألة الصحراء الإسبانية سابقاً، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦.
٣٦- حميد فرحان الراوي، تطور الأحداث في المغرب ومشكلة الصحراء، أوراق أفريقية، العدد ٧٦، بغداد، ٢٠٠١.
٣٧- حميد فرحان الراوي، قضية الصحراء الغربية في المنظمات الدولية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠١.
٣٨- حميد فرحان الراوي، المغرب والصحراء المغربية جزء لا يتجزأ، أوراق أفريقية، العدد ٩٥، بغداد، ٢٠٠٢.
٣٩- د.ك.و، ملف الصحراء الغربية، ملف رقم ٢، تقرير السفارة العراقية في الرباط ١٩٧٥/١٢/٢.
٤٠- سعد بشير العمامرة، هواري بومدين الرئيس والقائد ١٩٣٢-١٩٧٨، ط١، قصر الكتاب، البليدة، ١٩٩٧.
٤١- شهيدة حفيان، مشكلة الحدود بين الجزائر والمغرب ١٩٦٣-٢٠٠٠، رسالة ماجستير، أدرار، ٢٠١٣.
٤٢- صلاح العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٢.
٤٣- طاهر مسعود، نزاع الصحراء الغربية بين المغرب والبوليساريو، ط١، دار المختار، دمشق، ١٩٩٨.
٤٤- عادل خليل حمادي الدليمي، مشكلة الصحراء الغربية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٨.
٤٥- عبد الله إبراهيم، تأملات في رصيد الحركة الوطنية المغربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٨٦، بيروت، ١٩٩٤.
٤٦- عبد الهادي فراري، الصحراء الغربية قرار الملك والشعب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧.
٤٧- عبد الوهاب بن منصور، ملف الصحراء الغربية، أمام مؤتمر القمة العشرين لمنظمة الوحدة الأفريقية، الرباط، ١٩٨٣.
٤٨- عبد الوهاب الكيلاني، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

٤٩- عتيقة نصيب، العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠٠١.
٥٠- عقيل الخفاجي، صحف ومنظمات: المنظمات الدولية في الصحف العربية، العربي للنشر، القاهرة، ٢٠١٦.
٥١- علال الفاسي، دفاعاً عن وحدة البلاد المغرب، دار الطباعة المغربية، طنجة، ١٩٥٩.
٥٢- علي الشامي، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي، دار الكلمة، بيروت، ١٩٨٠.
٥٣- مصطفى عبد النبي، موقف الأمم المتحدة من قضية الصحراء الغربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٢.
٥٤- هادية نصيرة، قضية الصحراء الغربية ١٩٧٥-٢٠٠٠م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، الجزائر، ٢٠١٤.
٥٥- وزارة الخارجية العراقية، تقرير سفارة الجمهورية العراقية في الرباط، المرقم ١٠/٢٩ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٥.
٥٦- ياسين سعد محمد علي، الأحزاب والقوى السياسية وتأثيرها على القرار السياسي في المغرب، رسالة ماجستير، ٢٠٠٠.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

قوانين عمالة الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية (١٩٠٤–١٩٣٩)

From local restrictions to federal legislation: The role of the U.S. government in regulating child labor in the United States of America (1904–1939)

م.د. انتصار عبد عون محسن
Inst. Prof. Intisar Abd Aoun Mohsen(PhD.)
كلية التربية الجامعة المستنصرية
College of Education / Al-Mustansiriya University
٠٧٨٣٢٨٨٣٠٩٨
intisar.alsaady1989@uomustansiriyah.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص

شكّلت ظاهرة عمل الأطفال إحدى أكثر القضايا الاجتماعية والاقتصادية إثارة للجدل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، ولا سيما خلال مرحلة التحول الصناعي المتسارع في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، اذ ارتبط تشغيل الأطفال ارتباطًا وثيقًا ببنية الاقتصاد الصناعي وبأوضاع الفقر والهجرة، وبضعف نظم التعليم الإلزامي، الأمر الذي جعل عملهم ظاهرة واسعة الانتشار ومقبولة نسبيًا في العديد من الولايات الأمريكية.

كانت تلك المشكلة واسعة وكبيرة وصَعُب حلها بجهود منظمات محدودة الموارد والقدرات، لكن مع تصاعد الحركات الإصلاحية، وازدياد الوعي الاجتماعي بمخاطر تشغيل الأطفال على الصحة والتعليم والاستقرار الاجتماعي، بدأت تتبلور مطالبات متزايدة بتدخل الحكومة الفيدرالية بوصفه السبيل الوحيد لتجاوز قصور التنظيم المحلي.

ينطلق هذا البحث من فرضية مفادها أن تنظيم عمل الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية لم يكن نتاج تطور تشريعي خطّي، بل نتيجة تفاعل معقّد بين الظروف الاقتصادية والاجتماعية، والحركات الإصلاحية. ويهدف البحث إلى تتبع دور الحكومة الأمريكية في هذا التحول في المدة (١٩٠٩–١٩٣٩)، من خلال تحليل مراحل التنظيم المحلي، ومحاولات التدخل الفيدرالي المبكر وصولًا إلى التشريع الفيدرالي الحاسم في أواخر الثلاثينيات.

الكلمات المفتاحية: عمالة الاطفال، اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال ، فلورنس كيلي، قانون كيتنغ أوين.

Abstract

Child labor has been one of the most controversial social and economic issues in the history of the United States, particularly during the period of rapid industrialization in the late nineteenth and early twentieth centuries. Child labor was closely linked to the structure of the industrial economy, to conditions of poverty and migration, and to the weakness of compulsory education systems, which made their work a widespread and relatively acceptable phenomenon in many American states.

The problem was broad and significant and difficult to solve by the efforts of organizations with limited resources and capabilities, but with the rise of reform movements and the increasing social awareness of the dangers of child labor to health, education and social stability, increasing demands began to emerge for federal government intervention as the only way to overcome the shortcomings of local regulation.

This research is based on the premise that the regulation of child labor in the United States was not the product of linear legislative development, but rather the result of a complex interplay between economic and social conditions and reform movements. The research aims to trace the role of the US government in this transformation during the period 1909–1939, through an analysis of the stages of local regulation, early attempts at federal intervention, and the decisive federal legislation of the late 1930s.

Keywords: (Child Labor, National Child Labor Commission, Florence Kelly, Keating-Owen law).

المقدمة

أكدت تجربة تنظيم عمل الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية أن الحماية الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق بصورة فعالة في ظل تنظيم محلي مجزأ، بل تتطلب تدخلًا فيدراليًا يستند إلى رؤية شاملة للسوق الوطنية. كما أبرزت تلك التجربة أن تطور التشريع الاجتماعي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحولات الاقتصادية الكبرى وبإعادة تفسير الصلاحيات الدستورية، وهو ما جعل تنظيم عمل الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية نموذجا يحتذى به في تنظيم الاصلاحات الاجتماعية للدولة الحديثة.

لم يكن عمل الأطفال ظاهرة جديدة في المجتمع الأمريكي، بل تمتد جذوره الى المراحل الاولى من نشأة الولايات المتحدة الامريكية، اذ شكل الاطفال نحو ٦% من اجمالي القوى العاملة في البلاد، وقد انخرط معظمهم في العمل عند والديهم أو لدى اصحاب العمل خارج نطاق الاسرة، وكانت العوامل المسؤولة عن ذلك، مثل أي تغيير اجتماعي آخر، عديدة ومعقدة، اذ تضافرت العديد من المتغيرات في القرن العشرين للتخفيف من عمالة الأطفال أو إلغائها. وكان للتشريعات الصادرة على مستوى الولايات

والسلطات المحلية دور محوري في هذا السياق وكذلك مكننة الصناعة التي قضت على العديد من الاعمال اليدوية التي كان يستخدم فيها الأطفال.

كان لهذه العوامل أثر جوهري في اختيار موضوع البحث الذي حدد في المدة(١٩٠٤–١٩٣٩)، آثرنا اختيار العام ١٩٠٤ بداية للإطار الزمني لموضوع الدراسة بوصفه شهد تأسيس اللجنة الوطنية لعمل الأطفال، والعام ١٩٣٩ نهاية للاطار الزمني لأنه شهد زيادة في تشغيل الأطفال أبان الحرب العالمية الثانية، وذلك لتلبية احتياجات الإنتاج المتزايدة في زمن الحرب ونقص اليد العاملة، اذ ارتفع تشغيل الاطفال دون سن (١٨) من مليون في بداية الحرب الى ٣ ملايين في اواخرها.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تُقسم إلى مقدمة مع ثلاث مباحث وخاتمة، ركز المبحث الاول على دراسة القيود المحلية على عمل الأطفال وبدايات التدخل الحكومي في المدة(١٩٠٩–١٩١٦)، تطرق الى الجذور المبكرة لانتشار عمل الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين واللجنة الوطنية لعمل الأطفال، كُرِس المبحث الثاني لتسليط الضوء على التدخل الفيدرالي المبكر والصراع الدستوري حول تنظيم عمل الأطفال (١٩١٦–١٩٢٩) وقانون كيتنغ–أوين لعام ١٩١٦، في حين تطرق المبحث الثالث والاخير لمعرفة التشريع الفيدرالي الحاسم وتنظيم عمل الأطفال في إطار الكساد الكبير والصفقة الجديدة (The new deal) (١٩٢٩–١٩٣٩) فضلاً عن التركيز على دراسة عمالة الأطفال بموجب قانون معايير العمل العادلة ١٩٣٨ حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩.

المبحث الأول: الإطار الاقتصادي والاجتماعي لانتشار عمل الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٠٤–١٩١٦) وبدايات التدخل الحكومي

اولا: الجذور المبكرة لانتشار عمالة الأطفال في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

شكّل انتشار عمل الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ظاهرة اجتماعية–اقتصادية معقّدة ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بتحولات البنية الإنتاجية والصناعية التي رافقت التطور الصناعي الأمريكي، اذ أدى الانتقال من الاقتصاد الزراعي والحِرَفي إلى الاقتصاد الصناعي الرأسمالي إلى توسّع الطلب على الأيدي العاملة الرخيصة والمرنة، جعل ذلك الأمر الأطفال فئة مفضّلة لدى أرباب العمل، ولا سيما في المصانع، والمناجم، وورش النسيج، والقطاع الزراعي الموسمي (Hindman, 2002, p. 3) ، اذ أدّى الطلب المتزايد على اليد العاملة الرخيصة والمرنة إلى تشغيل أعداد كبيرة من الأطفال بوصفهم قوة عمل منخفضة الأجر في ظل غياب قيود قانونية فعّالة على المستوى الفيدرالي (Trattner, 1970, p. 4). بذلك، لم يُنظر إلى عمل الأطفال بوصفه انحرافًا اجتماعيًا بقدر ما عُدّ ضرورة اقتصادية تفرضها متطلبات السوق الصناعية الناشئة.

أسهم الإطار الاجتماعي في تعزيز هذه الظاهرة، اذ كانت معظم الأسر في الولايات المتحدة الامريكية تكسب أقل من ٤٠٠ دولار سنويًا، دفعت تلك الضرورة الماسة المهاجرين إلى إرسال أبنائهم الأطفال الى العمل فشكّلت الهجرة الجماعية الواسعة من أوروبا الشرقية والجنوبية إلى جانب النزوح الداخلي من الأرياف إلى المدن الصناعية عددًا أكبر من الأطفال إلى القوى العاملة والذين كانوا على استعداد للعمل بأجور زهيدة (Kennedy , Cohen, & Bailey, 2010, p. 497). اذ اعتمدت عائلات العمال المهاجرين على دخل الأطفال بوصفه عنصرًا أساسيًا في ميزانية الأسرة، في ظل تدنّي الأجور وغياب شبكات الحماية الاجتماعية. مما عزّز هذا الواقع تصوّر ثقافي سائد يرى في عمل الطفل وسيلة للتنشئة والانضباط الاجتماعي، وليس شكلًا من أشكال الاستغلال، ما أسهم في إضفاء قدر من القبول المجتمعي عليها، رغم آثارها السلبية على الصحة والتعليم (Zelizer, 1985, p. 55).

عمل الأطفال في مصانع التعليب مع آبائهم في زراعة القطن وفي قطف الفاكهة أو الخضار، وفي مصانع الزجاج، وفي خياطة الملابس. كل ذلك مقابل أربعين إلى تسعين سنتًا في اليوم. وهم كانوا عرضة للإصابة بمخاطر كبيرة بالتشويه أو القتل أثناء العمل، وكان أصحاب العمل يفضلون تشغيل الأطفال، لأنهم يعملون بأجر أقل من العمال الكبار **(Rosenberg, 2013, p. 5)**.

ادت الفجوات الواسعة في نظم التعليم الإلزامي بين الولايات دورًا محوريًا في تفشي عمل الأطفال، فكانت العديد من الولايات الصناعية تفتقر إلى تشريعات صارمة تفرض التعليم الإجباري أو تحدد السن الأدنى للعمل واضحًا للعمل. نتيجة لذلك، ظلّ خروج الأطفال من المدارس إلى سوق العمل ظاهرة شائعة، لاسيما في البيئات الصناعية الحضرية التي منحت أولوية للإنتاج على حساب التعليم (Statistics, 1917, pp. 9-12). ما مهّد لاحقًا لبروز حركات إصلاحية قادها ناشطون اجتماعيون ونقابات عمالية طالبت بتقييد عمل الأطفال وربطه بالتعليم الإلزامي (Trattner, 1970, p. 11) .

استجابة للدعوات المتزايدة للتدخل التشريعي، حددت ولاية ماساتشوستس (Massachusetts) في عام ١٨٤٢ يوم العمل للأطفال تحت سن ١٢ عاما بـ ١٠ ساعات. تصرفت ولاية كونيتيكت (Connecticut) بالمثل، لكنها طبقت القانون على الأطفال تحت سن ١٤ عامًا (Trattner, 1970, p. 16). بحلول نهاية أربعينيات القرن التاسع عشر، كان لدى كل ولاية في نيو إنجلاند (New England) قانون عمل للأطفال (Felt, 1965, p. 2) حدد سن عمل الاطفال من ٩ إلى ١٤ عامًا، وحظرت ولاية ميريلاند (Maryland) تشغيل الأطفال دون سن الرابعة عشر في المتاجر والمكاتب والمنازل وتوزيع البضائع أو بيعها وأيضًا تشغيل الأطفال دون السادسة عشرة من العمر في بعض الأماكن الخطرة (Trachtenberg, 1918, p. 117) وحددت ولاية نيو هامبشاير (New Hampshire) سن العمل بأربعة عشر عامًا. وحددت ولاية فلوريدا (Florida) سن العاملين في

المكاتب باثني عشر عامًا ، وعمال المصانع إلى أربعة عشر عامًا. مع رفع الأعمار في بعض المهن الخطرة على الصحة والأخلاق. كما أنشأت ولاية كاليفورنيا (California) يومًا مدته ثماني ساعات لعمال المناجم الذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عامًا (Marot, 1914, p. 178).

بشكل عام، لم يكن لتلك القوانين وتلك التي تم إقرارها في العقود التالية تأثير يذكر على ممارسة عمل الأطفال. اذ احتوت العديد منها على استثناءات تسمح للأطفال الأصغر سنا بالعمل بموافقة الوالدين. كما حفزت البيانات المستقاة من التعداد السكاني لعام ١٨٧٠ بشأن عدد الأطفال العاملين أول اعتراف واسع النطاق بالمشكلة (Trattner, 1970, p. 30) . وأظهرت تقارير حكومية عن وجود أعداد من الأطفال تراوحت أعمارهم ما بين ٥ – ٦ سنوات، يعملون في المصانع والمناجم وأنَّ الربح كان وراء تشغيلهم (Gladden, 1911, p. 56).

أسهم ضعف الرقابة الحكومية المحلية وتشتت الصلاحيات بين البلديات والولايات في الحد من فعالية القوانين القائمة، اذ غالبًا ما افتقرت أجهزة التفتيش إلى الموارد البشرية والمالية الكافية. كما واجهت السلطات المحلية ضغوطًا مباشرة من أصحاب المصانع الذين اعتبروا القيود على تشغيل الأطفال تهديدًا للتنافسية الصناعية، الأمر الذي جعل تطبيق القوانين مسألة انتقائية وغير منتظمة (Hogan, 1979, p. 426).

لذلك، في عام ١٨٧٤، قُتل ما لا يقل عن ٢٠ شخصًا، معظمهم فتيات صغيرات، وبعضهن لا تتجاوز أعمارهن ٥ سنوات، في حريق في مطحنة الجرانيت في فال ريفر Fall River في ماساتشوستس. تصدرت قصة الحريق عناوين الصحف في جميع أنحاء البلاد وركزت المقالات الافتتاحية على الدعوة إلى اتخاذ تدابير أكبر للسلامة من الحرائق من أجل منع الكوارث في المستقبل. وبينما أعربت صحيفة "شيكاغو تريبيون" Chicago Tribune عن أسفها لحقيقة أن الكثير من الأطفال اضطروا إلى الكدح في مثل هذه الظروف، اقترحت الصحيفة جعل مكان العمل أكثر أمانًا للأطفال. ومع ذلك، تساءل أحد سكان ماساتشوستس عن سبب امتلاء الطاحونة بالأطفال. وكان حله: "**أخرجوا الأطفال من المطاحن**" (Wood, 2011, p. 115).

بين عامي ١٨٨٥ و١٨٨٩، أدت هذه القصص إلى قيام ١٠ ولايات بتمرير قوانين الحد الأدنى لسن العمل، في حين حددت ٦ ولايات حدًا أقصى لساعات العمل للأطفال. وعلى الرغم من هذه القوانين الجديدة في بعض الولايات، استمر عدد الأطفال العاملين في الولايات المتحدة في تزايد، إذ كان في عام ١٨٩٠ أكثر من ١٨% من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ و١٥ سنة يعملون (Trattner, 1970, p. 35) .

أبدى رجال الحركة العمالية اهتماماً ملحوظاً بمسألة عمل الأطفال، وتأثير ذلك في العمل النقابي وفي الأسرة والمجتمع بشكل عام، وسعوا إلى إيجاد تشريعات مناسبة لتنظيم عملهم، من خلال الضغط على المجالس التشريعية للولايات (Ensign, 1921, p. 123)، اذ أظهر الاتحاد الأمريكي للعمل[١] (American Federation of Labor) اهتماماً واضحاً في مسألة عمل الاطفال، الذي عده بمنزلة قتل جماعي لهم، وسعى إلى تقييدها وذلك للحد من المخاطر الاجتماعية لهذا النوع من العمل. وفي السياق نفسه، أكد صاموئيل غومبرز[٢](Samuel Gompers) في تقريره السنوي الذي قدمه إلى مؤتمر الاتحاد الأمريكي للعمل الذي عقد في سَنت لويس بولاية ميسوري في عام ١٨٨٨، الموقف المذكور ، عندما كتب فيه : ".... **أحثكم على أن تفعلوا كل ما بوسعكم في الولايات المختلفة لتمرير القانون الذي يحظر تماماً تشغيل أي طفل، حتى يكون قد وصل سن الرابعة عشرة ، وأُكرر ما قلته قبل عام واحد، وهو وجوب حماية الأطفال من طمع وجشع أرباب عملهم** .. " (Gompers, 1920, p. 119).

ما زاد الامر سوءا، أن بعض الولايات لم تصدر القوانين الكافية لحمايتهم ، فقد ثبت أن مليون ونصف المليون من الأطفال العاملين في عام ١٨٩٤، من الذين تراوحت أعمارهم بين ١٠ و١٥ سنة كانوا يعملون في المناجم والمصانع في أنحاء البلاد جميعاً. وفي عام ١٩٠٠، بلغ عدد سكان الولايات المتحدة ٧٠,٢١٢,١٠٨ نسمة. أدرج التعداد السكاني للولايات المتحدة في ذلك العام ١,٧٥٢,١٨٧ طفلاً تحت سن السادسة عشرة يعملون بأجر ويشكلون ٦%من القوى العاملة في البلاد (Rosenberg, 2013, p. 5) .

على الرغم من أن القوانين في الشمال كانت قد حدت من عمالة الأطفال إلى حد ما بحلول عام ١٩٠٠، إلا أن ممارسة عمل الأطفال كانت منتشرة على نطاق واسع في الجنوب (Trattner, 1970, p. 35). وفي الشمال نتيجة للجهود المبذولة ارتفع معدل التحاق الأطفال في المدارس الثانوية في جميع أنحاء البلاد بنسبة ١٥٠% من عام ١٨٩٠ إلى عام ١٩٠٠ (Troen, 1976, p. 239) .

أصبحت عمالة الأطفال خلال العقد الأول من القرن العشرين مصدر قلق فيدرالي، اذ أعقبت جلسات الاستماع في الكونغرس دراسة مستفيضة للقضية، بالإضافة إلى العديد من الجهود غير الناجحة للتعامل مع عمالة الأطفال من خلال القانون (Bremner, 1971, p. 512) (Policy, 2013, p. 1).

ما يمكن قوله، أن تلك القوانين كانت عاملاً مهماً في تحسين أحوال الأطفال العاملين في ذلك الوقت لذلك بدأت الجهود الرامية إلى وضع معايير لعمالة الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية كان معظمها على مستوى الولايات، وبدأت تتبلور رؤية إصلاحية جديدة ترى في عمل الأطفال مشكلة اجتماعية واقتصادية تتطلب تدخلًا حكوميًا منظمًا. مثّل هذا التحول في الخطاب العام الأساس الفكري

الذي انطلقت منه الدعوات إلى توحيد المعايير القانونية، والانتقال من القيود المحلية المتباينة إلى تدخل أوسع للدولة، تمهيدًا لطرح القضية على المستوى الفيدرالي خلال السنوات اللاحقة.

ثانيا: دور الحركات الإصلاحية ومنظمات حماية الطفولة في الدفع نحو التنظيم الحكومي

اعتمد تنظيم عمل الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية قبل عام ١٩١٦ بصورة أساسية على تشريعات الولايات والبلديات التي تباينت في مضمونها ودرجة صرامتها من ولاية إلى أخرى، اذ وضعت بعض الولايات قيودًا على سن العمل وساعات التشغيل، في حين اكتفت ولايات أخرى بتشريعات شكلية افتقرت إلى آليات تنفيذ واضحة، مما أدى إلى غياب معيار وطني موحّد ينظم عمل الأطفال (Trattner, 1970, p. 27) .

كان الدافع وراء تنظيم عمل الأطفال هو اهتمامات متنوعة: اقتصادية، وإنسانية، واجتماعية على نطاق واسع. كان يُنظر إلى الأطفال العاملين على أنهم مصدر بديل للعمالة ذات الأجر المنخفض الذين يتنافسون مع آبائهم وغيرهم من البالغين على التوظيف وتنافست منتجات عمالة الأطفال مع السلع التي ينتجها الكبار، مما أدى إلى ضغط على الأجور ومستويات المعيشة. وبصرف النظر عن المخاطر الصحية والسلامة، فقد قيل إن عدم الحصول على الراحة الكافية يترك الأطفال غير مناسبين للأنشطة التعليمية، وبالتالي، كبالغين، غير مستعدين للعمل أو لدعم أطفالهم، وبالتالي توسيع دائرة الفقر. وإضافة إلى تكاليف الرعاية الاجتماعية (Larner, 1965, p. 355).

مع انتشار الاهتمام بالمشكلة، نشأ شعور متزايد بضرورة توجيه الاهتمام العام نحو تأمين قوانين أكثر فعالية. ولتحقيق هذه الغاية كان من الضروري إنشاء منظمات لمكافحة عمل الأطفال ومن ثم التنسيق بينها.

دور اللجنة الوطنية لعمل الأطفال National Child Labor Committee

أدّت الحركات الإصلاحية التقدمية في مطلع القرن العشرين دورًا محوريًا في تحويل قضية عمل الأطفال من شأنٍ اجتماعي محلي إلى مسألة سياسة عامة تتطلب تدخلًا حكوميًا حاسما ومنظمًا، اذ ربط الإصلاحيون بين تشغيل الأطفال وتدهور الصحة العامة، وتراجع فرص التعليم وإعادة إنتاج الفقر، ما أسهم في إدراج القضية ضمن أجندة الإصلاح الاجتماعي الأوسع في المرحلة التقدمية (McGerr, 2003, p. 183) (Rosenberg, 2013, p. 174) .

كان القس إدغار جاردنر مورفي (Edgar Gardner Murphy) (١٨٦٩–١٩١٣) أول من اهتم لفكرة إنشاء منظمة وطنية تجمع بين مختلف لجان عمل الأطفال. ففي عام ١٩٠٣، سافر مورفي إلى أتلانتا، جورجيا، لحضور الاجتماع السنوي للمؤتمر الوطني للجمعيات الخيرية والإصلاحية. وألقى محاضرة يوم ٩ ايار حول "عمالة الأطفال كمشكلة وطنية". والتقى هناك بجين آدامز[٣] Jane

Addams وفلورنس كيلي[٤] Florence Kelley Molthrop اللتين تحدثتا عن موضوع الأطفال المعوزين. وعندما اكتشفوا أن لديهم اهتمامات مشتركة، التقت جين آدامز وفلورنس كيلي مع مورفي للتخطيط لتأسيس اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال (Storrs, 2000, p. 13). بعد عودتها إلى نيويورك New York ، أخذت فلورنس كيلي الفكرة إلى لجنة عمل الأطفال في نيويورك، التي عينت مجموعة من ثلاثة أشخاص للتشاور مع مورفي بالإضافة إلى فلورنس كيلي والبروفيسور فيليكس أدلر (Felix Adler (١٨٥١ – ١٩٣٣) تم اختيار ويليام هنري بالدوين جونيور (William Henry Baldwin Jr. (١٨٨٥– ١٩٠٣) إلا أن مرض بالدوين فجأة في مساء يوم ١٤ نيسان ١٩٠٤ ترك مهمة تنظيم اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال إلى فلورنس كيلي وفي اليوم التالي اجتمع ممثلون من جميع أنحاء البلاد في قاعة كارنيجي في مدينة نيويورك لتشكيل اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال وتم انتخاب فيليكس أدلر رئيسًا للجنة، وإدغار جاردنر ميرفي سكرتيرًا. فضلا عن فلورنس، جين أدامز، بدأت اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال بعضوية قليلة قدرت بخمسين عضوًا فقط في عام ١٩٠٥، ولكن بحلول عام ١٩١٢ كان عدد أعضائها أكثر من ٦٤٠٠ عضو (Rosenberg, 2013, p. 170) .

يمكن تلخيص غرض ونطاق عمل اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال على النحو التالي (Committee, 1922, p. 8):

١. إنشاء مركز لتبادل المعلومات حول ممارسات عمل الأطفال، وبدء تشريع من شأنه أن يخلق "**ظروف صناعية عادلة لحياة الأطفال**".
٢. تحديد مدى وأسباب عمل الأطفال في الصناعات التحويلية والتجارية وفي الزراعة من خلال دراسات دقيقة.
٣. حماية الأطفال من ظروف العمل القاسية في الزراعة والصناعة.
٤. التعاون مع جميع الوكالات والمنظمات الأخرى والمؤسسات في تعزيز النمو الطبيعي للطفل وذلك من خلال زيادة وتوسيع فرص التعليم من أجل الصحة والترفيه.
٥. المساعدة في رعاية حقوق الطفولة من خلال قوانين أفضل ومن خلال ممارسات أكثر استنارة من جانب الحكومة واصحاب الصناعات وأولياء الأمور.

عندما تأسست اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال، لم تكن هناك معايير مقبولة بشكل عام للحماية من استغلال الأطفال. تم العثور بشكل شائع على الأولاد البالغين من العمر عشر سنوات في الغبار المسبب للعمى الناتج عن تكسير الفحم، وهم يقطفون الألواح بأصابع ممزقة كان الآلاف من الأطفال يتعرّضون للحرارة طوال الليل مقابل أجر ضئيل في وهج أفران البيوت الزجاجية، فتيات صغيرات يكدحن

في مصانع قطن رطبة ومليئة بالغبار لساعات طويلة (ستة أيام في الأسبوع) (Trattner, 1970, p. 11) .

ازاء ذلك، أجرت اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال دراسات في جميع أنحاء البلاد لكشف ظروف عمل الأطفال في المناجم والمطاحن والحقول والمصانع، وكذلك الأطفال في الشوارع الذين يبيعون الفاكهة والصحف والزهور والسلال. وعقدت اللجنة مؤتمرات سنوية لتسليط الضوء على أضرار العمل على الأطفال ومزايا البقاء لفترة أطول في المدرسة. وكان الهدف من هذه التقارير إثارة الصدمة، وكانت الصحافة تنشرها بانتظام. شرعت اللجنة في التأثير على السياسيين لرؤية عمالة الأطفال كخطر يجب حظره واستبداله بالتعليم الإلزامي، على الأقل حتى سن السادسة عشرة ودعا المؤلفون إلى سن قوانين "**لاستبعاد جميع منتجات المناجم والمصانع التي توظف أطفالًا تحت سن الرابعة عشرة من التجارة بين الولايات**" وحماية الأطفال من العمل الليلي الذي يمثل أكبر خطر عليهم. مع وجود ٥٧٨,٠٠٠ طفل تتراوح أعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة أميين. دعت فلورنس كيلي إلى الالتحاق بالمدارس الإلزامية حتى سن السادسة عشرة (Rosenberg, 2013, p. 172) .

كانت فلورنس كيلي، المتحدثة القوية تحضر سنة بعد اخرى إلى المؤتمرات السنوية للجنة الوطنية لعمالة الأطفال لمناقشة قضايا الإصلاح وتفرض وجهات نظرها. وشددت في المؤتمر السنوي الثاني في ٨ كانون الاول ١٩٠٥ على أنه "**لا يمكن أبدًا اعتبار مشكلة الأطفال العاملين في الدولة مجرد مشكلة محلية**". وليس هناك بديلاً عن العمل الفيدرالي لاحترام حقوق الأطفال (Rosenberg, 2013, p. 172).

أصبحت عمالة الأطفال في البداية قضية تشريعية اتحادية منذ عام ١٩٠٦ مع تقديم مقترح عضو مجلس الشيوخ من ولاية انديانا ألبرت ج. بيفريدج Albert J. Beveridge (١٨٩٩-١٩١١) لتنظيم أنواع العمل التي قد يشارك فيها الأطفال (Policy, 2013, p. 1) ففي عام ١٩٠٦، قدم ألبرت ج. بيفريدج وعضو مجلس النواب من ولاية نيويورك هربرت بارسونز Herbert Parsons (١٩٠٥-١٩١١) تشريعًا لمنع تشغيل الأطفال في المصانع والمناجم. استمر النقاش حول هذه المبادرة الفيدرالية الأولى لعدة سنوات، لكنه لم يصبح قانونًا. ومع ذلك، وبفضل عمل مجموعات الإصلاح المختلفة، أدى الاقتراح إلى زيادة وضوح عمل الأطفال كقضية سياسة عامة (Policy, 2013, p. 3) .

على الرغم من عدم اعتماد تشريع عام ١٩٠٦، إلا أنه أدى إلى دراسة موسعة للظروف التي يتم فيها تشغيل الأطفال أو السماح لهم بالعمل وإلى سلسلة من المقترحات التشريعية – تمت الموافقة على بعضها، ورفضت المحاكم البعض الآخر أو ألغته (Policy, 2013, p. 3) .

وفي عام ١٩٠٧، تمت الموافقة على التشريع الذي سمح لوزير التجارة والعمل "بالتحقيق وتقديم تقرير عن الحالة الصناعية والاجتماعية والأخلاقية والتعليمية والمادية للنساء والأطفال العاملين في

الولايات المتحدة." وكانت النتيجة إجراء مسح تفصيلي ظهر في ١٩ مجلدًا بين عامي ١٩١٠ و١٩١٣ وبناءً على سجل الأدلة هذا، تحول الكونغرس مرة أخرى إلى العملية التشريعية للتعامل مع عمالة الأطفال والمشكلات ذات الصلة (Department, 1916, p. 445) (Congress, 1913).

في المؤتمر الرابع (أتلانتا، ١٩٠٨) تحدثت كيلي عن "مسؤولية المستهلك" في الرفض "المطلق لشراء الصحف من بائعي الصحف الصغار" أو قبول الرسائل من الأولاد الصغار أو التسوق في المتاجر التي توظف "فتيات صغيرات"، اشارت ان هؤلاء الأطفال يجب أن يكونوا في المدرسة (Rosenberg, 2013, p. 172) .

برزت اللجنة الوطنية لعمل الأطفال بوصفها الفاعل الأكثر تأثيرًا في هذا المجال، إذ اعتمدت استراتيجيات متعددة شملت التوثيق الميداني، والحملات الإعلامية، والضغط التشريعي. وأسهمت الصور والتقارير التي نشرتها في كشف حجم الظاهرة وظروف العمل القاسية التي يتعرض لها الأطفال، ما أحدث تحولًا في الرأي العام ومهّد لتقبّل فكرة التدخل الحكومي (Trattner, 1970, p. 49).

في عام ١٩٠٨، عينت اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال المصور لويس ويكس هاين Louis Weeks Hine (١٨٧٤-١٩٤٠) لتوثيق ممارسة عمالة الأطفال. لقد عبر البلاد ملتقطًا خمسة آلاف صورة لأطفال لا تتجاوز أعمارهم خمس سنوات وهم يعملون. يعد أرشيف هاين بمثابة كنز وطني يوضح مأساة الطفل العامل (Sharp, 2014, p. 67) (Rosenberg, 2013, p. 6) ، على اثر ذلك بدأ الإصلاحيون الاجتماعيون في إدانة عمالة الأطفال لما لها من تأثير ضار على صحة ورفاهية الأطفال" (act, 1916).

في عام ١٩١١، في المؤتمر السابع لـ للجنة الوطنية لعمالة الأطفال الذي عقد في برمنغهام Birmingham ، ألاباما Alabama تساءلت فلورنس كيلي "**ما الذي يجب أن نقوم به من أجل منع عمالة الاطفال؟**" يبدو انه من خلال السماح لكل ولاية بإصدار قوانينها الخاصة او تكون هناك معايير وطنية تقضي بعدم العمل ليلاً للأطفال، والعمل لمدة ثماني ساعات في اليوم، وعدم تشغيل الأطفال في الشوارع، وعدم عمل الأطفال دون سن الرابعة عشرة (Rosenberg, 2013, p. 173) .

واصلت اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال العمل مع الكونغرس لصياغة مشروع قانون جديد يمكن أن يدعم تحديد وتنظيم عمل الاطفال. وتوصلت اللجنة المصادقة على مشروع قانون واسع النطاق يحظر على الأطفال دون سن ١٤ العمل في المصانع وورش العمل والمعلبات و الأطفال دون سن ١٦ من المناجم والمحاجر. كما يحظر على الأطفال دون سن ١٦ عامًا العمل لأكثر من ٨ ساعات يوم وبين الساعة السابعة مساءً و ٧ صباحًا وفي ٢٤ شباط ١٩١٤ ، اجتمعت قيادة اللجنة الوطنية لعمالة الأطفال مع الرئيس وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) (١٩١٣ – ١٩٢١)، وكرر الرئيس اعتقاده بأن مثل

هذا التصرف سيكون غير دستوري لكنه يتفق مع ذلك، تم تقديم مشروع قانون من قبل اثنين من الديمقراطيين عضو مجلس النواب ميتشل بالمر (Mitchell Palmer) (١٨٧٢ – ١٩٣٦) من ولاية بنسلفانيا وعضو مجلس الشيوخ من أوكلاهوما روبرت ل. أوين (Robert L. Owen) (١٩٠٧–١٩٢٥) كانت أشد معارضة ضد مشروع القانون من ديفيد كلارك (١٨٧٧–١٩٥٥) من ولاية كارولاينا الشمالية، محرر نشرة النسيج الجنوبي. الذي قال: "**إن صحة أي طفل لم تتضرر من جراء العمل في مصنع** " (Schuman, 2017, p. 14) (Rosenberg, 2013, p. 124) وأن مشروع القانون كان مؤامرة من قبل الشماليين للسيطرة على الجنوب، على الرغم من معارضته ، مرر مشروع القانون بسهولة في مجلس النواب (Trattner, 1970, p. 131) .

في عام ١٩١٥ تحدثت فلورنس كيلي عن "مسؤولية الحكومة الفيدرالية في حماية الاطفال". وكان الحل الذي قدمته هو "الإقرار السريع للقانون الفيدرالي الذي يقضي بمنع التجارة بين الولايات من السلع التي تنطوي على تشغيل الأطفال دون سن ١٤ عامًا أو الأطفال الأكبر سنًا في الليل، أو أكثر من ٨ ساعات، أو في مهن خطرة" (Rosenberg, 2013, p. 173)، كما عقدت في مدينة واشنطن يوم الاثنين السادس من كانون الأول عام ١٩١٥ جلسة لغرض اقرار "**قانون لتحديد ساعات عمل الأطفال وحظر البيع بين الولايات للبضائع التي تنتجها عمالة الأطفال**" (act, 1916) .

مع ذلك، واجهت الحركات الإصلاحية مقاومة قوية من المصالح الصناعية، التي اعتبرت القيود على عمل الأطفال تدخلًا غير مشروع في حرية السوق وشؤون الولايات. وقد كشف هذا الصراع حدود العمل الإصلاحي غير الملزم قانونيًا، وأسهم في بلورة قناعة متزايدة لدى الإصلاحيين بضرورة نقل المعركة إلى المستوى الفيدرالي لضمان توحيد المعايير وتجاوز الضغوط المحلية (Platt, 1969, p. 92).

هكذا، شكّل تفاعل الحركات الإصلاحية مع المؤسسات الحكومية، ولا سيما في مجالي الإحصاء والتشريع، حلقة وصل أساسية بين القيود المحلية المتفرقة وبدايات التدخل الفيدرالي في تنظيم عمل الأطفال. وقد مهّد هذا الدور الطريق للانتقال إلى مرحلة التشريع الفيدرالي، التي ستتبلور بوضوح بعد عام ١٩١٦.

المبحث الثاني: التدخل الفيدرالي المبكر والصراع الدستوري حول تنظيم عمل الأطفال (١٩١٦-١٩٢٩)

اولا: قانون كيتنغ–أوين لعام ١٩١٦ وبدايات التشريع الفيدرالي لتنظيم عمل الأطفال

مثّل صدور قانون كيتنغ–أوين (Keating-Owen) لعام ١٩١٦ أول محاولة جادة من الحكومة الفيدرالية لتنظيم عمل الأطفال على المستوى الوطني بعد عقود من الاعتماد على تشريعات الولايات المتباينة، استند القانون إلى اقتراح ألبرت ج. بيفريدج (Albert J. Beveridge) واستخدم قدرة الحكومة على تنظيم التجارة بين الولايات لتنظيم عمالة الأطفال (act, 1916).

بذلك، تحرك الكونغرس بالتتابع في حل قضية تشغيل الاطفال، اذ بعد عقد من اقتراح ألبرت ج. بيفريدج ، تم تقديم تشريع فيدرالي جديد بشأن عمالة الأطفال في الكونغرس في عام ١٩١٦ كان برعاية عضو مجلس الشيوخ روبرت أوين (Robert Owen) وعضو مجلس النواب من كولورادو (Colorado) إدوارد كيتنغ (Edward Keating) (١٩١٥-١٩١٩) بدعم من رجال الإصلاح. وكان الصراع جارياً آنذاك ويضع ولاية ضد أخرى في المنافسة الاقتصادية مع استخدام العمالة ذات الأجور المنخفضة غير النقابية كورقة مساومة، اذ نظر اصحاب المصانع في الولايات الجنوبية إلى القيود المفروضة على عمل الأطفال على أنها "محاولة من المحرضين الشماليين لقتل الصناعات الوليدة في الجنوب" (Abbott, 1939, p. 411).

جاء هذا التشريع نتيجة تراكم طويل من الضغوط الإصلاحية، مدعومًا ببيانات رسمية وتقارير كشفت عجز الولايات عن معالجة الظاهرة بشكل منفرد. وقد رأت الحكومة الفيدرالية في قانون كيتنغ–أوين أداةً لتجاوز التنافس التشريعي بين الولايات، ومنع استغلال عمل الأطفال بوصفه ميزة تنافسية غير عادلة في السوق الوطنية (Forbath, 1991, p. 120).

حظر قانون كيتنغ–أوين المستند إلى بند التجارة في دستور الولايات المتحدة وإلى سلطة الكونغرس في تنظيم التجارة بين الولايات، نقل السلع عبر التجارة بين الولايات إذا كانت منتَجة في مصانع أو مناجم تستخدم عمالة أطفال دون السن القانونية (الاطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٦ عامًا ومنتجات المطاحن والمصانع ومعامل التعليب والورش التي يعمل فيها الأطفال دون سن ١٤ عامًا، وحدد ساعات العمل في الاسبوع بـ ٤٤ ساعة (Trachtenberg, 1918, p. 123) (Congress, 1916) (Rosenberg, 2013, p. 194) ، وحظر عمل الاطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٦ عاماً في المناجم، ومن أي منشأة يعمل بها أطفال تقل أعمارهم عن ١٦ عامًا ليلاً أو لأكثر من ٨ ساعات خلال النهار. وهو يمثل تفسيرا جديدا لبند التجارة بين الولايات في الدستور، اذ أن تأثيره النهائي هو تنظيم ظروف العمل داخل الولايات من خلال تنظيم سوق المنتجات (Trattner, 1970, p. 119) .

على الرغم من اعتراضات وودرو ويلسون السابقة وبعد بعض النقاشات في مجلس الشيوخ حول دستورية القانون، اذ أثيرت حجة بأن التشريع سيحرم الأطفال من القدرة على تعلم المهارات اللازمة، مع كل هذه الضغوط تم تمرير القانون ووقع الرئيس ويلسون على قانون كيتنغ–أوين ليصبح قانونًا نافذا في ١ ايلول عام ١٩١٦ (Trattner, 1970, p. 131)، وأُنيط تنفيذ القانون بوزارة العمل الفيدرالية، التي تولّت مهمة التفتيش والتحقق من التزام المصانع بالمعايير الجديدة (Department U. , 1917, p. 34).

هكذا، شكّل قانون كيتنغ–أوين نقطة انتقال مفصلية من الإصلاح المحلي إلى التدخل الفيدرالي، لكنه في الوقت ذاته كشف هشاشة الأساس الدستوري لهذا التدخل في مرحلته الأولى، وهو ما سيتضح بجلاء في قرارات المحكمة العليا اللاحقة، التي ستتناولها المحاور التالية من هذا المبحث (Bernstein, 1960, p. 212).

اشترط القانون لضمان تطبيقه أن يقوم النائب العام ووزير التجارة ووزير العمل بتشكيل مجلس لوضع ونشر قواعد وأنظمة موحدة لتنفيذ أحكام هذا القانون وأي شخص ينتهك أيًا من أحكام ذلك القانون، يعاقب بغرامة لا تزيد عن ٢٠٠ دولار، ويعاقب عن كل جريمة لاحقة لهذه الإدانة بغرامة لا تزيد عن ١٠٠٠ دولار ، ولا تقل عن ١٠٠ دولار، أو بالسجن لمدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر، أو كل من هذه الغرامة والسجن وأن يدخل هذا القانون حيز التنفيذ (Trattner, 1970, p. 28) .

يلاحظ من نتائج قانون كيتنغ أوين انه على الرغم من الإنجاز الهام للتشريع ، إلا أن القانون ترك دون تأثر ما يقدر بنحو ١،٨٥٠،٠٠٠ طفل يعملون في الأعمال المنزلية، والشوارع والحقول، على الرغم من أن القانون لم يكن كاملاً ، إلا أنه كان علامة بارزة في الكفاح ضد عمل الاطفال، من هنا ، كان القانون نصراً ساحقاً للمناصرين ضد عمالة الأطفال (Hindman, 2002, p. 211) .

عكس قانون كيتنغ–أوين تحوّلًا مهمًا في فلسفة الدولة الفيدرالية، إذ لم يعد تنظيم عمل الأطفال يُنظر إليه باعتباره مسألة أخلاقية أو تعليمية فحسب، بل قضية اقتصادية وتجارية تمسّ سلامة السوق الوطنية. بذلك، مثّل القانون محاولة لإدخال الحماية الاجتماعية ضمن إطار الصلاحيات الدستورية للكونغرس.

ثانيا: موقف المحكمة العليا وإلغاء التشريعات الفيدرالية المنظمة لعمل الأطفال

أثار قانون كيتنغ–أوين معارضة شديدة من الأوساط الصناعية وبعض حكومات الولايات، التي عدته تعديًا على حقوق الولايات وصلاحياتها الدستورية. مهد هذا الجدل الطريق للطعن في دستورية القانون أمام المحكمة العليا، ما حوّل تنظيم عمل الأطفال من مسألة تشريعية إلى صراع دستوري مفتوح بين السلطتين التشريعية والقضائية (Kyvig, 1996, p. 215).

على الرغم من أن الكونغرس أقر قانون كيتنغ أوين ووقع عليه الرئيس وودرو ويلسون ليصبح قانونًا، وعلى الرغم من رغبة الأمة الواضحة في سن قوانين فيدرالية ضد عمالة الأطفال، لكن أحكام المحكمة العليا لم تترك حيزًا كبيرًا للتشريعات الفيدرالية، اذ سرعان ما تم اقتراح تعديل دستوري لمنح الكونغرس سلطة تنظيم عمل الأطفال (Trattner, 1970, p. 28) ، إذ قضت المحكمة بعدم دستورية القانون على أساس أن تنظيم ظروف الإنتاج، ومنها تشغيل الأطفال، يندرج ضمن صلاحيات الولايات لا الحكومة الفيدرالية. وقد ميّزت المحكمة بين "التجارة" و"الإنتاج"، معتبرة أن الكونغرس تجاوز سلطته الدستورية في تنظيم التجارة بين الولايات (Cushman, 1998, p. 23) (Currie, 1990, p. 90)، بالتالي أعلنت المحكمة العليا في حزيران ١٩١٨، أن قانون كيتنغ أوين غير دستوري وتم إلغاءه (Abbott, 1939, p. 416) .

ردًا على إلغاء قانون كيتنغ–أوين، حاول الكونغرس الالتفاف على القيود الدستورية عبر سنّ قانون ضريبة عمل الأطفال لعام ١٩١٩، اذ اقترح عضو مجلس الشيوخ من ولاية أوهايو Ohio أتلي بوميرين Atlee Pommerin (١٩١١–١٩٢٣) فرض ضريبة فدرالية بنسبة ١٠% على صافي الأرباح السنوية للصناعات والشركات التي وظفت الأطفال (Rosenberg, 2013, p. 194) (Trattner, 1970, p. 119). ومع ذلك، أعلنت المحكمة العليا أن قانون بوميرين Pomeranian law (ضريبة عمالة الأطفال) غير دستوري في ايار ١٩٢٢ معتبرة أن الضريبة ليست إجراءً ماليًا مشروعًا بل عقوبة مقنّعة تهدف إلى فرض تنظيم غير دستوري (Leuchtenburg, 1995, p. 19).

كشفت هذه الأحكام عن موقف قضائي محافظ يعارض إدخال التشريع الاجتماعي ضمن صلاحيات الحكومة الفيدرالية، ويعلي من شأن حرية السوق وحقوق الولايات. نتيجة لذلك، تعثّر مشروع تنظيم عمل الأطفال على المستوى الفيدرالي طوال عشرينيات القرن العشرين، وبقيت الحماية القانونية مرهونة بتفاوت تشريعات الولايات وقدرتها التنفيذية (Bernstein, 1960, p. 74).

لم تقتصر آثار هذه القرارات على المجال القانوني فحسب، بل امتدّت إلى المجال السياسي، إذ عزّزت قناعة متزايدة لدى الإصلاحيين بأن تحقيق حماية دائمة للأطفال يتطلب إما تعديلًا دستوريًا صريحًا أو تحوّلًا جذريًا في تفسير المحكمة العليا لصلاحيات الدولة الفيدرالية، تجسّد هذا الاتجاه في طرح تعديل دستوري لعمل الأطفال عام ١٩٢٤، على الرغم من فشله في نيل تصديق الولايات (Kyvig, 1996, p. 220) .

كان موقف المحكمة العليا خلال المدة ١٩١٨–١٩٢٢ عائقًا بنيويًا أمام التدخل الفيدرالي في تنظيم عمل الأطفال، ورسّخ حالة الجمود التشريعي حتى مطلع الثلاثينيات. غير أن هذا الجمود سيتزعزع

لاحقًا مع التحولات الدستورية والسياسية التي أفرزتها أزمة الكساد الكبير لعام ١٩٢٩ وبدايات الصفقة الجديدة، وهذا ما سيتناوله المبحث التالي.

مما تقدم، أن موقف المحكمة العليا الأمريكية من التشريعات الفيدرالية المنظمة لعمل الأطفال لم يكن مجرد اجتهاد قانوني معزول، بل عكس بنية فكرية محافظة سادت القضاء الدستوري الأمريكي في مرحلة ما قبل الصفقة الجديدة، يضاف الى أن إلغاء قوانين تنظيم عمل الأطفال كشف محدودية الإطار الدستوري التقليدي في الاستجابة للتحولات الاقتصادية العميقة التي أفرزها التصنيع الواسع، وأظهر فجوة واضحة بين الواقع الاجتماعي المتغير والنصوص الدستورية وتفسيراتها القضائية.

المبحث الثالث: التشريع الفيدرالي الحاسم وتنظيم عمل الأطفال في إطار الكساد الكبير والصفقة الجديدة (١٩٢٩–١٩٣٩)

اولا: أزمة الكساد الكبير وبدايات التحول في دور الدولة الفيدرالية تجاه تنظيم عمل الأطفال

أدّت أزمة الكساد الكبير التي اندلعت عام ١٩٢٩ إلى إحداث تحول عميق في بنية الاقتصاد الأمريكي وفي تصور دور الدولة تجاه قضايا العمل والحماية الاجتماعية، اذ كشفت الأزمة الاقتصادية هشاشة آليات السوق الحرة وعجزها عن حماية الفئات الضعيفة من بينها الأطفال العاملون، الأمر الذي أعاد طرح مسألة تدخل الحكومة الفيدرالية بوصفها ضرورة اقتصادية واجتماعية لا مجرد خيار سياسي (Kennedy, 1999, p. 46).

وفي الواقع أسهم الارتفاع الحاد في معدلات البطالة والفقر في إعادة توجيه النقاش العام حول عمل الأطفال، إذ لم يعد يُنظر إليه كمسألة تتعلق بحرية العمل أو دخل الأسرة فحسب، بل كعامل يفاقم أزمة البطالة عبر مزاحمة الأطفال للعمال البالغين، مما عزّز هذا التحول من قبول فكرة تقييد عمل الأطفال ضمن سياسات أوسع لإعادة تنظيم سوق العمل (Bernstein, 1960, p. 201) .

أزاء ذلك، بدأت الحكومة الفيدرالية خلال سنوات إدارة الرئيس هربرت هوفر (Herbert Hoover) (١٩٢٩–١٩٣٣)، ثم بصورة أوضح مع وصول الرئيس فرانكلين روزفلت (Franklin D. Roosevelt) (١٩٣٣–١٩٤٥) إلى السلطة عام ١٩٣٣، بإعادة النظر في حدود تدخلها الدستوري. وقد مهّدت برامج الإغاثة والتشغيل المؤقتة الطريق لتوسيع مفهوم المسؤولية الفيدرالية تجاه تنظيم العمل بما في ذلك حماية الأطفال من الاستغلال الاقتصادي (Leuchtenburg, 1963, p. 22).

يلاحظ أن التحول في دور الدولة في هذه المرحلة لم يكن نتاج إرادة سياسية منفردة، بل نتيجة تفاعل معقّد بين الأزمة الاقتصادية، وضغط الحركات الإصلاحية، وتغيّر الخطاب القانوني والدستوري. وقد أتاح هذا التفاعل تجاوز التفسيرات القضائية التقليدية التي قيّدت التدخل الفيدرالي في السابق، اذ أدّى تلاقي الأزمة الاقتصادية مع التحول السياسي والفكري إلى خلق مناخ ملائم لإعادة إحياء مشروع تنظيم

عمل الأطفال على المستوى الفيدرالي، ولكن هذه المرة ضمن إطار أشمل لإصلاح سوق العمل ككل، مما شكّل الأساس الذي انطلقت منه تشريعات الصفقة الجديدة لاحقًا، وصولًا إلى قانون معايير العمل العادلة لعام ١٩٣٨ (Schlesinger, 1958, p. 409).

نستخلص من ذلك، ان الكساد الكبير مثل نقطة التحول الحاسمة التي أنهت مرحلة الجمود الدستوري في تنظيم عمل الأطفال، وتكمن أهمية هذه المرحلة في كونها الجسر الذي ربط بين فشل التشريعات الفيدرالية المبكرة وبين التشريع الفيدرالي الحاسم في أواخر الثلاثينيات، إذ مهّدت أزمة الكساد الكبير الطريق لولادة إطار قانوني جديد جعل حماية الأطفال جزءًا أصيلًا من السياسة الاجتماعية للدولة الفيدرالية.

ثانيا: التحول في فلسفة الدولة الفيدرالية تجاه قضايا العمل والحماية الاجتماعية

مثّلت مرحلة الصفقة الجديدة تحوّلًا جوهريًا في فلسفة الدولة الفيدرالية الأمريكية، إذ انتقلت الحكومة من دور محدود يقتصر على ضبط الإطار العام للسوق إلى فاعل مباشر في تنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية (Leuchtenburg, 1963, p. 34)، اذ أعادت الصفقة الجديدة تعريف مفهوم "المصلحة العامة" ليشمل ضمان حدٍّ أدنى من الحماية الاجتماعية، وهو ما انعكس في توسّع التشريع الاجتماعي الفيدرالي. ولم يعد تنظيم العمل يُنظر إليه باعتباره تدخلًا استثنائيًا في حرية السوق، بل أداة ضرورية لتحقيق الاستقرار الاقتصادي ومنع الممارسات التي تُقوّض العدالة الاجتماعية، ومنها استغلال عمل الأطفال (Schlesinger, 1958, p. 421).

في هذا الإطار، تزايد اعتماد الحكومة الفيدرالية على سلطتها في تنظيم التجارة بين الولايات بوصفها أساسًا دستوريًا لتوسيع تدخلها في قضايا العمل، لاحظ والتر تراتنر Walter Trattner في عام ١٩٣٣ في دراسته ذات التوجه الإصلاحي من أجل الأطفال، "**لقد وجدت عدوى عمالة الأطفال المنتشرة كل نقاط الضعف والثغرة في تشريعات العمل في الولاية**". ويلاحظ: "**كانت المصانع المستغلة للعمال ومصانع الطيران الليلية تستغل الأطفال مقابل أجر زهيد أو بدون أجر، ولم تتمكن الولايات الفردية من وقف هذه الانتهاكات التي كان لها أثر بعيد المدى، بما في ذلك الانهيار الكامل لجداول الأجور**" (Trattner, 1970, p. 189).

كما جرى تعزيز دور وزارة العمل والهيئات التنظيمية الجديدة، ومنحها صلاحيات أوسع في وضع المعايير والإشراف على تطبيقها. وأسهم هذا التطور المؤسسي في تهيئة البيئة الإدارية اللازمة لفرض تشريعات اتحادية موحّدة تنظم عمل الأطفال وساعات العمل والأجور، وقد حثت وزيرة العمل فرانسيس بيركنز[٥](Frances C. Perkins)، التي كانت من ابرز الإصلاحيين في مجال عمالة الأطفال، الحكومة على رفض شراء السلع التي تنتجها عمالة الأطفال و أصبحت هذه القيود جزءًا من قانون العقود

العامة لعام (١٩٣٦)، الذي شارك في رعايته عضو مجلس الشيوخ من ولاية ماساتشوستس ديفيد والش (١٩١٩–١٩٤٧) وآرثر دانيال هيلي عضو مجلس النواب من ولاية ماساتشوستس (١٩٣٣–١٩٤٢) والذي يُطلق عليه أيضًا قانون والش–هيلي (Morton, 1965, p. 14).

أدّى التغيّر في فلسفة الدولة الفيدرالية كذلك إلى إعادة صياغة العلاقة بين الحكومة والولايات، إذ لم يعد احترام حقوق الولايات يُستخدم لتبرير التفاوت الحاد في مستويات الحماية الاجتماعية. وبدلًا من ذلك، برز اتجاه يرى في التشريع الفيدرالي أداة لتوحيد المعايير الأساسية، مع الإبقاء على هامش للولايات في التطبيق والتكييف.

من خلال ما تقدم، أن هذا التحول لم يكن قطيعة كاملة مع النظام الدستوري السابق، بل إعادة تفسير مرنة لصلاحيات الدولة بما ينسجم مع متطلبات الاقتصاد الصناعي الوطني المترابط. وأن أهمية هذا التحول تكمن في كونه لم يمهّد فقط لتنظيم عمل الأطفال، بل أسّس لنموذج جديد لدور الدولة الفيدرالية في قضايا العمل، ظلّ مؤثرًا في السياسات الاجتماعية الأمريكية لعقود لاحقة، مما يمكن من تجاوز العقبات التي فرضتها المحكمة العليا في المراحل السابقة، وفتح الطريق أمام تشريعات اجتماعية أكثر شمولًا.

ثالثا: قانون معايير العمل العادلة لعام ١٩٣٨ وتنظيم عمل الأطفال

حاول الرئيس فرانكلين روزفلت للقضاء على عمالة الأطفال من خلال العمل التنفيذي من خلال قانون الانتعاش الصناعي الوطني National Industrial Recovery Act (PPA.FDR, 1936) لكنه هزم بحجة ان هذا القانون غير دستوري. واستمر الوضع حتى عام ١٩٣٨ حتى أصدر الكونغرس أخيراً قانون عمل الأطفال (قانون معايير العمل العادلة) (Fair Labor Standards Act – FLSA) (Rosenberg, 2013, p. 194) وهو قانون خاص بتحديد الاجور وساعات العمل (Wages and Hours Law) ويعد من القوانين المهمة في الحياة المدنية الأمريكية (Morris, 2005, p. 359). وفي ٢٥ حزيران ١٩٣٨، وقع روزفلت القانون ودخل حيز التنفيذ في تشرين الأول ١٩٣٨ (Schuman, 2017, p. 17).

شكّل صدور قانون معايير العمل العادلة عام ١٩٣٨ الذروة التشريعية لمسار طويل من الجدل حول تنظيم العمل، إذ وضع للمرة الأولى إطارًا فيدراليًا شاملاً ينظم الحد الأدنى للأجور، ويحدد ساعات العمل، ويقيد تشغيل الأطفال في الصناعات المرتبطة بالتجارة بين الولايات. بذلك، لم يعد تنظيم عمل الأطفال إجراءً معزولًا، بل جزءًا من سياسة اتحادية متكاملة لإصلاح سوق العمل (Bernstein, 1970, p. 580) (Congress U. , Public Law 775–718, 1938).

نصّ القانون على حظر تشغيل الأطفال دون سنٍّ محددة في الصناعات الخطرة، وفرض قيود صارمة على ساعات عمل من هم دون سن السادسة عشرة، مستندًا إلى صلاحيات الكونغرس في تنظيم التجارة بين الولايات (Forbath, 1991, p. 154) ، ويحمي القانون، الأطفال من خلال تحديد الشروط التي يجوز بموجبها توظيفهم، وفي أنواع معينة من العمل فقد حظر توظيفهم تمامًا، بموجب قانون معايير العمل العادلة، لا يجوز لأصحاب العمل استخدام "العمالة القمعية للأطفال في التجارة أو في إنتاج السلع لأغراض التجارة" (Policy, 2013, p. 6) . لا يجوز تشغيل الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ١٨ عامًا في التعدين أو التصنيع أو "في أي مهنة يعلن وزير العمل ... أنها تشكل خطورة خاصة على تشغيل الأطفال ... أو تضر بصحتهم أو رفاهتهم". وبخلاف ذلك، فإن سن ١٦ عامًا هو الحد الأدنى لسن العمل. ويجوز للوزير أن يسمح بتوظيف الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٦ عامًا في أعمال لا تعد "قمعية"، ولا تتعارض مع التعليم، ولا تضر "بالصحة والرفاهية" (Barck & Blake, 1959, p. 510) (Standards, 2023, p. 1). يحدد الوزير ساعات عمل الأطفال من مختلف الأعمار. وتختلف قواعد العمل الزراعي وغير الزراعي بشكل كبير. على سبيل المثال، الحد الأدنى العام لسن العمل في الوظائف الزراعية غير الخطرة، خارج ساعات الدراسة، هو ١٤ عامًا (Labor, 2011, p. 4) ، كما حدد القانون الحد الأدنى للأجور ٢٥ سنتًا في الساعة ، وحدد اسبوع العمل ب (٤٤) ساعة. مثّل هذا التنظيم نقلة نوعية مقارنة بالمحاولات السابقة، إذ تجاوز الفصل التقليدي بين الإنتاج والتجارة الذي استندت إليه المحكمة العليا في إبطال تشريعات سابقة (Schuman, 2017, p. 17).

اكتسب قانون معايير العمل العادلة قوة إضافية من التحول القضائي الذي شهدته المحكمة العليا بعد عام ١٩٣٧، اذ أقرّت بشرعية التوسع الفيدرالي في تنظيم شروط العمل. وقد وفّر هذا التحول غطاءً دستوريًا مكّن الحكومة الفيدرالية من فرض القانون دون التعرض للإبطال القضائي الذي عانت منه التشريعات السابقة (Trattner, 1970, p. 138) (Leuchtenburg, 1963, p. 132).

اخذت وزارة العمل الفيدرالية على عاتقها مسؤولية تنفيذ أحكام القانون، معتمدة على جهاز إداري أكثر تنظيمًا وخبرة مما كان عليه الحال في العقدين السابقين. فأسهم هذا التطور المؤسسي في تعزيز فعالية تطبيق القيود على عمل الأطفال، ولا سيما في الصناعات التحويلية والتعدينية المرتبطة مباشرة بالسوق الوطنية (Hindman, 2002, p. 125) (Annual, 1939).

بذلك، أدّى تطبيق قانون معايير العمل العادلة إلى تقليص ملحوظ في معدلات تشغيل الأطفال في القطاعات الصناعية الخاضعة للتشريع الفيدرالي، وساهم في توحيد المعايير الأساسية بين الولايات، وإن ظلّت بعض الاستثناءات قائمة، لا سيما في الزراعة والعمل العائلي وإلى إنهاء حالة التشتت التشريعي التي ميّزت تنظيم عمل الأطفال في الولايات المتحدة طوال العقود السابقة. فقد أسّس القانون

لمعايير وطنية موحّدة تتعلق بالحد الأدنى لسن العمل وساعات التشغيل في القطاعات الصناعية المرتبطة بالتجارة بين الولايات، ما حدّ من التفاوت الكبير بين الولايات في مستويات الحماية القانونية للأطفال (Hindman, 2002, pp. 125-130). مع ذلك، مثّل القانون نقطة تحول حاسمة في تاريخ حماية الطفولة العاملة في الولايات المتحدة الامريكية.

كما أسهم القانون في توحيد المعايير الفيدرالية في تعزيز فعالية التنفيذ (Annual, 1939, p. 52) ، فانعكس هذا التطور التشريعي إيجابًا على أوضاع الطفولة العاملة، إذ سجّلت الإحصاءات الرسمية تراجعًا ملحوظًا في معدلات تشغيل الأطفال في القطاعات الصناعية خلال السنوات اللاحقة لإقرار القانون. كما ساهمت القيود المفروضة على عمل الأطفال في دعم سياسات التعليم الإلزامي، من خلال تقليص الدوافع الاقتصادية التي كانت تدفع الأسر إلى إخراج أطفالها من المدارس مبكرًا . (Bureau, 1941, p. 37)

مع ذلك، لم يكن أثر التشريع الفيدرالي مطلقًا، إذ استمرت بعض أشكال عمل الأطفال خارج نطاق التنظيم الفيدرالي، ولا سيما في الزراعة والعمل العائلي، اذ أبقت الحكومة الفيدرالية على استثناءات تراعي الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية لبعض الولايات. ويكشف ذلك أن توحيد المعايير جاء تدريجيًا، ولم يلغِ تمامًا الدور التنظيمي للولايات (Bernstein, 1970, p. 592).

وعلى الرغم من هذه الاستثناءات، شكّل التشريع الفيدرالي نقطة تحوّل في تصور مسؤولية الدولة تجاه الطفولة العاملة، إذ انتقلت الحماية من إطار محلي متباين إلى سياسة وطنية ملزمة. وأرسى هذا التحول نموذجًا تشريعيًا استُخدم لاحقًا في مجالات أخرى من الحماية الاجتماعية، مثل الحد الأدنى للأجور وساعات العمل (Kennedy, 1999, p. 308).

ختاما، كان لقيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩، تأثير مهم على زيادة الطلب على تشغيل الأطفال والشباب تحت سن ١٨ عاما لتلبية احتياجات العمل المتزايدة الجديدة في المصانع الحربية، وفي المتاجر ومهن الخدمات، لزراعة وحصاد المحاصيل، وليحلوا محل آلاف العمال الأكبر سنًا في أنواع مختلفة من الوظائف الذين تم جذبهم إلى الصناعات الحربية والقوات المسلحة (Merritt, 1943, p. 450).

نمت خلال الحرب عمالة الأطفال لبعض الوقت، وفي مواجهة احتياجات الإنتاج المتزايدة في زمن الحرب ونقص العمالة، أعلن الرئيس روزفلت أنه ينبغي توظيف الأولاد والبنات "الناضجين" حيثما يكون ذلك "معقولا" وبينما كان مليون طفل دون سن ١٨ عامًا يعملون بأجر في بداية الحرب، بلغ العدد ذروته اذ قدر ب٣ ملايين في نهايتها ومع ذلك، كانت هذه الزيادة في عمالة الأطفال ظاهرة مؤقتة في زمن الحرب (Lindenmeyer, 1997, p. 232).

خلاصة القول، مثّل قانون معايير العمل العادلة لعام ١٩٣٨ التحول التشريعي الحاسم الذي أنهى مرحلة مهمة في تنظيم عمل الأطفال في أواخر الثلاثينيات بذلك شكّل القانون أحد أنجح نماذج التشريع الاجتماعي في الولايات المتحدة، وأسّس لإطار قانوني ظلّ مرجعًا أساسيًا في سياسات حماية الطفولة والعمل لعقود لاحقة، اذ نجح القانون في دمج حماية الأطفال ضمن سياسة اتحادية شاملة، ما منحها قوة تنفيذية واستمرارية افتقدتها التشريعات السابقة، مما ارسى في بناء نظام وطني لحماية الطفولة العاملة، ورسخ نموذجًا تشريعيًا ظلّ مرجعًا أساسيًا للسياسات الاجتماعية الأمريكية حتى نهاية القرن العشرين.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن تنظيم عمل الأطفال في الولايات المتحدة الامريكية خلال المدة (١٩٠٤-١٩٣٩) مثّل مسارًا تاريخيًا مهما عكس تطور دور الدولة الفيدرالية في المجال الاجتماعي، وانتقالها التدريجي من موقع المتفرج إلى فاعل تشريعي وتنظيمي مركزي، اذ أظهرت المرحلة الأولى أن الاعتماد على القيود المحلية، على الرغم من أهميتها الرمزية، عجز عن معالجة الظاهرة بصورة شاملة بسبب التفاوت التشريعي وضعف التنفيذ وضغوط المصالح الاقتصادية.

بيّن البحث أن محاولات التدخل الفيدرالي المبكر، على رأسها قانون كيتنغ-أوين لعام ١٩١٦، شكّلت خطوة جريئة لكنها غير مكتملة، إذ اصطدمت بتفسير دستوري محافظ حدّ من صلاحيات الكونغرس في تنظيم شروط العمل، وأسهمت قرارات المحكمة العليا في تكريس حالة الجمود التشريعي خلال عشرينيات القرن العشرين، مما كشف عن فجوة بنيوية بين الواقع الاجتماعي المتغير والإطار الدستوري القائم آنذاك.

لم يكن الانتقال من القيود المحلية إلى التشريع الفيدرالي مسارًا سلسًا، إذ اصطدم بعقبات دستورية وقضائية جسّدتها مواقف المحكمة العليا الأمريكية التي حدّت خلال العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين من توسّع الدور الفيدرالي في المجال الاجتماعي. ولم يشهد هذا المسار تحوّلًا حاسمًا إلا مع أزمة الكساد الكبير لعام ١٩٢٩ وبروز فلسفة الصفقة الجديدة التي أعادت تعريف دور الدولة ومسؤوليتها تجاه سوق العمل والفئات الضعيفة.

أوضح البحث أن أزمة الكساد الكبير شكّلت نقطة التحول الحاسمة في مسار تنظيم عمل الأطفال، اذ فرضت منطق التدخل الفيدرالي بوصفه ضرورة للحفاظ على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. وفي هذا السياق، جاءت تشريعات الصفقة الجديدة، ولا سيما قانون معايير العمل العادلة لعام ١٩٣٨، لتضع إطارًا اتحاديًا موحّدًا أنهى التشتت التشريعي، وكرّس حماية الطفولة العاملة كجزء لا يتجزأ من السياسة الاجتماعية للدولة.

الهوامش التعريفية:

(١) اتحاد وطني للنقابات العمالية في الولايات المتحدة الامريكية، تأسس عام ١٨٨٦ في مدينة كولومبوس، أوهايو تحت قيادة صاموئيل غومبرز باعتباره أقوى اتحاد صناعي في الولايات المتحدة الامريكية، انحصرت غاية الاتحاد في بناء وحدة وطنية تقوم اساساً على تنظيم العمال المهرة واستبعاده للعمال غير المهرة و السود والنساء العاملات من صفوفه وظلت الوكالة الوحيدة للحركة العمالية الأمريكية لمدة ٥٠ عامًا تقريبًا. وفي عام ١٩٥٥، اندمج مع مؤتمر المنظمات الصناعية الذي انفصل عن الاتحاد الامريكي للعمل في عام ١٩٣٨، لتشكيل الاتحاد الأمريكي للعمل – مؤتمر المنظمات الصناعية (AFL–CIO). للمزيد ينظر:

Julie Greene, Pure and Simple Politics, The American Federation of Labor and Political Activism, 1881-1917, Cambridge University Press, 1999, P.19.

(٢) صاموئيل غومبرز(١٨٥٠-١٩٢٤): أول رئيس للاتحاد الأمريكي للعمل، ولد في ١٨٥٠ في لندن لعائلة يهودية، هاجرت أسرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٦٣، واستقرت في ولاية نيويورك، انضم غومبرز إلى نقابة صانعي السيجار في سن السابعة عشرة، آمن غومبرز بالفكر الاشتراكي في أوائل عام ١٨٧٠، بوصفه الحل لمشكلات العمال، وتدريجياً بدأ غومبرز يتخذ موقفاً معادياً من الاشتراكيين بسبب تحديهم المستمر لقيادته للاتحاد الأمريكي للعمل. للمزيد ينظر:

Irwin Yellowits, Samuel Gompers :A Half Century in Labors Front Rank, "Monthly Labor Review", July 1989, Bureau of Labor Statistics, Washington, D.C., PP. 27-28.

(٣) جين آدامز: ناشطة أمريكية اجتماعية ومؤلفة ورائدة في السلام وحقوق الاقتراع للمرأة. ولدت في ولاية إلينوي في السادس من أيلول عام ١٨٦٠ ، تخرجت في كلية روكفورد في عام ١٨٨١، أصبحت عضواً مؤسساً للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع التي تأسست في عام ١٩٠٥. أسست حزب السلام النسائي عام ١٩١٥ وكان لها دور كبير في الحركة النسوية الأمريكية ، حصلت على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٣١ ، توفيت في الحادي والعشرين من آيار عام ١٩٣٥ . للمزيد من التفصيل ينظر :

Judith Bloom Fradin and Dennis B. Fradin, Jane Addams: Champion of Democracy, Clarion books, New York, 2006.

(٤) محامية وناشطة اجتماعية أمريكية، ولدت في فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا في ١٢ أيلول ١٨٥٩ وأكملت دراستها في جامعة كورنيل في عام ١٨٨٢ ، ذهبت للدراسة في جامعة زيورخ حيث انجذبت إلى الاشتراكية وقامت بترجمة كتاب فريدريك إنجلز (Frederick Engels) "حالة الطبقة العاملة في إنكلترا" في العام ١٨٨٧، درست فلورنس ظروف عمالة الأطفال في المصانع وكيفية استغلالهم وأصدرت تقريرا عن هذا الموضوع لمكتب العمل في ولاية إيلينوي ، فتم تعيينها في عام ١٨٩٣ من قبل حاكم ولاية إيلينوي بمنصب مفتش للمصانع في الولاية، نجحت أيضًا في الضغط على الهيئة التشريعية للولاية لإصدار قانون يحدد يوم عمل من ثماني ساعات للنساء، في العام ١٨٩٤ حصلت على شهادة في القانون من جامعة نورث ويسترن و انضمت إلى نقابة المحامين في إيلينوي. توفيت في ١٧ شباط ١٩٣٢. لمزيد من التفصيل ينظر:

Kathryn Cullen-DuPont, Encyclopedia of Women's History in America, second edition, New York, 2000, p.134.

(٥) فرنسيس بيركنز (١٨٨٠– ١٩٦٥): سياسية أمريكية، ولدت في ماساتشوستس، تخرجت من كلية ماونت هوليوك عام ١٩٠٢ في الكيمياء والفيزياء، حصلت على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية من جامعة كولومبيا في عام

١٩١٠، شغلت بعد الجامعة المناصب التعليمية، وناشطة في مجال حقوق العمال، شاركت في الاحتجاجات الاجتماعية وأصبحت ناشطة في حركة حق التصويت، وهي أول امرأة شغلت منصب وزيرة في الولايات المتحدة للمدة (١٩٣٣-١٩٤٥) في عهد فرانكلين روزفلت. للمزيد ينظر:

Kirstin Downey, The Woman Behind the New Deal, Philadelphia University Press, 2009, P. 337; Jeffrey D.Shultz, Encyclopedia of Women in America, Oryx press, Canada, 1999, P.170.

المراجع

الوثائق المنشورة

U.S. Congress, Senate. (1913). Report on condition of woman and child wage-earners in the United States (61st Cong., 2nd sess., Senate Document No. 645, Vols. 1–19). Washington, DC: U.S. Government Printing Office.

U.S. Congress. (1916, September 1). An act to prevent interstate commerce in the products of child labor, and for other purposes.

U.S. Department of Labor, Bureau of Labor Statistics. (1916). Summary of the report on condition of woman and child wage-earners in the United States (Women in Industry Series No. 5). Washington, DC: Government Printing Office.

U.S. Congress. (1916). Keating–Owen Child Labor Act. Public Law.

U.S. Department of Labor. (1917). Annual report of the Secretary of Labor. Washington, DC: Government Printing Office.

U.S. Bureau of Labor Statistics. (1917). History of child labor in the United States. Washington, DC: Government Printing Office.

PPA.FDR. (1936, October 31). 1936, Franklin D. Roosevelt Campaign Address at Madison Square Garden . Vol.5.

U.S. Congress. (1938). Fair Labor Standards Act of 1938. Public Law 75–718.

U.S. Department of Labor. (1939). Annual report of the Secretary of Labor. Washington, DC: Government Printing Office.

U.S. Bureau of Labor Statistics. (1941). Child labor and school attendance, 1900–1940. Washington, DC: Government Printing Office.

U.S. Department of Labor, Wage and Hour Division. (2011, May). The Fair Labor Standards Act of 1938, as amended (WH Publication No. 1318). Washington, DC: U.S. Department of Labor.

Congressional Research Service. (2013, November 18). Child labor in America: History, policy, and legislative issues. Washington, DC.

Congressional Research Service. (2023, March 8). The Fair Labor Standards Act (FLSA): An overview (Report No. R42713). Washington, D.C.

الكتب

Barck , O. T., & Blake, N. M. (1959). *Since 1900… A History of the United states in Our times, Third Edition* (Vol. 3). New York: The Macmillan Company.

Bernstein, I. (1960). *The Lean Years: A History of the American Worker, 1920–1933* . Boston: Houghton Mifflin.

Bernstein, I. (1970). The turbulent years: A history of the American worker, 1933–1941. Boston, MA: Houghton Mifflin
Bremner, R. H. (1971). *Children and Youth in America: A Documentary History* (Vol. vol. 2). Cambridge: Harvard University Press.
Currie, D. P. (1990). *The Constitution in the Supreme Court: The Second Century, 1888–1986* . Chicago: University of Chicago Press.
Cushman, B. (1998). *Rethinking the New Deal Court: The Structure of a Constitutional Revolution* . Oxford: Oxford University Press.
Downey, Kirstin. (2009). The woman behind the New Deal. New York, NY: Nan A. Talese/Doubleday.
Ensign, F. C. (1921). *Compulsory School Attendance and Child Labor.* Iowa: The Athens Press.
Fradin, Judith Bloom, & Fradin, Dennis Brindell. (2006). Jane Addams: Champion of democracy. New York, NY: Clarion Books.
Felt, J. P. (1965). *Hostages of fortune: child labor reform in New York State.* New York: Syracuse University Press.
Forbath, W. E. (1991). *Law and the Shaping of the American Labor Movement.* Cambridge, MA: Harvard University Press.
Greene, Julie. (1999). Pure and simple politics: The American Federation of Labor and political activism, 1881–1917. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
Gladden, W. (1911). *The Labor Question.* New York: The Pilgrim Press.
Gompers, S. (1920). *Labor and The Employer.* New York .
Hindman, H. D. (2002). *Child Labor: An American History.* Armonk, NY: M.E. Sharpe.
Kennedy , D. M., Cohen, L., & Bailey, T. A. (2010). *The American Pageant.* Boston: Houghton Mifflin.
Kennedy, D. M. (1999). *Freedom from Fear: The American People in Depression and War, 1929–1945* . New York: Oxford University Press.
Kyvig, D. E. (1996). *Explicit and Authentic Acts: Amending the U.S. Constitution, 1776–1995.* Lawrence: University Press of Kansas.
Leuchtenburg, W. E. (1963). Franklin D. Roosevelt and the New Deal, 1932–1940. New York, NY: Harper & Row.
Leuchtenburg, W. E. (1995). *The Supreme Court Reborn: The Constitutional Revolution in the Age of Roosevelt* . New York: Oxford University Press.
Lindenmeyer, K. (1997). *A right to childhood: the U.S. Children's Bureau and child welfare 1912–1946.* Chicago: University of Illinois Press.
Marot, H. (1914). *American labor Unions.* New York: Henry Holt and Company.
McGerr, M. (2003). *A Fierce Discontent: The Rise and Fall of the Progressive Movement in America, 1870–1920* . New York: Free Press.
Morris, C. J. (2005). *The Blue Eagle at work.* New York: Cornell University Press.
Morton, H. C. (1965). *Public Contracts and Private Wages: Experience Under the Walsh-Healey Act* . Washington: The Brookings Institution.
Platt, A. (1969). *The Child Savers: The Invention of Delinquency.* Chicago: University of Chicago Press.
Rosenberg, C. M. (2013). *Child labor in America: a history.* North Carolina: Jefferson, NC: McFarland & Company Inc.

Schlesinger, A. M. (1958). *The Age of Roosevelt: The Coming of the New Deal* . Boston: Houghton Mifflin.
Sharp, G. (2014). *Photography and Social Reform: Lewis Hine and the Child Labor Movement.* New York: Routledge.
Storrs, L. R. (2000). *Civilizing Capitalism: The National Consumers' League, Women's Activism, and Labor Standards in the New Deal Era.* North Carolina : Chapel Hill: University of North Carolina Press.
Trachtenberg, A. (1918). *The American Labor Year Book 1917-1918* (Vol. Vol. 2). New York.
Trattner, W. I. (1970). *Crusade for the children: a history of the National Child Labor Committee and child labor reform in America.* Chicago: Quadrangle Books.
Troen, S. K. (1976). *"The discovery of the adolescent by American educational reformers, 1900–1920: an economic perspective," Schooling and society.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.
Wood, M. E. (2011). *"Emancipating the child laborer: children, freedom, and the moral boundaries of the market in the United States, 1853–1938".* Ph.D. diss: University of Chicago.
Yellowitz, Irwin. (1989, July). Samuel Gompers: A half century in labor's front rank. Monthly Labor Review. Washington, DC: Bureau of Labor Statistics.
Zelizer, V. A. (1985). *Pricing the Priceless Child: The Changing Social Value of Children* . New York: Basic Books.

الموسوعات

Cullen-DuPont, Kathryn. (2000). Encyclopedia of women's history in America (2nd ed.). New York, NY: Facts On File.
Shultz, Jeffrey D. (Ed.). (1999). Encyclopedia of women in America. Phoenix, AZ: Oryx Press.

البحوث المنشورة

Hogan, D. L. (1979). Child Labor and Reform in the Progressive Era. *Social Service Review, 53*(30).
National Child Labor Committee. (1922). The American child (Vol. 4, No. 1). New York, NY.
Abbott, U. G. (1939, September). "Federal Regulation of Child Labor, 1906-1938 . *The Social Service Review.*
Merritt, E. A. (1943, MARCH). trend of child Labor 1939 to 1942, Bureau of Labor Statistics. *Monthly Labor Review, Vol. 56, No. 3*.
Larner, J. W. (1965, October). The Glass House Boys: Child Labor Conditions in Pittsburgh's Glass Factories, 1890-1917. *The Western Pennsylvania Historical Magazine*.
Schuman, M. (2017, January). History of child labor in the United States— the reform movement, U.S. BUREAU OF Labor Statistics. *Monthly Labor Review.*

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

Mémoire de fille

مذكرات فتاة
Annie Ernaux

Girl's Memories
Annie Ernaux
للكاتبة الفرنسية : اني أرنو
طبعة برشلونة اسبانيا ٢٠٢٣

ترجمة وتحقيق

م.م . عبد الرسول هانو رشم
ABDULRASOOL HANOO RASHAM

مدرس لغة فرنسية
وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ الثالثة
The Ministry of Education
General of the Education directorate/Karkh 3rd
saied.rasool@yahoo.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

رواية مذكرات فتاة للكاتبة الفرنسية اني ارنو.. تقدم فيها مذكراتها عن حادثة حدثت لها في صيف عام ١٩٥٨. ايام مراهقتها ومشاركتها في مخيم صيفي كشفي طلابي قبل أكثر من خمسين عام شمال غرب فرنسا. تتحدث عن فتاة هي نفسها.

هذه الحادثة تعتبر للكاتبة حسب رأيها حدثا مفصليا روحيا وجسديا رافقها طيلة عمرها. كتبت روايتها بوصف جريء للاحاسيس والمشاعر البشرية تغوص ارنو في اعماق ذاكرتها لتسترجع شريط ذكرياتها وعلاقتها الحميمية مع رجل في مخيم الطلاب الصيفي فهي تنظر بعيون الحاضر الى الماضي. يعتبر هذا الكتاب من أعمال السير ذاتية الفريدة وسط اعمال ارنو حيث يتناول تجربة شخصية عاشتها الكاتبة مع صدق عاطفي حيث تسرد اول تجربة جنسية واول علاقة غرامية مع رجل مستكشفة العواطف الانسانية والطبقية الاجتماعية والخلفية الثقافية للحياة الخاصة بجرأة وصدق.

فهي تقول في مقدمة كتابها المكان " اذا كان ثمة تحرر عبر الكتابة فهو ليس من الكتابة ذاتها ، بل في هذه المشاركة مع أناس مجهولين في تجربة مشتركة ، ولمن يعيش ممزقا بين ثقافتين ، ليست وظيفة الكتابة أو إنتاجها طمس جرح أو علاجه ، وانما إعطاء معنى وقيمة وجعلة في النهاية لا ينسى".[١] دونت يومياتها وغاصت في ليالي من ذلك الصيف لترسم لوحة أدبية من خلال ذكريات محفورة في عقلها بأسلوب بسيط غير متكلف. فهذا الكتاب تاريخ شخصي للكاتبة كباقي كتبها السير ذاتية امراة والمكان والسنوات[٢].

الكلمات المفتاحية(مذكرات, المراهقة والكتابة و الحميمية و سيرذاتية)

Résumé

Mémoire de fille est un récit autobiographique publié en 2016, dans lequel Annie Ernaux revient sur l'été 1958, l'année de ses 18 ans.ُ Ernaux replonge dans l'an 1958, elle nous exprime sa première nuit avec un homme. Elle raconte aussi avec sa première expérience sexuelle lors d'un séjour en colonie de S de vacances dans L'Orne, une expérience marquée par la douleur, la honte et l'incompréhension.

Elle decrit une nuit dont l onde de choc s est propagee violemment dans son corps et son ame. À travers ce retour sur elle-même, explore les thèmes de la mémoire, de l'identité, de la sexualité féminine et du regard des autres. En confrontant la jeune fille qu'elle a été à la femme qu'elle est devenue, Ernaux interroge le pouvoir de l'écriture pour comprendre le passé et se libérer des blessures anciennes. C'est un texte intime, lucide et profondément émouvant. Nous essayons de traduire ce texte au lecteur arabe.

Mots clés :(Autobiographie, mémoire, sexualité, Ecriture, retour)

Abstract

Our translation of this novel aims to convey the spirit of the text rather than its literal wording, taking into account the cultural differences between French and Arabic—differences marked by openness and boldness on one side, and by reserve and taboos, especially regarding sexual vocabulary, on the other.

The term autobiography is a well-known literary genre in world literature. In it, the writer presents the life of a character with real people, dates, and places. The author establishes a kind of contract with the reader, aiming to reveal the person's life with honest confession, faithfully conveying personal memories to the reader.

Memoir of a Girl, a novel by French author Annie Ernaux, winner of the Nobel Prize in Literature in 2022, is an autobiographical work published in 2016. It recounts a personal experience the author lived through during the

summer of 1958, in which she narrates her first intimate relationship with a man and its lasting impact on her.

Keywords:(Novel, autobiography, memories, Girl, literature)

مقدمة المترجم

مصطلح السيرة الذاتية جنس أدبي مألوف في الادب العالمي

في هذا النوع الادبي,autobiographie, الكاتبة ,اني ارنو, تتناول الحياة الشخصية بشخوص وتواريخ وأماكن واحداث واقعية وحقيقية . حيث تذكر اسماء رياضيين وموسيقيين ومغنيين وكتاب معروفين عالميا ومدن فرنسية.فالمؤلفة تعمل عقد بينها وبين القارىء لبيان حياة الشخص الذي هي نفسها كانتها وبصدق الاعتراف وبما يحمله الفرد من ذكرياته الخاصة ينقلها بأمانة للقارىء.

رواية مذكرات فتاة للكاتبة الفرنسية اني ارنو الحائزة على جائزة نوبل للأدب عام ٢٠٢٢ هي عمل سيرة ذاتية على شكل ذكريات نشر من قبل دار جاليمار عام ٢٠١٦ ، يتناول تجربة شخصية عاشتها الكاتبة في صيف عام ١٩٥٨ حيث تسرد فيها اول علاقة لها مع رجل وتداعياتها عليها كفتاة ريفية. تعود اني ارنو بالذاكرة إلى صيف ذلك العام ١٩٥٨حيث تروي أول ليلة قضتها مع رجل في مخيم صيفي للطلاب حيث تم تعينيها كمستشارة ومدربة .وهذه المرة الأولى تتحدث عن علاقة تركت أثراً عميقاً في حياتها في ثنايا جسدها وبقايا روحها، بعد رحلة مضيئة وشخصية في أعمال ارنو.

تشير أرنو إلى الرقم ٥٨ وهو العام الذي حدث فيه كل شيء...طرح جرئ تستحضر فيه ببراعة شديدة قسوة العلاقات الجنسية الأولى لفتاة صغيرة غير مستعدة للقسوة الذكورية ، مع ذلك فهي غير خجلة مما فعلته فقد خاضت مغامرة مثيرة ممتعة ومؤلمة في نفس الوقت .في عام ١٩٥٨ بلغت سن ال ١٨ ، حيث تتحدث عن تجربة إجتماعية[٣] حيث أقامت أول علاقة غرامية مع رجل فتسرد بجرأة تلك العلاقة. في تلك العلاقة وفي تلك الفترة المحورية من حياتها حيث تضم هذه الرواية (مذكرات فتاة) إلى رواياتها الأخرى من نفس النوع الادبي عن حياة ابيها " المكان [٤]" وعن حياة أمها " امرأة[٥]" وعن المجتمع الفرنسي " السنوات.[٦]". اشكالية البحث كيف تترجم الكتابة الذاتية والبوح الانثوي من لغة غربية الفرنسية المصدر الى لغة اخرى عربية الهدف؟ تحديات الترجمة بجراة الكاتبة بالاعتراف لاحداث حميمية البوح الانثوي ايام المراهقة؟

تأخذ اني أرنو القارىء في رحلة مؤثرة في أعماق الذاكرة لتعود بالسنين إلى الوراء فتعرض حلقة من حلقات ماضيها في مذكراتها الخاصة تصف نفسها بنفسها. تعمل تداخل روائي فهي وليست هي. تدور الأحداث في مخيم صيفي في منطقة (الارون), في أول ليلة تقضيها مع رجل ،تصف ليلة انتشرت فيها موجة من الصدمة بعنف في جسدها ووجودها على مدار سنين ،بالاعتماد على ذاكرتها ،وعلى

رسائل وصور مكتوبة ، تستجوب تلك الفتاة التي هي نفسها أرنو تتنقل بين الماضي والحاضر. تنقل لنا بأسلوب سلس احساساتها الجسدية ومشاعرها المرهقة في تلك الحقبة التاريخية في سرد متواصل من دون تقسيم الرواية إلى فصول, تعيد أرنو بهذه الرواية احياء احداث ماضية وبيان نتائج تلك الاحداث وتداعياتها النفسية والجسدية التي مرت بها.

اهمية اختيار الرواية :

تحتل رواية مذكرات فتاة مكانة خاصة ومميزة من بين رواياتها رواية لها فرادتها من بين كل اعمالها ففيها تواجه الحياة وآلامها بسن المراهقة. نجد فيها البعد الذاتي والطابع الحميمي والصدق العاطفي.الكاتبة نفسها ساردة ومؤلفة وهي ايضا الشخصية الريئسية بالرواية وهذا التداخل لايحدث الا في ادب السيرة الذاتية مستخدمة الضميرين انا وهي (je, elle).

تعكس بروايتها هذه تجربتها الشخصية من خلال ذاكرة حادة وقوية تسرد اعترافات شخصية وحقائق صادمة مع جراءة في الطرح وبراعة برسم الأحداث تحول احداث يومية إلى لوحة فنية رائعة من الوصف رغم أن الحدث مؤلم. فهي تنقب بين طيات الاحداث وتنفض الغبار عن ذكريات كامنة في خيالها وذاكرتها المتقدة. تؤرشف الاحداث وتستنطقها بأسلوب واضح وصريح لتعيد صياغتها بلغة بسيطة مع ذوبان في الآخر مقلدة اياه ومتبعه خطاه باسلوب اعترافي تظهر التفاصيل من دون تردد أو وجل ،وتحليل للظواهر كأنها محللة نفسية وعالمة اجتماعية. فهي تعتبر ذاكرتها نوع من أنواع المعرفة الأدبية تدون الاحداث وتكتبها معتزة بنفسها كامرأة منفتحة . تعيش تحولات جسدية ونفسية واجتماعية وثقافية وسياسية.

اترك القارىء يعيش لحظات مع هذه الاحداث الجريبة مع الكاتبة الفرنسية اني ارنو التي تحاول أن تفهم الحياة فترتمي في حضن ذاكرتها وفي احضان الامكنة والازمنة الماضية لتستمد مواد كتابتها من الأنا والمجتمع ، سيجد القارىء نص ابداعي فني تسرد فيه تحولاتها النفسية والجسدية والاجتماعية ووصف لمجتمعها الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية كيف تحرر المجتمع نحو الانفتاح وبدء يتنازل عن طابع المحافظة تدريجيا ، فالرواية نص تأملي للحياة والمجتمع والعالم مخزون في ذاكرتها ، تحاول أن تشرك القارىء لتكون تجربة مشتركة بين المؤلف والقارىء.من اهداف بحثنا بيان الاسلوب الذاتي للكاتبة بترجمته من النص الاصلي اسلوب بسيط وواضح بالكتابة بعيد عن التعقيد والتزويغ اللفظي بكتابتها المعروفة الكتابة السطحية كانها تقول لنا عبر هذه الذكريات ان الحياة مهما بدت مخجلة تخفي في طياتها اشعاعات مضيئة تحتاج الى بحث لصقلها من جديد .

هذا العمل الثالث لي مع هذه الكاتبة بعد أن بحثت مفهوم العاىلة عند اني ارنو باللغة الفرنسية في رواية المكان وامرأة ،ثم البحث الثاني ايضا بالفرنسية عن مفهوم السيرة الذاتية في أعمال اني أرنو ثم هذا

العمل الثالث حيث وقعت هذه الرواية بيدي فارتيت نقلها إلى القارىء العربي. مع كل الصعوبات المتخفية في لغة ارنو السطحية, احداث تاريخية مهمة بتاريخ فرنسا ظواهر

اجتماعية اسماء فنانين معروفين رياضيين مشهورين في تلك الحقبة الزمنية مع هوامش توضيحية مختصرة.فالكاتبة تجر الماضي الينا بالتخيل الذاتي من خلال تسجيل تجربتها الذاتي في المخيمات الصيفية للطلاب بعد افراغ ذاكرتها على الورق تسرد علاقاتها العاطفية أيام المراهقة والعلاقة مع الآخر.نضع بين ايدي القارىء العربي فرصة الاطلاع على تجربة ذاتية وتجربة شحصية لكاتبة فرنسية مشهورة نالت العديد من الجوائز الادبية كجائزة نوبل للاداب وجائزة رينودو الادبية وغيرها كثير .

خصائص الترجمة الادبية:

تتميز الترجمة الادبية كاحد فروع الترجمة بخصائص عديدة وبتحديات كبيرة فهي لا تقتصر على نقل المعنى للنص بل تتطلب الحفاظ على البعد الجمال والفني والثقافي للنص الاصلي مع اسلوب الكاتب وايقاعه بالكتابة. تحتاج الترجمة الادبية الى صدق وامانة في نقل المشاعر والاحاسيس والعواطف التي يسكبها الكاتب على الورق بالرغم من الحرية التي تعطى للمترجم بالتصرف لخدمة النص لكن لا يخل بالمضمون مع فهم عميق للنص الهدف واتقان للغتين المترجم منها والمنقول اليها ودراية بقواعدهما النحوية.فهي صياغة لغوية وفكرية , فالنص المترجم يفصح عن عمل كاتبين.[٧]

فالمترجم يتقمص دور المؤلف ليصوغ نصا ابداعيا بلغة اخرى يؤثر في القارىء بحس ادبي فني يقارب الحس الادبي للكاتب الاصلي. الملكة الادبية يجب ان توازي الملكة اللغوية عند المترجم لاثارة القارىء ويستطيع نقل افكار المؤلف ويوضح انفعالاته كما سنرى اللحظات الحميمية للقاء الاول في حياة الكاتبة مع رجل يعاملها بقسوة ذكورية على الفراش نقل احاسيسها ومشاعرها في روايتنا لهذا البحث محاولين تقمص شخصيتها.

ان يحافظ المترجم على روح النص ولايبتعد كثيرا عن النص الاصلي بنفس البساطة والسلاسة التي تكتب بها الكاتبة الاصلية كتفسير وشرح بشفافية للمفردة المنقولة من النص الاصلي.

على المترجم الادبي يحاكي المؤلف بالاسلوب والنبرة والايقاع ويظهر العناصر الجمالية كالاستعارة والمجاز والدقة بنقل المعنى مع الابداع في اختيار الكلمات الموازية وليس ترجمة حرفية تفقد النص معناه الادبي ليجعل القارىء يتعايش مع النص كانه نصا اصيلا وليس مترجما.

مما ساعدنا على ترجمة نص اني ارنو بهذا البحث هو لغتها الواضحة وابتعادها عن التعقيد بالكتابة والتشبيهات واسلوبها السلس والبسيط. تجنبنا النقل الحرفي للنص وحاولنا الصياغة العربية للنص كالحذف والاضافة لابراز مقاصد الكاتبة مع الحفاظ على تماسك النص. رغم ان النص يتضمن الفاظ جنسية حساسة وفيها بوح انثوي صريح لكن مع ذلك نقلنا الايحاءات الشعورية للحفاظ على روح النص,

ابراز اللغة الجسدية والعاطفية بجمل قصيرة معتمدا على صراحة الكاتبة وصدق مشاعرها الحميمية.الكاتبة صحيح انها عادت بالزمن والذاكرة لسنة ١٩٥٨ لكن كتابتها بلغة اليوم القرن الواحد والعشرون , عبرت الزمن باسلوب مباشر وواضح وبسيط خال من التزويق اللفظي واللغوي :" je ne suis pas revenue à la jeune fille que j'ai été l'été 1958 pour écrire un roman ,ni même un récit autobiographique, même pour comprendre, ce que je veux faire maintenant , c'est traverser ce temps, c'est peut-être impossible تقول لم اعد تلك الفتاة التي كنتها في صيف ١٩٥٨ لاكتب رواية ولا حتى سيرة ذاتية بل لافهم, ماارياده الان هو ان اعبر ذلك الزمن .

الصفحة الاولى من الرواية:

"هناك اشخاص تغمرهم واقعيات الآخرين، طريقة كلامهم،طريقة تقاطع أرجلهم حيث يضعون رجلا على اخرى، إشعالهم السيجارة.انهم غارقون في حضور الآخرين. ذات يوم، بل ليلًة ما، يجرفهم الشوق وإرادة الآخر الوحيد. ما كانوا يعتقدون أنه يذوب ويتلاشى . يذوبون وينظرون إلى صور انعكاسهم المتحركة يطيعون، يُحملون في مجرى غير معروف من الأحداث. دائمًا ما يتأخرون عن إرادة ذلك الآخر. هي دائمًا تسبقهم بخطوة متقدمة عليهم زمنيا. لن يلحقوا بها أبدًا.

لا خضوع ولا موافقة، فقط دهشة امام الواقع الذي يجعل كل شيء يبدو وكأنهم يسألون أنفسهم: "ماذا يحدث لي؟" أو "هل هذا يحدث لي أنا؟" باستثناء أنه لم يعد هناك وجود من "أنا" في هذه اللحظة، أو لم يعد هو "نفسه". لا يوجد سوى "الآخر"، المتحكم في الموقف، في الحركات، وفي اللحظة التالية التي يعرفها وحده.

"ثم يذهب الآخر، لقد توقفت عن إرضائه واعجابه، لم تعودي تهميه ولا تثيري اهتمامه.يتخلى عنك يتركك مع الواقع، مثل سروال داخلي ملوث. لا يهتم بك إلا بقدر وقته الخاص. أنت وحدك مع عادتك بالخضوع، بالفعل، في الطاعة. وحدك في زمن بلا سيد.

قد يحاول الآخرون الاقتراب منك ينتهزون الفرصة ليتحايلوا عليك، أن يندفعوا إلى فراغك، لكنك لا ترفضين لهم شيئًا، بالكاد تشعرين بهم. تنتظرين السيد، تنتظرين أن يمنحك النعمة بلمسك ولو مرة واحدة على الأقل. يفعل ذلك في احد الليالي، وأنت تملكيه بكل قواك دون تردد. لكن في اليوم التالي لم يعد موجودًا يختفي. لا يهم، أمل العثور عليه أصبح هدف حياتك وسبب وجودك، أن تلبسي له، أن تتعلمي وتتثقفي، أن تنجحي في امتحاناتك. سيعود وستكونين جديرًة به، ستبهريه بجمالك واختلافك، معرفة وثقة بالنفس واطمئنان، مع ذلك الكائن المبهم الذي كنته سابقًا. كل ما تفعلينه هو من أجل السيد الذي قدمته لنفسك في السر. لكن، دون أن تدرك ذلك، وأنت تعملين على اعلاء قيمتك الشخصية، جعلك تبتعدين

تدريجيًا عنه. تدركين جنونك، لم تعودي ترغبين رؤيته مرة أخرى. تقسمين على أن نسيانه تمامًا ولا تتحدثين عنه لأي كان.

لقد كان صيفا خالياً من الخصائص المناخية المميزة، لكنه شهد أحداث تاريخية مهمة من بينها عودة الجنرال ديغول، إعادة تأسيس الجمهورية، فوز بيليه كبطل لكأس العالم لكرة القدم١٩٥٨،و صيف فوز شارلي غول[٨] في سباق تور دو فرانس، وأغنية داليدا[٩] "قصتي هي قصة حب." L'histoire de mon amour.

الصيف بدأ طويلاً كما هو الحال دائماً حتى سن الخامسة والعشرين، قبل أن يبدأ بالاختصار ليصبح مجرد ذكريات متقطعة، ولا تتبقى سوى فصول الصيف التي تشهد جفافاً وحرارة شديدة.

صيف ١٩٥٨

كما في فصول الصيف السابقة ،أن بعض الشباب الأكثرغنى وحظاً، قضوا هذا الصيف مع أهلهم تحت شمس الريفيرا الفرنسية جنوبا في الكوت دازوغ la côte d Azur(ساحل جنوب شرق فرنسا على البحر المتوسط), بينما مجموعة آخرى, لكنهم يدرسون في الثانوية, بواسطة الباخرة ذهبوامن مدينة دبيب[١٠] إلى سانت جون بابيتيست لتحسين مهاراتهم في اللغة الإنجليزية التي تعلموها بشكل محدود من الكتب المدرسية بدون أن يتحدثوا بها.مجموعة أخرى، تتألف من طلاب في المدارس الثانوية والجامعات ومدرسين، كانت لديهم إجازات طويلة ولكن بموارد مالية محدودة، فانخرطوا في رعاية الأطفال في المخيمات المنتشرة في جميع أنحاء فرنسا، سواء في منازل كبيرة أو حتى في القصور. وكان البنات يحملن في حقائبهن فوطًا صحية، يتساءلن بخوف ورغبة في آن واحد، إذا ما كنَّ سيختبرن أول علاقة لهن مع شاب في هذا الصيف.

حين تم إرسال آلاف الجنود إلى الجزائر لإعادة النظام، وكانت هذه أول مرة ابتعدوا عن الاهل ويغادر فيها الكثير منهم منازلهم. وكتب هؤلاء الجنود عشرات الرسائل التي تحدثوا فيها عن الحرارة، الجبال، والقرى التي سكنها العرب الأميون الذين لا يتحدثون الفرنسية رغم مرور مئة عام من الاحتلال. كما أرسلوا صورًا لهم وهم يرتدون السراويل القصيرة ويضحكون، في مشهد بدا وكأنه من رحلة استكشافية للكشافة، حيث كانوا يبدون وكأنهم في عطلة،في فضاءات صخرية وجافة وبينم الفتيات لم يسألهم أحد عن آرائهم كما لم يكن لديهم رأي في القرارات السياسي وقد بدت الكمائن والاشتباكات المذكورة سواء في الصحف او المذياع وكانها تخص غيرهن,كما لو ان الامر لا يعنيهن, وجدن من الطبيعي ان يؤدي الفتيان واجبهم وكان الامر لا يتعدى ضوضاء معتادة كالعنزة المربوطة الى وتد لتلبية الاحتياجات الجسدية الرغبات الغريزية.

"لقد جاءوا في إجازة، وأحضروا معهم عقودًا، أساور، حلقات من الفضة على شكا تعاويذ لدرء الحسد والسحر ، وصينية من النحاس عليها مشاهد من الفانتازيا. غنوا 'اليوم الذي سيأتي فيه المطر'،

أغنية بيكو,[١١] le jour ou la pluie viendra. عادوا أخيرًا إلى ديارهم في انحاء فرنساالاربعة ، واجبروا على تكوين صداقات مع اشخاص اخرين لم يذهبوا الى شمال افريقيا دون أن يتحدثوا عن بلاد وعن الفلوزات[١٢] أوالكرويات او عن الحروب، وكانوا مملين، بكم. لم يعرفوا ما إذا كان ما فعلوه كان حسنًا أم سيئًا، شعروا فقط بالفخر أو بالخجل والخزي.

لا توجد صورة تعود لها في صيف عام ١٩٥٨. ولا حتى لعيد ميلادها، عندما كان عمرها ثماني عشرة سنة واحتفلت به في المخيم. لم تعد تذهب إلى المخيمات الصيفية، أو المخيمات – كانت الأصغر من ذلك بين أصدقائها المدربين والمدربات في المخيم. عيد ميلادها لقد صادف يوم إجازتها، وقد كان لديها الوقت للذهاب بعد الظهر إلى مركز المدينة وشراء زجاجات صغيرة من المشروبات الغازية بنكهة البرتقال، لكنها لم تحضر لنفسها سوى قبضة من الحلوى وكمية من بسكويت البودوار." ولكن قلة فقط وللحظات قليلة مروا في غرفتها لشرب كأس شمبانيا وتناول بعض الأطعمة ثم غادروا بسرعة ، ربما بعد أن اصبحت مملة وغير جذابة لأنها لاتحمل معها إلى المخيم لا اسطوانات ولا جهاز مشغل الاسطوانات.من بين كل الذين تعرفت عليهم في صيف ١٩٥٨ في مخيم (S) في منطقة (Orne)[١٣]، هل هناك من يتذكرها، هذه الفتاة؟ على الأرجح لا أحد.

لقد نسوها كما نسوا بعضهم البعض، جميعهم تفرقوا في نهاية ايلول، وعادوا إلى مدارسهم الثانوية، مدرسة تدريب المعلمين، كليات التمريض، مراكز التربية الرياضية ، أو طُلب منهم الالتحاق بالخدمة العسكرية في الجزائر. راضون معظمهم لأنهم قضوا إجازة مربحة مادياً ومعنوياً من خلال الاهتمام بالأطفال. لكن هي، نُسيت بلا شك أسرع من الآخرين، مثل شذوذ وخرق للمنطق السليم والمعنى الصحيح، فوضى – شيء مثير للسخرية لدرجة أن من السخيف تذكُّره. غائبة عن ذاكرتهم في صيف ٥٨، ربما اختُزلت اليوم إلى ظلال مبهمة في أماكن غامضة، إلى هذا (قتال الزنوج في قبو أثناء الليل) يشبه الذي كان يمثل، مع (ريلاش)، مزحتهم ومقالبهم المفضلة.

اختفت إذن من وعي الآخرين ،نسيت من كل لحظة الوعي المتداخلة في هذا المكان المحدد من مدينة(Orne)، في ذلك الصيف المحدد، هؤلاء الآخرين الذين كانوا يحكمون على الأفعال والتصرفات، إغراء الأجساد،جسدها هي، الذين كانوا يمتهنونها وينبذوها ويرفضونها، يهزون أكتافهم أو يرفعون أعينهم إلى السماء عند سماع اسمها لأول مرة ، الذي كان أحدهم يتفاخر لدرجة أن ينطق كلمات على اسم المغنية "آني ماذا **لديك؟** اني كوردي[١٤] هه هه.

"منسية تماماً من قِبل الآخرين،الذين اندمجوا في المجتمع الفرنسي أو في أماكن أخرى من العالم، متزوجون، مطلقون، وحيدون، أجداد متقاعدون بشعر رمادي غطاه الشيب أو مصبوغ. غير قابل وصعب للتعرف عليهم.

أردتُ أن أنسى تلك الفتاة أيضاً. نسيانها حقاً، أي ألا يكون لديّ رغبة في الكتابة عنها. ألا أفكر بأنني يجب أن أكتب عنها، عن رغبتها، عن جنونها، عن غبائها وكبريائها، عن جوعها وعن دمها حيضها الذي جف وتوقف. لم أتمكن من الوصول إلى ذلك أبداً.

دائماً ما كانت هناك جمل وعبارات عنها في يومياتي، إشارات إلى "الفتاة من S"، "الفتاة من ٥٨". منذ عشرين سنة، أكتب "٥٨" ضمن مشاريع الكتابة. إنه النص الذي دائماً ما كان مفقوداً. دائماً لم يُنجز نص مؤجل. الفجوة التي لا توصف.

لم أتمكن أبداً من التقدم إلى ما بعد بضع صفحات، إلا مرة واحدة، في عام كان التقويم فيه يتطابق تماماً يوماً بيوم مع تقويم ١٩٥٨. (يوم السبت، ١٦ أب ٢٠٠٣، بدأت بكتابة: "السبت، ١٦ أب ١٩٥٨. اشتريت بنطلون جينز مقابل ٥٠٠٠ الاف فرنك من ماري–كلود التي كانت قد اشترته من متجر إيلدا في مدينة روان مقابل ١٠٠٠٠ عشرة الاف فرنك، وسويتر صوفية بلا أكمام أزرق وأبيض مخطط بخطوط أفقية. هذه آخر مرة كنت فيها أمتلك جسدي)،واصلت الكتابة كل يوم، بسرعة، حريصة على مطابقة التاريخ يومياً بين عام ١٩٥٨ وكتابة الأحداث اليومية بتسلسل عشوائي بكل التفاصيل التي تطفو على صفائح الذهن.

التي كانت تعود للظهور من دون ترتيب. كان الأمر وكأن هذا الكتابة اليومية، اعياد الميلادالمتواصلة، كانت الاكثر قدرة على إلغاء الفاصل الزمني البالغ خمسة وأربعون عامًا، كما لو أن هذا المصادفة "يومًا بعد يوم" من التواريخ، كانت الكتابة تتيح لي الوصول إلى ذلك الصيف بطريقة مباشرة .بهذه البساطة والوضوح كما لو كنت أنتقل من غرفة إلى أخرى.

سرعان ما بدأت أتأخر عن مواكبة سرد الاحداث في كتابتي، بسبب التشعبات المستمرة التي نتجت عن تدفق الصور والكلمات، التي كانت تتكاثر. لم أتمكن من حصر وقت صيف ٥٨ في تقويم ٢٠٠٣، كان يفيض باستمراريتجاوزني. كلما تقدمت اكثر، شعرت بأنني لا أكتب حقًا. كنت أرى في هذه الصفحات التي من المفترض أن تكون عبارة عن جرد للأشياء، ولكنني لم أكن أعرف إلى أي حالة ماهو بالضبط. لم أكن أبحث عنه أيضًا. كنت أظل، ببساطة، في متعة ولذة تفريغ الذكريات. كنت أرفض الخضوع لألم الشكل. توقفت عن الكتابة بعد خمسين صفحة.

متر أكثر من عشر سنوات، إحد عشر صيفًا إضافيًا ليصل الفاصل الزمني إلى خمسة وخمسين عامًا تفصلني منذ ١٩٥٨، حدثت فيها حروب، الثورات، الانفجارات في محطات الطاقة النووية، كل ما حدث هو في طور النسيان.

الوقت أمامي يتقلص. سيكون هناك بالضرورة كتاب أخير، كما يوجد عشيق أخير، ربيع أخير، لكن لا يوجد أي علامة تل لذلك. تطاردني فكرة أنني قد أموت دون أن أكتب عن تلك التي كتبت عنها

مبكرًا "فتاة عام ٥٨". ذات يوم، لن يكون هناك أحد ليتذكرها. ما عاشته هذه الفتاة، لن تتذكره أي فتاة أخرى، سيبقى بدون تفسير، عاشته بلا جدوى.

أي مشروع كتابة آخر لا يبدو لي مضيئاً، ولا جديداً، بل أقل سعادة، لكنه حيوي ومصيري، قادر على جعلي أعيش خارج الزمن. مجرد الاكتفاء "الاستمتاع بالحياة" هو يبدو منظور لا يُحتمل، لأن كل لحظة تمر في مشروع الكتابة تشبه اللحظة الأخيرة في هذه الحياة.

أن أكون الوحيدة التي تتذكرتلك الاحداث، كما أعتقد، يسعدني. كانني امتلك قوة ذات سيادة. تفوق نهائي عليهم، على الآخرين من صيف ٥٨، الذين اورثني العار بسبب رغباتي،الخجل من أحلامي المجنونة في شوارع روان، الخجل من دم حيضي الجاف توقف عند الثامنة عشرة مثل عجوز. الذاكرة الكبيرة للعار، أكثر دقة في التفاصيل، أكثر صرامة من أي ذاكرة أخرى. هذه الذاكرة التي هي في الأساس هبة خاصة من العار.أدرك أن كل ما سبق يجب التخلص مما يبعدني عما يقيدني، يكبحني، مثل الأحلام السيئة والكوابيس، من التقدم. طريقة لتحييد عنف البداية، من القفزة التي أستعد للقيام بها للانضمام إلى فتاة عام ٥٨، هي والآخرين، لإعادتهم في ذلك الصيف من سنة تبدو أكثر بعداً اليوم مما كانت عليه في عام ١٩١٤في ذلك الزمان.

أنظر إلى صورة الهوية الشخصية بالأبيض والأسود، ملصقة داخل الدفتر المدرسي الخاص الذي أعدّه قسم التعليم الداخلي في مدرسة سان ميشيل في بلدة إيفيتو[١٥] من أجل البكالوريا، قسم الكلاسيكيات ج. أرى وجها مصورا من زاوية ثلاثة أرباع جانبيا، وجهًا بيضاويًا منتظمًا، أنفًا مستقيمًا، وجنتين بارزتين، جبهة عريضة على الأرجح تقصر قليلاً – ربما لخفض ارتفاعها وتقليص حجمها – جزء منها غريب الأطوار خصلة مجعدة من جانب وخصلة على شكل قلب مقوسة من الجانب الآخر. باقي الشعر، الكستنائي الداكن، مرفوع ومجموع خلف الرأس على شكل كعكة. الشفتان ترسمان ابتسامة قد تُوصف بأنها لطيفة عذبة أو حزينة، أو كلاهما. سترة داكنة، ذات ياقة عسكرية وأكمام قطرية، تعطي مظهرًا صارمًا ومسطحًا يشبه الثوب للراهبات. بالمجمل، فتاة جميلة، أنيقة، مما يعطي انطباعًا بالنضج والوداعة، في حين يُعتقد اليوم أن عمرها سبعة عشر عامًا.

كلما أطلت النظر إلى الفتاة في الصورة، زاد شعوري بأنها هي تنظر إلي. هل هي أنا التي تنظر إلي؟ هل هي أنا؟ لكي أكون مثلها، عليّ أن أكون قادرة على حل مسألة فيزيائية ومعادلة من الدرجة الثانية، أن أقرأ الرواية الكاملة المرفقة في صفحات "أمسيات طيبة[١٦]" كل أسبوع، أن أحلم بالذهاب أخيرًا في "جولة"، أن أكون من دعاة بقاء الجزائر الفرنسية، وأن أشعر بعيون أمي الرمادية تتبعني في كل مكان.

لم أقرأ لا بوفوار، ولا بروست، ولا فيرجينيا وولف، ولا غيرهم. اسمي آني دوشين.

بالطبع، ينبغي أنني لا أعرف شيئاً عن المستقبل، عن صيف ٥٨ هذا. يجب أن أكون مصابة بفقدان ذاكرة بصورة مفاجئة عن تاريخ حياتي وتاريخ ما جرى من احداث في العالم.

الفتاة في الصورة ليست أنا، لكنها ليست خيالاًكذلك. ليس هناك شخص آخر في العالم لديه معرفة دقيقة كتلك التي أملكها، والتي تسمح لي بالقول، على سبيل المثال، أن الصورة تم التقاطها في ساحة البلدية مع صديقتي الكبيرة أوديل، بعد ظهر احد أيام في عطلة شباط.

تجعيدات شعرها المسدل على الجبهة ناتجة عن لفافات الشعر التي تلفه حولها في الليل، ونظرتها الرقيقة ناتجة عن قصر نظرها – لقد خلعت نظارتها ذات العدسات السميكة.

لديها في زاوية الشفة اليسرى ندبة بشكل خدش – غير مرئية في الصورة – نتيجة سقوطها على قطعة زجاج مكسور عندما كانت في الثالثة من عمرها.

قميصها مصدره تاجر الجملة للأدوات الحردة في ميرسري، "ديلهوم"، من (فيكامب)، الذي يزود متجر والدتها بالجوارب، اللوازم المدرسية، ماء الكولونيا، إلخ، والذي يعرض عينات بضائعه المندوب مرتين في السنة على احد الطاولات في المقهى، وهذا المندوب الضخم، ببدلة وربطة عنق، انزعج منها يومًا ما عندما أشارت إلى أنها تحمل نفس الاسم الذي تحمله المغنية الشهيرة، تلك التي تغني ابنة رعاة البقر، آني كوردى.

وهكذا، إلى ما لا نهاية.لا أحد آخر، إذن، تحتفظ ذاكرتي به، إذا جاز التعبير، بقدر ما تحتفظ بها. وليس لدي ذاكرة أخرى غير ذاكرتها لتمثيل العالم في الخمسينيات، الرجال بملابس وسترات كندية والقبعات الباسكية، السيارات ذات الدفع الأمامي،اغنية نجمة الثلوج[١٧]، جريمة كاهن أوريف[١٨]، فاوستو كوبي[١٩] وأوركسترا كلود لوتر[٢٠] – لرؤية الناس والأشياء في تأكيد على واقعها الأساسي. الفتاة في الصورة غريبة جدًا، تلك التي ورثت ذاكرتي.

لا أستطيع أن أقول رغم ذلك أنني لم أعد مرتبطة بها، أو بالأحرى بالتي سأصبح عليها الصيف القادم، كما تشهد على ذلك قوة الاضطراب الذي استولى عليّ عند قراءة الصيف الجميل لبافيسي[٢١]وغبار لروزاموند ليهمان[٢٢]، أو عند مشاهدة الأفلام التي احتجت إلى إعداد قائمة بها قبل البدء في الكتابة:

(واندا)، في حال حدوث مصيبة، (سو تائهة في مانهاتن)،(الفتاة مع الحقيبة)وبعد لوسيا، الذي شاهدته الأسبوع الماضي.في كل مرة، أشعر وكأنني منقولة بعيدًا بواسطة الفتاة على الشاشة، وكأنني أصبح هي، ليس المرأة التي أنا عليها اليوم، بل الفتاة في صيف ٥٨. هي من تغمرني، تضبطني.نفَسي، يمنحني بشكل مؤقت انطباعًا بعدم الوجود خارج الشاشة.

تلك الفتاة من عام ١٩٥٨، التي تستطيع بعد خمسين سنة أن تظهر وتثير اضطرابًا داخليًا، لها إذًا حضور مخفي، لا يقاوم، في داخلي. إذا كان الواقع، وفقًا لتعريف القاموس، هو ما يؤثر ويحدث آثارًا، فإن هذه الفتاة ليست أنا، لكنها موجودة بشكل حقيقي في داخلي. نوع من الحضور الحقيقي.

في هذه الظروف، هل يجب أن أدمج الفتاة من ٥٨ والمرأة من ٢٠١٤ في "أنا"واحدة؟ أم أن هذا ما يبدو لي ليس الأكثر دقة – تقييم ذاتي – بل الأكثر مغامرة، من خلال فصل الأولى عن الثانية باستخدام هي وأنا، للوصول لأقصى مدى ممكن في عرض الحقائق والأفعال. وبأقصى قسوة ممكنة، على طريقة من يسمع خلف باب شخصًا يتحدث عن نفسه قائلًا "هي" أو "هو" وفي تلك اللحظة يشعر وكأنه سيموت حتى دون اي صورة، أراها، ارى آني دوشين، عندما نزلت في محطة "S" من القطار القادم من روان في بداية بعد الظهر، في الرابع عشر من أب. كان شعرها مربوطاً في شنيون عمودي خلف رأسها. كانت ترتدي نظارات قصر النظر التي تضيق عينيها ولكن من دونها تبدو وكأنها تغرق في الضباب. كانت ترتدي معطفًا من الصوف بلون البيج داكنا بثلاثة أرباع الطول وتنورة مستقيمة رمادية – جديدة تم شراؤها منذ ست سنوات – صُنعت خصيصًا لها، إلى جانب بلوزة بحرية مخططة. في يدها حقيبة سفر رمادية كانت قد اشترتها قبل ست سنوات من رحلة إلى لورد[٢٣] مع والدها والتي لم تُستخدم منذ ذلك الحين، وكيس بلاستيكي أزرق وأبيض على شكل دلو اشترته الأسبوع السابق من سوق مدينة إيفيتو.

المطر الذي قرع نوافذ المقصورة طوال الرحلة قد توقف. الشمس الآن مشرقة. تشعر بالحر الشديد في معطفها الصوفي وتنورتها السميكة الشتوية. أرى أمامي امرأة من الطبقة المتوسطة الريفية، طويلة وقوية البنية. ترتدي البسة مصنوعة باليد من اثواب نفيسة.

الى جانبها أرى صورة ظلية أصغر حجما، مربعة، لامرأة في الخمسينيات، ترتدي "زيًّا أنيقًا"، شعرها مصفف بشكل دائم باللون الأحمر، وتحمل رأسها بتسلط. أرى أمي، تعبير وجهها مزيج من القلق والشك وعدم الارتياح، تعبيرها المعتاد كأم "تراقب كل شيء"حذرة يقظة.

أعرف ما تشعر به هذه الفتاة في هذه اللحظة بالتحديد، أعرف رغبتها، الرغبة الوحيدة التي تشغلها: أن تغادر أمها وأن تعود إلى القطار في الاتجاه المعاكس. إنها تشتعل غضبًا وخجلاً من أن تُرى برفقتها – تحت ذريعة تغيير القطار في روان، كانت ترغب في السفر بمفردها تمامًا – لتُنقل إلى المخيم الصيفي كطفلة، في حين أنها ستبلغ الثامنة عشرة خلال خمسة عشر يومًا، وقد تم تعيينها كمدربة. أراها، لكن لا أسمعها. لا يوجد أي تسجيل لصوتي في عام ١٩٥٨، والذاكرة تعيد تشكيل الكلمات التي نطقت بها في صورة صامتة. من المستحيل معرفة ما إذا كان لديّ حينها نفس نغمة حديث سكان نورماندي، ذلك اللهجة التي كان عليّ أن أكون قد تخلصت منها بالمقارنة مع جميع أسلافي.ما الذي يمكنني قوله

عن هذه الفتاة، قبل أن يتوقف سائق المخيم الصيفي بسيارته أمام المحطة، وقبل أن تندفع إليه فورًا بعد رؤيته؟

بعد أن قبلت والدتها بسرعة لتؤكد لها رغبتها الواضحة في الصعود إلى القطار أيضًا، وتركت الأم واقفة على الرصيف مرتبكة، والحزن ظاهر على وجهها بسبب هذا السفر. ما الذي كانت ستعرفه لاحقًا عن هذه الرحلة؟ بأنها اضطرت إلى النوم في فندق في مدينة "كان"[٢٤] بسبب عدم وجود مواصلة مساء ذلك اليوم إلى "روان"، متصورة أن ذلك كان الأفضل لها، وأنه كان عليها فقط تركها تذهب بمفردها إلى "S".

ماذا يمكن قوله عمّا شعرت به في تلك اللحظة، كما كان بالفعل، في ظهيرة شهر اب تحت سماء "الأورني" المتغيرة، في جهلها بما سيبقى دائمًا خلفها بعد ثلاثة أيام، فقط في هذه اللحظة التي ظلت دون وضوح، بعيدة عن أعيننا لأكثر من خمسين عامًا؟

ما هي الأمور التي قد لا يمكن اعتبارها مجرد تفسير – أو تفسيرا لوحدها – لما سيحدث؟ ربما كان من الممكن ألا يحدث ويمكن تجنبه لو أنها لم تخلع نظارتها، وتحرر شعرها من الكعكة، وتتركه ينسدل متموجا على كتفيها، وهي تصرفات لم تكن تظهر أمام نظر والدتها؟

ما يخطر ببالي تلقائيًا: كل ما فيها هو رغبة وكبرياء. وأيضًا: كانت تنتظر أن تعيش قصة حب.

أشعر بالرغبة في التوقف هنا، كما لو أنه لا شيء آخر جدير أن يُقال، سواء كان ذلك الآن أو لاحقًا

"للإدراك لاحقًا. إنها مجرد وهم رومانسي، تعريف جيد لبطلة من نسج الخيال. يجب الاستمرار، تحديد المجال الاجتماعي، العائلي والجنسي – حيث يزدهر في تلك اللحظة رغبتها وكبرياؤها، وانتظارها، والبحث عن أسباب الكبرياء ودوافع الحلم.

يجب القول: إنها المرة الأولى التي تبتعد عن والديها. لم تخرج قط من قريتها المغمورة.

باستثناء الرحلة إلى "لورد" بالحافلة مع والدها عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، والرحلة الشعارية المعتادة كل صيف في بلدة "ليزيبيه"[٢٥] حيث، بعد الصلوات الصباحية في دير"كارميل" وكنيسة الحجاج الكبرى، ياخذ سائق الحافلة الحجاج الى شاطئ "تروفيل"[٢٦]، حياتها كانت تمر منذ طفولتها بين متجر الغذائيات–المرسيرية– البقالة والمقهى الخاص بوالديها ومدرسة "سان ميشيل" التي تديرها الراهبات وفقًا لنظام محدد كانت تسلكه يوميًا مثل التلاميذ الخارجيين مرتين في اليوم. أما العطلات، فكانت تقضيها في "إيفيتو"، إما تقرأ في الحديقة أو في غرفتها.

طفلة وحيدة ابويها، مدللة – لأنها وُلدت بعد وفاة أختها الأولى وهي في السادسة من عمرها، ولأنها هي نفسها كادت أن تموت من التيتانوس وهي في الخامسة – فالخروج، وإن لم يكن ممنوعًا عليها

كليا، فهو مصدر قلق (بالنسبة لوالدها) ومصدر ريبة (بالنسبة لوالدتها). كان لا بد من موافقة وضمانة ابنة عم أكبر سنًا أو زميلة في الصف كي يُسمح لها بالخروج. لم يُسمح لها أبدًا بالذهاب إلى حفلة راقصة. لقد رقصت لأول مرة منذ ثلاثة اشهر وفي حفلة الكرنفال المنظم تحت الخيمة المنصوبة في ساحة البلجيكين وكانت والدتها تراقبها من كرسيها . وفي قائمة ما تجهله اجتماعيا ستكون بلا نهاية، فهي لا تعرف استخدام الهاتف. ولم تأخذ دوشا ولا حماما في الخارج قط، وليس لديها اي خبرة في البيئات الاخرى غير بيتها الأصلية ذات الطابع الريفي التي تنتمي اليها، وسط شعبي فلاحي الكاثوليكي ، من هدة المساحة الزمنية ، اراها مترددة وخجولة ،بل غير لبقة، مع إحساس كبير بعدم الأمان في اللغة والسلوك او في القول والفعل. اكثر لحظات حياتها حيوية هي عندما تكون مع الكتب التي تحب قراءتها ، فمن خلالها ومن خلال المجلات النسائية تعرف العالم.

–في المنزل ، على أرضها ،تتمتع ابنة بائعة البقالة – كما يسميها اهل الحي – بكل الحقوق وتتصرف بكل حرية ، تأخذ ما تشاء من علب الحلوى والبسكويت، وتظل تقرأ على السرير حتى الظهيرة خلال العطلة ، لا تهيا قط مائدة الطعام ولا تلمع حذاءها ابدا . تعيش وتتصرف كملكة. بكبرياء الملكلة – الذي لا ينبع كثيراً من كونها الأولى في الصف، وهو نوع من الحالة الطبيعية او من اعلان المديرة الاخت ماري من الافخارستيا ، انها فخر المدرسة الداخلية تلك بل لانها تحل المسائل الرياضية، واللاتينية والانجليزية. وكتابة المقالات الادبية وهي امور لا يدركها احد حولها باي شكل ان تكون الاستثناء المعترف به من قبل باقي افراد العائلة ، العمالية التي تتسال خلال وجبات الاعياد ومادب الحفلات (من اين ورثت كل ذلك) موهبة التعلم و فخرها احساسها باالاختلاف . الاستماع إلى موسقي براسيس وفرقة Gate على جهاز التسجيل الالكتروفون الخاص بها بدلاً من كلوريا لاسو yvette Horners [٢٧] و Gloria[٢٨] تقرا ازهار الشر لبودلير بدلاً من مجلة نحن الاثنين[٢٩] ، كتابة يومياتها الشخصية ،نسخ قصائد وتأملا ت للكتاب,الشك في وجود الله، رغم أنها لم تتجاهل ابدأ القداس الاسبوعي وتشاراك في الاحتفالات الدينية، من دون شك هل هي في منطقة مترددة ومتذبذبة بين الإيمان وعدم الإيمان ، متحررة شيئا فشيئا عن الأسطورة ولكنها متشبثه بالصلاة وبطقوس دينية والأسرار المقدسة.

فخورة برغباتها كحق مكتسب بسبب اختلافها:

الرحيل من Yvetot ،هروبها من ملاحقة نظرات والدتها ،من المدرسة، من المدينة باكملها.لتفعل ماتريد، تقرأ طوال الليل ،ترتدي الأسود مثلGreco [٣٠] juillet, تتردد على مقاهي الطلاب ، ترقص في شوارع بوفوازين في مدينة (Rouen)روان, الدخول الى عالم مجهول تظهر معالمة من الاشارات التي تبعثها الطالبات في المدرسة الداخلية ،اسطوانات باخ ،مكتبة، اشتراك في مجلة الواقعيات[٣١] ، تنس، شطرنج، مسرح ، حمام خاص، تلك الاشارات التي جعلتها في الوقت نفسه مرغوبة ومخيفة،لكنها منعتها

من دعوة الطالبات إلى منزلها.حيث لا صالون ولا غرفة طعام، فقط مطبخ صغير محشور بين المقهى والبقالة، ودورات المياه في الفناء – عالم تتخيل اهله حيث يُناقشون الشعر والأدب، معنى الحياة والحرية، كما يجري في سن الرشد، رواية سارتر التي عاشت في ثناياها طيلة شهر تموز وأصبحت شخصية إفيتش.ليس لها "أنا" محدد، بل "ذوات" تتنقل من كتاب إلى آخر.

أعرفها بيقين لا يتزعزع، بثقتها ذكية، بقوتها المتجلية وجسدها المتين بردفيها البارزين وفخذيها ومؤخرتها في عمر السابعة عشرة. اعرفها إيمانها بمستقبلها، كما تمثلته متجسدا في لوحة السلم الأحمر لسوتين[٣٢]، وقد قصّت صورته من مجلة قراءات للجميع[٣٣]. أراها تصل إلى المخيم مثل دجاجة أفلتت من الحظيرة، وحيدة وحرة لأول مرة، يعتريها بعض التردد والخوف. متعطشة للقاء أقرانها، أولئك الذين تتخيل أنهم يشبهونها. الذين سيتعرفون إليها كقرينة لهم. كانت أمها تبقيها دائماً بعيدة عن الأولاد، وكأنهم الشيطان ذاته. ومنذ أن كانت في الثالثة عشرة، لم تكفّ عن الحلم بهم. لا تعرف كيف تحدثهم، وتتساءل كيف تفعل ذلك الفتيات الأخريات اللواتي تراهن واقفات يتبادلن الحديث معهم في شوارع افيتو Yvetot، قبل بضعة أشهر،قبّلها طالب في مدرسة الزراعة للمرة الأولى، تبعها من دون أن يتفوه بكلمة، واستمر يتتبعها حتى باب بيتها، مستعملة الحيل لمراوغة المراقبة اللصيقة لوالدتها. كانت تغامر في كل مرة بالتغيب عن ثلاثة أرباع قدّاس الأحد الطويل، تنتظر بلا نهاية في منزل الخياطة، خوفًا، شوقًا، إلخ. فقدت عذريتها قبيل امتحان البكالوريا، وكأنما كان ذلك عقابًا غامضًا.

لم تر َسابقا قط، ولم تلمس قط عضوًا ذكريًا. لم تدرك تمامًا ما الذي جرى، لم تفهم أين كانت عن الفُحش.كانت تموت شوقًا وتتلهف لأن تمارس الجنس، لكن بالحب وحده، لا غيره. كانت تحفظ عن ظهر قلب مقطعًا من رواية البؤساء، عن الليلة الاولى ل كوزيت وماريوس: «على العتبة لليلة الدخلة، ملاك واقف، باسِم، يشير بإصبعه نحو فمه. الروح كانت واقفة هناك، في تأملٍ للحب، كأنه احتفال مقدّس بالحب.»

كيف يمكن إيقاظ ذلك الخيال الجنسي المطلق؟ ذلك الـ "أنا" الذي كان، حينها على عتبة المخيم، كليًا مجهولًا؟ كيف السبيل اللا احياء هذا الجهل الجنسي المطلق هذا الانتظار لذلك الامر المجهول.والاكثر رؤعة في الوجود ذلك السر العظيم الذي يهمس به منذ الطفولة ,ولكنه لا يوصف ولا يكشف عنه حتى الآن مع ذلك أن هذا الفعل الغامض الذي يدخلنا الى حفلة الحياة الى جوهرها ، يا الهي ، الا نموت قبل ان نعيشه والذي تثقل عليه الممنوعات والخوف من النتائج او العواقب . كما هو الحال في هذه السنوات اوجينو ogini[٣٤], التي كانت السنوات الاسوء في ما تتركه من انعكاس ، لاغراء الثمانية أيام من الحرية بالشهر قبيل حلول الدورة الشهرية . ذاكرتي تعجز وتخفق والمحرم – من انتظار التجربة المقدسة والخوف من "فقدان عذريتي » تلك القوة الرهيبة في معنى التعبير تضيع مني

وفقدتها الان كما فقد هذا المعنى معظم سكان فرنسا ، لم أتجاوز بعد بوابة المخيم ، اجد صعوبة في هذا الجهد لفهم فتاة ١٩٥٨ وكأنني أسعى لخلق " ملفها الشخصي. » بأدق صورة ممكنة وباكبر قدر من الدقة ، وكانه لا توجد سمات نفسية واجتماعية كافيه التحديد ملامحها انها اشبه بلوحة غامضة، معقدة، تترك المشاهد في حيرة . ربما يمكنني تلخيصها بـ (التلميذة المثالية) في مدرسة الراهبات الدينية في الريف منحدرة من عائلة متواضعة والتي تسعى لحياة بوهيمية في تبني لغة وثقافة برجوازية ، او اعتماد لغة المجلات وتتربى في تقدير الذات والاعتداد بالنفس وهو شكل مختلف الفتاة تغذيها النرجسيه بشكل لا مثيل له.

لا اعرف اذا كانت هذه الفتاة التي صعدت في السياره نحو المخيم ، ستكون معروفه هناك هي بالتأكيد لا تحدث في نفسها ولا تفكر في نفسها بهذه الطريقة ، ولكن ربما بكلمات سارتر وكامو camus عن الحرية والتمرد ، في تلك اللحظة، أعلم جيدا انها كانت غارقة بالتوتروتغمرها الرهبة لانها لم يسبق لها الاشراف قط بالاطفال من قبل وقد قبلت بالمخيم دون أن تتلقى الي تدريب كمدربة . لعدم بلوغها السن القانوني – الثامنة عشرة عاما– للقيام بالدورة التدريبية التي تعد لهذه المهمة ، في عدم قدرتها (عجزها) عن استعادة لغتها ، وجميع اللغات التى تتضمن خطابه الحميمي يبدو انه بلا جدوى في محاولة استعادة من خلال بناء ما كان ,كما اعتقد ان ذلك ممكنا من خلال تاليفي الكتابه(كل ما يقولونون او لا شيء)[٣٥] – أستطيع على الأقل اخذ عينات من الرسائل الموجهة الى صديقة لها في الصف ، غادرت المدرسة الداخلية في السنة الماضية... الرسائل التي اعيدت الي في سنة ٢٠١٠ تبتدىء الرسائل كلها بـ عزيزتى ماري كلود وتنتهي بـ وداعا وداعاً على الطريقة المدرسية, وفي تلك التي تسبق وصولها بأشهر الى المخيم هناك كتبت : اتمنى ان اترك هذا الصندوق (المدرسة الداخلية) حيث نشعر بالبرد والملل والاختناق ، ولهذه المدينة الكريهة افيتو.

لجذب انظار الشباب نضفر الشعر وازالة الصبغ عن الاظافر والقمصان بدون احزمة ، من الرائع ان تكوني شابة ، لست على عجلة لأجد نفسي محبوستاً في اغلال الزواج. فتاة ٥٨ تقدر كل ما يبدو لها متحررا ؟ أو حداثياً مسايرا للعصر . تنتقد في وصف "فتيات المبادئ" ب ، الرجعيات ، او اللواتي يبحثن عن زوج له ثروة كبيرة ». هي تعشق كتابة مواضيع التعبير في اللغة الفرنسية عن الادب والتي تنسخ مواضيعها لصديقها هل يعتبر رابليه لغزاً ؟ بوالو[٣٦] قال " احبوا العقل ، وموسيه[٣٧] قال: تحرروا العقل او تصرفوا بلا عقل ، الخ..

.كان محتوى المراسلات يدور حول الحياة المدرسية وقراءات(ساغان وكامو – الانسان المتمرد على الواقع يوصف بالصعب أو المعقد) الحديث عن المستقبل او من الوجود بصورة عامة، بنبرة مليئة بالحماس الاعلان بان "الحياة تستحق أن تعاش "، تكرر غالباً الحديث بخصوص الحفل الراقص الذي

ذهبت اليه في افيتو yuetot احسست بدوامة من الجنون ، احسست لأول مرة شيئا من السعادة، وشعرت بأرتياح عظيم وقالت ذلك بصوت عال" انا سعيدة" ،، لاشيء عن والديها بلا ادنى شك ، في كل الرسائل ، على الرغم من صدقها ، الا انها تبدو لي ، مفعمة برغبة ماري كلود في التعبير عن عدم احترام السلطة ، قراءة الروايات المعاصرة في مكتبة والدها ، المهندس ، تمثل نموذجاً جديراً بالاعجاب بالنسبة لها – تقدم لها بوابة نحو عالم متحضر فيه تشابه الاذواق ، والاحاسيس – والمواقف تجاه الآخرين والحياة .يوجد ذلك بشكل أكبر في القصائد والجمل من كتابات الكُتَّاب التي أُعيدت كتابتها بعناية في أجندة لعام ١٩٥٨ ذات غلاف أحمر من الكرتون – أجندة تجارية قُدمت كهدية من أحد تجار الأجبان وتم الاحتفاظ بها عبر تنقلاتي الكثيرة – حيث أجد الاحتمال الأكبر لالتقاط شذرات من خطابي الداخلي.

هذا لأن الفتاة في تلك الفترة تعبر عن نفسها من خلال الوكالة، بكلمات ترسم تصورًا مثاليًا لوجودها بعيدًا عن الابتذال وقسوة لغة محيطها – كما تعتقد.

إلى جانب حوالي عشرين قصيدة لبريفير، هناك بعض من قصائد جول لافورغ[٣٨]، موسيه، وبعض الاقتباسات المنفصلةوالابيات المعزولة:

"استقبلت الحياة كما يُستقبل اللحن

وكما يُصفِّر على شخص غريب

تابعته دون أن أعرفه" (بيير لوازو).وأخرى،لبروست حول الذاكرة واخرى نسيت مصدرها:

"لا يوجد سعادة حقيقية سوى تلك التي يدركها المرء أثناء الاستمتاع بها" (ألكسندر دوما الابن).

"كل رغبة أغنتني دائمًا أكثر من امتلاكها، الذي يكون دائمًا زائفًا بالنسبة لرغبتي" (أندريه جيد).

ها هي الفتاة التي ستدخل المخيم.انها فتاة حقيقية خارج عني انا، اسمها مدون في سجلات ايريوم المركز الصحي لبلدة S اذا ما هم احتفظوا. بها اسمي عندما كنت فتاة باكر، لقبي العائلي الذي كنت اعتبره رنانا جداً، والذي لم احبه ربما لانه كان من الجانب السيء حسب تعبير والدتي، وكنت افضل لقبها العائلي Dumenil الناعم والمكتوم.

دوشين هذا الاسم الذي فقدته بعد ذلك بست سنوات بخفة، ربما بارتياح، في بلدية روان، معتمدة في نفس الوقت انتقالي الى الوسط البرجوازي ومحو S وما جرى فيها.حقيقي ايضا هذا المكان الذي اصبح مع مرور السنوات في ذاكرتي اشبه بقصر، مزيج من قصر المولن الكبير او العظيم[٣٩]، والسنة الماضية مذكور في ماريابناد[٤٠]، الذي لم اتمكن من العثور عليه عند عودتي بالسيارة في خريف عام ١٩٩٥ عائدة من Saint-Malo[٤١] واضطررت الى التوقف في الشارع الكبير S وسالت احد بائعة صحف عن كيفية الوصول الى اليريوم المركز الصحي، ثم أمام نظرتها المبهتة الحيرى، وكأنها لم تسمع

بهذه الكلمة من قبل، اوضحت "المعهد الطبي التربوي القديم، اعتقد" تدلني على الطريق، هذا المكان الذي اكتشفت اليوم فقط، مندهشة على الانرتيت انه كان عبارة عن دير تأسس في العصور الوسطى، ثم هدم واعيد بناؤه وتحويله على مر القرون، لا يمكن زيارته إلا خلال أيام التراث[٤٢].

في الصور الحالية التي تمثل المكان، لا توجد اي علامة على وظيفته السابقة كمركز صحي، الذي كان يتحول خلال الصيف الى مخيم كبير.المركز الصحي قادر على استيعاب دفعتين متتاليتين من مئات الأطفال الذين يعانون من الضعف أو يُصنّفون ضمن ذوي "الخصائص السلوكية المتقلبة" تحت إشراف حوالي ثلاثين من المدربين المراقبين، ومدرسي الرياضة، وطبيب، وممرضتين.على العكس، لا توجد أي إشارة للطابع التاريخي للمكان على هذه البطاقة البريدية المُرسلة في أواخر أغسطس ١٩٥٨ إلى أوديل – وهي الصديقة الحميمة في المدرسة الداخلية، لكن بدرجة أقل حميمية من ماري–كلود، لأنها ابنة الفلاحين، مما يجعل علاقتها بأوديل أقل تعقيدًا من علاقتها بابنة بائعة البقالة، حيث تتخطى العلاقة الاجتماعية الحاجة إلى التعبير عنها بالكلمات. يكفي أن تتحدثا فيما بينهما، وهما تضحكان، ببعض الكلمات من اللهجة المحلية.

على هذه البطاقة البريدية، التي قامت أوديل بنسخها قبل عدة سنوات لاجلي، أرى منظرا من المباني القديمة ذات المظهر الجاد، مصنوعة من الحجر والطوب قليلاً بلون أصفر، ويتكون المجمع من ثلاثة أجنحة غير متساوية في الطول والارتفاع، تشكل حرف "T" مقلوب، حيث يوجد الجناح العمودي بشكل منحرف ومنزاح قليلا الى اليمين.

الجناح الأقصر يشبه الكنيسة الصغيرة.في المدخل الضخم تحيط به بوابتان. يبدو المجمع يعود لفترات مختلفة، يغلب عليها هيمنة طابع القرن الثامن عشر. هناك ملعب رياضي يقع بين الجناحين. على يسار المدخل، توجد مبان صغيرة من نوعية بناء ما بعد الحرب العالمية الثانية. إلى اليمين، يمتد حديقة يحيط بها جدار يطوّق كامل المنطقة المرئية في الصورة.

في الخلفية: المركز الصحي في Aérium de S[…] - Orne. في اللحظة التي كنت اتهيا فيها لادخال (اني دوشين) الى البناء في ١٤ اب ١٩٥٨ وجدت نفسي بحالة من الجمود الذي ينذر غالبًا بالتخلي عن الكتابة أمام صعوبات لا أستطيع تحديدها بوضوح. والتي لا تأتي من نقص الذكريات: بل عليَّ بالأحرى الا اترك مقاومة تدفق الصور – غرفة، فستان، معجون أسنان "إيميل ديامان": الذاكرة مثل مصممة أزياء مجنونة تتابع تسلسل الأشياء وتضعني في موقف المتفرجة المندهشة في فيلم يفتقر إلى المعنى. ألا أواجه بالأحرى هذه المشكلة: فهم واستيعاب سلوك هذه الفتاة، آني د، سعادتها ومعاناتها، ووضع هذا كله في سياق القواعد والمعتقدات السائدة في المجتمع قبل نصف قرن، في سياق مايبدو

طبيعيا وواضحا للجميع، باستثناء شريحة صغيرة من المجتمع "الأكثر تطورًا"، والتي لم تكن هي ولا الآخرون من المخيم جزءًا منها.

الآخرون. لقد كتبت أسماءهم الأولى الشخصية وألقابهم في الصفحات البيضاء على الحاسوب. أسماء الأولاد أولاً. بالنسبة للأسماء الشائعة الشائعة جدًا، كان تكرار الحالات بنفس الاسم الأول يعادل عدم العثور على أي منها. لم يكن هناك أي دليل لمعرفة اي من بين هؤلاء الاشخاص الحاملين لاسم "جاك ر" كان موجودا في المخيم صيف عام ١٩٥٨. كانت هويتهم قد ذابت في وسط الحشود. بعض الأسماء المسجلة في اسفل النورماندي أقنعتني، ربما بالخطأ، بأنني أتعامل مع أولئك الذين كنت أتذكر أنهم كانوا يعيشون هناك بالفعل في هذه المنطقة عام ١٩٥٨. وبالتالي، لم يهاجروا أبدًا خارج أراضي شبابهم. هذا الاكتشاف أربكني. وكأنهم بقوا هناك دائمًا متشبثين بمنطقتهم وبهويتهم الجغرافية.

حاولت تجربة أسماء الفتيات. لم يبدو لي أي منها جديرة بالثقة، فربما تزوجن تقريباً جميعاً وتغيّرت أسماؤهن مثلي، ولم يستفدن من العرض الإلزامي للدليل الذي يقترح: "أدخل اسمك قبل الزواج لتتمكن من العثور عليك بسهولة من قِبل معارفك القدامى."

وسّعت بحثي على جوجل. حدّدت بيقين، على موقع "أصدقاء سابقين"، (ديدييه د)، طالب سابق في المدرسة البيطرية في ميزون ألفور[٤٣]، وبطريقة أقل يقيناً، (جاي أ)، من شمال فرنسا، الذي ظهر اسمه في العديد من المواقع الرياضية في ليل وضواحيها.

عدت إلى الدليل، وأعدت من جديد كتابة الأسماء، متسمرة بدهشة امام شاشة الكمبيوتر كما لو كنت على حافة عالم الاعراف[٤٤]، حيث كنت سأحاول استرجاع واحد من الأشخاص الذين غمرتهم الذكريات منذ صيف ٥٨. هل كانوا هؤلاء، أولئك الذين حددت شركة فرنسا تيليكوم مواقعهم على الخريطة بنقطة زرقاء؟ أولئك الذين كانوا تحت الظل الداكن لسقف كشفته صورة التُقطت من السماء، وعندما كُبرت إلى الحد الأقصى، ظهر نفس الدائرة الزرقاء الصغيرة محيطة بموقعهم مثل هدف في حالة تصويب؟

راودتني فكرة الاتصال بهم، حتى أولئك الذين لم أكن متأكدة إن كانوا هم. بحجة اجراء تحقيق صحفي حول المخيمات الصيفية في الخمسينيات ,فكرت انتحل شخصية صحفية لاطرح اسئلة هل كنت في مخيم خلال صيف ١٩٥٨؟ هل تتذكر المدربين؟ هل تتذكر المدربة اني دوشين التي لم تمضي وقتا طويلا في التدريب لانها انتقلت الى مكتب الطبابة فتاة طويلة ترتدي نظارات شعرها طويل ؟ ماذا يمكن ان يقال لي بشانها, سيتسالؤن عن سبب اهتمامي بها, او سيقولون انني اخطات في رقم الهاتف ويغلقون الخط بوجهي. بعدها سالت نفسي لماذا هذا البحث؟ ليس التحقق من انهم لا يتذكرون شيئا عن اني دوشين ولا حتى فرضية مرعبة حقا ان كانوا يتذكرون شيئا عنها. يعمل بعض الفتيان والفتيات كمدربين

طوال العام في المركز الصحي. وهي الوحيدة القادمة من مؤسسة دينية. من المؤكد أنها تكره المدرسة الداخلية (سان ميشيل) لكنها لا تملك أي خبرة في عالم علماني، حيث يكون، على سبيل المثال، يوم ١٥ أغسطس يومًا عاديًا مثل بقية الأيام، وهو يوم استقبال الأطفال في المخيم الصيفي، وهذه هي المرة الأولى التي ستغيب فيها عن القداس من أجل عيد انتقال العذراء(عيد الصعود).خلال أول وجبة إفطار، سألها أحدهم: "في أي مدرسة تدرسين؟" ترددت قليلاً – فبالنسبة لها، كلمة علبة"bahut" تعني صندوقًا أو سيارة أجرة في اللغة العامية – لكنها أجابت: "في ثانوية (جان دارك)في روان".

وعندما أرادوا معرفة ما إذا كانت تعرف هذه الفتاة أو تلك، اضطرت إلى الاعتراف بأنها سجلت فيها للتو وستلتحق بها فقط في العام الدراسي القادم، وأنها كانت حتى الآن في مدرسة دينية مغلقة. الاختلاط يربكها. إنها ليست مستعدة لعلاقات الزمالة البسيطة والرفقة البريئة بين الفتيان والفتيات الذين يعملون في نفس المجال. إنها حالة جديدة بالنسبة لها. في الواقع، لا تعرف كيف تتحدث إلى الأولاد لأن أسلوب المزاح الشعبي، الذي يجمع بين الدفاع والإغراء والسخرية في الشوارع حيث يتعقب الأولاد الفتيات للمعاكسات ، غير مألوف لديها. خلال الاجتماع الذي سبق وصول الأولاد، وهي تنظر إلى مجموعة من حوالي خمسة عشر فتى من الحاضرين، لم تجد أحدًا يناسب حلمها بقصة حب.

صورتان من الأيام الأولى:

على العشب المغمور بأشعة المشمس، وقت الغداء، أمام أبواب صالة الطعام، تحت قيادة المدير الأنيق في سترته وسرواله بلون أوراق الخريف، تجمع مائة طفل يغنون أولاً بهدوء وبصوت حافت، ثم يعلو صوتهم شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى هدير يبعث القشعريرة، قبل أن ينخفض مجددًا ليصبح همسًا بالكاد مسموعًا:

بابا! ماما! هذا الطفل لديه عين واحدة فقط!

بابا! ماما! هذا الطفل لديه سن واحدة فقط!

آه! يا إلهي، كم هو مزعج أن يكون لديك طفل بعين واحدة فقط!

آه! يا إلهي، كم هو مزعج أن يكون لديك طفل بسنة واحدة فقط!

على عشب الحديقة، اثنتا عشرة مراهقة يرتدين الزي الموحد، قميصًا وسروالًا أزرقًا قصيرًا، يرقصن، ممسكات بأذرع بعضهن البعض متشابكات. في الوسط، مدرِّبة شقراء ذات ذيل حصان شعرها تقودهن بحماس، في خطوات أحيانًا إلى اليمين وأحيانًا إلى اليسار، وهنّ يغنين:

"أحذيتي، أحذيتي، مليئة بالثقوب / أنا حمقاء، أنا حمقاء."

أقرأ بالحاح هاتين الصورتين افتتان الفتاة ذات الـ ٥٨ عامًا بعالم منظم بدقة، مضبوط ومرتب ترتيبا صارما بصافرة دوارة، موزون بأغاني المسيرات، في جو من الفرح والحرية.

مجتمع يكون فيه الجميع، من المدير إلى الممرضات، في مزاج مرح ورائق، حيث يبدو فيه الكبار البالغون، لأول مرة، يمكن تحملهم لها.

عالم مغلق مثالي حيث الجميع...يتم تلبية الاحتياجات فيه بوفرة، وسخاء في الطعام، وألعاب وأنشطة لم تكن متوقعة منذ أيامها في مدرستها الداخلية في إيفيتو.أقرأ في ملامحها رغبتها في التأقلم مع هذا الوسط الجديد، لكن أيضًا خوفها الخفي من عدم القدرة واخفاقهاعلى ذلك، من عدم الوصول أبدًا إلى نموذج المدربة الشقراء – فهي لا تعرف أي أغنية لا يُذكر فيها الله او اي نشيد لا يذكر فيه الرب.

(شعرت بالارتياح في اليوم الثاني عندما علمت أنها لن تكون مسؤولة عن أي مجموعة، بل ستكون "مدربة متنقلة"، أي تحل محل المدربين أثناء يوم إجازتهم).

لقد مضى ثلاثة أيام منذ وصولها إلى المخيم. إنه يوم الإثنين. في المهاجع، الأطفال بخير نائمون. أرى كيف رأيتها، ثم رأيتها تنزل السلالم مرتدية زيّها سروال جينز وسترة زرقاء بلا أكمام، صندلاً بدون كعب، وسترة بحرية ذات أزرار. خلعت نظاراتها وربطت شعرها الطويل الرطب يتماوج على ظهرها.كانت في حالة من الإثارة الشديدة، هذه هي أول مرة...في حفلة ساهرة.

لا أعرف ما إذا كانت الموسيقى قد بدأت بالفعل عندما وصلوا إلى القبو الموجود خارج المبنى الرئيسي. ربما تحت المصحة او تحت مكان اخر. . لا أعلم ما إذا كان هو قد بدأ بالفعل بين أولئك الذين كانوا منشغلين حول المعدات الكهربائية لاختيار الاسطوانات.

كان من المؤكد أنه كان أول من دعاها الى الرقص. إنه رقصة روك. كانت مرتبكة واحست بالخجل لأنها ترقص بشكل سيئ (ربما قالت له ذلك من باب الاعتذار). كانت تدور بخطوات كبيرة ، ممسكة بيده بقوة، وصوت صنادلها يُسمع على أرضية القبو الإسمنتية. كانت مشوشة لأنه لم يتوقف عن التحديق بها بتركيز وهو يديرها اثناء الرقص. لم يسبق أن نظر إليها أحد بهذه العيون الثقيلة.أما هو، اسمه "H"، المدرب الرئيسي. إنه رجل طويل، أشقر، مفتول العضلات، مع القليل كرش من البطن. لم تتساءل عما إذا كانت معجبة به، أو إذا كانت تراه جذابًا ووسيما. بدا بالكاد أكبر سنًا من باقي المدربينالاحرين، لكنه بالنسبة لها ليس مجرد فتى، بل رجل ناضجا، ليس بسبب عمره فقط، بل بسبب موقعه الوظيفي. مثلما تعد "L"، المدربة الرئيسية، شخصية قيادية بين النساء، فهو بالنسبة لها ينتمي الى صنف القادة من الرجال في المخيم.في ذات اليوم، جلست بجانبه على نفس الطاولة أثناء الغداء، متوترة جدًا ومضطربة لأنها لم تكن تعرف كيف تأكل الخوخ المقدم لها بطريقة لائقة. لم يخطر ببالها ولو لثانية واحدة أنه قد يكون مهتمًا بها ، كانت مذهولة.أثناء الرقص، كان يتراجع نحو الحائط بينما كان يواصل

التحديق بها. انطفأت الأضواء. جذبها بعنف إلى صدره، وضغط شفتيه على شفتيها. وسط الظلام، سُمعت أصوات احتجاج، وأعاد احدهم إضاءة المكان من جديد. أدركت أنه هو من ضغط على زر الإطفاء. لم تستطع رفع عينيها نحوه، كانت في حالة من الارتباك اللذيذ. لم تصدق ما يحدث لها حقا. همس لها: "هل نخرج؟" فأجابت بنعم، وخرجا معًا.هما لا يستطيعان المداعبة أمام الآخرين. هما الان بالخارج، يسيران بمحاذاة جدران المركز الصحي متعانقين ومتشابكين الاذرع، الطقس بارد، وبالقرب من صالة الطعام ،امام الحديقة المظلمة ، الصقها بقوة على الحائط ، يحتك بها، أحست بقضيبه على بطنها من خلال سرواله الجينز ،انه سريع الانتصاب جدا وجريء جدا. لم تكن مستعدة لهذه السرعة والجراة الكبيرة من الشغف ،ولم تشعر بأي شيء، أنها مفتونة بهذا الشغف من جانبه فهو يشعر برغبته جامحة و قوية اتجاهها، رجل بلا قيود، متوحش، لديه رغبة قوية وغير مكبوحة ، لا علاقة له بالغزل البطيء والحذر اللطيف ، في الربيع كان أبطأ وأكثر حذراً ، لم تسأله إلى اين يذهبان؟ في تلك اللحظة فهمت بأنه يأخذها إلى الغرفة ، ربما هو قال لها. هما الان في غرفتها تحت جنح الظلام ، هي لاترى ما الذي يفعله ، في هذه اللحظة هي تعتقد دائما بأنهما مستمران بالعناق والملامسة وتبادل القبلات من خلال الملابس المطروحة على الفراش.قال لها اخلعي ملابسك ومنذ ان دعاها للرقص ، هي صارت تفعل كل ما يطلبه منها. بين مايحدث لها ومانفعله هي، لايوجد فرق ،تمددت بجانبه عارية تماما على السرير الضيق.

لم يترك لها الوقت لتعتاد على عريه الكامل ، جسده العاري كرجل ، الاحداث تتسارع بشكل يفوق قدرتها على الاستيعاب أو التاقلم ، فهي تجد نفسها فجأة أمام جسد عار بالكامل دون أن تمنح فرصة للتكيف مع الموقف أو الشعور بالراحة ، فهي احست بضخامة وصلابة عضوه الذي يدفعه بقوة بين فخذيها. يجبرها، فتشعر بألم ، تقول انها عذراء، كنوع من الدفاع أو الشرح لايقاف مايحدث ، تصرخ، ينهرها (من الأفضل لك أن تستمتعي بدلا من أن تصرخي) لا يكترث لمشاعرها أو المها ، مترددة بين رغبتها او أن تكون بالخارج في مكان اخر لكنها لا تغادر ،انها تشعر بالبرد، يمكنها أن تنهض وتعيد تشغيل الضوء، وتطلب منه أن يعيد ارتداء ملابسه ويغادر أو هي ترتدي ملابسها لتعود الى الحفلة. كان بامكانها فعا هذا, اعرف جيدا لن الفكرة لم تخطر على بالها,كان العودة الى الوراء لم تكن باتت مستحيلة. على الامور ان تاخذ مجراها, فليس من حقها ان تترك هذا الرجل مع كل هذه الرغبة الجامحةفي امتلاكها. لا يمكنها انه اختارها من بين كل الفتيات الاخريات لتكون له. باقي الاحداث جرت كانما فيلم بورنو حيث لاتعرف شريكة الرجل الخطوة الاتية.. هو السيد..يسبقها دائما هو الموجه..انزلها اسفل بطنه وضع فمها على قضيبه تدفق المني فورا ليلطخها ويصل الى انفها. لم تمر اكثر من خمس دقائق على دخولهما الغرفة.

اعجز عن العثور في ذاكرتي على احساس ما..كانت الفتاة التي على السرير تتابع ما يحدث مالم تتخيل ابدا قبل ساعة انها ستعيش هذه الاحداث. اشعل النور سالها عن الصابونة الخاصة بها على المغسلة اخذها وفرك قضيبه بها ثم فرك عضوها.عادا وجلسا على حافة سرير . اعدت له كوب شوكولاته بالحليب اشترته من البقالة. سخر منها وطلب منها عندما تستلم اجرتها الشهرية تشتري بعض الويسكي."إنه كحول راقٍ لا يبيعه والدَاها، وعلى أي حال، الكحول يُثير اشمئزازها."

شريكتها في السكن ستعود في أي لحظة من النوبة الليلية. يرتديان ملابسهما. تتبعه إلى غرفته."

"يشغلها وحده بصفته المدرب الرئيسي. لقد تخلت تمامًا عن إرادتها، وأصبحت بالكامل خاضعة لإرادته. منغمسة في تجربته كرجل. في أي لحظة لم تكن حاضرة في أفكاره.""حتى اليوم، لا زال تفكيره لغزًا بالنسبة لي.""لا أعرف في أي لحظة هي قبلت..."لا استسلمت ،بل القبول بفقدان عذريتها ، ترغب في فقدان بكارتها ، تتعاون معه، لا اذكر عدد المرات التي حاول فيها الايلاج واختراقها ، وألمرات التي امتصت فيها قضيبه لأنه لم يتمكن من الوصول إليها ، لتعتذر له،هي (اقر بان قضيبه كبير).

هو يكرر بأنه يريدها أن تصل إلى النشوة ، هي لا تتمكن تفشل، هو يعبث بجسدها بقوة كبيرة.ربما يستطيع ذلك إذا كانت تداعب قضيبه بفمها كجنس فموي.هي لاتطلب منه ذلك, فذلك شيء مخجل أن تطلبه فتاة. هي فقط تفعل مايرغب هو فيه،هي لا تخضع له بل لقانون لايمكن المناقشة فيه ،عالمي ،قانون الهمجية الذكورية كان لابد لها تحمله يوما ما . سواء كان قانوناً قاسياً ووسخا ،فهو هكذا قبول الواقع.

هو يقول كلمات لم تسمعها من قبل قط، تجعلها تنتقل من عالم المراهقات الضاحكات تحت غطاء الفحش المهمس إلى عالم عالم الرجال الذي يعني لها دخولها في عالم الجنس النقي الصريحلقد مارست العادة السرية بعد ظهر هذا اليوم.

جميع من في المدرسة سحاقيات كلهن، أليس كذلك؟

يرغب في الحديث، وتحدثا بهدوء، وهما متعانقان أمام النافذة التي يغطي جدارها رسومات ملوّنة رسمها أطفال. هو من إقليم (الجورا)، أستاذ تربية بدنية في مدرسة تقنية في روان، وله خطيبة منذ عامين. يتعارفان. تقول إنها عريضة الوركين. يجيب: "لديكِ وركا امرأة." تسعد هي بذلك. صار الأمر علاقة طبيعية. يبدو أنهما ناما قليلاً. مع بزوغ الفجر وطلوع النهار، عادت إلى غرفتها. ومنذ لحظة مغادرته، اجتاحها شعور بعدم التصديق لما حدث غمرها الشك، وكأن وقع الحدث انقضّ عليها دفعة واحدة. لم تخرج بعد من ذهولها، متأثرة أيضًا بسُكر اللحظة وثمالة الحدث التي تحتاج أن تُقال، أن تُصاغ لتصير واقعية. لحظة تدفعك إلى البوح والحديث. لصديقتها التي كانت قد غسلت نفسها وارتدت ملابسها استعدادًا للنزول إلى الإفطار، تقول: لقد نمتُ مع المدرّب الرئيسي.

لم تعد تعرف إن كانت قد خطرت لها بالفعل فكرة أن هذه كانت "ليلة حب"، ليلتها الأولى.

هذه هي المرة الأولى التي تراها فيها تلك الليلة من ١٦ إلى ١٧ أغسطس ١٩٥٨ وأنا أشعر برضا عميق. يبدو لي أنني لا أستطيع الاقتراب أكثر من الواقع. لم يكن هناك رعب ولا خجل. فقط الطاعة لما يحدث، وانعدام المعنى لما يحدث. لا يمكنني الذهاب أبعد من ذلك في هذه الهجرة الطوعية داخل كياني وأنا بالكاد في الثامنة عشرة من عمري، في جهلي بما سيأتي، في هذا الأحد الذي بدأ.

إنها المرة الأولى التي تراه فيها منذ تلك الليلة، منذ الحادي عشر من آب ١٩٥٨، في وضعية مواجهة مباشرة. يبدو أنني لم أعد أتحمل أكثر. لا أستطيع الاقتراب أكثر. من كان هذا؟ لا شيء فيه يقترب من الواقع. فقط الطاعة، الغياب التام لأي معنى لما حصل. لا يمكنني أن أمضي أبعد في هذه الهجرة الطوعية إلى مكان لا تعرف فيه من تكون، بعد ليلة بالكاد استمرت، في جهل لما ابتدأ صباح الأحد.

إنه وقت الغداء، ضجيج قاعة الطعام، هي جالسة عند طرف طاولة تراقب اثني عشر صبيًا صاخبًا. لا تستطيع ابتلاع الخضار السوداء والمزرقة في صحنها (الباذنجان، لم تأكله قط). يبدو أن صدرها لم ينفك منذ أن دخلت القبو في الليلة السابقة. تراه يظهر بين أعمدة قاعة الطعام، يتفحص، يتحرك بين الطاولات. يتوقف عند الطرف الآخر من طاولتها، يواجهها بين صفين متوازيين من الصبية الصغار، يثبت نظره عليها دون أن ينطق بكلمة. لم تره منذ الليل. ترى نظرته – لقد أعاد نظارته – التي تعلوها، تغطيها، والتي تريد أن تجبرها على تذكر ما فعلته تلك الليلة. تخفض عينيها، لا تستطيع تحمل تلك النظرة النافذة، إنها طفلة مذنبة وسط الأطفال الآخرين. (لاحقًا، سألوم نفسي على عدم مواجهة نظرته المحملة بذاكرة الليلة الليلة السابقة، وبالتواطؤ الذي كان ينتظرالتجاوب معه...).ترى نظرته—لم ترها منذ تلك الليلة. أعادت وضع نظّارتها. يثبت نظره عليها من الطرف الآخر للمائدة، بين صفّين من أعمدة الصبية. يتوقف، يواجهها. كلاهما واقفان، من دون كلمة. هي والصبية الصغار؛ يحدق بها، نظرة لا تستطيع أن تتحملها. إنها نظرة لما كان، لما يريد، لما يفرضه. تُخفض بصرها. (وفي وقت لاحق، في منتصف اليوم، ستشعر أنها مذنبة فقط لأنها لم تستطع أن تردّ نظرته، لأنها غيّرت وجهة نظرها، لتهرب من ذكرى تلك الليلة، ومن تلك الألفة التي انتظرها منها).

لا أستطيع أن أسرد تسلسل الأحداث زمنيًا إلا بالقفز من صورة إلى أخرى، من مشهد إلى آخر، مشاهد لم تتجاوز مدتها الحقيقية بضع دقائق، وربما ثوانٍ، لكنها تمددت بشكل مفرط في الذاكرة، وكأنها تضيف في كل مرة تفاصيل جديدة. وكما في لعبة الجمود[٤٥]"واحد، اثنان، ثلاثة، شمس"، حيث لا يدرك من يواجه الجدار كيف تجمد اللاعبون في أماكنهم عند التفاته، فإن المسافة الزمنية بين صورتين أصبحت منذ زمن بعيد غير مرئية بالنسبة لي.

أراها بعد الظهر، تقرأ الصفحات الأولى من رواية الشرط الإنساني[٤٦] في نسخة من طبعة كتاب الجيب. مع كل جملة تقرؤها، تنسى ما قبلها. بعد مشهد مقتل الرجل النائم تحت الناموسية، يتلاشى الفهم، وتضيع منها خيوط القصة. لم يسبق لها أن عرفت هذا العجز عن القراءة.

أراها مساء الأحد، في غرفتها معه، في تلك الساعة التي يكون فيها الأطفال نائمين، والمدربون متاحين احرارا، باستثناء من يراقبون مهاجع النوم الغارقة في ضوء السهرات الأزرق الخافت لمصابيح الليل. هل هو من دعاها حين التقته بعد الظهر، أم أنها جاءت بمحض إرادتها؟ في كل الأحوال، لا يمكن تصور ألا يقضيا هذه الليلة معًا.

الليلة القادمة تأتي، مثل سابقتها. هو مستلقٍ على السرير، وهي جالسة بجانبه، على الحافة. تلعب بمنديلها المزهر الذي انزلق في فتحة صدر سترتها الزرقاء التي ترتديها على بشرتها مباشرة. إنها تكرر الخطأ الأول. بنفس البراءة التي قدمت له بها كوب حليب بالشوكولاتة، بنفس جهل بالذكور، دون أن تدرك الجرح النرجسي العميق الذي تلحقه بكبريائه، ذلك الجرح الذي صار مع السنين أكثر قسوة في ذاكرتي. تقارنه بمدرب ذي لحية شقراء وبنية جسدية شبيهة بلاعب الركبي، ثم تقول له:

"بعد الملتحي، أنت الأفضل في المخيم."

كانت تظن أنها تمدحه، ولم تشعر إطلاقًا بسخرية ردّه السريع: "أشكرك!"، إذ أضافت قائلًة: "ولكن هذا صحيح!"قالت ذلك ليس بقصد ان تجرحه، بل كحقيقة خارجية عنهما معا، حقيقة لا يمكن أن تعني بأي حال من الأحوال أنها تفضّل الملتحي عليه.

حين رأى تعبيره المتجهم، أدركت هفوتها على الفور وفهمت زلتها، لكنها سرعان ما ألغت أثرها وحجمها. كانت غارقة في رغبتها في قضاء ليلة أخرى مع "ه". كانت متأكدة من ذلك بسبب ما حدث بينهما وما لم يحدث بعد. إنه عشيقها. تنتظر منه إشارة، ربما غياب الاشارة يصيبها بالارتباك.

في المشهد التالي، يغادر الغرفة. تبقى واقفة، تنتظره، معتقدة أنه سيعود. لم يكن هو من دخل الغرفة، بل كان شابا بريتونيًا ذا شعر بني مجعد، كلود ل. أوضح لها أن لا جدوى من بقائها هناك، وأن "ه" لن يعود. يبدو أنها سألته إن كان قد ذهب لرؤية المدربة الشقراء، كاترين ب. لكنه لم يجب. ربما ضحك.

(من هذه اللحظة، لم أعد أخترق أفكار ذهن الفتاة "س"، لم يعد بإمكاني سوى وصف حركاتها، وأفعالها، وتدوين الكلمات، كلمات الآخرين أكثر من كلماتها).

أراها تحت ضوء غرفة "ه" القاسي، مصدومة، غير مصدقة، وربما باكية، تهرب لتختبئ في زاوية بين الحائط والباب المفتوح على مصراعيه، تمامًا كما يختبئ شخص تعرض للصفع. ومن خلف الباب،

تسمع مونيك س. تضحك وتقول للمجعد، الذي كان قد أشار بصمت إلى وجودها، ففهمت ذلك بذهول: "ماذا تفعل هنا؟ هل هي ثملة؟"

تخرج من خلف الباب، تكشف عن نفسها. تقف أمامهما، على بعد متر واحد، حافية القدمين، تتلقى نظرة ازدرائية من أعلى إلى أسفل من مونيك س. التي كانت تتسلى بالموقف. لم أعد أذكر ما الذي توسلت به – كلمات دفنت منذ زمن تحت وطأة الخزي، ربما كانت تسأل إن كان "هـ" مع الشقراء – ولا كيف قوبل توسلها بالرفض المهين الذي ألقته مونيك س. في وجهها ببرود، حين قالت لها باحتقار:

"لسنا صديقتين إذًا؟"

لتجيبها مونيك س. بحدة، بنفور ممزوج بالاشمئزاز:

"آه! لا! لم نرعَ الخنازير معًا!"

أعيد وأكرر في ذهني مشهد الرعب ذاك، الذي لم تخفت بشاعته مع الزمن، ذلك الإذلال المرير، ككلبة جاءت تستجدي لمسة حنان، فلم تتلقَّ سوى ركلة مهينة. لكن هذا الاسترجاع المتكرر للعذاب لم يفلح في اختراق غموض تحامل يعود إلى نصف قرن، إذ بقيت تلك الكراهية الغامضة، غير المبررة، قائمة كما هي في عيني تلك الفتاة تجاهي.

لم يبقَ سوى يقين واحد: آني د.، الطفلة المدللة من والديها، التلميذة النجيبة، قد تحولت في تلك اللحظة تحديدًا إلى موضوع ازدراء وسخرية في نظرات مونيك س. وكلود ل.، وفي عيون كل أولئك الذين كانت تتمنى أن يكونوا أندادها.

لم تعد في غرفة "هـ". في أي لحظة من ذلك المساء، مساء الأحد ذاته، تاهت، ضائعة، متخبطة، هل صادفتهم في طريقها، أم أنها ذهبت إليهم طواعية؟ تلك المجموعة الصغيرة من المدربين، فتيانًا وفتيات، انجذبوا معًا برغبة ليلية في الاحتفال والصخب، ربما حتى برغبة دفينة وغامضة في طقوس الاستهلال التقليدية في بداية المخيم؟ رأيتها في ممر الغرف، تحتج بعجز، وقد أعماها الماء المتساقط على وجهها، شعرها مبلل تمامًا بسيل دلو ماء أُفرغ عليها، في طقسٍ صار لاحقًا جزءًا من طقوس "تاياوت أو تاياوت". انفجرت إحدى الفتيات ضاحكة: "هكذا تبدين مثل جولييت غريكو!" ومن خلال خصلاتها المبللة التي حجبت عنها الرؤية، لمحته، "هـ"، بجسده القوي، واقفًا عند باب غرفته، يراقب المشهد مبتسمًا بتسامح...تظاهر بمسؤوليته كأكبر سنًا أمام حماقات التلاميذ المراهقين. (سيكون من السهل عليّ اليوم أن أفترض أن المجموعة، وقد كانت على علم بكل شيء، خططت — لمجرد المزاح — لأن تقودني إلى غرفة هـ).

إنها ترتكب ثاني حماقاتها في تلك الأمسية. تنفصل عن المجموعة، تصرخ باسمه، تناديه طالبة النجدة وهي تضحك، تردد ما قيل عنها، بأنها تشبه جولييت غريكو. من الطبيعي بالنسبة لها أن تبحث عن ملاذ لديه، بسبب ما حدث في الليلة السابقة، بسبب عريهما.

تندفع لترتمي بين ذراعيه. لكنه يبقي ذراعيه ممدودتين بمحاذاة جسده، ويستمر في الابتسام بصمت، دون أن يقول شيئًا. يدير ظهره لها ويدخل غرفته.

(ربما كان يفكر، بلا شك، أن هذه الفتاة غبية، وأنه لن يرهق نفسه بها، تلك الساذجة التي تتخيل نفسها جولييت غريكو).

في ذلك الأحد الرمادي من تشرين الثاني ٢٠١٤، أنظر إذًا إلى الفتاة التي كنتهاوهي تراه يدير ظهره لها أمام الجميع، الرجل الذي تعرت امامه وضاجعها طوال الليل، نظر إليها، وهي تستلقي لأول مرة، دون أن تدير وجهها. لا يوجد فكر في داخلها ذهنها خال، لقد كانت غائبة تمامًا. لم يكن هناك سوى ذاكرة جسديهما، أو بالأحرى، ذاكرة ذلك الفعل الذي تم بينهما — سواء كان مرغوبًا فيه أو لا، سواء كان مقبولًا أو لا. كانت في حالة تسليم كامل، تائهة، غير قابلة للتركيز تتخبط في قلق الفقدان، مطواعة مثل خرقة. كل شيء فيها كان مستسلمًا، وتركت نفسها تُقاد من قبل تلك المجموعة الصغيرة المثارة المهتاجة، دون أن تشعر بشيء بعد الآن، تمامًا مثل شخص يائس تائهه في غياب المبرر للهجران.

ها هم في المبنى الصغير الجديد إلى يسار الدير، في غرفة واسعة ذات جدران خضراء مائلة إلى الصفرة، ومصباح عارٍ يتدلّى من السقف. لم تكن ترتدي نظارتها. كانوا يؤكدون لها، بإصرار، أنهم في غرفة السكرتيرتين الخاصتين بالمدير، واللتين غادرتا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، لكنها استغربت كيف يتصرفون وكأنهم في منزلهم. بدأوا بتشغيل أسطوانات لروبير لامورو[٤٧] وفرناند راينو[٤٨]، وراحوا يخرجون الكؤوس ويصبّون النبيذ الأبيض. لم تدرك في حينها أنهم يمرحون على حسابها، يدبرون لها مقلباً ستكتشفه في اليوم التالي، حين تعلم أن الغرفة التي كانوا فيها هي غرفة مدربي التربية البدنية والرياضية، "غي أ" و"جاك ر"، الذي كان يعانقها على السرير وكانا جالسين هناك مع مجموعة من الآخرين. تُراهم بدأوا فعلًا – كما ستخبرها "كلودين د" بعد أيام قليلة، وهي المدربة ذات الخد الموسوم بندبة قرمزية على وجنتها – بالسخرية منها بقولهم "لتذهب إلى الجحيم"؟ وكانوا جميعاً على الأرجح قد علموا بما حدث لها في تلك الليلة مع المدرب الرئيسي، وشاهدوا مشهد مهانتها في الردهة والممر؟

كانت تسمع ضحكاتهم، وقصصهم الفاحشة الخليعة، وهي غائبة، بلا إحساس. (والآن، وهي تكتب، تتذكر فجأة المشهد الأخير من فيلم "باربارا لودن"، حيث نرى "واندا"[٤٩] جالسة في ملهى بين سكرانَين، صامتة، تأخذ سيجارة من يد أحدهم، وتدير رأسها نحو اليمين، ثم إلى اليسار. لم تكن هناك

حقاً. قبل ذلك كانت قد قالت: "أنا لا أساوي شيئاً". الكاميرا تثبت على وجهها الجامد، الذي بدأ يتلاشى تدريجياً تم تصوير الجزء اللاحق من Wanda بعد خمسة عشر عامًا، في غرفة في منطقة أورن، في بلدة "س". أطفؤوا المصباح، واستلقوا أزواجًا مثنى مثنى على الأسرة والأرض. كانت الأسطوانات تواصل الدوران على جهاز الفونوغراف. كانت مستلقية على الأرض فوق مرتبة مع جاك ر.، وكانا عاريين من الخصر بينما باقي جسديهما في داخل كيس نوم واحد. لم يتوقف عن تقبيلها، لكنها لم تحب شفتيه الرخوتين. دفع بقضيبه، كانا اضيق من عضو هـ، فقالت لا وأكدت أنها مازالت عذراء. بلل ما بين فخذيها.بدا أنها تبكي بينما كانت تسمع في الظلمة الفتيان الآخرين يطلعون بعضهم بعضًا على تفاصيل مغامراتهم مع الفتيات في صيغة مزاح، وكانت داليدا تغني: " Je pars avec la joie au cœur lalalayéyéyéyé / Je pars vers le bonheur" (أرحل بقلبٍ مفعمٍ بالفرح/ أرحل نحو السعادة).

حاول أن الايلاج مجددًا. كان يتخبط بعنف، مدفوعا بعناد رغبته. كانت تخشى أن ينجح ويحقق هدفه. لم تفكر سوى في الابتعاد والهروب. لم يكن ذلك ما يحدث لها خيرًا ولا شرًا، بل شيء ما بين الكرب والعزاء الذي يقدّمه جسد بديل، نفس الرغبة الرجولية في جسد آخر. لم تكن تفعل سوى إعارة جسدها، لكنها كانت مصممة بقوة على حماية مدخله. ربما كانت مدفوعة بالفعل برغبة "العطاء" – الكلمة نفسها تُستخدم فقط مع "هـ"، الرجل الذي توسل إليها الليلة الماضية ثم عاد ليرفضها للتو.

أتتبعها بحرص، تلك الفتاة، صورةً تلو صورة، منذ تلك الليلة التي دخلت فيها مع كيس نومها إلى القبو مع رفيقتها، حين دعاها "هـ" للرقص، لكن من المستحيل عليّ أن أُمسك بكل الانزلاقات، بتلك المنطقية التي أوصلتها إلى الحالة التي هي عليها الآن.لا يمكنني إلا أن أقول إنها، عندما عادت فجر يوم الإثنين ١٨ آب إلى غرفتها، حيث وجدت رفيقتعا مستعدة لا ستئناف عملها، مرة أخرى، كان كيس نومها منصوبًا سلفًا، اعتبرتْ أن ما جرى في كيس النوم مع "جاك ر." لا يُعدّ شيئًا، أمرًا تافهًا، كأنه لم يكن. (بعد أن فزعت لدى رؤيتها دماً يسيل منها حين خلعت سروالها لتغييره، قبل أن تدرك أنها حاضت قبل موعدها المعتاد بثمانية أيام).

أراها، "آني د."، في ذروت شهوتها، في قمة اندفاعها. لا يمكنها أن تكون في قمة قوتها إلا بإنكار كل ما لا يدخل ضمن رغبتها بـ "هـ"، متشبثةً بالأمل رغم كل شيء، مؤمنة بانه سيشتهيها ومُصرة على مواصلة التصديق حتى بعد أن دخل إلى غرفتها، مساء ذلك اليوم بالذات، وأجابها بجفاء واحتقار، رافضًا إياها – حتى بعدما علمت أنه كان مع "كاثرين، المعلمة الشقراء"، المخطوبة لأحد المجندين في الجزائر، والتي تدل على ذلك ختم بحجر أزرق للقوات المسلحة في المغلف الممهور بحروف FM الموضوعة بجانب صحنها – بديلةً لها في عين المدرب الرئيسي. إنها تريد أن يكون رغبته فيها،تنتظر منه اشارة أن يستمتع بها، أن يستنفد لذته معها. لا تنتظر منه شيئًا في المقابل. لا تتخلى عنه، بل

تنتظر فقط أن يشتهيها ذات مساء، بدافع شفقة، أو نزوة، أو ملل لا يهم. حاجتها إليه، وسماحها له بأن يكون سيد جسدها، يجعلها غريبة و صماء عن أي شعور بالكرامة بسبب عينيه الثقيلتين، وفمه الغليظ، وجسده الضخم، ترى أنه يشبه مارلون براندو. لا تهمها تلك الهمسات التي تتناقلها بعض المُدرِّبات بصوت خافت، بأنّه ضخم وغبي. إنها تدعوه في داخلها "أر..ملاك.".

في ساعة من الحرية، تدخل الكاتدرائية في سين، حريصة على ألّا يراها أحد من المدربين، وتُسَرّ برؤية أحدهم أو الآخر يمرّ بمرحٍ مع هذا الشاب القادم من الجنوب، الذي يغني لها بأغنية شعبية Avec le petit doigt وينظر إليها ساخرًا على لحن Ave Maria سلام على مريم العذراء. اللون الأزرق في عينيه يزعجها، كأنّه يُخفي هوسًا بها، غير آبهٍ بجوهرها. إنه لون لعبة إلهية منحرفة، انه فضل الشقراء عليها. اله تتوسل اليه "يا رب، قُل فقط كلمة، فتُشفى نفسي".

أثناء الكتابة، أدركت أنني حتى هذه اللحظة لم أفكر أبدًا أن الشقراء قد تكون أرادت أخذ مكانٍ شغلته وحللت به مصادفة...وأنه، سواء أكانت مخطوبة أم لا، لم يكن بإمكانها أن تترك تلك الفتاة الطويلة المتخبطة، ذات النظارات السميكة، كما أنها ربما حكمت عليّ منذ اليوم الأول عندما أُرسِلنا تباعاً إلى العيادة لإجراء فحص بالأشعة واحدة تلو الاخرى في مصحة المخيم. وربما كانت تلك أيضًا نظرة الآخرين، رغم أنني لم أسمع أحداً ينتقد لعبها المزدوج، بل كانوا يوافقون ضمنياً على اقترانها المؤقت برئيس المدربين، وعلى أن المعلمة الظريفة ذات الجسد المكشوف في ثوب السباحة ستثير لاحقًا صفيراً من الإعجاب من قِبَل الأولاد، في طقسهم المعتاد الذي يشبه عروض "البين–أب"، والإصبع المرفوع تعبيراً عن الانتصاب. لم يكن ينبغي لي أن أفكر خلاف ذلك مثلهم تماما. كنت أجدها أجمل، أكثر لطفًا مني في كل شيء. في عام ٢٠٠٣، لخّصت الأمر بجملة مقتضبة: "هي هي لها وجود، وأنا لست كذلك".

ومع تقدّمي في السرد، اخذت تلك البساطة السابقة في الحكاية، التي كانت ترقد في ذاكرتي، بالتلاشي. الذهاب حتى عام ١٩٥٨، يعني قبول تفتّت كل التأويلات المتراكمة عبر السنين. لا شيء يمكن صقله. لا أبني شخصية خيالية. أنا أفكك الفتاة التي كنتها.

تساؤل خفي بارتياب: هل أنني، دون وعي، أردت طيّ تلك اللحظة من حياتي لاختبار حدود الكتابة، والوصول إلى أقصى تداخل وتشابك بين الواقع والنص (سأنتهي إلى الاعتقاد بأن كتبي السابقة ليست سوى محاولات تقريبية ذلك إلى حد ماالنظر اليها من هذه الزاوية). ربما وأيضًا أن أزجّ بصورة الكاتبة التي تُلصق بي، أن أدمّرها، أن أصرّ على فضح زيفٍ من نوع: "لست تلك التي تظنون"، وهو ما يردّد في تلك اللحظة صدى "لستُ العذراء التي تظنون" الذي ضحك به المدربون بعدي بقليل أثناء مروري.

البقية، مسألة كتابة ما تبقّى، حين لا تريد H أن تكون هي، ولا تريد أن تكون تلك التي كانت في عيني جاك ر.كيف يمكن الدخول الآن في انجراف تلك الفتاة الفاتنة، ذلك الإحساس الذي يعتريها بأنها تعيش اللحظة الأكثر إثارة في حياتها، ما يجعلها غير مبالية بكل السخريات، التهكمات، والملاحظات المهينة والجارحة.بأي أسلوب؟ . تراجيدي، غنائي، روائي، ساخر حتى . لن يكون من السهل أن أحكي ما عاشته في "S" بطمأنينة وغرور (hubris) حُكم عليهما من قبل الآخرين، جميع الآخرين، باعتبارهما جنوناً صافياً وعهرا.هل يجب أن أكتب أن عشر سنوات قبل ذلك، قد مهدت ثورة "ايار ٦٨" الطريق، عبر بعض الجريئات، لامرأةٍ ما–غاندية من نساء ما قبل حركة تحرير المرأة، تلك التي نجدها في كتاب وقال الله للمرأة، والتي لم أكن أملك عندها، بخلاف اليوم وأنا أرى تحت عينيّ تلك الرسالة التي أرسلتها ماري–كلود في أغسطس ٥٨: "أما أنا، فكل شيء يسير على ما يرام في أفضل العوالم الممكنة"؟ نمت ليلة كاملة مع كبير المدربين...

الخاتمة:

نستطيع تلخيص ماتوصلنا اليه عبر هذه الترجمة الادبية المقتضبة لرواية مذكرات فتاة عن البوح الذاتي والحميمية الانثوية من الفرنسية الى العربية دون فقدان البعد الثقافي والجمالي رغم الصعوبة في ايصال المعنى بالدقة المطلوبة فقد وجدنا جرءه ادبية واسلوب بسيط عادت من خلالهما"آني إرنو" بذاكرتها إلى صيف عام ١٩٥٨، إلى أول ليلة قضتها مع رجل، في المخيم الصيفي في منطقة "الأورن". ليلة انتشرت فيها موجة من الصدمة بعنف في جسدها ووجودها على مدار سنتين. بالاعتماد على ذاكرتها، وعلى صور ورسائل مكتوبة لأصدقائها، تستجوب تلك الفتاة التي كانتها، وهي تتنقل بين الماضي والحاضر.اعادت ارنو تقديم الجسد باعتباره مكبوتا من الجسد الاجتماعي وخاصة الجسد الانثوي فهي تطرح الجنسانية الانثوية باعتبارها عكس النظام الاخلاقي للمجتمع. كذلك قدمت العنف الاسري والاجتماعي من خلال سردها لهذه المذكرات.

" رواية بدقة وقوة رائعة، يعيد لنا بأقرب ما يمكن الإحساسات الجسدية ومشاعر مراهقة من تلك الحقبة. تتجاوز ارنو الفروقات والحدود بين الاجناس الادبية من انواع السيرة الذاتية لتخط اسلوب خاص بها تنفرد به يصعب على الناقد تحديده او تقييدها بنمط خاص.

نقل المعنى من لغة الى اخرى بواسطة الترجمة هو نقل ثقافة مجتمع الى مجتمع اخر لتكون الترجمة اداة للتفاعل بين ثقافتين وحلقة اتصال بين حضارتين.واجهنا صعوبة في اخضاع النص الفرنسي وتطويعه للنص العربي بسبب استخدام الكاتبة لمفردات جنسية صريحة قد تكون ممنوعة في ثقافتنا الاسلامية والعربية من منظور الحرمة والحياء. نوصي بفتح افاق ترجمات مستقبلية للسير الذاتية النسائية من الادب الفرنسي خصوصا والادب العالمي عموما.

المصادر

١. آني ارنو ، مذكرات فتاة ، برشلونة – اسبانيا ، طبعة كليمار ٢٠١٦
٢. سوزان باسنيت ، اندريه ليفيفير ، بناء الثقافات ، مقالات في الترجمة الادبية ، ترجمة محمد عناني .مؤسسة الهنداوي ٢٠٢٢ .
٣. ايمان ذبيان قاسم,الهة الترجمة,دار المامون للترجمة والنشر,بغداد,العراق,٢٠١٩ .
٤. هدى علي, تعليم الترجمة,دار المامؤن,بغداد, العراق,٢٠١٣.
٥. اني اوليفيه,السيرة الذاتية,باريس,فرنسا,٢٠٠١
٦. اني ارنو,المكان, باريس,فرنسا,١٩٨٣
٧– ارليت بولون, كيف تكتب سيرة ذاتية,مطبعة ناثان,باريس,فرنسا, ٢٠٠٢
٨– اني ارنو,السنوات,كليمار,باريس,فرنسا,٢٠٠٢
٩–د.سهيل ادريس,المنهل,قاموس ,دار الاداب,بيروت,لبنان,٢٠٠٣

Biographies

1-Annie Ernaux, Girl's Memories, Barcelona, Spanish, 2023
2-SusanBassnett, Andre Lefevere, London, Hindawi organization, 2022
3-Iman thiyban Qasim, the Gods of translation, Dar Al Mamoon publishing, house, Baghdad, Iraq, 2019
4-Huda Ali, teaching the translation, Dar-Mamoon, Baghdad, Iraq, 2013.
–٥Annie Olivier, le biographique, Hatier,Paris,france,2001
6-Annie Ernaux, la place, Gallimard, Paris, France,1983.
7-Arlette Boulogne, comment rédiger, une bibliographie, Nathan, Paris, France,2002.
8- Annie Ernaux, les années, Gallimard, Paris, France,2022.
9-Dr. Souhail Idriss, Al-Manhial, Dictionnaire, liban,2003.

الهوامش:

[١] رواية المكان تقدم حياة ابيها وتوصف الحياة الاجتماعية في مدينة النورماندي الفرنسية منتصف القرن العشرين.وتسرد ايضا جزء من سيرتها الذاتية وطفولتها.

[٢] Une femme, place, les années

[٣] الموضوع الاجتماعي يشكل جانب اساسي في اعمال اني ارنو فعنصر مهم تبيان للمجتمع الذي تعيش فيه كما ذكرت ماري هيلين في كتابها بين الادب والمجتمع طبعة ستوكهولم هولندا ٢٠١٢

[4] Place, une femme ٥

[6] Les années

[٧] بانسيتسوزان وليفير اندريه, بناء الثقافات مقالات في الترجمة الادبية, ترجمة محمد عناني, مؤسسة هنداوي لندن, ٢٠٢٢ ص ٧

[٨] Charly Gaul

بطل سباق فرنسا للدراجات من لوكسمبورغ

[٩] مغنية فرنسية مشهورة ولدت في القاهرة من جذور ايطالية

[١٠] مدينة فرنسية تقع شمال غرب فرنسا تبعد عن باريس ١٧٠ كلم

[١١] Gilbert Becaudمغني معروف فرنسي

[١٢] الفلوز كلمة فرنسية تعني ذم المحاربين الجزائرين خلال حرب الاستقلال

[١٣] مدينة في شمال غرب فرنسا في النورمندي بها نهر اورن يعبرها سميت باسمه

[١٤] اني كوردي مغنية فرنسية مشهورة ينطقون اسمها على وزن جسد يتكلم Corps dit

[١٥] Yvetotبلدة تقع شمال غرب فرنسا بمنطقة النورماندي.

[١٦] امسيات سعيدة مجلة بلجيكية واسعة الانتشار توقفت عن الاصدار ١٩٨٨ ظلت تصدر لمدة ستون عاما.

[١٧] Etoiles de Neiges اغنية فرنسية انتشرت في اربعينيات القرن المنصرم مستوحاة من اغنية المانية

[١٨] جريمة شغلت الشارع الفرنسي في الخمسينيات القرن الماضي كاهن قتل عشيقته وهي حامل ومثل بجثتها

[١٩] بطل دراجات ايطالي توفي ١٩٦٠ فاز ببولة فرنسا اربع مرات.

[٢٠] فنان فرنسي من فناني الجاز

[٢١] كاتب ايطالي توفي ١٩٥٠

[٢٢] كاتبة بريطانية مشهورة توفيت عام ١٩٩٠

[٢٣] مدينة في جنوب فرنسا يزورها المسيحين.

[٢٤] مدينة فرنسية تقع شمال غرب فرنسا في النورماندي

[٢٥] Lisieux احد مدن النورماندي شمال غرب فرنسا مزار مسيحي

[٢٦] Trouville بلدة شاطئية في النورماندي شمال غرب في النورماندي

[٢٧] ملحنة وعازفة فرنسية

[٢٨] مغنية شهيرة من اصول اسبانية

[٢٩] Nous deuxمجتة اسبوعية تصدز منذ اربعينيات القرن الماضي تعني نحن الاثنين

[٣٠] مغنية فرنسية مشهورة

[٣١] Réalitésمجلة فرنسية شهيرة كانت تصدر في خمسينيات القرن الماضي تعني الحقائق

[٣٢] رسام روسي هاجر الى فرنسا توفي ١٩٤٣

[٣٣] مجلة فرنسية صدرت لمدة طويلة

[٣٤] طبيب ياباني نسائي اكتشف فترة الخصوبة والحمل لدى المراة توفي عام ١٩٧٥

[٣٥] رواية اني ارنو ce qu ils dissent ou rien صدرت ١٩٧٧

[٣٦] كاتب فرنسي معروف توفي ١٧١١

[٣٧] شاعر وكاتب فرنسي ينتمي الى المدرسة الرومانسية توفي ١٨٥٧

[٣٨] Jules Laforgue شاعر فرنسي من رواد الرمزية والشعر الحر توفي ١٨٨٧

[٣٩] الرواية للكاتب الفرنسي الان فورنيي قتل في الحرب العالمية الاولى شابا.

[٤٠] فيلم المخرج الفرنسي الان روني حصل على جائزة فنية في مهرجان البندقية.

[٤١] مدينة سياحية غرب فرنسا

[٤٢] تقام كل سنة في فرنسا في شهر ايلول من كل سنة تفتتح فيها المزارات الثقافية مجانا امام الجمهور

[٤٣] بلدة في جنوب شرق باريس

[٤٤] مكان يوضع فيه الاخيار في العالم الاخر في المسيحية

[٤٥] لعبة يغمض احد الاطفال عينيه حين يلتفت على الاطفال الجمود في مكانهم

[٤٦] رواية انريه مالرو الكاتب الفرنسي المشهور

[٤٧] ممثل مسرحي وشاعر فرنسي توفي ٢٠١١

[٤٨] فكاهي فرنسي مشهور في القرت الماضي توفي ١٩٧٣

[٤٩] Barbara Lodenممثلة ومخرجة امريكية توفيت ١٩٨٠, Wandaفيلم اخرجته بربارا عام ١٩٧٠ يحكي قصة انثى انحرفت.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

دور عبد العزيز الـ سعود في استعادة الاراضي السعودية وتوحيدها وبناء الدولة الحديثة (١٩٠٢-١٩٥٣)

The role of Abdul Aziz Al Saud in reclaiming and unifying Saudi lands and building the modern state (1902-1953)

م.د. علي احمد مهنا
Dr. Ali Ahmed Muhanna
ali.Ahmed@uoanbar.edu.iq
جامعة الانبار- كلية التربية الاساسية – حديثة
University of Anbar - College of Basic Education - Haditha

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

نظرا لما شهدته البلاد العربية السعودية من استقرار امني ومحاولات تحسين قطاع التعليم وتحسين الاوضاع المعاشية للسكان و دمجهم في مجتمع واحد ولاسيما سكان البادية فكانت هذه البدايات الاولى منذ دخول عبدالعزيز الرياض عام ١٩٠٢ لاسيما بعد ان تمكن الانفراد بادارة البلاد وتخلصه من خصومه اسرة ال رشيد منذ ذلك الوقت اخذ يتطلع من اجل النهوض بالبلاد وايجاد حلول بديلة للواقع المتردي الذي كانت تعيشه البلاد العربية السعودية من حالة الفقر وعدم الاستقرار وانتشار الجهل والتخلف فاخذ يتطلع الى تحسين اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية فكانت من اولى خطواته هو ايجاد نظام الهجر والذي بدوره يعمل على استقرار سكان البادية والتقليل من ترحالهم من مكان الى اخر فكان عبدالعزيز يرى ان الاستقرار السياسي والامني لايمكن الا من خلال نشر العلم والمعرفة بين سكان البلاد فعمل على دعم التعليم بكل الطرق واستمر في ذلك حتى عام ١٩٣٢ عندما تمكن من توحيد البلاد واطلق عليها اسم المملكة العربية السعودية اختار لنفسه لقب الملك ونتيجة لسياسته وحكمته اخذت البلاد تنعم بالامن والاستقرار والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في شتى المجالات سواء كانت في القطاع الزراعي او الصناعي او التجارة الداخلية والخارجية والطرق والمواصلات وفي مجال التعليم الذي اولاه عناية كبيرة باعتباره الركيزة الاساسية في تقدم البلاد وازدهارها وكان للقطاع الصحي نصيب من التطور الذي شهدته المملكة العربية السعودية لذلك اعتبر الملك عبدالعزيز هو المؤسس والقائد وواضع الاسس الصحيحة للمملكة العربية السعودية .

الكلمات المفتاحية (عبد العزيز ،المملكة العربية ،الهجر ، مكة،الرياض)

Abstract

Given the security stability witnessed in Saudi Arabia, and the attempts to improve the education sector, enhance the living conditions of the population, and integrate them into a single society, especially the Bedouin, these were the initial steps following Abdulaziz's entry into Riyadh in 1902. This was particularly evident after he consolidated his control over the country and eliminated his rivals, the Al Rashid family. From that time onward, he aspired to develop the country and find alternative solutions to the deteriorating reality that Saudi Arabia was experiencing, characterized by poverty, instability, widespread ignorance, and backwardness. He focused on improving their economic and social conditions. One of his first steps was establishing the Hijra system, which aimed to stabilize the Bedouin population and reduce their nomadic lifestyle. Abdulaziz believed that political and security stability could only be achieved through the dissemination of knowledge and education among the population. He worked to support education in every way possible and continued in this endeavor until 1932 when he succeeded in unifying the country and naming it the Kingdom of Saudi Arabia. He chose the title of King for himself, and as a result of his policies... His wisdom led the country to enjoy security, stability, and economic and social prosperity in all fields, whether in the agricultural or industrial sector, internal and external trade, roads and transportation, and in the field of education, which he gave great attention to as the basic pillar in the progress and prosperity of the country. The health sector also had a share of the development that the Kingdom of Saudi Arabia witnessed. Therefore, King Abdulaziz was considered the founder, leader, and one who laid the correct foundations for the Kingdom of Saudi Arabia.
Sloilaj etikedoj (Abdul Aziz- saduda Arabic- Hegiro- Menai- Rijado)

المقدمة

كانت السعودية قبل توحيدها عبارة عن مجاميع قبلية تسكن في مناطق متفرقة تمتهن حرفة الرعي ويكون سكنهم اينما يوجد الماء والكلاء من اجل توفير المراعي لحيواناتهم فكان ابن رشيد واتباعه يسيطرون عليها ولكن في عام ١٩٠٢ تمكن عبدالعزيز بن عبدالرحمن استولى على الرياض ومن ثم اتجه الى المناطق الاخرى فاستعاد بريرة عام ١٩٠٤ والقصيم عام ١٩٠٦ والاحساء والمنطقة الشرقية والقطيف من سيطرة الدولة العثمانية عام ١٩١٣ والخربة عام ١٩١٨ واستعاد حائل عام ١٩٢١ ومن ثم اتجه الى الحجاز(مكة المكرمة والمدينة وجدة)بين عامي ١٩٢٤_١٩٢٥ وتمكن من استعادتها وفي عام ١٩٣٢ تمكن عبدالعزيز من توحيد البلاد واطلق عليها اسم المملكة العربية السعودية واختار لنفسه لقب ملك بدلا من لقب السلطان وهكذا تمكن الملك عبدالعزيز من توحيد شبه الجزيرة العربية واقام دولة لها كيان سياسي فاصبح بمرور الزمن يحضى باهمية ستراتيجية في الساحة الاقليمية والدولية ولم يدخر

الملك عبدالعزيز اي جهد من اجل بناء المملكة وتوحيدها اذ اعطى اهمية كبيرة في الجوانب الدينية والادارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية والطرق والمواصلات فعمل على تأسيس مجلس الوكلاء وكذلك تأسيس المديرية العامة للحج والعمرة لتقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام كذلك عمل على انشاء مديرية المعارف العامة التي كان لها الدور الكبير من اجل تطوير القطاع التعليمي من اجل نشر الوعي والثقافة بين ابناء المجتمع والقضاء على الامية والتخلف اما في المجال الاقتصادي سعى الملك عبدالعزيز على ضرورة ايجاد مورد اقتصادي مهم من شأنه ان يلبي احتياجات الدولة والمواطن فاتجه الملك عبدالعزيز نحو استثمار الثروة الطبيعية لا سيما البترول الذي اخذ يرفد الدولة بمورد اقتصادي مهم ابتدائا من العام ١٩٣٨ ما انعكس ايجابا على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد فازدهرت بشكل كبير جدا اما عن دوره في مجال السياسة الخارجية والداخلية ففي السياسة الداخلية كان دوره واضحا من خلال ما تم التطرق اليه من ازدهار اقتصادي واجتماعي وبناء مؤسسة عسكرية لها دور كبير في استباب الامن وحماية حدود الدولة اما عن السياسة الخارجية فكانت سياسة محنكة اذ تمكن من الحصول على الاعتراف من اغلب الدول الاوربية والعربية بحكومته فاصبح للمملكة دور بارز في الساحة والعربية والاقليمية والدولية اذ كان من السباقين لدعم القضايا العربية فاستمر في حكمه حتى وفاته عام ١٩٥٣ وهو يعتبر مؤسس المملكة

المبحث الاول

مرحلة استعادة الرياض وتوطيد السلطة (١٩٠٢_ ١٩١٣)

في نهاية القرن التاسع عشر نشط السعوديون في عهد الامير عبد الرحمن الفيصل ال سعود الذي دخل في مناوشات مع ابن الرشيد امير حائل الذي كان يحضى بتأيد العثمانين ودعمهم له , وبعد معركه القصيم المشهورة بين اهل القصيم وابن الرشيد والتي حدثت عام ١٨٩٠ , ما اضطر الامير عبد الرحمن الانسحاب الى الكويت تاركاً الرياض وذلك لقناعته لئنه لم يعد قادر على الوقوف بوجه ابن الرشيد وطموحاته, اما عن بداية دور عبد العزيز ابن سعود كانت عام ١٩٠١ عندما خرج من الكويت مع مجموعه صغيره من اقاربه ومؤيديه في محاوله منه لاستعادة ملك اجداده في الرياض وبمساعده ودعم بسيط من الشيخ مبارك الصباح حاكم امارة الكويت في ذلك الوقت , وقد استطاع عبد العزيز ان يخوض معارك مع ابن الرشيد وان ينتصر علية و يحرر مدينه الرياض عام ١٩٠٢ والتي كانت بداية الانطلاقه لتحرير باقي الاراضي السعوديه وهي ما اطلق عليها بعد توحيدها المملكة العربية السعودية [١]استطاع عبد العزيز ال سعود ان يضع البنيه الاولى لهذا الكيان الشامخ وتسليم مقاليد الحكم والامامه بعد ان تنازل له والده عبد الرحمن بن فيصل عن الحكم بعد ذلك توجهة انظره الى توحيد مناطق نجد, بصوره تدرجية اذ بدأ بالمناطق الواقعه جنوب الرياض بعد انتصاره في بلدة الدليم القريبه من الخرج

فدانت له كل بلدان الجنوب والخرج والجوف والافلاج وبلدان وادي الدواسر ومن ثم اتجه الى منطقة الوشم ودخل بلدة شقراء ومن ثم واصل زحفه صوب بلدة شارق وبعدها انطلق الى منطقة سدير ودخل بلدة المجمعة وبهذا الجهد العسكري تمكن عبد العزيز من توحيد مناطق الوشم وسدير وضعها تحت مسمى الدولة السعودية بعد ان خاض مجموعة من المعارك مع خصومه منها معركة الفيضيه ومعركة البكريه ومعركة الشنانه [٢] . وقد استمر الصراع بين عبد العزيز وابن رشيد في مناطق عديده وكانت تنتهي بأنتصار عبد العزيز وهكذا اصبح عبد العزيز سيد منطقه نجد الوسطى[٣] فضلا عن المنطقة الجنوبية والتي تجمع الخرج والحوطة والحربي وقد اثار استيلاء عبد العزيز على الرياض وبسط نفوذه على نجد بسرعة غير متوقعه مخاوف الدولة العثمانية عندما اخذت تشعر بان مصالحها في المنطقه تتعرض للخطر كما انها رأت في قوته واتساع نفوذه ضياعاً لسلطاتها وهيبتها لايسمى ان عبد العزيز سيكون مثالاً يحتدى به من قبل الزعماء العرب الاخرين في المنطقة فتخسر مكانتها وممتلكاتها لاسيمى عندما اصبح مركز الدولة حرجاً في بلاد العرب بعد ان دخلت الكويت تحت الحماية البريطانية وقيام الثورة اليمنية على الحكم وتمت البيعة للامام يحيى وشاعت الفوضى والفتنة في البلاد كذلك رأت الدولة العثمانية ضرورة الحد من السلطان عبد العزيز فسارعت الى مساندة ابن رشيد خصم ابن سعود وارسلت اليه جيشاً مزود بالاسلحة الحديثة والذخيرة واربعة عشر مدفعاً والاموال والجمال واخذ يتحين الفرصة لانزال الهزيمة بأبن سعود الا ان الذي حدث هو تمكن ابن سعود من انزال هزيمة بابن رشيد في وقعة الدليم عام ١٩٠٢ واستمرت المناوشات مع ابن رشيد والقبائل المؤيده له كما حدثة وقعة ابن جراد عام ١٩٠٣ واخذ ابن رشيد يطلب الدعم من العثمانين لكن دون جدوى حتى حدثة وقعة وادي الرمة في ايلول ١٩٠٤ وكانت لصالح ابن سعود[٤] فكانت الدولة العثمانية تسعى من وراء ذلك لتحقيق مكاسبها وهي استرجاع ما اخذه ابن سعود من ممتلكاتها فقد قدمت كل وسائل الدعم والاسناد لابن رشيد من اجل التخلص من عبد العزيز لكن الذي حدث في موقعة الشنانه عام ١٩٠٤ هو هزيمة ابن رشيد والتي تعتبر من المواقع الفاصلة في تاريخ نجد عام ١٩٠٤ ما دفع الدولة العثمانية الى التخلي عن مساعدة ابن رشيد واخذت تحاول التقرب من ابن سعود فطلبت منه الدخول معها في مفاوضات وكان من بين ماتم طرحه في المفاوضات هو الاعتراف بسلطان الإمام عبد العزيز على ما في يده من نجد وعلى ان يكون للدولة العثمانية فيها مستشارين[٥] وبعدما دخلت الدولة العثمانية في مفاوضات جديدة مع عبد العزيز لكن لم تصل الى نتيجة تذكر ما افتح المجال لتجدد الصراع بين عبد العزيز وابن الرشيد ا بواقعت روضة المهنا في نيسان عام ١٩٠٦ والتي قتل فيها ابن رشيد[٦]. مما اجبر القوه العثمانية المتواجده على التراجع من المنطقة والرحيل بشكل كامل وبهذا الحدث التاريخي المهم الذي انهى فترة داميه من الصراع على من سيتولى ويتربع على العرش السعودي بهذا انفرد ابن سعود السيطرة على مناطق السعودية بهدف توحيدها

واخذ يحاول إقامة مملكة فيها فأخذ يتطلع بعد ان تمكن من تحرير اقليم نجد اتجه من اجل السيطرة على المنطقة الشرقية اذ كانت الأحساء في نظره تمثل ضرورة حيوية ومنفذ بحري هام يخلصه من العثمانين والانكليز في الداخل حتى يضمن سهولة التنقل لاستكمال تحرير الاجزاء المتبقية من اقاليم الدولة السعودية قبل توحيدها[٧] . واستمر ابن سعود في قتال ما تبقى من اتباع ابن رشيد من اجل اكمال تحرير كافة المناطق فخاض معهم واقعة الطرفية في ١٤ ايلول ١٩٠٧ وكذلك واقعة هديه في ١٠ حزيران ١٩١٠ وتمكن من الانتصار عليهم واجبارهم على التراجع الى خارج الحدود وفي عام ١٩١١تمكن من السيطرة على مناطق القصيم والقضاء على بقايا نفوذ ال رشيد اما في عام ١٩١٢فقد توسع نفوذه في الاجزاء الشرقية وتنظيم شؤن المناطق الخاضعة لحكمه وترسيخ الامن فيها لاسيما في نجد والقصيم [٨]

المبحث الثاني

مرحلة توحيد المملكة وبناء الدولة الحديثة (١٩١٣ _١٩٣٢)

ويمكن اعتبار هذا هو التاريخ الرسمي لضم الاحساء بعد انهاء الوجود العثماني فيها ومن ثم ضم القطيف التي الحقت بالحكم السعودي عام ١٩١٣ اذ اعتبرت من اهم الانجازات في تلك المرحلة لئنه وفر منفذا بحريا على الخليج العربي وعزز القوة الاقتصادية والسياسية للدولة الناشئة ومهد لاستكمال مشروع توحيد البلاد وصولا الى اعلان قيام المملكة العربية السعودية هذا ما اثار مخاوف الدوله العثمانية لاسيما وان ابن سعود اصبح قريبا من بريطانيا وان الحرب العالمية الاولى على الابواب ، هذا ما يشكل خطر على مركزية العثمانين بعد ان اعلنوا الوقوف الى جانب المانيا في الحرب التي كانت تسعى للسيطره على الخليج العربي. من اجل اضعاف ابن سعود عمل العثمانيون على تقديم الدعم الى انصار ابن الرشيد ومحاولة اعادتهم لقتال ابن سعود حتى لا يستمر في حكم السعودية فقام العثمانيون بتقديم لاتباع ابن رشيد بإعطائهم عشره الاف بندقيه وكميات كبيره من الذخائر والمال لقتال ابن سعود الا ان الانكليز شعروا بالخطر على مصالحهم في الخليج اذا ما رجحت كفت انصار العثمانيون وبذلك سيكون موطئ قدم الألمان الذين يسعون لبسط نفوذهم في منطقه الخليج العربي فعمل الانكليز على تقديم المساعدات لابن سعود من معدات واموال وكانت واقعه جراب في شباط ١٩١٥ والتي اسفرت عن خسائر مشتركه مني بها الطرفين وكذلك قتل فيها اخوه سعد بن عبد الرحمن وجرح عبد العزيز[٩] وبعدها جرت مفاوضات بين برطانيا وعبد العزيز فكانت تمهيدا للاتفاقية السعودية البريطانية التي تم التوقيع عليها عام ١٩١٥ وعرفت بمعاهدة دارين او القطيف فتم التوقيع عليها من قبل عبد العزيز ال سعود وسير برسي كوكس المقيم البرطاني في الخليج وذلك في منطقة دارين قرب القطيف اذ ضلت هذه المعاهدة هي الاساس كما تم استبدالها بمعاهدة اخرى في كانون الاول عام [١٠] ١٩١٦ وفي اثناء

الحرب العالمية الأولى سعى كل من البريطانيون والعثمانيون كل من جهه لاستمالة عبد العزيز بجانبه ولا سيما بعد أن تبينت قوته عندما تمكن من القضاء على خصومه وتمكن من السيطره على مدن المملكة العربية السعودية والتي سوف نذكرها فيما بعد[١١] فقامت بريطانيا عام ١٩١٥ بالاعتراف بموجب معاهدة عقدتها معه بأن تكون نجد والاحساء والقطيف والجبيل وملحقاتها والموانئ التابعة لها على سواحل الخليج العربي جمعياً من ممتلكات الدولة السعودية الحديثة [١٢] ، و اعترفت به حاكماً مطلقاً على جميع القبائل الموجوده فيها[١٣] مقابل ذلك تعهد عبد العزيز ال سعود من جانبة بعدم الاعتداء على الكويت وقطر وساحل عمان وكل المشيخات الموجودة تحت الحماية البريطانية وان لا يتدخل في شؤنها على يتم تحديد الحدود بين بلاده وبين هذه الاقطار في اتفاقيات لاحقة ومع نهاية الحرب العالمية الأولى قد سيطر عبد العزيز سيطره مطلقة على عامل القسم الشرقي من جزيرة العرب لقد كان الملك عبد العزيز ، صاحب مواقف سياسية ثابتة [١٤] وعندما كانت بريطانيا والدولة العثمانية هما اقوى دولتين في المنطقة وولهما تأثير مباشر على مشروع ابن سعود في توحيد السعودية خلال المرحلة الأولى وعلى هذا الاساس قام ببذل جهود كبيرة من اجل التفاهم مع الدولة العثمانية من اجل ايقاف تدخلاتها في مشروعة توحيد السعودية وكذلك باعتباره اكثر خبره ومعرفة من ولاتها في شؤن الجزيرة العربية، الا ان العثمانين لم يفهموه حق الفهم، بعدها جرت بينهم مراسلات عديدة تدل على المجهود الذي بذله عبد العزيز من اجل اقناع الدولة العثمانية في حقائق الأمور وتنبيهها إلى الاخطار التي تحيط بالجزيرة العربية نتيجة الاطماع الأوربية في منطقة الخليج العربي لكن العثمانيون ظنو ان عبد العزيز رجل عادي وبالامكان التعامل معه على غرار سواه من امراء الجزيرة العربية اما بريطانيا بالرغم ما بذلته من محاولات لاحتواء عبد العزيز فانها لم تتمكن من ان تجد لها موطئ قدم في المنطقه واعترفت بصراحه بشجاعتة وسياسته وحكمة ولقد حفلت الكتب والمذكرات السياسية بقصص الصراع السياسي الذي دار بين عبد العزيز وبريطانيا فكان سياسياً حكيماً ماهراً ، كما ارسى دعائم الحكم داخل البلاد التي حررها كذلك ارسى دعائم الحكم داخل المدن التي ضمها تحت سلطته [١٥]

وفي كانون الأول ١٩١٦ عقد عبد العزيز معاهده مع الانكليز ضد العثمانين وذلك بسبب وقوفهم الى جانب المانيا في الحرب العالمية الأولى بعدها طلبت الحكومة الانكليزية من عبد العزيز التقدم نحو الطائف فاستجاب لطلبها وفي ايلول عام ١٩٢٤ قامت مجموعة من مؤيدي ابن سعود بالتقدم نحو الطائف من اجل دخولها وبالفعل دخلوها بالرغم من الدفاعات التي قامت بها الفرق المؤيدة للشريف حسين وبعدها تمكنوا من دخول المدينة المنوره ولم تجدي محاولات علي بن الحسين بالقيام بهجمات مضادة و هكذا بدأ الضعف يدب في اوصال حكومة الشريف حسين ومن ثم انهارت ما اضطره الى الخروج من جده باتجاه العقبة، وفي ٦ ١ تشرين الاول ١٩٢٤ دخل جيش عبد العزيز مكة المكرمه بعد

ان حاول علي بن الحسين تحصين جده والدفاع عنها لكن ذلك لم يجدي نفعا مااضطره الى مهادنة ابن سعود ومن ثم عقد اتفاقية معه سلم فيها المدينة ، بالمقابل حصل على تعهد من السلطان عبد العزيز بعدم الاقتصاص من الموظفين المؤيدين للحكم الشريفي[١٦] . وفي٥ كانون الأول١٩٢٤ دخل عبدالعزيز بنفسه الى مكة بعد ان تمكن جيشه فرض السيطرة عليها فاخذ بتهدأت روع اهلها من المخاوف التي انتابة العالم الإسلامي بعد استيلاء عبد العزيز على الديار المقدسة لما لها من حرمة وقدسيه في نفوس المسلمين بعدها دعا الى عقد مؤتمر في مكة في حزيران ١٩٢٦ [١٧] . اثارة دعوة عبد العزيز لعقد مؤتمر اسلامي بمكة ليقرر مصير الحجاز لذلك استاء الحجازيون وتذمرو من ذلك إذ اعتبر هذا تجاهلاً لهم وانكاراً لاهليتهم لتقرير مصير دولتهم فضلاً عن تخوفهم من ان يقرر المؤتمرون فكرة جمعية الخلافة الهندية والتي اكدت على جعل الحكم مركزياً هذا يؤدي الى ابعادهم عن مفاصل الحكم والادارة [١٨] اما عن الأسباب التي كانت وراء عقد المؤتمر في مكة والحقيقة ان قبول الملك عبد العزيز البيعة جنب الحجاز من الوقوع تحت رحمة قوى اجنبية ذات اراء متابينه ولاشك ان عبد العزيز اقتنع باهميه وضرورة عقد المؤتمر ولا سيما في ذلك الوقت بدأ العالم الإسلامي يتحرك وتم ارسال مجموعة من البرقيات والكتب من الممالك الاسلامية تطالب بعقد المؤتمر[١٩]. وعندما اراد عبد العزيز اعطاء الشرعية للمؤتمر فعمل على تجديد الدعواة لعقده لكن ادخل صيغه اخرى بأن الغاية من عقد الموتمر الاسلامي هو لبحث الوسائل الكفيلة لراحة الحجاج دون التطرق الى بحث مصير الحجاز ولاشك ان عبد العزيز استهدف من هذا المؤتمر بصورته الجديده ارضاء العالم الإسلامي وتأييده وذلك بقبول الوفود الاسلامية المجيئ الى الحجاز تحت ظل النظام الجديد وعلى هذا الاساس ارسلت دعوة بشكل برقية في ٢٦ مارس ١٩٢٦ باسم عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد الى الحكومات الدول الاسلامية من اجل المشاركة في المؤتمر المزمع عقده في مكة [٢٠].فكان للمؤتمر نتائج ايجابية بالنسبه لعبد العزيز اذا اعتبرت من اهم النقاط الجوهرية التي اضفت الشرعية لسلطة عبد العزيز على المناطق التي سيطرة عليها نذكر منها:

١- نجح عبد العزيز في تحقيق هدف مهم من انعقاد المؤتمر هو اعتراف العالم الاسلامي بسلطته على الحجاز وتأكيد البيعة التي تمت على يد اهلها

٢-اتاحت مسالة التسامح الديني وحرية المذاهب وهو الهدف الذي رسمه من اجل توحيد المملكة العربية

٣- كان المؤتمر قد عقد لبحث مشاكل الحجاز والنهوض به عمرانياً واقتصاديا وفرصه كبيره لتوحد كلمة المسلمين بمعنى جديد [٢١]

وبعد ان حصل عبد العزيز على تأيد من قبل الوفود الإسلامية التي حضرت مؤتمر مكه وتم الحصول على الشرعية والتأييد له، اتجه عبد العزيز للحصول على دعم من بريطانيا باعتبارها هي الدولة صاحبة النفوذ في منطقة الخليج العربي فجرت مفاوضات جديدة بين الطرفين توجت بعقد معاهدة

جده في عام ١٩٢٧ وبالرغم من ان هذه المعاهدة كانت لصالح بريطانيا في الاغلب الا انها تعتبر نقطة تحول في العلاقات السعودية البريطانية اذا اعترفت بريطانيا بموجبها بسلطة عبد العزيز واستقلاله في نجد والاحساء والجبيل والقطيف وما بينهما من مواني و سواحل والتي يحاول توحيدها ودمجها تحت مسمى المملكة العربية السعودية لتصبح أول دولة عربية تحقق استقلالها السياسي وسيادتها التامة هذا كله لم يكن لولا وجود سياسة محنكة وحكيمة عملة بجد على الصعيد الخارجي والداخلي[٢٢] ٠ وفي عام ١٩٢٧ اصبح ابن سعود ملكا على مكه ونجد والحجاز و ملحقاتها و بادرت فرنسا بالاعتراف بالدولة السعودية الجديده وكانت من اول الدول الكبرى التي اقدمت على هذه الخطوة غير انها لم تغير تمثيلها الدبلماسي ، من قنصليه الى سفاره الا بعد ان استقرت اوضاع السعودية بالكامل وتم توحيدها كما حذا حذوها كل من روسيا وبريطانيا غير أن قسم من الدول العربية تحفظت لا سيما مصر باعتبار انها تخوفت من الاجرات الي يمكن ان يقوم بها عبد العزيز . اما ايران فلم تعترف بالنظام الجديد الا عام ١٩٢٩. وبعد أعتراف بريطانيا بسياسته على نجد وعسير والحجاز وما قدمة له من دعم وتسهيلات ساهمت الى حدما في تحقيق انتصاراته على خصومه في الحجاز وعسير وسيطرته على مكه والمدينه كما أن بريطانيا استفادت من سطوته على هذه المناطق من اجل التخلص من الشريف حسين وافكاره الوحدويه والتي تتعارض مع سياستها في المنطقة [٢٣] . وتعد تجربة عبد العزيز بن سعود من اجل المملكة مثالاً فريداً في الوطن العربي على التغير المثير في توزيع السكان فقد شهدت في بداية الثلاثينات طفرة في نمط الحياة والتوزيع ارتبطت منذ البداية بالتطور الاقتصادي [٢٤] وكان من اهم الاعمال التي يقوم بها عبد العزيز في المناطق التي تم تحديدها ففي الجانب الاجتماعي كان يرى ان حياة البداوة غير مستقره مثلا في نجد والقصيم اذ يراها من الاسباب الاساسية التي تعرقل انشاء الدولة الحديثة المستقرة التي يريدها ويفكر فيها لذلك أولى اهتماما. كبيرا في تطوير وتحرير المجتمع من طور الرعي والارتحال ، ليدخل الى طور الزراعة والاستقرار وان يكون ارتباطه بالارض بد لأ من الرحيل والسعي وراء الكلا والمراعي، وان يكون له مورد موسمي ثابت لذلك اخذ يفكر في مشروع اقتصادي و اجتماعي من شأنه ان يعمل على توحيد المملكة العربية السعودية فاول مشاريعة هو اختيار منطقة الارطاوية لتوطين البدو فيها والاستقرار[٢٥] ، وكان سبب اختيار منطقة الارطاوية لتوطين البدو فيها وذلك لموقعها المهم فهي تقع في اطراف مقاطعة القصيم على الطريق الممتد من الكويت إلى بريرة وكان يوجد فيها عدد من الابار و من ثم فالقبائل كانت تمر بها للرعي المواشي كما تمربها قوافل التجار ويجتازها المسافرون للتزود منها بالمياه من الابار الموجودة فيها ومن اجل انجاح هذا المشروع اخذ عبد العزيز بتوزيع الأراضي في تلك المنطقة على مجموعة من العشائر المتواجدة هنالك من اجل الاستقرار والزراعة فيها [٢٦] ان هذا المشروع في الواقع هو لتوطين البدو الرحل وتعليمهم الزراعة والعيش والاستقرار في بيوت امنه تشكل كل

مجموعة منها قرية زراعية، ومن ثم الاستمرار في مزاولة طرق حياتهم ورعي الابل والاغنام وبالفعل تم تدريب مجموعة من الفلاحين من سكان مناطق البلاد القريبة والذين عملو على تدريب البدو على الاعمال الزراعية ولم يكن هدف عبد العزيز قبل من توحد المملكة بتوطين البدو فحسب بل حدد نظاما توزيع الاراضي وكذلك توفيره المياه ونظم لهم سجلاً للنفوس وزود كل فرد منهم بالسلاح والعتاد من اجل الدفاع البلاد اذ ما تعرضت الى الاعتداء وقد شجع مشروع الارطاوية عبد العزيز على المواصلة في دعم هذه المشروع نتيجة لما حققه من استقرار في تلك المنطقة ليكون دافا للمناطق المجاورة [٢٧]

المبحث الثالث

جهود الملك عبد العزيز في ترسيخ الدولة وبناء مؤسساتها (١٩٣٢_١٩٣٨)

وبعدما و جد عبد العزيز من الضرورة جمع هذه المناطق وتوحيدها تحت مسمى واحد باسم المملكه العربيه السعوديه وكان ذلك يوم الاثنين ١٩ ايلول ١٩٣٢ م [٢٨] و بعد اعلان توحد المملكة العربية السعودية واصبح عبد العزيز ملكاً عليها أصدر مرسوماً ملكيا رقم ٢٧١٦ في٢٣ ايلول ١٩٣٢ حول نظام توحيد المملكة العربية السعودية والذي تضمنت:

المادة الاولى منه: يتحول اسم الملكة الحجازية النجدية وملحقاتها إلى اسم المملكة العربية السعوديه

المادة الثانيه :يجري مفعول هذا التحويل اعتبارا من تاريخ اعلاه

المادة الثالثة : الا يكون لهذا التحويل اي اثر على المعاهدات والاتفاقيات والالتزامات الدولية الأخرى ، كذلك لا يكون له تأثير على العقود والافراد في التزاماتهم الخاصه بل تبقى نافذة

المادة الرابعة : سائر الانظمة والتعليمات والاوامر السابقة والصادرة من قبلنا قبل توحيد المملكة تبقى سارية المفعول و معمول بها بعد هذا التحول

المادة الخامسة : تستمر تشكيلات حكومتنا الحالية في الحجاز وملحقاتها على نفس ماكانت عليه بشكل مؤقت إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للملكة تقوم على اساس مبدا توحيد المملكة والنظام الجديد الذي يخدم الجميع دون استثناء احد المادة السادسة : على مجلس وكلائنا الحالي الشروع حالاً في وضع نظام اساسي للملكة ونظام التوارث الخاص بالحكم لعرش المملكة نظام الحكم في التشكيلات الاقوى فيتم عرضها على الديوان الملكي لتصريفها واختيار الاشخاص المناسبين لتولي المهام في التشكيلات الاخرى [٢٩] و بعد ان تم توحيدها واطلق عليها المملكة العربية السعودية كذلك لقبه نفسه الملك عبد العزيز ابن سعود واختير هذا اليوم باسم اليوم الوطني وتم وضع شعار الدولة الحالي سيفان متقاطعان وبينهما نخلة اما العلم فاصبح لونه أخضر مستطيل الشكل تتوسطه شهادة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وتحتها سيف باللون الابيض كما وشملت جهود الملك الكثير من مظاهر الحياة حينذاك السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية [٣٠] .اما عن السياسة الداخلية التي اتخذها الملك عبد

العزيز لقد كان الملك عبد العزيز يضع في مقدمة اهتماماته حرصه على تنظيم ، امور البلاد وتصريف شؤون البلاد هي حقيقة تاريخية مليئة بالمصاعب والمشاق ولكن الملك عبد العزيز كان يتمتع بشخصية متعددة الجوانب متنوعة المزايا منها الذكاء والطموح والأمل والعزم فحرصه على وضع مقومات النهضة ودعائم الاصلاح وتوطيد السلم والأمن والاستقرار وفي ظل ذلك ازدهرت التجارة وتوسعت المدن والقرى وعمل على تطوير ما يسمى بالهجر والذي سنتطرق عنه لاحقاً فكانت الايام الأولى من توحيد الملكة تميز حكمه بالصرامة والشدة واليقظة وبعد استتباب الأمن فإن سياسته في الجانب الاداري اخذت اسلوباً آخر ومنهجاً جديدا . فاقام ركائز التنظيمات الإدارية[٣١] فبعد امساكه بزمام الامور قام بتكوين لجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي اعتبرت معاطات الخمر والتدخين من المخالفات الشرعيه والتي يعاقب عليها بشدة بأمر من اللجنة المشكلة وكانت توكد على كل فرد ان يواظب على تأدية الصلوات المفروضة في المساجد [٣٢]

المبحث الرابع

دور الملك عبدالعزيز في النهوض بالواقع الاقتصادي والاجتماعي بعد اكتشاف النفط بالمملكة (١٩٣٨ -١٩٥٣)

وبعد ان نشر الامن والاستقرار في كل انحاء البلاد على الرغم من صعوبة وسائل النقل التي كانت بدائية في تلك الفترة التي كانت من الابل والخيل من اجل نقل الخطابات هذا كان في بداية. توحيد المملكة ولكن الأوضاع اخذت بالتحسن التدريجي مع البداية الأولى لظهور النفط والذي بدأت التنقيبات عنه منذ عام ١٩٢٣ وكان ذلك بتشجيع من السير برسي كوكس الذي كان حاكما على العراق والمحاولة الثانية بدأت مع مجيئ المستر كراين الامريكي واجتماعه مع ابن سعود وعلى اثرها قام احد المقربين المساعدين الكراين يدعى كارل تويشل بتقديم دراسة . تشير الى أن طبيعة تلال الظهران توحي بوجود الزيت وقد رفع ذلك التقرير الى الشركات الاستثمارية لذا لفت ذلك التقرير انظار شركة ستاندرد اويل كومباني اف كاليفورنيا فأرسلت ممثلها المستر لو يد هاملتون مع المهندس توتيشل كمستشار فني لاجرأ مفاوضات مع ابن سعود وبعد ان اجريت اتصالات تمهدية والتي من خلالها ابدت الحكومة السعودية استعدادها لمنحها امتياز التنقيب مقابل حصولها على مبلغ ٥٠ الف جنيه ذهباً مقدماً تدفعها الشركة مقابل توقع عقد الامتياز وبعدما أخذ الوضع بالتحسن بصورة تدريجية فتم ادخال البرقية في المراسلات[٣٣] وتطور الجانب الاداري ووجد نظام البريد و الكمارك وكون اجهزة الشرطة والجيش وخفر السواحل وعمل على انشاء طرق لتسهل عملية النقل كل ذلك من اجل توفير خدمات لسكان المملكة ومن اجل اكمال عملية ربط اجزاء المملكة المترامية الاطراف بعضها ببعض [٣٤] ولم يكن الوصول الى هدف التوحيد هو نهاية المطاف بل تلا ذلك سنوات من العمل الشاق و توحيد الكيان الجغرافي للملكة

العربية السعودية وبعد ما بدات عجلة التطور الحضاري والاداري والتنظيمي بالسير على مستوى شامل لجميع ارجاء الدولة كما شهدت تلك الفترة العديد من العوامل البارزة التي اثرت بدورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المملكة [٣٥] لقد سار الملك عبد العزيز بخطى ثابتة في ادارة البلاد وتحدى كل المعوقات والمصاعب وانطلقت الإدارة السياسية في عهده اذ كانت موارد الدولة قليلة والإمكانيات محدودة. في تلك الفترة وتباعد المسافات بين أجزاء المملكة من قرى ومناطق صحراوية ومدن فاولى اهتماماً كبيراً بأمور البلاد وخدمة ابنائها وتوفير متطلبات الحياة الحرة الكريمة فكانت دعامة سياسته الرامية إلى توحيد البلاد وتطورها بالشكل الذي يتلائم مع ابناء المملكة العربية السعودية فقام بالاهتمام بالاعمال العمرانية والثقافية والدينة وثبت قواعد واسس وادارة اعمال الدولة وانتهج في تعامله مع مواطنية سياسية قائمة على الشورى والتسامح مسترشداً بما جاء به ديننا الاسلامي الحنيف وكان لهذا النهج الأثر الكبير فيما تعيشه المملكة من تطور اخذ يطال كل مفاصل الحياة والذي اخذ المواطن ينعم به ويلتمسه من اهتمام واضح من قبل الملك عبد العزيز مع المواطنين[٣٦] ومن ظمن الانجازات التي عمل عليها الملك عبد العزيز بعد توحيد المملكة هو تحويل ابن العشيرة الى مواطن يمؤمن بوجودالدولة وله كيان وحياة حرة كريمة ومستقرة بعد ان كان يمارس حياة الترحال واعمل ابن سعود على ايجاد ما يسمى نظام الهجر والذي يقوم على انه حيثما وجد الماء في قلب الجزيره العربيه كان على اقرب قبيله بدويه منه تهجر بيوت الشعر وان تبني الى جوار الماء وتربية الماشيه وتزرع وتستقر وتقدم لها الدوله مساعده ماليه من اجل البناء واحتياجات الزراعه وقد بلغ عدد الهجر في بداية توحيد المملكة هجر١٥٣ [٣٧] ومن اهتمام الملك عبد العزيز بمشروع الهجر عمل على ايجاد مدرسه في كل هجره من هجر الباديه التي استقر فيها وكذلك ايجاد نظام صحي لهم في تلك المناطق لتقديم الرعايه الصحيه التي يحتاجون بها حالهم حال بناء القرى المستقرة [٣٨] وقد حرص الملك عبد العزير على اختيار اماكن (الهجر) وأن يقع كل حجر على بئر او نبع ماء لئنه لا يمكن ان تقوم زراعة من دون وجود ماء ، و كما عمل على مساعدة كل قبيلة تركت البادية واتجهت الى الهجر يقوم ببناء مسجد لها ويقدم لهم المال من اجل بناء بيوت من اللبن لتسكنها بدلا من الخيام الشعر التي اعتمدت السكن فيها، وعمل على توفير بذور النباتات الصالحة للزراعة من اجل انجاح القطاع الزراعي في تلك المناطق كما كان للخطباء في المساجد دور كبير لتوعية وارشاد الناس على حياة الاستقرار والتعاون مع الدوله وعلى اثر ذلك قامت الكثير من القبائل على السكن في مناطق الهجر المختلفة [٣٩] وعندما استقرت الأمور وتولى الملك عبد العزيز زمام الامور في الملكة بدأ يعمل على بناء اجهزة الدوله وتوجيهها والإشراف علها كما عمل بشكل جدي على حل المشاكل الاجتماعية والمالية التي كان يعاني مها المجتمع السعودي الذي تحكمة العلاقات العشائريه ووالقبيلة وممارسة الغزو والسلب والنهب وفقدان الامن والخوف ، فاستطاع الملك عبد

العزيز بما عرف عنه من عزم وقوة ان يوطد امن البلاد وان يجمع كلمة القبائل ويعودها على الخضوع للنظام والقوانين الجديدة وان يعرفها بامور الحياة المبنية على النظام والقانون الذي اخذ يسود البلاد[٤٠] كما اثر التباين الجغرافي بين مناطق المملكة العربية السعودية على اختلاف الحرف والمهن والأدوار الاجتماعية للافراد فى كل منطقه فالمنطقة الغربية من الجزيرة العربية بما عرف عنها من انفتاح على العالم من خلال استقبالها الملايين من الحجاج والمعتمرين والزوار سنويا، فنجد سكانها وقد انتشرت بينهم التجاره على انها حرفه رئيسية في المنطقة الجنوبية والمنطقة الشمالية ، وبما يوجد فيها من مراعي نتيجة لسقوط الامطار عليها فقد امتاز سكانها بالزراعة والرعي ، كما بدأة هذه المناطق تجلب للدولة مورد مالي من خلال الرسوم الكمركية الى كانت تفرض على البضائع إلى تصل موانئ المنطقه الشرقيه مثل ميناء الصقر والجبيل ومن ثم زاد التحسن بعد اكتشاف النفط في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٨ ومنذ ذلك التاريخ اصبح مورد المملكة المالي ينشا من زياده انتاج النفط وهو المحرك الاساسي في تطوير الملكة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية [٤١] كما عمل الملك عبد العزيز على ادخال كثيرا من التطورات على التنظيم الاجتماعي والاداري بصفه عامة لسكان المملكة العربية السعودية وعمل على انشاء مرافق الصحه والتعليم والتدريب اذ حققت في ذلك معدلات قياسية بالنسبة لمعظم الدول ذات الظروف المشابهه كما حرصت الدوله في الوقت نفسه على تشجيع كافة الجهود الخاصة بتوطين اكبر عدد ممكن من سكان البادية الرحل وشبه الرحل وترك بعض النشاطات الانتاجية البدائية . الى المجالات الانتاجية الحديثة وبالتالي اتاحة مجالات اوسع للعمل بالنسبة لكافة المواطنين من اجل الاستقرار الداخلي [٤٢]وتم التخطيط من اجل بلورة مقومات دولة حديثة بإهتمام بالغ من قبل الملك عبد العزيز من اجل اللحاق بالركب الحضاري العالمي وذلك لتحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية فمنها

١- الاستقرار: وهذه حقيقة تاريخية تميزت بها هذه المنطقة من الجزيرة العربية منذ ان تم توحيدها على يد الملك عبد العزيز

٢ - بناء اقتصاد ثابت عن طريق ايجاد مصادر حيوية تعني بحاجة المواطن الاساسية من اجل مواصلة نشاطه داخل المملكة

٣- بناء المجتمع الداخلي للمملكة وتنظيم علاقاته الخارجية. عن طريق التعليم الاجتماعي الذي حرصت مرحلة التطور على تحقيق هذه الأهداف وبناء المجتمع على اسس واعية تقدر المراحل التاريخية التي اجتازتها المملكة حتى حققت الهدف في وحدة أراضيها واستقرارها

و صاحب التغير الاجتماعي في المملكه العربيه السعوديه عده عوامل اهمها. التطور السياسي يتمثل في توحيد اجزاء المملكه العربيه السعوديه على يد الملك عبد العزيز ابن سعود الذي كان عهده

بدايه مرحله الامن والاستقرار والتي ادت الى تعريف البدو كغيرهم من المواطنين من المواطنين بسلطات الدوله بهذا نجح الملك عبد العزيز في الانجازات الحضاريه التي اشارت بها الكتب الاجنبيه والعربيه اذ وجده اول وحده اجتماعيه لطبيعة حياتهم [٤٣] اما عن جهود الملك عبد العزيز في معالجة اثار الأزمة الاقتصادية العالمية على المملكة ففي الجانب الاقتصادي والاجتماعي اذ تدهورت الاوضاع في تلك الفترة وانخفاض عدد الحجاج الوافدين الى المملكة العربية السعودية من ١٥٠ الف حاج عام ١٩٢٦ الى ١١٠١٩ الف حاج عام ١٩٣٣ ومن المعروف ان الحج كان يمثل الدخل الاساسي للملكة قبل الاعتماد على موارد النفط ، واصبحت خزينة الدولة شبه خاوية من الاموال واتخذت الحكومة السعودية قراراً يوقف سداد الدين الاصلي ورواتب الموظفين من اجل التخفيف من حدة الأزمة المالية في المملكة [٤٤] . و بعدها سعى الملك عبد العزيز الى ايجاد حلول للظروف الاقتصادية الصعبة فطلب من الخبر الجيلوجي الامريكي (كارل تويشل) الذي عمل في اليمن والسعودية لفترة من الزمن لا يجاد شركة مناسبة للتنقب عن النقط في الاراضي السعودية اذ نجح تويشل في إدارة شركة ستاندرد كاليفورنيا الامريكية التي حصلت على امتياز نفط البحرين عام ١٩٣٢ اذ قامت الشركة المذكورة بارسال ممثلها لويد هاملتون الى جده في اذار عام ، ١٩٣٢، برفقة تويشل للتفاوض مع المسؤلين السعوديين بشأن امتياز النفط السعودي [٤٥] . وتم اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٢، وبعدها تمكنت شركة نقط كاليفورنيا من الحصول على نقط الاحساء في ٢٩ ما يس ١٩٣٣ اذ تشمل مساحه تقدر ب (٣٦٠,٠٠٠) مل مربع فضلا عن منحها حقوق الافضلية للحصول على امتيازات نفطيه في المملكه في المستقبل وان هذه الشركه كانت عازمة على التنقب وذلك و من خلال استغلالها للظروف الي تمر بها المملكة لاسيما بعد ان فقدت مورد مهم وهو تناقص عدد الحجاج الوافدين اليها[٤٦] وكان اكتشاف النفط في البحرين عاملاً مشجعا للامريكان من اجل الحصول على امتياز النفط في المناطق الاخرى القريبة من البحرين لاسيما في منطقه الاحساء السعودي وذلك بحسب التقارير الصادرة من الخبراء الجيلوجين انه طبيعة الصخور التي تم اكتشاف النفط فيها بالحرين هي نفس الطبيعة الصخور الموجودة في منطقة الاحساء فاعتبرت عاملاً مشجعا للشركات النفطية الاستثمارية لطلب التعاقد مع ابن سعود من اجل الحصول على امتيازات نفطيه مقابل دفع المساعدات المالية التي يطمح ابن سعود للحصول عليها لسد حاجة الدولة [٤٧] . فحصل الملك عبد العزيز على قرض مالي من شركة النفط الأمريكية قدره ثلاثون الف جنيه ذهبا في نيسان عام ١٩٣٤. بدأت الشركة عمليات التنقيب عن النفط في مناطق اخرى من ضمنها الدمام وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٣٨ تم اكتشاف النفط بكميات تجارية و حدد شهر ما يس ١٩٣٩ موعدا لشحن اول وجيه من النفط السعودي من ميناء راس تنوره بناقلات أمريكية[٤٨] ، وكان لاندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، تأثير سيئاً على الوقع الاقتصادي والاجتماعي في الملكة العربية السعودية بسبب

توقف عمليات انتاج النفط وتصديره وكذلك تناقص عدد الحجاج القادمين الى المملكة لما يجلبه الحجاج من مورد مالي نتيجة شرائهم السلع والمواد الغذائية من اسواق المملكة العربية السعودية ما يساهم في زيارة وارداتها المالية [٤٩] ، كل ذلك جعل الملك عبد العزيز بحاجة ماسة إلى المال لسد نفقاته الخاصة والاعانة القبائل البدوية وتصريف اعمال الدولة الذات المصدر الوحيد خلال تلك الفترة والمساعدات التي يحصل عليها من بريطانيا ومدفوعات ضرائب امتياز شركة النفط العربية الأمريكية الاستثمارية [٥٠] . لكن لم تكفي تلك المبالغ التي تسلمها ابن سعود من الشركة البريطانية من اجل معالجة الازمه المالية التي كانت تعاني منها المملكة وبسبب تلك الاوضاع ارسل وزير المالية السعودي عبد الله سليمان رسالة في ١٨ كانون الثاني ١٩٤١ نيابتاً عن الملك الى الشركة الأمريكية كاليفونية ذكر فيها الوضع المالي السيئ للملكة وطلب سلفة فورية على حساب ربع النفط قدرها ٦ ملاين دولار واكدان للملك حقه في طلب سلف أخرى[٥١] بعدها صدر قانون الاعارة والتأجير ١١ اذار ١٩٤١ اي بعد مدة قصيرة من الاتفاق شركة ستاندرد اويل كاليفورنيا والحكومة السعودية ووجدت فيه الشركة فرصه للتخلص من التزاماتها المالية تجاه السعودية والحصول على مساعده ماليه من الحكومه الامريكيه طبقا للقانون المذكور[٥٢].وكذلك عمل الملك عبد العزيز على تطوير الجانب الزراعي من اجل توفير المواد الغذائية لسكان المملكة وكذلك العنايه بالمراعي ليستقر سكان البادية في القرى فبذل الكثير من الجهود في هذا القطاع فمنذ قيام مشروع الارطاوية التي تقع في اطراف مقاطعة القصيم على الطريق الممتد من الكويت الى بريرة ، وعمل ايضاً ايجاد مصادر للمياه وتمت الاستعانة بعدد من الخبراء من الدول المتطورة للبحث من موارد المياه الجوفية التي تسد احتياجاتها [٥٣] بعدها زادت مساحة الأراضي الزراعية حتى بلغت المساحة المزروعة ما يزيد على عشرة الآف هكتار وانشاء ابن سعود مزرعة نموذجية في الخرج وهي واحة طبيعية تبلغ مساحتها، ١٢ كيلو متراً مربع وتقع على مساحة ٥٠ كيلو من الرياض [٥٤] وبجهود الملك عبد العزيز تم انشاء مشروع الخرج الزراعي وكذلك مشروع في الاحساء الذي يتمتع بواحات كبيره من النخيل وتتوفر فيه المياه ومشروع القطيف وكما اعتمدت الملكة في انتاجها الزراعي على الواحات لاسيما في الشمال حول جبل (شمر) الذي تمع بهطول كميات من المطر اكثر من الجهات المجاورة ، ومن مراكزه الرئيسية حائل عاصمة الرشيد القديمة[٥٥] اهتمت الحكومة السعودية بالزراعة وساعد على استمرارها وعملت على ايجاد وسائل جديدة من أجل تطويرها ، بالطرق الحديثة وذلك من خلال إعفاء المكائن والالات الزراعية من الوسوم الكمركية وذلك لتنشيط الحركة الزراعية في المملكة وذلك من خلال الإستعانة بالخبراء من الدول العربية منها العراق في ٣نيسان ١٩٣٩ وكانت البعثة برئاسة أحمد نسيم سوسة من اجل تقديم الدعم السعودية في مجال الزراعة، وطالبت الحكومة السعودية عام ١٩٤٢ من مصر ارسال بعثة للزراعة والري لتكمل ما بدات به البعثة العراقية في مشروعه الخرج الزراعي في

المملكة[٥٦] كما تم الاستعانة بالبعثة الامريكية المالية من جي جي هاملتون وهو مهندس زراعي يعمل في قسم حفظ التربه والثاني ال واثن وهو من ذوي المراكز العالية في الحكومة الامريكية وكلاهما في المناطق الجافة وشبه الجافة وتم ارسال هذه البعثه بعد موافقة الرئيس الامريكي فرا نكلين روز فلت وقامت بانشاء قناة للري من الاسمنت يبلغ طولها ١٨ كيلو متر وقامت وزارة الخارجية الامريكيه بأرسال بعثه موسعه من الخبراء الزراعيين في كانون الاول ١٩٤٤بالإعارة من وزاره الزراعه قامت البعة بانشاء المبازل والسواقي وفقا الاساليب. الحديثه في عمليه الزراعه وتعد تلك البعثات خطوة ايجابية في الاتجاه الصحيح قام بها الملك عبد العزيز من اجل النهوض بالقطاع الزراعي ودعم الاقتصاد المحلي من حيث الانتاج والتسوق ولم يكن اهتمام الحكومة فقط على الزراعيه والري وانما سعت للمحافظة على الثروة الحيوانية وتحسينها اذ قامت بانشاء العديد من حضائر الماشيه والاغنام في كل من مزرعتي الشرائع و والخرج بأشراف بعض المهندسين الامريكيين كما انشأ معملا صغيرا للمنتوجات الالبان في الشرائع وشهد عام ١٩٤٧ تطوراً واضحا في ميادين الزراعه اذ تم انشاء مديرية الزراعة[٥٧] اما في المجال الصناعي اذ لم تشهد الصناعه في مرحله العشرينات من القرن الماضي حاله. متطوره قبل اكتشاف النفط بل كانت تعاني من التخلف اذ كانت الصناعه بدائيه تقليديه وهي صناعه بسيطه لاتكفي لسد حاجه السكان بشكل كامل[٥٨] استمرت الصناعات اليدويه البسيطه لمده طويله في السعوديه قبل توحيدها مثل صناعه السفن وصناعه الجلود والصناعات الذهبيه والفضيه وصناعه الاسلحه والاوعيه المعدنيه والفخار والاثاث الخشبي و مواد البناء واستخراج الزيوت النباتية والحيوانية والمواد الغذائية، وكذلك اشتهرت المملكة باستخراج اللؤلؤ والمرجان وصناعة المسابح ولكنها بصوره عامه لم تشكل الانسبة بسيطة من الاقتصاد المحلي في المملكة[٥٩] وادى اكتشاف النفط الى حدوث تغير جذري على الصناعات المحلية في المملكة بصورة عامه والمنطقة الشرقية بصوره خاصة اذ ساعد تدفق النفط على توفير فرص العمل ، وجذب الأيدي العاملة للمنطقة و كذلك تم توطين البدو واستقرارهم في مناطق النفط الجديدة مما ساعد على نمو المدن الصناعية كما أن وجود بعض المدن المملكة في مواقع استراتيجية جعلها تتفاعل مع العالم الخارجي، وقام الملك عبد العزيز بدعم الصناعة من خلال الدعم المادي الذي يعد من العوامل المهمة وان التقدم في قطاع الصناعة ساعد على زيادة عدد المهاجرين من البدو والذين اخذ عددهم يزداد ليعملو في المنشأة الصناعية ، اذ يعد مشروع الشمال من المشاريع الحيوية في المملكة العربية السعودية التي ساعدت على تحويل فئة كبيره من ابناء المجتمع من حياة البداوة وانتقل الى حياة الحضارة والاستقرار وهذا ما كان يطمح إليه مؤسس المملكة. من قبل توحدها وبعد التوحيد الملك عبد العزيز وجاءت الزيادة الحاصلة في تنوع الصناعات نتيجة لسياسة الحكومة من خلال عملها على تنوع مصادر دخلها ومنها توفر المواد الخام[٦٠] وانشأ في عام ١٩٤٦ معمل لصناعه الإلبان بعد الزيادة التي حصلت في ذلك

الجانب نتيجة لتطور الزراعة وتربية الحيوانات وفي عام ١٩٤٧ انشاء معمل لانتاج الحوامض والمواد الكيمياوية وفي عام ١٩٥١ بلغ عدد المشاريع الصناعية التي تم الشاؤها ١٨ / معملاً لتكرير مياه البحر ولذلك تم تأسيس مصنعا للسلاح والذخيرة على يد شركة فرنسية من اجل تزويد الجيش السعودي بالسلاح الخفيف والذخيره وهذا كله بجهود الملك عبد العزيز[٦١] . و في مجال التجارة التي كانت نسبياً تعتمد على تجارة اللؤلؤ الذي يوجد على طول سواحل البحر الاحمر قرب جده ، واعتمدت المملكة العربية السعودية على سياسة تجارية تقوم على حرية التجارة لتكون قاعدة اساسية في نظام المبادلات التجارية مع الخارج وفي عام ١٩٣٤ تم تأسيس الشركة العربية للصادرات المساهمة واستدعت الحكومة السعودية خبيراً اقتصادياً من هولندا هو فان لي (vainlee) لمعالجة الازمة الاقتصادية التي اطرت بالجانب التجاري وفي عام ١٩٣٥ شهدت السعودية تأسيس اول مصرف وطني وكان عام ١٩٣٩ هو العام الذي بدأ إنتاج النفط بشكل تجاري الا ان قيام الحرب العالمية الثانية اثرت بشكل سلبي على عمليات الإنتاج والتصدير [٦٢] وفي عام ١٩٤٦ تم اصدار نظام الغرقة التجارية والصناعية في البلاد وحمايتها من المنافسة الاجنبيه وفي العام نفسه تم انشاء الشركة التجارية الاندونيسية المساهمة وشركة التعاون العربية المساهمة وفي عام ١٩٤٧ تأسس الاتحاد التجاري الصناعي السعودي واتبعت الحكومة السعودية بتشجيع القطاع الخاص على الاستثمارات واستفادت السعودية من الأموال حصلت عليها بعد ان تم انشاء مصفى لتكرير النفط من قبل شركة ارامكو الامريكة بطاقة (١٠٠ – ١٥٠) برميل[٦٣] في عام ١٩٤٨ اصدرت الحكومة السعودية سلسلة من الانظمة التجارية يتم العمل بموجبها وفي العام نفسه لايسيما بعد زياده واردات النفط الماليه تم تأسيس غرفة تجاريه في مكة المكرمة لتساهم في تنشيط الحركة التجارية [٦٤] وفي عام ١٩٥٠ امر الملك عبد العزيز أن تضرب جنيهه ذهبية سعودية والتي تحمل اسم الملك عبد العزيز في الوسط على هامش عبارة المملكة العربية السعودية واسفل الكتابة بشكل مستطيل في داخله سيفان ومن ثم تاريخ الضرب ومكانه من اجل ان يخلد اسمه ويعتبر له الدور في ازدهار المملكة اقتصادياً [٦٥] . وفي نيسان عام ١٩٥٢ أمر الملك عبد العزيز بإنشاء مؤسسة النقد العربية السعودي بمقتضى المرسوم الملكي رقم ٣١/١/١٤٠٦ والمؤسسة عبارة عن هيئة مركزية تتولى تنظيم الأمور النقدية في البلاد وتدعم قيمة الريال وبعد التطور الذي شهده المجال التجاري في المملكة من عمليات استيراد وتصدير وافتتاح مصارف عربية واجنبية مما يتطلب توسيع القاعدة التجارية قد امر الملك عبد العزيز بإصدار مرسوم ملكي رقم ٥-٢٢-١-٥٧٠٢ عام ١٩٥٣ بتأسيس وزارة خاصة باسم التجارة وتعين محمد علي رضا وزير التجارة [٦٦] وكان للتعليم نصيب من اهتمام الملك عبد العزيز لا سيما بعد توحيد المملكة العربية السعودية اذ حصلت المملكة العربية السعودية على تركات كثيرة من العصور السابقة التي مرت على شبه الجزيرة العربية ومن هذه الشركات التخلف الثقافي وانتشار الامية

بشكل واسع ولم يكن التعليم ألافي منطقة الحجاز وبنطاق محدود لكن على اثر توحيد المملكه العربيه السعوديه أخذت صلاحيات مديرية المعارف بالإتساع وبدأ التدريس في مدارسها التي لم تزيد عن اثنتى عشر مدرسة حكومية وصل وعدد طلابها (٧٠٠) ولم تعد وظيفة مديرية المعارف مقتصرة على الحجاز بل شملت على اجزاء المملكة العربية السعودية[٦٧] . واصبح للبعثات العلمية دور كبير في المملكة العربية السعودية بعد تأسيس مدرسة البعثات عام ١٩٣٥ و الغاية منها اعداد الطلاب للاتحاق الى خارج البلاد وأرسلت أول بعثة الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٣٦

وتم ايفاد بعثه اخرى الى جامعة الأزهر عام ١٩٤٢ [٦٨] . كما حرص الملك عبد العزيز على نشر التعليم في المناطق النائية بين بدو الصحراء وبين سكان المناطق الجبلية الوعرة كما هو الحال. في مناطق غير واطلق على هذه المدارس اسم (مدارس البادية والقرى) وفي عام ١٩٤٦ انتشرت في المملكة مجموعة من المدارس منها المدارس النموذجية ، المدارس الليلية ، مدارس مكافحة الامية . مدارس رياض الاطفال ، مدارس دور الايتام ، ويعد عام ١٩٤٧ بداية عهد التعليم الصناعي الحديث في الملكة وفي مجال التعليم العالي اذ تم تأسيس كلية الشريعة في مكة عام ١٩٤٩ وهي صورة مصغرة من الأزاهر ومع ازدياد الحاجة بعده التطور الذي شهد استخراج النفط والحاجة إلى المختصين الفنين تم ايفاد ١٤ طالباً الى الولايات المتحده عام ١٩٤٩ وتم ارسال بعثه اخرى الى مصر عام ١٩٥٠ بلغ عدد هم (٢٠٦) طالباً واخذ التعليم في المملكة يسير موكباً لعملية التطور الحديث وذلك بفضل الجهود التي بذلها عبد العزيز ابن سعود [٦٩] . ومن الجهود التي قام الملك عبد العزيز لتطوير المملكة العربية فكان للقطاع الصحي نصيب منها اذا كانت السعودية قبل توحيدها تعاني من التخلف في المجال الصحي لاسيما في الكثير من مقاطعاتها اذا كان يوجد الطب الشعبي المبني على الايحاء النفسي والمعالجة بواسطة الأعشاب المنتشرة [٧٠] وبعد توحيد المملكة استطاعت مديرية الصحة توفير العلاج والادوية والخدمات الصحية مجانا للمواطنين بدون استثناء [٧١] اذ ادركت حكومة المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٠ مدى خطورة مرض الملاريا فقامة بزيادة النفقات المالية لمديرية الصحة لمعالجة هذا المرض وفي عام ١٩٣٥اخذة خطورة مرض الملاريا تزداد بشكل كبير لذلك عملة على زياده النفقات المالية لمديريه الصحة لمعالجة هذا المرض الخطير الذي اخذ يفتك بالسكان. وفي عام ١٩٣٨وافق الملك عبد العزيز على جلب المستحضرات التطهيريه كالفينيك والكينين وبأسعار مناسبه جدا من اجل القضاء على الملاريا[٧٢] وكان اهتمام الملك عبد العزيز واضح من خلال تشجيعه على تطوير القطاع الصحي اذ عمل على اصدار النظام الاطباء البشرين والبيطرين كما قامت الدوائر الصحيه عام ١٩٤٣ بفتح المستشفيات والعيادات لتوفير الراحه للمرضى الوافدين اذ اتخذت عده خطوات منها تقديم المعالجة الصحية والوقائية وانشاء الوحدات الطبية وتأسيس مستشفيات ومستوصفات وتوفير ضمانات صحيه

لحجاج بيت الله الحرام [٧٣]. و في عام ١٩٤٥ تم بناء تم بناء مستشفى الملك فاروق ومستشفى الولادة في المدينة المنورة وبجهود الملك عبد العزيز تكونت ادارة خاصة قومها عشرة اطباء متنقلين يقومون باسعافات طبية في البادية واستمر هذا الاهتمام الى ان تم تحويل مديرية الصحة التى وزارة الصحة عندما صدر الموسوم الملكي رقم ٥/١١/٨٦٩٧ في اب ١٩٥٠ وتم تعين عبد الله الفيصل وزير الصحة وقامت وزارة الصحة بارسال العديد من الطلبة السعودين للتخصص في الطب والجراحة العامة الى الجامعات المصرية والاوربية والامريكية [٧٤] ، وكانت خطة ١٩٥١ تقضي بإنشاء ٣٨ عيادة في انحاء البلاد فضلاً عن عيادات نقالة لمناطق البدو، وعندما ازدادت معدلات الوفيات للاطفال اصدر الملك عبد العزيز مرسوماً يقفى يجعل العلاج الصحي مجاناً لكافة ابناء المملكة ، و شد ذلك التاريخ بدأت حركة واسعة قامت بها وزارة الصحة لانشاء المستشفيات وتوفير الخدمات الصحية بانواعها و على كافة المستويات و واعطت الحكومة السعودية عناية خاصه للتطور. وسائل المعالجة الطبية ومكافحة الاوبئة التي كانت تنتشر عاد في موسم الحج ، واستعانة على هذه الخدمة من خلال الاتفاقيات الدولية عام ١٩٥٢ تم إنشاء مستشفى الملك بمكة المكرمة يحتوي على ٢٠٠ سرير وكذلك في عام ١٩٥٣ تم بناء مستشفى المدينة بطاقة٢٠٠ سرير وتكون في الفحوصات مجانا [٧٥].

الخاتمة

كان للملك عبد العزيز ابن سعود دور كبير في تاريخ المملكة العربية السعودية منذ البداية الاولى عندما دخل الرياض عام ١٩٠٢ ليبدأ صفحة جديدة من صفحات تأريخ المملكة العربية السعودية ويعد هذا الحدث التاريخي نقطة تحول كبيرة في تاريخ المنطقة نظرا لقيام دولة سعودية حديثة تمكنت من توحيد معظم اجزاء شبه الجزيرة العربية وتحقيق انجازات حضارية واسعة في شتى المجالات اذ شملت هذه الجهود تغييرا كبيرا في مظاهر الحياة حينذاك السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية فكان انشاء الهجر من اجل جمع شمل القبائل وتوفير البيئة الاجتماعية المناسبة لخدمة وتحسين معيشتهم ودمجهم في مجتمع واحد منذ ان ارسى دعائم الامن والاستقرار ووضع البلاد في الطريق الصحيح ولم تميز مشاريع التنمية التي تبنتها سياسته على مدينة دون اخرى بل عمت كل ارجاء المملكة من اقصاها الى ادناها وبهذا نستطيع القول ان الملك عبدالعزيز ابن سعود هو مؤسس المملكة العربية السعودية وصانع تاريخها الحديث .

المصادر العربية

(١)عبد الله بن حمد الحقيل , توحيد المملكة العربية السعودية واثره في النهضة العملية والاجتماعية مكتبة العبيكان ,الرياض, ١٩٩٨, ص١٢٢٠.

(٢) مديحه احمد درويش تاريخ الدولة السعودية الاولى حتى الربع الاول من القرن العشيرين, ط١, دار الشروق, جده ,١٩٨٠,ص٧٥

(٣) صلاح الدين المختار, تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وتاخرها,د.ن,١٩٨٤, ص ٣٢

(٤)عبد الرحمن نصر , عاهل الجزيرة عبد العزيز بن عبدالرحمن ال سعود ,د,ن,١٩٨٠ ،ص٢٥

(٥) حسن يوسف اللموشي ,السعودية مملكة ونفط ,ط١,المركز العربي للنشر , بيروت,١٩٨٢ ,ص٣٩

(٦) خيري الدين الزركلي، شبة الجزيرة العربية في عهد الملك ، عبد العزيز، ج١،ط١ بيروت،١٩٧١، ص٨٨

(٧) امين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ط٦، دار الجيل، بيروت ، ١٩٨٨ ص٧٩

(٨) محمود علي الداوودي ، عوامل الوحدة والتجزئة في الجزيرة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (ط٣) بيروت ١٩٨٦،ص٣٩

(٩) احمد عسه، معجزة فوق الرمال ، ط ٢، المطابع الاهلية اللبنانية، بيروت ، ١٩٦٦، ،ص٩٨

(١٠)فتحي ابو عيانه دراسات في شبه الجزيرة العربية ، دار المعرفة الجامعة ، جامعة الاسكندرونيه ، ١٩٩٤ ، ص ١٠٥

(١١) ابراهيم الفاعوري،تاريخ الوطن العربي،دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع،عمان،٢٠١٠،ص٢٢٤.

(١٢) عبد الله بن ناصر السرحان، مقاومة التغير في المجتمع السعوديةط١ ،مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ، ٢٠١٠ ، ص ٥٢.

(١٣) عثمان حافظ، تطور الصحافه في المملكه العربيه السعوديه، شركه المدينه للطباعه ونشر، جده،د،ت،ص٤٩

(١٤) محي الدين صابر ولويس مليكه،البدو والبداوه مفاهيم ومناهج –مركز التنميه المجتمع العالم العربي، مكتبه جامعه القاهره، د،ت،ص٣٢

(١٥) عوني عبد الرحمن السبعاوي واخرون تاريخ الوطن العربي ، د،ن ، جامعه الموصل، ١٩٨٦،ص٢٥٥

(١٦) اياد حلمي الجصاني النفط و التطور الاقتصادي والسياسي في الخليج العربي ، دار المعرفة العمية ، د م ، ١٩٨٢,ص١٦

(١٧) محمود طه ابو العلاء، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ، ط١ ، موسوعة سجا العرب، القاهرة ١٩٧٢. ،ص٩٥

(١٨) حازم السامرائي، الملك فيصل بن عبد العزيز ال سعود، ط١، دار الحكمة،لندن، ص١٠٢.

(١٩) يسرى الجوهري ، دول الخليج والمشرق الاسلامي ،مكتبه الاشعاع الفنيه، مصر ١٩٩٧،ص١٣١

(٢٠) عبد الكريم موسى ، با الخيل ، الدليل العام للملكة العربية السعودية ، مطبعة الراعي، بغداد، ١٩٤٥.ص١٤٥

(٢١) محمد علي مغربي، اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر هجري، ج١، دار تهامة لنشر، جده،١٩٨١،ص٢٤٠

(٢٢) عبد الله حمدان المائل ، الاستثمارات الحكومية والنمو الاقتصادي في المملكة مجله (الخليج العربي،العدد٢٠٠٣،١٠٨ ،ص٢٩٤

(٢٣) سعيد بن مسلم، المدينه المنوره في القرن الرابع عشر الهجري، د،ن،ص٩٤٨.

(٢٤) حسين محمد نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، ج ١ ، ط١، مطبعة خضر ، د.ع ، مكتبة النصر الحديثة ،١٩٢٩، الرياض، ١٩٦٨، ٢٢٧٧٠.

(٢٥) رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ المعاصر للامه العربية الاسلامية، ط١،دار الثقافة ،القاهرة، ١٩٩٢، ص٠٧٩

(٢٦) عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد، مطبعه المعارف، بغداد ،١٩٥٤،ص٢٥٣.

(٢٧) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣،د،ن،١٩٨٧،ص٢٢٦ ; خير الدين الزركلي،

المصادر المعربة :

(١) بنو ميشان – ابن سعود ولاده مملكة – تتعريب رمضان لاوند , دار السور للنشر , بيروت ١٩٧٦,ص٨٩

(٢) ا.ي باكوليف، الحقيقية برس ، السعودية والغرب ط ١،،د، ن، بيروت ،١٩٧١،ص٤

(٣) تويتشل ، المملكة العربية السعودية وتطور مصادرها الطبيعية ، ترجمة شكيب الأموي ، دار الاحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥،ص٢١٣

الرسائل و الا طاريح

(١) محمد احمد الرويشي ، تطور الوظيفة الصناعية في المدن السعودية ، نشر رسائل جغرافية، جامعه الكويت العدد ٩٩اذار ١٩٨٧،ص٣٧

(٢) اياد ناظم جاسم العلواني ، الامتيازات النفطية الامريكية في المملكة العربية السعودية ١٩٣٣-١٩٥٠،رساله ماجستير غير منشورة ،عليه التربية ،جامعه بابل ٢٠٠٤،ص٨٦-٨٧

(٣) علي عظم محمد عباس ، العلاقات السعودية الامريكية ١٩٤٥ – ١٩٥٣، اطروحة دكتوراه غير منشوره ، كلية التربية الجامعة السعودية ، ١٩٩٧ ص ٣٨٣

(٤) عبد الرسول شهيد العجمي ، العلاقات السعودية الامريكية ١٩٤٥-١٩٤٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة البصرة ١٩٩٥ ، ص ٥٨

الجرائد والمجلات

(١) جريدة ام القرى العدد (٢٣) ٢٢ يناير ١٩٢٦

(٢) جريدة ام القرى ، العدد (٢٨) ١٩ ايار ، ١٩٢٦

(٣) جريدة ام القرى ، العدد (٤٠٦) في ٢٢ ايلول ١٩٣٢

(٤) جريدة ام القرى، مكة المكرمة، العدد(٧٣٠) في ٦ايار ١٩٣٨

(٥) جريدة ام القرى مكة المكرمة، العدد٧٠٠،في٦ نيسان ١٩٣٨

التقارير الرسمية

وزارة الخارجية السعودية ، مكة المكرمة ، مجموعة المعاهدة ، ص٤٢ – ٤٣

Arabic Sources

(1) Abdullah bin Hamad Al-Haqil, The Unification of the Kingdom of Saudi Arabia and its Impact on the Practical and Social Renaissance, Al-Obaikan Library, Riyadh, 1998, p. 1220.

(2) Madiha Ahmad Darwish, *History of the First Saudi State until the First Quarter of the Twentieth Century*, 1st ed., Dar Al-Shorouk, Jeddah, 1980, p. 75

(3) Salah Al-Din Al-Mukhtar, *History of the Kingdom of Saudi Arabia: Its Past and Present*, n.p., 1984, p. 32

(4) Abd Al-Rahman Nasr, *The King of the Peninsula: Abdul Aziz bin Abdul Rahman Al Saud*, n.p., 1980, p. 25

(5) Hassan Youssef Al-Lamouchi, *Saudi Arabia: A Kingdom and Oil*, 1st ed., Arab Center for Publishing, Beirut, 1982, p. 39

(6) Khairi Al-Din Al-Zarkali, *The Arabian Peninsula in the Era of King Abdul Aziz*, vol. 1, 1st ed., Beirut, 1971, p. 88

(7) Amin Al-Rihani, *History of Modern Najd*, 6th ed., Dar Al-Jeel, Beirut, 1988, p. 79

(8) Mahmoud Ali Al-Dawoudi, *Factors of Unity and Fragmentation in the Arabian Peninsula*, Center for Arab Unity Studies, 3rd ed., Beirut 1986, p. 39

(9) Ahmad Asah, A Miracle Above the Sands, 2nd ed., Lebanese National Press, Beirut, 1966, p. 98

(10) Fathi Abu Ayana, Studies in the Arabian Peninsula, Dar al-Ma'rifah al-Jami'ah, Alexandria University, 1994, p. 105

(11) Ibrahim al-Fa'ouri, History of the Arab Nation, Dar Maktabat al-Hamid for Publishing and Distribution, Amman, 2010, p. 224.

(12) Abdullah bin Nasser al-Sarhan, Resistance to Change in Saudi Society, 1st ed., King Fahd National Library, Riyadh, 2010, p. 52.

(13) Othman Hafez, The Development of Journalism in the Kingdom of Saudi Arabia, Al-Madina Printing and Publishing Company, Jeddah, n.d., p. 49

(13) Muhi Al-Din Saber and Louis Malika, Bedouins and Bedouin Life: Concepts and Approaches - Center for Community Development, Arab World, Cairo University Library, n.d., p. 32

(14) Awni Abdul Rahman Al-Sabawi et al., History of the Arab Nation, n.p., University of Mosul, 1986, p. 255

(15) Iyad Helmi Al-Jassani, Oil and Economic and Political Development in the Arabian Gulf, Dar Al-Ma'rifah Al-Amiyah, n.p., 1982, p. 16

(16) Mahmoud Taha Abu Al-Ala, Geography of the Arabian Peninsula, vol. 1, ed., Encyclopedia of Arab History, Cairo, 1972, p. 95

(17) Hazem Al-Samarrai, King Faisal bin Abdul Aziz Al Saud, 1st ed., Dar Al-Hikmah, London, p. 102 (19) Yusra al-Jawhari, The Gulf States and the Islamic East, Al-Isha'a al-Fanniya Library, Egypt, 1997, p. 131.

(18) Abdul Karim Musa, Ba al-Khail, The General Guide to the Kingdom of Saudi Arabia, Al-Ra'i Press, Baghdad, 1945, p. 145.

(19) Muhammad Ali Maghribi, Notable Figures of the Hijaz in the Fourteenth Century AH, Vol. 1, Dar Tihama Publishing, Jeddah, 1981, p. 240.

(20) Abdullah Hamdan al-Ma'il, Government Investments and Economic Growth in the Kingdom, Al-Khaleej al-Arabi Magazine, Issue 108, 2003, p. 294.

(21) Sa'id ibn Muslim, Medina in the Fourteenth Century AH, n.p., p. 948.

(22) Hussein Muhammad Nasif, The Past and Present of the Hijaz, Vol. 1, 1st ed., Khader Press, n.p., Al-Nasr al-Haditha Library, 1929, Riyadh, 1968, 22770.

(23) Ra'fat Ghunaimi al-Sheikh, Contemporary History of the Arab Islamic Nation, 1st ed., Dar al-Thaqafa, Cairo, 1992, p. 79

(24) Abd al-Mun'im al-Ghulami, The Rightly Guided King, al-Ma'arif Press, Baghdad, 1954, p. 253.

(25) Abd al-Basit Badr, The Comprehensive History of Medina, vol. 3, n.p., 1987, p. 226; Khair al-Din al-Zarkali,

Translated Sources

1. Banu Mishan - Ibn Saud: The Birth of a Kingdom - translated by Ramadan Lawand, Dar al-Sur Publishing, Beirut, 1976, p. 89
2. A.Y. Bakulev, The Real Press, Saudi Arabia and the West, 1st ed., n.p., Beirut, 1971, p. 4

3. Twitchell, The Kingdom of Saudi Arabia and the Development of its Natural Resources, translated by Shakib al-Amawi, Dar al-Ihya' al-Kutub al-Arabiyya, Cairo, 1955, p. 213

Theses and Dissertations

(1) Muhammad Ahmad al-Ruwaishi, The Development of the Industrial Function In Saudi cities, geographical letters were published, Kuwait University, Issue 99, March 1987, p. 37.

(2) Iyad Nazim Jassim Al-Alwani, American Oil Concessions in the Kingdom of Saudi Arabia 1933-1950, unpublished master's thesis, College of Education, University of Babylon, 2004, pp. 86-87.

(3) Ali Azm Muhammad Abbas, Saudi-American Relations 1945-1953, unpublished doctoral dissertation, College of Education, Saudi University, 1997, p. 383.

(4) Abdul Rasoul Shahid Al-Ajami, Saudi-American Relations 1945-1949, unpublished master's thesis, College of Education, University of Basra, 1995, p. 58.

Newspapers and Magazines

(1) Umm Al-Qura Newspaper, Issue (23), January 22, 1926.

(2) Umm Al-Qura Newspaper, Issue (28), May 19, 1926.

(3) Umm Al-Qura Newspaper, Issue (406), January 22, 1926. September 1932

(4) Umm Al-Qura Newspaper, Mecca, Issue No. 730, May 6, 1938

(5) Umm Al-Qura Newspaper, Mecca, Issue No. 700, April 6, 1938

Official Reports Saudi Ministry of Foreign Affairs, Mecca, Treaty Collection, pp. 42-43

المصادر الاجنبية :

1- soulieet champenois, LeRoyaume d, Arable, saoudite are preuredes temps modernes, Albin michel,1978 p 35-36

2- Ikesell and H.B.chenery, Arajan oil, Americans state in the middle Easts New York, 1938.p 50

3- cdonlal office to mr. (warner, dated 13 from mr.jamps oil concession in 13 Apr, 1933 p90

4- The fends yol.D., 1943, memorandum from the secretary of state to lend-lease. administration 3 January (1943, p.854

5- ceorg kirn, The Middle East in the war 1939-1946 London 1952, p 352

6- C.w.stoc king, middle east oil, a study in political and. economic controversy, London, 1970, P. 91

قائمة الهوامش:

[١] بنو ميشان، ابن سعود ولاده مملكة ، تعريب رمضان لاوند , دار السور للنشر , بيروت ,١٩٧٦ص٨٩

[٢] عبد الله بن حمد الحقيل , توحيد المملكة العربية السعودية واثره في النهضة العملية والاجتماعية مكتبة العبيكان ,الرياض, ١٩٩٨, ص١٢٢٠.

[٣] المصدر نفسه ص ٧٥

[٤] مديحه احمد درويش تاريخ الدولة السعودية الاولى حتى الربع الاول من القرن العشيرين, ط١, دار الشروق, جده ,١٩٨٠,ص٧٥

[٥] صلاح الدين المختار , تاريخ المملكه العربية السعودية ماضيها وتاخرها,د.ن,١٩٨٤, ص ٣٢

[٦] عبد الرحمن نصر , عاهل الجزيرة من عبد العزيزبن عبدالرحمن ال سعود ,د,ن,١٩٨٠ ،ص٢٥

[٧] المصدر نفسه ,ص٢٥

[٨] حسن يوسف اللموشي ,السعوديه مملكه ونفط ,ط١,المركز العربي للنشر , بيروت,١٩٨٢ ,ص٣٩

[٩] المصدر نفسه,ص٤٠.

[١٠] خيري الدين الزركلي،شبه الجزيره العربية في عهد الملك ، عبدالعزيز،ج١،ط١بيروت،١٩٧١،ص٨٨

[١١] امين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ط٦، دار الجيل، بيروت ، ١٩٨٨ ص٧٩

[١٢] محمود علي الداوودي ، عوامل الوحدة والتجزئة في الجزيرة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط٣ بيروت ١٩٨٦،ص٣٩

[١٣] احمد عسه، معجزة فوق الرمال ، ط ٢، المطابع الاهلية اللبنانية، بيروت ، ١٩٦٦، ،ص٩٨

[١٤] عبد الله بن حمد الحقيل ، المصدر السابق، ص ٠١٥٦

[١٥] المصدر نفسه، ص١٥٦

[١٦] حسن يوسف اللموشي ، المصدر السابق، ص ٤٠- ٠٤١

[١٧] soulieet champenois, LeRoyaume d, Arable, saoudite are pre

uredes temps modernes, Albin michel,1978 p 35-36

[١٨] Ibid .,p.37-38

[١٩] جريدة ام القرى العدد (٢٣) ٢٢ يناير ١٩٢٦

[٢٠] جريدة ام القرى العدد (٢٨) ١٩ ايار ١٩٢٦

[٢١] محمود علي الداوودي، المصدر السابق،،ص٤٠

[٢٢] فتحي ابو عيانه دراسات في شبه الجزيرة العربية ، دار المعرفة الجامعة ، جامعة الاسكندرونية ، ١٩٩٤ ، ص ١٠٥

[٢٣] خيري الدين الزركلي، المصدر السابق، ص ٥٩

[٢٤] صلاح الدين المختار ، المصدر السابق على ١٤٣

[٢٥] خيري الدين الزركلي، المصدر السابق ، ص ٠٢٦٤

[٢٦] ابراهيم الفاعوري، تاريخ الوطن العربي، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع،عمان،٢٠١٠،ص٢٢٤.

[٢٧] جريدة ام القرى ، العدد (٤٠٦) في ٢٢ ايلول ١٩٣٢

[٢٨] خير الدين الزركلي ، المصدر السابق ،ص ٧٠

[٢٩] عبد الله بن حمد الحقيل ، المصدر السابق، ص ١٢١

[٣٠] حسين يونس اللموشي ، المصدر السابق ، ص ٤٥

[٣١] حسين يوسف اللموشي المصدر السابق، ص ٤٦ .

[٣٢] عبد الله بن حمد الحقيل المصدر السابق ، ص١٢١

[٣٣] عبد الله بن ناصر السرحان، مقاومة التغير في المجتمع السعوديةط١ ،مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ، ٢٠١٠ ، ص ٥٢.

[٣٤] عبدالله بن حمد الحقيل، المصدر السابق،ص١٢٢

[٣٥] خير الدين الزركلي، المصدر السايق،ص٧٠.

[٣٦] خير الدين الزركلي ،المصدر السابق،ص٢٦٤

[٣٧] صلاح الدين المختار المصدر السابق ،ص ٥٠٠

[٣٨] عبد الله بن ناصر السرحان المصدر السابق ، ص٥٧-٥٩.

[٣٩] عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية ، شركه المدينة للطباعة ونشر، جده،د،ت،ص٤٩

[٤٠] محي الدين صابر ولويس مليكة، البدو والبداوة مفاهيم ومناهج -مركز التنمية المجتمع العالم العربي، مكتبه جامعه القاهرة، د،ت،ص٣٢

[٤١] ا. ي باكوليف، الحقيقية برس ، السعودية والغرب ط ١،،د، ن، بيروت ،١٩٧١،ص٤

[٤٢] عوني عبد الرحمن السبعاوي واخرون تاريخ الوطن العربي ، د،ن ، جامعه الموصل، ١٩٨٦،ص٢٥٥

[43] Ikesell and H.B.chenery, Arajan oil, Americans state in the middle Easts New York, 1938. 50

[44] cdonlal office to mr. (warner, dated 13 from mr.jamps oil concession in 13 Apr, 1933 p90

[٤٥] اياد حلمي الجصاني النفط و التطور الاقتصادي والسياسي في الخليج العربي ، دار المعرفة العمية ، د م ، ١٩٨٢،ص١٦

[٤٦] عوني عبد الرحمن السبعاوي واخرون ، المصدر السابق ، ص٢٥٨.

[47] The fends yol.D., 1943, memorandum from the secretary of state to lend-lease. administration 3 January (1943) p 194

[48] ceorg kirn, The Middle East in the war 1981, p 198

[49] c.w.stoc king, middle wist oil, a study in political ande. economic controversy, London, 1970, P. 91

[٥٠] محمود طه ابو العلاء، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ، ط١ ، موسوعة سجا العرب، القاهرة .١٩٧٢ ،ص٩٥

[٥١] حازم السامرائي، الملك فيصل بن عبد العزيز ال سعود، ط١، دار الحكمة ،لندن، ص١٠٢

[٥٢] يسرى الجوهري ، دول الخليج والمشرق الاسلامي ،مكتبه الاشعاع الفنية، مصر ١٩٩٧،ص١٣١

[٥٣] تويتشل ، المملكة العربية السعودية وتطور مصادرها الطبيعية ، ترجمة شكيب الأموي ، دار الاحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥،ص٢١٣

[٥٤] جريدة ام القرى ، مكة المكرمة والعدد ١٣٥٩ في ٢٠ نيسان / ١٩٤٤

[٥٥] محمد احمد الرويشي ، تطور الوظيفة الصناعية في المدن السعودية ، نشر رسائل جغرافية، جامعه الكويت العدد ٩٩اذار ١٩٨٧،ص٣٧

[٥٦] اياد ناظم جاسم العلواني ، الامتيازات النفطية الامريكية في المملكة العربية السعودية ١٩٣٣-١٩٥٠،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل ٢٠٠٤،ص٨٦-٨٧

[٥٧] محمد ناصر مهنا ، المصدر السابق ، من ١٧٢ - ١٤١ .

[٥٨] عبد الكريم موسى ، ابا الخيل ، الدليل العام للملكة العربية السعودية ، مطبعة الراعي، بغداد، ١٩٤٥.ص١٤٥

[٥٩] محمد علي مغربي، اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر هجري، ج١، دار تهامة لنشر، جده،١٩٨١،ص٢٤٠

[٦٠] عبد الله حمدان المائل ، الاستثمارات الحكومية والنمو الاقتصادي في المملكة مجله (الخليج العربي،العدد٢٠٠٣،١٠٨ ،ص٢٩٤

[٦١] تويتشل .المصدر السابق, ص ٢٠٥

[٦٢] سعيد بن مسلم، المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، د،ن،ص٩٤٨

[٦٣] علي عظم محمد عباس ، العلاقات السعودية الامريكية ١٩٤٥ - ١٩٥٣، اطروحة دكتوراه غير منشوره ، كلية التربية الجامعة السعودية ، ١٩٩٧ ٣٨٣ ؛ توتشيل المصدر السابق، ص٣١١.

[٦٤] حسين محمد نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، ج ١ ، ط١، مطبعة خضر ، د.ع ، مكتبة النصر الحديثة ،١٩٢٩، الرياض، ١٩٦٨، ٢٢٧٧٠.

[٦٥] رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ المعاصر للامه العربية الاسلامية، ط١،دار الثقافة ،القاهرة، ١٥٠٧٩،١٩٩٢

[٦٦] عبد الفتاح حسن ابو عليه ، المصدر السابق ، ٢٤١٧ – ٢٤٩

[٦٧] عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد، مطبعه المعارف، بغداد ،١٩٥٤،ص٢٥٣

[٦٨] جريدة ام القرى، مكة المكرمة، العدد(٧٣٠) في ٦ايار ١٩٣٨

[٦٩] جريدة ام القرى مكة المكرمة، العدد٧٠٠،في٦ نيسان ١٩٣٨

[٧٠] خيري الدين الزركلي، المصدر السابق ص٠٤٠٣

[٧١] عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣،د،ن،١٩٨٧،ص٢٢٦ ; خير الدين الزركلي، مصدر سابق، ص٤٠٤

[٧٢] توتيشل ،المصدر السابق، ص٢٩٠-٢٩١

[٧٣] عبد الرسول شهيد العجمي ، العلاقات السعودية الامريكية ١٩٤٥-١٩٤٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة البصرة ١٩٩٥ ، ص ٥٨

[٧٤] بنو ميشان ابن سعود ولادة مملكة _تعريب رمضان لاوند ،دار السور للنشر ، بيروت ،١٩٧٦،ص ٨٩

[75] Robert Aldrigh Greater France A History of French overseas Expansion 1st ed (London: Bloomsbury publing Red Gl0be 1996 p 56

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

أ. هنري سليتر ودوره في العراق حتى العام ١٩٢٩

A. Henry Slater and His Role in Iraq until 1929

م.م. ساره زيدان خلف ربيع
M.M. Sarah Zidan Khalaf Rabee
مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية
Baghdad Al-Karkh Second Education Directorate
sarahzidan920@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص :

يعدّ أ. هنري سليتر أحد أبرز المسؤولين البريطانيين الذين مارسوا دور سياسي ومالي مهم في العراق خلال مرحلة الانتداب البريطاني، ولا سيما في عقد العشرينيات من القرن العشرين، ارتبط اسم سليتر بالإدارة المالية والاقتصادية، إذ شغل منصب استشاري متاي مكنه من التأثير المباشر في رسم السياسات المالية للدولة العراقية الحديثة، إذ تركّز دوره على تنظيم مالية العراق بما ينسجم مع المصالح الاقتصادية البريطانية، فأسهم في إعداد الموازنات العامة، والإشراف على الإيرادات الحكومية، ولا سيما عائدات الضرائب والكمارك، كما كان له دور بارز في ترسيخ النفوذ البريطاني داخل المؤسسات المالية العراقية عن طريق تقديم المشورة للحكومة، وربط الاقتصاد العراقي بالأسواق والنظام المالي البريطاني.

الكلمات المفتاحية : مستشار ، وزارة المالية، الضرائب، سليتر.

Abstract:

Slitter was one of the most prominent British officials who played a significant political and financial role in Iraq during the British Mandate, particularly in the 1920s. His name is closely associated with financial and economic administration. As a financial advisor, he had direct influence on shaping the financial policies of the modern Iraqi state. His role focused on organizing Iraq's finances in line with British economic interests. He contributed to the preparation of public budgets and oversaw government revenues, especially tax and customs revenues. He also played a prominent role in consolidating British influence within Iraqi financial institutions by advising the government and linking the Iraqi economy to British markets and the financial system.

Keywords: advisor, Ministry of Finance, taxation, Slitter.

المقدمة :

شهد العراق في أعقاب الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ وتأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ تدخل مباشر وواسع من قبل الإدارة البريطانية في مختلف مفاصل الدولة العراقية، ولاسيما في الجوانب المالية والاقتصادية التي شكّلت الأساس الحقيقي للسلطة السياسية، وفي ضوء ذلك برز دور سليتر بوصفه أحد أبرز المستشارين الماليين البريطانيين الذين أوكلت إليهم مهمة تنظيم مالية الدولة العراقية، إلا أن دوره تجاوز الإطار الاستشاري ليصبح عنصر فاعل في المشاركة في القرار السياسي العراقي من خلال تكوينه حلقة مركزية في ربط السياسة المالية العراقية بالمصالح الاستعمارية البريطانية، وأسهم عن طريق إشرافه على الميزانية العامة، والضرائب، والقروض، في تكريس التبعية الاقتصادية وتقليص هامش الاستقلال الوطني، كما أتاح له موقعه المالي التأثير في عمل الحكومات العراقية المتعاقبة ومجلس النواب، الأمر الذي جعل منه رمزاً للهيمنة غير المباشرة التي مارستها بريطانيا على العراق خلال مدة الانتداب البريطاني على العراق، ومن هنا تكتسب دراسة الدور السياسي والمالي لسليتر أهمية خاصة لفهم طبيعة الدولة العراقية في مراحلها الأولى، وحدود سيادتها الفعلية في ظل النفوذ البريطاني الخارجي.

ومن هذه الامور واعتباراتها جاء اهتمامنا بهذا الموضوع ليكون سبب من اسباب اختيارنا له "**أ. هنري سليتر ودوره في العراق حتى العام ١٩٢٩**"، وحددت المدة التاريخية في بداية عام ١٩٢١ بسبب تأليف الحكومة العراقية المؤقتة واشتراك سليتر فيها وانتهت بعام ١٩٢٩ بانتهاء مدة خدمة سليتر عام ١٩٢٩ كمستشار مالي في الحكومة العراقية.

تالف البحث من مقدمة وثلاثة محاور اساسيين وخاتمة تطرقنا فيها الى اهم الاستنتاجات التي توصل لها البحث وتناول المحور الاول : السيرة الذاتية لأ. هنري سليتر، وتطرق المحور الثاني: وصول أ. هنري سليتر الى العراق ١٩١٨-١٩٢١، اما المحور الثالث جاء بعنوان: أ.هنري سليتر ودوره المالي والاقتصادي في العراق١٩٢١-١٩٢٩.

المحور الاول : السيرة الذاتية لأ. هنري سليتر

ولد أ.هنري سليتر (A. Henry Slater) في بريطانيا عام ١٨٦٧م، نشا وترعرع في بريطانيا، درس في المؤسسات التعليمية البريطانية التقليدية، حيث درس اللغات الشرقية، وعند دراسته تلك اللغات تأثر بالتيار الاستشراقي الذي كان سائد لدى الجامعات البريطانية، إذ انه ركّز بشكل مباشر على دراسة تاريخ الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وبعد ان واصل تعليمه وحصل على شهادة البكالوريوس، عمل سليتر في مجالات متنوعة منها الترجمة والبحث والدراسة اللغوية في العديد من المؤسسات الاكاديمية والادارية في بريطانيا، ولا سيما في المؤسسات التي كانت تابعة للحكومة البريطانية في الهند، استفادت الحكومة البريطانية به كثيرا ولاسيما في الادارة الاستعمارية وكان من ذلك بفضل خبراته اللغوية والمعرفية في فهم مجتمعات الشرق الاوسط الإسلامية[١].

اعد سليتر تقارير ودراسات تتعلق بالثقافة الإسلامية، والنصوص التاريخية، والوثائق الشرقية، وأسهم في دعم حركة جمع المخطوطات ودراستها في المؤسسات البريطانية[٢].

كان لسليتر إسهامات فكرية متنوعة منها: إسهامه في الدراسات الاستشراقية التي ترتبط بالإسلام والشرق الاوسط، وكما انه شارك في تحليل النصوص والوثائق الشرقية ودوره في نقل المعرفة والتراث الشرقي، وفي المجال نفسه لم يكن إنتاجه العلمي واسع الانتشار مقارنة بغيره من المستشرقين الاخرين، وكانت أعماله قد عكست التوجه البريطاني العام نحو الدراسة العلمية للشرق الاوسط من اجل اغراض معرفية وإدارية في آن واحد، وفي المجال نفسه تأثر سليتر بالفكر الليبرالي الإصلاحي الذي رأى ان في التعليم أداة أساسية لبناء الدولة الحديثة، ولكن ضمن إطار يخدم المصالح السياسية والاقتصادية للإمبراطورية البريطانية، وقد اكتسب خبرة عملية عن طريق عمله في مستعمرات بريطانية ومناطق نفوذ بريطانية أخرى، وان ذلك ما جعله مؤهلاً للعمل في بيئات متعددة الثقافات، وتجدر الاشارة ان سليتر توفي في لندن عام ١٩٤٢[٣].

المحور الثاني : وصول أ. هنري سليتر الى العراق ١٩١٨–١٩٢١

شهد مطلع القرن العشرين تحولات سياسية كبرى أدت إلى انهيار الدولة العثمانية، التي كانت تُعد إحدى أهم الإمبراطوريات في التاريخ الإسلامي، فقد دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨) وهي تعاني من ضعف إداري واقتصادي وعسكري، إضافة إلى تصاعد الحركات القومية داخل ولاياتها العربية، مما جعلها غير قادرة على الصمود أمام القوى الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا[٤].

كان العراق جزءاً من الدولة العثمانية إلا أن أهميته الاستراتيجية والاقتصادية جعلته محط أنظار بريطانيا، ولا سيما بسبب موقعه الجغرافي القريب من الخليج العربي، وارتباطه بحماية الطريق إلى الهند، فضلاً عن اكتشاف النفط في منطقة الموصل، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى سارعت بريطانيا إلى تنفيذ خططها العسكرية في العراق، فأنزلت قواتها في الفاو عام ١٩١٤، ثم تقدمت تدريجياً نحو البصرة وبغداد[٥].

واجهت القوات العثمانية صعوبات كبيرة في الدفاع عن العراق بسبب ضعف الإمدادات وتراجع التنظيم العسكري، فضلاً عن قلة الدعم المحلي، وعلى الرغم من بعض النجاحات العثمانية، مثل حصار الكوت (١٩١٥–١٩١٦)، فإن ميزان القوى مال في النهاية لصالح بريطانيا، التي استطاعت احتلال بغداد عام ١٩١٧، ثم الموصل عام ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب[٦].

أدى سقوط الدولة العثمانية إلى إنهاء الحكم العثماني في العراق وفتح الباب أمام السيطرة البريطانية، التي فرضت نظام الانتداب بموجب قرارات عصبة الأمم، وقد مثّل الاحتلال البريطاني مرحلة جديدة في تاريخ العراق الحديث، اتسمت بظهور الوعي الوطني، واندلاع الثورات الشعبية، رفضاً للهيمنة

الأجنبية والمطالبة بالاستقلال وهكذا شكّل انهيار الدولة العثمانية واحتلال العراق نقطة تحول مفصلية أسهمت في رسم ملامح الدولة العراقية الحديثة[٧].

بعد سقوط الدولة العثمانية واحتلال العراق من قبل بريطانيا عملت في عام ١٩١٨ على اعادة تشكيل السياسة والادارة في العراق، وفي المجال نفسه عملت بريطانيا على استقدام مجموعة من الخبراء والمستشارين[٨] وكان من ابرزهم سليتر الذي وصل إلى العراق بصفه خبير ومستشار بريطاني وليس فقط مجرد موظف بريطاني إداري، وقد عُدّ من الشخصيات التي امتلكت رؤية واضحة لإصلاح وتطوير النظام في العراق، وفي المجال نفسه قام سليتر على نقل التجربة الادارية البريطانية وتكييفها مع الواقع العراقي، مع مراعاته بدرجات متفاوتة الوضع الاجتماعية والثقافية المحلية[٩].

وعند وصول برسي كوكس (Percy Cox)[١٠] في تشرين الأول ١٩١٨م بصفته المقيم البريطاني في العراق سار على نفس خطط له من وزارة الهند فعمل برسي كوكس على تقسيم الوزارات كل حسب اختصاصها أو قربها من اختصاصات الموظفين البريطانيين الذين اختيروا كمستشارين لها، فوقع اختياره على سليتر ليكون مستشارا لوزارة المالية لخبرته الطويلة في شؤون الإدارة وإلمامه بتدبير أمور الوزارة المختلفة[١١].

وبعد تشكيل الحكومة المؤقتة في العراق عام ١٩٢١، أصبح من المفترض على الحكومة البريطانية، ان تتخلى عن تحكمها بالأمور المالية في العراق، وتسليمها إلى أول وزير مالية يهودي عرف باسم ساسون حسقيل[١٢] (Sasson Heskel)، الذي اصبحت مهامه متابعة موظفي وزارة المالية، وكذلك الإشراف على أعمالها من تنظيم شؤون الموظفين وترفعيهم، وتخصيص الميزانية العامة، واستحصال الواردات، وصرف النفقات المالية العامة[١٣].

المحور الثالث: أ.هنري سليتر ودوره المالي والاقتصادي في العراق١٩٢١-١٩٢٩

اولاً: دوره في السياسة المالية

عندما اصبح سليتر المستشار المالي لوزارة المالية العراقية، كانت مهامه متعددة حسب لائحة التعليمات لهيأة الإدارة العراقية، وكذلك الإدارة البريطانية، والتي كان من ابرزها تدريب العراقيين بصورة تدريجية على ادارة الدوائر المالية العراقية عن طريق تقديمه النصائح في الأمور المعروضة عليه من قبل وزارة المالية العراقية، وله الحق في تقديمه المقترحات المناسبة بهدف تطوير عمل الادارة، ويأتي دور السكرتير المالي للمستشار بعد الوزير والمستشار في الأهمية ، وشغل منصب موظف بريطاني[١٤].

عمل سليتر مستشار وزارة المالية العراقية على تصنيف الدوائر التابعة لوزارة المالية كلا حسب اختصاصها، أو قربها من ذلك الاختصاص بصفة دوائر مركزية أو دوائر ملحقة، وعمل على ضم كل من مكتب الوزير ودائرة المالية[١٥].

شارك مستشار وزارة المالية سليتر مع اعضاء الوفد العراقي عندما تلقى العراق دعوة لحضور مؤتمر القاهرة في آذار ١٩٢١ ، وفي المجال نفسه ناقش سليتر مع اللجنة المالية العديد من القضايا المالية المختلفة التي كانت حول العراق منها وضع العراق الاقتصادي، وكذلك ميزانية العراق العراقية خلال المدة (١٩٢١-١٩٢٢)[١٦]، وكذلك احصاء عدد ملاك القوات البريطانية في العراق ومدى تحمل الحكومة البريطانية لجميع نفقات افراد القوات العراقية خلال ثلاثة سنوات القادمة، وفي ضوء ذلك قدم سليتر مستشار وزارة المالية الى اللجنة المالية للمؤتمر إقتراحاً حول بقاء الفائض من الاموال المتراكمة التي كان عددها (٣٠٠) روبية، التي تطالب بها الحكومة العراقية سوف تبقى في الخزانة البريطانية، وكما أن جميع مطالبات الحكومة البريطانية ضد الحكومة العراقية سوف تتغيير، مبينا ان ذلك يتطلب تقليص في عدد الموظفين الذين كانوا مشغولون في السعي نحو تحقيق مختلف الامور المتعلقة بين الإدارة المدنية ووزارة الدفاع في العراق، وقد سمح ذلك بتخفيض مماثل في الهيئة المالية للإدارة العسكرية، وبعد مناقشة تامه للتقرير المقدم، وافقت اللجنة على المقترح بصورة نهائية[١٧].

شكل سليتر لجنة ثانوية تألفت من مجموعة من الموظفين البريطانيين والعراقيين، وكان احد اعضائها البارزين التي ناقشت العديد من الأمور المختلفة منها بحث امكانية شراء الحكومة العراقية بعض المنشآت البريطانية التي اقامتها القوات البريطانية في العراق[١٨]، بين سليتر فيه ان هناك العديد من الممتلكات البريطانية الواجب استغلالها لخدمة الشعب العراقي، وفي ضوء ذلك تم تسليم العديد من الممتلكات إلى الحكومة العراقية من غير أي قرار يخص قيمة راس المال، وكان من أبرز تلك الممتلكات (الموانئ، وسكك الحديد، ودوائر البريد والبرق، والجسور)، وأخذت اللجنة المالية الثانوية تعمل على دراسة الحسابات بين الادارتين المدنية والعسكرية[١٩]، وعندها ادرك سليتر ان مسألة تسويتها صعب جدا ولتلافي الخلافات التي لا تنتهي، عرض إقتراح يوضح أن المصروفات المالية أو العسكرية جميعها حتى ٣١ آذار ١٩٢١ ينبغي عدها واحدة وان الفائض يجب أن يكون تابع الحكومة العراقية ، ونتج عن ذلك انشاء سجل يبدأ به العام المالي(١٩٢١-١٩٢٢)[٢٠]، ووضح سليتر أن الأرصدة المالية الفائضة التي كانت متراكمة كافة لدى الإدارة المدنية قد نشأت، لأن الجيش دفع أموالاً عن كثير من الأعمال والخدمات التي توفرها الإدارة المدنية، وفي ضوء ذلك طالب رستم حيدر[٢١]مدير الديوان الملكي بتلك الأرصدة على وفق قوانين الحرب باعتبارها سلطة احتلال وبعد مناقشات عديدة وضعت مقترحات من قبل سليتر مستشار وزارة المالية التي وافقت عليها العديد من الأمور منها تكون الحكومة العراقية المسؤولة عن أي فرق صرف بين المصروفات والمدخولات المدنية أو العسكرية في العراق[٢٢]، وكان التخلص من المصروفات الوطنية، بأسرع طريقة مناسبة وبقدر الإمكان إلى الحكومة العراقية بتقدير عادل واجبرت اللجنة المالية العراق على دفع جميع النفقات المدنية في المستقبل وإسهامها في النفقات العسكرية البريطانية ، وعلى الغرار نفسه حدد الإسهام العراقي على شكل احتياط وإما التعاون كان

واضحاً في المؤتمر بين سليتر مستشار وزارة المالية وممثل وزارة الخزانة البريطانية المستر جورج بارستو[٢٣](George Barstow)، بشان الشؤون المالية، وفي المجال نفسه اقترحت اللجنة المالية بعض المقترحات على سليتر منها فرض ضريبة الدخل، وبالرغم من موافقته عليها الا انه طالب في تأخير فرضها على العراق بسبب سوء الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي[٢٤]، قدر سليتر مجموعة من المبالغ وفق الجدول ادناه[٢٥].

ت	اسم الجهة	المبلغ	النسبة	السنة	الملاحظات
١	وزارة الدفاع – الجيش العراقي – قوة الدفاع	 ٥٥ لك ٢٥٠ لك	 %١٠ %١٥	 ١٩٢٢ – ١٩٢٣	أن لا يصل الجيش العراقي اكثر من (١٥٬٠٠٠) فرداً
٢	الخدمات التعليمية	٣٠٠ لك	%٢٠	١٩٢٣ – ١٩٢٤	--------

اوضح سليتر مستشار وزارة المالية في تقرير رفعه إلى السكرتير المالي لدار الاعتماد البريطاني ستافورد (S.E.Stafford)، الجانب المالي للإدارة البريطانية جاء فيه ان الجانب المالي في العراق من الممكن عده وجها من أوجه الادارة العامة للحكومة البريطانية ، وقد أعطى صورة تقريبية عن الإدارة المالية في العراق عدا دوائر سكك الحديد، موضحا أن العدد الكبير من الموظفين البريطانيين والهنود عملوا في العراق وحصلوا على وظائف الرئيسة ذات المردود المادي العالي في العراق ، على حساب العديد من الموظفين العراقيين الذين لم يحصلوا إلا على الوظائف الثانوية ذات الرواتب القليلة[٢٦]، ومما تجدر الاشارة اليه الى ان رواتب الموظفون البريطانيون تتجاوز أكثر من (٦٠٠) روبية فقط، مما ادى الى أثقال الخزينة المالية للدولة العراقية واصابتها بعجز مالي ، وبالتالي كان له الأثر على مستوى الخدمات التي قدمتها الحكومة[٢٧].

اجرى سليتر العديد من المحاولات للقيام بإجراء وقائي لغرض تقليل العجز في الميزانية المالية العامة خلال المدة (١٩٢٤–١٩٢٧)، وكان من ابرز تلك المحاولات هو تشكيل لجنة اطلق عليها اسم (لجنة التوفير) تكون تحت رئاسة وزير المالية ساسون حسقيل وعضوية مستشار الوزارة سليتر ، وقسمت اللجنة أعمالها في قسمين: القسم الأول يتعلق بأحداث تغيير في أعمال الدولة ، عن طريق مطالبته بتقليص عدد الموظفين العراقيين المشمولين بقانون التقاعد بصورة تدريجية، وتخفيض رواتب الضباط ذوي الرتب الصغيرة في الجيش والشرطة[٢٨]، فضلا عن تخفيضات شملت الأجانب والمخصصات المتنوعة، وكذلك النقل بالسيارات في الدوائر ومخصصات النقل للموظفين، فيما كان القسم الثاني قد

خصص لتخفيض النفقات في ميزانيات دوائر الحكومة والغائها، ووضع سليتر ضوابط محددة تسير عليها الوزارات والألوية والقائمقاميات والنواحي كافة ومن ابرزها : لا يجوز تجاوز الحصص المخصصة للوزارات والألوية[٢٩]، وكما ينبغي مراعاة تقسيم الحصة الكاملة بين الرواتب ، والمخصصات والخدمات لغرض السماح بأقل صرف ممكن على رواتب المؤسسات ، ووضح انه ليس من الضروري زيادة الحصة ضمن جميع المواد الخاصة بالمخصصات والخدمات ولا ينبغي إعادة المال للدخل في حالة كون الحصة مخصصة في ميزانية وزارة المالية العراقية، وكذلك يجب ترتيب تخمين الميزانية، وفي المجال نفسه حدد راتب رئيس الوزراء بـ (٧٠٠٠) روبية شهرياً، وراتب الوزير بـ(٣٠٠٠) روبية شهرياً، ومن المهم ان نشير اليه ان تلك الرواتب لا تخضع لآية قواعد مالية[٣٠].

خصص سليتر مستشار وزارة المالية رتب خاصة للضباط البريطانيين الرئيسين في وزارة المالية لتعينهم هناك بسبب سوء الوضع السياسي وكان الغرض من التعيين هو تجنب الرشوة وتحقيق النزاهة ولزيادة الإشراف على الشؤون المالية العراقية[٣١]، وكذلك العمل على تقليل العجز في ميزانية العراق المالية، وفي المجال نفسه اجرى سليتر مستشار وزارة المالية جهود كبيرة بشان إجراء التغييرات التي لم تقتصر على مقر الوزارة فحسب، بل شملت دوائر مالية الألوية والأقضية، حول الموضوع نفسه اشرف سليتر خلال عام ١٩٢٢ على قيام وزير المالية بتوحيد دائرتي المصروفات والواردات في دائرة واحدة تكون تحت إشراف موظف مالي أطلق عليه اسم (مأمور الشعبة)، على أن يكون مدير الشعبة ومعاونيه والمحاسبين تحت إشراف الوزير مباشرا، وكما ان الشعب المالية في الأقضية والنواحي بوزارة المالية[٣٢].

نشط سليتر بإجراءاته جميع العمليات المالية في وزارة المالية إذ ازدادت المعاملات المالية إلى أضعاف ما كانت عليه في السابق، بالاضافة الى ان اجراءاته كان لها تأثيران الاول تأثير سلبي حول زيادة التخصيصات المالية للعاملين في وزارة المالية على الرغم من أن الناحية المالية متدهورة، أما التأثير الثاني فانه كان ايجابي حول تعيين (٢٩) موظفاً بدلا الموظفين الهنود[٣٣].

أحتلت وزارة المالية المرتبة الثانية بعد وزارة الداخلية بعد التوقيع على المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٢٢ من حيث الأهمية، بسبب اتصالها وتداخلها الوثيق والقوي مع الوزارات والدوائر الإدارية الحكومية الأخرى[٣٤]، وقد ضم المقر العام للوزارة كلاً من مستشار وزارة المالية، وهيئة تفتيش مالي تألفت من المفتش العام وعدد من المفتشين الماليين والمساعدين تتمثل واجباتهم بإجراء المراقبة والتفتيش على جميع المسائل في الدوائر المالية وهؤلاء جميعاً مسؤولون أمام المستشار المالي للوزارة، وفي المجال نفسه اشترطت الاتفاقية المالية على تحمل العراق كافة نفقات إدارته الداخلية، بما في ذلك مرتبات المستشارين البريطانيين، ما عدا المعتمد السامي وهياة موظفيه تتحملها الحكومة البريطانية[٣٥].

برزت خلافات واسعة بين الجانبين العراقي والبريطاني، بسبب عدم وجود قضايا محددة للاستشارة من حيث الاستشارة المالية، وبهذا الصدد أوضح المعتمد السامي برسي كوكس وجهة نظره

حيال ذلك الخلاف وبين ان تكون الاستشارة في القضايا المالية المهمة، وعليه ارسل بيرسي كوكس السكرتير المالي للمعتمد السامي ستافورد إلى سليتر[٣٦]، وقام بتحديد الأمور التي تستوجب الاستشارة المالية حولها التي تعلقت بالميزانية السنوية والاقتراحات المتعلقة بوضع رسوم جديدة أو زيادة الرسوم القديمة أو الغائها أو الاستثناء من دفع الرسوم والاقتراحات المتعلقة بالبحث عن واردات الأراضي وتخمينها وتحصيلها[٣٧]، وكذلك الاقتراحات المتعلقة بتخمين وتحصيل الرسوم الميرية ورسوم الري والبحث عنها كذلك المتعلقة بإدارة الكمارك والمكوس وتخفيض المصاريف، وعمل صنوف مهمة جديدة من المصاريف بما في ذلك المشاريع المهمة في الاشغال العمومية والري والعفو عن مبالغ جسيمة مستحصلة للحكومة والامتيازات واقراض الحكومة أو الاستقراض منها وبيع أو وهب أملاك الدولة الواسعة الثمينة أو بتأجيرها إلى مدة أكثر من خمس سنوات ومسألة التزام الاراضي، وفي حقوق الملاك والملتزم وأمثالها وتنظيم جميع المؤسسات العائدة إلى الأمور المالية والواردات وتعديل طريقة تخمين وجباية الرسوم[٣٨]، وكما انه عمل على توضيح طريقة الاستشارة التي يجب أن تتم بإن يبلغ المعتمد السامي عن طريق المستشار المالي للوزارة بجميع الأدوار المهمة التي تمر بها المشاريع ، او الاقتراحات المالية منذ بدايتها، وبسرعة على أن تصل الأخبار إلى المعتمد السامي من دون تأخير لكي تتيح له وقتاً كافياً لإبداء اقتراحاته أو إضافة أمور جديدة، فعلى سبيل المثال[٣٩]، إذا قررت وزارة المالية التحقيق في مسألة هامة فيجب إخبار المعتمد السامي حالاً بأمرها والمبادئ التي سيجري عليها والنقاط الهامة التي سيتوجه التحقيق إليها بشكل يسمح له بوقت كاف لإبداء اقتراحات أو إضافة أمور أخرى، ثم يجب أن يخبر بالتقرير التمهيدي الذي يعده الضابط المحقق، وبعدها يزود برأي الوزارة في ذلك التقرير قبل رفعه بشكل اقتراح لعرضه على مجلس الوزراء، وطلب من رئيس الوزراء إصدار تعليمات إلى الوزراء بشان ذلك[٤٠]، أدت إلى إستياء الملك فيصل الأول[٤١] لأن ذلك يؤدي إلى تأخير غير مرغوب فيه، ولاسيما وان العراق كان دولة الناشئة لها كثير من الالتزامات المالية ، وبهذا الصدد عمل على ارسال وجهة نظره إلى المعتمد السامي بشأن ان يقوم ديوان مجلس الوزراء العراقي بإبلاغ المعتمد السامي في الأمور المالية المهمة[٤٢] مما كان له أثر في حدوث خلاف بين الجانبين العراقي والبريطاني بشان المشورة المالية وعلى اساس ذلك قدم سليتر مستشار وزارة المالية اقتراحاً، لتسوية قضية المشورة تعلق بإصدار رئيس الوزراء العراقي منشوراً إلى جميع المستشارين البريطانيين نص على أن يقوموا في حالة المداولة مع أحد الوزراء بصدد مسألة من المسائل المهمة المراد عرضها على مجلس الوزراء بأخبار المعتمد السامي البريطاني، بذلك بشكل يتيح له أبداء رأيه فيها[٤٣]، وعليه ايضاً ان يطلع وزيره على ما قد يبينه المعتمد السامي البريطاني من الآراء، أما إذا اختلفت آراء المعتمد مع آراء الوزير فعلى المستشار أن يبلغ رئيس الوزراء بما دار بشأن تلك المسألة قبل عرضها على المجلس وبعد ذلك، وافق الملك فيصل الاول على حدود الاستشارة المالية التي وضعها السكرتير المالي للمعتمد السامي البريطاني ووافق المعتمد السامي

البريطاني على المقترح على شرط وضع عبارة قبل أن يتقرر الشكل الذي ستعرض به الاقتراحات على المجلس بدلاً من عبارة قبل عرضها على المجلس[٤٤]، لأنه من وجهة نظره الأولى تبين ان الحكومة العراقية قد بلورت الموضوع المراد بحثه ثم تعرضه على المعتمد السامي، أما العبارة الثانية تكون الحكومة العراقية ملزمة بإخبار المعتمد السامي بمجرد شروعها بموضوع معين، أي يفقدها أية صيغة استقلالية ويجعلها هياة مسؤولة امام المعتمد السامي البريطاني وليس امام الملك فيصل الاول أو رئيس الوزراء العراقي[٤٥].

ثانياً: دوره في اصدار العملة

كانت الروبية الهندية العملة المتداولة في العراق منذ احتلال القوات البريطانية لواء البصرة اذ وجد البريطانيين في الروبية الهندية افضل من الليرة العثمانية، كما كان للدوافع السياسية أثراً في أتباع بريطانيا ذلك الأسلوب ، المتمثل برغبتها في جعل لواء البصرة العراقي اشبه بمستعمراتها في الهند، وكان لسوء تعرض الحكومة البريطانية دور في تردي الوضع المالي في العراق نتيجة لسحب الموجودات النقدية من العراق[٤٦]، وتحويلها الى المستعمرات الهندية وعليه أتفق كل من السير جورج بارستو ممثل الخزانة البريطانية وسليتر مستشار وزارة المالية، على عدم تغيير العملة الهندية التي تم تداولها في العراق، فضلاً عن تسديد ديون البنك العثماني الامبراطوري، بالمقابل عمل سليتر على تقديم مقترح بشأن تحويل الديون العراقية الى الاسترليني حوالات نقدية وغير ذلك بسعر الصرف في يوم التعامل التجاري ، وقد وافق ممثل الخزانة البريطانية وأوصى بان تقرر وزارة المستعمرات سعر التحويل بإعلام العراق بالأسعار في مدد معينة على سبيل المثال كل أربعة عشر يوماً[٤٧]، وعلى اساس ذلك لم يتخذ أي أجراء بشأن العملة اعترضت القوى الوطنية العراقية بشدة على وضع الروبية الهندية في العراق عام ١٩٢٢، وطالبوا بإصدار عملة خاصة بالعراق تمثل سيادة العراق وعدها رمزاً من رموز الاستقلال الاقتصادي المتمم للاستقلال السياسي ، ووفقاً للمادة (١٠٧) من القانون الأساس (الدستور) بأن يقر نظام مسكوكات الدولة بموجب قانون (١)، أخذت القوى الوطنية العراقية توجه اللوم لسليتر مستشار وزارة المالية العراقية، لأنه حال دون تحقيق مشروعهم حول انشاء عملة خاصة بهم، لأنه جزء من الاستقلال السياسي، الذي يحقق النهضة الاقتصادية والتقدم للبلاد، رد سليتر على تلك الاتهامات عن طريق تقديمه تقريراً عن المشاكل المالية بصورة عامة، ونوع العملة على الخصوص، أوضح فيه تلك المشاكل[٤٨]، وفي عام ١٩٢٣ عصفت بالعراق ازمة مالية، إذ غطت جيوش الوفاق نفقاتها نتيجة العجز الحاصل فيها من الأوراق النقدية لشراء ما يقتضي من داخل العراق أخذت الأوساط الرسمية تقف الى جانب مطالب القوى الوطنية بإيجاد عملة وطنية، فضلاً عن الأضرار المالية التي تكبدتها الموازنة العراقية بسبب نقل النقود العراقية الى الهند بدلاً من أن تستفيد منها الموازنة العراقية[٤٩].

ونتيجة لإصرار القوى الوطنية على اصدار عملة عراقية، وصلت الى العراق بعثة بريطانية عام ١٩٢٥ لدراسة وضع العراق المالي تحت رئاسة السير ادوارد هلتن يونغ [٥٠] (Hilton Young .r.)، والذي عمل معه مستشار وزارة المالية قرنون (Vernon)، وكانت اللجنة تنوي الابقاء على الوضع المالي في العراق على ما هو عليه، لأن تداول الروبية الهندية كسبت ثقة معظم العراقيين، وان ايه تغيير يطرأ عليها سوف تسبب كارثة مالية في البلاد، وعليه يجب الابقاء على نظام الروبية الهندي لذلك عارضوا المشروع العراقي بشأن استحداث عملة وطنية وبنك أهلي عراقي[٥١].

أصر سليتر على التعاون مع الحكومة العراقية على استحداث العملة بسبب اصرار العراقيين عليها، فأقترح في المادة خمسين من تقريره أن النقد الوطني الوحيد الذي اصبح التفكير في إستحداثه هو انشاء روبية عراقية تقدمها حكومة الهند أو روبية عراقية مبنية على نظام النقد البريطاني تقدمها الحكومة البريطانية ، وانشاء نقود بريطانية تكون على كلا الوجهين فيها، وان ذلك الامر يُكلف العراق نفقات كبيرة جدا وحتماً ينجم عنه ضرر مالي، فضلا عن ذلك إذا نظرنا في مسألة تبديل الروبية الهندية بنوع من نوعي الروبية المذكورة إرضاء للشعور الوطني العراقي ، كان التبديل أسميا لا حقيقياً ، لذا نرى لا فائدة من إحداث التغيير للتعويض عن الأضرار الكبيرة[٥٢].

قدم المستر قرنون تقرير سري حول موضوع العملة الروبية في ٢٤ كانون الأول ١٩٢٥، الى ساسون حسقيل وزير المالية العراقية وسليتر مقترحا على العمل مع إدارة بنك إيسترن أوف أنكلند (Eastern of England Bank) البريطاني، بشأن استحداث عملة عراقية جديدة، أوضح في ذلك التقرير أنه تداول مع البنوك الثلاثة، ومع أشخاص آخرين ماليين وتجاريين بين فيه ان تداول العراقيين للروبية غير مستديم لذلك يجب الاعتماد على العملة الاجنبية[٥٣].

كما توصل قرنون إلى نتيجة اخرى بشان العملة بينت أن الوقت غير مناسب لأحداث تغييرات في العملة العراقية، لمعالجة تلك التصورات، وأكد انه في حالة أقدام الحكومة على أصدرا العملة الوطنية العراقية، فيجب قيام الحكومة العراقية الاحتفاظ بمال احتياطي لدى لجنة مستقلة تماماً عن الحكومة العراقية ، واكد على استحداث لجنة جديدة سميت (لجنة العملة العراقية) يكون اعضائها وزارة المستعمرات البريطانية وتكون تحت إشرافها المباشر، ويكون مقرها في بريطانيا[٥٤].

ثالثاً: دوره الاقتصادي

تشكلت الحكومة العراقية في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ – ٢٣ آب ١٩٢١ وبعدة مدة وجيزة فاتحت شركة النفط الأنكلو–فارسية وزارة المالية العراقية بشان العمل على حفر كشروع سدة الفاو العراقية، وعليه عقد اجتماع للتداول بذلك المشروع اجتمع فيه مستشار وزارة المالية سليتر مع مدير ميناء البصرة العقيد جيرالد وارد (Gerald Ward) لمناقشة الأمور المطروحة بذلك الشأن، وأقترح سليتر في الاجتماع بأن تقوم إدارة الميناء بالإشراف على تنفيذ المشروع ، على أن تتحمل الشركة تكاليف نفقات العمل

بإقراض إدارة الميناء مبلغاً مناسباً لتنفيذ المشروع، على شرط سداد القرض عن طريق اصدار عدد من الأسهم ، في حين تقدم البحرية البريطانية الخبرة والإستشارة الهندسية حول ذلك الامر، ونتيجة لذلك وافقت الشركة مبدئياً على مقترحات سليتر ، باستثناء تسديد القرض عن طريق الأسهم المالية، إذ أدعت الشركة عدم وجود أي ضمان لتسديد القرض على تلك الطريقة، وبسبب أهمية المشروع وافقت الشركة على تنفيذه(٥٥).

أرسلت تلك المقترحات إلى الحكومة العراقية ووفق ذلك تم تشكيل لجنة في ٢١ آذار ١٩٢١ برئاسة عبد اللطيف المنديل وزير التجارة وعضوية سليتر مستشار وزارة المالية وممثلين عن الشركة البريطانية، حاول سليتر اضافة طابع قانوني للحكومة العراقية على المشروع ، لذا تقدم باقتراح قيام الحكومة على إدارة المشروع والإشراف عليه بشكل رسمي ، غير أن الاقتراح قوبل بالاعتراض بشكل مباشر من قبل ممثل شركة النفط الأنكلو – فارسية سلايد (E. Slade) الذي أقترح تأليف مجلس إدارة ضم ممثل عن الحكومة العراقية ، وممثلاً عن ادارة الميناء، وممثلاً عن الشركات التجارية ، وممثلاً عن شيخ المحمرة ، وأخر عن الشركة (الأنكلو–فارسية)، وقد حظي الاقتراح بموافقة الجميع، إلا أن المفاوضات توقفت دون التوصل إلى نتيجة ، بسبب عدم الحصول على الأموال الكافية لتسديد المشروع، وعدم الاتفاق على الفوائد المترتبة عليه(٥٦).

قام المعتمد السامي البريطاني برسي كوكس بالتوسط بدلا عنها لأخذ موافقة الحكومة العراقية بإعادة الكشف من جانبها لتنفيذ المشروع مباشرة، فأرسل المعتمد السامي إلى مجلس الوزراء مذكرة بين فيها أن العمل ذلك المشروع يشوبه المخاطر ولابد للحكومة العراقية أن تتريث للعمل به، واقتراح سليتر البدء بالمشروع لذلك قرر المجلس مفاتحة وزارة المستعمرات الأرسال ذوي الاختصاص الذين سيقومون بعملية الكشف والشركات التي ينتمون إليها، وأشترط مجلس الوزراء تعيين عضوا من جانب الحكومة العراقية في اللجنة، ويبدو ان هناك اختلاف في الآراء بشان البت في الموضوع والعمل على تحقيقه(٥٧).

طالبت اللجنة التي أرسلت من وزارة المستعمرات أن تقوم الشركة (الأنكلو–فارسية) بتغطية المشروع مالياً من خلال منح قرض مالي للحكومة العراقية بمقدار (٥٠٠,٠٠٠) جنيه أسترليني ، بفائدة (٦%) ، ولمدة (١٢) عاما مع منح الحكومة العراقية ، الحرية الكاملة في تسديد القرض قبل انتهاء المدة المتفق عليها ، وقد حظيت تلك الاقتراحات بموافقة ساسون حسقيل وزير المالية، وفي ٩ آذار ١٩٢٥ وقع كل من الحكومة العراقية مع إدارة الشركة (الانكلو– فارسية) الأتفاقية على تنفيذ المشروع ، وقد بدأت الشركة بأعمال الحفر حتى قبل حصولها على الموافقة الأصولية لأهمية المشروع، وحصل العراق بموجب تلك الاتفاقية على مبلغ قدره (٤٦٤,٤٠٠)، جنية أسترليني من شركة (الانكلو– فارسية)(٥٨).

وتجدر الاشارة كان لخوف سليتر دور كبير في شراء مشاريع سكك الحديد وبهذا الصدد قدم مذكرة إلى الحكومة العراقية في كانون الأول ١٩٢٢ ، أكد فيها رغبة الحكومة البريطانية على بيع سكك

الحديد بموجب قاعدة البيع بالأقساط ، ابتداء من اليوم الأول من نيسان ١٩٢٣، والسبب في ذلك كان نابع من حاجة الحكومة البريطانية للسكك الحديد بعد انتهاء العمليات العسكرية في العراق، وحدد قيمة السكك الحديد بـ (٤٥,٤٨٠,٦٤٧) روبية، فضلاً عن ذلك قيمة ما أنفقته في مدة التقدير، وقيمة بعض المواد الإنشائية في مخازن السكك الحديد والتي قدرت بـ (١,٠٥٧,٥٩٣) روبية[٥٩]، نظرت الحكومة العراقية الى الارتفاع التي طالبت مقابل السكك مبالغ فيها، وان الحكومة البريطانية كشفت عن الموضوع دون دراسة مسبقة ومن دون علمها وموافقتها المبدئية عليها[٦٠].

قدم المستشار سليتر وزارة المالية مقترح بسبب الظروف المالية الصعبة التي حصلت في العراق، وعدم تمكنه من شراء السكك الحديدية أن تقوم أحدى الشركات بشراء السكك من الحكومة البريطانية، على أن تستحصل تلك الشركة امتيازاً لتشغيلها في العراق، كما يكون لحكومة العراق دورا في إدارتها[٦١].

وضعت الحكومة البريطانية شروط عدة مقابل نقل ملكية السكك الحديدية الى العراق والتي كان من ابرزها: تسديد ثمن السكك الحديد الأساسي على مدة أقصاها (٢٥) عام ، وان يكون العراق الخيار بتسديد المبلغ في مدة أقصر إذا سمحت له أحواله المالية ، ويعد الثمن الأساس ما جاء في تقدير الخبير البريطاني وأن يتم تسديد الثمن مع الفائدة على سعر التحويل ، وبعد تسلم مجلس الوزراء العراقي الشروط عقد جلسة لمعرفة كيفية معالجة عجز السكك الحديد المتوقع حصوله في حالة تسلم الحكومة العراقية لها ، وتعيين شكل المراقبة على إدارتها أو حين تشغيلها عن طريق الشركات[٦٢]، ولذلك قرر مجلس الوزراء تشكيل لجنة ضمت في عضويتها كلاً من ناجي السويدي[٦٣] وزير العدلية ، وساسون حسقيل وزير المالية ، وياسين الهاشمي[٦٤] وزير الأشغال والمواصلات وويتلي (Weatly) مستشار وزير الأشغال والمواصلات ، فضلاً عن سليتر مستشار وزارة المالية، وعلى اللجنة ابداء رأيها في تقدير الخبير البريطاني[٦٥].

رفعت اللجنة الوزارية تقريرها إلى مجلس الوزراء العراقي في ١٣ حزيران ١٩٢٣ ، الذي أتخذ فيه كل من ياسين الهاشمي وناجي السويدي رأياً موحداً ، حينما اقترحا أن يطلب العراق من الحكومة البريطانية الموافقة على جعل تسديد قيمة السكك الحديد في الأعوام الخمس الأولى على قدر ما تسمح به إيرادات السكك فقط، وأن تخصص أية زيادة ناشئة من إيرادات السكك للأعوام الخمسة المذكورة لدفع قسم من الدين الأصلي ، على أن لا تستوفي أية فائدة منها[٦٦]، وأكدت اللجنة في تقريرها بتعهد الحكومة العراقية إذا وجدت بعد انتهاء الأعوام الخمسة الأولى بأنها في وضع مالي جيد، وباستطاعتها الاستمرار على تشغيل سكك الحديد، فحينئذ تقوم بدفع المبلغ السنوي لاستهلاك الدين المتبقي وفوائده من الواردات العمومية ، ولكن من دون استيفاء للفائدة على ما دفع من أجل الدين في الأعوام الخمسة الأولى[٦٧].

أما رأي سليتر فعلى الرغم من أنه وافق على عدم دفع الحكومة العراقية أي شيء في السنوات الخمسة الأولى من إيرادات السكك فقط ، إلا أنه رفض الاقتراح الأخير إذ أنه أستبعد موافقة حكومته على عدم استيفاء الفوائد عن المدة المذكورة الا انهم لم يتوصلوا إلى نتيجة محسومة بذلك الشأن(٦٨).

قدم مستشار وزارة المالية اقتراحا إلى الحكومة العراقية في محاولة منه لأقناع الحكومة العراقية بمنح إدارة السكك الحديد قرضاً قيمته (٥٠٠٬٠٠٠) روبية بفائدة (٦,٥%) موضحا لهم المقاصد التجارية، والمنافع الاقتصادية وراء بناء سكة حديد (الهندية كربلاء)، وأوضح أن بناء ذلك الخط سيؤدي إلى زيادة في المدخولات بمقدار (٤٠٠٬٠٠٠) روبية في العام، كما أوضح بأن نفقات أنشائه ستكون قليلة، فوافقت الحكومة العراقية بناءً على اقتراحه(٦٩).

عندما وصلت البعثة المالية برئاسة هلتون يانغ إلى العراق، وضعت اللجنة اقتراحاتها لنقل ملكية سكك الحديد للحكومة العراقية ، ونصت على انه يجب نقل ملكية السكك إلى هياة خاصة تسمى (شركة التعاون) ويجب أن تصبح الاخيرة مالكة للسكك الحديد والمسؤولة عن إدارتها الشركة من ثلاثة مدراء تعينهم الحكومة العراقية ومن مديرين أثنين تعينهما الحكومة البريطانية ، ويتكون رأسمال الشركة من (٥٠٬٠٠٠٬٠٠٠) روبية ، قسم على حصتين بالتساوي تكون ملك الحكومتين البريطانية والعراقية، وأعترض المعتمد السامي البريطاني على تقرير البعثة(٧٠).

قدمت فيه البعثة تقريرها إلى وزير المالية ، لفت نظر مستشار الوزارة قرنون فيما له علاقة بالاتفاقية المالية بعض الأمور التي كانت رهن المناقشة آنذاك بين الحكومتين العراقية والبريطانية ، ولما كانت تلك الأمور ذو صلة بالوضع المالي وبالتوازن المالي في المستقبل فلم تر البعثة من ابداء نظرها في تلك الأمور وابداء ما تراه مناسباً ، إذ وجد قرنون ، أن تسعيرة المرافق العامة المنقولة إلى حكومة العراق من جانب حكومة بريطانيا حددتها المادتين (٥-٦) من الاتفاقية المالية بمبلغ مالي قدره (٩٤٠,٩٥٤٠) لك ، وكان المعتمد السامي البريطاني قد أقترح على الحكومة البريطانية أن يتم تخفيض (١٨) لكاً من المبلغ ، وقد وافقت وزارة المستعمرات ، ووزارة المالية على التخفيض على شرط أن تقبل الحكومة العراقية بتصفية بعض الطلبات المستحقة عليها للحكومة البريطانية(٧١).

اصرت الحكومة العراقية على نقل السكك الحديد إلى الحكومة العراقية، وبهذا الصدد قدم محمد امين زكي(٧٢) وزير الأشغال والمواصلات وياسين الهاشمي وزير المالية عام ١٩٢٧ مذكرة مشتركة إلى الحكومة العراقية اوضحا فيها أن الحكومة البريطانية غير مالكة لسكك الحديد وان مسالة تشغيلها يجب ان تكون بيد الحكومة العراقية ونظراً لعدم قيام بريطانيا بتحديد شروطها للتخلي عن السكك للحكومة العراقية ، طالبو الوزيران العراقيان من بريطانيا ايضاح الشروط بشكل صريح للحكومة العراقية(٧٣).

ردت الحكومة البريطانية بعدم تقديم أي عون مالي للسكك الحديد ، وعرضا شروط حكومتهما لنقل السكك، بعد السعر (٢٥,٠٠٠٬٠٠٠) روبية ديناً للحكومة البريطانية ، وأن يستمر على نظام الإدارة

إلى أن يتم البت في شروط دفع المبلغ المذكور، ونتيجة لذلك أقترح مستشار وزارة المالية اللجوء إلى التحكيم، فوافقت الحكومة العراقية عليه(٧٤).

قدم يوسف غنيمة وزير المالية تقريراً إلى حكومة عبد المحسن السعدون الثالثة في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٨ بصدد خطته المالية ، اقترح فيه شراء الحكومة العراقية السكك الحديد بمبلغ لا يتجاوز (٧,٧٩٥,٠٠٠) روبية(٧٥)، وتطبيقاً لذلك طلبت الوزارة من يوسف غنيمة ان يحضر اقتراحات الحكومة العراقية مؤكداً اصرار حكومته على تحمل العراق كافة المسؤوليات المالية بما فيها ما يستجد من ديون تعود الى شركة سكة حديد بغداد(٧٦).

وعلى اثر ذلك شكلت الحكومة العراقية لجنة للنظر في قضية السكك الحديد على اساس وجهات نظر المستشارين البريطانيين وشروط الحكومة البريطانية ، كان للتزام الحكومة البريطانية بإلزام العراق بأعباء مالية لا يستطيع العراق تحملها وراء فشل اللجنة ومن ثم الوزارة التي قدم استقالتها عبد المحسن السعدون في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٩(٧٧).

الخاتمة :

بعد البحث والكتابة في موضوع أ. هنري سليتر ودوره في العراق حتى العام ١٩٢٩ يتضح لنا ما يأتي :

١- أن تأثير سليتر لم يكن محصورًا في إدارة الشؤون المالية فقط، بل امتد ليشكّل أحد أعمدة النفوذ البريطاني داخل مؤسسات الدولة العراقية الحديثة.

٢- أسهمت سياسة سليتر المالية في فرض قيود صارمة على القرار الاقتصادي الوطني، وربط العراق بمنظومة المصالح البريطانية عبر القروض، والالتزامات المالية، والسيطرة على الإيرادات العامة.

٣- على الصعيد السياسة المالية مكّنت سلطة سليتر المالية من التأثير المباشر في تشكيل السياسات الحكومية وإضعاف دور المؤسسات الدستورية، ولاسيما مجلس النواب، الأمر الذي أثار معارضة وطنية واسعة وعدّ وجوده تجسيدًا للاستقلال الشكلي الذي رافق مدة الانتداب.

٤- ان تجربة المستشار المالي الاجنبي سليتر تمثل نموذج واضح لكيفية توظيف الأدوات المالية لتحقيق أهداف سياسية استعمارية، وتكشف في الوقت نفسه عن جذور الإشكاليات الاقتصادية والسياسية التي واجهت الدولة العراقية في بداياتها.

الهوامش:

(1)Winstone, the letters of Gertrude Bell, selected and Edited by lady Bell, London, 1927, pp.232-233.

(٢) سنت جون فيلبي، ايام فيلبي في العراق، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥٠، ص٤٧.

(3)Dean A.H. Slater, Financial Expert, Dictionary of Welsh Biographies, at the following link: bioography.wales.

(٤)ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ -١٩٥٠، ترجمة: سليم طه التكريتي، ج ١، بغداد، ١٩٨٨م، ص ١٤٤ ؛ فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩م، ص٤٤.

(٥)سر ارنلدتي ويلسون ، بلاد ما بين النهرين ، ت : فؤاد جميل ، ج١، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٣ ؛ جيرترود لوثيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب ١٩١٤-١٩١٨م، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٧١م، ص ٤٧.

(٦)سر ارنلدتي ويلسون ، المصدر السابق ، ص٣٩.

(٧)ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٩ ، دار عدنان للنشر، بغداد، ٢٠١٤، ص٥٨٤-٥٨٥.

(٨)جيرترود لوثيان بيل، المصدر السابق، ص ١٧ – ١٨.

(٩)سنت جون فيلبي، المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

(١٠)برسي كوكس : ولد في لندن عام ١٨٦٤، نشا وترعرع في لندن، تخرّج في الكلية العسكرية (ساندهيرست)، وخدم في الجيش الهندي، اصبح من أبرز رجال الإدارة البريطانية في الخليج والعراق، عمل كوكس قبل الحرب العالمية الأولى مقيمًا سياسيًا لبريطانيا في الخليج العربي، واكتسب خبرة واسعة في شؤون القبائل العربية والسياسة الإقليمية، وأثناء الحرب العالمية الأولى كان من أبرز المخططين للإدارة البريطانية في العراق بعد احتلاله من الدولة العثمانية، شغل منصب المندوب السامي البريطاني في العراق خلال السنوات (١٩٢٠-١٩٢٣)، وكان له دور محوري في تنصيب فيصل الأول، وتنظيم مؤسسات الدولة العراقية الناشئة، وصياغة العلاقة مع بريطانيا خلال الانتداب، توفي في لندن عام ١٩٣٧. للمزيد ينظر الى : صبري فالح الحمدي، برسي كوكس والسياسة البريطانية ازاء امراء نجد الكويت الحائل (١٩١٥-١٩٢٣) ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، ٢٠١٦ ، ص١٩-٢٢ ؛ ميساء صباح حامد، برسي كوكس واثره في السياسة العراقية ، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات، عدد خاصر بمؤتمر بيروت العلمي الدولي الثاني ، ٢٩-٣٠ نيسان ٢٠٢٤، ص٣٦-٤٠.

(١١)عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة العراق السياسية، المجلد الثاني ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦، ص ٤٠٨.

(١٢)ساسون حسقيل : ولد في بغداد عام ١٨٦٠، لعائلة يهودية عراقية، درس في إسطنبول ثم في أوروبا (باريس ولندن)، وأتقن عدة لغات(العربية، التركية، الفرنسية، الإنجليزية)، شغل خلال العهد العثماني منصب عضو مجلس المبعوثان العثماني ممثلًا عن بغداد وعرف بدفاعه عن مصالح الولايات العربية داخل الدولة العثمانية، وتميز بقدراته الخطابية والقانونية، اما بعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ فتولى وزارة المالية عدة مرات بين ١٩٢١-١٩٢٧، توفي في باريس عام ١٩٣٢. للمزيد ينظر الى : مير بصري ، أعلام اليهود في العراق الحديث ، دار الوراق , لندن ،

٢٠٠٦ ، ص٥٢ ؛ قسم الدراسات والبحوث ، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣ ، مطبعة نور الشرق ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص١٩.

(١٣)الحكومة العراقية، وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة الصادرة سنة١٩٢٤، نظام السلطة في الأمور المالية لسنة١٩٢٤، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٢٤، ص١١٣-١١٦.

(١٤)د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٣١١/٢٥٣٨ ، اسماء موظفي وزارة المالية ، لعام ١٩٢١ ، و ١٧ ، ص ٢١.

(١٥)د.ك.و، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملفة ٢٠٩٢ / ٣١١ ، ملفة الحسابات للمدة ١٥/٤/ ١٩١٩ - ١٥/١١/ ١٩٢٠ ، و ١ ، ص ٣٦ .

(١٦)ألف. دي ل.رشي، العراق في سجلات الوثائق البريطانية١٩١٤-١٩٦٦، المجلد الثاني١٩١٨-١٩٢١، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠١٢، ص ٥٥٢-٥٥٥.

(١٧)ألف. دي رشي، المصدر السابق، ص٥٥٢.

(18)The British Report to the League of Nations for the period 1920-1922, p. 5.

(١٩)ألف دي رشي، المصدر السابق، ص ٥٥٢- ٥٥٣.

(20)Memorandum on the Management of Public Finances in Iraq, from 1 April 1924 to 14 March 1925, Baghdad, printed at the Government Press, 1926, p. 1.

(٢١)رستم حيدر: ولد في مدينة بعلبك بلبنان عام ١٨٨٩, تنتمي اسرة رستم حيدر الى قبيلة اسد العربية, عرفت تلك القبيلة بالنضال والوطنية ضد الوجود العثماني والفرنسي اثناء الحرب العالمية وما بعدها, درس الابتدائية في مدينة دمشق, واكمل المتوسطة في المدرسة الرشدية ببغداد, ثم ذهب رستم حيدر الى الاستانة ليواصل الدراسة العليا هناك عاما ١٩٠٩, تسلم رستم حيدر منصب وزير المالية في ٩١ تشرين الاول عام ١٩٣١, للمزيد ينظر الى: عباس فرحان ظاهر الزاملي, رستم حيدر ودوره السياسي في العراق, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية بن رشد, جامعة بغداد, ١٩٩٧.

(٢٢)ألف دي رشي، المصدر السابق، ص ٥٥٧.

(٢٣)المستر جورج بارستو: ولد في بريطانيا عام ١٨٧٤، تخرّج من جامعة كامبريدج ودخل الخدمة المدنية البريطانية، خدم في وزارة الخزانة البريطانية وأصبح مسؤولًا عن خدمات الإمداد، شغل منصب ممثّل الحكومة البريطانية كمدير في شركة النفط الأنكلو-فارسية، عمل مستشار مالي إداري في العراق خلال سنوات الانتداب، وشارك في تنظيم الشؤون المالية والإدارية، وكان حلقة وصل بين الدوائر العراقية والإدارة البريطانية، توفي في بريطانيا عام ١٩٦٦. للمزيد ينظر الى :

Sir George Lewis Barstow (1874-1966), Civil Servant, Rector of Swansea University College, Dictionary of Welsh Biographies, at the following link ;biography.wales.

(٢٤)ألف دي رشي، المصدر السابق، ص ٥٦٠.

(25)Philip Graves, The Life of sir Percy Cox , London, 1941, p. 946.

(٢٦)جيرترود بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٥٦.

(٢٧)د.ك. و،ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٢٤٢/٣١١، مذكرة مرفوعة إلى مجلس الوزراء عن ميزانية ١٩٢١-١٩٢٢ المالية ، و٧، ص ٧.

The British Report to the League of Nations for the period 1920-1922 p. 4-7.

(٢٨)د.ك. و،ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٢٤٢/٣١١، مذكرة مرفوعة إلى مجلس الوزراء عن ميزانية ١٩٢١-١٩٢٢ المالية ، و٧، ص ٧.

(29)FawziA, A. El-Kaissi, Critical Aualysis of center Banking in Iraq. P. H.D., dissertation, (Economics) University of Southern California, 1957, pp. 45-48.

(30)The British Report to the League of Nations for the period 1920-1922 pp. 9-10.

(٣١)د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٢/٣١١، الموظفين البريطانيين لعام ١٩٢٢، ١٩٢٢ ، و ١٠٨ ، ص ٩٩ .

(٣٢)د.ك. و ، الوحدة الوثائقية ، تقرير عن أعمال دائرة الواردات العامة للعام ١٩٢٦ المالية ، مطبعة الحكومة، بغداد، د.ت، ص ٢.

(33)The Official British Report submitted by the British Government to the League of Nations, concerning the state of the administration in Iraq 1926-1927, translated by the editorial staff of the newspaper Al-Alam Al-Arabi pp. 2-3.

(34)FawziA, A. El-Kaissi, op. cit., pp. 49-50.

(٣٥)صحيفة الرافدان (بغداد) ، العدد ٦ ، في ٢٤ شباط ١٩٣٠.

(36)Beter Slugglert, Britain in Iraq (1914-1932), Thaca press, London, 1967, pp. 66-67 & F.O., 371/2259, Note on the International situation in Iraq by the High commissioner,1921 , p. 9.

(٣٧)د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٣٤/٣١١ ، كتاب السكرتير المالي للمعتمد السامي، سري، إلى مجلس الوزراء، ٢٥ حزيران ١٩٢٥، و ٨، ص ١٦.

(٣٨)د.ك. و ، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب المعتمد السامي إلى رئيس الوزراء ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٥ و ١٥ ، ص ١٦.

(٣٩)د.ك. و ، ملفات البلاط الملكي ، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب المعتمد السامي إلى رئيس الوزراء ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٥ و ١٥ ، ص ١٦.

F.O., 371/2259, Note on the International situation in Iraq by the High commissioner,1921 , p. 11.

(٤٠)د.ك. و ، ملفات البلاط الملكي ، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب المعتمد السامي إلى رئيس الوزراء ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٥ ، و ١٥ ، ص ١٦.

(٤١)الملك فيصل الاول : ولد في مدينة الطائف عام ١٨٨٣ ، نشأ وترعرع في كنف البادية، وفي ١٨٩١ انتقل مع والده الشريف حسين الى استنبول ، وفي استنبول تتلمذ فيصل على يد مدرسين خصوصيين ، فدرس اللغة العربية وآدابها والتاريخ كما تعلم الفنون العسكرية الصرفة ، وفي ١٩٠٥ تزوج من ابنة عمه الشريفة حزيمة بن الشريف ناصر وقد

ولدت له بنتين وولد واحد (الامير ثم الملك غازي) وبعد ثورة الاتحاديين ١٩٠٨ عاد الشريف حسين الى الطائف ، وفي ١٩١٢ عاد فيصل الى استنبول ممثلاً عن والده في مجلس المبعوثان ، وفي فترة المخاض العسير الذي مرت به المنطقة العربية ١٩١٥-١٩١٦ عهد اليه والده بأكثر المهمات سرية وكانت ينتقل بين مكة ، ودمشق ، وقد توثقت صلاته بحزب العربية الفتاة بعد المجازر التي ارتكبها جمال باشا السفاح في سوريا ١٩١٦، وفي ٨ اذار نودي به ملكاً على سوريا الا ان الاطماع الغربية في سوريا حالت دون استمرار الحكومة العربية في دمشق التي سقطت بعد معركة ميسلون ٢٠ تموز ١٩٢٠ ، وفي مؤتمر القاهرة اذار ١٩٢١ رشحته بريطانيا ملكاً على العراق في محاولة اصلاح الخطأ الفادح الذي ارتكبته بحق العرب وانكارها لحقوقهم ورشحت الملك فيصل لعرش العراق ، وفي ٢٣ اب ١٩٢١ توج فيصل ملكاً على عرش العراق وظل فيه حتى وفاته عام ١٩٣٣ . للمزيد ينظر الى : عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١-١٩٣٣ ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٩-٤٧.

[٤٢]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب الملك فيصل الأول إلى المعتمد السامي هنري دوبس في ٨ تموز ١٩٢٥، و ٣٢، ص ٣٠.

[٤٣]د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب وزارة المالية إلى مجلس الوزراء ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٥، و ١٤، ص ١٩.

[٤٤]جيرترود بيل ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨.

[٤٥]د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب وزارة المالية إلى مجلس الوزراء ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ ، و ١٤ ، ص ٢٠ .

[46]Ernest Main, Iraq from Mandate to Independence, London, 1935, pp. 188-189.

[٤٧]عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، مطبعة العاني، بغداد ، ١٩٦٦، ص ٦٠.

[٤٨]سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٨، ص ٤٨٢.

[٤٩]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٤٣٤/٣١١ ، قرارات مجلس الوزراء تقرير ناجي السويدي الى رئيس مجلس الوزراء ، ١٢ آيار ١٩٢٣، و ٧٥ ، ص ١١٣.

[٥٠]السير ادوارد هلتن يونغ : ولد في لندن عام ١٨٧٩ ، نشا وترعرع فيها، درس في كامبردج اصبح وزير المستعمرات البريطاني خلال السنوات(١٩٢٩-١٩٣١)، وكان له تأثير في رسم السياسة البريطانية تجاه العراق في مرحلة ما قبل الاستقلال ١٩٣٢، توفي في بريطانيا عام ١٩٦٠ . للمزيد ينظر الى :

Hilton Young, An Economic Study of Foreign Companies, University/Economic Thesis written before the war, London, 1912, pp. 87-92, 129, and 154 & Karen Arendall, Edward J. Dent, A Life of Words, Boedell Press, London, 2023, p. 73

[٥١]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٣٦١/٣١١ ، مذكرة الخبير المالي السير قرنون إلى وزارة المالية، ٢٤ كانون الأول ١٩٢٥، و ٨، ص ١٣.

[٥٢]الحكومة العراقية، وزارة المالية، تقرير البعثة المالية لعام ١٩٢٥ ، ص ٣٣-٣٢.

[٥٣]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٣٦١/٣١١، مذكرة الخبير المالي قرنون الى وزارة المالية ٢٤ كانون الأول ١٩٢٥، و ٨ ، ص ١٣.

[٥٤]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملقة ١٣٦١/٣١١، مذكرة الخبير المالي قرنون الى وزارة المالية،٢٤ كانون الأول ١٩٢٥، و ٨ ، ص ١٣.

[٥٥]حارث يوسف غنيمة ، السياسي الأديب يوسف غنيمة ١٨٨٥-١٩٥٠ حياته آثاره عصره ، بغداد ١٩٩٠، ص٨ ؛ طالب جاسم محمد الغريب، ميناء البصرة ١٩١٥-١٩٥٦- دراسة تاريخيه، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة البصرة ، ١٩٨٤، ص ١٠١.

[56]Hanna Batato, The Old Class, The Revolutionary Movement in Iraq. Princeton, 1978, pp. 103-106 & Majid Khadouri, In Backward Iraq: A Study in Iraqi Politics 1932-1958, London 1960, pp. 67-68.

[٥٧]الحكومة العراقية، قرارات مجلس الوزراء الصادر في تموز وآب وأيلول، سري، بغداد، ١٩٢٣، ص٨-٩.

[٥٨]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم ملفة ١٩٢٤/٣١١، مقررات مجلس الوزراء، آذار ١٩٢٥، و ٦، ص ٤٩.

[59]Hanna Batato, op , cit, pp. 110 & The British Special Report 1920-1931, page 104.

[60]Air.8/34/04928, Report on the Middle East, Section 11. Mesopotamia, Appendix 5.

[٦١]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١ مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، مذكرة العقيد سليتر إلى سكرتير مجلس الوزراء، يوم ٢٨-٣٠ كانون الأول ١٩٢٣، و٧، ص ٩.

[٦٢]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١، مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، من مستشار المعتمد السامي بورديلون إلى رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون حزيران ١٩٢٣، ص ٢٨.

[٦٣]ناجي السويدي: ولد في بغداد عام ١٨٨٠ لأسرة معروفة بالعلم والوجاهة، تلقى تعليمه الأولي في بغداد، ثم درس الحقوق في إسطنبول، ما أتاح له الاطلاع على النظم القانونية والإدارية الحديثة في أواخر العهد العثماني، شغل مناصب إدارية وقانونية في الدولة العثمانية، كان ناجي السويدي من الركائز الأساسية في بناء الدولة العراقية، وتولى عدة مناصب مهمة، من أبرزها: رئيس مجلس النواب العراقي ووزير العدل في أكثر من وزارة ووزير الخارجية ورئيس الوزراء لفترة قصيرة، توفي في بغداد عام ١٩٤٢. للمزيد ينظر الى : سعيد شخير الهاشمي، ناجي السويدي ودوره في السياسة العراقية ١٩٢١-١٩٤٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٠.

[٦٤]ياسين الهاشمي : هو من ابرز رجال الدولة المهمين في عهد نشأتها ، ولد في بغداد عام ١٨٨٤، شغل مناصب ووظائف عديدة منها متصرفا للواء المنتفك عام ١٩٢٠ ووزير للمواصلات عام ١٩٢٢ ، انتخب نائبا عن بغداد في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٣ ، وفي ١٩٢٤ شكل وزارته الاولى وشغل منصب وزير الدفاع الى جانب رئاسة الوزراء ، قام بتأسيس حزب الشعب في عام ١٩٢٥، عين وزيرا للمالية في وزارة جعفر العسكري الثانية في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦-١٤ كانون الثاني ١٩٢٨، الف حزب الاخاء الوطني عام ١٩٣٠ ، تزعم المعارضة ضد حكومة نوري السعيد و المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٣٠ ، الف وزارته الثانية في ١٧ اذار ١٩٣٥ وظل في الحكم الى ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ حيث اضطر الى الاستقالة على اثر انقلاب بكر صدقي ١٩٣٦، توفي في بغداد عام ١٩٣٧. للمزيد ينظر الى : سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودورة في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦ ، مطبعة حداد ، ، البصرة ، ١٩٧٥ ، ص٢٤-٤٣.

[٦٥]د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١، مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، ١٠ كانون الثاني ١٩٢٣، ص ٤٨.

(٦٦)د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١، مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، ١٠ كانون الثاني ١٩٢٣، و ٩٩، ص ١٢٧.

(٦٧)الحكومة العراقية، وزارة المالية، تقرير بشأن إدارة الأمور المالية في العراق(الاول من نيسان ١٩٢٤–نهاية آذار١٩٢٥)، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٢٦، ص٢–٤؛

Sir John Bogott Glubb, Britain and the Arabs in Fifty Years, London, 1959, p. 14.

(68)The British Special Report 1920–1931, p. 104.

(٦٩)الحكومة العراقية، وزارة المالية، وزارة المالية، تقرير البعثة المالية لعام١٩٢٥ التي أنتدبها وزير المستعمرات، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٢٥ ، ص٥–٦.

(70)The British Special Report 1920–1931, p. 104 & Majid Khadouri , op , cit, pp. 72–73.

(٧١)مذكرة الخبير المالي، السير ڤرنون الى وزارة المالية، ٢٤كانون الاول١٩٢٥، و٨، ص١٣.

(٧٢)محمد امين زكي : ولد في مدينة السليمانية عام ١٨٨٠ ، نشا وترعرع وتلقى تعليمة فيها ، دخل الاعدادية العسكرية في بغداد في عام ١٨٩٦ ، وبعد تخرجه فيها تم قبوله في المدرسة الحربية في استانبول ، وبعد تخرجه سنة ١٩٠٢ ، انضم إلى واحدة من الفرق العسكرية للجيش العثماني السادس (التنجي اوردو) ، وكانت بغداد مقره آنذاك ، ثم دخل مدرسة الاركان العثمانية وتخرج فيها برتبة رئيس (رائد ركن) ، بعدها انتخب وزيرا للاقتصاد والمواصلات عام ١٩٣٥ ، توفي في السليمانية عام ١٩٤٨ . للمزيد ينظر الى : دليل الوزارات العراقية (١٩٢٠–٢٠٠٣) ، المصدر السابق ، ص٧٢ ؛ مير بصري, اعلام السياسة في العراق الحديث, ج٢, المصدر السابق ، ص ٣٢٢–٣٢٣.

(٧٣)مذكرة من سوان إلى محمد امين زكي وياسين الهاشمي حول السكك الحديد ١٠٠–١٩ تشرين الثاني ١٩٢٨، و ٦٠، ص ٦٥–٦٦ .

C.O. 73A/ 4614 /24, d465, letters from Iraq Diplomatic Agent to the Editon.

(٧٤)صحيفة العالم العربي (بغداد) ، العدد ٢٠١١ في ٢ تشرين الأول ١٩٣٠.

(75)Majid Khadouri , op , cit, pp. 79–80.

(٧٦)صحيفة العالم العربي (بغداد) ، العدد ٢٠١١ في ٢ تشرين الأول ١٩٣٠.

(٧٧)فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ – ١٩٣٠ ، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٦.

قائمة المصادر

اولا : الوثائق

١–د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٢/٣١١، الموظفين البريطانيين لعام ١٩٢٢، ١٩٢٢ ، و ١٠٨ ، ص ٩٩ .

٢–د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب المعتمد السامي إلى رئيس الوزراء ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٥ و ١٥ ، ص ١٦.

٣- د.ك. و ، الوحدة الوثائقية ، تقرير عن أعمال دائرة الواردات العامة للعام ١٩٢٦ المالية، مطبعة الحكومة، بغداد، د.ت، ص ٢.

٤- د.ك. و، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملفة ٢٤٤٤ / ٣١١ ، مقررات مجلس الوزراء لسن لعام ١٩٢٣، و ٦٤، ص ٩٢ .

٥- د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب وزارة المالية إلى مجلس الوزراء ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ ، و ١٤ ، ص١٩- ٢٠.

٦- د.ك. و،ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٢٤٢/٣١١، مذكرة مرفوعة إلى مجلس الوزراء عن ميزانية ١٩٢١-١٩٢٢ المالية ، و٧، ص ٧.

٧- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، (بلا. رقم)، ملفة المشورة البريطانية، كتاب الملك فيصل الأول إلى المعتمد السامي هنري دوبس في ٨ تموز ١٩٢٥، و ٣٢، ص ٣٠.

٨- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٣٦١/٣١١، مذكرة الخبير المالي قرنون الى وزارة المالية ٢٤ كانون الأول ١٩٢٥، و ٨ ، ص ١٣.

٩- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٤٣٤/٣١١ ، قرارات مجلس الوزراء تقرير ناجي السويدي الى رئيس مجلس الوزراء ، ١٢ آيار ١٩٢٣، و ٧٥ ، ص ١١٣.

١٠- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٣١١/٢٥٣٨ ، اسماء موظفي وزارة المالية ، لعام ١٩٢١ ، و ١٧ ، ص ٢١.

١١- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٣٤/٣١١ ، كتاب السكرتير المالي للمعتمد السامي، سري، إلى مجلس الوزراء، ٢٥ حزيران ١٩٢٥، و ٨، ص ١٦.

١٢- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١ مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، مذكرة العقيد سليتر إلى سكرتير مجلس الوزراء، يوم ٢٨-٣٠ كانون الأول ١٩٢٣، و٧، ص ٩.

١٣- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١، مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، من مستشار المعتمد السامي بورديلون إلى رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون حزيران ١٩٢٣، ص ٢٨.

١٤- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٥٢٢/٣١١، مقررات مجلس الوزراء لعام ١٩٢٣، ١٠ كانون الثاني ١٩٢٣، و ٩٩، ص ١٢٧.

١٥- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم ملفة ١٩٢٤/٣١١، مقررات مجلس الوزراء، آذار ١٩٢٥، و ٦، ص ٤٩.

١٦- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملفة ٢٠٩٢ / ٣١١ ، ملفة الحسابات للمدة ٤/١٥/ ١٩١٩ - ١١/١٥/ ١٩٢٠ ، و ١ ، ص ٣٦ .

١٧- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٣٦١/٣١١، مذكرة الخبير المالي، السير ڤرنون الى وزارة المالية، ٢٤كانون الاول١٩٢٥، و٨، ص١٣.

١٨- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ١٣٦١/٣١١، مذكرة من سوان إلى محمد امين زكي وياسين الهاشمي حول السكك الحديد ١٠٠-١٩ تشرين الثاني ١٩٢٨، و ٦٠، ص ٦٥-٦٦ .

ثانيا : المطبوعات الحكومية

١- الحكومة العراقية، قرارات مجلس الوزراء الصادر في تموز وآب وأيلول، سري، بغداد، ١٩٢٣.

٢-الحكومة العراقية، وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة الصادرة سنة١٩٢٤، نظام السلطة في الأمور المالية لسنة١٩٢٤، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٢٤.

٣-الحكومة العراقية، وزارة المالية، تقرير البعثة المالية لعام ١٩٢٥.

٤-الحكومة العراقية، وزارة المالية، تقرير بشأن إدارة الأمور المالية في العراق(الاول من نيسان ١٩٢٤-نهاية آذار١٩٢٥)، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٢٦.

٥-الحكومة العراقية، وزارة المالية، وزارة المالية، تقرير البعثة المالية لعام١٩٢٥ التي أنتدبها وزير المستعمرات، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٢٥.

٦- قسم الدراسات والبحوث ، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣ ، مطبعة نور الشرق ، بغداد ، ٢٠٠٧.

ثالثا : المصادر العربية

١- ألف. دي ل.رشي، العراق في سجلات الوثائق البريطانية١٩١٤-١٩٦٦، المجلد الثاني١٩١٨-١٩٢١، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠١٢.

٢- ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٩ ، دار عدنان للنشر، بغداد، ٢٠١٤.

٣- جيرترود لوثيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب ١٩١٤-١٩١٨م، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٧١.

٤- حارث يوسف غنيمة ، السياسي الأديب يوسف غنيمة ١٨٨٥-١٩٥٠ حياته آثاره عصره ، بغداد ١٩٩٠.

٥- سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودورة في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦ ، مطبعة حداد ، ، البصرة ، ١٩٧٥.

٦- ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ -١٩٥٠، ترجمة: سليم طه التكريتي، ج ١، بغداد، ١٩٨٨.

٧- سر ارنلدتي ويلسون ، بلاد ما بين النهرين ، ت : فؤاد جميل ، ج١، بغداد ، ١٩٦٩

٨- سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٨.

٩- سنت جون فيلبي، ايام فيلبي في العراق، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥٠.

١٠- صبري فالح الحمدي، برسي كوكس والسياسة البريطانية ازاء امراء نجد الكويت الحائل (١٩١٥-١٩٢٣) ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، ٢٠١٦.

١١- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، مطبعة العاني، بغداد ، ١٩٦٦.

١٢- عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة العراق السياسية، المجلد الثاني ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦.

١٣- عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١-١٩٣٣ ، بغداد ، ١٩٩١.

١٤- فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠ ، بغداد، ١٩٨٩.

١٥- فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩.

١٦- قسم الدراسات والبحوث ، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣ ، مطبعة نور الشرق ، بغداد ، ٢٠٠٧.

١٧- مير بصري ، أعلام اليهود في العراق الحديث ، دار الوراق , لندن ، ٢٠٠٦ .

رابعا : الرسائل والاطاريح الجامعية

١- سعيد شخير الهاشمي، ناجي السويدي ودوره في السياسة العراقية ١٩٢١-١٩٤٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٠.

٢- طالب جاسم محمد الغريب، ميناء البصرة ١٩١٥-١٩٥٦- دراسة تاريخيه، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة البصرة ، ١٩٨٤.

٣- عباس فرحان ظاهر الزاملي, رستم حيدر ودوره السياسي في العراق, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية بن رشد, جامعة بغداد, ١٩٩٧.

خامسا : المصادر الاجنبية

1– Memorandum on the Management of Public Finances in Iraq, from 1 April 1924 to 14 March 1925, Baghdad, printed at the Government Press, 1926, p. 1.

2- Dean A.H. Slater, Financial Expert, Dictionary of Welsh Biographies, at the following link: bioography.wales.

3- Winstone, the letters of Gertrude Bell, selected and Edited by lady Bell, London, 1927.
4- Sir George Lewis Barstow (1874-1966), Civil Servant, Rector of Swansea University College, Dictionary of Welsh Biographies, at the following link ;biography.wales.
5- Philip Graves, The Life of sir Percy Cox , London, 1941.
6- The British Report to the League of Nations for the period 1920-1922.
7- FawziA, A. El-Kaissi, Critical Aualysis of center Banking in Iraq. P. H.D., dissertation, (Economics) University of Southern California, 1957.
8-The Official British Report submitted by the British Government to the League of Nations, concerning the state of the administration in Iraq 1926-1927, translated by the editorial staff of the newspaper Al-Alam Al-Arabi.
9- Beter Slugglert, Britain in Iraq (1914-1932), Thaca press, London, 1967.
10-F.O., 371/2259, Note on the International situation in Iraq by the High commissioner,1921.
11- Ernest Main, Iraq from Mandate to Independence, London, 1935
12- Hilton Young, An Economic Study of Foreign Companies, University/Economic Thesis written before the war, London, 1912.
13-Karen Arendall, Edward J. Dent, A Life of Words, Boedell Press, London, 2023.
14- Hanna Batato, The Old Class, The Revolutionary Movement in Iraq. Princeton, 1978.
15- Majid Khadouri, In Backward Iraq: A Study in Iraqi Politics 1932-1958, London 1960.
16- The British Special Report 1920-1931.
17- Air.8/34/04928, Report on the Middle East, Section 11. Mesopotamia, Appendix 5.
18- Sir John Bogott Glubb, Britain and the Arabs in Fifty Years, London, 1959.
19- C.O. 73A/4614/24, d465, letters from Iraq Diplomatic Agent to the Editon.

سادسا : الدوريات

أ-البحوث

١- ميساء صباح حامد، برسي كوكس واثره في السياسة العراقية ، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات، عدد خاصر بمؤتمر بيروت العلمي الدولي الثاني ، ٢٩-٣٠ نيسان ٢٠٢٤.

ب-الصحف

١-صحيفة العالم العربي (بغداد) ، العدد ٢٠١١ في ٢ تشرين الأول ١٩٣٠.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

Sultanic and Dark Rituals in the Ottoman Empire: From Legitimacy of Rule to the Exploitation of the Body (1299–1924)

الطقوس السلطانية والممارسات القسرية في الدولة العثمانية: من شرعية الحكم إلى استغلال الجسد (١٢٩٩-١٩٢٤)

Abdelqadir Ibrahim Houti,

عبد القادر إبراهيم هوتي

History and Islamic Civilization

دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

معرف الباحث في اوركيد (orcid)

DOI: https://doi.org/10.65074/zate0598

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Abstract

Objectives: This study aims to examine the diverse sultanic, religious, social, military, and coercive rituals that shaped political authority in the Ottoman Empire from 1299 to 1924. It seeks to demonstrate how these rituals functioned as deliberate instruments of governance, legitimacy, and social control rather than as mere cultural traditions. **Methods:**. The study adopts a historical, comparative, and critical analytical approach, drawing on political, religious, and social interpretations of Ottoman ritual practices. Both ceremonial and coercive rituals are analyzed to understand their role within the broader system of imperial power and state formation**. Results:**. The findings reveal that religious and political rituals, such as the Friday *khutba* and palace observances of *Laylat al-Qadr*, projected the sultan as both sovereign ruler and spiritual guardian. Social and cultural rituals including circumcision festivals, naval parades, and Ramadan charity reinforced imperial authority through spectacle, public participation, and benevolence. Military rituals, such as Janissary parades and the veneration of the Sacred Banner, promoted cohesion and loyalty while also exposing tensions between obedience and rebellion. The study further uncovers the coercive dimensions of ritual life through practices such as fratricide, the imperial harem, the *Devşirme* system, and eunuch service, which transformed bodies into instruments of political stability. **Conclusions:** The study concludes that Ottoman rituals—both ceremonial and coercive—constituted an integrated system that sustained dynastic power, legitimized authority, and structured social order across six centuries. These practices reveal

the deeply ritualized foundations of Ottoman governance and highlight the central role of embodied power in maintaining imperial rule.

Keywords: Ottman Empire, Sultanic Rituals, Legitimacy. Devşirme, Eunuchs

الملخص

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى فحص الطقوس السلطانية والدينية والاجتماعية والعسكرية والإكراهية المتنوعة التي أسهمت في تشكيل السلطة السياسية في الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من عام ١٢٩٩ إلى عام ١٩٢٤. وتسعى إلى إظهار أن هذه الطقوس لم تكن مجرد ممارسات ثقافية أو تقاليد اجتماعية. بل أدوات مقصودة للحكم، وإضفاء الشرعية، وضبط المجتمع.

المنهجية: تعتمد الدراسة منهجاً تاريخياً مقارناً وتحليلياً نقدياً، يستند إلى مقاربات سياسية ودينية واجتماعية في تفسير الممارسات الطقسية العثمانية. ويجري تحليل كل من الطقوس الاحتفالية والطقوس الإكراهية لفهم دورها ضمن البنية الأوسع للسلطة الإمبراطورية وتكوين الدولة.

النتائج: تكشف النتائج أن الطقوس الدينية والسياسية، مثل خطبة الجمعة والاحتفالات السلطانية بليلة القدر في القصر، أسهمت في تقديم السلطان بوصفه حاكماً دنيوياً وحارساً روحياً في آن واحد. كما عززت الطقوس الاجتماعية والثقافية، كاحتفالات الختان، والعروض البحرية، وموائد رمضان الخيرية، السلطة الإمبراطورية من خلال الاستعراض والمشاركة العامة وإظهار الرعاية. وأسهمت الطقوس العسكرية، مثل استعراضات الإنكشارية وتقديس الراية الشريفة، في ترسيخ التماسك والولاء، مع إبراز التوتر الدائم بين الطاعة والتمرد. وتكشف الدراسة كذلك الأبعاد الإكراهية للحياة الطقسية عبر ممارسات مثل قتل الإخوة، ونظام الحريم، والدوشيرمة، وخدمة الخصيان، حيث تحولت الأجساد إلى أدوات لضمان الاستقرار السياسي.

الاستنتاجات: تخلص الدراسة إلى أن الطقوس العثمانية، الاحتفالية منها والإكراهية، شكّلت منظومة متكاملة أسهمت في ترسيخ السلطة السلالية، وإضفاء الشرعية على الحكم، وتنظيم البنية الاجتماعية على الحكم، وتنظيم البنية الاجتماعية على مدى ستة قرون، كاشفةً عن الأسس الطقسية العميقة للحكم العثماني ودور السلطة المتجسدة في استدامته.

الكلمات المفتاحية: (الدولة العثمانية، الطقوس السلطانية، الشرعية السياسية، نظام الدوشيرمة، الخصيان)

Chapter 1: Theoretical and Methodological Framework

1. 1 Research Problem

Even though the political and military history of the Ottoman Empire has been extensively studied, symbolic instruments of legitimacy and control (the

harem, fratricide, child exploitation, and eunuchs) have never been explored in depth (Adiguzel and Kuran, 2024). The point is that these rituals may be introduced as either glorified propaganda or as single scandals, without trying to examine their role in history and within a time frame.

1.2 Significance of the Research

This study is valuable at various levels. The gap that it supersedes in terms of its academic significance is that it brings together a dimension of the political, social and ethical aspects of Ottoman rituals as opposed to considering them separately. On intellectual level, it provides the modern readers with a better insight that these rituals were not merely cultural practices or performance but rather a calculated tool of power and control to enhance the position of authority of the sultan. There is also a humanitarian and moral aspect to the study, in that, it helps to unveil the worst parts of the empire, such as slavery and castration, and puts them in the context of modern human rights theory. Lastly, analytically speaking, the study presents the potential to compare Ottoman rituals with those of other contemporary empires like the Mamluks, the Safavids, and the Europeans, and, in the process, further deepen the picture of how rituals served the legitimate purposes of all empires in the definition of the social order and imperial identity.

1.3 Research Objectives

1. To analyze sultanic and political rituals as tools for legitimizing rule.
2. To study social and cultural rituals and their role in class structure and state propaganda.
3. To uncover darker practices (harem, exploitation of boys, eunuchs) and analyze their motives and functions.
4. To trace the temporal development of these rituals from the 15th to the early 20th century.
5. To reinterpret these rituals in light of concepts of power and human rights.

1.4 Research Hypotheses

H1: Sultanic and political rituals functioned as deliberate instruments for legitimizing sovereign authority and reinforcing hierarchical power structures within the state.

H2: Social and cultural rituals played a central role in maintaining class stratification and served as mechanisms of ideological dissemination and state propaganda.

H3: Practices associated with royal harems, the exploitation of boys, and the use of eunuchs were institutionalized as mechanisms of control that supported political stability and elite dominance.

H4: The form, function, and symbolism of political and social rituals evolved significantly from the fifteenth to the early twentieth century in response to changing political, social, and imperial contexts.

H5: When reinterpreted through modern frameworks of power and human rights, many historical state rituals reveal systematic violations of personal autonomy and embodied forms of domination.

1.5 Research Methodology

This study employs a historical-analytical method to trace ritual evolution, a descriptive-critical method for analyzing Ottoman and Western sources, and a comparative method to contextualize Ottoman practices across empires.

1.6 Research Scope

This study spans 1299–1924, focusing on the sultanic court in Istanbul and wider Ottoman territories, examining religious, political, social, and military rituals, alongside darker practices like fratricide, harems, child exploitation, and eunuchs.

1.7 Definition of Sultanic Rituals

The Ottoman Empire rituals of sultan can be seen as a continuum of ceremonial and performative actions that strengthened the political, religious, and social ownership of the ruling dynasty (Baltacıoğlu-Brammer, 2019). On the one hand, these rituals were not traditions or cultural embellishments, but on the other hand, they were the key tools of the statecraft aimed at representing and enacting the power of the sultan (Gurbuzel, 2023). To provide an example, the religious rhetoric that was used by Sultan Murad IV to suppress a Janissary uprising shows how ritualized expressions of piety could become a politicized tool of putting down the dissent (Terndrup, 2021). The definition of the sultanic rituals does not solely include formal court performances but also acts of religiosity, charity, and spectacle that evidenced that the sultan was a ruler of the world on one hand and a protector of the religion on the other (yalçinkaya, 2025). The prayers in the mosque, the reading of Quran and tours to holy places were not a personal worship but an observable and repeatable activity that was intended to create a sense of divine approval upon the sultan. In this respect, rituals produced what researchers have termed the mystique of royalty, i.e., the leader was endowed with semi-supernatural powers in the minds of his subjects (Allen,

2019). Such staged acts also enabled the sultan to be both viewed as a political ruler and the representative of God on earth and the difference between religion and the state became indistinct. Simultaneously, these rites were also not universal. The political leadership was not always taking the holy image of the sultan seriously and considered it as a created art instead of a religious fact (Casale, 2023). Still, the cautious organization of religious events and mass displays of devotion created a symbiotic connection between rulers and ruled: the religiosity of the sultan was seen as helpful in supporting the common good of the empire, whereas obedience of the subjects to his power strengthened the existence of the state.

1.8 Historical Context of the Ottoman Empire

The Ottoman Empire (1299-1924) was a polity which combined both the Turkic traditions of governance and Islamic principles of governance forming a unique ritual culture which developed throughout six centuries (Topal & Wigen, 2019). Since Anatolia and the Balkans emerged as the frontiers of the empire and Istanbul became the imperial capital, rituals were deemed as vital processes of power legitimization in the multiethnic and multireligious empire (Arslantaş, 2019). The very fact that the sultan was a caliph and a guardian of the sacred cities of Mecca and Medina offered him the symbolic center of the Muslim world, which narrowed once again the significance of ritualized religiosity in the domain of statecraft. The political and social order was organized with the help of rituals, which explains the historical importance of rituals (Guilmartin, 2022). The situation of oaths of allegiance and repetition of the Friday sermon (khutbah) in the name of sultan confirmed his dominion in various provinces. The circumcision of princes or the great naval parades of the Bosporus turned the milestones of the dynasties into the popular displays of continuity and power (Krstić, 2021). The unity of the military forces under the sacred protection of the ruler was strengthened by the Janissary parades, the kissing of the Sacred Banner and other military ceremonies. These performances were not made randomly, but were properly written down to connect the power of the dynasties to the divine will (Altun, 2022).

The religiosity of the sultan was not only conveyed by splendid displays but also real attempts to support the population of the empire. Historical data singles out pilgrimage route protection, the construction of mosques and benevolent organizations, and food distribution during the period of Ramadan (Tozoglu, 2024). These actions helped to strengthen the perception of a virtuous sultan and patron, and guarantee the allegiance of the representatives of various social classes. The oral propaganda, which was achieved by mystical orders, sermons, and subsequently the official gazettes, made sure

that those, who were not even close to the court, were not left in the dark regarding the holy image of the sultan. Nonetheless, there were tensions, too, because of the diverse structure of the empire (Hilsdale, 2020). The sultans attempted to balance the demands of the orthodox Muslim religion and the sensibilities of the non-Muslim people and would frequently visit churches and synagogues or allow them to be refurbished to convey a sense of inclusive custodianship. However, organizations representing heterodox Islamic opinions came to threaten the legitimacy of the rituals of the dynasty, and it is important to remember that the power of rituals did not belong to a vacuum (Brack, 2021). A major drawback of sultanic religiosity was that the sultans were always absent in the Hajj pilgrimage. Although the exemptions were explained by the political obligations and individual decisions, this omission shows the sophisticated interaction between the symbolic performance and the practical practice. Ritual legitimacy was created as a result of selective displays of religiosity and was tailored to the political and social requirements of the empire (Demir, 2023).

Chapter 2: Religious and Political Rituals (15th–18th Centuries)

2.1 The Oath of Allegiance and Friday Sermons

The Friday sermon (khutba) was one of the most lasting rituals of legitimacy in the Ottoman Empire. In the Islamic tradition, the khutba was a religious duty and a political statement, especially the name of the ruler was mentioned (Ongur, 2020). To the Ottomans, it was a weekly statement of the sovereign of the sultan, their symbolic oath of loyalty. The khutba also consolidated the position of the sultan as both political master and protector of Islam by mentioning him in mosques all around the empire (Saçmali, 2021). It was more than a ritual chant: it made the mosque more of a political platform, with the sacramentality of Friday prayer mixed up with the persistence of dynastic rule. The value of this ritual was that it was able to reach large numbers of people at the same time. To ordinary people, it acted as a visual representation of the sense of obedience to the sultan, connecting his power with the divine order (Muzaffar, 2022). To provincial elites, the khutba was a reminder of the imperial control as well as a chance to show their obedience to the central authority. To the sultan himself, it was a necessary tool of political communication across geographical distance. This weekly ritual in a multi-ethnic empire as large as the Ottomans formed a sense of unity and obedience that would not have been possible to acquire solely with the help of military and bureaucratic actions (Ismail et al., 2024)..

However khutba was not necessarily the direct expression of the will of the sultan. Its performance was usually influenced by local dynamics. The sermon

might be slightly tailored to dominant local grievances or interests by provincial governors, influential imams, or urban notables (Marwat & Latif, 2022). In other instances particularly when there was political crisis, the failure or change of the name of sultan in khutba was an indicator of rebellion or opposition. Therefore, the central power tried to introduce uniformity but the khutba was a negotiated practice that demonstrated the relationship between the ideas of the empire and the localities. This two-sidedness highlights the intricacy of Ottoman political life: the legitimacy was imposed on the centre and mediated by local actors who added the ritual its social appeal (Sultan, 2022). The khutba thus illustrates how the politics were introduced into the religious practices in the Ottoman world. What was more powerful about it was not just its symbolism, but its repetition as well. The sovereignty of the sultan was reaffirmed time and again every week, every year and loyalty became an experience that was lived and embodied. The khutba ritual was therefore a devotional practice and lawful practice simultaneously as it was a reminder to all there that they could not disobey God as it would lead to disobedience to His designated ruler (Shaikh & Seedat, 2022).

2.2 Laylat al-Qadr in the Palace

Although the khutba had to legitimize the sultan into the rest of the social fabric of the empire, ceremonies such as Laylat al-Qadr at the palace areas assured his power among the core of the Ottoman court (Chowdhary, 2024). The Laylat al-Qadr or the Night of Power in Ramadan is celebrated as the night on which the first verses of the Quran were revealed to the Prophet Muhammad. To the Ottomans, this holy eve in the palace was turning into one of the most significant political and religious celebrations. The palace festivities were to run the image of the sultan as not just a territory conqueror, but also a defender of Islam (Ahmed, 2019). The sultan led prayers and religious recitations during this night and by doing so he became the embodiment of a rightful ruler whose leadership was ordained by God. The fact that the high-ranking officials, scholars and courtiers attended these ceremonies also served to strengthen the relationship between the dynasty and Sunni orthodoxy. By doing this, Laylat al-Qadr at the palace became a visible reminder that the Ottoman sovereignty did not lie just in political power, but in spiritual governance too (Balci & Kardaş, 2023).

This celebration also had a ritual meaning which spread outward. The reports of the ceremonies in the palace spread around in the chronicles and the court records, which is why even ordinary people who were not a part of the court knew about the role of the sultan as a religious leader (Kalinowska & Spangler, 2021). This is reminiscent of the wider Ottoman approach of ritual

as a resource of communication where practiced performances communicated a message of power to a number of audiences. In the same way the khutba might be influenced by local realities, Laylat al-Qadr was influenced by imperial politics (DeLong-Bas, 2022). The sultans were sending a message on how they were going to protect Islam against internal heterodoxy as well as external threats by focusing on the Sunni orthodoxy during the palace celebrations. These rites therefore bore a certain political connotation; the Ottoman dynasty was not ruling by its power only, but by its approval by God, which was enhanced by some visible manifestations of piety.

2.3 Religious and Political Legitimacy

The religious-political interactions in the Ottoman Empire prove that the rituals were not ornamental, but they were strategic tools of governance (Çevik, 2024). The Friday khutba as well as the ceremonies in the palaces such as the Laylat al-Qadr was also a demonstration of how symbolic acts maintained the political power. The dynasty has instilled its power in the religious life of the empire by making sure that the name of the sultan was recited in all the mosques of the empire and also by attending holy nights in the palace. The main significance of such rituals lies in the fact that they also served as both universal and specific (Stephanov, 2022). This khutba, repeated every week, formed a beat of devotion that ran not only down to Istanbul but also to the furthest provinces, and the rituals of the palaces exhibited dynastic piety in the very heart of the empire. The two of them created a web of legitimacy, which united the ruler and the ruled in a common moral universe.

Simultaneously, the rituals never remained the same. They were negotiated, adapted and even disputed all the time (Thomas, 2021). When the local realities contradicted the imperial decrees, the khutba might turn into a venue of resistance. The ceremonies held in the palace might change depending on the political requirements of the dynasty. It is a more general fact about Ottoman rule: legitimacy was never once established but was constantly being re-performed through ritual (Felek & İşkorkutan, 2019). In a larger sense, a tendency toward the Ottoman dependence on religious and political rituals is a standard characteristic of the early modern empires. Rulers in Safavid Iran or Habsburg Europe employed the social rituals to demonstrate power and holiness. However, the Ottoman experience is unique in the extent to which practices of the Islamic rituals sermons, Quranic recitations were incorporated into the machinery of government (Krstić, 2025). The political and the sacred were closely mixed together, to the extent that devotion to the sultan was explained as a religious obligation.

Chapter 3: Social and Cultural Rituals (16th–19th Centuries)

3.1 Circumcision Ceremonies of Princes

The circumcision of imperial princes was one of the most important social and cultural ceremonies of the Ottoman Empire, and it was organized in the form of massive state festivals that were full of symbolism as a dynastic and religious and political one (Demirbaş, 2024). These festivals were not only family achievements, but also occasions of imperial theatre when the Ottoman dynasty was able to show off its prosperity, authority, and authenticity. One of the most researched festivals is the 1582 festival dedicated to Şehzade Mehmed that was held in Istanbul under Sultan Murad III and lasted fifty-two days and nights, which engaged vast masses of people in the city (Torun & Turna, 2024). Other comparable grand circumcision events took place in 1675 and 1720 which strengthened the continuation of the dynastic rule and adjusted the ritual provisions to the shifting social and political situations. These rituals were usually initiated by parades around the city, during which the guilds and craftsmen were shown in their costumes, showing their skills, their products, and their allegiance to the dynasty (Houston, 2020). The existence of guilds emphasized the assimilation of the household of the sultan with the city residents and showed that the political authority was not based solely on military forces but also on the unity of society. The festivals also were quite theatrical: there were mock battles and allegorical performances, adorned floats and so on in the streets (Felek, 2019). The city become a stage where the imperial grandeur was performed and the whole population was involved in the play of the Ottoman power. The religious practice of circumcision, of the princes, was, however, the centre of the ceremony, which was a sign of their initiation into the Islamic society. This ritual of physical conversion was imbued with the connotations of dynasty: the future of the Ottoman family was guaranteed by the ritualist inclusion of its representatives into the Islam religion (Alimen & Askegaard, 2020). Therefore, the circumcision rituals brought personal, religious, and political levels together in a single performance. These rituals had symbolism outside of Istanbul. The festivals were captured by the chroniclers, poets, and European eyewitnesses, and this way the message of dynastic continuity and imperial power was spread around (Hathaway, 2019). By organizing such enormous occasions and demonstrating them to the world, the Ottomans portrayed the image of stability, prosperity, and divine blessings, without which the maintenance of loyalty among the people and respect among the competitors was impossible.

3.2 Naval Parades on the Bosporus

The Ottoman domination of the main strategic waterway, naval exercises in the Bosporus demonstrated the power of the Ottoman Empire and its control of the waters (Ory, 2020). The sultan and the court rode in the adorned barges with warships and ritual boats and made a spectacle before great crowds. It was depicted in the parades through military strength and imperial war defense (Balci & Kardaş, 2023). Along the political lines, they affirmed the role of the sultan as the safeguard of commerce and the wealth of Istanbul (Odabasi Tasci, 2024). Music, fireworks, and feasting socially turned the event into a national celebration and combined entertainment with political symbolism, demonstrating the Ottoman rule as grandiose and approved by the divinity (Marghelis, 2021).

3.3 Ramadan Feasts for the Poor

One of the most important Ottoman social and cultural rituals that underlined the position of the sultan as the provider and protector of social justice were Ramadan feasts of the poor (Hasan, 2024). As one of the fundamental Islamic virtues, generous feasts held in the sacred month put on show the religiousness of the ruler and his interest in the poor. These banquets were organized in the mosques, in the court of the palaces, and in the open areas, and offered vast numbers on state subsidies (Alterkait, 2022). The ritual was a combination of religious duty and political act, which depicted the sultan as a father who was meant to take care of the people. The magnitude of hospitality was observed by European spectators, whereas charity became a governmental system in the works of the chroniclers (Joassin, 2020). Finally, Ramadan feasts were considered ritualized forms of social safety nets that helped to build loyalty and display peace between rulers and the subjects (Adiguzel & Kuran, 2024).

Chapter 4: Military Rituals (15th–19th Centuries)

4.1 Janissary Parades

One of the most remarkable military rites of the Ottoman Empire was the Janissary parades, which symbolized the trained force of the sultan elite household soldiers but played a political role (Özdil, 2024). Janissaries were more than soldiers; in the public space, particularly Istanbul, where their marches were highly choreographed, they cast an image of the state integrity (Kirca, 2010). The parades were accompanied by the mehndi band, and with martial discipline, they were enforced with a highly symbolic force strengthening the ideals of conquest and unity. They were performed on major religious and political events, such as accessions, departure of campaigns and

popular holidays, to underline the notion of stability and continuity of the dynasty (Kontani, 2021).

However, by the eighteenth century, these rituals had an ambivalent nature to them. Processions were more frequently used by Janissaries to express grievances and to express a sense of collective power and turn marches into performances of negotiation and protest (Masson, 2019). Mobilization in major urban areas was ritualized and did not distinguish between loyalty and rebellion (Karakaya, 2020). Therefore, Janissary parades depicted obedience and power resistance at the same time, which symbolized the power of the state and its vulnerability (Kalinowska and Spangler, 2021). Even the abolition of the corps in the Auspicious Incident of 1826 was itself organized in the form of a victory ritual, transforming repression into a legitimizing spectacle of the centralizing rule of Mahmud II.

4.2 Kissing of the Sacred Banner

The kissing of Sacred Banner of the Prophet (Sancak-ı Şerif), a relic that supposedly belonged to Prophet Muhammad, was one of the most sacred Ottoman military rituals (Baltacıoğlu-Brammer, 2019). The banner was taken out in wars or in crises and indicated to the soldiers the approval of the gods and to the sultan the devotion of soldiers to both faith and the sultan (Janson and Kınıkoğlu, 2021). The military service became a religious mission based on the ghazi tradition as the troops kissed or touched it during campaign departures (Hagen, 2021). It also rallied loyal troops in civil warfare; its flying in 1826 was the suppression of the Janissaries framed as a holy action and not civil war (Ottomanica & Hagen, 2021).

4.3 Rituals of Victory

Victory rituals were important in maintaining the legitimacy of the Ottoman sultans, as they had the nature of well-organized performances that attested the divine privilege on the dynasty (Işıksel, 2019). Following large-scale campaigns, elaborate Istanbul ceremonies were involved in parades of spoils, prisoners and thanksgiving prayers. The sultan was welcomed back with triumphal processions, where the army presented conquered banners and treasures and the ruler looked like a conqueror and a godlike ruler (Guennouni Idrissi, 2025). The victory was interpreted as an affirmation of God will using sermons, reading Quran and banquets in which divine sanction was put in focus. Success was assigned to the spiritual authority of the sultan even in case of campaigns which were led by generals (Menchinger, 2020). Victory rhetoric changed to the defense of faith and maintenance of order in the eighteenth and nineteenth centuries when it started to lose ground (Stephanov, 2022). An example of this change was the thanksgiving rituals of Mahmud II in 1826 following his subduing of the Janissaries where internal repression

was displayed as a victory in the name of morality and religion. Finally, rituals of Ottoman triumph restated the legitimacy of dynasties by transferring power based on the divine providence instead of victories on the battlefield alone (Ginio, 2019).

Chapter 5: Dark Rituals and Abuses

The darker practices associated with the Ottoman sultanic order fratricide, the institutional harem and concubinage, the coerced exploitation of boys (Devşirme and related practices), and the centrality of eunuchs within palace life occupy an ambivalent place in the empire's political grammar. They were simultaneously instruments of dynastic survival, bureaucratic utility, and social control; and, as such, they demand analysis both as ritualized practices and as ethically fraught mechanisms of domination.

5.1 Fratricide: ritual, legitimacy, and its abandonment

Fratricide in early Ottoman practice must be read as a brutal, instrumental ritual of succession. In its classical formulation it operated as a literal, political solution to the problem of competing princely branches: the removal of potential rivals internalized the principle that dynastic continuity required the elimination of reciprocal claims (Asiss-González, 2024). The practice was framed as a stabilizing ritual that prevented civil war by converting violent succession into an enacted mechanism of order. Over time, however, fratricide's legitimacy eroded for institutional and ideological reasons (Hafez, 2020). The late-pre-modern shift toward "contained sultans" and the growth of constitutionalizing practices the delegation of authority to viziers, the institutional weight of the ulama, and the Janissaries' role as a check on arbitrary power made wholesale execution of princes increasingly problematic (Uribe & van Baalen, 2025). Thus, the abandonment of routine fratricide can be read as both a legal-institutional transformation and a ritual recalibration: by the early modern and modern periods, dynastic security was sought through confinement, legal mechanisms, and palace ritual rather than bodily annihilation (Wright, 2022). (This argument links the constitutional/'contained sultans' scholarship to the history of succession rituals and explains the shift from lethal to non-lethal solutions.)

5.2 Harem and Concubinage: spatial regulation, dynastic reproduction, and political utility

The imperial harem and the system of concubinage functioned as much more than private domestic spaces: they were part of a political architecture that regulated the reproductive and symbolic future of the dynasty (Atanasoski & Jaleel, 2024). Confinement of royal women and princes served to control lineal claims and to ensure dynastic succession in ways that were

visible through ritual (ceremonies, access protocols, and the staging of princely life). The harem's internal hierarchies the valide sultan, mothers of princes, senior concubines were institutions of political brokerage (Ali & Naz, 2020). As court observers and cultural histories show, the harem translated the regulation of intimacy and reproduction into authority: the social status of women, the timing of princely marriages, and the public presentation of family events (circumcisions, celebrations) were all ritual sites where dynastic continuity was produced and displayed. The same sources note the darker underside, the commodification of bodies, and the subordination of women's autonomy to dynastic exigency (Faroqhi, 2020).

5.3 Exploitation of boys: Devşirme, palace education, and coercive transformation

The levying of Christian boys through the Devşirme system and their transformation into palace servants, soldiers, or administrators constitute a central form of bodily exploitation that blurred education, indoctrination and coercion (Yılmaz, 2023). These boys were ritualistically removed from natal communities, ritually transformed (through naming, conversion, and training), and inserted into palace and military hierarchies where loyalty was remade. While some became powerful state agents, the process itself was a form of systemic domination: the bodily conversion of a child into a slave-servant and instrument of the state (Arvas, 2021). Sources and legal frameworks reveal the tension between the rhetoric of "meritocratic incorporation" and the reality of coerced service and cultural rupture. In many cases the ritualized "gift" of boys to the sultanate masked extensive human costs.

5.4 Eunuch rituals and the politics of castration

Eunuchs occupied a paradoxical position: legally marginalized in some respects (bound by restrictions on marriage, property transmission, and social roles) yet politically indispensable as palace servants, stewards, and power brokers (Nacchia et al., 2023). Byzantine and Ottoman legal and administrative sources show that rulers repeatedly legislated against castration even while employing eunuchs at the heart of palatine government; this ambivalence is crucial to understanding how castration and eunuchage functioned as statecraft (AL-Mamari, 2023). Eunuch rituals formal investitures, access protocols, ceremonial roles in palace liturgy and household management sacralized their service while marking them as liminal figures whose bodies had been materially altered for the needs of the polity . The legal discourse (restrictions, permissions, testaments) reveals a state trying simultaneously to control supply, limit social claims, and secure the administrative advantages eunuchs provided. The result was a routinized, administrative exploitation that relied on bodily mutilation and legal

exceptionalism: a dark ritual economy embedded in the heart of imperial governance (Barnett, 2022). Taken together, these practices expose a pattern: rituals that institutionalized bodily control and gendered hierarchies served as technologies of domination. Whether theatrical (palace circumcisions, staged displays), administrative (Devşirme, eunuch offices), or lethal (fratricide), they converted the body into an object of political management (Tian, 2024). Yet the same rituals carried symbolic legitimating power they were the means by which the dynasty dramatized continuity, piety, and filial order. The historical arc from early lethal solutions to later legal/institutional management, from elite spectacle to bureaucratic control allows us to see not only continuity of function (power maintenance), but also important transformations in how violence and bodily control were justified, regulated, and concealed (Morgentaler, A., & Hanafy, 2024).

Chapter 6: A Contemporary Critical Reading

6.1 Rituals as instruments of domination and control

Rituals that appear on the surface as religious or cultural performance also operate as technologies of political control (Paredes, 2019). The weekly khutba, palace night rites, circumcision festivals, Janissary processions and the rites surrounding the Sacred Banner together constitute a repertoire of performances that naturalize the sultan's authority. At the same time, the darker rituals fratricide, castration, coerced child levies, and the institutionalization of the harem reveal how ritual practice could be mobilized to manage bodies and legitimate domination (Sachdev, 2019). Contemporary critical theory enables us to read these phenomena not simply as "traditions" but as strategic practices that combine symbolic meaning with coercive social effects. In other words, ritual functions both as legitimation narrative and as an apparatus for materially disciplining populations.

6.2 Dark rituals and human-rights discourse

While reading through current human-rights frameworks, many Ottoman practices acquire an ethically condemnable character: slavery and the coerced servitude of children, the institutional use of castration, and forced confinement are forms of bodily violence that modern rights discourse categorizes as abuses (Archibald et al., 2020). Historical contextualization is essential legal systems, norms, and social imaginaries were different but so is moral evaluation. The paradoxical imperial stance (publicly condemning castration while depending on eunuchs, or ritualizing charity while tolerating exploitation within the harem) provides a point of departure for contemporary ethical critique (Goszczyński & Wróblewski, 2020). This allows the historian to hold two tasks simultaneously: to explain how such practices fit into

systems of rule, and to situate them within broader debates about dignity, bodily integrity, and the legacy of state power.

6.3 Comparative view with other empires

A comparative lens enhances interpretation. Byzantine legal debates over castration, Safavid theatrical rituals of sacrifice, and European court spectacles share with the Ottoman case a recurring dynamic: rulers employ ritualized manipulations of bodies and symbols to secure authority (Meyer & Messis, 2024). The Byzantine legal materials examined in the eunuch thesis reveal legal approaches to castration that help explain Ottoman continuities and divergences; the Safavid comparison (e.g., Muharram camel rituals) clarifies shared symbolic economies of fertility and victory; European court rituals show convergent uses of spectacle to naturalize dynastic authority (Gevorgyan, 2024). Comparative analysis thus supplies both contrast and corroboration: it underlines the structural similarity of ritual as technology of rule and highlights culturally specific manifestations.

6.4 Final reflection: toward ethical historiography

A critical reading in the present should not be biased towards historical sympathy or immorality. The role of rituals in the creation of political power should not be imposed on the human suffering that they made (dos Santos, 2021). The duty of the historian is to recreate the context of the institution and show what the rituals meant to the people at the time, as well as to evaluate what the rituals left by them meant to future readers in a way that can be understood. This paper introduces Ottoman ritual practice into the lineage of power by combining such close cultural description (festival, prayer, parade), legal history (laws and fetvas), and political analysis (Janissary rebellions, constitutional constraints), in a way that can be explained by scholars and ethically questioned (Lydon, 2019).

Conclusion

As this study has shown, Ottoman sultanic rituals were not just symbolic practices but conscious tools of power, which supported dynastic legitimacy, projected power, and made centuries of domination seem natural. Rituals, including religious, social, military, and coercive, played a role in the Ottoman state by the Ottomans being used to exhibit, negotiate and maintain sovereignty as a mechanism since the inception of the Ottoman state in 1299 to its dissolution in 1924. Sacred performance was bound to governance, and worship was converted into political confirmation through religious and political rituals like the Friday khutba and Laylat al-Qadr ceremonies. The social and cultural rituals such as circumcision festivals, naval parades and Ramadan feasts employed spectacle and generosity to reinforce the paternal image of the sultan and to attach the various communities to the imperial

center. Military ceremonies, especially Janissary processions and the cult of the Sacred Banner, both emphasized the martial roots of sultanic power and also exposed domestic conflicts as Janissaries transformed into servants into political adversaries. The darker rituals explored (fratricide, the harem system, the devsirme, and servitude of eunuchs) revealed the coercive aspect of imperial rule showing how bodies could be ritualized and institutionalized as instruments of rule. Their slow deterioration was based on larger changes such as restriction on the power of the sultan and the introduction of the constitutional ideas.

Critical modernist viewpoint reveals that, although ritualized control was widespread in the empires, contemporary moral systems demand reconsideration of the practice of enslaving people and applying physical force to their bodies. In conclusion, the Ottoman rituals produced a two-fold heritage of unity and grandeur as well as exploitation and domination, which sheds light on the profound fact of performance, power, and human body within the imperial dominion.

Reference

Adiguzel, F. S., & Kuran, T. (2024). Keeping while Giving: The Perpetuation of Inequalities through Private Islamic Waqfs. *Economic Research Initiatives at Duke (ERID) Working Paper*, (305).

Ahmed, F. F. (2019). TRUST-BASED RELATIONS IN DELHI SULTANATE POWER POLITICS. *Pakistan Historical Society. Journal of the Pakistan Historical Society*, *67*(1/2), 7-30.

Ali, F., & Naz, A. (2020). Imperial Women: Patrons of Political Power in the Ottoman Empire (1520-1660). *Pakistan Journal of Social Sciences (PJSS)*, *40*(3).

Alimen, N., & Askegaard, S. (2020). Religious ritual and sociopolitical ideologies: Circumcision costumes in the Turkish marketplace. *International Journal of Fashion Studies*, *7*(2), 211-236.

Allen, J. P. (2019). *Self, Space, Society, and Saint in the Well-Protected Domains: A History of Ottoman Saints and Sainthood, 1500–1780*. University of Maryland, College Park.

AL-Mamari, S. A. (2023). Male Castration in History. In *Urogenital Trauma: A Practical Guide* (pp. 411-420). Singapore: Springer Nature Singapore.

Alterkait, S. (2022). *Islamic charity in the state of Kuwait: between regulation, local understanding, and practice* (Doctoral dissertation, University of Sussex).

Altun, F. (2022). A Critical Review of "Ottoman Modernization" Concept in the Context of Historical Sociology. *Adam Academy Journal of Social Sciences*, *12*(1), 107-130.

Archibald, J. L., Anderson, C. B., Dicenta, M., Roulier, C., Slutz, K., & Nielsen, E. A. (2020). The relevance of social imaginaries to understand and manage biological invasions in southern Patagonia. *Biological invasions*, *22*(11), 3307-3323.

Arslantaş, Y. (2019). Making sense of müsadere practice, state confiscation of elite wealth, in the Ottoman Empire, circa 1453–1839. *History Compass*, *17*(6), e12548.

Arvas, A. (2021). Leander in the Ottoman Mediterranean: The Homoerotics of Abduction in the Global Renaissance. *English Literary Renaissa*

Asiss-González, F. J. (2024). Political rituals of the speaking: blessing and curse in Historiography and the Law of the Castilian Nobility of the fourteenth century (part II). *Imago temporis: Medium Aevum: 18, 2024*, 271-308.

Atanasoski, N., & Jaleel, R. M. (2024). Reproducing Racial Capitalism: Sexual Slavery and Islam at the Edges of Queer of Color Critique. *South Atlantic Quarterly*, *123*(1), 33-53.

Balci, A., & Kardaş, T. (2023). The ottoman international system: Power projection, interconnectedness, and the autonomy of frontier polities. *Millennium*, *51*(3), 866-891.

Baltacıoğlu-Brammer, A. (2019). "Those Heretics Gathering Secretly…": Qizilbash Rituals and Practices in the Ottoman Empire according to Early Modern Sources. *Journal of the Ottoman and Turkish Studies Association*, *6*(1), 39-60.

Barnett, E. (2022). *Elite or emasculated males? A discussion of Eunuchs in the Hebrew Bible and their place within a phallocentric society* (Master's thesis, University of Nottingham (United Kingdom)).

Brack, J. (2021). Disenchanting Heaven: Interfaith Debate, Sacral Kingship, and Conversion to Islam in the Mongol Empire, 1260–1335. *Past & Present*, *250*(1), 11-53.

Casale, S. A. (2023). *Gifts in the Age of Empire: Ottoman-Safavid Cultural Exchange, 1500–1639*. University of Chicago Press.

Çevik, S. (2024). From empire to nation: Management of religious pluralism in the Ottoman Empire and Turkey. *Philosophy & Social Criticism*, *50*(4), 597-607.

Chowdhary, M. K. (2024). Courtly Narratives: The Role of Indo-Persian Scholars in Constructing the "Other" in the Delhi Sultanate. *The Historian*, *86*(4), 277-303.

DeLong-Bas, N. J. (2022). The Qur'an: Ritual, Practice, Embodiment, and Culture. In *Routledge Handbook of Islamic Ritual and Practice* (pp. 13-37). Routledge.

Demir, E. B. (2023). *Beyond Entertainment: Examining The Affective Impacts Of The Magnificent Century* (Doctoral dissertation).

Demirbaş, A. T. (2024). Look at All the Glory! Representation of Sound and Scenery at the Imperial Circumcision Festival of 1582. In *Historical Resonances* (pp. 293-316). Brill Fink.

dos Santos, A. (2021). *Fostering Critical Thinking and Ethical Awareness in English through Historical Consciousness* (Master's thesis, UiT Norges arktiske universitet).

Faroqhi, S. (2020). Slave Agencies Compared: The Ottoman and Mughal Empires. *Slaves and Slave Agency in the Ottoman Empire*, 55-85.

Felek, O. (2019). Displaying Manhood and Masculinity at the Imperial Circumcision Festivity of 1582. *Journal of the Ottoman and Turkish Studies Association*, *6*(1), 141-170.

Felek, O., & İşkorkutan, S. E. (2019). Introduction: Ceremonies, Festivals, and Rituals in the Ottoman World. *Journal of the Ottoman and Turkish Studies Association*, *6*(1), 9-19.

Gevorgyan, Z. (2024). "Medieval Violence" and Legal Issues of Everyday Life in Cilician Armenia (Late Twelfth–Fourteenth Centuries). *Matenadaran: Medieval and Early Modern Armenian Studies (MEMAS)*, *1*(2), 107-122.

Ginio, E. (2019). Shaping the Constitutional Sultanate: The Reign of Mehmed Reşad (1909–18). *Turkish Historical Review*, *10*(1), 50-70.

Goszczyński, W., & Wróblewski, M. (2020). Beyond rural idyll? Social imaginaries, motivations and relations in Polish alternative food networks. *Journal of Rural Studies*, *76*, 254-263.

Guennouni Idrissi, A. (2025). Competing Claims of Caliphal Legitimacy: Al-Tamaghrouti's Rihla and the Moroccan-Ottoman Early Modern Diplomatic Landscape. *The International History Review*, *47*(3), 388-414.

Guilmartin, J. F. (2022). Ideology and conflict: the wars of the Ottoman Empire, 1453–1606. In *Warfare and Empires* (pp. 1-27). Routledge.

Gurbuzel, A. (2023). *Taming the messiah: the formation of an Ottoman political public sphere, 1600–1700*. Univ of California Press.

Hafez, M. M. (2020). Fratricidal rebels: Ideological extremity and warring factionalism in civil wars. *Terrorism and Political Violence*, *32*(3), 604-629.

Hagen, G. (2021). Pietas Ottomanica: The House of ʿOs̱mān and the Prophet Muḥammad. In *The Presence of the Prophet in Early Modern and Contemporary Islam* (pp. 21-43). Brill.

Hasan, S. (2024). Philanthropy and social justice in Islam: Principles, prospects, and practices. *Prospects, and Practices (January 30, 2024)*.

Hathaway, J. (2019). The Ottoman Chief Harem Eunuch in Ceremonies and Festivals. *Journal of the Ottoman and Turkish Studies Association*, *6*(1), 21-37.

Hilsdale, C. J. (2020). Imperial Monumentalism, Ceremony, and Forms of Pageantry. *The Oxford World History of Empire: Volume One: The Imperial Experience*, 223.

Houston, C. (2020). *Istanbul, city of the fearless: urban activism, coup d'etat, and memory in Turkey*. Univ of California Press.

Işıksel, G. (2019). Hierarchy and Friendship: Ottoman Practices of Diplomatic Culture and Communication (1290s–1600). *The Medieval History Journal*, *22*(2), 278-297.

Ismail, S., Islam, M. S., Akhir, N. S. M., & Rahman, A. A. (2024). Diplomatic Ties between the Ottoman Empire and the Malay Sultanate from the 14th to the 19th Centuries. *Journal of Al-Tamaddun*, *19*(1), 93-103.

Janson, T., & Kınıkoğlu, N. (2021). Sacred (re) collections: Culture, space and boundary negotiation in Turkish-Islamic memory politics. *Middle East Journal of Culture and Communication*, *16*(2), 229-257.

Joassin, T. (2020). *Ethics and politics of Algerian Sufi brotherhoods* (Doctoral dissertation, London School of Economics and Political Science).

Kalinowska, A., & Spangler, J. (Eds.). (2021). *Power and Ceremony in European History: Rituals, Practices and Representative Bodies Since the Late Middle Ages*. Bloomsbury Publishing.

Karakaya, Y. (2020). 7 The political staging of nostalgia. *Nostalgia Now: Cross-Disciplinary Perspectives on the Past in the Present*, 74.

Karateke, H. T. (2005). Opium for the subjects? Religiosity as a legitimizing factor for the Ottoman sultan. *Legitimizing the Order: e Ottoman*

Rhetoric of State Power, Leiden: Brill. Doi: https://doi.org/10.1163/9789047407645 008

Kırca, U. D. (2010). *The furious dogs of hell Rebellion, janissaries and religion in sultanic legitimisation in the Ottoman Empire* (Doctoral dissertation, İstanbul Bilgi Üniversitesi).

Kontani, Y. (2021). *Castration and Eunuchs in the Byzantine Empire (6th-11th centuries): A study of legal sources* (Doctoral dissertation, Cardiff University).

Krstić, T. (2021). Historicizing the Study of Sunni Islam in the Ottoman Empire, c. 1450–c. 1750. In *Historicizing Sunni Islam in the Ottoman Empire, c. 1450-c. 1750* (pp. 1-27). Brill Academic Publishers.

Krstić, T. (2025). Can We Speak of 'Confessionalization'beyond the Reformation? Ottoman Communities, Politics of Piety, and Empire-Building in an Early Modern Eurasian Perspective.

Lydon, J. (2019). Feeling for the deep past: archaeological analogy and historical empathy. *Australian Archaeology*, *85*(1), 2-14.

Marghelis, A. (2021). The French Military's Perception of the Turkish Military and Turkey's Expansion in the Eastern Mediterranean. *French Institute of International Relations*.

Marwat, S. U. K., & Latif, S. (2022). Rise and Fall of Delhi Sultanate in India (1206-1526): An Analysis. *Global Social Sciences Review*, *7*(1), 520-535.

Masson, G. (2019). *The urban Janissay in eighteenth-century Istanbul* (Doctoral dissertation, University of Birmingham).

Menchinger, E. L. (2020). Dreams of Destiny and Omens of Greatness: Exceptionalism in Ottoman Political and Historical Thought. *Journal of Islamic Studies*, *31*(1), 1-30.

Meyer, M., & Messis, C. (2024). An Introduction: Gender and Sex (uality) in Byzantium?. In *The Routledge Handbook of Gender and Sexuality in Byzantium* (pp. 1-18). Routledge.

Morgentaler, A., & Hanafy, H. M. (2024). The testis, eunuchs, and testosterone: a historical review over the ages and around the world. *Sexual Medicine Reviews*, *12*(2), 199-209.

Muzaffar, C. (2022). *Protector: An Analysis of the Concept and Practice of Loyalty in Leader-Led Relationships Within Malay Society*. Strategic Information and Research Development Centre.

Nacchia, A., Lombardo, R., Tubaro, A., & De Nunzio, C. (2023). From terror to treatment: a history of Human castration. *Int J Urologic History*, *2*, 67-75.

Odabasi Tasci, P. (2024). *Ottoman Edirne in the early 20th Century: War, Diplomacy and Violence in the Western Borderlands of the Empire on the Eve of the Nation-State* (Doctoral dissertation, University of Akron).

Ongur, H. Ö. (2020). Performing through Friday khutbas: Re-instrumentalization of religion in the new Turkey. *Third World Quarterly*, *41*(3), 434-452.

Ory, V. (2020, November). Locking up the Strait in the fifteenth century's Ottoman Mediterranean: The Bosporus' sea forts of Mehmet II (1452). In *FORTMED 2020: fifth International Conference on Fortifications of the Mediterranean Coast, March 26th, 27th and 28th 2020 [postponed to 4th, 5th and 6th of November 2020], Granada (Spain)* (Vol. 11, pp. 817-824). Universitat Politàcnica de València.

Ottomanica, P., & Hagen, G. (2021). The Ottoman chronicler Mustafā Selānīkī (d. after 1008/1600) reports under the date of Rabīʿ al-Awwal 996 (1588) that Sultan Murād 111 issued the follow. *The Presence of the Prophet in Early Modern and Contemporary Islam: Volume 2, Heirs of the Prophet: Authority and Power*, *159*, 21.

Özdil, M. A. (2024). Dressing the Empire: Clothing, Identity, and Social Control in the Ottoman Millet System. *Lectio Socialis*, *8*(2), 99-134. https://doi.org/10.47478/lectio.1489487

Paredes, O. (2019). Preserving 'tradition': The business of indigeneity in the modern Philippine context. *Journal of Southeast Asian Studies*, *50*(1), 86-106.

Sachdev, G. (2019). Engaging with plants in an urban environment through street art and design. *Plants, People, Planet*, *1*(3), 271-289.

Saçmali, M. H. (2021). *Sunni-Shiite Political Relations in the First Half of the Eighteenth Century and Early Modern Ottoman Universal Caliphate* (Doctoral dissertation, University of California, Davis).

Shaikh, S. D., & Seedat, F. (Eds.). (2022). *The women's khutbah book: Contemporary sermons on spirituality and justice from around the world*. Yale University Press.

Stephanov, D. (2022). Modern Monarchic Visibility in Eurasian Empires. *Staging Authority: Presentation and Power in Nineteenth-Century Europe. A Handbook. Edited by Eva Giloi, Martin Kohlrausch, Heikki Lempa, Heidi Mehrkens, Philipp Nielsen and Kevin Rogan. Berlin: Walter de Gruyter*.

Sultan, H. E. (2022). "I come here to know": Muslims navigating space,(in) visibility, and fluidity of religious practice in Uppsala, Sweden.

Terndrup, A. P. (2021). *The sultan's gaze: power and ceremony in the imperial portraiture campaign of Ottoman sultan Mahmud II (r. 1808–1839)*. Boston University.

Thomas, R. (2021). *Illuminating an Empire: Solar Symbolisms in Mughal Art and Architecture* (Master's thesis, Middle East Technical University (Turkey)).

Tian, K. (2024). The Erotics of Castration: Eunuch Romance and the Paradox of Censorship in Contemporary China. *Chinese Literature and Thought Today*, *55*(3-4), 58-70.

Topal, A. E., & Wigen, E. (2019). Ottoman conceptual history: Challenges and prospects. *Contributions to the History of Concepts*, *14*(1), 93-114.

Torun, M. F., & Turna, N. (2024). The Role of Artisans in the Circumcision Festival of 1675 During the Reign of Sultan Mehmed IV. *Belleten*, *88*(311), 111-146.

Tozoglu, A. E. (2024). Addressing the Modern Regimes of Urban Spectacle: Revisiting the Ottoman General Exhibition of 1863 in Istanbul. *Journal of Urban History*, *50*(3), 629-655.

Uribe, A., & van Baalen, S. (2025). Governing the Shadows: Territorial Control and State Making in Civil War. *Comparative Political Studies*, *58*(10), 2095-2129.

Wright, S. (2022). 'Heroes to anonymous pensioners': Francisco Franco's 'mutilated gentlemen'and the erosion of veteran privilege in Spain's transition to democracy. *History*, *107*(377), 765-788.

Yalçinkaya, A. E. (2025). Sufi Practices and Urban Spaces: Everyday Experiences of Sheikh Ken'ân Rifâî (1867-1950) in the Late Ottoman Istanbul. *Journal of Ottoman Legacy Studies (OMAD)/Osmanlı Mirası Araştırmaları Dergisi*, *12*(32).

Yılmaz, G. (2023). Janissaries in the making: coerced labor and chivalric masculinity in the early modern Ottoman Empire. *Labor History*, *64*(3), 238-255.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

Baghdad in Korean Perspective Lee Myung-bak 's Case

Ghiadaq Abdulmunim Mohammed
College of Arts- University of Baghdad
ghidaq.a@coart.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Abstract

The paper is an attempt to understand the city of Baghdad in the Korean perspective, by studying the case of the CEO of Hyundai Construction Company, Lee Myung-bak, who is the person responsible for the Korean entry into Iraq through the Iraqi market in the seventies of the last century, as before that there were no relations between the two countries, neither on the economic nor on the political levels.

Therefore, we focused on the visits made by Lee Myung-bak to Baghdad, which was the first visit in which he was able to get to know and introduce himself to one of the most prominent officials in the Iraqi government, who is the Mayor of Municipality, Abdul Wahab Al-Mufti which played the vital role in the successful opening of a Korean consulate in Baghdad and the establishment of diplomatic relations between Iraq and Republic of Korea.

Then we took the details of the second visit made by Lee Myung-bak to Baghdad, in which, through his friendship with Abdul Wahab Al-Mufti, he was able to get to know a number of ministers in Iraq who contributed to provide simple facilities to the Hyundai Construction Company in its works in Iraq, all the way to the Minister of Planning, , who was responsible for drawing up economic policies in Iraq, promised Lee Myung-bak that he would look into the issue of opening a Korean embassy in Iraq.

The other visits continued to follow up the implementation of the project contracts that Hyundai Construction Company obtained in various parts of Iraq, which amounted to sixteen projects, which are among the most important strategic projects that contributed to the progress of the process of economic development and building infrastructure in Iraq, and in every visit Lee Myung was there. Lee gave his impressions of the city of Baghdad and the characteristics of the individual within Iraqi society. He also admired of Iraqi cuisine and its most famous dish, which is the Iraqi masgouf.

Key Words: South Korea, Iraq, Hyundai Construction Company, Economic Relations, Political Relations.

ملخص البحث:

البحث الحالي هو محاولة لفهم أهمية مدينة بغداد في المنظور الكوري، من خلال دراسة رؤية المدير التنفيذي لشركة هيونداي للإنشاءات لي ميونغ باك، وهو الشخص المسؤول عن الدخول الكوري إلى العراق من خلال السوق العراقية في سبعينات القرن الماضي، إذ لم يكن هناك قبل ذلك ايه علاقات بين البلدين، لا على المستوى الاقتصادي ولا على المستوى السياسي.

يركز البحث على الزيارات التي قام بها لي ميونغ باك إلى بغداد، والمتمثلة بالزيارة الاولى والتي تمكن فيها من التعرف عليها وتقديم نفسه إلى واحد من أبرز المسؤولين في الحكومة العراقية، وهو أمين

العاصمة عبد الوهاب المفتي، الذي أدى دوراً في افتتاح أول قنصلية لجهورية كوريا في بغداد وإقامة علاقات دبلوماسية بين العراق وكوريا.

جاءت الزيارة الثانية للي ميونغ باك إلى بغداد لتعمق صداقته مع عبد الوهاب المفتي، والتعرف على عدد من الوزراء العراقيين ممن ساهموا في تقديم تسهيلات بسيطة إلى شركة هيونداي للإنشاءات في عملها في العراق، وصولاً إلى وزير التخطيط الذي كان مسؤولاً عن رسم السياسات الاقتصادية في العراق، ووعد لي ميونغ باك بانه سوف ينظر في مسألة فتح سفارة كورية في العراق.

توالت الزيارات بعد ذلك لمتابعة سير تنفيذ عقود المشاريع التي حصلت عليها شركة هيونداي للإنشاءات في مختلف أنحاء العراق، وبلغت ستة عشر مشروعاً، وهي من أهم المشاريع الإستراتيجية التي ساهمت في توسيع التنمية الاقتصادية وبناء البنى التحتية في العراق، وفي كل زيارة كان لي ميونغ باك يعطي انطباعاته عن مدينة بغداد وعن صفات الفرد العراقي، كما أُعجب بالمطبخ العراقي وأشهر طبق فيه وهو طبق سمك المسكوف.

الكلمات المفتاحية: كوريا الجنوبية، العراق، شركة هيونداي للإنشاءات، علاقات اقتصادية، علاقات سياسية.

1. Introduction:

The current article attempts to understand the city of Baghdad from a Korean perspective, through a case study of Lee Myung-bak[1], CEO of Hyundai Construction[2], who was responsible for Korea's entry into Iraq through the Iraqi market in the 1970s. Prior to that, there had been no relations between the two countries, either economically or politically. The reasons for the delay in relations between the two countries may be related to the circumstances of both countries in general, and Iraq in particular, when the army launched a revolution that overthrew the monarchy[3] and declared the establishment of the Iraqi state with its republican system in July 1958[4].

As for the Republic of Korea, it was also experiencing unstable conditions on the Korean Peninsula. After Korea's independence from Japanese occupation[5], and its division into two distinct systems a communist socialist regime in the north and a democratic capitalist regime in the south[6] the country's internal conditions were unstable[7]. It witnessed a period of coups and internal political conflicts[8], represented by student demonstrations and social movements aimed at overthrowing the authoritarian regime in Korea, which occurred in June 1987[9].

Regarding the economic situation between the two countries, it was no better than the political situation. Iraq relied on imports from abroad to meet its basic needs, especially from the United States, Britain, and France. As for Japan, Iraq had close economic relations with it, and it represented the primary source of imports for Iraq. Iraq's imports from Japan in 1959 amounted to approximately (5.8) million dinars. In contrast, Iraq's exports to Japan were small, not exceeding (120) thousand dinars annually[10]. Because Japan, a developed industrial country, provided Iraq with many of its needs, Iraq raised the level of diplomatic representation with Japan to the level of an embassy, which was opened in Tokyo in 1960[11], while the Japanese commission had opened in Baghdad four years before that date, in 1956[12].

While Iraq had no diplomatic relations with the Republic of Korea, it maintained close economic ties with the Democratic People's Republic of Korea (DPRK), which was hostile to its southern neighbor. This significantly influenced the lack of diplomatic and political relations between Iraq and the Republic of Korea, which refused to establish foreign relations with any country that had relations with the DPRK. This was in accordance with the Holstein Doctrine, which the Republic of Korea relied on in its foreign relations until the early 1970s, when it restricted the use of this doctrine to serve its economic and political interests[13]. This issue is fundamental to understanding the reasons for the delay in relations between Iraq and Korea. Iraq had established relations with its northern neighbor, which was keen to prevent the establishment of relations between them through continuous warnings sent to Iraq[14]. At the same time, early economic relations continued [15], contributing to the establishment of political relations between the two countries, which were launched in 1966 with the opening of general consulates in Baghdad and Pyongyang[16].

However, the only exception is due to the first Iraqi dealings with Korea in 1966, as this year witnessed the beginning of rapprochement between the two countries, through the donation of the Iraqi President Abdul Rahman Arif (1916-2007 / 1966-1968) of (1000) Iraqi dinars to the Korean Muslim Federation in the capital, Seoul, to build a mosque there[17], as the document of the Budget Directorate/Secret Services file No. 137 indicates the authorization of the Iraqi Embassy in the Japanese capital, Tokyo, to transfer the donation amount to the Korean Muslim Federation in Seoul for the purpose of building the mosque there, and in implementation of this order, the General Cash Accounts Directorate sent a letter of notification to the Central Treasury Directorate to notify the Central Bank of Iraq to transfer the donated amount. These two documents indicate the beginnings of the Iraqi Korean rapprochement in the 1960s. Although this rapprochement was Iraqi support for Muslim communities in Asia in general and Korea in particular, it represented the beginnings of an Iraqi Korean rapprochement and the first event to shift Iraq's interest toward diversifying its international relations in general, and with Asian countries in particular[18].

The above demonstrates the main reasons that contributed to the delay in relations, both economic and diplomatic, between Iraq and the Republic of Korea. Korea has major pioneering projects in many countries in general, and Arab countries in particular. However, as mentioned above, the Iraqi market was closed to Korean companies. This closure was temporary until the arrival of Hyundai Construction, represented by its head of internal operations, Lee Myung-bak. Through personal adventure, he managed to enter Iraq and subsequently establish economic relations, resulting in the establishment of diplomatic relations between the two countries[19].

2. Sinbad's Baghdad in the Eyes of the Disguised Asian Visitor:

Baghdad bore the imprint of history as a bridge between East Asia, the Far East, and the western shore of the Mediterranean. Korea and Japan were looking to extend their economic influence in Iraq after their recovery in the 1970s and 1980s. Hyundai Construction began expanding its business ventures by securing new investment contracts worldwide and specifically in the Arab world. Hyundai aimed to enter the Arab market, particularly the oil-rich Gulf states[20], and to secure long-term contracts, most notably infrastructure projects. The company successfully secured work contracts in Saudi Arabia, Qatar, and Kuwait[21]. At the same time, Iraq was moving toward major economic development to improve its economy. After Iraq nationalized oil in 1972[22], which led to the accumulation of wealth, in addition to settling its border disputes with Iran[23], this indicated a state of stability in the mid-1970s. The Gulf market began to suffice with development projects in the mid-1970s, and some

problems arose for Korean workers in Saudi Arabia. Hyundai therefore began to explore new markets[24]. This was the right opportunity for Hyundai Construction[25]. when it won the contract to build a sewage treatment plant in Basra in 1978[26].

Korean workers could not find a way to enter Iraq, and entering Iraq for Koreans represented a great risk. The difficulty of the issue increased after the expansion of the rapprochement between Iraq and the Democratic People's Republic of Korea, and consequently the closure of the Iraqi market to Korean companies. However, the first Korean entry into Iraq came through Hyundai Construction Company winning the contract to build a sewage treatment plant in Basra, the second largest city in Iraq after the capital, Baghdad. The reason for winning this contract was that Hyundai Company offered the lowest price to carry out the project in a desperate attempt to gain a foothold in the Iraqi market. Immediately, arrangements began to ensure the arrival of Korean equipment and workers to Iraq to begin implementing the project. To ensure that the procedures were proceeding properly, Lee Myung-bak traveled to Iraq, but he was unable to obtain an entry visa to Iraqi territory, which forced him to stay for a period in Kuwait waiting to enter Iraq. Indeed, he was able to cross the Iraqi border illegally[27], and it took him several days to reach Baghdad. Here, Lee Myung-bak describes his feelings when he arrived in Baghdad secretly, saying, "**I was the head of the company that had just won a contract in a country where I was not allowed to... "I entered, and I was not granted a visa. I felt like a secret agent in a spy thriller**[28]." Pak was captivated while he was in Baghdad, which was a dream for Korean companies.

Lee Myung-bak was impressed by the Iraqi capital, Baghdad, even though he toured it secretly, using the term "stealthily," with the help of a local employee. Several days later, Lee Myung-bak was able to meet the Iraqi official in charge of the project. The first words the Iraqi official addressed to the Hyundai manager were, "How did a South Korean company win the contract?" The official couldn't believe it, confirming the extent of the Iraqi apprehension about dealing with South Korea. The two sat down and drank tea. Lee Myung-bak promised the Iraqi official that Hyundai would do its best to complete the project and asked the official to help the company achieve this goal. In return, the Iraqi official promised to provide the necessary assistance, but, according to Lee Myung-bak, the promise was vague[29].

Lee Myung-bak's impressions of the situation in Baghdad can be seen in his stay in the capital for several days, desperately trying to find a way to the new leadership, which would provide the necessary assistance to ensure the entry of Korean workers and equipment into Basra to complete the project. Several days later, while Lee Myung-bak was sitting in a nightclub called the Moulin Rouge[30], an Asian woman approached them and asked, "Would you like to join us?" She introduced herself as a Japanese citizen. When Lee Myung-bak got up to go to the bathroom, she surreptitiously followed him, looked around to make sure no one was watching them, and then whispered, "You came from South Korea, right?" Here, Lee Myung-bak describes his surprise that the woman was in fact from South Korea, but out of self-preservation and fear of deportation, she claimed to be from Japan.

Lee Myung-bak's first opportunity came through a gift he gave to a local employee, who he hoped would lead them to the mayor of the capital, Abdul Wahab Al-Mufti[31]. The Korean trade delegation was unaware of the possibility of reaching the mayor without the help of this local employee, reflecting the extent of Koreans' ignorance and lack of knowledge about Iraq. Lee Myung-bak's attempts to meet the mayor failed until a final attempt was made through communicating with the interpreter at the secretariat building, who told him he needed a few

minutes to meet with the mayor. The meeting did take place, and Lee Myung-bak expressed to the mayor Abdul Wahab Al-Mufti Hyundai's desire to improve the economic situation in Iraq and its expertise, particularly in the field of infrastructure and its development[32]. This was because Korea had pioneering experience in economic development, starting with its own country [33].

Lee Myung-bak describes the mayor's relief at hearing this from the Hyundai Construction manager, despite his initial skepticism, given that South Korea was an ally of the United States, which Abdul Wahab Al-Mufti described as an imperialist state. Lee Myung-bak describes the first meeting with the mayor as fruitful, as it was an introduction between a Korean company official and an Iraqi official. However, the meeting did not resolve the obstacles facing the entry of Korean workers and equipment required to implement the project in Basra. Korea did not have a consulate or any diplomatic representation in Iraq. Therefore, the Korean workers had to go to Kuwait and wait there for weeks until their visas were issued, costing the company irreparable effort, money, and time. Therefore, Lee Myung-bak contacted the Korean Foreign Ministry in Seoul and proposed the idea of opening a Korean consulate in Baghdad, but they refused, claiming that relations between Korea and Iraq were not close and that there was no justification for Korea to establish a consulate general in Baghdad[34].

2. Returning to Baghdad:

Lee Myung-bak was forced to travel to Baghdad for the second time and requested a meeting with the mayor, Abdul Wahab Al-Mufti. The meeting took place at the Iraqi Hunting Club[35], where Lee presented the mayor with a turtle ship, a traditional Korean heritage. Lee Myung-bak took the opportunity to raise the issue of issuing visas for Korean workers. He informed the mayor that, as a director of Hyundai Construction, it took him four days to obtain an entry visa to Iraq, so how could ordinary workers, hundreds of whom were waiting for their visas to enter and work on the project, be allowed to do so? When the mayor asked what he suggested, Lee Myung-bak replied that the Iraqi government should issue a group visa for all Korean workers. The mayor then requested the necessary paperwork for the Korean workers and promised to issue them group visas. At the end of the lunch, the mayor embraced Lee Myung-bak and told him that he was happy that they had become good friends, that they were like brothers [36].

Lee Myung-bak, the mayor of the capital, describes Abdul Wahab al-Mufti as cultured, educated, and well-versed in literature, art, and ancient books, despite being deeply involved in politics. Abdul Wahab fulfilled his promise. The next day, the Iraqi Ministry of Foreign Affairs issued group visas to all Korean workers in Kuwait, allowing them to enter to begin construction of a sewage treatment plant in Basra[37].

4. Baghdad, Hyundai's Gateway to Iraq:

Lee Myung-bak returned to Baghdad for the third time, where he invited the mayor, Abdul-Wahab Al-Mufti, to lunch at one of Baghdad's best restaurants, expressing his gratitude for his assistance in issuing group visas for Korean workers to enter Iraq. Lee Myung-bak learned from the mayor that two of his friends would be attending lunch with him. They later turned out to be the Minister of Industry and the Minister of Housing and Construction. Lee Myung-bak told him that he would need these two men if Hyundai wanted to continue operating and secure new contracts in Iraq. The meeting with the three officials took place in the restaurant, and Lee Myung-bak welcomed the mayor and his two colleagues and spoke with them about the extensive experience Korean companies have in the fields of economic

development and infrastructure development. Lee Myung-bak realized that it would be impossible to meet these two ministers without the assistance of the mayor, Abdul-Wahab Al-Mufti, especially the Minister of Housing and Construction, who was primarily responsible for the project to build a sewage treatment plant in Basra. This meeting marked a significant turning point in the ongoing developments in Baghdad for a Korean citizen who had entered Iraq as the director of a major economic company. Lee Myung-bak felt reassured when he sensed that the two ministers were at ease during this friendly meeting, especially when the Minister of Industry asked Lee Myung-bak to tell him more about Hyundai's experience in power plant construction[38].

It is worth noting the focus on Lee Myung-bak's impressions as he describes Iraqi society, and his amazement at the speed with which Iraqis formed friendships with a person who was not long ago suspicious, not for any reason, but simply because he was from a country that had no economic dealings or diplomatic relations with Iraq. Lee Myung-bak states in his book (The Rough Road): "The speed with which we became very close friends was amazing." Lee Myung-bak continued in his description of Iraqis by saying that Iraqis are known for being a fiercely proud people. He relies here on history, as he mentions in his book that Iraq has always been a major power in the region, and describes Iraqis as being extremely proud of this fact. Iraqi society also has a respectful side to diversity, and they have a great passion and interest in the arts, literature, and culture. They also valued friendship greatly, and honor was above all else. This made it easy for someone like Lee Myung-bak to become a close friend and remain a friend of Iraqis for a long time[39].

5. Korean modernity seeps into Baghdad through Hyundai and Pak:

Lee Myung-bak, CEO of Hyundai Construction, visited Baghdad for the fourth time, a month after his third visit, in 1978, to follow up on the progress of the construction of the Basra sewage treatment plant. Upon his arrival in Baghdad, some Iraqi friends contacted him, most notably the Minister of Industry, who invited him to dinner. The same day, the Minister of Housing called the CEO and invited him to dinner, but Lee Myung-bak declined, citing a prior appointment with the Minister of Industry. Lee Myung-bak describes the dinner as a lavish affair, held in a luxurious restaurant on the banks of the Tigris River, in a building dating back approximately 400 years. This place offers a beautiful view, allowing visitors to see the majestic Tigris River below. Upon arrival, he was greeted by his host, the Minister of Industry, along with the Minister of Housing, the Mayor of the Capital, and another person he did not know. It turned out that he was the Minister of Heavy Industries and Mineral Resources. The Minister of Industry was impressed by Lee Myung-bak's explanation of Hyundai's work in power plant construction. He therefore believed that Lee Myung-bak should meet the Minister of Heavy Industries and Mineral Resources, since power plants fall under his ministry's purview. Lee Myung-bak thanked the Minister for this kind gesture[40].

Lee Myung-bak describes how he enjoyed himself that night while having dinner with his Iraqi friends. They then drank a drink that was similar to the Korean drink Soju, as he mentions that the name itself was identical between the two drinks. They touched on many things in their informal discussions, the most prominent of which was the great similarity in some words in the Arabic and Korean languages. For example, Lee Myung-bak mentions that the Korean words Ae-bi and ae-mi are pronounced the same way in Arabic. Here, Lee Myung-bak was not surprised by this great similarity in some words in Arabic and Korean. Here, we see that he went back to history for the second time, as he mentioned that historical records dating back to the fifth century BC, dating back to the ancient Silla Dynasty, which

ruled Korea, mentioned that merchants from the Arabian Peninsula came to Korea by sea, and the merchants did not only bring goods with them, but also brought Middle Eastern culture. Here, Lee Myung-bak describes that Korea and Iraq were at opposite ends of the spectrum. The two sides of Silk Road[41].

Lee Myung-bak recalled that throughout the night at the dinner, they all spoke about how close Iraq and Korea were in many ways. One of the Iraqis in attendance spoke passionately about Iraq's new desire to engage with Korea on a deeper level. He noted how Iraq works with other countries, such as Japan, Germany, France, and the United Kingdom[42], but none of these countries has treated Iraq as an equal partner. He expressed his hope that Iraq and the Republic of Korea could work together to develop their countries more closely, for the benefit of both countries[43].

6. Hyundai, Pak, and the Competition of Japanese Companies in Baghdad:

The director of Hyundai Construction returned to Baghdad for the fifth time in 1979, after Hyundai Construction won new contracts in Iraq, to follow up on the progress of these new projects. Hyundai was able to beat Japan and win the $720 million Musayyib thermal power plant project on a turnkey basis. Hyundai also won the $820 million housing project to be built in Fallujah. Regarding the Musayyib thermal power plant project, Lee Myung-bak recalls that his Iraqi friends advised him to use Japanese technology to complete the project, knowing that Hyundai would be unable to complete the plant on a turnkey basis within the agreed upon timeframe. Despite this, the project was awarded to the Koreans. The reason, as Lee Myung-bak describes it, was that the Iraqis wanted to send a dual message: they wanted to tell developed countries that they were no longer the same old Iraq, and that they wanted to protect their national interests[44].

The strong friendship between Lee Myung-bak and the mayor of the capital, Abdul Wahab Al-Mufti, continued. Lee Myung-bak credits Abdul Wahab Al-Mufti with introducing him to the man responsible for formulating economic policies in Iraq, the Minister of Planning, who ran the Economic Planning Council. That evening, Abdul Wahab Al-Mufti took Lee Myung-bak to the palace of the Minister of Planning. On the way, Lee Myung-bak asked the mayor what he should say to the Minister of Planning when they met. Abdul Wahab understood the hints from the Korean director and suggested that he raise the issue of opening a consulate and establishing diplomatic relations between the two countries when meeting with the Minister of Planning. Upon their arrival, Lee Myung-bak recalled, there was media coverage, with television crews filming the meeting. The image of Lee Myung-bak shaking hands with the Minister of Planning was broadcast on the evening news in Baghdad. After the exchange of greetings, tea was served to the Korean guest. The minister told the Korean guest that it was the first time he had received a foreign construction official. He added that he had heard a lot about the Hyundai CEO from his fellow ministers. He thanked him and wished him good luck in his work and projects in Iraq. Lee Myung-bak recalled that he informed the Iraqi minister that he would do his best to serve the development movement in their country. However, he also explained the difficulty of continuing and completing the construction project in Fallujah due to the many restrictions imposed on the Korean company's work. Lee Myung-bak did not ask the Minister of Planning to take immediate action to resolve the obstacles, but he did at least ask him to consider the matter. The Minister of Planning replied that he would carefully consider the matter, but his response contained neither positive nor negative signals[45].

7. The Sixth Visit and Korean Pony Cars on the Streets of Baghdad:

Shortly before Lee Myung-bak left Baghdad in 1979, he was sitting with the mayor of the capital, Abdul Wahab Al-Mufti. Abdul Wahab asked Lee Myung-bak what Hyundai could offer in exchange for the company's necessary facilities to complete its projects in the country. It was as if he needed something to report back to the influential figures in the Iraqi government. Lee Myung-bak offered Hyundai cars to Abdul Wahab Al-Mufti. He said that, as Lee Myung-bak said, it would be good publicity for Hyundai cars to be present on the streets of Baghdad and a display of friendship between Iraq and the Republic of Korea, albeit indirectly. However, the mayor replied, "We have enough cars. What about small trucks?" Lee Myung-bak agreed to the proposal even though he knew that Hyundai did not have a production line for small trucks. Abdul Wahab Al-Mufti responded that he would see what could be achieved regarding the opening of a Korean consulate in Baghdad after the cars were delivered to the Iraqi government. Lee Myung-bak was pleased with this progress and informed Abdul Wahab Al-Mufti that Hyundai would do its best to help them rebuild Iraq.

Lee Myung-bak returned to the Korean capital, Seoul, and informed the Hyundai president's office in Seoul of his meetings with Iraqi officials. Lee Myung-bak felt apprehensive about Korean government officials' fears of establishing diplomatic relations with Iraq due to Korean relations with the United States. Lee explained that there were positive signals from the Iraqis regarding the agreement to establish diplomatic relations. Lee Myung-bak had to wait more than a week for Hyundai management approval to supply the small trucks.

Lee Myung-bak returned to Iraq on his sixth visit to follow up on the progress of projects in Musayyib and Fallujah, and to inform Iraqi officials of Hyundai's approval to supply small trucks to Baghdad. After receiving permission from the Iraqi government, the company set up a separate production line for industrial assembly at the factory that manufactures the Pony. The company was able to manufacture small trucks by working overtime. After the company completed production of the small trucks, the manufactured vehicles were shipped in special shipments to Kuwait, after which they were sent to Iraq. The manufactured vehicles were officially granted to the Iraqi government, so that anyone seeing them could assume that diplomatic relations existed between the Republic of Iraq and the Republic of Korea[46].

To fulfill this desire, the first signs of diplomatic relations between Iraq and the Republic of Korea began when the establishment of consular representation between the two countries was announced on April 15, 1981[47]. The government of the Republic of Korea declared its commitment to neutrality in the Iran-Iraq War and that it would not provide any weapons to either warring party. In the middle of the same year, Hyundai CEO Lee Myung-bak invited the mayor of the Iraqi capital, Abdul Wahab Mohammed, to the Republic of Korea as part of his gratitude for the role he played in assisting the Hyundai CEO in obtaining facilities for his company in Iraq. CEO Lee Myung-bak was keen to inform the mayor of the capital, Abdul Wahab Mohammed Latif, of the Republic of Korea's progress in the fields of construction, building, and manufacturing, and the depth, authenticity, and prominence of Korean culture in Korean society. However, the sources and documents available to us do not clarify whether this invitation was at the behest of the Korean Ministry of Foreign Affairs or whether it was part of Hyundai's activities in Iraq. In any case, this visit contributed to supporting economic activity and introduced the ruling political circles in Iraq to the technical and economic capabilities of the Republic of Korea[48].

8. Baghdad - The Seventh and Final Visit

After Lee Myung-bak's efforts to establish diplomatic relations between Iraq and Korea were crowned with success, culminating in the opening of a Korean consulate in Baghdad in 1982, many Korean companies entered the Iraqi market and secured contracts for important projects in Iraq. However, priority was given to Hyundai Construction, due to the deep friendship Lee Myung-bak had established with Iraqi officials. As a result, Hyundai implemented sixteen major projects in Iraq, some of the most important economic development projects adopted by the state to develop the economy and improve the country's infrastructure. Foremost among these projects was the implementation of the second phase of the Iraqi Saudi oil pipeline project, a strategic project. The contract value for the project was $1,459 million[49].

Lee Myung-bak last visited Baghdad in 1982 to follow up on the progress of projects being implemented by Hyundai Construction. This visit was not alone, but was accompanied by Hyundai President Chung Ju-yung, who also reviewed the projects his company had undertaken in Iraq. The two boarded a plane from Kuwait and headed to the Iraqi capital. Upon arrival, they met with Lee's Iraqi friends, who welcomed the Hyundai president and promised him that the company would not face any obstacles or suffer unduly.

Lee Myung-bak then began his tour with his boss, inspecting the construction sites of Hyundai projects in Iraq. President Chung was impressed by the progress of the projects. He behaved at the sites like a military general, eager to learn details about the work being carried out there.

The night before Lee Myung-bak and Hyundai President Chung-hee left Baghdad, Chung-hee held a farewell dinner for all the site managers working throughout Iraq. Lee Myung-bak describes the difficulty of obtaining alcohol during the ongoing war between Iraq and Iran, but the issue was resolved with the help of some local assistants working with the company. More than 40 people sat around the table drinking and eating dinner. He describes the party as noisy and filled with joy and affection among the attendees. During this party, many lambs were slaughtered. Lee Myung-bak also purchased one of the most famous Iraqi dishes known in Iraqi cuisine, masgouf fish, which he describes as a grilled fish dish from the Tigris River, famous for its delicious taste. This dish, masgouf, was purchased from a nearby restaurant, and the attendees continued to celebrate and drink until late at night. At four in the morning, Hyundai Construction Director Lee Myung-bak and his boss Chung-hee packed their bags and left Iraq by car, via the southern city of Basra, heading for Kuwait. Lee Myung-bak is in Baghdad for the last time.

9. Conclusion:

Thus, Baghdad was a platform for establishing diplomatic relations with two countries separated by oceans. Lee Myung-bak's personal adventure played a significant role in Hyundai's success in establishing political relations between Iraq and the Republic of Korea. Lee Myung-bak, who lived through the Japanese occupation of Korea and endured misery after the end of the occupation, rising from a simple Hyundai employee to the company's second-in-command, and then to the presidency of the Republic of Korea, was determined to bring Hyundai to Baghdad and Iraq. A shared determination developed between him and Baghdad to continue this path, making Baghdad Hyundai's gateway to Iraq.

It is also clear that the beginning of Iraq's economic, then diplomatic, and political relations with the Republic of Korea began with an economic adventure by a man who rose

through his professional career from a simple employee to a Hyundai leader, and finally the tenth president of the Republic of Korea. This experience demonstrates to Lee the importance of the economic aspect in building balanced economic relations. Hyundai and Kia, two merged companies that roam the streets of Baghdad, represent the most reliable means of transportation, outperforming Japanese and Chinese companies in the automotive sector, offering a middle ground between the superior quality of Japanese manufacturing and the inferior quality of Chinese manufacturing. In all of this, Lee Myung-bak represents an interesting case study and comparison between two cultures that he was able to bring together, despite the geographical and cultural distance between the two environments with limited interaction.

The difficult life in Japan and Korea taught Lee to be principled and not to submit to difficult circumstances. His student life at university taught him how to be a leader and not succumb to material temptations. He became a student leader, which qualified him to practice leadership in his later life, regardless of his modest means. This qualified him to be the founder of Hyundai's economic relations with Iraq. He never forgot his family's life of poverty, and his concern became to spread prosperity throughout the world. This may explain his rise to the top ranks at Hyundai and his subsequent rise to the position of the tenth president of the Republic of Korea.

In the 1980s and 1990s, Iraq became one of the economic centers of gravity for the Republic of Korea and its companies in the Middle East, which irritated its other half, the Democratic People's Republic of Korea (DPRK), which felt that Iraq was within its revolutionary and socialist sphere of influence due to the similarity of the two economies. Nevertheless, the liberal republic was able to confidently forge its way forward and build strong relations with its new friend.

Footnotes:

1.The tenth President of the Republic of Korea (1941-present/2008-2013) , Lee Myung-bak was born in Osaka, Japan, to a poor Korean family. He returned with his family to Korea after the declaration of independence in 1945 and settled in the city of Pohang, where he attended elementary school during the Korean War (1950-1953). He moved with his family to the capital, Seoul, after completing his high school education in 1959. He joined the College of Commerce at Seoul University in 1960 and worked as a garbage collector during his university studies. He participated in student movements opposing the rule of Korean President Syngman Rhee and the policy of normalization with Japan and was imprisoned for four months. He worked for Hyundai for twenty-seven years (1965-1992) and rose through the ranks of the company until he became its CEO at the age of thirty-five. Lee Myung-bak began his political career in 1992 when he became a member of the National Assembly. His decision to enter politics came from his desire to serve his country in the political field after serving it in the economic field and out of his faith. Believing that managing a country is essentially no different from managing a business, and that this would benefit his country, he was elected Mayor of Seoul in 2002 and served until 2008, when he was elected President of the Republic of Korea. He served in this position for five years, during which he worked to develop Korea's foreign

relations and confront the 2008 global economic crisis and its repercussions on the Korean economy. See: Lee Myung-bak, The Rough Road, pp. 11-36.

٢.One of Korea's largest companies, it was founded in 1946 as a small auto repair shop by Chung Ju-yung (1915-2001). With his passion for business, Chung Ju-yung expanded the company's operations to include the construction sector. The company gained notoriety for being the first Korean company to establish investment projects outside the Republic of Korea. Hyundai also incorporated an automobile manufacturing company in 1967, and Hyundai Heavy Industries (the world's largest shipbuilding company) in 1974, which produced its first ship, the Atlantic Baron.

For details, see: Lee Myung-bak, The Rough Road: A Biography of Lee Myung-bak, President of the Republic of Korea and CEO of Hyundai, First Edition, Abu Dhabi, Emirates Center for Strategic Studies and Research, 2012, p. 316.

3.Ibid, pp. 38-39.

4. Muhammad Hussein al-Zubaidi, The Revolution of July 14, 1958, in Iraq (its causes, preludes, course, and the Free Officers' organizations), Baghdad, Dar al-Hurriyah for Printing, 1983, p. 452.

5. Naglaa Al-Rifai Al-Bayoumi, The Korean-Korean Dialogue on the Unification Issue, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 1999, p. 7.

6. Musa Makhoul, Encyclopedia of Wars and Regional Crises in the Twentieth Century - Asia, Second Edition, Beirut, Bissan Publishing, Distribution and Media, 2006, p. 118.

7. Mahmoud Al-Qaysi, Iraqi Perception of the Economic, social and Political Transitions in Korea during the 2nd Half of the 20th Century according to Newspapers and official Records, Hankuk University of Foreign Studies & President Hotel, 2015, P 350.

8. Abdul Salam Nower, Determinants of the Party System in South Korea, The Party System and Development Issues in South Korea, edited by Hoda Metkes and Khadija Arafa Muhammad, Cairo, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 2005, p. 39.

9. Jung Hae Gu, Kim Ho Ki, Development of Democratization Movement in South Korea, Division of Social Sciences, Sung Kong University, Korea, p.14.

10. Naseer Mahmoud Shukr Al-Jabouri, Foreign Policy of the Republic of Iraq 1958-1963, Baghdad, First Edition, Dar Dhifaf for Printing, Publishing and Distribution, 2012, p. 150.

11. Iraq had a legation in the Japanese capital, Tokyo, which opened in 1955.

See: Motohiro Ono, "Japanese-Iraqi Diplomatic Relations," in the book: Iraq and Japan in Modern History (Tradition and Modernity), edited and introduced by Keiko Sakai and Mahmoud Abdel Wahid Mahmoud Al-Qaisi, Baghdad, Egypt, Murtada for Iraqi Books, 2010, p. 290.

12. Nazir Jabbar Hussein, Iraqi-Japanese Relations 1921-1958, in the book: Iraq and Japan in Modern History, previous source, pp. 282-283.

13. The Holstein Doctrine is named after Walter Hallstein (1901–1982), the first President of the European Commission (1958–1967). He worked for the success of the European

Common Market and European Unity. In 1950, Hallstein became head of the Foreign Office at the German Federal Chancellery. At the end of the occupation, he became a senior official in the Foreign Ministry, but Chancellor Konrad Adenauer (1876–1967/1949–1963) directed the foreign policy of the Federal Republic of Germany. In the mid-1950s, Holstein issued the doctrine that became known by his name, which framed Germany's foreign policy. It stated that the Federal Republic of Germany would not maintain diplomatic relations with any country that recognized the German Democratic Republic (GDR). Thus, the Federal Republic of Germany considered any third party that had relations with the GDR to be unfriendly, except for the Soviet Union, which was one of the four major powers responsible for Germany. Important aspects of this principle were abandoned after 1970 when it became difficult to implement, particularly after the Federal Republic of Germany changed its policy toward the East German Democratic Republic. See:

Corrado Malandrino, Walter Hallstein: The USA, the Atlantic Partnership and the European Community, past working paper. No. 1, November 2012, pp. 1-12.

14. Mohamed El-Sayed Selim, Medhat Ayoub, Korea and the Middle East, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 1999, p. 45.

15. Early economic relations between Iraq and the Democratic People's Republic of Korea began in 1959 with a trade agreement known as the Trade and Payments Agreement between the Republic of Iraq and the Democratic People's Republic of Korea, which was signed between the Iraqi and Korean delegations in Baghdad on July 23, 1959. For details, see:

Ration of the Trade and Payments Agreement between Iraq and the Democratic People's Republic of Korea, Al-Waqa'i' Al-Iraqiya, Issue 210, August 16, 1959, p. 9.

16. Ministry of Foreign Affairs, Protocol Department, Document No. M/849/404/200, dated 1/25/1968, p. 1.

17. Budget Directorate/Secret Services File Document (1966-1971) No. 137/421102, dated October 11, 1966, pp. 1-2.

18. Document of the General Accounts Cash Directorate, No. 39255, dated 10/27/1966, pp. 1-2.

19. Ghaidaq Abdul-Moneim Muhammad, Iraq’s Economic Relations with the Republic of Korea 1975-1991, unpublished MA thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2014, p. 114.

20. Department of Economic Research and Studies, Meeting of the Korean President with Saudi Businessmen, 2012, pp. 4-5.

21. Muhammad al-Sayyid Salim, Madhat Ayyoub, previous source, p. 280.

22. Fakhri Qaddouri, "Thus I Knew Al-Bakr and Saddam," "A 35-Year Journey in the Ba'ath Party," second edition, London, Dar Al-Hikma, 2014, pp. 113-118.

23.Fakhri Qaddouri, op. cit., pp. 206-209.

24.One of the most prominent problems facing Hyundai was the false accusations leveled against two Korean workers at the company's branch in Saudi Arabia, who were imprisoned. See:

Lee Myung-bak, The Rough Road, p. 310.

25.Talal Ismail Ibrahim, "Hyundai and Its Economic and Social Role in the Republic of Korea and Its Impact on Development in Arab Countries 1947-2007," unpublished doctoral dissertation, College of Arts, University of Baghdad, 2021, pp. 345-346.

26.Lee Myung-bak, The Rough Road, p. 174.

27. Inaam M. A. AlSalman, Iraq from LEE Mynung Bak's Approach: Beginnings of Economic and Political Relations between Iraq and Korea (1975 – 1991), Asian and middle Eastern Countries since the End of World War II, Hankuk University of Foreign Studies & President Hotel, 2015, P 254.

28. Lee Myung-bak, The Rough Road, p. 175.

29. Ibid.

30.It is an upscale nightclub and cabaret named after the famous French cabaret Moulin Rouge. It is in the Al-Masbah area of Baghdad. For details, see:

Ali Abdul Amir Ajam, Baghdad 1978-1979: The Beautiful Loss, online article:

http://www.aliabdulameer.com/inp/view_printer.asp?ID=182&AUTHOR=%F6%DA%E1%ED%20%DA%C8%CF%20%C7%E1%C7%E3%ED%D1

31. I was unable to find his date of birth. Abdul Wahab Muhammad Latif al-Mufti, a close associate of former Iraqi President Saddam Hussein, and the two men had a close relationship. Abdul Wahab was studying at the College of Law in Baghdad at the time the Ba'athists were planning a coup in Iraq. After the coup, he served as head of the General Organization for Roads and Bridges. He became the general supervisor of the construction of earth dams at the start of the Iran-Iraq War in 1980 along the southern and central fronts. He served as mayor of the capital from 1984 to 1986, and on January 15, 1986, he was awarded the Second-Class Civil Order of the Two Rivers. He was also awarded a medal of courage for his role in clearing reeds in the marshes. Six months later, a presidential decree was issued dismissing him from his position and accusing him of betraying his position and embezzling public funds. He was executed in 1986. See:

Al-Waqa'i' al-Iraqiya, Issue 3105, July 7, 1986.

32.Muhammad Amin Shalqami, "Understanding the Korean Experience and Ways to Benefit from It: A Scientific Guide," Asian Papers, Issue 36, Cairo, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 2001, p. 24.

33.The stages of Korean development can be divided into three: the first, a command economy and direct state intervention (1963-1981); the second, a transitional stage that combined direct state intervention with economic liberalization (1981-1992); and the third, liberalization and indirect state intervention (1992-present). Of these stages, the one that concerns us is the first, which extended during the period during which the Republic of Korea entered Iraq economically.

See: Saeed Rashid Abdul Nabi, "The South Korean Experience in Development," Journal of International Studies, College of Political Science, University of Baghdad, Issue 38, 2008, pp.4-5.

34. Lee Myung-bak, "That's My Testimony," Episode 9, Saudi Cultural Channel, November 24, 2023. See: https://www.youtube.com/watch?v=CFJwi9hae0U&t=157s

35.A social, recreational, and sports club located in the Karkh district of the Mansour neighborhood. The club was founded in the 1920s as a bird hunting club. It became a social and recreational club visited by the social elite, including Iraqi politicians and economists, as well as Iraqi families on special occasions. Although hunting is not practiced at the club, the club retains this name to this day. See: The official website of the Baghdad Hunting Club.

36.Lee Myung-bak, "The Rough Road," p. 179.

37.Lee Myung-bak, "That's My Testimony," op. cit.

38.Ghidaq Abdul-Moneim Muhammad, op. cit., p. 120.

39.Lee Myung-bak, "The Rough Road," pp. 182-183.

40. Inaam M. A. AlSalman, Op,cit, p .255.

41. Jang Byung-ok, Arab-Islamic and Middle Eastern Studies in Korea, translated and introduced by Mahmoud Abdul-Wahid Mahmoud, Al-Zaman Newspaper, Baghdad, Issue 4629, October 2013, p. 9.

42.Iraq's 1967 trade agreement with France, which stipulated the supply of two nuclear reactors for peaceful purposes, and France's support for Iraq after its nationalization of oil in 1972, had a significant impact on the development of economic relations between the two countries and France's preference for trade cooperation with Iraq. See: Sondos Ismail Al-Samarrai, French Foreign Policy Towards Iraq 1967-1988, unpublished MA thesis, College of Political Science, University of Baghdad, 1988, pp. 135-136.

43.Lee Myung-bak, The Rugged Road, pp. 182-183.

44. Inaam M. A. AlSalman, Op,cit,p .255.

45. Ghaidaq Abdul-Moneim Muhammad, previous source, p. 127.

46. Ibid, p. 128.

47.Embassy of the Republic of Iraq, 2012 Annual Report, Seoul, Republic of Korea, p. 57.

48.Lee Myung-bak, The Rough Road, p. 187.

49.Lee Myung-bak, That's My Degree Program, previous source.

List of sources and references:

(1) Document of the General Accounts Cash Directorate, No. 39255, dated October 27, 1966.

(2) Ministry of Foreign Affairs, Protocol Department, Document No. M/849/404/200, dated January 25, 1968.

(3) Document of the Budget Directorate/Secret Services File (1966-1971), No. 137/421102, dated October 11, 1966.

(4) Embassy of the Republic of Iraq, Annual Report for 2012, Seoul, Republic of Korea.

(5) Ibrahim, Talal Ismail, Hyundai Motor Company and its Economic and Social Role in the Republic of Korea and its Impact on Development in Arab Countries 1947–2007, Unpublished PhD Thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2021.

(6) Ok, Jang Byung, Arab-Islamic and Middle Eastern Studies in Korea, Translated and Introduced by Mahmoud Abdel Wahid Mahmoud, Al-Zaman Newspaper, Baghdad, Issue 4629, October 2013.

(7) Abdul Nabi, Saeed Rashid, The South Korean Experience in Development, Journal of International Studies, College of Political Science, University of Baghdad, Issue 38, 2008.
(8) Ajam, Ali Abdul Amir, Baghdad 1978–1979: The Beautiful Loss, Electronic Article.
(9) Muhammad, Ghaidaq Abdul-Munem, Iraq's Economic Relations with the Republic of Korea 1975-1991, unpublished MA thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2014.
(10) Qaddouri, Fakhri, this is How I Knew Al-Bakr and Saddam, "A 35-Year Journey in the Ba'ath Party," Second Edition, London, Dar Al-Hikma, 2014.
(11) Park, Lee Myung-bak, The Rough Road: The Autobiography of President Lee Myung-bak, President of the Republic of Korea and CEO of Hyundai Motor Company, First Edition, Abu Dhabi, Emirates Center for Strategic Studies and Research, 2012.
(12) Al-Zubaidi, Muhammad Hussein, The July 14, 1958, Revolution in Iraq (Its Causes, Preliminaries, Course, and the Free Officers' Organizations), Baghdad, Dar Al-Hurriyah Printing House, 1983.
(13) Salim, Muhammad Al-Sayyid, Madhat Ayoub, Korea and the Middle East, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 1999.
(14) Al-Samarrai, Sundus Ismail, French Foreign Policy Towards Iraq 1967-1988, Unpublished Master's Thesis, Faculty of Political Science, University of Baghdad, 1988.
(15) Shalqami, Muhammad Amin, Understanding the Korean Experience and Ways to Benefit from It: A Scientific Guide, Asian Papers, Issue 36, Cairo, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 2001.
(16) Ono, Motohiro, Japanese-Iraqi Diplomatic Relations, in: Iraq and Japan in Modern History (Tradition and Modernity), edited and introduced by Keiko Sakai and Mahmoud Abdul Wahid Mahmoud Al-Qaisi, Baghdad, Egypt, Murtadha for Iraqi Books, 2010.
(17) Makhoul, Musa, Encyclopedia of Wars and Regional Crises in the Twentieth Century - Asia, Second Edition, Beirut, Bisan for Publishing, Distribution, and Media, 2006.
(18) Al-Bayoumi, Najla Al-Rifai, The Korean-Korean Dialogue on the Issue of Unification, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 1999.
(19) Hussein, Nazir Jabbar, Iraqi-Japanese Relations 1921-1958, in: Iraq and Japan in Modern History (Tradition and Modernity), edited and introduced by Keiko Sakai and Mahmoud Abdul Wahid Mahmoud Al-Qaisi, Baghdad, Egypt, Murtadha for Iraqi Books, 2010.
(20) Al-Jubouri, Nasir Mahmoud Shukr, The Foreign Policy of the Republic of Iraq 1958–1963, Baghdad, First Edition, Dar Dafaf for Printing, Publishing, and Distribution, 2012.
(21) Nuwair, Abdul Salam, Determinants of the Party System in South Korea, The Party System and Development Issues in South Korea, edited by Hoda Metkes and Khadija Arafa Muhammad, Cairo, Center for Asian Studies, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, 2005.
(22) The official website of the Hunting Club in Baghdad.
(23) Al-Waqa'i' Al-Iraqiya Newspaper, Issue 210, August 16, 1959.
(24) Al-Waqa'i' Al-Iraqiya Newspaper, Issue 3105, July 7, 1986.

(25) Department of Economic Research and Studies, Meeting of the Korean President with Saudi Businessmen, 2012.
(26) Lee Myung-bak, "That's My Testimony" Program, Episode 9, Saudi Cultural Channel, November 24, 2023. See: Episode link on YouTube:
https://www.youtube.com/watch?v=CFJwi9hae0U&t=157s
Partnership and the European Community, past working paper. N.1. November 2012.
(28) AlSalman, Inaam M. A., Iraq from LEE Mynung Bak’s Approach: Beginnings of Economic and Political Relations between Iraq and Korea (1975 – 1991), Asian and middle Eastern Countries since the End of World War II, Hankuk University of Foreign Studies & President Hotel, 2015.
(29) Jung Hae Gu, Kim Ho Ki, Development of Democratization Movement in South Korea, Division of social Sciences, Sung Kong University, Korea.
(30) Al-Qaysi, Mahmoud, Iraqi Perception of the Economic, social and Political Transitions in Korea during the 2nd Half of the 20th Century according to Newspapers and official Records, Hankuk University of Foreign Studies & President Hotel, 2015.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

جدلية المركز والهامش في السرد الحديث: تمثلات الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية

رشا ابراهيم هزاع كاظم فتلاوي
طالبة دكتوراه, قسم اللغة العربية, جامعة الاديان والمذاهب, قم, ايران
rashalamani987@gmail.com
أ.د. ميثم إيراني
m.irani@urd.ac.ir
أ.د.حسن رحماني
hassan69rahmani@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

يتناول هذا البحث جدلية المركز والهامش في الشعر العربي الحديث من منظور تحليل الخطاب النقدي كما بلوره نورمان فيركلاف، ساعيًا إلى الكشف عن الآليات اللغوية والدلالية التي يُعاد عبرها إنتاج السلطة أو مساءلتها داخل النص الشعري. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الشعر الحديث لا يكتفي بتمثيل التوتر بين المركز والهامش، بل يعيد تشكيله عبر استراتيجيات خطابية تُفكك البنى المهيمنة وتمنح الصوت للذوات المُقصاة. واعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا يستند إلى مستويات فيركلاف الثلاثة: تحليل البنية النصية، وتتبع الممارسات الخطابية، وربطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية المنتجة لها. وقد أظهرت النتائج أن الخطاب الشعري الحديث يوظف الانزياح اللغوي، وإعادة بناء الضمائر، وتكثيف الرموز الجمعية بوصفها أدوات لإعادة توزيع المعنى، بما يؤدي إلى إزاحة المركز من موقعه الأحادي وفتح المجال أمام تمثيلات بديلة للهوية والسلطة والذاكرة. وتخلص الدراسة إلى أن جدلية المركز والهامش في الشعر الحديث ليست ثنائية جامدة، بل عملية دينامية تُعاد صياغتها باستمرار داخل البنية الخطابية للنص.

الكلمات المفتاحية: المركز والهامش، الشعر العربي الحديث، تحليل الخطاب النقدي، السلطة، الهوية

Abstract:

This study examines the dialectic of center and margin in modern Arabic poetry through the lens of Critical Discourse Analysis as developed by Norman Fairclough. It seeks to uncover the linguistic and semantic mechanisms through which power is reproduced or contested within the poetic text. The research proceeds from the assumption that modern poetry does not merely represent the tension between center and margin, but actively reconstructs it through discursive strategies that deconstruct dominant structures and grant voice to marginalized subjects. The study adopts an analytical approach grounded in Fairclough's three-dimensional model: textual analysis, examination of discursive practices, and interpretation of the broader social and cultural contexts that shape and are shaped by the text. The findings reveal that modern poetic discourse employs linguistic deviation, the reconfiguration of pronouns, and the intensification of collective symbols as strategic tools for redistributing meaning. Such mechanisms contribute to displacing the center from its singular position and opening space for alternative representations of identity, authority, and memory. The study concludes that the center–margin dialectic in modern poetry is not a fixed binary, but a dynamic process continuously renegotiated within the discursive structure of the text.

Keywords: center and margin, modern Arabic poetry, Critical Discourse Analysis, power, identity

المقدمة:

تشكل جدلية المركز والهامش في الخطاب الأدبي المعاصر حقلاً خصباً للدراسات النقدية التي تسعى إلى فهم آليات إنتاج المعنى وتوزيع السلطة داخل النصوص، حيث تتحول العلاقات الاجتماعية والسياسية غير المتوازنة إلى بنيات لغوية ورمزية تعيد إنتاج التراتبيات القائمة أو تقوضها من خلال استراتيجيات خطابية مقاومة، ويبرز النص الأدبي بوصفه فضاءً تتجلى فيه صراعات الهوية والانتماء، وتتمثل فيه آليات الإقصاء التي تمارسها السلطة على الأصوات المهمشة، كما يتحول إلى موقع لإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية عبر استدعاء الماضي وتأويله بطرائق جديدة تتحدى الخطاب الرسمي المهيمن، وتحظى التجارب الشعرية العراقية المعاصرة بأهمية خاصة في هذا السياق، نظراً لما شهدته الساحة العراقية من تحولات جذرية على المستويين السياسي والاجتماعي، لا سيما في حقبة ما قبل عام ٢٠٠٣ وما بعدها، مما أنتج خطابات شعرية معقدة تحاول استيعاب هذه التحولات والتعبير عنها بأساليب متنوعة، وتقدم تمثلات عميقة للإقصاء وآليات مقاومته، كما تعيد إنتاج الذاكرة الجمعية بوصفها فعل مقاومة ضد محاولات الطمس والنسيان، وتتخذ هذه الدراسة من أعمال ثلاثة شعراء عراقيين هم محمد

حسين آل ياسين، وعارف الساعدي، وعلي الإمارة، نموذجاً للكشف عن تجليات جدلية المركز والهامش في الخطاب الشعري، مركزة على تمثلات الإقصاء بوصفها أدوات خطابية تعيد إنتاج التراتبيات الاجتماعية، وعلى استراتيجيات إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية بوصفها فعلاً مقاوماً يواجه خطابات الهيمنة، وتنطلق الدراسة من إطار نظري مركب يجمع بين تحليل الخطاب النقدي عند نورمان فيركلاف، ومناهج التأويل والتفكيك، ومقاربات المركز والهامش في الفكر ما بعد البنيوي، بهدف الكشف عن العلاقات المعقدة بين البنى اللغوية والسلطة والإقصاء والذاكرة داخل النص الأدبي، ورصد التحولات في هذه الاستراتيجيات تبعاً لتغير السياقات التاريخية والاجتماعية، وتراهن الدراسة على أن المقاربة التأويلية المتعددة المستويات قادرة على الإحاطة بتعقيدات الظاهرة المدروسة، وتقديم قراءة معمقة لكيفية تحول النص الشعري إلى فضاء للصراع بين المركز والهامش، وإلى موقع لإنتاج ذاكرة بديلة تقاوم النسيان وتعيد تشكيل الوعي الجمعي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من معالجته فجوةً في الدراسات النقدية العربية عبر تحليل جدلية المركز والهامش في الخطاب الشعري العراقي المعاصر، بوصف الإقصاء آلية خطابية تعيد إنتاج التراتبيات الاجتماعية والسياسية. كما يكتسب البحث أهميته من تركيزه على تجارب شعرية تمثل مرحلة تاريخية مفصلية، مما يتيح رصد تحولات تمثلات الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية تبعاً لتغير السياقات، إلى جانب إسهامه في تطوير المنهج النقدي من خلال توظيف تحليل الخطاب النقدي عند نورمان فيركلاف في قراءة نصوص شعرية معاصرة.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل تمثلات الإقصاء في الشعر العراقي المعاصر، والكشف عن استراتيجيات إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية وعلاقتها بجدلية المركز والهامش. كما يسعى إلى بيان كيفية تحول الهامش إلى موقع لإنتاج خطاب مقاوم، ورصد أنساق المقاومة الرمزية وتوظيف الرموز التراثية والدينية والأسطورية، مع تتبع التحولات في هذه الاستراتيجيات قبل عام ٢٠٠٣ وبعده في ضوء تغير السياقات السياسية والاجتماعية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن كيفية تجلي الصراع بين المركز والهامش في الخطاب الشعري العراقي، وتحليل الآليات اللغوية والبلاغية التي يتم عبرها تمثل الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية، في

ظل قصور منهجي في الدراسات السابقة، وتعقّد السياق العراقي الذي تتصارع فيه خطابات متعددة حول تشكيل الهوية.

السؤال الرئيسي:

كيف تتجلى جدلية المركز والهامش في الشعر العراقي المعاصر، وما دور تمثلات الإقصاء واستراتيجيات الذاكرة في تشكيل خطاب مقاوم؟

الأسئلة الفرعية:

تتناول الأسئلة الفرعية الآليات اللغوية لتمثل الإقصاء، ودور الذاكرة الجمعية واستحضار الماضي، ووظيفة الرموز التراثية والدينية، وتفاعل البنى اللغوية مع السياقات الاجتماعية، والتحولات التي طرأت على هذه الاستراتيجيات قبل ٢٠٠٣ وبعده.

منهج البحث:

يعتمد البحث منهجية مركبة تجمع بين تحليل الخطاب النقدي عند نورمان فيركلاف ومقاربات المركز والهامش، مع توظيف التأويل والتفكيك لدراسة المستويات الصرفية والتركيبية والبلاغية وربطها بالسياقات الاجتماعية والسياسية للكشف عن تعقيدات الخطاب الشعري العراقي المعاصر.

المبحث الأول: تمثلات الإقصاء في بنية المركز والهامش

تتأسس جدلية المركز والهامش في الخطاب الشعري العراقي المعاصر على نسق معقد من العلاقات الدلالية التي تعكس صراعاً عميقاً بين خطابات السلطة المهيمنة وخطابات المقاومة المهمشة، حيث يتجلى الإقصاء بوصفه آلية خطابية تسعى إلى تهميش أصوات وفئات اجتماعية بأكملها، وتعيد إنتاج التراتبيات الاجتماعية والسياسية عبر اللغة والصور الشعرية. ويظهر ذلك جلياً في شعر عارف الساعدي الذي صوّر معاناة المهمشين والمنسيين في قصيدته "منسيون" حيث يقول "المنسيّون / أبناء أشباه المدن / أبناء المدن الصفيح / أبناء الكلب / مائدة الحروب والشتائم"[١]، وهنا تتجلى تمثلات الإقصاء من خلال سلسلة من التراكيب الإضافية التي تعيد إنتاج التراتبية الاجتماعية، فوصفهم بـ"أبناء أشباه المدن" يحمل دلالة عميقة على أنهم لا ينتمون إلى المدن الحقيقية بل إلى أشباهها، أي إلى مساحات هامشية لا تعترف بها السلطة المركزية، وتصعيد الوصف إلى "أبناء الكلب" يكشف عن أقصى درجات الإقصاء التي تصل إلى نزع الصفة الإنسانية عن هذه الفئة، وهو ما يتماشى مع نظرية فيركلاف

حول "الإقصاء الخطابي" كأداة للهيمنة الأيديولوجية التي تعيد إنتاج علاقات القوة غير المتوازنة في المجتمع،

وتتعدد تمثلات الإقصاء في النصوص المدروسة لتشمل الإقصاء المكاني والزماني والاجتماعي والثقافي، ففي شعر محمد حسين آل ياسين نجد صورة الشاعر المهمش الذي يعيش في "الموقد" مكان الاحتراق والهامش، حيث يقول:

وأنفض عن موقـــدي جمـــرَهُ أمنِّيه بالصيـــــــــف أنْ يلهـبـــا[٢]

فالموقد هنا ليس مجرد مكان مادي بل هو استعارة للذات الشاعرة المهمشة التي تحتوي على جمر العواطف والرغبات في زمن الخراب، وهذا التوظيف المكاني يعكس ما يسميه فوكو بـ "الفضاءات الأخرى" التي تنتجها السلطة لتهميش المعارضين والمختلفين، وتتجلى أنساق الإقصاء في شعر علي الإمارة[٣] من خلال توظيف رمزية "المقهى" كفضاء ثقافي مهمش، حيث يقول "في هذا المقهى / يلتقي أدباءُ المدينة / لا توجدُ كراسي للجلوس / ولا ألعابُ تسلية / ولا شاي للشرب / لهذا / فقد عاجلنا الموقف / فجلسنا على كراسي وهميّة / وتسلّينا بهمومنا"[٤]، فالمقهى هنا يتحول من فضاء مركزي للحوار الثقافي إلى هامش يفتقر لأبسط مقومات الوجود، ومع ذلك يتمسك به الأدباء كملاذ أخير، مما يعكس استراتيجية خطابية للمقاومة تحول الهامش إلى موقع لإنتاج المعنى البديل، وهذا ما يؤكده فيركلاف في مفهومه عن "الخطاب المضاد" الذي يعيد تشكيل الواقع الاجتماعي من خلال كشف التناقضات الأيديولوجية الكامنة في النصوص[٥].

وتتخذ تمثلات الإقصاء بعداً وجودياً عميقاً في قصيدة "أماكن فارغة" لعلي الإمارة، حيث يبني الشاعر هوية كاملة على فكرة الفراغ والتهميش، في قوله "هنا / في هذا المكان الفارغِ / وُلِدتُ / وفي مكانٍ أكثر فراغاً. / وُلِدَ أبي / نحنُ أبناء الأماكن / الفارغة / لباسُنا التراب / وكلامُنا صدى / ليس لنا حدود"[٦]، وهنا تتجلى أيديولوجيا الإقصاء المتوارث عبر الأجيال، فالولادة في المكان الفارغ تحدد الهوية وتشكل الذات، والانتقال إلى "مكان أكثر فراغاً" مع الأب يكشف عن تراكم المعاناة وتصاعد الإقصاء عبر الزمن، وتقديم الجار والمجرور "هنا" في بداية النص يحقق وفق المنهجية التأويلية انزياحاً دلالياً يركز على المكان الهامشي كأساس للهوية، مما يؤسس لخطاب مقاوم يرفض الاندماج في المركز ويفتخر بانتمائه إلى الهامش[٧]، وتتكشف آليات الإقصاء السياسي في شعر عارف الساعدي من خلال صورة "المساكين واليتامى" الذين "حملوا الحرب / فوقهم أعواما / نزفوا عمرهم / بلابل سكرى / واكتفوا أن يُقال عنهم نشامى"[٨].

وهنا نجد نقداً لاذعاً لخطاب السلطة الذي يستغل معاناة المهمشين لتحقيق مكاسب رمزية، حيث يتحول وصف "النشامى" إلى تعويض معنوي رخيص عن الإقصاء المادي والاجتماعي، وهذا التوظيف يعكس ما يسميه فيركلاف بـ "إعادة إنتاج الهيمنة" عبر الخطاب، حيث تستخدم السلطة اللغة لتحويل القهر إلى بطولة والمأساة إلى مناسبة للفخر الوطني الزائف[٩]، وتبرز تمثلات الإقصاء في شعر الساعدي من خلال صورة الطفل المهمش الذي يبحث عن أبيه في مقبرة النجف، حيث يقول "أبتي قد جئتُك فاحملْ وجعي الوسنانَ على شفتي / خلفتُ الأحياء ورائي / وأتيت إليكْ"[١٠]، فالانتقال من عالم الأحياء (المركز) إلى عالم الأموات (الهامش) يمثل هروباً من واقع قاسٍ إلى فضاء بديل، وتكرار كلمة "أبتي" في سياق المناجاة والاستعطاف يؤسس لخطاب عاطفي يكسر هيمنة الخطاب الرسمي الجاف ويعيد الاعتبار للعلاقات الإنسانية الأولية كملاذ أخير في مواجهة الإقصاء والاستبداد[١١]، وتتخذ تمثلات الإقصاء بعداً لغوياً في شعر علي الأمارة من خلال توظيف المصدر الميمي "ملامح" الذي يحمل في بنيته الصرفية دلالة الجزئية والتشظي، حيث يقول "هكذا كانت البدايةُ / استعاروا يدي للتصفيق / ثمّ جاؤوا فاستعاروا الثانية / ... / أمّا الآن / فلم يبق منّي / سوى ملامح"[١٢]، فالملامح كمصدر ميمي تحيل إلى ما تبقى من الذات بعد تآكلها التدريجي تحت وطأة السلطة التي تستعير أعضاء الشاعر واحداً تلو الآخر حتى لا يبقى منه سوى ملامح باهتة.

وهذا الإقصاء الجسدي المقترن بحضور رمزي باهت يعكس أزمة الهوية في ظل الأنظمة الشمولية التي تحول الإنسان من كيان متكامل إلى مجرد وظائف وأجزاء قابلة للاستهلاك، والدلالة الصرفية للمصدر الميمي تحمل أيضاً بعداً زمنياً، فالملامح هي ما يبقى بعد الفناء، وهي الأثر الذي يشهد على وجود سابق، مما يجعل المصدر يحمل دلالة الاستمرارية رغم التلاشي[١٣]، ويكتمل نسق الإقصاء في هذه النصوص من خلال توظيف الرموز التراثية والأسطورية كآليات لاستدعاء الماضي واستحضار الحاضر الغائب، ويظهر ذلك في قصيدة الساعدي "نار إبراهيم" حيث يستدعي شخصية النبي إبراهيم ومدينة أور الأثرية ليخلق حضوراً غائباً للعراق الحضاري في مواجهة العراق المعاصر المأزوم، في قوله "يا إبراهيم / ليتك لم توحدْ الرب / ساعتها لكفيتنا النار التي أُعِدَّتْ لك / ليتك لم تفعلها / لكنا بعيداً عن النار التي / أدمنتها أور"[١٤]، فالهامش هنا يتمثل في الخيارات التاريخية المصيرية التي لو اختلفت لربما تغير مسار الحضارة برمتها، واستخدام صيغة التمني "ليتك" مع الفعل المنفي "لم توحد" يكشف عن رغبة في إعادة كتابة التاريخ وإحياء إمكانيات بديلة للمستقبل، وهذا الحضور الغائب للماضي يمثل مقاومة للخطاب التاريخي الجبري الذي يقدم الماضي كقدر محتوم لا يمكن تغييره، فالشاعر من خلال هذا التوظيف الأسطوري يعيد فتح إمكانيات التاريخ ويخلق حضوراً ممكناً للمستقبل من خلال استدعاء ماض بديل.

المبحث الثاني: إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية عبر خطاب المقاومة

تتأسس آليات إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية في الخطاب الشعري العراقي المعاصر على استراتيجيات خطابية معقدة تتجاوز مفهوم التوثيق التاريخي المجرد لتصبح أداة للمقاومة والكشف عن أنساق الهيمنة المستترة، فالذاكرة هنا ليست مجرد استدعاء للماضي، بل هي إعادة تشكيل للوعي الجمعي من خلال تقديم روايات بديلة تتحدى الخطاب الرسمي المهيمن، ويظهر ذلك جلياً في شعر محمد حسين آل ياسين الذي يوظف الرموز الدينية والتاريخية لإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية الإسلامية، كما في قصيدته "النبوية" حيث يقول:

أشـــرقَ الوعـــدُ فاسْتفاقتْ شِعابُ وَجَلا ظلمـــةَ الزمـــانِ شِهابُ

طال عهدُ الصحـــراءِ بِالجَدْبِ حتى أدمنتْهُ فكلُّ بـــــرقٍ ســـــرابُ[١٥]

فالماضي النبوي هنا لا يمثل مجرد أحداث تاريخية، بل هو حضور غائب يستدعى لمواجهة ظلمة الحاضر وتفككه، والإشراق والضياء يمثلان قيماً روحية مفقودة في الواقع المعاصر، وهذا الاستدعاء للتراث الديني لا يهدف إلى التمجيد التاريخي المجرد، بل يسعى إلى إعادة إنتاج المعنى في سياق معاصر يعاني من أزمة قيم وهوية، ويتماهى هذا التوظيف مع ما يسميه فيركلاف "التناص" بوصفه آلية لإنتاج الخطاب من خلال استدعاء نصوص سابقة وإعادة تشكيلها في سياقات جديدة[١٦]، وتتعدد استراتيجيات استحضار الذاكرة الجمعية في النصوص المدروسة لتشمل استدعاء الشخصيات التراثية والأسطورية، وفي هذا السياق تبرز قصيدة علي الإمارة "المعتزلة واصل بن عطاء" حيث يستدعي شخصية واصل بن عطاء[١٧] مؤسس الاعتزال كرمز للعقلانية والتحرر الفكري، في قوله "واصلٌ فينا / وفينا جاحظٌ / ولنا في جوهر الأمر صلة / بسياط العقل روضنا الهوى / وبفحواه حسمنا المسألة"[١٨]، فحضور واصل بن عطاء والجاحظ في النص المعاصر ليس مجرد استدعاء تراثي، بل هو حضور نقدي يعيد إحياء تراث العقلانية والتسامح في مواجهة خطابات التطرف والانغلاق التي سادت بعد عام ٢٠٠٣، و"بسياط العقل" تعبير قوي يؤكد على أسبقية العقل في مواجهة النقل والتقليد.

وهذا الحضور للتراث العقلاني يمثل مقاومة خطابية للتيارات التي تسعى إلى احتكار الحقيقة وتكفير المخالفين، وتقديم الجار والمجرور "لنا" في "ولنا في جوهر الأمر صلة" يؤسس لحضور جماعي يمتد جذوره في عمق التاريخ، مما يعزز من شرعية هذا الخطاب العقلاني وقدرته على مواجهة التحديات

المعاصرة، وتتجلى إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية في شعر عارف الساعدي من خلال توظيف المكان بوصفه حافظاً للذاكرة، كما في قصيدته "في مقبرة النجف" حيث يتحول المكان المقدس إلى فضاء لاستحضار الذاكرة الفردية والجمعية، في قوله "أفزعتَ الموتى / أقلقتَ هدوء مساكنهم / ونشرتَ الريحَ بأعينهم / فأفاقتْ بعض بقايا الصوتْ / وأزاحتْ عنها عطر الموتْ"[١٩]، فالمقبرة هنا ليست مجرد مكان للدفن، بل هي ذاكرة حية تنبض بالأصوات والآلام، واستخدام الأفعال الماضية "أفاقت" و"أزاحت" يحمل دلالة البعث والإحياء التي تتناقض مع السياق الجنائزي للمكان، مما يعيد إنتاج الذاكرة كحضور حي وليس كماض منقضٍ، وهذا التوظيف يتماشى مع مفهوم فيركلاف حول "الخطاب والهوية" حيث تساهم الاختيارات اللغوية في تشكيل الهويات الاجتماعية وإعادة إنتاجها، وتتخذ الذاكرة الجمعية بعداً أسطورياً في شعر علي الإمارة من خلال توظيف شخصية ابن سيرين[٢٠] كرمز لتأويل الأحلام والكوابيس، حيث يقول "إفتِنا في كوابيسنا / فإنّا نحاول أن نعبر الوهم / لكن جسر الكلام يضيق / ربّما / في زهور المقابر / أرواحنا تستفيق"[٢١] فاستدعاء ابن سيرين هنا ليس لمجرد الفتوى الدينية، بل لاستنطاق التراث الثقافي في فهم كوابيس الحاضر، و"زهور المقابر" تحمل دلالة التناقض بين الموت والحياة، مما يعكس قدرة الذاكرة على إنتاج الحياة من رحم الموت، وهذا الاستخدام للرمز الديني والثقافي يكشف عن استراتيجية خطابية تهدف إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي من خلال ربط الحاضر بالماضي المقدس. وتتجلى آليات إعادة إنتاج الذاكرة في شعر آل ياسين من خلال توظيف المصادر الميمية والمصادر الصناعية كأدوات لتكثيف المعنى وتجسيد الأحداث التاريخية، كما في استخدامه للمصدر الميمي "مطمح" و"المنال" في قصيدة "أنا والزمان" حيث يقول:

ولي مطمح كان صعب المنال فذلل عزمي صعب المنالِ

شكا لي صدر الجمال العراء فقلدت بالشعر صدر الجمالِ[٢٢]

فالمصدر الميمي هنا يحمل دلالة مكانية وزمانية تجسد الطموح الجماعي للأمة، وتكرار "المنال" يؤكد على أهمية هذا المفهوم في بناء الخطاب، ويشير إلى استراتيجية خطابية تهدف إلى تثبيت فكرة التحدي والانتصار على الصعوبات، وهو ما يتماشى مع السياق الثقافي والسياسي للعراق في تلك الفترة التاريخية، ويكتمل نسق الذاكرة الجمعية في هذه النصوص من خلال توظيف الرموز الطبيعية كعناصر حافظة للذاكرة، ويظهر ذلك في قصيدة علي الإمارة "الفاو" حيث يستخدم صورة البحر والجذور كرموز

للثبات والاستمرارية، في قوله "تمدّدْ مع الأرض / كي تتحسس حكمة هذا الثرى / كلّ ذرة عشق هنا حدث وحديث / ... / دمٍ في عروق الشوارع يمتدُّ / حتى نهاية هذي البلاد / إلى أن ترى البحر مستنفرا"[٢٣]، فحضور الأرض والدم والجذور يمثل مقاومة طبيعية لمحاولات اقتلاع الذاكرة وطمس الهوية، و"دم في عروق الشوارع" استعارة قوية تحول المدينة من كيان مادي إلى كائن حي ينبض بالذاكرة ويقاوم النسيان، ودعوة التمدد مع الأرض تحمل دلالة الاندماج والتماهي مع المكان كأساس للحفاظ على الذاكرة الجمعية.

وهذا الحضور الطبيعي للرموز يعكس ما يسميه فيركلاف "الخطاب البيئي" الذي يستثمر عناصر الطبيعة كأدوات لمقاومة خطابات التدمير والإبادة التي تمارسها السلطات المختلفة[٢٤]، وتبرز إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية في شعر الساعدي من خلال توظيف الحلم كفضاء بديل للذاكرة، كما في قصيدته "حلم" حيث يقول "وصاحبتُ بعض الصغار / وضُربت كثيراً / وصرختُ بوجه المعلم في قاعة الدرسِ / كلُّه كان حلْماً بليغَ الخطا"[٢٥]، فالحلم هنا يتجاوز وظيفته النفسية الفردية ليصبح فضاءً لاستحضار الذاكرة المكبوتة، والضرب والصراخ يمثلان أفعالاً محظورة في عالم اليقظة تحت وطأة السلطة القمعية، لكنها تتحقق في فضاء الحلم الذي يؤسس لحضور بديل للذاكرة المقموعة، وتكرار كلمة "كثيراً" مع أفعال العنف والمعاناة يكشف عن تراكم القهر الذي لا يجد متنفساً سوى في عوالم الحلم واللاوعي، وهذا التوظيف للحلم يعكس استراتيجية خطابية تهدف إلى خلق ذاكرة بديلة تتجاوز قيود الواقع[٢٦]، وتصل إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية إلى ذروتها في شعر علي الإمارة من خلال توظيف الرمز المسيحي في قصيدته "مسيح" حيث يقول:

أصيـح بكم ويؤلم ما أصيـــــحُ بأنّا سوف يعلنـــنـــا المسيـــحُ

لأنّا قد تركـنـــــاه وحيـــــدا يضيق بعينـــه الأفـق الفسيـــحُ[٢٧]

فالمسيح هنا ليس مجرد رمز ديني، بل تجسيد للعراق المصلوب والمهجور، والكنائس المتساقطة ترمز إلى انهيار المؤسسات والقيم الروحية، وهذا التوظيف للرمزية الدينية في إطار وطني يعيد إنتاج الذاكرة الجمعية المسيحية كجزء من النسيج الثقافي العراقي المتنوع، مما يؤكد على أن الشعر العراقي بعد

٢٠٠٣ شهد تنوعاً حقيقياً في استراتيجيات استحضار الذاكرة، حيث تتداخل السياقات الثقافية المختلفة من دينية وحضارية وسياسية واجتماعية لإنتاج خطاب مقاوم يحفظ الذاكرة الجمعية من النسيان والطمس.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة أن جدلية المركز والهامش في الشعر العربي الحديث ليست مجرد تمثيل رمزي لصراع اجتماعي، بل هي ممارسة خطابية فاعلة تُعاد عبرها صياغة علاقات القوة داخل النص ذاته. فقد أظهر التحليل، بالاستناد إلى مقاربة نورمان فيركلاف، أن البنية اللغوية لا تعمل بوصفها وعاءً محايدًا للمعنى، بل بوصفها آلية لإنتاجه وتوجيهه وإعادة توزيعه. ومن ثمّ، يصبح الشعر فضاءً تفاوضيًا تتقاطع فيه السلطة والهوية والذاكرة ضمن شبكة من العلاقات الدلالية المتحركة.

النتائج

١. يوظف الشعر العربي الحديث آليات لغوية دقيقة لإعادة إنتاج السلطة أو مساءلتها داخل البنية النصية.

٢. تتجلى جدلية المركز والهامش عبر تحولات الضمائر وبناء الفاعلية داخل الخطاب الشعري.

٣. يسهم الانزياح الدلالي في تفكيك البنى المهيمنة وإعادة توزيع المعنى.

٤. ترتبط الممارسات الخطابية في النص الشعري بسياقات اجتماعية وثقافية تسهم في تشكيلها وتوجيهها.

٥. تمثل جدلية المركز والهامش عملية دينامية مستمرة، وليست ثنائية مغلقة أو ثابتة.

المصادر والمراجع

١. ابن جمعة الغزل، عارف الساعدي: الشِّعرُ أوسعُ مِن كلِّ المدارسِ والاتجاهات، المقال المنشور على موقع جريدة الصباح، ٢٠٢٤/٠١/١٦م.

٢. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

٣. آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤. الإمارة، علي، أماكن فارغة، مطبعة دار الكتب، البصرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥. الإمارة، علي، رسائل إلى الميدان، مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة، البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٦. الإمارة، علي، قصورة البصرة. دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٧. الأمين، الشيخ هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٨. بخشنده، مريم؛ خزعلي، إنسيه، دراسة تقنيات "علي الإمارة" الشعرية في مقاومة داعش، جامعة طهران، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد١٩، العدد٣، ٢٠٢٣م.

٩. توفيق، عربية، الشاعر الكبير محمّد حسين آل ياسين قراءة نقدية في شعره، جامعة بغداد، مجلّة كلية الآداب، العدد٧١، ٢٠٠٥م.

١٠. ثربورن، جوران، إيديولوجية السلطة وسلطة الإيدئولوجيا، ترجمة: إلياس مرقص، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

١١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة, ٢٠٠٢م.

١٢. الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ رحلة بلا لون، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٩م.

١٣. الساعدي، عارف، قصائد العائلة، دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.

١٤. الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة (٢٠٠٩-٢٠١٢م).

١٥. الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة (٢٠٠٩-٢٠١٢م)، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م.

١٦. عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي. دار أزمنة، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٧. العروي، عبد الله، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١٨. فان دايک، تون، الخطاب والسلطة. ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٩. فِركلاف، نورمَن، اللغة والسلطة، ترجمة: محمّد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢٠. فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة: د.طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢١. فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب النقدي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.

الهوامش:

(١) الساعدي،عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م، ص٢٢٩.

(٢) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص٦٥.

(٣) علي خلف أحمد الإمارة (مواليد البصرة، ١٩٦٠م): شاعر وأديب وناقد عراقي بارز، يقيم في مسقط رأسه بالبصرة، تميز بقدرته الفريدة على الكتابة في جميع أشكال الشعر من العمودي والتفعيلي إلى قصيدة النثر والمحكي. من أبرز مؤلفاته "أماكن فارغة"، "لزوميات خمسة ميل"، "رسائل إلى الموصل". ينظر: بخشنده، مريم؛ خزعلي، إنسيه، دراسة تقنيات "علي الإمارة" الشعرية في مقاومة داعش، جامعة طهران، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد١٩، العدد٣، ٢٠٢٣م، ص٢٢٣-٢٣٥.

(٤) الإمارة، علي، أماكن فارغة، مطبعة دار الكتب، البصرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٣٤.

(٥) فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب النقدي، ص٥٦.

(٦) الإمارة، علي، أماكن فارغة، ص٢١.

(٧) فان دايك، توين، الخطاب والسلطة. ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٨٩.

(٨) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج٢، ص١٦٠.

(٩) فِركلاف، نورمَن، اللغة والسلطة، ترجمة: محمّد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص١٨٦.

(١٠) الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ رحلة بلا لون، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٩م، ص٦٧.

(١١) ثربورن، جوران، إيديولوجية السلطة وسلطة الإيدئولوجيا، ترجمة: إلياس مرقص، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص٣٣.

(١٢) الإمارة، علي، أماكن فارغة، ص٢٧.

(١٣) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي. دار أزمنة، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٣٠.

(١٤) الساعدي، عارف، قصائد العائلة، دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م، ص٥١-٥٢.

(١٥) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج١، ص٣١.

(١٦) فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة: د.طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص٦٣.

(١٧) واصل بن عطاء: مؤسس مذهب الاعتزال ورأس المعتزلة، اعتزل حلقة الحسن البصري فسُمي أتباعه بالمعتزلة، وقد نشر مذهبه في الآفاق عبر إرسال دعاة إلى المغرب وخراسان واليمن والجزيرة والكوفة وأرمينية، كان من أئمة البلغاء والمتكلمين، ويُلقب بالغزال لتردده على سوق الغزالين بالبصرة، وقد اشتهر بتجنبه حرف الراء في كلامه بسبب لثغة فيه، حتى كان يستبدل الكلمات التي فيها راء بغيرها، وله عدة تصانيف منها "المنزلة بين المنزلتين" و"معاني القرآن" وغيرهما. ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص١٧٠.

(١٨) الإمارة، علي، قصورة البصرة. دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص٢٦.

(١٩) الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ رحلة بلا لون، ص٦٧.

(٢٠) ابن سيرين: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، من مؤلفاته كتاب (تعبير الرؤيا)، منتخب الكلام في تفسير الأحلام). ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ج٦، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة, ٢٠٠٢م، ص١٥٤.

(٢١) الإمارة، علي، قصورة البصرة، ص٢٤.

(٢٢) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج٢، ص٦٧.

(٢٣) الإمارة، علي، قصورة البصرة، ص١٠٨.

(٢٤) فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب النقدي، ص٨٥.

(٢٥) الساعدي،عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة، ص٢٠١.

(٢٦) العروي، عبد الله، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٩.

(٢٧) الإمارة، علي، رسائل إلى الميدان، مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة، البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص٣١.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

تطور التعليم المهني والتقني في لبنان من خلال محاضر مجلس النواب اللبناني ١٩٥٨– ١٩٦٤

The Development of Vocational and Technical Education in Lebanon: Minutes of the Lebanese Parliament 1958-1964

م.د. فؤاد خلف حسين علي
Dr. Fouad Khalaf Hussein Ali
المديرية العامة لتربية محافظة الانبار
General Directorate of Education, Anbar Governorate
Fouadkhalaf625@gmail.com
٠٧٨١٦٥٤٤٤٢٣

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

بات التعليم المهني والتقني في نتيجة لما يستند إليه من احصائيات ومعطيات وشواهد وحقائق، يشكل احد المظاهر الرئيسية للعملية التعليمية في العالم، وتأثير ذلك على التنمية المستدامة في المجتمعات الحديثة، خاصة في ظل تنامي العديد من المشكلات الاجتماعية، وبروز معضلة استشراء ظاهرة البطالة في اوساط الخريجين الاكاديميين، ومن هذا الواقع، فاننا نشهد تجارب حية وعملية تعكس اهمية تطوير التعليم المهني والتقني.

اذ يعتبر مجال التعليم المهني والتقني من المجالات الأساسية في تنمية المجتمعات الحديثة وتقدمها ومن هنا كانت اهمية اهتمام الدول والحكومات بالتعليم المهني والتقني، ووضع المعايير الاكاديمية ذات الجودة للارتقاء بهذا القطاع التعليمي وتحسين مخرجاته، يعد لبنان من الدول الرائدة في مجال التعليم ، والحكومة اللبنانية ومجلس النواب كانا قد أولا التعليم المهني والتقني أهمية كبيرة لدورة في التنمية الاقتصادية .

الكلمات المفتاحية : التعليم المهني ، التقني ، مجلس النواب ، محاضر ، قوانين.

Abstract:

Vocational and technical education, based on statistics, data, evidence, and facts, has become a key aspect of the educational process worldwide, impacting sustainable development in modern societies. This is especially true given the rise of numerous social problems and the growing issue of unemployment among university graduates. From this reality, we witness practical experiences that reflect the importance of developing vocational and technical education.

Vocational and technical education is considered fundamental to the

development and progress of modern societies. Hence, the importance of countries and governments focusing on vocational and technical education and establishing high-quality academic standards to elevate this educational sector and improve its outcomes. Lebanon is a leading country in the field of education, and the Lebanese government and parliament have given significant importance to vocational and technical education due to its role in economic development.

Keywords: Vocational, Technical, Parliament, Minutes, Laws

المقدمة:

يقوم قطاع التعليم المهني والتقني بدور أساسي ومباشر في الاقتصاد الوطني لأنه في مؤسساته يتم إعداد الطاقة البشرية الماهرة والأطر الأساسية التي احتاجت إليها التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإليه يعود الفضل في تدريب اليد العاملة غير الماهرة لاستيعاب التغيرات التكنولوجية الحاصلة في العالم من أجل مواكبة التطور التكنولوجي والعلمي، لأن العالم يتطور بسرعة فائقة.(١)

بعد أن نال لبنان استقلاله في ٢٢ تشرين ثاني سنة ١٩٤٣، كان النظام التربوي في لبنان إرثاً من الانتداب الفرنسي، وبعضا من جذور هذا النظام كانت لا تزال تعود "لنظام المعارف العموميه" الصادر سنة ١٨٦٩، إبّان العهد العثماني، فالدولة حديثه النشأة" أي الدولة اللبنانية"، لم تكن قد وضعت نظامها التعليمي الخاص بها انطلاقاً من حاجات المجتمع اللبناني وخصوصية تنوعه الطائفي والإيدولوجي حتى١٩٤٦/١٠/١، حينما أصدرت دولة الاستقلال أول المراسيم التي حددت معالم النظام التعليمي في لبنان، وبقيت الثقافة الفرنسية طاغية فيه أيضاً(٢).

صدرت في بدايات عهد الاستقلال ستة مراسيم تضمنت مراحل التعليم الابتدائي، والابتدائي العالي، والثانوي، وتحديد مواد التدريس الصادر عن مجلس الوزراء وانظمه الامتحانات والمراسيم هي ذات الارقام(٦٩٩٨-٦٩٩٩-٧٠٠١-٧٠٠٢-٧٠٠٣-٧٠٠٤) (مجلس الوزراء١٩٤٦/١٠/١)، لكنها تعلقت بالتعليم العام الاكاديمي، ولم يشمل التعليم المهني والتقني، الذي بقيت صلته بالتعليم العام كما كان ابان العهد العثماني، فلم يُنشئ الانتداب الفرنسي في عهده أية مدرسة مهنية، وقد اكتفى بتطوير مدرسه الطائع المهنية التي انشأها النظام العثماني سنة ١٩٠٤(٣).

شهد قطاع التعليم المهني والتقني بعد الاستقلال ولغاية ١٩٥٨، نهضة ملحوظة حاله كحال غالبية القطاعات التربوية، ولكن بوتيرة أقل سرعة وتوسعا، ذلك لتلبية معظم الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، فعلى الصعيد الرسمي أنشأت الدولة في نهاية الاربعينات، اربع مدارس مهنية في بيروت، طرابلس، صيدا، وزحلة،واتبعتها بإنشاء مدرستين واحدة في دير القمر والثانية في بيروت للفندقية، وهكذا اصبح عدد المدارس المهنية سبعة، منها خمس مدارس مهنية، واحدة فندقية واخرى

للصنائع والفنون، وقد بلغ عدد الطلاب فيهاعند نهاية الخمسينات(٩٥٤) طالبا[٤].

٣- ازدياد المطالب النيابية بالاهتمام بالتعليم المهني

في عهد الرئيس فؤاد شهاب، الرئيس الثالث للجمهورية اللبنانية، في مطلع الستينات من القرن العشرين، شهد القطاع الصناعي في لبنان نمواً وذلك بفضل مؤسسة الدولة على يد رئيس الجمهورية، فازداد عدد العاملين الصناعيين، كما ازدادت الرساميل الموظفة في البنوك، وشكلت الصناعة الخفيفة اكثر من نصف عدد المؤسسات الصناعية، ما دفع الدولة اللبنانية الى توسيع نطاق التعليم المهني[٥].

ان القوانين اللبنانية تجمد طموحات طالب الدراسه المهنيه L.T المعتمدة في لبنان التي لا تُعادل بأي شهادة لبنانية اخرى.

وبما أنه أصبح هناك أعداد يتخرجون سنوياً من المعهد الزراعي وهذا المعهد أُنشئ لكي يسهل اقتباس الخبرة التطبيقية لفئة من الشباب، وقد تطور هذا المعهد حتى اصبح معهدا ثانويا يتساوى في منهاجه مع مناهج البكالوريا. هذا الأمر دفع بعض النواب ومنهم النائب جورج عقل الى المطالبة بأن تكون هناك بكالوريا زراعية كي لا يصبح هؤلاء تحت رحمة الجدل الذي يدور بين اعضاء لجنة المعادلات ومن أجل تشجيع التعليم الزراعي وتوسيع الافاق امامهم لتوسيع معارفهم وعلومهم فيتخرجون من المعهد مهندسين زراعيين[٦].

وخلال هذه الجلسة طالب النائب إميل البستاني الحكومة اللبنانية أن لا تحصر همها بالمدارس الثانوية بل يجب عليها ان تهتم ايضا بالمدارس المهنية، وتوفير المدارس المهنية، وطالبها بتشجيع التخصص المهني وإعطاء المتفوقين منحاً في المدارس المهنيه[٧].

اما النائب خليل الهبري فاوضح ان جميع الدول في العالم تبنت التعليم المهني لانه أساس كل عمران، زراعياً كان أو اجتماعياً. وقال" استغرب جدا ان تحصر الحكومة همها بمدارس التعليم وتهمل مدارس الحرف"[٨].

وحول ايضاح رئيس الحكومة رشيد كرامي آنذاك حول معادلة الشهادات فأوضح انه ليس باستطاعة الحكومة وقد فرضت المراسم الاشتراعية من مستوى معين ان تقبل اعتباطا بمعادله أية شهادة كما ان لجنة المعادلات مقيدة بأصول معينة وبشروط معينة لا يمكن ان تخرج عنها. أما إذ شار المجلس ان يعيد النظر في اسس المعادلات، فعند ذلك يمكن ان تحقق رغبات من تنطبق عليه نصوص القانون والحكومة تدرس جدياً مع لجنه المعادلات طرق الوصول الى قرار يتفق مع المصلحة العامة التي هي فوق الجميع[٩].

ويبدو ان ازدياد المطالب النيابية بالتوجه العلمي نحو التعليم المهني جاءت على اعتبار ان الطالب المهني قد يمتلك قدرة اتخاذ القرارات وحرية الخيارات انطلاقا من حريته الاقتصادية اذا ما توفق مباشرة

الى سوق العمل.

لذلك طالب النائب إميل البستاني الى تحويل المدارس الثانوية الى مدارس مهنية الا في المناطق التي تفتقر الى مدارس ثانوية خاصة. لأنه اوضح ان العاطلون عن العمل ينتمون بمعظمهم الى طبقة المتعلمين والحاملين لشهادة البكالوريا في حين أن اصحاب الحرف والمهن وذوي الاختصاص يصعب ان تجد في وسطها من هو متعطل عن عمل. وأوضح أن في لبنان٢٠٠ألف طالب وطالبة في المدارس الابتدائية و التكميلية الخاصة والرسمية، وان عدد الطلبة في المدارس المهنية هو ألف طالب فقط؟ لأن المدارس المهنية

تقريباً مفقودة(١٠).

ودعم هذا التوجه النائب سليم لحود خلال مناقشة موازنة عام ١٩٦٠ حينما قال" انني التقي مع زميلي الاستاذ إميل البستاني إذ أطالب بالغاء التعليم الثانوي الرسمي والمجاني تماما واستبداله بمدارس ثانوية مهنية وابتدائية مهنية تعطي الشهادات الابتدائية المهنية والبكالوريا الفنية إذ ان البلاد بحاجة قصوى لمثل هذه العناصر وليست بحاجة لإنصاف العلماء امثال الذين يكتفون بالشهادات التكميلية والبكالوريا ويقفون عند هذا الحد مطالبين بوظائف بالدولة والمؤسسات تقتصر على' التفرج' الى الذين يعملون".

وطالب بالاهتمام بالتعليم المهني الفني وتنميته لإفتقار لبنان الى المهندسين تمام الإفتقار(١١).

تضمن البيان الوزاري لحكومة صائب سلام اعطاء لفتة عن التعليم المهني من خلال إنشاء محطات جديدة للاختبار الزراعي وتعزيز الارشاد الزراعي ورفع مستوى التعليم الزراعي، وتنظيم التعاونيات الزراعية على اسس حديثه(١٢) وخلال مناقشة البيان الوزاري طالب النائب معروف سعد الحكومة على تشجيع التعليم المهني وتعميمه(١٣) شهدت جلسة بحث وتصديق المشروع رقم(٥٠٨٤) والقاضي بفتح اعتماد في موازنة وزارة التربية لفتح مدارس ثانوية إعتراضات من عدد من النواب امثال النائب إميل البستاني والنائب حبيب المطران والنائب جوزف شادر والنائب لويس أبي والنائب شال سعد والنائب عبد العزيز شهاب على إنشاء مدارس ثانوية. صحيح ان لبنان بحاجة الى مثل هذه المدارس في عدد من المناطق التي تعاني من عدم وجود مدارس فيها، لكن وبما ان هناك الالوف من حملة الشهادات تدق ابواب الحكومة طلبا للوظائف وهناك وفرة كبيرة من حملة شهادة البكالوريوس والثانوية وهم عاطلون عن العمل أو أن الدولة عاجزة على تعيينهم فالأولى بهذه الاخيرة التوجه نحو إنشاء مدارس ثانوية مهنية لتعليم الزراعة والكهرباء والتجارة والحدادة والميكانيك وغيرها(١٤).

جاء الرد الحكومي على هذه المطالب على لسان وزير التربية كمال جنبلاط آنذاك الذي قال ((إن السبب وراء عدم فتح مدارس مهنية هو أنه لا يتوفر معلمون مهنيون مدربون، مثلا لا يوجد عندنا معلم

خرائط مدرب بشكل صحيح. ولهذا فسيتم الاتفاق مع مؤسسة الاونسكو التي ستقدم مساعدة مالية لفتح مدرسة مهنية))[١٥].

تضمنت موازنة وزارة التربية عام ١٩٦١ زيادة اجمالية قدرها٢١٩٠٨١٥ ل.ل[١٦]. وخصص منها مبلغ قدره٥٩٠٠٠٠٠ ل.ل. لإنجاز الأعمال في الاذاعة وقصر العدل وأبنية مديرية التعليم المهني[١٧] وكذلك خصص مبلغ مالي يتراوح بين ١٥٠الف ل.ل و٢٠٠الف ل.ل تخصص بنوده لتشجيع الفن اللبناني وهو ما طالب به بعض النواب لبعض المدارس التي تعلم التصوير والنحت وتعنى بالمسارح[١٨].

وكذلك بلغ ميزانية رواتب الموظفين الدائمين في مديرية التعليم المهني والتقني لعام ١٩٦١ (٧٦٠٧٩٠) ل.ل. لكن النائب شارل سعد اعتبر ذلك مبلغا ضئيلا وطالب بزيادته بسبب الاهمية الكبيرة لهذا القطاع، خاصة وان لبنان بحاجة كبيرة الى التعليم المهني في جميع نواحيه.

لكن وزير التربية كمال جنبلاط قال" إنه لا يمكن الان رفع مستوى التعليم المهني دون ان نتمكن من إنشاء مدرسة مهنية ثانوية لتخريج معلمين باستطاعتهم تدريب غيرهم وانشاء مدارس مهنية في كل منطقة من المناطق اللبنانية، لأن مستوى التدريب المهني في المدارس الخاصة أو الرسمية ضعيف جدا[١٩].

المعهد الوطني التربوي للتعليم المهني والتقني

بتاريخ١٩٦٠/١/٢٤ عقدت لجنة الشؤون الخارجية برئاسة رئيسها رشيد كرامي وحضور مندوب وزارة التربية الوطنية(مدير التعليم المهني) لدرس مشروع القانون الوارد بالمرسوم رقم(٥٢٩٤) المتعلق بإجازة إبرام قانون معقود بين الصندوق الخاص التابع للامم المتحدة والجمهورية اللبنانية الموقع في بيروت في تاريخ ٧ ايار سنة ١٩٦٠.

وعند مناقشة المشروع تبين للجنة أن هذا الاتفاق يُمَّكن لبنان من تنفيذ مشاريع عديدة بمساعدة الصندوق الخاص شرط ان تؤدي هذه المشاريع الى انماء اقتصاديات البلاد بصورة محسومة في وقت غير بعيد وأبرز ما ينص عليه الاتفاق المعقود بين الحكومة اللبنانية والصندوق الخاص هو وضع الخطوط الأساسية لتقديم المساعدة وكيفية تنفيذ المشاريع التي تهدف الى إنشاء "المعهد الوطني التربوي للتعليم المهني والتقني"، من اجل اعداد اساتذة التعليم المهني وتاهيلهم للتدريب الفني وخصص له الصندوق الخاص مبلغ مالي٧٢٣٨٠٠ دولار امريكي يصرف على الخبراء والمعدات والمنح خلال خمس سنوات. وقامت بتنفيذ المشروع نيابة عن الصندوق الخاص منظمة الاونسكو، وتتحمل الحكومة اللبنانية من جانبها تكاليف المباني والموظفين المحليين والمصاريف الجارية التي ستبلغ ما يعادل١,٧٥٠,٠٠٠ دولار وتبين للجنة ان الغرض من إنشاء هذا المعهد ورفع مستوى التعليم الفني في لبنان وزيادة عدد الفنيين الذين تفتقر اليهم الصناعات الصغيرة والناشئة وغيرها من الصناعات التي تتطلب فنيين مدربين تدريبا عاليا[٢٠].

لذلك وافقت اللجنة على مشروع القانون[٢١].وتم التصويت عليه بالإجماع ومما هو جدير بالذكر ان موضوع التعليم المهني وتطويره كان قد درس مع خبير الامم المتحده السيد جوريس الذي كان يتواجد في بيروت وقد اتفق على ان يكون التعليم المهني على ثلاث درجات: [٢٢]

الاولى: التعليم العالي ومركزه في مدرسة الصنائع في بيروت.

الثانية: التعليم الثانوي لمن يحمل الشهادة الثانوية.

الثالثة: التعليم الابتدائي لمن يحمل شهادة الابتدائية.

ويبدو ان الحكومة اللبنانية ومجلس النواب كانا عازمين على الاهتمام بقطاع التعليم المهني والتقني وافساح المجال امام اعداد كبيرة من الشعب اللبناني لتلقي العلوم الصناعية لما في ذلك من دور في تعزيز الصناعة الوطنية وانمائها.

تضمنت موازنة عام ١٩٦١ فتح اعتماد مالي اضافي قدره ٦٥٠,٠٠٠ ل.ل في موازنة وزارة التربية الوطنية لانشاء وتجهيز مدرستين مهنيتين[٢٣].

وسعيا وراء نشر التعليم المهني والتقني ليشمل جميع المناطق اللبنانية فقد قررت الحكومة اللبنانية إنشاء اثنتي عشرة مدرسة مهنية على ان يتم إنشاء مدرستين في كل سنة، وان تكون هذه المدارس من النوع الممتاز، وان تكون داخلية وتوزع على مختلف المناطق اللبنانية، وخصوصا النائية منها ليعم الاستفادة منها[٢٤].

قانون تنظيم المدارس الزراعية الرسمية رقم(٩٩٧٢)

يعد الاهتمام بالتعليم الزراعي، احد اولويات المجلس النيابي والحكومة اللبنانية لما للجانب الزراعي من اهمية بالغة بالنسبة للبنانيين، كون لبنان يعتمد بالدرجة الأساس على الزراعة في رفد اقتصاد البلاد والسعي لتطوير التعليم الزراعي وتشرف عليه وزارة الزراعة[٢٥].

لما كان تنظيم التعليم الزراعي في لبنان يحتاج الى تشريعات جديدة احياء هذا القطاع الحيوي لاسباب عديدة منها. ان التعليم الزراعي يهدف الى اعداد نشئ زراعي يعتمد على علمه وعمله لتامين مستقبله باحتراف الزراعة كمهنة حرة. ان التعليم الزراعي لا يعطي الفائدة المرجوة منه، الا اذا وجه توجيها صحيحا مقتبسا من اوضاع الزراعة الراهنة وحاجه البلاد الى الايدي العاملة الفنية المتخصصة، وفقاً لانواع الزراعات القائمة وتبعا لمجالات العمل. [٢٦]

وبما ان الانظمة المتعلقة بالتعليم الزراعي قد وضعت لسنوات خلت مرت بالبلاد في مراحلها في الاونة الاخيرة.

ولما كانت المدارس الزراعية آنذاك تنقصها الاراضي الزراعية لاجراء التجارب الميدانية والتطبيقات العملية، وكان ذلك يقضي بوضع المدارس في وسط زراعي وتجهيزها بكافة المعدات الفنية اللازمة، كما

يتوجب ايضاً تعديل مناهج التدريس بما يتفق وحاجة البلاد التخصص بالفروع الزراعية، وتأمين جهاز اداري يتفهم مسؤوليات الادارة وبكفاءة فنية وخبرة علمية في الاعمال الزراعية الفنية المحسنة ينصرف بكليته الى التعليم.

وبجميع هذه الاسباب وضعت الحكومة مشروع القانون رقم(٩٩٧٢) لتنظيم المدارس الزراعية الرسمية. وقد تضمن هذا المشروع مادة وحيدة[٢٧]:

فقرة اولى: يهدف التعليم الزراعي الرسمي الذي تتولاه مصلحة الشؤون الفنية المشتركة– دائرة التعليم الزراعي– في وزارة الزراعه الى:

أ– اعداد فنيين في الزراعة والثروة الحيوانيه وتدريبهم عمليا على احدث الاعمال الحديثة في مختلف حقولها، وتخصيصهم بفرع معين او اكثر حسب ماتقتضيه الظروف الزراعية ومجالات العمل.

تؤمن هذه الغاية مدرسة زراعية فنية، مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات يعطى الناجحون في امتحاناتها النهائية (الشهادة الزراعية الثانوية).

ب–لإعداد مزارعين فنيين وتجريبهم عملياً على احدث الاعمال الزراعية في فرع او اكثر من الفروع الزراعية وتربية الحيوانات ورفع مستواهم المدني وتمكينهم من استثمار اراضيهم بطرق حديثة و مساعدتهم على الاستخدام في المزارع والاملاك الخاصة.

تؤمن هذه الغاية مدارس زراعية عملية، مدة الدراسة فيها سنة واحدة يعطى الناجحون في امتحاناتها النهائية– شهادة التدريب الزراعي العملي–.

فقرة ثانية– تنشأ المدارس المنصوص عليها في المادة الاولى في الاوساط الزراعية الملائمة ويؤمن له الجهاز التعليمي والاداري اللازم، والارض الزراعية والتجهيزات الفنية الكافية.

ينشا في كل محافظة اقليمية مدرسة عملية واحدة على الاقل.

فقرة ثالثة– تكون المدارس الزراعية داخلية ويعفى الطلاب من رسوم التعليم والايواء.

فقرة رابعة– تتالف هيئة التدريس في المدارس الزراعية من:

أ– مهندسين زراعيين واطباء بيطريين داخليين في الملاك الدائم أو متعاقدين أو اساتذة بالساعة.

ب–مدرسين داخليين في الملاك الدائم بصفه مساعدين فنيين او متعاقدين

فقرة خامسة– يشترط في الاساتذة المتعاقدين والاساتذة بالساعة ان يكونوا حائزين احدى الشهادات العلمية التاليه:

أ– شهادة مهندس زراعي أو مهندس حربي أو ما يعادلها.

ب–شهادة طبيب بيطري.

وتنشئ في المدارس الزراعية الفنية والعملية، وتعين مراكزها والحد الاعلى للطلاب وشروط قبولهم ومنح اعاشتهم ومواد مناهج التعليم، واجور الاساتذة بالساعة، ويجري بيع المنتوجات الزراعية والحيوانية في المدارس الزراعية بناء على اقتراح وزير الزراعة[٢٨].

ويحدد ملاك المدارس الزراعية وفقاً للجدول رقم-١- الملحق بهذا القانون.

ويعين مديرو المدارس الزراعية واساتذتها ومديروها الفنيون الداخلون في الملاك وفقاً لاحكام نظام الموظفين العام، على ان لا يثبت الا بعد مرور سنتين تمرين على تعيينهم. وتطبق على موظفي المدارس الزراعية سلسلة رتب ورواتب الموظفين التابعين لوزارة الزراعة. ويحفظ٢٠% من المبالغ الحاصلة من بيع المنتوجات الزراعية والحيوانية في المدارس الزراعية في حساب خاص بإسم- صندوق المدارس الزراعية في وزارة الزراعة- وتصرف في سبيل النشاط المدرسي، بقرار يصدر عن المدير العام لوزارة الزراعة. وقد تم التصويت على هذا القانون بالاجماع[٢٩].

جدول رقم (١)

ملاك المدارس الزراعية الرسمية

أولاً : المدرسة الزراعية الفنيةن	
مدير – مهندس زراعي	١
مهندس زراعي	٣
طبيب بيطري ، وعند تعذر وجود مهندس زراعي اخصائي تربية الحيوان	١
مهندس كيميائي	١
محضر كيميائي	١
مساعد فني زراعي ، مدرب	٢
ناظر	٢
بستاني أو وكيل ورشة	١
محرر أو كاتب	١
محاسب	١
امين مستودع	١
مستكتب	١
حارس	٣
ثانياً : في مكل مدرسة زراعية عملية :	

مدير – مهندس زراعي	١
مهندس زراعي	١
مساعد فني زراعي –مدرب	١
مساعد فني مهني	١
ناظر	٢
محرر أو كاتب	١
بستاني أو وكيل ورشة	١
أمين مستودع	١
حارس	٣

قانون تنظيم التعليم المهني الخاص:

يعود تاريخ ظهور التعليم المهني الخاص الى بداية العشرينات من القرن العشرين فقد ذكر التقرير السنوي لغرفة التجارة والصناعة في بيروت، أنه بدأ بالظهور في لبنان ما بين الاعوام ١٩٢٠ و ١٩٣٨، حيث تأسست مدارس لتعليم الخياطة والتطريز والمهن المختلفة[٣٠].

وفي الفتره ما بين الاستقلال وحتى منتصف الخمسينات شهد التعليم المهني والتقني توسعا كبيرا اضاف الى اختصاصات مدارسه، اختصاصات جديدة في حقول تعليم التجارة والمحاسبة وامانة السر والكهرباء والراديو التي فرضها التطور الاجتماعي والاقتصادي[٣١].

كما ان هذا القطاع حاز على اهمية كبرى من قبل الحكومة خاصة مع تزايد عدد المدارس المهنية الخاصة في لبنان نتيجة الانماء الصناعي والازدهار الاقتصادي ، لذلك رأت الدولة اللبنانية ان هناك ضرورة ملحة في استصدار قانون ينظم التعليم المهني والتقني الخاص [٣٢] في لبنان للاسباب الاتيه[٣٣]:

١– تردي اوضاع المدارس المهنية الخاصة، وذلك لعدم وجود رقابة عليها من قبل الدولة، فجاء هذا القانون ليجعل من المهنيات الخاصة تعمل على تنظيم اوضاعها.

٢– ان ممارسة أية مهنة كانت، عمل يترتب عنه مسؤولية تجاه العموم.

٣– لا يجوز ان تعهد هذه المسؤوليات إلا لمن هو اهل للقيام بالعمل المطلوب.

٤– تعدد النشاطات الصناعية و المهنية في لبنان، وازدياد عدد المؤسسات الرسمية والخاصة التي تقوم بهذه النشاطات، اصبح من الضروري تمكينا استخدام الشخص صاحب الكفاءة اللازمة لتحمل مسؤولية العمل، ان تنسق مستويات التعليم وتوحد تسمية الشهادات التي تكللها.

لهذه الاسباب وضعت الحكومة اللبنانية مشروع قانون رقم(١٧٠٦٥) لتنظيم التعليم المهني الخاص

وقد تضمن هذا القانون عددا من المواد اهمها[٣٤]:

المادة الاولى: تم تحديد الدراسة المهنية الخاصة بانها" عمل مؤسسة خاصة تعليم تسدي تعليماً نظرياً أو عملياً، مباشرة او بالمراسلة، أو بأي وسيلة كانت، بتأصيل الاشخاص لممارسة مهنة أو حرفة ما، في حقل الصناعة او الصيانة الفنية".

المادة الثانية: لا يجوز لاي شخص ان يفتح مدرسة مهنية خاصة الا بموجب مرسوم.

تنظيم اصول وشروط الترخيص لمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير التربية الوطنية.

اما اصول وشروط الترخيص لمراكز التدريب المنصوص عنها في المادة ٢٢ من المرسوم رقم ٨٨٥٢ تاريخ ١٢/٣٠/ ١٩٦١ ، فتنظم بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير العمل والشؤون الاجتماعية.

وتضمنت المواد الاخرى لهذا القانون انه لابد للمدارس الخاصة ان تخضع جميعها لرقابة وزارة التربية في كل ما يتعلق بتطبيق المناهج الرسمية، ومنح الشهادات والامتحانات الفصلية والسنوية، والتجهيز الفني والتربوي، والمحافظة على سلامة الطلاب والتربية الوطنية والاخلاقية والتربية البدنية. ولوزير التربية الغاء الرخصة المعطاة للمدرسة التي لا تتقيد بالانذار، أو في حال تكررت المخالفة. ولا تحول هذه العقوبات دون ملاحقة المسؤولين وفق القوانين النافذة[٣٥].

وبتاريخ/ ١٩٦٤/١٠/٨ عقدت لجنة التربية الوطنية جلسة برئاسة رئيسها شارل سعد، لدراسة هذا المشروع، وبعد البحث صدقت اللجنة على مشروع القانون بعد ادخال بعض التعديلات على المواد التالية–الثانية، الرابعة والتاسعة.

المواد كما عدلتها اللجنة[٣٦]:

المادة الثانية: لا يجوز لاي شخص طبيعي او معنوي ان يفتح مدرسة مهنية خاصة الا بموجب مرسوم.

أما اصول وشروط الترخيص فتنظم بموجب مرسوم في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير التربية الوطنية.

أما اصول وشروط الترخيص لمراكز تدريب المنصوص عنها في المادة ٢٢من المرسوم ٨٨٥٢ بتاريخ ٣٠ /١٢ /١٩٦١ فتنظم بموجب مرسوم يتخذه مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير العمل والشؤون الاجتماعية.

المادة الرابعة: على المدرسة المهنية الخاصة التي ترغب في تقديم طلابها لنيل الشهادات الرسمية عن طريق الامتحانات العمومية ان تعتمد المناهج الرسمية للتعليم المهني والتقني، وان تتقيد بالانظمة التي تحدد بقرارات تصدر عن وزير التربية الوطنية. وعلى المدارس المهنية الخاصة التي تعتمد فروعا لم يوضع لها مناهج رسمية ان تتقدم من مديريه التعليم المهني والتقني(وزارة التربية الوطنية والفنون

الجميلة) بمناهجها لدرسها، بغية استهدار مناهج رسمية في هذه الفروع خلال ستة اشهر.

المادة التاسعة: أ: على المسؤولين عن المدارس المهنية الخاصة المرخص لها قبل تاريخ هذا القانون ان يودعوا وزارة التربية الوطنية ومديرية التعليم المهني والتقني ستة اشهر من تاريخ نشر هذا القانون في الجريدة الرسمية.

١- اسم المدرسة وعنوانها.

٢- اسم المدير المسؤول عن المدرسة.

٣- نسخة عن مناهج التدريس.

٤- نسخة عن الرخصة بفتح المدرسة مع رقمها وتاريخها.

٥- نسخة عن خريطة البناء.

ب - تلغى حكما رخصة المدرسة التي لا تتقيد بنص هذه المادة في المهلة المحددة، ويعلن عن الالغاء بقرار من وزير التربية الوطنية بناءعلى اقتراح مدير التعليم المهني والتقني.

وقد تم التصويت على هذه الفقرة. [٣٧]

المجلس الاعلى للتعليم المهني والتقني:

انشئ لدى وزاره التربية الوطنية" المجلس الاعلى للتعليم المهني والتقني" بصفة استشارية فقط، كما نصت المادة السابعة من المرسوم رقم(٥٧٦٨)، بتاريخ٢٣/ ١٢/ ١٩٦٠، مهتمة بابداء الرأي في الامور الاتية[٣٨]:

-مشاريع القوانين والمراسيم التنظيمية المتعلقة بالتعليم المهني والتقني.

-مشروع موازنة مديرية التعليم المهني والتقني السنوي.

-مشاريع مراسيم احداث مدارس مهنية رسمية جديدة تابعة للادارات والمؤسسات العامة.

-مشاريع مراسيم الترخيص بفتح مدارس مهنية خاصة.

-التقارير السنوية التي يضعها المدير العام للتعليم المهني والتقني.

كذلك اعطى المرسوم للمجلس الصلاحية بتقديم اقتراح برنامج طويل الامد على وزير التربية، يهدف الى تعميم التعليم المهني والتقني في لبنان وانمائه.

اما عن تأليف المجلس، فقد وضع المرسوم الهيكلية الاتية:

١. وزير التربية او من ينتدبه رئيسا للمجلس.

٢. المدير العام للتعليم المهني والتقني، مقرراً.

٣. احد عشر عضوا يجري اختيارهم على الوجه الاتي:

- أربعه اعضاء يمثلون الادارات والمؤسسات العامة.

– أربعة اعضاء يمثلون الهيئات والجمعيات النقابية والمجتمعات التعليمية التي لهاعلاقه بالتعليم المهني والتقني.

–عضو واحد مدير لمدرسة مهنية رسمية.

–عضو واحد مدير لمدرسة مهنية خاصة.

–ممثل واحد عن اللجان الفنية الاستشارية.

كما اعطت الفقرة المضافة بموجب المرسوم رقم(١٦٩٨٠) تاريخ ١٩٦٤/٧/٢٧، على المجلس ان ينتخب من بين اعبائه بطريقة الاقتراع السري نائبا للرئيس يؤمن اعمال الرئيس في حال غيابه.

وقد حدد المرسوم رقم(٥٧٦٨) عدد الدورات التي يعقدها المجلس بدورتين سنويا، واعطى للوزير حق الدعوة للاجتماع استثنائيا كلما دعت الحاجة الى ذلك، تؤخذ المقررات باكثرية اصوات الحاضرين على ان يفوق عددهم نصف عدد الاعضاء المعينين، وفي حال تعادل الاصوات يعتبر صوت الرئيس مرجحا، وتعتبر هذه المقررات بمثابة توصيات لوزير التربية. وبعد ان وضع المجلس نظامه الداخلي بناءعلى المرسوم، حدد عدد اللجان المتخصصة على الشكل الاتي:

–لجنة الدراسات: تتولى دراسة مشاريع القوانين والمراسيم التنظيمية المتعلقة بالتعليم المهني والتقني، ومشاريع مراسيم احداث معاهد ومدارس مهنيه رسمية جديدة.

–لجنة الموازنة: تدرس اقتراح المديرية العامة للتعليم المهني والتقني في الموازنة السنوية وتبدي رايها امام الوزير قبل ارسالها الى وزارة المال.

–لجنة التصميم: تتولى إعداد برنامج طويل الامد لتطوير وتعميم التعليم المهني والتقني في لبنان وانمائه، واقتراح المناهج والاختصاصات والشهادات والمستويات تلبية لمستلزمات سوق العمل.

–اللجنة الفنية: تتولى اعداد التوصيات بانشاء لجان فنية استشارية لدى المديرية العامة للتعليم المهني والتقني تختص كل منها بمهنة معينة ومجموعة من المهن أو بأحد حقول التعليم المهني والتقني.

ويلاحظ ان لهذا المرسوم اهميهة بالغة في التقرب الى سوق العمل بمختلف شرائحه وانواعه في القطاعين العام والخاص[٣٩].

الخاتمة :

لقد أسهم مجلس النواب من خلال التشريعات والمناقشات في ترسيخ الإطار القانوني والتنظيمي لهذا النوع من التعليم ، والعمل على توسيع مؤسساته وتحسين مستواه . كما عكست هذه الجهود توجهاً نحو تحقيق توازن بين التعليم الأكاديمي والتعليم التطبيقي ، بما يلبي حاجات التنمية ويعزز فرص العمل للشباب .

إن التطورات الإدارية التي قام بها مجلس النواب في قطاع التعليم المهني والتقني خلال هذه المدة،

إلى جانب الخطوات التي اتخذها المجلس ما هي إلا لإبراز الأهمية الكبرى التي أولاها أعضاء المجلس النيابي لقطاع التعليم المهني والتقني وبيان مكامن القوة والضعف في هذا القطاع المهم .

المصادر والمراجع :

المحاضر:

١. م.م.ن.ل. الدور التشريع التاسع، العقدالاستثنائي الثاني سنة ١٩٦٠، محضر الجلسة الخامسة المنعقدة في ٢١ كانون الثاني ١٩٦٠.
٢. م.م.ن.ل. الدور التشريعي التاسع، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠، محضرالجلسه الرابعة، المنعقدة في ١٩ كانون الثاني ١٩٦٠.
٣. م.م.ن.ل. الدور التشريعي التاسع، العقد العادي الثاني، سنة١٩٥٩، محضر الجلسة التاسعة، المنعقدة في٣ كانون الاول ١٩٥٩.
٤. م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثالثة، المنعقدة في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٦٤.
٥. م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر،العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الرابعة،المنعقدة في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤.
٦. م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر،العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الخامسة،المنعقدة في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤.
٧. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الاول لسنة ١٩٦٠، محضر الجلسة الثانية، المنعقدة في ١٨ اب ١٩٦٠.
٨. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الاول لسنة ١٩٦٠، محضر الجلسة التاسعة، المنعقدة في٢١ ايلول ١٩٦٠.
٩. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١، محضر الجلسة الاولى، المنعقدة في ٣ كانون الثاني ١٩٦١.
١٠. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١،محضر الجلسة الثانية، المنعقدة في ١٠كانون الثاني ١٩٦١.
١١. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الأولى، المنعقدة في ٢٤ تموز ١٩٦٢.
١٢. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الاول ، محضر الجلسة الخامسة، المنعقدة في ٦ تموز ١٩٦١.

١٣. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الاول لسنة ١٩٦٠، محضرالجلسة الثامنة، المنعقدة في ٢٠ ايلول١٩٦٠.
١٤. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الاول لسنة ١٩٦١، محضر الجلسة الاولى، المنعقدة في ١٥ حزيران سنة ١٩٦١ .
١٥. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١،محضر الجلسة الخامسة، المنعقد١٩٦١/١/٢٠.
١٦. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالعادي الاول لسنة ١٩٦١، محضر الجلسة السادسة عشر، المنعقدة في ٣١ ايار ١٩٦١.
١٧. م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالعادي الاول لسنة ١٩٦١، محضر الجلسة الخامسة، المنعقدة في ١٥ حزيران١٩٦١.

البحوث :

١٨. م,م هيام علي صدام، دور الرئيس فؤاد شهاب في تطوير التعليم في لبنان، مجلة الدراسات المستدامة، السنة (٦)/المجلد(٦)/ العدد(١)/ملحق(١) أب لسنة ٢٠٢٤م-١٤٤٦هـ، الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب/ قسم التاريخ.
١٩. وليد ناصر ، التطورات الإدارية للتعليم المهني والتقني في لبنان ، ١٩٥٨ -١٩٩٣ ، صدى العلوم ، مجلة دورية محكمة تعنى بقضايا العلوم النظرية والتطبيقية ، السنة الأولى نيسان ، ٢٠٢٤ .

الكتب :

٢٠. حسان حلاق، قضايا العالم العربي، دارالنهضة العربية،ط٣، ٢٠١٠.
٢١. حسن موسى ، بلا هوادة ... المسيرة السياسية لرجل الدولة ، الرئيس سليم الحص ، شركة المطبوعات للتوزيعات والنشر ، ط١ ، ٢٠١٤.
٢٢. منير بشور، بنية النظام التربوي في لبنان، الجمهورية اللبنانية، المركز التربوي للبحوث والانماء،ط ٢١، ١٩٧٨.

Sources and References:

Minutes:

1- National Legislative Assembly, Ninth Legislative Term, Second Extraordinary Session, 1960, Minutes of the Fifth Session held on January 21, 1960.
2- National Legislative Assembly, Ninth Legislative Term, Second Extraordinary Session, 1960, Minutes of the Fourth Session held on January 19, 1960.
3- .National Legislative Assembly, Ninth Legislative Term, Second Ordinary Session, 1959, Minutes of the Ninth Session held on December 3, 1959.
4- National Legislative Assembly, Eleventh Legislative Term, Second Ordinary Session, Minutes of the Third Session held on October 29, 1964.
5- National Legislative Assembly. Eleventh Legislative Term, Second Ordinary Session, Minutes of the Fourth Meeting, held on November 3, 1964.
6- Eleventh Legislative Term, Second Ordinary Session, Minutes of the Fifth Meeting, held on November 5, 1964.
7- Tenth Legislative Term, First Extraordinary Session of 1960, Minutes of the Second Meeting, held on August 18, 1960.
8- .٨Tenth Legislative Term, First Extraordinary Session of 1960, Minutes of the Ninth Meeting, held on September 21, 1960.
9- Tenth Legislative Term, Second Extraordinary Session of 1960-1961, Minutes of the First Meeting, held on January 3, 1961.
10- Tenth Legislative Term, Second Extraordinary Session of 1960-1961, Minutes of the Second Meeting, held on January 10, 1961.
11- Legislative Term, Second Ordinary Session, Minutes of the First Meeting, held on July 24, 1962.
12- Legislative Term, First Extraordinary Session, Minutes of the Fifth Meeting, held on July 6, 1961.
13- Legislative Term, First Extraordinary Session of 1960, Minutes of the Eighth Meeting, held on September 20, 1960.
14- Legislative Term, First Extraordinary Session of 1961, Minutes of the First Meeting, held on June 15, 1961.
15- Legislative Term. Tenth Legislative Term, Second Extraordinary Session of 1960-1961, Minutes of the Fifth Meeting, held on January 20, 1961.
16- National Assembly of the People. Tenth Legislative Term, First Ordinary Session of 1961, Minutes of the Sixteenth Meeting, held on May 31, 1961.
17- National Assembly of the People. Tenth Legislative Term, First Ordinary Session of 1961, Minutes of the Fifth Meeting, held on June 15, 1961.

Research:

1- M.M. Hayam Ali Saddam, The Role of President Fouad Chehab in Developing Education in Lebanon, Journal of Sustainable Studies, Year (6)/Volume (6)/Issue (1)/Supplement (1), August 2024 AD - 1446 AH, Al-Mustansiriya University/College of Arts/Department of History.
2- Walid Nasser, Administrative Developments in Vocational and Technical Education in Lebanon, 1958-1993, Sada al-Ulum (Echo of Sciences), a peer-reviewed journal concerned with theoretical and applied science issues, Year 1, April 2024.

Books:

1- Hassan Hallaq, Issues of the Arab World, Dar al-Nahda al-Arabiya, 3rd ed., 2010.
2- Hassan Moussa, Uncompromising... The Political Journey of a Statesman, President Salim al-Hoss, Publications Distribution and Publishing Company, 1st ed., 2014.
3- Munir Bashour, The Structure of the Educational System in Lebanon, Lebanese Republic, Educational Center for Research and Development, 21st ed., 1978.

الهوامش:

(١) حسان حلاق، قضايا العالم العربي، دارالنهضة العربية،ط٣، ٢٠١٠ ، ص ٤١٧.

(٢) منير بشور، بنية النظام التربوي في لبنان، الجمهورية اللبنانية، المركز التربوي للبحوث والانماء،ط ١، ١٩٧٨، ص٤١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤١-٤٢.

(٤) وليد ناصر ، التطورات الإدارية للتعليم المهني والتقني في لبنان ، ١٩٥٨ -١٩٩٣ ، صدى العلوم ، مجلة دورية محكمة تعنى بقضايا العلوم النظرية والتطبيقية ، السنة الأولى نيسان ، ٢٠٢٤ ، العدد ٤ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٥) حسن موسى ، بلا هوادة ... المسيرة السياسية لرجل الدولة ، الرئيس سليم الحص ، شركة المطبوعات للتوزيعات والنشر ، ط١ ، ٢٠١٤ ، ص ٤٨.

(٦) م.م.ن.ل. الدور التشريعي التاسع، العقد العادي الثاني، سنة١٩٥٩، محضر الجلسة التاسعة، المنعقدة في٣ كانون الاول ١٩٥٩.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) م.م.ن.ل. الدور التشريعي التاسع، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠، محضرالجلسه الرابعة، المنعقدة في ١٩ كانون الثاني ١٩٦٠.

(١١) م.م.ن.ل. الدور التشريع التاسع، العقدالاستثنائي الثاني سنة ١٩٦٠، محضر الجلسة الخامسة المنعقدة في ٢١ كانون الثاني ١٩٦٠.

(١٢) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الاول لسنة ١٩٦٠، محضر الجلسة الثانية، المنعقدة في ١٨ اب ١٩٦٠.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الاول لسنة ١٩٦٠، محضرالجلسة الثامنة، المنعقدة في ٢٠ ايلول ١٩٦٠.

(١٥) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الاول لسنة ١٩٦٠، محضر الجلسة التاسعة، المنعقدة في٢١ ايلول ١٩٦٠.

(١٦) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١، محضر الجلسة الاولى، المنعقدة في ٣ كانون الثاني ١٩٦١.

(١٧) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١،محضر الجلسة الثانية، المنعقدة في ١٠كانون الثاني ١٩٦١.

(١٨) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١،محضر الجلسة الخامسة، المنعقد٢٠/كانون الثاني/ ١٩٦١.

(١٩) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الثاني لسنة ١٩٦٠-١٩٦١،محضر الجلسة الخامسة، المنعقد٢٠/كانون الثاني/١٩٦١.

(٢٠) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالعادي الاول لسنة ١٩٦١، محضر الجلسة السادسة عشر، المنعقدة في ٣١ ايار ١٩٦١.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالعادي الاول لسنة ١٩٦١، محضر الجلسة الخامسة، المنعقدة في ١٥ حزيران١٩٦١.

(٢٣) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الاول لسنة ١٩٦١، محضر الجلسة الاولى، المنعقدة في ١٥ حزيران سنة ١٩٦١ .

(٢٤) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقدالاستثنائي الاول ، محضر الجلسة الخامسة، المنعقدة في ٦ تموز ١٩٦١.

(٢٥) م.م هيام علي صدام، دور الرئيس فؤاد شهاب في تطوير التعليم في لبنان، مجلة الدراسات المستدامة، السنة (٦)/المجلد(٦)/ العدد(١)/ملحق(١) أب لسنة ٢٠٢٤م-١٤٤٦هـ، الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب/ قسم التاريخ، ص٣٤.

(٢٦) م.م.ن.ل. الدور التشريعي العاشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الأولى، المنعقدة في ٢٤ تموز ١٩٦٢.

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) وليد رفيق ناصر، المصدر السابق،ص٢٣١.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) م.م هيام علي صدام، المصدر السابق،ص٢٣١.

(٣٣) م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثالثة، المنعقدة في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٦٤.

(٣٤) م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر،العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الرابعة،المنعقدة في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤.

(٣٥) م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر،العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الرابعة،المنعقدة في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤.

(٣٦) م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر،العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الخامسة،المنعقدة في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤.

(٣٧) م.م.ن.ل. الدور التشريعي الحادي عشر،العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الخامسة،المنعقدة في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤.

(٣٨) وليد رفيق ناصر، المصدر السابق،ص ٢٣٩- ٢٤٠.

(٣٩) وليد رفيق ناصر ، المصدر السابق، ص ٢٤٠.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

النهضة الألمانية عشية الحرب العالمية الأولى ١٨٧٠ -١٩١٤-
دراسة تاريخية

The German Renaissance on the Eve of World War I (1870-1914)
A Historical Study

أ.د. نغم سلام إبراهيم
Professor Dr. Nagham Salam Ibraheem
قسم التاريخ /كلية التربية ابن رشد
nagham.salam@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص:

شكل قيام الإمبراطورية الألمانية خلال القرن التاسع عشر من اهم المتغيرات السياسية في اوربا بسبب تأثيرها الذي امتد الى معظم أجزاء العالم ان لم يكن جميعها. عند الاطلاع على مراحل تشكيل تلك الإمبراطورية لابد لنا ان نقف عند اهم المتغيرات الاقتصادية التي أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في وصولها الى مصاف القوى الكبرى عشية الحرب العالمية الأولى فالمتغيرات السياسية ارتبطت بالتحولات الجذرية سواء الاقتصادية والاجتماعية لتلك الدولة ومهدت طريقها نحو الزعامة .

أسهمت الإجراءات التي تبنتها تلك الدولة في دعم امكانياتها الاقتصادية والتي سرعان ما وظفتها في تطوير قدراتها الصناعية والزراعية ليمتد الامر الى تنظيم شؤونها المالية والتجارية وليتشكل صرح الإمبراطورية الألمانية خلال القرن التاسع عشر بالشكل الذي منحها القدرة في تامين وصولها للزعامة الدولية عشية الحرب العظمى .

عدت النهضة الألمانية نتيجة مباشرة للتكامل الاقتصادي ما بين التصنيع الثقيل وطبيعة تشكيل النظام المصرفي وأسلوب السياسة الحمائية التي تبنتها تلك الدولة منذ سبعينيات القرن التاسع عشر كما ان دخولها الميدان الصناعي نتج إعادة هيكلية للبنية الطبقية في المجتمع الألماني بالشكل الذي عكس طبيعة تطوره واوجد فئة اجتماعية جديدة سرعان ما راحت تنمو تدريجيا لتدخل الى الساحة السياسية بشكل مؤثر وقد أضاف التفوق الاقتصادي لتلك الامبراطورية ثقلا في السياسة الخارجية كوسيلة لتامين مصالحها الاقتصادية ولتشكل النهضة الألمانية فيما بعد احد اهم مسببات الحرب العالمية الأولى .

وبموجب ذلك كانت هناك ضرورة ملحة في دراسة وتحليل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي أسهمت في النهضة الألمانية وتنامي قدراتها بالشكل الذي اسهم في توظيفها في معايير (القوى الكبرى) كالتنافس الاستعماري والتسلح والتحالفات الدولية وهو ما تجسد بوضوح عشية الحرب العالمية الأولى .

الكلمات المفتاحية: بروسيا ،الثورة الصناعية ،الزلفراين ،نمو السكك الحديدية

summary
The rise of the German Empire during the 19th century was one of the most significant political transformations in Europe due to its far-reaching influence across most, if not all, parts of the world. Examining the stages of this empire's formation necessitates considering the key economic shifts that contributed directly and indirectly to its emergence as a major power on the eve of World War I. These political changes were intertwined with the radical economic and social transformations that paved the way for its rise to global leadership.The measures adopted by that state contributed to supporting its economic capabilities, which it quickly employed in developing its industrial and agricultural capabilities, extending to organizing its financial and commercial affairs, and thus the edifice of the German Empire was formed during the nineteenth century in a way that gave it the ability to secure its access to international leadership on the eve of the Great War. The German Renaissance appeared to be a direct result of the economic integration between heavy industry, the structure of the banking system, and the protectionist policies adopted by the state since the 1870s. Its entry into the industrial arena led to a restructuring of the class structure in German society, reflecting its development and creating a new social class that gradually grew and entered the political arena with significant influence. The economic dominance of the empire added weight to its foreign policy as a means of securing its economic interests, and the German Renaissance later became one of the most important causes of World War I.Consequently, there was an urgent need to study and analyze the economic, social, and military variables that contributed to the German Renaissance and the growth of its capabilities, which enabled it to be employed in the context of great power competition, such as colonial rivalry, armament, and international alliances—a phenomenon clearly manifested on the eve of World War I.

توطئة

شكل الاتحاد الجمركي – الزولفراين Zollverei نقطة تحول خطيرة في تاريخ الوحدة الألمانية الذي شرعت بروسيا بتاسيسه منذ عام ١٨١٨ ، ولعل ذلك يعود الى طبيعة البيئة الاقتصادية والجغرافية التي

كانت تعاني منها الاقاليم الالمانية وتنوع النظم الاقتصادية التي كانت سائدة حينها اذ سرعان ما ادركت بروسيا بوجود سبع وعشرون منطقة تعود تبعيتها الى اثنتا عشرة دولة المانية خارجية ، وكل منها مطوقة بالرسوم الجمركية البروسية كما ان النظام الضريبي الذي كان سائدا فرض تعريفات مرور على السلع الاجنبية التي تمر عبر أراضيها وكانت مورد اقتصادي مهم لها وورقة ضغط قوية على الدويلات المجاورة ناهيك عن امكانية بروسيا الاستفادة منها عند الحاجة .[١]

تبنت بروسيا مسالة توحيد اقاليمها اقتصاديا تصاعدت الاصوات المعارضة من قبل تلك الدول وتجسد ذلك في مؤتمري كارلسباد وفيينا فلم تجد تلك الدول حلا سوى اسلوب الحوار للدخول في التعريفة الجمركية التي اوجدتها بروسيا . وبموجب ذلك بدا الزولفراين اجراء اقتصادي بحت وليس منجزا سياسيا فبالرغم من شيوع الفكر القومي داخل الاقاليم الالمانية الا انها لم تنظر بحكمة الى الوحدة الاقتصادية باهمية تذكر لذلك لم تكن الزولفراين من انجاز الساسة والقومين [٢]، وانما كان من تنفيذ الاداريين البروسيين امثال فون ماسين – Maassen الذي كان من رجال الاقتصاد القلائل ومن مؤيدي مذهب حرية التجارة وكذلك فون موتز – Mots الذي كان له الدور الاكبر في قيام الاتحاد وتحديد الارتباط بين اتحاد الزولفراين والوحدة الالمانية , [٣]

لم يشمل الزولفراين كل الولايات الالمانية بل بقيت خارجه ثلاثة عشرة ولاية وانشات جماعة اخرى نوعا من الاتحاد الاقتصادي عرف باسم ستورفرين –Steuerverein ويعني الاتحاد الضريبي وكان يضم خمسة دول في حين بقيت الدول الثمان الاخرى بوضعها الاقتصادي المستقل عن كلا الاتحادين الزولفراين والستروفرين وشملت الدول التي دخلت ضمن الزولفراين بالاتحاد الكمركي مع الاحتفاض بنضمها الخاصة في الضرائب الغير مباشرة والموازين والمقايس والعملة والمكوس الداخلية وامور اخرى .[٤]ولكي تضمن بروسيا نجاح الزولفراين منحته المرونة بوضعها شروطا جديدة وهي كالاتي[٥]:

تشكيل مجلس مؤلف من مندوبي الولايات المنضمة اليه مهمته الاشراف على سياسة الاتحاد ولأتصبح قرارته نافذة الا باجماع الآراء مع تبني سياسة اقتصادية قائمة على تقسيم ايرادات الجمارك بين الولايات بموجب النسب السكانية لكل ولاية. مع السماح للولايات الاحتفاظ بالقوانين التجارية الخاصة بها .والعمل على الغاء كافة الرسوم الجمركية الداخلية على معظم السلع المتبادلة بين الدويلات الداخلة في الاتحاد .وسارعت تلك الإجراءات في انضمام كلا من بافاريا وسكسونيا بالاتحاد عام ١٨٣٣ ليزداد عدد الولايات عام ١٨٣٤ سبع عشرة ولاية بمجموع سكان بلغ اثنتان وعشرون نسمة وتجدد الاتحاد في عام ١٨٤٢ واصبح يمثل قوة اقتصادية كبيرة اذ سرعان ما قلت ان لم تكن تلاشت عمليات التهريب وانتعشت التجارة والصناعة والزراعة.[٦]

وبفعل اختلاف المصالح بين الأطراف المشتركين بعد عام ١٨٤٠ ، و التطور الاقتصادي حول الحماية والحرية التجارية فتبنت الولايات الجنوبية والغربية سياسة الحماية الجمركية لحماية صناعتها الداخلية بينما فضلت بروسيا وغيرها من الولايات الشرقية والشمالية تبني سياسة الحرية التجارية بالشكل الذي يؤمن عملية الانتقال من النشاط الزراعي الى النشاط الصناعي غير ان اتجاه الحماية انتصر في النهاية لخشية بروسيا من احتمالية تفكك الاتحاد من جهة وظهور تعاليم فردريك ليست في كتاب نشره المعنون النظام الوطني للاقتصاد السياسي – National System of Political Economy الذي اكد على ضرورة تبني سياسة الحماية للحفاظ على النمو الاقتصادي للبلاد عكس بريطانيا .[٧]

كانت اغلب الولايات الألمانية في عام ١٨٥٢ قد التحقت بالاتحاد. الامر الذي انعكس بوضوح على التطور الصناعي في البلاد لقد احرزت بروسيا تقدما اقتصاديا مهد لها للعمل نحو تحقيق الوحدة السياسية خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر[٨] ،وان الالمان سعوا من خلال ذلك الاتحاد الاقتصادي وضع حجر الاساس

لوحدتهم السياسية ولكن النتائج التي عقد عليها الالمان طموحاتهم لم تكن سهلة المنال فقد تطلبت مرور مدة زمنية طويلة امتدت لاكثر من ثلاثين عام لم يخمد خلالها الزولفراين مشاعر الاقليمية والمحلية فلم يكن له تاثيرا ايجابيا على ثورة ١٨٤٨ [٩] ومن جانب اخر نجد رياح الثورة الصناعية التي اخذت تجتاح اوربا صدى ايجابيا في الاقاليم الالمانية والذي تزامن مع اعتلاء فردريك وليم الرابع (١٨٤٠-١٨٦١) عرش بروسيا وتشكيل اول برلمان بروسي الدايت وراحت بروسيا تخطو بخطوات مدروسة نحو توحيدها سياسيا بعد الزولفراين [١٠]

المتغيرات الاقتصادية والصناعية في تنامي الإمبراطورية الالمانية

بدا دستورالمانيا الموحدة الذي صدر عام ١٨٧٠ ملبيا لطموحات الدولة الفتية في التقدم اذ توزعت فيها السيادة بين (٢٥) دولة والرايخ مع احتفظت الدول بصلاحيات محددة في العدل والعبادة والتعليم والاشغال العامة وجباية الضرائب المباشرة فكانت مملكة بروسيا تضم (٣٤،٥) مليونا عام ضمنه الالزاس واللورين ١٩٠٠[١١]

مارست الطبقة البرجوازية الألمانية ذات دور حيوي في النظام الاقتصادي والاجتماعي ا ذ حاولت المشاركة في السلطة ولكن بحذر وكانت تشكل عنصر انتقال بين المحافظين والحركة المتمثلة بطبقة البرولتارية المتزايدة التي راحت تعمل لتنظيم نفسها في النقابات [١٢]

ومن جانب اخر وبفعل التطور الصناعي كان للاشتراكية الألمانية تأثير كبير على الحركات العمالية في البلاد وذلك لا يقتصر على المانيا فحسب بل امتد تأثيرها ليشمل كل دول اوربا عشية الحرب العالمية الأولى ، فطالما ساندت الطبقة العمالية الأحزاب الليبرالية

لتمرير حق الاقتراع كعلاج فوري للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعاني منها تلك الفئة ، ليشهد عام ١٨٦٣ تأسيس اول حزب عمالي مستقل في المانيا عرف باسم الاتحاد العام للعمال الالمان والذي حدد أهدافه في ضرورة ايجاد النظام التعاوني كأفضل وسيلة تؤمن للعامل دخل مقبول ومعيشة افضل كما حرم على صاحب راس العمل استغلاله وتميز ذلك الحزب بنزعة وطنية جعلته يصطدم باتجاهات كارل ماركس في الاشتراكية الدولية . وهو ما انعكس بوضوح على تشكيل النقابات العمالية فقد نظم اول قانون للجمعيات المهني في عام ١٨٦٩فوصل عدد النقابات عام ١٨٧٨ الى (٢٥) نقابة لتشمل خمسين عضوا وبالرغم من تحجيم عددهم الى اربع فقط بفعل سياسة بسمارك عام ١٨٨٢ الا ان العمال عادوا لتنظيم انفسهم مرة ثانية بدعم من الحزب الاشتراكي الديمقراطي ليتم تشكيل الاتحاد العام للنقابات العمالية الألمانية الذي راحت اعداده تزداد بصورة كبيرة حتى الحرب [١٣]

وهو كما موضح في الجدول التالي :

جدول يوضح اعداد العمال المنتمين للاتحاد العام للنقابات العمالية

عدد العمال	السنة
٢٧٧ ألف	١٨٩١
٣٢٩ ألف	١٨٩٦
٥٨٠ ألف	١٨٩٩
٧٣٣ ألف	١٩٠٢
٢,٣٢٠,٠٠٠	١٩١١
٢,٦٠٠,٠٠٠	١٩١٣

يمكن القول ان الصناعات الكيمياوية والكهربائية أسهمت بشكل كبير في تنامي تفوق المانيا وكانت نتيجة حتمية لتفوق الشعب الألماني في التعليم فزادت الكميات المستخرجة من الفحم اضعافا مضاعفة الذي ارتفع من ثلاثين مليون طن عام ١٨٧١ الى مائة وتسعين مليون طن في عام ١٩١٣ كما مكنت عملية اختراع الانتفاع من الحديد الى زيادة الانتفاع منه اقتصاديا من مناجم لكسمبرج واللورين والذي قاد الى تطورات اقتصادية واسعة فتحولت منطقة وستفاليا الى إقليم يضارع في نشاطه وتركيز الصناعة فيه مقاطعات إنجلترا الصناعية وسرعان ما ضاعفت الإمبراطورية الألمانية انتاجها من الصلب وضاعفت ما تخرجه من الحديد [١٤]

وفي الاطار ذاته عند الاطلاع على مراحل التطور الصناعي في المانيا خلال مدة الدراسة نجد انها قطعت شوطا كبيرا فيه اذ ازداد انتاج الحديد من مليون ونصف عام ١٨٧٠ الى(٨) مليون طن عام ١٩٠٠ ثم ليصل الى(١٥) طنا عام ١٩١٣وسرعان ما شمل ذلك التفوق للحديد الصلب والفحم بالشكل الذي راح ذلك الإنتاج ينافس الصادرات البريطانية لتصبح في المرتبة الثانية في القطاع الصنعي بعد الولايات المتحدة الامريكية [١٥]

ويوضح الجدول التالي حجم الإنتاج الألماني الصناعي عشية الحرب العظمى

المادة	١٨٧٠	١٩٠٠	١٩١٣
الحديد	١,٥ مليون	٨ مليون	١٥ مليون
الصلب	١٦٩ الف طن	٥,٦ مليون طن	١٥ مليون طن
الفحم	٧٠ مليون طن عام ١٨٩٠	------	٢٠٠ مليون طن

اما في المجال المصرفي سعت الدول الاوربية التي استقرت فيها معالم الثورة الصناعية الى تبني مؤسساتها المالية أسواق مالية قادرة على توظيف استثمارات واسعة في جميع انحاء العالم كان من بينها المانيا التي تاسس فيها خلال عام ١٩٠٠(١٦٥) مصرفا كما استمرت نشاطات البيوتات المالية من أمثال بلخرودز ومندلسون وزاربورغ وغيرها وسرعان ما تمركز مصرف ديسكنتو جيسيل شافت في برلين عام ١٨٥١ ومصرف دار مشتادر بنك عام ١٨٥٣ ومصرف برليز هاندل جيسيل شافت عام ١٨٥٦ ومصرف كومرز اند ديسكنتو بنك في همبورغ عام ١٨٧٠ وفيما شهد مصارف أخرى ازدهارا كبيرا كبنك دوتش ودزدنر ودرامشادر وديسكنتو لتبلغ حصتهم ثلاثة ارباع المبالغ المصرفية للرايخ [١٦]

اتسمت المصارف الألمانية بالجراة والتهور الى حد ما اذ كانت تمنح القروض بمختلف انواعها مما اسهم في تطوير الاقتصاد الوطني واسهم في حصولها على العديد من المقاعد في مجالس الاداراة للشركات مما منحها سيطرة اكبر على إدارة أعمالها ففي عام ١٩٠٣ شارك بنك الدوتش في المجالس الإدارية لما يقارب (٥٤٠)شركة صناعية مارست التحويلات الاجلة بالشكل الذي ساعد في زيادة ثروتها ولم يقتصر ذلك على سياسة مالية على المانيا فحسب بل شمل اغلب القوى الاوربية عشية الحرب العظمى التي راحت تستثمر أموالها في كافة أجزاء العالم فلم تتاخر المصارف الألمانية الأربعة لاسيما بنكي الديسكونتو والدوتش عن تأسيس فروع لها سواء في اسيا او في الشرق الأوسط كالدوتش بنك الاسيوي والدوتش اورينت بنك في تركيا وشرق المتوسط [١٧]

وراحت تسيطر على العالم ثلاثة أسواق كبيرة غير ان أسواق برلين وفرانكفورت لم تصل للأهمية التي بلغتها لندن وباريس على الصعيد الدولي لان اعتماد الحاجات الألمانية على السندات الخارجية ظل ثانويا كما ان الاستثمارات الألمانية بدت محدودة بسبب تحجيم أسواقها المالية فاستثمرت (٢٩) مليار من الفرنكات في العالم كان منها (٥٣%) في اوربا خاصة النمسا- المجر واقل من الثلث في الولايات المتحدة الامريكية بينما ظلت حصة افريقيا واسيا متواضعة الى حد ما وتجسد ذلك بسيطرة الالمان على نفط الموصل [١٨].

ولم تكتف الدول الرأسمالية الكبرى بتحصيل المداخيل بل عمدت على ادخال التحسينات في تلك الدول لضمان مصالحها خارج اوربا فاهتموا بالسكك الحديد في فنزيلا والأرجنتين والمكسيك والصين والشرق الأوسط وعد خط سكة حديد بغداد ابرزها اذ اصبح من اكبر المشاريع عشية الحرب العظمى فقد بلغ طول خطوطه (٤٠٠٠) كم جهز بمعدات المانية معدنية ضمن ممر -رواق - بطول (٣٠) كم على جانبي الخط سرعان ما وظفها الالمان في توسعاتهم كما هتموا بالمناجم في افريقيا الجنوبية وبالحديد في المغرب والجزائر وبالنفط في رومانيا [١٩]

وبفضل الاستخدام الواسع للاسمدة الكيميائية تمكنت الزراعة الألمانية من زيادة مواردها من المحاصيل اذ ارتفع انتاج القمح من (١٣ كنتالا في الهكتار مابين ١٨٧٠-٢٠ كنتال عام ١٩١١ وزادت المحاصيا رغم انخفاض الأسعار الذي بدا سنة ١٨٧٣ واشتد في نهاية القرن عندما هبط سعر الكنتال من القمح من(١،٢١ مارك ١٨٧٦ - ١٦)مارك ١٨٩٦ الذي سرعان ما راح يرتفع بشكل شبه مستمر بعد سنة ١٨٩٧ ليصل الى ٢٣ ماركا عام ١٩١٠ ليزيد انتاج القمح بمعدل الضعفين وإنتاج السكر بمعدل ست مرات وراد انتاجها من الشيلم من(٥٠-١٢٢)مليون كنتال ومع ذلك لم تكن تلك الكميات كافية مع تزايد حجم السكان وبسبب الديون غذت الزراعة في المانيا معتمدة على الجمعيات الزراعية والتعاونيات وعلى رسوم الدخول لتخفيف تاثيرات الازمة وبالرغم من جهود الكبيرة فان حصة اقتسام اليد العاملة قد تحول من(٤٢%)سنة ١٨٨٠-(٣٤%)١٩٠٧ [٢٠]

وبينما كانت الصناعة تتقدم وتبدل من اخلاق الامة الألمانية وأنواع الحرف لابنائها وجهت جهودها لتنمية البحرية الألمانية مما وسع نشاطها ليصل اصقاع العالم مما دفع الحكومة وباكراه من بسمارك الى تبني مبدا الحماية للصناعة الألمانية في عام ١٨٧٩ كاساس لسياستها الكمركية ليسهم بشكل مباشر في تنامي اهتماماتها نحو امتلاك المستعمرات ليتاسس في عام ١٨٨٣ الشعبة الاستعمارية في الرايشتاخ وهو ذات العام الذي شهد تأسيس شركة الكهرباء الألمانية التي كان يرمز لها بالحروف A.E.G. وهو الاتحاد الكهربائي الضخم الي اقام على أساسه اعظم صناعة من الصناعات العلمية الألمانية [٢١]

اما في مجال النقل النهري اذ سعت الإمبراطورية الألمانية الى اعداد مشروعات لحفر القنوات التي ترتبط بالانهار مما سهل من الاستفادة من النقل المائي واسهم في ان تمتلك المانيا شبكة مائية مميزة في ذلك الوقت وراحت توظفها لخدمة اغراضها الحربية فحفرت قناة كيل لتصل بين بحر البلطيق وبحر الشمال لتامين قدراتها العسكرية خلال الحرب كما امانت تجارتها خلال السلم وراحت تهتم بالانهار لذات الامر عندما سعت الى تعميق مجراها وتصلح جسورها لتنظم الطرق المائية الداخلية الطبيعية والاصطناعية حتى بلغت اطوالها بما يقرب (٩،٠٠٠) ميلا الامر الذي انعكس بوضوح على تطور انتفاع الالمان منها فزادت حركة النقل في هذا القطاع فكانت نسبة حركة النقل المائي الى حركة النقل البري اكثر مما وصلت اليع بريطانيا واقل من فرنسا [٢٢]

كان من الطبيعي ان تنعكس تلك التطورات على شبكة المواصلات البحرية التي كانت بريطانيا زعيمتها صحيح انها كانت تخدم في البداية مصالح هذه الإمبراطورية الا ان القوى الاوربية راحت تدخل الى هذا المجال تدريجيا وكانت سعة السفن الألمانية فاترلند(٦٢,٠٠٠)برميل كما ظهرت شركات كبرى كان منها هامبورغ أمريكا في المانيا التي كانت تؤمن الخدمات لاقوى الخطوط بينما تسافر السفن الضخمة الى جميع انحاء العالم وكان القسم الأكبر من الاسطول التجاري العالمي بيد اوربا ب٨٥% بلغت حصة الالمان فيها ٨,٢% ووزادت نشاطات المرافئ وكانت همبورغ احدى اضخم المرافئ العالمية وينطبق الامر على الملاحة الجوية لينطلق زيبلن في بناء المنطاد الموجه وقد أدت تلك التطورات في مجال النقل والوصلات الى تطور الحياة الاقتصادية كالتجارة الدولية وتبني أساليب جديدة وممارسة سياسة الإغراق وهو مامنح المانيا توسع اكبر مع ارتفاع حصتها من ٩% عام ١٨٨٨ الى ١٣,١% عام ١٩١٣[٢٣]

كما ان المانيا كانت اسبق دول القارة الاوربية في بناء خطوط السكك الحديدية بعد بريطانيا وكان يعود الفضل في ذلك الى الاقتصادي الكبير فردريك لست –Frederick,List عندا دعا الى انشاء السكك الحديد لاهميتها في التطور الاقتصادي وكان اول خط للسكك الحديد في عام ١٨٣٥ بين فورث ونورمبرج وبطول خمسة اميال ليعقبه خطان اكثر طولا هما خط ليبزج – درسدن عام ١٨٣٩ وخط ليبزج– مجدبورج جرى انشائه في السنة التالية وراحت تنتشر السكك الحديدية في الولايات الألمانية بشكل مطرد بفعل رخص الأراضي من جهة وانبساط الأرض في السهول الألمانية ولم يبدا عام ١٨٥٠ حتى تاسس في الولايات الألمانية مجموعة من السكك الحديدية تفوق ما كان موجود في فرنسا غيران ذلك التطور كان له جانب سلبي في اقتصاديات النقل كونها كانت خطوط فرعية فكانت تصل بين عواصم الولايات وحدودها فقط كما اثار ذلك الى اختلاف مقياس الخطوط الحديدية فبعضها على المقياس الواسع والبعض الاخر على المقياس الضيق كما ان بناء تلك الخطوط كان حصرا على حكومات الولايات فحرم منه الافراد والجهود الشعبية وبقي عملا حكوميا بحتا ولم تخالفهم في ذلك سوى بروسيا بان فسحت

المجال للشركات مع ضما ادنى حد للحكومة من الارياح وراح الاتحاد الالماني بعد تأسيس الإمبراطورية الألمانية بتاسيس نظام ابراطوري للسكك الحديدية وجرى في عام ١٨٧٣ تأسيس مجموعات من السكك الحديدية وتنظم أجور النقل ومعالجة المعوقات التي تواجهها كما نجحت في الاستيلاء على سكة حديد الالزاس واللورين وراحت الإمبراطورية تستولي تبعال السكك الحديدية البروسية وتنشا سككا جديدة تحت اشراف الدولة وادارتها[٢٤] .

اسهم التطور في طرق النقل على تغير طرق التجارة الرئيسية فالنقل البري جرد النقل البحري الكثير من مميزاته وعلى الأخص اثر على مكانة لندن كمركز في توزيع التجارة الاوربية وكانت المانيا بفعل موقعها المتوسط في القارة الاوربية منحها مهمة تجارة التوزيع ليتنتقل جزء كبير من تجارة الترانسيت التي تمتعت بها أسواق لندن الى المدن الألمانية وكان لذك الانتقال اثره في رفع المكانة الاقتصادية لألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر[٢٥] .

كما عرفت التجارة التخصص في الأسواق فعرفت أسواق القطن في ليفربول والهانوفر وبريمن وسزق السكربراج ومجدبرج والصوف في ربوا – توركونج وغيرها من المنتجات وكانت التجارة مع البلد الام ثانوية وكانت المستعمرات تكلف عشر مرات مما تعطي مما جعلها عرضة للانتقادات فلم تجذب المستعمرات اعداد كبيرة من الرأسماليين الذين لم يوظفوا اكثر من(٤٠٠) مليون مارك بما يعادل(٢%)من مجمل التوظيفات الكلية في حين لم تصل المبادلات التجارية بين الجانبين اكثر من١% بل راحت تتجاوز عشية الحرب النفقات المخصصة للمستعمرات الفوائد التي حصلت عليها المانيا[٢٦] ،ومن الجدير بالذكر ان الإمبراطورية الألمانية سعت ومن اجل تطوير قدراتها الصناعية الى عقد اتفاقية براءات الاختراع بين الولايات المتحدة وألمانيا في عام ١٩٠٩[٢٧]

المتغيرات الاجتماعية التي ارست دعائم الإمبراطورية الألمانية

لايمكن انكار دور بسمارك في تغذية القدرات الصناعية في المانيا والذي تجسد بوضوح في اصدار عدد من القوانين كالتامين الاجباري ضد المرض في عام ١٨٨٣ وضد الحوادث في عام ١٨٨٤ وضد الشيخوخة في عام ١٨٨٩ بدت تلك القوانين محط اعجاب الكثير من الدول الاوربية وعلى راسها بريطانيا التي نفذتها فيما بعد على يد لويد جورج عام ١٩١١ عندما كان وزيرا للمالية في عهد وزارة اسكويث وعدت قوانين التامين الألمانية ركنا أساسيا من اركان نمو النهضة الألمانية الذي كشف عن اعانات مالية تدفع من خزينة الدولة ومن جيوب أصحاب العمل وبذلك ضمن حماية للطبقة العاملة وجنب اندلاع الثورة في المانيا الى ابعد حد [٢٨]

ومن جانب اخر اخذت الارستقراطية في اوربا تتلاشى تدريجيا مع جمع ثمار الثورة الصناعية رغم بقاء النبلاء ضمن عجلة تلك المتغيرات في كلا من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبالرغم من المصاعب التي

تعرضوا لها في المانيا ظلوا على راس الهرم الاجتماعي مع فقدانهم لأراضيهم لصالح البرجوازيين ولكي يضمنوا استمرارهم راحوا يصاهرون البرجوازين الأغنياء ومما عقد الموقف وقوع الارستقراطية الوسطى والدنيا ضحية لتدني اسعار الحبوب لتغرق في الديون وعلى الرغم من نشاطها بين صفوف الحزب المحافظين ورابطة المزارعين فانها لم تنجح في الحصول على تشريع كمركي لايقاف منافسة الحبوب المستوردة فانخفضت مواردها وراحت وراثة العقار ولقب الشرف مقتصرا على الابن الأكبر مما وجه الصف الثاني نحو الالتحاق بالجيش فكان الضباط النبلاء يمثلون الأكثرية في اغلب تشكيلاته ومنه الحرس الامبراطوري وسلاح الفرسان كما احتكروا المناصب الهرمية العليا فيه وبالرغم من ذلك ظلوا في موقع ادنى عن البرجوازين فسعوا للتحالف معهم والاهتمام بالمشاريع الصناعية كصناعة السكر والتقطير إضافة للاستثمارات في المناجم ليفقد حزب المحافظين الناطق باسم النبلاء عدد مقاعده مابين (٥٦)عام ١٨٩٨ الى (٤٣)عام ١٩١٢ كما لم يفز حليفه الحزب الامبراطوري الا باثني عشر مقعدا عشية الحرب الامر الذي اسهم في توتر علاقتهم مع أصحاب الثروات ورجال الاعمال كونها عارضت التوجه الديمقراطي والبرلماني للنظام [٢٩].

وفي الاطار ذاته كان تزايد عدد السكان من اهم انعكاسات الإيجابية للثورة الصناعية ففي الوقت الذي كان فيه النمو السكاني في المانيا بطيئا فبلغ (٣٣,٥) مليون نسمة عام ١٨٥٠ ليسجل نمو سريعا بعد الوحدة ليبلغ (٤١) مليونا عام ١٨٧٠ وليصل الى (٦٧,٤) مليون عام ١٩١٣ وبدت تلك الزيادة طبيعية بفعل زيادة الولادات مما زاد من نسبة الفتوة فيها ص٢٠٣ مع تراجع الوفيات وكان الهبوط اكثر وضوحا في المانيا مابين(٢٧%-١٨,٧) أي ما يعادل نسبة ٣٠% مما انعكس بإيجابية على مستوى المعيشة ، غير انه من جانب اخر انخفض في الوقت نفسه معدلات الولادات مابين (٣٩%- ٣٣%) واثرت التطورات السياسية في المانيا الى الهجرة الى خارج البلاد منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩١٤وكانت تدعمها شركات الملاحة واشتدت بعد عام ١٨٤٦ ثم ١٨٥٠ وبين عامي ١٨٦٦و١٨٧٠ ثم ١٨٨٠ و١٨٨٥ بسبب الازمة الاقتصادية حينها .

اضافت الاطماع الاستعمارية الألمانية عاملا جاذبا للهجرة للمستعمرات ففي عام ١٩٠٦ بلغ عدد الالمان ضمن مساحة(٣) مليون كم من الممتلكات الاستعمارية (٨)الاف شخص ليرتفع العدد عشية الحرب العالمية الأولى [٣٠].

وانعكاسا للتطورات الصناعية تشكلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر العديد الأحزاب في اوربا وكان افضل صورة لها الحزب الديمقراطي الألماني الذي تاسس عام ١٨٧٥ عانى كثيؤا من اضطهاد بسمارك ليقدم بعد غيابه بشكل اكثر قوة بعد عام ١٨٩٠ ، ومما تجدر الإشارة اليه ان تلك الأحزاب راحت تمثل مصالح الاقتصادية والايدلوجية ففي الوقت الذي كان فيه الارستقراطين يدعمون المحافظين

كانت الطبقة الوسطى تدعم الوطنين الاحرار بينما دعمت البرجوازية الصغيرة والقرويون الصغار وأصحاب المصالح الفردية الخاصة الحزب الكاثوليكي [٣١] .

ومن الجدير بالذكران الإمبراطورية الألمانية أبقت على تبني سياسة الحرية التجارية كما انها سعت الى تخيف الضرائب الجمركية على الحديد والآلات الزراعية خدمة لنهوض الزراعة ليمتد التخفيض الجمركية الى العديد من السلع حتى اصبح الهدف الأساسي من النظام الجمركي زيادة إيرادات الإمبراطورية بلا من دعم الإنتاج الاقتصادي او حتى حمايته حتى بلغ نسبة المنتجات المعفية من الضرائب الجمركية(٩٥%) من اجمالي واردات الدولة في عام ١٨٧٧.الامر الذي أدى الى تصاعد الأصوات المطالبة باتباع حماية التجارة وكان ذلك مدفوعا الى عدد من الأسباب هي ميل الشعب الألماني بسبب تقاليده الى تقييد حرية التجارة بمعنى العودة الى القديم بدلا من القيام بثورة ضده ،وفي الوقت الذي الزم بروسيا بالتخلي عن الحماية لضمان وحدة ارايها سعت الإمبراطورية بعدها الى تبني الحماية كوسيلة لتقوية قدراتها الاقتصادية لاسيما بعد استثمارها الغير مدروس لغنائم حرب السبعين وهو ما عرضها لازمة عام ١٨٧٣ التي كشفت عن نقاط الضعف في كيانها الاقتصادي كانت الحماية علاجها المنشود كما ان تطبيق الحماية كان مرهونا بحكمة بسمارك الذي كان على يقين من الشعوب التي تبنت الحماية راحت تتمتع برخاء اقتصادي عظيموبالفعل تمت الموافقة على قانون الحماية عام ١٨٧٩ اوالذي بموجبه اقر زيادة الضرائب على (٤٣) من السلع التجارية وكان الهدف المرجو من هذا القانون حماية الصناعة الناشئة من جهة تامين الدولة بالاموال بالشكل الذي يزيد من دخلها ويقلل اعتمادها على الولايات [٣٢] .

وبالفعل ارتفعت إيرادات الإمبراطورية اثر ذلك القانون لأكثر من (١٣٠)مليون مارك واستمرت الجمارك حتى الحرب العالمية الأولى كأكبر كورد للإمبراطورية ومن جانب اخر سعت الى عقد عدد من المعاهدات التجارية ما بين ١٨٩٠-١٨٩٤ مع امبراطورية النمسا-المجر ورومانيا وروسيا وصربيا ونصت على مبد المعاملة الدولة الأكثر رعاية وعلى تخفيض الضرائب على كثير من السلع تخفيضا كبيرا بينما نصت معاهدتهم مع الروس على تعهد الدولتين بعدم زيادة الضرائب الجمركية على تجارة بعضهما البعض لمدة عشر سنوات [٣٣] .

لم تكن اثار تلك المعاهدات إيجابية في كل جوانبها اذ لم تنال رضا الفلاحين لانه تلك الدول كانت في الاغلب زراعية الامر الذي سيؤدي الى هبوط أسعار الغلات الزراعية فتعالت الأصوات المطالبة بالغائها في حين اكتسبت الصناعة الألمانية رواجا كبيرا لذلك راح الفلاحين تنظيم صفوفهم وافوا حزبا قويا عام ١٨٩٣ يسمى حزب الفلاحين الذي استطاع التحكم في السياسة الاقتصادية الألمانية حتى الحرب العالمية الأولى وكان قانون عام ١٩٠٢ من اهم إنجازاتها .

وبموجبه جرى تقسيم الواردات الى ٩٤٦ مجموعة مع السماح بدخول ٢٠٠ مجموعة منها بلا ضرائب وتخفيض الضرائب الجمركية على المواد الأولية للصناعة وزيادة الضرائب الجمركية على الواردات الزراعية والحيوانية وتقسيم الضرائب الجمركية الى قسمين عامة وواخرى خاصة بحسب افضلية تعاملاتها الدولية ولم ينفذ ذلك القانون الا في عام ١٩٠٦ ليستمر حتى عام[٣٤] .

وبالفعل امتازت المانيا بتقدم تجارتها الداخلية والخارجية ولعل ذلك يعود الى الزيادة في عدد السكان وزيادة الطلب على الغلات والمصنوعات على اختلاف أنواعها وزيادة القدرة الشرائية للسكان بسبب ارتفاع الأجور وتحسن المستوى المعاشي لهم وتبني سياسة الحماية الجمركية مع سرعة تقدم طرق الموصلات الداخلية لاسيما السكك الحديد والطرق المائية اما تجارتها الخارجية فعلى الرغم من انخفاض كفاءتها في البداية الا انها تمكنت من تفادي تلك العقبة لتصبح في عام ١٩٠٥ من ارقى دول العالم التجارية بعد بريطانيا وهو ما نعكس بوضوح على زيادة وارداتها

كما هو موضح في الجدول التالي :

السنة	الواردات	الصادرات
١٨٧٣	٣,٤٦٨٠٠٠,٠٠٠ مارك	٧,٤٢٠,٠٠٠,٠٠٠مارك
١٩٠٥	٢,٤٩٤,٠٠٠,٠٠٠ مارك	٥,٨٤٠,٠٠٠,٠٠٠مارك

كما اقبلوا على مراقبة الأسواق لاقتناص الفرص التجارية واقبلوا على دراسة تقارير القناصل والوكلاء البيوتات الصناعية والتجارية والمصرفية الكبيرة لان هؤلاء الوكلا خدموا تجارة المانيا في الخارج كما عنيت المانيا ببث دعاية قوية لمصنوعاتها في الأسواق الخارجية وقد اسهم تشجيع المصارف في رواج تجارتها كالتساهل في فتح الاعتمادات المالية ومنح القروض للتجار وعملائهم في الخارج اما من وجهة السفن التجارية فقد ملكت المانيا قبيل الحرب اثنين من اكبر شركات الملاحة في العالم وهما شركة هامبرج – أمريكا وشركة لويد الامر الذي انعكس بوضوح على نموها الاقتصادي عشية الحرب العالمية الأولى [٣٥].

ومن الناحية العسكرية سعت القوى الاوربية منذ عام ١٨٨٦، الى إعداد ميزانية عسكرية جديدة بما يتلاءم مع طبيعة المتغيرات السياسية والاقتصادية على الواقع الدولي. اذ بلغ تسليح كل من روسيا وفرنسا مستويات هائلة، الامر الذي جعل الحكومة الألمانية تدرك أن القوات العسكرية للإمبراطورية لم تعد على

قدم المساواة مع القوى المعادية. ونتيجة لذلك، طلبت من البرلمان ليس فقط ميزانية جديدة مدتها سبع سنوات للأغراض العسكرية، كما فعلت مرتين مسبقا، بل لتامين حصوله على مخصصات لتجنيد عدد أكبر من الجنود (١%) من إجمالي السكان، وهو ما كان يمثل، وفقًا لآخر تعداد سكاني – (٤١٠٠٠) رجل أكثر مما كان عليه في ذلك الوقت، إضافة الى مبالغ إضافية للتحصينات والثكنات والأسلحة، وما إلى ذلك. وعلى إثر ذلك، نشبت منافسة برلمانية أخرى. وأثبتت المعارضة عدم امتلاكها الوطنية الكافية لتبني رؤية شاملة.

وطالب الليبراليون، بالتنسيق مع حزب الوسط، بتقليص عدد الجنود ومنح الميزانية لثلاث سنوات فقط. بعد نقاش حادّ، ورغم بلاغة بسمارك، أُقرّ اقتراح الحكومة بأغلبية ضئيلة . ثمّ حُلّ البرلمان مجدداً، وأُجريت انتخابات جديدة بعد نحو شهر (٢١ شباط ١٨٨٧) الذي كشفت عن استياء الشعب، إذ مُني الليبراليون والاشتراكيون الديمقراطيون بهزيمة ساحقة، ولم يُعاد إلى البرلمان سوى نصف عدد مقاعدهم السابقة. وسرعان ما أُقرّ مشروع قانون الجيش بأغلبية كبيرة من المحافظين والوطنيين، إضافة الى طرح قضايا مالية وغيرها من القضايا الهامة للبتّ فيها .[٣٦]

تميز عهد وليم الثاني الامبراطور الألماني بزيادة سرعة تصنيع المانيا بين عامي (١٨٨٨–١٩١٣) اذ زاد عد د المشتغلين بالصناعة والتجارة من عشرين مليون الى خمسة وثلاثين كما زاد انتاج الحديد من خمسة ملايين الى خمسة عشر طنا وإنتاج الفحم من(٧٠)مليون طن الى(٢٠٠)مليون كما زادت مساهم المانيا في الشحن العالمي من(٦%–١١%)وزادت قيمة تجارتها الخارجية من(٨٠٠مليون دولار –٢٠٠٠)مليون [٣٧]

بدا التنافس الاقتصادي بين الدول الصناعية الكبرى ومنها المانيا احد اهم المؤشرات لتنامي قوتها وترسيخ وجودها السياسي في العلاقات الدولية اذ سرعان ما شكلت الازمات الدولية اختبارات حقيقية كشفت عن قدرات تلك القوى ومنها الامبرطورية الألمانية في التاثير على مديات تلك الازمات وبالتالي التمهيد للحرب العالمية الاولى .اذ كان هناك تزايد شامل نحو التسلح ليمتد الى ارتفاع هائل في احجام الجيوش والبحريات للدول الاوربية رغم حقيقة وجود اهتمام شعبي ملحوظ في تلك السنوات بتقليل التسلح وعقد مؤتمرات للسلام العالمي في لاهاي مابين ١٨٩٩و١٩٠٧ لمناقشة إمكانية تحجيم التسلح في ظل السيطرة الدولية ونتج عنهما تحديد قوانين الحرب وتحريمم بعض الأسلحة االلانسانية وتوسيع اتفاقية جنيف للصليب الأحمر لتشمل الحروب البحرية وتاسيس هيئة لمنح جوائز عالمية ومحكمة عدل دولية دائمية غير انهما لم يحققا هدفهما الرئيسي وخلال العقد الذي شهد انعقاد تلك المؤتمرات ضاعفت الحكومة الألمانية ميزانية جيشها بمقدار الخمس وتضاعفت البحرية الألمانية ثلاث مرات والبحرية

البريطانية الى اكثر من الثلث ولكن ذلك لا يقارن بالتزايد خلال السنوات ما بين ١٩١٠-١٩١٤ مع تضاعف تخصيصات الجيش الألماني وفي بناء سفن جديدة ومدافع جديدة وبوارج جديدة (٣٨)

وتظهر تلك الاستثمارات في المانيا بشكل اكثر وضوحا في الآلات الحرب ضمن ارقام تقريبية

١٨٧٠	١٨٨٠	١٨٩٠	١٩٠٠	١٩١٠	١٩١٤
١,٠٨	١,٧٠	٢,٨٠	٣,٤٨	٤,٠٦	٨,١٩

وسرعان ما اخذ الجانب العسكري يؤثر على القرار السياسي فاصبح القادة العسكريون والبحريون تتم استشارتهم بشكل دائم من قبل القادة السياسية والاصغاء اليهم بصورة اكبر بل حتى اخذت الشخصيات العسكرية تميل الى تجاوز السلطات المدنية وتجسد ذلك بوضوح في تنامي عدوانية النمسا- المجر في البلقان عندا تسلم كونراد فون هوزندروف منصبه كرئيس للاركان ونجح الادميرال الفريد فون تيريتز في التغلب على كل مغريات الخارجية لاتفاق بحري مع بريطانيا خلال تلك السنوات الحرجة . (٣٩)

شكل التنافس الاقتصادي انعكاسا حقيقيا للوجود الاستعماري وللحفاظ على ارباحهم التي حصدوها من صناعاتهم تزامنا مع الطموحات الاستعمارية للإمبراطور الألماني الشاب وليم الثاني (٤٠)،والتي سرعان ما أضافت عاملا لانهيار السلام عشية الحرب العالمية الأولى تزامنا مع تكرار حدوث الازمات الدولية التي مهدت للحرب وهو ما تجسد بوضوح في تصريح هولشتاين Holstein مدير الشئون الخارجية الألمانية عن سبب تدخل المانيا في ازمة مراكش عام ١٩٠٤ قائلا :" يجب على المانيا ان تتدخل في القضية المراكشية لاسباب اقتصادية وللدفاع عن جاهها ونفوذها ويجب ان لاتترك قضية كبرى تسوى خارجا عنها مهما كانت وفي أي جزء من العالم " (٤١)

اذ باتت القدرات العسكرية الألمانية في وضع حرج وفق لراي الكونت شليفن الذي صرح قائلا :بان موقع المانيا القوي كان يتدهور شيا فشيا نحو الاسوء وانه سيرحب باي فرصة لوقف ذلك التهور من خلال حرب ناجحة ضد فرنسا وقد كان عام ١٩٠٥ نموذجا لعرض القوة الألمانية وهو ما توافق مع وجهة نظر هولشتاين بحيث انه خطط لاستخدام القوة في مراكش لاجبار فرنسا على الاستسلام وفق شروط مذلة وسرعان ما تركت تلك الازمة صدها نحو تقارب فرنسي بريطاني.

وبموجب ذلك وافقت الإمبراطورية الألمانية١٩٠٦ الاتفاق مع فرنسا حول اقتسام الأرباح الاقتصادية بينهما في مراكش وفي الاطار ذاته أضاف تنامي القوة الألمانية عاملا تنافسيا على مصالح الإمبراطورية الألمانية حاولت تامينها من خلال الاحلاف التي دخلتها سواء في عهد مستشارية بسمارك ابين عامي ١٨٧٩-١٨٨٣ وتشمل تلك الاحلاف حلف النمسا – المانيا عام ١٧٨٩ والحلف النمساوي – الروماني عام ١٨٨٣ وكلاهما موجهان ضد روسيا وكذلك الحلف الثلاثي عام ١٨٨٢ والذي كان موجها ضد

فرنسا اما من الجانب الاخر فكان التحالف الفرنسي – الروسي ١٨٩٤ وهو حلف دفاعي موجه ضد المانيا وكذلك التفاهم الثلاثي ١٩٠٤–١٩٠٧ والذي تخوفت منه المانيا بدرجة كبيرة رغم انه لم يكن موجها بالتحديد ضد أي دولة معينة ورغم ان نظام تحالفات المانيا كان يبدو على الورق اكثر تشابكا الا انه كان مشكوكا به على ارض الواقع وبموجب ذلك فان التحالفات المتناقضة سارت جنبا الى جنب مع النمو المضطرد للتسلح وبالتالي خلق جو ملبد بالتناقضات وبالتالي كان لتفوق المانيا الاقتصادي عاملا رئيسا في تنامي تاثيرها على الساحة الدولية بل وسببا في جرها للحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . [٤٢]

الخاتمة

- شكلت الوحدة الاقتصادية الزولفرايين البداية الحقيقية لنو الاقتصاد الألماني وبالتالي مقدمة منطقية لقيام الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٧١.
- مارست الطبقة البرجوازية دور حيوي في عملية التحول الصناعي للامبراطورية وبالتالي التاثير على المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية للامبراطورية حاولت تدعيم وجودها من خلال المشاركة الحذرة في الدولة من جهة وفي تنامي ظهور الطبقة البروليتارية التي راحت تنظم نفوذها ضمن نقابات .
- شهد القرن التاسع عشر وبفعل التطورات الصناعية نمو الاشتراكية الألمانية فطالما ساندت الطبقة العمالية الأحزاب الليبرالية كعلاج فوري للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية ليشهد عام ١٨٦٣ تأسيس اول حزب عمالي مستقل باسم الاتحاد العام للعمال الالمان .
- أسهمت الصناعات الكيمياوية والكهربائية بشكل كبير في تفوق المانيا وكان نتيجة منطقية لتفوق التعليم للشعب الألماني وبالتالي أسهمت تلك التحولات في دعم الصناعات الأخرى كالفحم والحديد الصلب الذي لم يكتف بالتفوق بل راح ينافس الصادرات البريطانية والامريكي عشية الحرب العظمى .
- كان نمو القطاع المصرفي في المانيا من اهم مخرجات التطور الصناعي في البلاد لتصل عام ١٩٠٠ الى ١٦٥ مصرفا ناهيك عن نشاط البيوتات المالية التي راحت تنتشر في معظم انحاء البلاد وقد اتسمت تلك المصارف بالجراءة والتهور من خلال منحها القروض المتنوعة والتي أسهمت بوضوح في تطور الاقتصاد الألماني .
- ومن الجدير بالذكر ان الصناعة بحاجة الى أسواق كبرلين وفرانكفورت وان لم تصل من حيث الأهمية والتفوق لاسواق لندن وباريس وذلك لاعتماد الحاجات الألمانية على السندات الخارجية.

- استطاعت المانيا تطوير قدراتها الزراعية من خلال استخدام الأسمدة الكيمياوية وزيادة المساحة المزروعة تزامنا مع تشكيل الجمعيات الزراعية التي دعمت النهضة الألمانية عشية الحرب العظمى .منح التطور في طرق النقل زخما نوعيا لتطور التجارة الألمانية سواء في الداخل او في الخارج التي انعكست على الواقع الاقتصادي والاجتماعي للبلاد .
- كانت التغيرات الاجتماعية تسير جنبا الى جنب مع التحولات الاجتماعية من خلال اصدار قوانين لدعم العامل محور التغير الاقتصادي كالتامين الاجباري ضد الشيخوخة وضد الحوادث وتحديد الأجور وساعات العمل .
- شكل التنافس الاقتصادي امتداد لاهتمام بالقدرات العسكرية للامبراطورية الألمانية لحماية مصالحها من جهة ولتامين وجودها على الساحة الدولية من جهة أخرى من خلال النمو المظطرد للتسلح للالمان من جهة ودخولها في تحالفات دولية من جهة أخرى والتي كانت نتيجتها جر الإمبراطورية الألمانية للحرب العالمية الأولى.
- ان دراسة النهضة الألمانية عشية الحرب العالمية الأولى كان مسالة مهمة أسهمت بشكل كبير في نمو القومية الألمانية وكانت من اهم مقومات نمو الرايخ الألماني الثالث فيما بعد .

المصادر

(١)عبد العظيم رمضان , ,تاريخ اوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الاوربية الى الحرب الباردة ,الجزء الثاني من تسوية مؤتمر فينا ١٨١٥–الى تسوية مؤتمر فرساي ١٩١٩ ,مصر، ١٩٩٧ ،ص١٢٤؛ عبد الفتاح أبو عليه و إسماعيل احمد ياغي ،تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ،الرياض ،١٩٩٣،ص٣١٧

(٢)نغم سلام إبراهيم ، الجذور التاريخية للوحدة الألمانية ،مجلة الأستاذ ،مجلد ٥٨،عدد٤، ٢٠١٩ ،ص٢١٧

(٣)فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة ،التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥–١٩٣٩ بغداد ،١٩٨٠،ص٣٥

(٤) عمر عبد العزيز عمر,تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ١٨١٥–١٩١٩,مصر،٢٠٠٠، ص١٧٠

(٥)المصدر نفسه

(٦) محمد عبد العزيز عجمية واسماعيل ,محمد محروس ,التطور الاقتصادي في اوربا والعالم العربي، بيروت ،١٩٨٦ ,ص١٧٢

(٧)المصدر نفسه

(٨) عبد الفتاح أبو عليه و إسماعيل احمد ياغي ،المصدر السابق ،٣٢١

(٩)اياد علي الهاشمي ,تاريخ اوروبا الحديث ,الأردن،٢٠١٠ ،٢٨٩

(١٠) عمر عبد العزيز عمر ،المصدر السابق ، ص١٧١

(11) Charlton T. Lewis ,History of Germany, New York,1894, p.699

(١٢) فرانسوا جورج دريفوس واخرون موسوعة تاريخ أوروبا العام ،أوروبا من عام ١٧٨٩حتى أيامنا،ترجمة حسين حيدر ،مراجعة أنطوان أ.الهام ،ج٣،باريس ،١٩٩٩،ص٢٦٤

(١٣) المصدر نفسه ،ص٢٦٩

(١٤) احمد حسن البرعي ،الثورة الصناعية واثارها الاجتماعية والقانونية ،القاهرة ،١٩٨٢ ، ص٤٣٧

؛هـ.ا.ل.فشر ،تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩–١٩٥٠ تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ،مصر، ١٩٣٥، ص٣٨٥

(١٥) صالح ،١٩٨٥ ،ص٣٠١

(١٦) فرانسوا جورج دريفوس واخرون ،المصدر السابق،١٧٩

(١٧) المصدر نفسه،ص١٨٠

(١٨) المصدر نفسه ،١٨٢

(١٩) المصدر نفسه،ص١٨٥

(٢٠) المصدر نفسه ،ص١٩٥

(٢١) هـ .ا.ل.فشر ،المصدر السابق ،ص ٣٨٧

(٢٢) امين مصطفى عفيفي واحمد عزت عبد الكريم، تاريخ اوربا الاقتصادي ،مصر ،١٩٥٤، ص٤٥١

(٢٣) المصدر نفسه ,ص٢٠١

(٢٤) المصدر نفسه ,ص٢٠١

(٢٥) المصدر نفسه ،ص٤٥٦

(٢٦) المصدر نفسه ص٢٢٠

(٢٧) وثائق أمريكية

(٢٨) هـ .ا.ل.فشر ،المصدر السابق ،ص٣٨٨

(٢٩) فرانسوا جورج دريفوس واخرون ،المصدر السابق ،ص٢٧٢

(٣٠) المصدر نفسه

(٣١) المصدر نفسه

(٣٢) حسين كامل سليم ،تاريخ اوربا الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مصر ،١٩٥٨، ص٣٠٠

(٣٣) المصدر نفسه، ص٣٠٢

(٣٤) المصدر نفسه ،ص٣٠٤

(٣٥) المصدر نفسه،ص٣٠٦

(36) . Bayarad Taylor ,A History of Germany from the Earliest Times to the Present DAY, New York, 1893, p.449

(٣٧) كارلتون هيز ،التاريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ،ترجمة فاضل حسين ،بغداد ١٩٨٧،ص٣٨٩

(38) Gordon A.Craig,Europe since 1815,p.481

(39) Ibid,p.481

(40) Bayard Taylor,The History of Nation Germany, bay Sidney b.fay,U.S.A,1910,452

(41) Gordon A.Craig,op.cit.,p.320

(42) Ibid

Conclusion

- The Zölleräinen economic union marked the true beginning of the German economy and, consequently, a logical prelude to the establishment of the German Empire in 1871.
- The bourgeoisie played a vital role in the industrial transformation of the empire, thus influencing its economic and social changes. They attempted to consolidate their position through cautious participation in the state, on the one hand, and through the growing proletariat, which began organizing its influence within trade unions, on the other.
- The 19th century witnessed the rise of German socialism due to industrial developments. The working class consistently supported liberal parties as an immediate solution to economic and social problems. In 1863, the first independent workers' party, the German Workers' Union (GDW), was founded.
- The chemical and electrical industries contributed significantly to Germany's economic dominance. This was a logical consequence of the high level of education among the German people. These advancements, in turn, supported other industries such as coal and steel, which not only achieved dominance but also began competing with British and American exports on the eve of the Great War.
- The growth of the banking sector in Germany was one of the most important outcomes of the country's industrial development, reaching 165 banks by 1900. This was in addition to the activity of financial institutions -- that spread throughout most of the country. These banks were characterized by their boldness and even recklessness in granting diverse loans, which clearly contributed to the development of the German economy.
- It is worth noting that industry needed markets like Berlin and Frankfurt, even if they did not reach the importance and dominance of the London and Paris markets, due to Germany's reliance on foreign bonds.
- Germany was able to develop its agricultural capabilities through the use of chemical fertilizers and increasing the cultivated area, coinciding with the formation of agricultural cooperatives that supported the German revival on the eve of the Great War. Developments in transportation gave a qualitative boost to the development of German trade, both domestically and internationally, which was reflected in the country's economic and social reality.
- Social changes went hand in hand with these transformations through the enactment of laws to support the worker, the driving force of economic change, such as mandatory old-age and accident insurance, and the regulation of wages and working hours.

- Economic competition was an extension of the German Empire's focus on military capabilities, both to protect its interests and to secure its presence on the international stage. This was achieved through the steady growth of German armament and its entry into international alliances, ultimately leading to the German Empire's involvement in World War I.
- The study of the German Renaissance on the eve of World War I was a crucial matter that significantly contributed to the rise of German nationalism and was one of the most important factors in the subsequent development of the Third Reich.